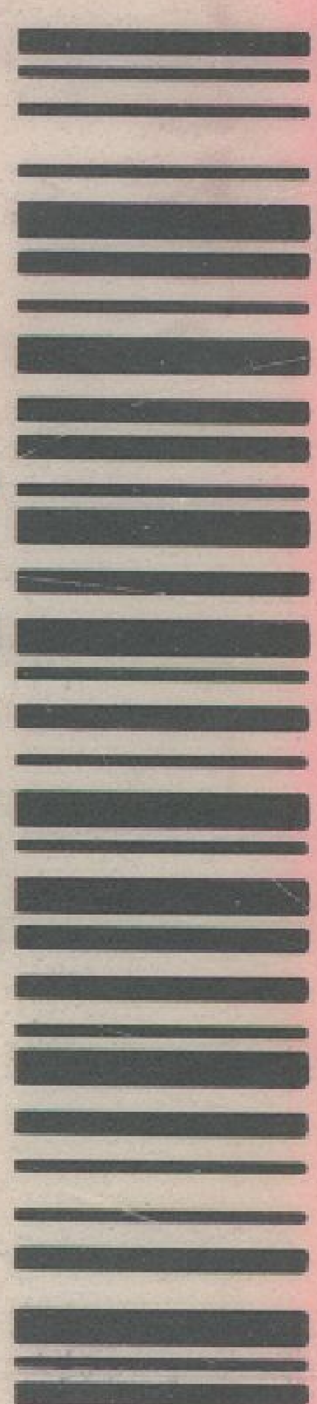
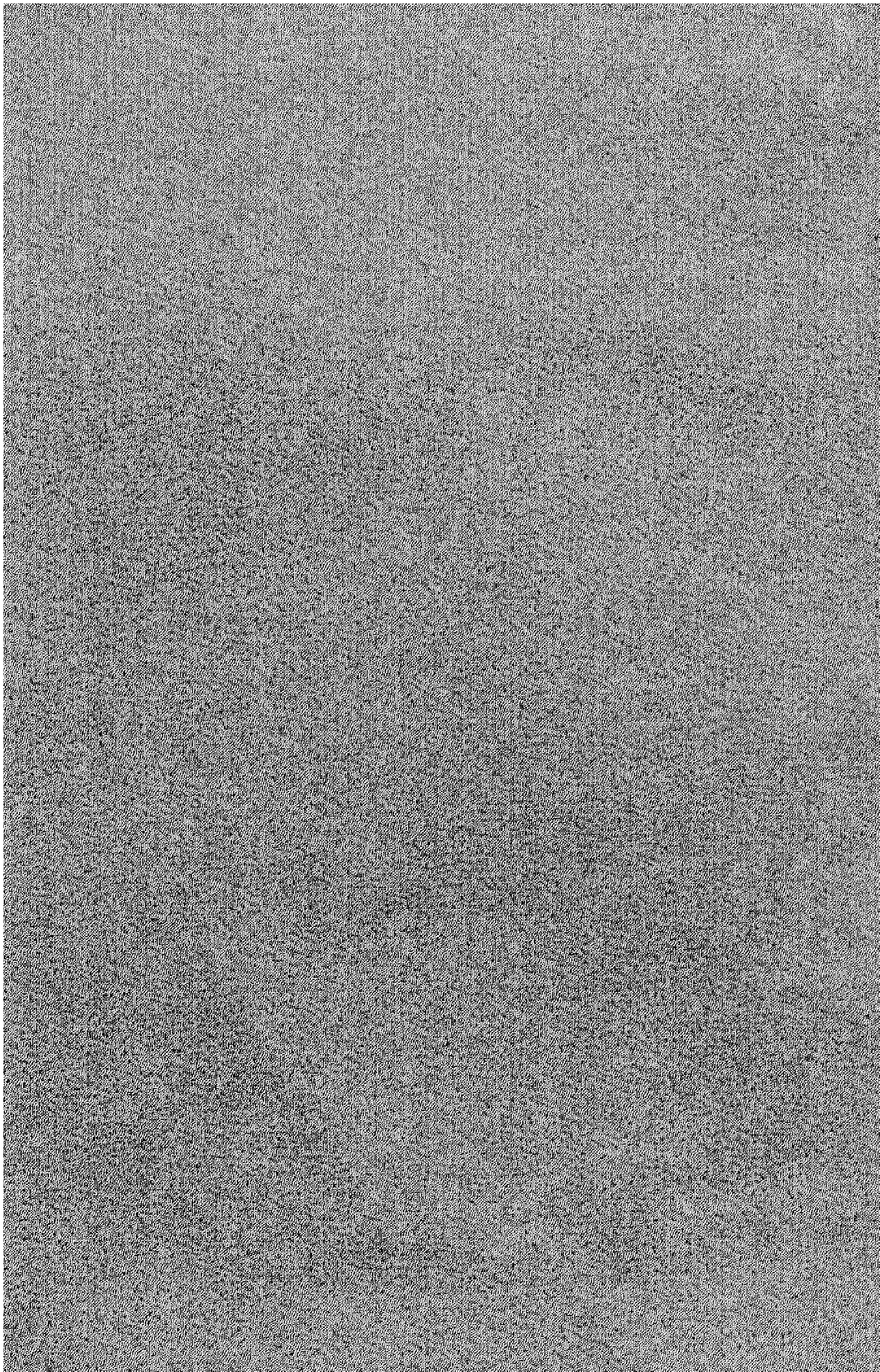



0136403



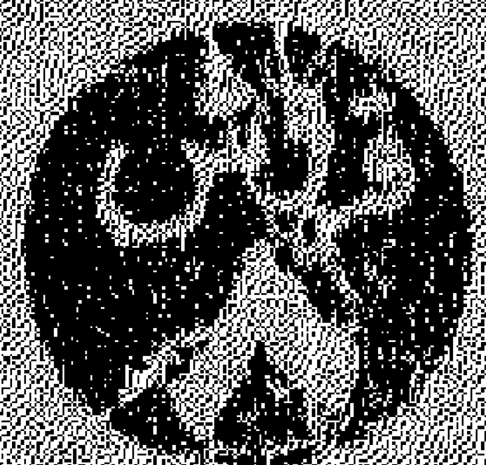
كتاب الهلال

ألف ليلة وليلة

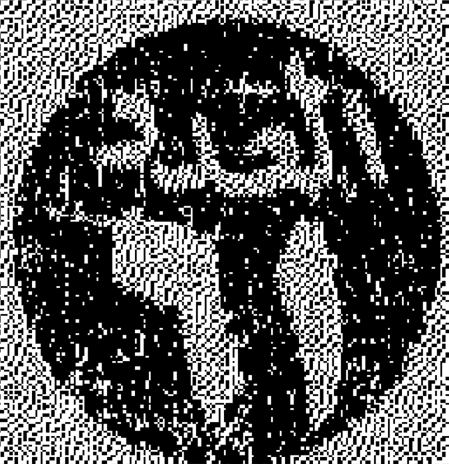
الجزء الخامس

طبعة خاصة

مهذبة مزدانة بالرسوم



سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ٦١ ـ شعبان ١٣٧٥ ـ ابريل ١٩٥٦

No. 61 — April 1956

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ـ سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا أو لبنانيا ـ الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش صـــاغ ـ فى الامريكتـــين ٥ دولارات ـ فى ســائر انحـــاء العـــالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٩/٣٠ شلنـــا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

ألف ليلة وليلة

الجزء الخامس

طبعة خاصة

مهذبة مزدانة بالرسوم

دار الهلال



شهر زاد تقص حكاياتها على الملك شهر يار وبجانبه دنيا زاد

ألف ليلة وليلة

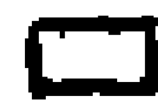
الجزء الخامس

سيف الملوك وبديعة الجمال

الليلة السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة : فلمـــا كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى أنه كان في قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان ملك في مصر يسمى عاصم بن صفوان . وكان ملكا ســخيا جوادا ، صاحب هيبة ووقار . وله بلاد كثيرة ، وقـلاع وحصون وجيوش . وكان له وزير يسمى فارس بن صالح . وهم جميعا يعبدون الشمس والنار من دون الملك الجبار الجليل القهار . ثم أن هذا الملك صار شيخا كبيرا ، أضعفه الكبر والسقم والهرم ، لأنه عاش مائة وثمانين سنة ، ولم يكن له ولد ذكر ولا انثى ، فصار بسبب ذلك في هم وغم ليلا ونهارا . فاتفق انه كان جالسا يوما من الايام على سرير ملكه ، والأمراء والوزراء والمقدمون وارباب الدولة في خدمته على عادتهم ، ومنهم من له ولد او ولدان ، فقال لنفسه : كل هؤلاء مسرورون باولادهم ، وانا مالي ولد ، وفي غد أموت واترك ملكي وضياعي واموالي يأخذها الغرباء ، ولا يبقى لي ذكر في الدنيا . ثم استغرق في بحر من الفكر ، وبكى لكثرة توارد الاحزان والافكار على راسه . ثم نزل عن عرشه وجلس على الأرض يبكي ويتضرع . فلما رآه الوزير كذلك ، صاح بالحاضرين من اكابر الدولة : انصرفوا الى منازلكم حتى يفيق الملك مما هو فيه . وبقى هو حتى افاق الملك ، فقبل الارض بين يديه وقال له : يا ملك الزمان ماسبب هذا البكاء ؟ أخبرني بمن عاداك من الملوك واصحاب القلاع ، او من الامراء وأرباب

الدولة حتى نكون كلنا عليه ، ونأخذ روحه من بين جنبيه . فلم يتكلم الملك ولم يرفع رأسه . ثم أن الوزير قبل الارض بين يديه ثانية وقال له : ياملك الزمان ، أنا مثل والدك وعبدك فاذا لم أعرف سبب غمك وهمك وجزعك فمن ذا الذى يعرفه ويقوم مقامى بين يديك ؟ فلم يتكلم الملك ولم يرفع رأسه . ومازال يبكى وينوح ويتأوه ، والوزير صابر ثم قال له الوزير : ان لم تقل لى ماسبب ذلك قتلت نفسى بين يديك من ساعتى . فرفع الملك رأسه ومسح دموعه وقال : يا أيها الوزير الناصح ، خلنى بهمى وغمى ، فالذى فى قلبى من الاحزان يكفينى . فقال له الوزير : قل لى أيها الملك ماسبب هذا البكاء ، لعل الله يجعل لك الفرج على يدى .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة والثمانون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عاصم قال للوزير : ان بكائى ليس على المال ولكنى صرت شيخا كبيرا ، عمرى نحو مائة وثمانين سنة وما رزقت ذكرا ولا أنثى ، فاذا مت ينقطع اسمى ويأخذ الغرباء ملكي ، ولا يذكرنى أحد أبدا . فقال الوزير : ياملك الزمان أنا أكبر منك بمائة سنة ، وما رزقت بولد قط . ولم أزل ليلا ونهارا فى هم وغم . والرأى عندى أن نتوجه الى نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، فان له ربا عظيما قادرا على كل شيء ، ولعله يسأله أن يرزق كل واحد منا بولد ، فقال له الملك : تجهز للسفر . وخذ معك هدية فاخرة توجه بها الى سليمان ، للقيام بهذه المهمة

وفى هذا الوقت أوحى الله سبحانه وتعالى الى نبيه سليمان بأن ملك مصر أرسل اليه وزيره الكبير بالهدايا والتحف ،



فقال له الوزير : « قل لي أيها الملك ما سبب هذا البكاء »

فأرسل سليمان وزيره آصف بن برخيا لاستقباله بالاكرام والزاد فى مواضع الاقامات . وما وصل فارس بن صالح وزير الملك عاصم الى مدينة فارس حتى وجد آصف بن برخيا فى استقباله ، حيث سلم عليه وأكرمه هو ومن معه ، وصار يقدم اليهم الزاد والعلوفات فى مواضع الاقامات . ثم قال لهم : أهلا وسهلا ومرحبا بالضيوف القادمين ، أبشروا بقضاء حاجتكم ، وطيبوا انفسا وقروا عينا وانشرحوا صدورا . فتعجب الوزير المصرى وقال لآصف بن برخيا : من اخبركم بنا وبأغراضنا ياسيدى ؟ . فقال له آصف : ان سليمان بن داود هو الذى أخبرنا بهذا . فقال له الوزير فارس : من أين علم به ؟ فقال : أخبره به رب السموات والارض والخلق أجمعين . فقال الوزير فارس : ماهذا الا اله عظيم . فقال له آصف بن برخيا : هل أنتم تعبدونه ؟ فقال فارس وزير ملك مصر : بل نحن نعبد الشمس ونسجد لها . فقال له آصف : ان الشمس كوكب من جملة الكواكب المخلوقة لله سبحانه وتعالى ، وحاشا أن تكون ربا ، لان الشمس تظهر أحيانا وتغيب أحيانا ، وربنا حاضر لا يغيب وهو على كل شيء قدير . ثم سافروا حتى وصلوا الى قرب ملك سليمان ابن داود عليهما السلام ، فأمر جنوده من الانس والجن ووحوش البر والبحر ، أن يصطفوا فى طريقهم ، ففعلوا ما أمرهم به ، بعد أن انحاز كل جنس الى جنسه . وظهر الجان للعيون من غير خفاء ، على صورة هائلة مخيفة ، بينما حلقت الطيور ونشرت أجنحتها لتظلهم وهى تتناغى بالالحان . ولما رآهم أهل مصر ، هابوهم ولم يجسروا على المشى ، فقال لهم آصف : ادخلوا بينهم وامشوا ولا تخافوا منهم ، فانهم رعايا سليمان بن داود ، وما يضركم منهم احد . ثم دخل بينهم فدخلوا وراءه أجمعين ومن جملتهم جماعة وزير ملك مصر ، ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى المدينة ، فأنزلوهم فى دار الضيافة ، واكرموهم غاية الاكرام مدة ثلاثة ايام .

ثم أحضروهم بين يدى سليمان . فلما دخلوا عليه ارادوا أن يقبلوا الارض بين يديه ، فمنعهم من ذلك وقال : لا ينبغى أن يسجد انسان الا لله عز وجل خالق الارض والسموات وغيرهما . فامتثلوا وجلسوا ، ثم مدوا لهم الاسمطة فأكلوا حتى اكتفوا . وبعد ذلك قال سليمان لوزير مصر : لاتخف شيئا مما جئت بسببه ، فأنت ماجئت الا لقضاء كذا وكذا ، وان ملك مصر الذى ارسلك اسمه عاصم ، وقد صار شيخا كبيرا ضعيفا ، ولم يرزقه الله تعالى بولد ذكر ولا أنثى فصار فى الهم والغم والفكر ليلا ونهارا ، حتى اتفق له أن جلس على كرسى مملكته يوما من الايام ودخل عليه الامراء والوزراء وأكابر دولته فرأى بعضهم وله ولد وبعضهم له ولدان وبعضهم له ثلاثة أولاد وهم يدخلون ومعهم أولادهم ويقفون فى الخدمة، فتفكر فى نفسه وقال من فرط حزنه : ياترى من يأخذ مملكتى بعد موتى وهل يأخذها الا رجل غريب واصير انا كأنى لم أكن ؟ فغرق فى بحر الفكر بسبب هذا ولم يزل متفكرا حزينا حتى فاضت عيناه بالدموع فغطى وجهه بالمنديل وبكى بكاء شديدا ثم قام من فوق سريره وجلس على الارض يبكى وينتحب ولم يعلم مافى قلبه الا الله

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، اخبر الوزير فارسا بما حصل بينه وبين ملك مصر من أوله الى آخره ، ثم قال له : هل هذا الذى قلته لك صحيح ؟ فقال الوزير فارس : يانبى الله ان الذى قلته حق وصدق ، فمن أخبرك بهذه الأمور كلها ؟ قال له : اخبرنى ربى الذى يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور . فحينئذ قال الوزير فارس : يانبى

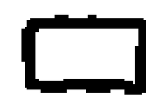
الله ماهذا الا اله كريم عظيم على كل شيء قدير . ثم أسلم هو ومن معه . وقبل سليمان ما حملوه اليه من التحف والهدايا ، ثم وهبها لهم ، وأمر بانزالهم فى ضيافته حتى يزول عنهم تعب السفر . وفى اليوم التالى يقضى حاجتهم على أتم مايكون

ولما دخل الوزير على سليمان فى اليـــــوم التالى قال له سليمان : اذا وصلت الى الملك عاصم بن صفوان واجتمعت انت واياه ، فاطلعا فوق الشجرة الفلانية واقعدا ساكتين ، فاذا كان بين الصلاتين وقد برد حر القائلة : فانزلا الى أسفل الشجرة وانظرا هناك تجدا ثعبانين يخرجان ، رأس أحدهما كرأس القرد ، ورأس الآخر كرأس العفريت . فاذا رأيتماهما فارمياهما بالنشاب واقتلاهما ، ثم ارميا قدر شبر واحد من جهة رأسيهما ، ومن جهة ذيليهما كذلك . أما لحومهما فاطبخاهاواتقنا طبخها واطعما زوجتيكما منها ،فانهماتحملان منكما فى تلك الليلة باذن الله تعالى . ثم أن سليمان عليه السلام أحضر خاتما وسيفا وصرة فيها قباءان مكللان بالجواهر وقال للوزير فارس : اذا كبر ولداكما وبلغا مبلغ الرجال فاعطيا كل واحد منهما قباء من هذين القبائين . واذن له فى السفر على بركة الله تعالى لان الملك ينتظر قدومه ليلا ونهارا وعينه دائما تلاحظ الطريق . فقام الوزير فارس وقبل يدى سليمان ، ثم ودعه وخرج من عنده ، وسافر بقية يومه وهو فرحان بقضاء حاجته ، وجد فى السفر ليلا ونهارا ولم يزل مسافرا حتى وصل الى قرب مصر ، فأرسل بعض خدامه ليعلم الملك عاصما بعودته

ولما سمع الملك عاصم بقدومه وقضاء حاجته فرح فرحا شديدا هووخواصه وارباب مملكته وجميع جنوده ،وخرجوا جميعا لاستقباله . فترجل الوزير وقبل الارض بين يدى الملك ، وبشره بقضاء حاجته على أتم الوجوه . وعرض عليه الاسلام فأسلم

وبعد ذلك قال الملك للوزير فارس : استرح هذه الليلة ثم أدخل الحمام وتعال عندى . فقبل الوزير الارض وانصرف هو وحاشيته وغلمانه وخدمه الى داره . واستراح ليلته . فلما أصبح توجه الى الملك وحدثه بجميع ماكان بينه وبين سليمان بن داود عليهما السلام . ثم قاما وأخذا قوسين ونشابين ، وطلعا فوق الشجرة وبقيا فوقها ساكنين الى قرب العصر . ثم نزلا ونظرا فرأيا ثعبانين خرجا من أسفل تلك الشجرة . وهما مطوقان بالذهب . فقال الملك : ان هذا شيءعجيب ، ليتنا نمسكهماونجعلهما فى قفص لنتفرج عليهما . فقال الوزير : هذان خلقهما الله لمنفعتنا ، فارم أنت واحدا بنشابة ، وأرمي أنا الآخر بنشابة . وبعد أن قتلا الثعبانين قطعا من جهة رأسيهما شبرا ومن جهة ذنبيهما شبرا . ثم ذهبا بالباقى الى بيت الملك وطلبا الطباخ واعطياه لحم الثعبانين وقالا له : اطبخ هذا اللحم طبخا مليحا بالابازير

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة التسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان طباخ الملك اخذ اللحم وذهب به الى المطبخ ، فأتقن طبخه ثم غرفه فى صحنين واحضرهما بين يدى الملك والوزير ، فأخذ الملك صحنا والوزير صحنا ، وأطعماهما لزوجتيهما ، وباتاتلك الليلةعندهما فحملت كل منهمابقدرةالله ومشيئته . ومكث الملك بعد ذلك ثلاثة اشهر وهو مشتت الخاطر يقول لنفسه : ياترى هذا الامر صحيح أم غير صحيح ؟

وفيما كانت زوجة الملك جالسة يوما من الايام شعرت بتحرك الجنين فى بطنها . فعلمت أنها حامل ، وطلبت واحدا من الخدم الذين عندها وهو اكبرهم وقالت له : اذهب الى

الملك فى أى موضع يكون وقل له : ياملك الزمان أبشرك بأن سيدتنا ظهر حملها والولد قد تحرك فى بطنها . فخرج الخادم مسرعا وهو فرحان ، ووجد الملك جالسا وحده ويده على خده ، فاقبل عليه ، وقبل الارض بين يديه ، وأخبره بحمل زوجته . فلما سمع الملك كلام الخادم نهض من شدة فرحه فقبل يد الخادم ورأسه ، وخلع ماكان عليه وأعطاه اياه ، وقال لمن كان حاضرا فى مجلسه : من كان يحبنى فلينعم عليه . فأعطوه من الاموال والجواهر واليواقيت والخيل والبغال والبساتين شيئا لايعد ولا يحصى

أما الوزير فانه دخل فى ذلك الوقت على الملك وقال له : ياملك الزمان ، انى كنت قاعدا فى البيت وحدى مشغول الخاطر واقول لنفسى : ياترى هل تحمل زوجتى خاتون أم لا ؟ واذا بالخادم دخل على وبشرنى بأن الولد تحرك فى بطنها فمن فرحتى خلعت جميع ماكان على من القماش وأعطيت الخادم اياه ، وأعطيته الف دينار وجعلته كبير الخدام

ثم أن الملك عاصما قال للوزير : ان الله تبارك وتعالى أنعم علينا بفضله واحسانه ، وجوده وامتنانه ، وقد اخرجنا من الظلمات الى النور . وأريد أن أرفه عن الناس وأفرحهم . فقال الوزير : افعل ماتريد . فأمر الملك باخراج كل من فى الحبس من أصحاب الجرائم ومن عليهم ديون . ورفع عن الناس الخراج ثلاث سنوات ، ونصب فى دائر المدينة مطبخا حول الحيطان ، وأمر الطباخين أن يعلقوا عليه القدور ليطبخوا سائر انواع الطعام بالليل والنهار ، وكل من فى المدينة وماحولها من البلاد البعيدة والقريبة يأكلون ويشربون ويحملون الى بيوتهم . كما أمر بتزيين المدينة سبعة أيام ، ولا تغلق حوانيتها ليلا ونهارا . وبقى الناس فى أكل وشرب ولعب وانشراح ، الى أن انتهت أيام الحمل ، فوضعت زوجة الملك ولدا ذكرا كالقمر ليلة تمامه ، فسماه سيف الملوك . ووضعت

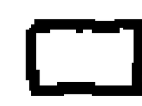
زوجة الوزير ولدا كالمصباح فسماه ساعدا ، وفرح كلاهمـا بذلك أشد الفرح

وكبر الغلامان حتى صار عمر كل منهما عشرين سـنة فدعا الملك وزيره فارسا وقال له : خطر ببالى أمر أريد أن استشيرك فيه ، وذلك انى صرت شيخا هرما وطعنت فى السن ، وأريد أن أقعد فى زاوية لاعبد الله تعالى واعطى ملكى وسلطنتى لولدى سيف الملوك ، بعد أن صار شابا مليحا كامل الفروسية والعقل والادب والحشمة ، فما تقول أيها الوزير فى هذا الرأى ؟ فقال الوزير : نعم الرأى الذى رأيته وهو رأى مبارك سعيد ، واذا فعلت انت هذا فانا أجعل ولدى وزيرا له ، وهو شاب مليح ذو معرفة ورأى وبصيرة . فوافق الملك وقال لوزيره : اكتب الى جميع الاقاليم والبلاد والحصون والقلاع التى تحت أيدينا ، وامر أكابرها بالحضور للاجتماع فى ميدان الفيل . فخرج الوزير فارس من وقته وساعته وكتب الى جميع العمال واصحاب القلاع بأن يحضروا جميعهم كما امر الفراشين ان يضربوا القباب فى وسط الميدان ، وان يزينوها بأفخر الزينة ، وينصبوا التخت الكبير الذى يجلس عليه الملك فى الاعياد ، ففعلوا جميع ما امرهم به . وفى اليوم المحدد للاجتماع ، أمر الملك بأن يخرج النواب والحجاب والامراء والوزراء وأصحاب الاقاليم والضياع الى ذلك الميدان ، فلمـا اسـتقروا كلهم فى مراتبهم ، أمر بأن يمد السماط لهم ، فأكلوا وشربوا ودعوا له . ثم أمر الحجاب أن ينادوا فى الناس بألا ينصرف احد حتى يسمع كلام الملك وقال لهم : أيها الامراء والوزراء وأرباب الدولة ، كبيركم وصغيركم ، انتم تعلمون ان هذه المملكة وراثة لى من آبائى واجدادى ، وقد كنا نعبد الشمس والقمر ، ثم رزقنا الله الايمان وانقذنا من الظلمة الى النور ، وهدانا سبحانه وتعالى الى دين الاسلام . فاعلموا انى الآن صرت شيخا هرما عاجزا ، وأريد ان اجلس فى زاوية اعبد الله فيها واستغفره من الذنوب

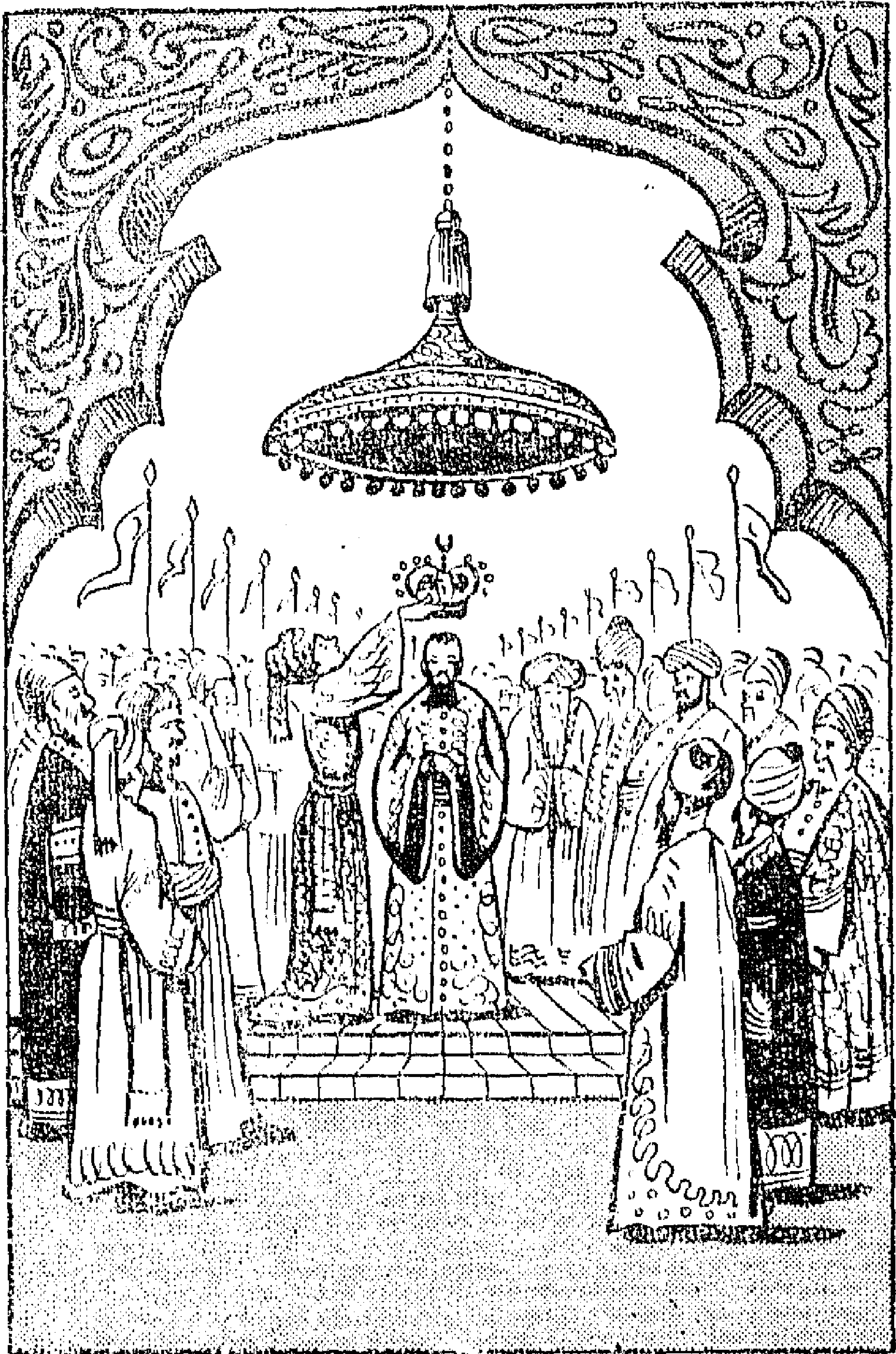
الماضية . وهذا ولدى سيف الملوك كلكم تعرفون أنه شاب مليح فصيح ، خبير بالامور ، عاقل فاضل عادل . فأريد في هذه الساعة أن أعطيه مملكتي ، وأجعله ملكا عليكم بدلا مني . ليحكم بينكم بالعدل . فقاموا كلهم وقبلوا الارض بين يديه ، وأجابوا بالسمع والطاعة وقالوا : يا ملكنا وحامينا لو أقمت علينا عبدا من عبيدك لاطعناه وامتثلنا أمرك ، فكيف بولدك سيف الملوك ؟

ثم قام الملك عاصم بن صفوان ونزل عن سريره ، وأجلس ولده على التخت الكبير ، ووضع التاج على رأسه ، وشد وسطه بمنطقة الملك . ثم جلس على كرسى بجانبه فقام الامراء والوزراء وأكابر الدولة وجميع الناس وقبلوا الارض بين يدى سيف الملوك ، ودعوا له بالنصر والاقبال . ونثر هو الذهب والفضة على رؤوس الحاضرين أجمعين

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان سيف الملوك بعد أن نثر الذهب والفضة على رؤوس الحاضرين ، وزع عليهم الخلع والعطايا . ثم وقف الوزير فارس وقال لهم : انتم تعرفون انى اقوم بالوزارة من قبل ان يتولى الملك عاصم عليكم . ومادام قد خلع نفسه وولى ولده سيف الملوك بدلا منه . فأنا الآن أخلع نفسى من الوزارة ، ليحل محلى فيها ولدى ساعد ، وهو عاقل فطن خبير . فقالوا : لا يصلح وزيرا للملك سيف الملوك الا ساعد . فعند ذلك قام الوزير فارس ، وخلع عمامة الوزارة ووضعها فوق رأس ولده ساعد ، كما وضع دواة الوزارة قدامه . ثم قام الملك عاصم والوزير فارس وفتحا الخزائن وخلعا الخلع السنية على



« ووضع التاج على رأسه »

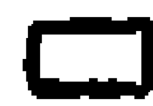
الامراء واكابر الدولة والنـــاس اجمعين . وكتبا المراسيم بعلامة سيف الملوك وعلامة الوزير ساعد . واستمرت الافراح فى المدينةاسبوعا . ثم سافرحكام‌الاقاليم‌الى‌بلادهم. واخذ الملك عاصم ولده سيف الملوك ، وساعدا وزيره الى القصر ، وسار معهم الوزير فارس . وهناك احضر الخازندار الخاتم والسيف والصرة . واخذ سيف الملوك الخاتم والصرة ، واخذ ساعد السيف . ثم قبلا يد الملك عاصم ، وذهبا الى قصرهما حيث وضع سيف الملوك الصرة من غير ان يفتحها فوق التخت الذى ينام‌عليه بالليل‌هووساعدوزيره وكان من عادتهما ان يناما معا والشموع تضىء حولهما . وبعد ان ناما حتى منتصف الليل ، انتبه سيف الملوك من نومه ، وراى الصرة عند راسه فقال لنفسه : يا ترى اى شىء فى هذه الصرة ؟ ثم اخذها ونزل من فوق التخت ، وترك ساعدا نائما . ودخل غرفة هناك ومعه شمعة تضىء له . فلما فتح الصرة وجد فيها قباءين من صنع الجان ، فلبس احدهما ، وقرر ترك الآخر لوزيره ساعد . وفيما هو يتأمل فى قبائه راى عليه صورة منقوشة بالذهب لفتاة جمالها شىء عجيب ، فلما راى هذه الصورة طار عقله من راسه ، وصار مجنونا بعشق تلك الصورة ، يبكى وينتحب ويلطم وجهه وصدره ، ويقبلها . ثم انشد هذين البيتين :

الحب اول ما يـكون مجـــانة
تأتى به وتســـوقه الاقـــدار
حتى اذا خاض الفتى لجج الهوى
جاءت امـــور لا تطـــاق كبار

ولم يزل سيف الملوك يبكى وينتحب ويلطم على وجهه وصدره ، حتى انتبه الوزير ساعد ولم يجد بجانبه سيف الملوك فقال لنفسه : اين راح يا ترى ؟ ثم اخذ شمعة ودار فى القصر يبحث عنه ، حتى وصل الى تلك الخزانة ، فرآه

يبكى بكاء شديدا وينتحب . فقال له : يا اخى لاى سبب هذا البكاء ؟ فلم يجبه سيف الملوك واستمر يبكى وينتحب ويدق صدره فلما رآه ساعد على هذه الحالة قال له : ان لم تبين لى أمورك وتطلعنى على سرك ، فانى أقتل نفسى بهذا السيف ثم وضع ذبابة السيف على صدره وقال لسيف الملوك : انتبه يا اخى ، وقل لى اى شىء جرى لك . وعند ذلك رفع سيف الملوك رأسه الى وزيره ساعد وقال له : يا اخى انا استحييت ان اخبرك بالذى جرى لى . فقال له ساعد : بالله رب الارباب ومعتق الرقاب ومسبب الاسباب الواحد التواب الكريم الوهاب ان تقول لى ما الذى جرى لك ، ولا تستح منى ، فانا عبدك ووزيرك ومشيرك فى الامور كلها ، فقال له سيف الملوك : تعال انظر الى هذه الصورة . فتأمل ساعد تلك الصورة ، وراى بأعلاها كتابة باللؤلؤ المنظوم ، قراها فاذا هى « هذه صورة بديعة الجمال ، بنت شماخ ابن شاروخ ملك ملوك الجان المؤمنين ، الذين هم نازلون فى مدينة بابل ، وساكنون فى بستان ارم بن عاد الاكبر »

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى ايهـــا الملك السعيد ان الوزير ساعد ابن الوزير فارس لما قرا الكتابة التى على صورة بديعة الجمال ، قال لسيف الملوك : اتعرف من صاحبة هــذه الصورة من النساء حتى نفتش عليها ؟ فقال سيف الملوك : والله يا اخى ما اعرف صاحبة هذه الصورة . فقال له : ان اسمها بديعة الجمال وهى بنت ملك من ملوك الجان بمدينة بابل ، وسوف اسرع فى طلبها من غير مهلة حتى تبلغ مرادك ، فبالله يا اخى اترك البكاء ، وانتظر الى الصباح ثم اطلب التجار والفقراء والمساكين واسألهم عن صفات

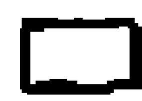
هذه المدينة لعل احدا منهم يدلنا عليها وعلى بستان ارم . فقبل سيف الملوك مشورته

وفى اليوم التالى ، جلس سيف الملوك على العرش وهو معانق للقباء ، لانه صار لا يقوم ولا يقعد الا وهو معه . واقبل الامراء والوزراء والجنود وارباب الدولة ، فقال الملك سيف الملوك لوزيره ساعد : قل لهم ان الملك مريض . فلما اعلن الوزير ساعد هذا الخبر بين القادمين ، اظهروا الحزن والاسف ، ودعوا للملك بالشفاء . واسرع الملك عاصم فدعا الحكماء والمنجمين ودخل بهم على ولده سيف الملوك ، فوصفوا له بعض الادوية ، ولكن مرضه استمر ثلاثة اشهر . فقال الملك عاصم للحكماء وهو مغتاظ : ويلكم يا كلاب ! هل عجزتم عن مداواة ولدى ؟ والله ان لم تداووه فى هـــذه الساعة لاقتلنكم جميعا . فقال رئيسهم له : يا ملك الزمان اننا نعلم ان هذا ولدك ، وانت تعلم اننا لا نتساهل فى مداواة الغريب ، فكيف بمداواة ولدك وهو ملكنا ؟ ولكن علاج مرضه ليس فى أيدينا ، فقال الملك عاصم : أى شىء ظهر لكم من مرض ولدى ؟ فقال له الحكيم الكبير : يا ملك الزمان ان ولدك عاشق ويحب من لا سبيل الى وصاله . فاغتاظ الملك عاصم وقال : من اين علمتم ان ولدى عاشق ، ومن أين جاءه العشق ؟ فقالوا له : اسأل أخاه ووزيره ساعدا ، فانه هو الذى يعلم حاله . فقال الملك عاصم للوزير ساعد : اصدقنى بحقيقة مرض اخيك ، ولا تخف شيئا ، والا امرت السياف بربط عينيك وضرب عنقك . فخاف ساعد على نفسه وقال : يا ملك الزمان اعطنى الامان . فقال له : لك الامان . فقال له ساعد : ان ولدك عاشق ، واما معشوقته فهى بنت ملك من ملوك الجان ، رأى صورتها على القباء الذى اهداه اليكم سليمان نبى الله . فعند ذلك قام الملك عاصم ودخـــل على ابنه سيف الملوك وقال له : اى شىء دهاك ؟ وما هـــــذه الصـــــورة التى عشـــــقتها ؟

فقال له سيف الملوك : يا ابت كنت استحى منك وما كنت اقدر ان اذكر لك ذلك ، ولا اقدر ان اظهر احدا على شيء منه ابدا . والآن قد علمت بحالى فانظر كيف تعمل لمداواتى ؟ فقال له ابوه : لو كانت من بنات الانس لكنا دبرنا حيلة للوصول اليها ، ولكن هذه من بنات ملوك الجان ، فلا يقدر عليها الا سليمان بن داود . ولكن يا ولدى قم فى هـذه الساعة ، واركب الى الصيد والقنص واللعب فى الميدان ، واشتغل بالاكل والشرب ، واصرف الهم والغم عن قلبك وسأجيء لك بمائة بنت من بنات الملوك ، فمالنا شأن ببنات الجان ، اذ ليس لنا قدرة عليهم ولا هم من جنسنا . فقال له : انا ما اتركها ولا اطلب غيرها ، فأحضر جميع التجار والسائحين فى البلاد لنسألهم عن بستان ارم ومدينة بابل

فأمر الملك عاصم باحضار كل تاجر فى المدينة وكل غريب فيها ، وكل رئيس فى البحر . فلما حضروا سألهم عن مدينة بابل وبستان ارم ، فقالوا جميعا : مارأيناهما ولاسمعنا بهما وعند انفضاض المجلس قال واحد منهم : يا ملك الزمان ان كنت تريد ان تعرف ذلك فعليك ببلاد الصين ، فانها مدينة كبيرة ولعل احدا منها يدلك على مقصودك . فقال سيف الملوك لابيه : جهز لى مركبا للسفر الى بلاد الصين . فقال له ابوه : يا ولدى ابق انت على كرسى مملكتك ، وانا اسافر الى بلاد الصين وابحث هذا الامر بنفسى . فقال سيف الملوك : ان هذا الامر متعلق بى ، وما يقدر احد ان يفتش عليه مثلى . والاحسن ان اسافر واتغرب مدة من الزمان ، فان وجدت حبيبتى تم المراد ، وان لم اجدها يكون فى السفر انشراح صدرى وخاطرى

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



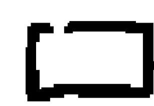
الليلة الثالثة والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى ايها الملك السعيد

أن الملك عاصم جهز لسيف الملوك اربعين سفينة وزوده بعشرين الف مملوك غير الاتباع ، وأعطاه اموالا كثيرة وكل مايحتاج اليه من آلات الحرب ، ثم قال له : سـافر يا ولدى فى خير وعافية وسـلامة ، وقد استودعتك عنـد من لاتضيع عنـده الودائع . ولما شحنت المراكب بالمـاء والزاد والسلاح والعساكر ، سافر سيف الملوك ومن معه ، ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى الصين ، فلما سمع اهلها بوصول اربعين سفينة مشحونة بالرجال والعدد والسلاح والذخائر ، اعتقدوا ان اعداء جاءوا لقتالهم وحصارهم ، واغلقوا ابواب المدينة ، وجهزوا المنجنيقات . فلما سمع سيف الملوك ذلك دعا مملوكين من مماليكه وقال لهما : امضيا الى ملك الصين وقولا له : ان سيف الملوك ابن الملك عاصم جاء الى مدينتك ضيفا ليتفرج فى بلادك مدة من الزمان ، فان قبلته نزل عندك ، وان لم تقبله رجع ولم يدخل مدينتك . فلما وصلا الى المدينة قالا : نحن رسولا الملك سيف الملوك . ففتحوا لهما الباب وذهبوا بهما الى ملكهم ، وكان اسمه قعفوشاه ، وبينه وبين الملك عاصم معرفة . فلما سمع ان الملك القادم عليه سيف الملوك ابن الملك عاصم ، امر بفتح الابواب له ، وخرج بنفسه مع خواص دولته لاستقباله . وعانقه وقال له : اهلا وسهلا ومرحبا ، انا مملوكك ومملوك ابيك ، ومدينتى بين يديك ، وكل ما تطلبه يحضر اليك . ثم ركب ومعه سيف الملوك وساعد وزيره وبقية العساكر وساروا على ساحل البحر الى ان دخلوا المدينة ، وضربت الكاسات ودقت البشائر . واقاموا مدة اربعين يوما فى ضيافات حسنة . ثم بعد ذلك قال ملك الصين لسيف الملوك : هل اعجبتك بلادى ؟ فقال له سيف الملوك : ادام الله تشريفها بك ايها الملك . فقال الملك قعفوشاه : ما جاء لك الا حاجة طرات لك ، فاى شىء تريد من بلادى لاقضيه لك ؟ فقال سيف الملوك . ان حديثى

عجيب . وروى له قصة عشقه صورة بديعة الجمال . فبكى ملك الصين رحمة له وشفقة عليه وقال له : ماذا تريد الآن ؟ فقال له : اريد ان تحضر لى جميع السائحين والتجار ، فأحضروهم جميعا عند الملك قعفوشاه ، وسألهم سيف الملوك عن مدينة بابل وعن بستان ارم ، فلم يجد عند احد منهم جوابا شافيا . ثم بعد ذلك قال له واحد من الرؤساء البحريين : ان اردت ان تعرف هذه المدينة وذلك البستان فعليك بالجزائر التى فى بلاد الهند

وعلى اثر ذلك ، قام سيف الملوك وساعد وزيره ، فودعا الملك قعفوشاه ، وسافرا ومن معهما فى البحر . ولم يزالوا مسافرين مدة اربعة اشهر فى ريح طيبة . ثم هبت عليهم ريح فى يوم من الايام ، وجاءهم الموج من كل مكان ، ونزلت عليهم الامطار ، وهاج البحر من شدة الريح ، فانكسرت المراكب جميعها ، وكذلك الزوارق الصغيرة ، وغرق من كانوا فيها جميعا . ولكن سيف الملوك وجماعة من مماليكه تعلقوا بزورق صغير ، الى ان سكنت الريح بقدرة الله تعالى وطلعت الشمس ، ونظر سيف الملوك حوله فلم ير شيئا من المراكب ، ولم ير غير السماء والماء . فقال لمن معه فى الزورق الصغير : اين المراكب والزوارق الصغيرة ، واين اخى ساعد ؟ فقالوا له : يا ملك الزمان لم يبق مراكب ولا زوارق ، والذين كانوا فيها غرقوا كلهم وصاروا طعما للسمك فصرخ سيف الملوك وقال : لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ثم اخذ يلطم وجهه واراد ان يرمى نفسه فى البحر فمنعه المماليك وقالوا له : اى شيء يفيدك هذا ، وانت الذى فعلت بنفسك هذه الفعال ؟

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الرابعة والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان

مماليك سيف الملوك بعد ان منعوه من ان يرمى نفسه فى البحر قالوا له : هذا شىء مكتوب من القدم بارادة بارىء النسم حتى يستوفى العبد ما كتب الله تعالى عليه ، وقد قال المنجمون لابيك عند ولادتك : أن ابنك هذا تجرى عليه الشدائد كلها ، وليس لنا حيلة الا الصبر حتى يفرج الله عنا الكرب الذى نحن فيه . فتنهد سيف الملوك وأنشد هذه الابيات :

تحيرت والرحمن لاشـــك فى أمرى
وأدركنى الوسواس من حيث لا أدرى
ســـأصـــبر حتى يعلم الصــبر أننى
صــــبرت على شىء أمر من الصـــبر
وما حيلتى فيمـــا أعانى من الجـوى
ولـكنما أمرى الى صـــــاحب الامر

ثم غرق فى بحر الافــكار ، وجرت دموعــه على خـــده كالأنهار ، ونام ساعة من النهار ، فلما استيقظ طلب شيئا من الاكل وأكل حتى اكتفى . كل هذا والزورق سائربهم مع الامواج والرياح . ولم يزالوا كذلك مدة من الزمان حتى فرغ منهم الزاد ، وصاروا فى أشـــد ما يكون من الجوع والعطش والقلق ، ثم لاحت لهم على بعد جزيرة ، فاتجهوا نحوها الى أن وصلوا اليها ورسوا عليها ، وغادروا الزورق بعد أن تركوا فيه واحـــدا منهم لحراسته . ثم مشوا فى الجزيرة فرأوا فيها فواكه كثيرة من سائر الالوان ، فأكلوا حتى اكتفوا . وبينما هم هنـــاك اذا بشخص جالس بين الاشجار ، طويل الوجه ، أبيض اللحية ، صاح مناديا أحد المماليك باسمه وقال له : لاتأكل من هذه الفواكه لانها لم تستو وتعال عندى حتى أطعمك من هذه الفواكه المستوية . فظن المملوك انه ممن كانوا معهم فى البحر وغرقوا ، وفرح برؤيته غاية الفرح ، ثم مشى حتى وصل قريبا منه ، فوثب

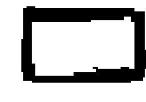
عليه ذلك الرجل وركب فوق كتفيه ولف احدى رجليه على رقبته والاخرى على ظهره وقال له : مابقى لك منى خلاص، وستكون حمارا لى طول حياتك • فصاح المملوك برفقائه : انجوا بأنفسكم منهذه الغابة واهربوا لان واحدا منسكانها ركبنى ، ولا بد انهم يطلبونكم ليركبوا عليكم مثلى • فلما سمعوا ذلك الكلام،هربوا كلهم وركبوا فى الزورق وساروا فى البحر ، بينما وقف أهل الجزيرة علىالشاطىء ينادونهم: تعالوا عندنا لنطعمكم ونسقيكم ونركبكم • فلما سمعوا منهم هذا الكلام ، أسرعوا بالزورق فى البحر • ولم يزالوا كذلك مدة شهر حتى لاحت لهم جزيرة أخرى ، فطلعوا اليها حيث رأوا فيها فواكه مختلفة الالوان والانواع ، فاشتغلوا بأكلها

وبينما هم كذلك اذ وجدوا فى طريقهم جسما ممددا على الارض كأنه عمود من فضة ، فلكزه مملوك برجله ، واذا هو غول هائل طويل العينين ، مشقوق الرأس من تحت احدى أذنيه ، لانه كان اذا نام يحطها تحت رأسه ويتغطى بالاذن الاخرى • وما رأى أمامه ذلك المملوك الذى لكزهحتى خطفه ومضى به الى الجزيرة ، وكلها غيلان تأكل بنى آدم • فصاح المملوك برفقائه وقال لهم : فوزوا بأنفسكم ، هذه جزيرة الغيلان الذين يأكلون بنى آدم ، فلما سمعوا هذا الكلام ولوا معرضين ورجعوا الى الزورق ولم يجمعوا من الفواكه شيئا • ثم ساروا به مسرعين

وبعد أيام ، وصلوا الى جزيرة أخرى ، وجدوا فيها جبلا عاليا ، وغابة كثيرة الاشجار والفواكه • وخرج لهم من بين الاشجار أشخاص طول كل واحد منهم خمسون ذراعا ، وأنيابه خارجة من فمه مثل أنياب الفيل • ورأوا هناك شخصا جالسا على قطعة لباد أسود فوق صخرة من

الحجر ، وحواليه جماعة من الزنوج فى خدمته • فوقف سيف الملوك ومماليكه خائفين

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الزنوج أخذوا سيف الملوك ومماليكه وأوقفوهم بين يدى ملكهم وقالوا له : انا وجدنا هذه الطيور بين الاشجار • فأخذ ملكهم مملوكين وذبحهما وأكلهما • فلما رأى سيف الملوك هذا الامر ، بكى ثم أنشد هذين البيتين :

ألف الحوادث مهجتى وألفتها
بعد التنافر والكريم ألوف

ليس الهموم على صنفا واحدا
عندي صنوف للهموم ألوف

ثم تنهد وأنشد هذين البيتين :

رماني الدهر بالارزاء حتى
فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت اذا أصابتنى سهام
تكسرت النصال على النصال

فلما سمعه الملك ، قال لمن معه : ان هذه الطيور مليحة الصوت والنغمة ، فاجعلوا كل واحد منها فى قفص وعلقوها بجانبى لأسمع أصواتها • فوضعوا سيف الملوك ومماليكه فى الاقفاص ، وصاروا يطعمونهم ويسقونهم ، وهم ساعة يبكون ، وساعة يضحكون ، وساعة يتكلمون ، وساعة يسكتون • كل هذا وملك الزنوج يتلذذ بأصواتهم • ولم



« وأمرت بان يخدموها وينقلوا اليها الحطب »

يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان. وكان لذلك الملك بنت متزوجة في جزيرة أخرى ، فسمعت أن أباها عنده طيور لها أصوات مليحة ، فأرسلت الى أبيها تطلب منه شيئا من تلك الطيور ، فأرسل اليها سيف الملوك وثلاثة مماليك في أربعة أقفاص مع الرسول الذى جاء في طلبهم. فلما وصلوا اليها ونظرتهم أعجبوها ، وأمرت أن يعلقوا في موضع فوق رأسها . فصار سيف الملوك يتعجب مما جرى له ، ويتفكر فيما كان فيه من العز ، ويبكى على نفسه ، والمماليك الثلاثة يبكون على أنفسهم . كل هذا وبنت الملك تعتقد انهم يغنون . وكان من عادتها اذا وقع عندها أسير من جزيرة أخرى وأعجبها أن تتزوجه وتجعل له منزلة عظيمة. فلما رأت سيف الملوك أعجبها حسنه ، وقده واعتداله . فأمرت باكرامه ومن معه . ثم طلبت منه يوما من الايام أن يتزوجها . فقال لها : ياسيدتى انا رجل غريب ، وقلبى لبعد من أهواه كئيب ، وما أرضى بغيره . فصارت تلاطفه وتحاول أن تدنو منه ، وهو يصدها ويواصل البكاء والنحيب . فلما أعياها أمره ، غضبت عليه وعلى مماليكه ، وأمرت بأن يخدموها وينقلوا اليها الماء والحطب . فمكثوا على هذه الحالة أربع سنوات ، حتى مل سيف الملوك ذلك الحال ، وأرسل اليها يلتمس أن تعتقهم وتريحهم مما هم فيه . فأمرت باحضارهم بين يديها . وقالت لسيف الملوك: ان وافقتنى على غرضى أعتقك من الذى أنت فيه ، وتروح لبلادك سالما غانما . وأخذت تتضرع اليه ، فلم يجبها الى مقصودها ، وعلى ذلك غضبت عليه وأبقته والمماليك عندها في الجزيرة على حالهم . وكل أهل الجزيرة يعرفون انهم طيور بنت الملك ، فلا يتجاسر أحد على أن يضرهم بشيء

ولما تحققت انهم لاخلاص لهم من الجزيرة ، تركت لهم بعض الحرية ، فصاروا يغيبون عنها اليومين والثلاثة ، ويدورون في البرية ليجمعوا الحطب من جوانب الجزيرة

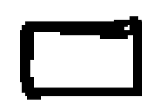
ويأتوا به الى المطبخ . ومكثوا على هذه الحالة خمس سنوات

وفيما كان سيف الملوك ومماليكه جالسين على ساحل البحر يتحدثون ، تذكر أمه وأباه ومملكته ، والعز الذى كان فيه ، فأخذ فى البكاء والنحيب ، وكذلك بكى المماليك ثم قالوا له : الى متى تبكى والبكاء لايفيد ؟ هذا أمر مكتوب على جباهنا بتقدير الله عز وجل ، وقد جرى القلم بما حكم ، ومايفعنا الا الصبر لعل الله سبحانه وتعالى الذى ابتلانا بهذه الشدة يفرجها عنا

فقال لهم سيف الملوك : يا اخوانى كيف نعمل لخلاصنا من هذه الملعونة ، لنستريح من هذا التعب ؟ فقالوا : ان هذه الجزيرة كلها غيلان يأكلون بنى آدم ، وكل موضع وجدونا فيه يأخذوننا منه ليأكلونا أو يأسرونا ويردونا الى بنت الملك . فقال سيف الملوك : أنا أعمل لكم شيئا لعل الله تعالى يساعدنا به على الخلاص من هذه الجزيرة

ثم أمرهم بقطع بعض الاخشاب ، وعمل حبال من قشرها ، وربط بعضها ببعض ، فصارت فلكا ملأوه بالفاكهة ، وعملوا له مجاديف . وبعد ذلك أنزلوه الى البحر وركبوا فيه سائلين الله أن يرزقهم الريح الطيب الذى يوصلهم الى بلاد الهند وقد فرحوا بذلك فرحا شديدا ، بعد أن أمضوا شهرا وهم يقطعون الاخشاب ويفتلون الحبال . وفى آخر كل يوم يأخذون شيئا من الحطب ويذهبون به الى مطبخ بنت الملك

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن سيف الملوك ومماليكه لم يعلموا أحدا بما فعلوا حتى

ركبوا فى ذلك الفلك ، وساروا فى البحر مدة أربعة أشهر، وهم لايعلمون أين يذهب بهم • ثم فرغ منهم الزادوصاروا فيأشد مايكون منالجوع والعطش،وأرغىالبحر وأزبد،وعلت أمواجه • وأقبل تمساح هائل فخطف مملوكا من المماليك وبلعه • فلما رأى سيف الملوك ذلك بكى بكاء شديدا ، وابتعد بالفلك هو ومن معه خائفين من التمساح • وبعد مدة ظهر لهم جبل عظيم هائل ففرحوا به • ثم ظهرت لهم بعد ذلك جزيرة ، فأسرعوا اليها مستبشرين • وبينما هم على تلك الحالة اذا بالبحر قد هاج وعلت أمواجه ، وأقبلت جماعة من التماسيح فاختطفت بقية المماليك الذينمعسيف الملوك ، فصار بالزورق وحده حتى وصل الى الجزيرة ، وصعد فوق الجبل فرأى غابة كثيرة الاشجار ، فتوجه اليها وصار يأكل من الفواكه • وفيما هو كذلك رأى آمامه مايزيد على عشرين قردا ، كل منها أكبر من البغل • فشعر بخوف شديد ، ثم احتاطت به القرود منكلجانب،وسارت أمامه وهى تشير اليه أن يتبعها فمشى سيف الملوك خلفها• وما زالوا سائرين حتى أقبلوا على قلعة عالية البنيانمشيدة الاركان ، فدخلها وراء القرود • ورأى فيها من التحف والجواهر والمعادن مايقصر عنه الوصف • ثم رأى فى تلك القلعة شابا لانبات بعارضيه ، لكنه طويل مفرطالطول • فاستأنس به اذ لم يكن فى تلك القاعة غيره من البشر

ولما رأى سيف الملوك ، أعجب به غاية الاعجاب وقالله: ما اسمك ومن أى البلاد أنت وكيف وصلت الى هنا ؟ فأخبرنى بحديثك ولا تكتم منه شيئا • فقال له سيف الملوك : والله ما وصلت الى هنا بخاطرى ، ولا كان هذا المكان مقصودى • وأنا لا أزال أسير من مكان الى مكان حتى أنال مطلوبى • فقال له الشاب : مامطلوبك ؟ فقال سيف الملوك : أنا من بلاد مصر ، واسمى سيف الملوك ، وأبى اسمه الملك عاصم بن صفوان • ثم حكى له ما جرىمنأول

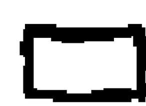
الامر الى آخره • فرحب الشاب بسيف الملوك وقال له : يا ملك الزمان أنا كنت فى مصر ، وسمعت بأنك سافرت الى بلاد الصين • وأين هذه البلاد من بلاد الصين ؟ ان هذا لشىء عجيب وأمر غريب !

فقال له سيف الملوك : كلامك صحيح ، وأنا قد غادرت بلاد الصين الى بلاد الهند ، فهبت علينا ريح وهاج البحر وكسرت جميع المراكب التى معى • ثم ذكر له ما جرى له الى أن التقى واياه فى تلك القلعة

فقال له الشاب : يكفى ماجرى لك من هذه الغربة وشدائدها ، والحمد لله الذى أوصلك الى هذا المكان . فاقعد عندى الى أن أموت وتكون انت ملكا على هذه الجزيرة التى لا يعرف لها حد ، وأعلم أن القرود التى رأيتها تتقن جميع الصنائع ، وكل شىء طلبته تجده هنا . فقال له سيف الملوك : يا أخى لا اقدر ان أقيم بمكان حتى تقضى حاجتى ، ولو اطوف جميع الدنيا للبحث عن غرضى لعل الله يبلغنى مرادى ، او يكون سعيى الى مكان فيه أجلى فأموت

والتفت الشاب الى قرد بجانبه ، وأشار اليه ، فغاب القرد ساعة ثم أتى ومعه قرود مشدودة الوسط بأحزمة من الحرير ، وقدمت السماط وفيه نحو مائة صحفة من الذهب والفضة ، جمعت سائر الاطعمة . وصارت القرود واقفة على عادة الاتباع بين ايدى الملوك . ولما فرغا من الاكل ، رفع القرود السماط واتوا بطشوت وأباريق من الذهب ، فغسلا أيديهما • ثم جاء القرود بالشراب فى أربعين آنية بها أنواع مختلفة وشرب الجميع وطربوا ، وطاب لهم وقتهم ، وكانت القرود ترقص وتلعب

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة

السابعة والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن سيف الملوك لما رأى فعل القرود ورقصهـــا ، تعجب ونسى ما جرى له من الغربة وشدائدها . ولما كان الليل اوقدوا الشموع ووضعوها فى شمعدانات من الذهب والفضة . ثم اتوا اليهما بالنقل والفاكهة ، ولما جاءوقت النوم أعدوا لهما الفراش فناما حتى الصباح

وفى اليوم التالى نظر سيف الملوك من الشباك ، فراى قرودا قد ملأت الفلاة الواسعة كلها ، وما يعلم عدد تلك القرود الا الله تعالى . فقال للشاب : ماشأن هذه القرود الكثيرة التى ملأت الفضاء ، ولاى شىء اجتمعت فى هــذا الوقت ؟ فقال له الشاب : ان هذه عادتهم ، فانهم يأتون فى كل يوم سبت ويقفون هنا حتى أنتبه من منامى واخرج راسى من هذا الشباك ، فحين يبصروننى يقبلون الارض ، ثم ينصرفون الى اشغالهم . وأخرج رأسه من الشباك حتى رأوه فقبلوا الارض وانصرفوا

واقام سيف الملوك عند الشاب مدة شهر كامل ، وبعد ذلك ودعه ليسافر ، فأمر الشاب جماعة من القرود بالسفر معه لخدمته . فساروا معه مدة سبعة أيام حتى اوصلوه الى آخر الجزيرة ، ثم ودعوه ورجعوا الى أماكنهم وسار هو وحده فى الجبال والتلال والبرارى والقفار مدة اربعة أشهر ، وهو يجوع يوما ويشبع يوما . وصار يتندم على ما فعل بنفسه ، وعلى خروجه من عند ذلك الشاب . وأراد ان يرجع على أثره ، لكنه رأى شبحا أسود على بعد ، فقال لنفسه : لعله شبح مدينة ، ولا ارجع حتى أنظر اى شىء هو . ولمــا قرب منه رآه قصرا عالى البنيان ، وكان الذى بناه يافث بن نوح عليه السلام

وجلس سيف الملوك على باب القصر ، وقال لنفسه : يا ترى ما شأن هذا القصر ، ولمن يكون من الملوك ، وهل

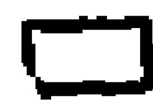
سكانه من الانس أم من الجن ؟ ثم بقى ساعة ، فلم يجد أحدا يدخله ولا يخرج منه . فتوكل على الله ودخل القصر ، وسلك فيه سبعة دهاليز خالية ، ثم نظر فاذا على يمينه ثلاثة أبواب ، وقدامه باب عليه ستارة مسبولة . فتقدم الى ذلك الباب ورفع الستارة بيده ودخل ، فاذا هو بايوان كبير مفروش بالبسط الحرير ، وفى صدر ذلك الايوان تخت من الذهب ، عليه فتاة جالسة ، وجهها مثل القمر ، وعليها ملابس الملوك ، وهى كالعروس فى ليلة زفافها . وبجانب التخت أربعون سماطا ، عليها صحاف الذهب والفضة ملآنة بالاطعمة الفاخرة

وأقبل سيف الملوك على الفتاة وسلم عليها ، فردت السلام وقالت له : هل انت من الانس أم من الجن ؟ فقال : أنا من خيار الانس ، فأنا ملك ابن ملك . فقالت له : اى شيء تريد ؟ دونك هذا الطعام كل منه وبعد ذلك حدثنى بحديثك من أوله الى آخره وكيف وصلت الى هذا الموضع

فجلس سيف الملوك على السفرة واكل من تلك الصحاف حتى شبع ، ثم غسل يده وطلع على التخت وقعد بجانب الفتاة ، فقالت له : من انت وما اسمك ومن أين جئت ومن أوصلك الى هنا ؟ فقال لها سيف الملوك : ان حديثى طويل ، فأخبرينى انت اولا باسمك وبما جاء بك الى هذا المكان ؟ فقالت له : اسمى دولة خاتون ، وانا بنت ملك الهند ، واسمه تاج الملوك ، ويسكن فى مدينة سرنديب ، وله بستان مليح كبير فيه حوض كبير ، فدخلت فى ذلك البستان يوما ومعى بعض الجوارى ، ونزلنا فى ذلك الحوض للاستحمام ، واذا بشيء مثل السحاب نزل علينا ، وخطفنى من بين الجوارى ، ثم طار بى بين السماء والارض وهو يقول لى : لا تخافى وكونى مطمئنة القلب . وبعد مدة قليلة انزلنى فى هذا القصر ، ثم انقلب من وقته وساعته فاذا هو شاب مليح نظيف الثياب ،

وقال لى : انا ابن الملك الازرق ملك الجن ، وابى ساكن فى قلعة القلزم ، وتحت يده ستمائة الف جنى ، من الطيارين والغواصين ، وقد كنت فى طريقى يوما فرأيتك وعشقتك ، ولهذا خطفتك من بين الجوارى وجئت بك الى هذا القصر المشيد ، وهو مسكنى ولا أحد يصل اليه من الجن أو الانس . ومن الهند الى هنا مسيرة مائة وعشرين سنة ، فتحققى أنك لا تنظرين بلاد أبيك وامك أبدا واقعدى عندى فى هـذا المكان مطمئنة القلب والخاطر ، وأنا أحضر اليك كل ما تطلبينه

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الفتاة قالت لسيف الملوك : ثم ان ابن ملك الجان عانقنى وقبلنى ، وتركنى بعد ذلك ، ثم عاد فى يوم ثلاثاء ومعه هذا السماط ، وجلس يأكل ويشرب معى ويعانقنى ويقبلنى . وهذه عادته معى ، ولا يحضر الا يوم الثلاثاء من كل أسبوع

ثم قالت له : هذا حديثى ، فحدثنى أنت بحديثك . فقال لها سيف الملوك : أخاف أن أحـدثك فيجىء العفريت . فقالت له : انه لم يسافر من عندى الا قبل دخولك بساعة ، ولا يأتى الا فى يوم الثلاثاء بعد أسبوع . فأخذ سيف الملوك يحدثها بحديثه حتى اكمله من الاول الى الآخر . فلما وصل الى حكاية بديعة الجمال ، فاضت عيناها بالدموع وقالت : ان بديعة الجمال أختى . فقال لها سيف الملوك . انك انسية وهى جنية ، فكيف تكون اختك ؟ فقالت له : انها أختى

من الرضاع ، وذلك ان أمى وهى حامل كانت تتفـــرج فى البستان ، فجاءها المخاض ووضعتنى هناك وكانت أم بديعة الجمال فى البستان هى وأعوانها ، فجاءها المخاض هى الاخرى فى تلك الساعـــة وولدت بديعة الجمال ، فأرسلت بعض جواريها الى أمى تطلب منها طعاما وشرابا وملابس وغيرها فبعثت اليها امى بما طلبتـــه . ثم دعتها الى النزول فى ضيافتها ، فقبلت الدعوة شاكرة واقامت عندنا فى البستان مدة شهرين، وأرضعتنى خلالهما ، كما أرضعت أمى ابنتها. ولما أرادت الانصراف ، قالت لامى : اذا احتجت الى فانزلى الى البستان وقولى كذا وكذا فآتيك فورا . وظلت تأتى ومعها بديعة لزيارتنا كل عام ، حيث تقيمان عندنا مدة من الزمان ثم ترجعان الى بلادهما . ولو كنت انا فى بلادنا الآن لجعلت أمى تدعوها وامها مثل عادتها ، وبذلك تصل الى مرادك ولكنى سجينة فى هذا المكان كمـا ترى ، واهلى لا يعرفون خبرى ، ولو عرفوا اين انا لعملوا على خلاصى فورا. والامر لله سبحانه وتعالى

فقال لها سيف الملوك : تعالى معى نهرب الى حيث يريد الله تعالى . فقالت له : لا نقدر على ذلك مادام ذلك الملعون موجودا . فقال سيف الملوك : انا اختفى فى موضع هنا حتى يحضر فأضربه بالسيف واقتله . فقالت له : ما تقدر أن تقتله الا ان قتلت روحه . فقال لها : واين روحه ؟ فقالت : لقد سألته عنها مرات ، ولما الححت عليـــه يوما من الايام اغتاظ منى وقال لى : ما سبب سؤالك عن روحى ؟ فقلت له : انا ما بقى لى احد غيرك الا الله ، واريد أن تكون روحى معانقة لروحك دائما . فزال عنه الغضب ، وقال لى : اننى حين ولدت أخبر المنجمون أبى بأن هلاك روحى يكون على يد واحد من اولاد ملوك الانس فأخذ والدى روحى ووضعها فى حوصلة عصفور ، ثم حبسه فى حق ، ووضع الحق فى

علبة ، ووضع العلبة فى داخل صندوق ، ووضع الصندوق فى طابق من رخام فى البحر المحيط ، فى موضع بعيد عن بلاد الانس وما يقدر احد منهم ان يصل اليه . ثم حذرنى من اطلاع أحد على هذا السر

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التاسعة والتسعون بعد الثلاثمائة : فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الثلاثمائة قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن دولة خاتون لما حدثت سيف الملوك بخبر روح الجنى الذى خطفها ، قالت له : ان الملعون ظل يحذرنى ان أفشى سر روحه . فقلت له : انا ما أرى أحدا غيرك ، ثم انك جعلت روحك فى حصن حصين لا يصل اليه أحد . فقال لى ربما يكون أحد من الانس معه خاتم سليمان بن داود ، فيضع الخاتم على وجه الماء ، ثم يسأل بحق مافيه من الاسماء أن يظهر له الصندوق الذى فيه روحى ، وبعد ذلك يخرج العصفور من الحق ويخنقه فأموت انا

فقال لها سيف الملوك : ان خاتم سليمان فى أصبعى ، فقومى بنا الى شاطىء المحيط لنرى هل كلام الجنى صحيح أم لا . وقام الاثنان ومشيا الى أن وصلا الى البحر ، ووقفت دولة خاتون على الشاطىء بينما نزل سيف الملوك فى الماء ، وقال بحق مافى هذا الخاتم من الاسماء والطلاسم ، أريد ان يظهر الصندوق الذى فيه روح ابن ملك الجن الازرق . فعند ذلك هاج البحر وظهر الصندوق فأخذه سيف الملوك وكسره ، ثم كسر العلب والاحقاق الى أن اخرج العصفور ، وتوجه به الى القصر مع دولة خاتون

وما وصلا الى القصر حتى أقبل الجنى فى هيئة غبرة هائلة واخذ يصيح : ابقنى يا ابن الملك ولا تقتلنى وانا ابلغك

مقصودك . فقالت دولة خاتون لسيف الملوك : اقتل العصفور لئلا يقتلك الملعون ويقتلنى بعدك . فخنق العصفور حتى مات ، ووقع الجنى على الارض كومة من رماد اسود . فقالت دولة خاتون : قد خلصنا من يد هذا الملعون فكيف نعمل ؟ فقال سيف الملوك : ان الله الذى اعاننا على الخلاص منه قدير على ان يخلصنا من هنا . ثم قام فخلع عشرة ابواب من الصندل والعود ، ومساميرها من الذهب والفضة . ثم أخذ حبالا من الحرير والابريسم ، وربط الابواب بعضها ببعض . وتعاون هو ودولة خاتون الى ان وصلا بها الى البحر ورمياها فيه بعد ان صارت فلكا ، ثم ربطاه على الشاطىء ورجعا الى القصر فجمعا ما فيه من الذهب والفضة والجواهر واليواقيت والمعادن النفيسة ، ونقلا ذلك ومعه كل ما خف حمله وغلا ثمنه الى الفلك ، وركبا فيه متوكلين على الله تعالى . ومن توكل عليه كفاه . وكانا قد صنعا مجدافين من الخشب ، وشراعا من القماش . فسار الفلك بهما فى البحر على ما يرام

ولم يزالا سائرين على تلك الحالة مدة اربعة اشهر حتى فرغ ما عندهما من الزاد ، واشتد عليهما الكرب ، فطلبا من الله أن يرزقهما النجاة مما هما فيه ، وكان سيف الملوك اذا نام ، بقيت دولة خاتون يقظانة . فبينما هما كذلك يوما ، اذ قذف الموج بالفلك الى شاطىء ميناء فيه سفن كثيرة . وسمعت دولة خاتون أصوات البحارة وهم يتحدثون مع رئيسهم ، ففرحت بوصولهما الى العمار فرحا شديدا ، ونبهت سيف الملوك من النوم وقالت له : قم واسأل هؤلاء البحارة عن اسم هذه المدينة

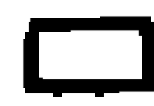
فقام سيف الملوك ونادى رئيس البحارة وقال له : ما اسم هذه المدينة ؟

فقال له الرجل : يا بارد الوجه ، اذا كنت لا تعرف هذه

المدينة فكيف جئت الى هنا ؟ فقال له سيف الملوك : أنا غريب ، وكنت فى سفينة غرقت بجميع ما فيها وطلعت على لوح فوصلت الى هنا . والسؤال ما هو عيب . فقال له الرئيس: هذه مدينة عمارية ، وهذا الميناء يسمى ميناء كمين البحرين

وما سمعت ذلك دولة خاتون حتى فرحت فرحا شديدا وقالت : الحمد لله ، أبشر يا سيف الملوك بالفرج القريب ، فان ملك هذه المدينة عمى !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الأربعمائة : فلما كانت الليلة الاربعمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن دولة خاتون قالت لسيف الملوك : ان ملك هذه المدينة عمى واسمه عالى الملوك . ثم طلبت منه أن يسأل رئيس البحارة فى ذلك . فلما سأله أجابه الرجل وهو مغتاظ منه : كيف تزعم أنك ما جئت الى هنا من قبل وانك رجل غريب ، بينما أنت تعرف اسم صاحب هذه المدينة ؟ وكانت دولة خاتون قد عرفت من صوت رئيس البحارة أنه أحد أتباع أبيها واسمه معين الدين . وقدرت أنه جاء الى مدينة عمها ليبحث عنها ، فقالت لسيف الملوك : قل له يا ريس معين الدين تعال كلم سيدتك . فلما ناداه باسمه ، تعجب واغتاظ غيظا شديدا ، وقال له : من أنت وكيف عرفتنى ؟ ثم قال لبعض البحارة : ناولنى عصا من الشوم حتى أذهب الى هذا الخبيث واكسر راسه . فناولوه العصا وتوجه بها قاصدا سيف الملوك . فلما وصل الى الفلك عجب لما رأى فيه من التحف والجواهر . ثم حانت منه التفاتة فرأى دولة خاتون وهى جالسة كالقمر . وسمع سيف الملوك يناديها باسم دولة خاتون

فعرف انها سيدته وبنت ملكه ووقع مغشيا عليه من الفرح

ولما أفاق ، توجه الى قصر الملك واستأذن فى الدخول . ثم قبل الارض بين يديه وقال له : ابشر يا مولاى فان بنت أخيك دولة خاتون وصلت الى المدينة طيبة بخير ، وهى فى فلك على الشاطىء ومعها شاب مثل القمر ليلة تمامه . فلما سمع الملك بوجود بنت أخيه ، فرح وخلع على الريس معين خلعة سنية ، وامر اتباعه ان يزينوا المدينة لسلامة بنت أخيه ، وأرسل اليها فحضرت عنده هى وسيف الملوك حيث سلم عليهما وهنأهما بالسلامة . ثم أرسل الى أخيه أن ابنته عنده . فلما وصل الرسول الى والدها الملك تاج الملوك ، سافر من ساعته الى مدينة اخيه عالى الملوك ، حيث اجتمع بها وبسيف الملوك ، وفرحوا فرحا شديدا . وبعد اسبوع أخذ بنته وسيف الملوك وسافروا الى مملكته فى سرنديب ، فاجتمعت دولة خاتون بأمها ، وفرح الجميع بسلامتها

ثم قال الملك تاج الملوك لسيف الملوك : انك فعلت معى ومع ابنتى معروفا لا أقدر ان اكافئك عليه ، وما يكافئك الا رب العالمين . ولكنى اريد منك أن تجلس بدلا منى على عرش بلاد الهند ، فانى قد وهبت لك ملكى وخزائنى . فقام سيف الملوك وقبل الارض بين يدى الملك ، وشكره قائلا : يا ملك الزمان انى قبلت جميع ما وهبته لى ، وهو منى اليك هدية ، لانى ما اريد مملكة ولا سلطنة ، وما أريد الا ان الله تعالى يبلغنى مقصودى . فقال له الملك : هذه خزائنى بين يديك ، خذ منها كل ما تريده من غير ان تشاورنى . وجزاك الله عنى كل خير . فقال سيف الملوك: أعز الله الملك ، لا رغبة لى فى الملك ولا فى المال حتى ابلغ مرادى . وكل ما أريده الآن ان اتفرج على هذه المدينة وشوارعها واسواقها . فامر تاج الملوك بأن يحضروا له

فرسا من جياد الخيل ، فاحضروها فورا ، وركبها سيف الملوك ومضى يشق شوارع المدينة . فبينما هو ينظر يمينا وشمالا اذ رأى شابا معه قباء عجيب يعرضه للبيع بخمسة عشر دينارا . ولما حقق النظر فى ذلك الشاب ، أدرك أنه وزيره ساعد ، الا أنه تغير حاله من طول الغربة ومشقات السفر ، فقال لمن حوله : خذوا هـذا الشاب الى القصر الذى أنا فيه الى أن أرجع . فظنوا أنه يأمر بأخذ الشاب الى السجن ، وقالوا لعل هذا مملوك من مماليكه هرب منه فأخذوه الى السجن وقيدوه وتركوه هنـاك . ولما رجع سيف الملوك الى القصر ، سأل عن سـاعد ، فعلم أنه فى السجن مع الاسارى . فقال للمماليك الذين معه : أنا قلت لكم أوصلوه الى القصر الذى أنا فيه . ثم ارسل الحجاب الى السجن فأتوا بساعد اليه ، وفكوا قيده وأوقفوه بين يديه فقال له : من أى البلاد انت ؟ فقال له : أنا من مصر واسمى ساعد ، وأبى الوزير فارس . فلما سمع سيف الملوك كلامه نهض والقى نفسه عليه وعانقه وصار يبكى من فرحه بلقائه بكاء شديدا . ثم قال له : الحمد لله على أن عشت ورأيتك ، فأنا أخوك سيف الملوك ، فلما سمع ساعد كلامه وعرفه ، وقع مغشيا عليه من الفرح . ولمـا أفاق، أمر سيف الملوك فأخذوه الى الحمام وألبسوه ثيابا فاخرة . ثم أتوا به الى مجلسه فأجلسه بجانبه

ولما علم تاج الملوك باجتماع سيف الملوك ووزيره ساعد، فرح بذلك وأخذ الثلاثة يتحدثون بما جرى لهم من الاول الى الآخر . فقال ساعد : انى لما غرقت بنا السـفينة ، تعلقت ومعى جماعة من المماليك بلوح من ألواحها . وبقينا كذلك فى البحر مدة شهر كامل . ثم قذفتنا الريح بقـدرة الله تعالى الى جزيرة ، فطلعنا اليها ونحن جياع ، وأخذنا نأكل من الفواكه التى بها ، واشتغلنا بالاكل ، واذا بأقوام مثل العفاريت وثبوا علينا وركبوا فوق اكتافنا وقالوا لنا :

انتم صرتم حميرنا . فقلت للذى ركبنى : ما انت ولأى شيء ركبتني ؟ فلما سمع ذلك الكلام لف رجله على رقبتي حتى كدت أن أموت ، وضرب ظهرى برجله الاخرى . فظننت انه قطع ظهرى ووقعت على وجهى ، وما بقى عندى قوة بسبب الجوع والعطش . فلما عرف انى جائع مضى بى الى شجرة بها كثير من الكمثرى وقال لى : كل من هذه الشجرة حتى تشبع . فاكلت حتى شبعت ، ثم قمت امشي بغير اختيار فما مشيت غير قليل حتى قفز ذلك الشخص على كتفي وركبنى ثانية . فصرت ساعة امشي وساعة أجرى وساعة أهرول ، وهو يضحك ويقول : عمرى ما رأيت حمارا مثلك. وحدث لزملائى مثل ما حدث لى . ثم جمعنا شيئا من عناقيد العنب يوما من الايام ، وضعناه فى حفرة بعد ان دسناه بأرجلنا ، فصارت تلك الحفرة بركة كبيرة ، وبعد مدة ضربت الشمس ذلك الماء فصار خمرا ، فبقينا نشرب ونسكر فتحمر وجوهنا ونغنى ونرقص من نشوة السكر . فقال لنا أولئك القوم : اخبرونا عن حقيقة الامر . فأخبرناهم بأمر عصير العنب . فذهبوا بنا الى واد لم نعرف له طولا من عرض ، وفيه كروم لايعرف اولها من آخرها ، وكل عنقود من العناقيد التى فيها يزن عشرين رطلا ، وكله دانى القطوف . وقالوا لنا : اجمعوا هذا العنب ، فجمعنا منه شيئا كثيرا . وكانت هناك حفرة كأنها الحوض الكبير فملأناها عنبا ، ودسناه بأرجلنا ، وصبرنا حتى صار خمرا ، ثم قلنا لهم : فى أى شيء تشربون؟ فقالوا لنا : انه كان عندنا حمير مثلكم ، فاكلناهم وبقيت رؤوسهم ، فاسقونا فى جماجمهم . فسقيناهم حتى سكروا ، ثم رقدوا . وكانوا نحو المائتين . فقلنا : اما يكفى أن يركبونا حتى يأكلونا ايضا ؟ واتفقنا على ان نقتلهم ونستريح منهم . فنبهناهم وصرنا نملأ لهم تلك الجماجم ونسقيهم ، فيقولون : هذا مر . فنقول لهم : كل من لم

يشرب منه عشر مرات يموت . فخافوا من الموت وقالوا لنا : اسقونا تمام العشر مرات . فلما شربوا بقية العشر مرات همدت قوتهم ، فجمعنا من حطب تلك الكروم شيئا كثيرا وجعلناه حولهم وفوقهم ، وأوقدنا النار فى الحطب ، ووقفنا من بعد ننظر ما يكون منهم

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الأولى بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الأولى بعد الاربعمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ساعدا قال : لما خمدت النار فى الحطب الذى جعلنا الغيلان فى وسطه ، تحولت أجسادهم الى رماد ، فحمدنا الله على أن خلصنا منهم ، وخرجنا من تلك الجزيرة وطلبنا ساحل البحر . ثم افترقنا فمشيت أنا واثنان من المماليك حتى وصلنا الى غابة كبيرة كثـيرة الاشجار ، واذا بشخص طويل القامة واللحية والاذنين ، بعينين كأنهما مشعلان ، وقدامه غنم كثير يرعاها ، وعنده جماعة آخرون مثله . فلما رآنا استبشر وفرح بنا وقال: اهلا وسهلا تعالوا عندى حتى أذبح لكم شاة من هـذه الاغنام وأشويها وأطعمكم . فقلنا له : أين موضعك ؟ فقال: قريب من هذا الجبل . وأشار لنا على مغارة هناك وقال لنا : ادخلوا فيها فان فيها ضيوفا مثلكم . فاعتقدنا أن كلامه حق ، ودخلنا تلك المغارة ، فرأينا الضيوف الذين فيها عميانا وقال لنا واحد منهم : أنا مريض . وقال الآخر: أنا ضعيف . فقلنا لهم : ما سبب ضعفكم ومرضكم ؟ فلم يجيبوا . ولكنهم لما علموا بأننا ضيوف قالوا لنا : ما الذى أوقعكم فى يد هذا الملعون ؟ لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . هذا غول يأكل بنى آدم ، وقد أعمانا ويريد أن يأكلنا . وسوف يفعل بكم مثل ذلك . فقلنا لهم : كيف

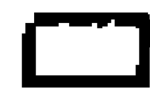


وقال لى : ((كل من هذه الشجرة حتى تشبع))

يعمينا ؟ فقالوا : يأتيكم بأقداح من اللبن ويقول لكم : أنتم تعبتم من السفر فخذوا هـذا اللبن واشربوا . فحين تشربون هذا اللبن تصيرون مثلنا . فقلت لنفسي : ما بقي لنا خلاص الا بحيلة . فحفرت حفرة فى الارض . وبعد ساعة دخل الغول علينا ومعه أقداح من اللبن ، فناولني قدحا وناول من معى كل واحد قدحا ، وقال لنا : أنتم جئتم من البر عطاشا فخذوا هذا اللبن واشربوا منـه حتى أشوى لكم اللحم . فأخذت القدح وقربته من فمى وسكبت ما فيه فى الحفرة ، ثم صحت : آه قد راحت عيني وعميت . وأمسكت عيني بيـدى وصرت أبكى . فضحك وقال : لا تخف . أما رفيقاى فانهما شربا اللبن فعميا . ثم قام الملعون وأغلق باب المغارة وامسكني وجس أضلاعى ، فوجدنى هزيلا وما على شيء من اللحم . ثم جس واحدا غيرى فرآه سمينا ففرح . وبعد ذلك ذبح ثلاثة خراف وسلخها ، وجاء بأسياخ من الحديد فوضع فيها لحم الخراف على النار حتى شواه ، ودعا المملوكين الذين معى فأكلا معه ثم جاء بزق ملآن خمـرا فشربه ، ورقد على وجهه وعلا شخيره . فقلت لنفسي : انه غرق فى النوم فكيف أقتله ؟ ثم تذكرت الاسياخ فأخذت منهـا سيخين ووضعتهما فى النار حتى صارا مثل الجمر ، ثم قمت وأخذت السيخين بيدى وادخلتهما فى عينيه واتكأت عليهما بقوتى . فنهض من حلاوة الروح قائما على قدميه وأراد أن يمسكني بعد أن عمى ، ولكني هربت منه داخل المغارة . ثم قال لى أحد العميان الذين فيها : اصعد الى الطاقة الموجودة بالمغارة ، تجد فيها سيفا صقيلا فخـذه وتعال عندى حتى أقول لك كيف تعمل . فصـعدت الى الطاقة وأخذت السيف واتيت الى ذلك الاعمى . فقـال لي : خذهواضرب الغول فى وسطه فانه يموت فى الحال . فقمت وجريت خلفه حتى تعب من الجرى ، وضربتـه

بالسيف فصار نصفين ، فقال لى : ما دمت قد أردت قتلى فاضربنى ضربة ثانية . فهممت أن اضربه ضربة ثانية ، ولكن الاعمى الذى دلنى على السـيف قال لى : لا تضربه ضربة ثانية والا كان خلاصه فيها واهلكنا

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الثانية بعد الأربعمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ساعدا قال : فلما سمعت كلام الاعمى ، لم أضرب الغول الملعون ثانية . فطلعت روحه ثم فتحنا المغارة وخرجنا منها ، واخذنا نذبح من الاغنام ، ونشرب من النبيذ ونأكل من الفواكه مدة شهرين . وفيما كنـا جالسين على شاطىء البحر يوما من الايام ، لاحت لنـا سفينة كبيرة سائرة فيه . فاشرنا الى من فيها لكى يأتوا الينا ، ولكنهم كانوا يعرفون أن هذه الجزيرة فيها غول يأكل الآدميين ، فطلبوا الهرب مسرعين . وكان بينهم واحد حديد البصر فقال لهم : ان هؤلاء من الآدميين مثلنا ، وليس عليهم زى الفيلان . فاطمأنوا وقربوا منا . فلما تحققوا اننا آدميون ، سلموا علينا ورددنا عليهم السلام ، وبشرناهم بقتل الغول الملعون

ومضى ساعد فقال : ثم تزودنا من الجـزيرة بشىء من الفواكه التى فيها ، وركبنا فى السفينة فسارت بنا فى ريح طيبة مدة ثلاثة أيام ، وبعد ذلك ثارت علينا ريح ، وازداد ظلام الجو ، وما لبثت السفينة أن اصطدمت بجبـل فانكسرت وتمزقت الواحها ، فتسلقت بلوح منها وركبته ، فسار بى يومين فى ريح طيبة حتى اوصلنى الله تعـالى بالسلامة الى هذه المدينة . وسرت فيها غريبـا فريدا لا أدرى ما أصنع ، وقد اضر بى الجوع والجهد . فاتيت

الى سوق المدينة لأبيع القباء وآكل بثمنه حتى يقضى الله ما هو قاض والحمد لله على كل ما كان

فلما سمع سيف الملوك وتاج الملوك أبو دولة خاتون حديث الوزير ساعد ، تعجبا من ذلك عجبا شديدا ، ثم أعد تاج الملوك مكانا مليحا لسيف الملوك ووزيره ساعد ، وصارت دولة خاتون تزور سيف الملوك وتتحدث معه وتشكره على احسانه . فقال لها الوزير ساعد : أيتها الملكة ، المراد منك المساعدة على بلوغ غرضه . فقالت : سأسعى فى غرضه حتى يبلغ مراده ان شاء الله تعالى . ثم التفتت الى سيف الملوك وقالت له : طب نفسا وقر عينا

وكانت الملكة بديعة الجمال قد وصلت اليها الاخبار برجوع اختها دولة خاتون الى أبيها ومملكتها ، فقالت : لا بد من زيارتها والسلام عليها . ثم ركبت اليها فى أبهى زينة ، فلما قربت من المدينة ، خرجت دولة خاتون لاستقبالها وعانقتها وقبلتها بين عينيها ، وهنتها الملكة بديعة الجمال بالسلامة . ثم جلستا تتحادثان فقالت بديعة الجمال لدولة خاتون : أى شىء جرى لك فى الغربة

فقالت دولة خاتون : يا أختى لا تسأليني عما جرى لى من الامور . ياما تقاسى الخلائق من الشدائد . فقالت لها بديعة الجمال : كيف كان ذلك ؟

فقالت : انى كنت فى القصر المشيد الذى أسرنى فيه ابن الملك الازرق . ثم حدثتها ببقية الحديث من أوله الى آخره، وبحديث سيف الملوك وما قاسى من الشدائد والاهوال حتى وصل الى القصر المشيد ، وكيف قتل ابن الملك الازرق ثم خلع الابواب وجعلها فلكا الى آخر ما حدث

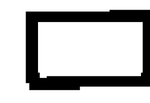
فتعجبت بديعة الجمال ثم قالت : والله يا اختى ان هذا من اغرب الغرائب . فقالت دولة خاتون : أريد أن أخبرك

باصل حكايته ، لكن يمنعني الحياء من ذلك

فقالت لها بديعة الجمال : ما سبب الحياء وانت أختي ورفيقتي ، وما بيني وبينك كلفة؟ وأنا أعرف أنك ما تطلبين لي الا الخير . فمن أي شيء تستحين مني ؟ فاخبريني ولا تخفي شيئا

فقالت لها دولة خاتون : انه نظر صورتك على القباء الذي أعطاه النبي سليمان للملك عاصم بن صفوان والده فعشقها وخرج في طلبك ، وقاسى هذه الشدائد كلها من أجلك

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثالثة بعد الأربعمائة : فلماكانت الليلة الثالثة بعد الأربعمائة ، قالت : بلغني ايها الملك السعيد أن دولة خاتون لما اخبرت بديعة الجمال بأصل محبة سيف الملوك لها وعشقه اياها ، قالت لها بديعة الجمال وقد احمر وجهها وخجلت من دولة خاتون : ان هذا شيء لا يكون ابدا ، فان الانس لا يتفقون مع الجن

فأخذت دولة خاتون تصف لها سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته ، ولم تزل تثني عليه وتذكر لها صفاته حتى قالت : لأجل الله تعالى ولأجلي ، تحدثي معه ولو كلمة واحدة . فقالت لها بديعة الجمال : ان هذا الذي تقولينه لا استطيع ان أطيعك فيه ، وصارت دولة خاتون تتضرع لها وتقبل رجليها وتقول لها : يابديعة الجمال بحق اللبن الذي رضعناه انا وانت ، وبحق النقش الذي على خاتم سليمان عليه السلام، لا تخيبي أملي هذا ، فاني تكفلت له في القصر المشيد بأن أريه وجهك

ولم تزل تبكي وتتضرع اليها وتقبل يديها ورجليها حتى رضيت وقالت لها : سأريه وجهي مرة واحدة • فعند ذلك

طاب قلب دولة خاتون وقبلت يديها ورجليها ، وخرجت من عندها الى القصر الاكبر الذى فى البستان ، وأمرت الجوارى أن يفرشنه وينصبن فيه تختا من الذهب ، ويجعلن أوانى الشراب مصفوفة • ثم قامت ودخلت على سيف الملوك وساعد وزيره ، وبشرت سيف الملوك ببلوغ اربه وحصول مراده وقالت له : توجه الى البستان أنت والوزير ، وادخلا القصر واختفيا عن أعين الناس بحيث لاينظركما أحد ممن فى القصر ، الى أن أجيء أنا وبديعة الجمال

فقام سيف الملوك وساعد وتوجها الى المكان الذى دلتهما عليه دولة خاتون ، فلما دخلاه رأيا تختا منصوبا من الذهب وعليه الوسائد ، وهناك الطعام والشراب ، فجلسا ساعة• ثم تذكر سيف الملوك معشوقته ، فضاق صدره وهاج به الشوق والغرام • فقام ومشى حتى خرج من دهليز القصر بعد أن قال لساعد : اقعد أنت مكانك حتى أجيء اليك • ثم مضى حتى دخل البستان وهو سكران من خمر الغرام ، حيران من فرط العشق والهيام ، وقد هزه الشوق وغلب عليه الوجد فأنشد هذه الابيات :

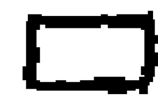
يا مثال الجمال مالى سواك
فارحمينى انى أسير هواك
أنت سؤلى ومنيتى وسرورى
قد أبى القلب أن يحب سواك
ليت شعرى هل تعلمين بكائى
طول ليلى مسهد الجفن باكى
فمرى النوم أن يمر بجفنى
فعسى فى المنام أنى أراك
فاعطفى فى الهوى على مستهام
أنقذيه من مهلكات جفاك
زادك الله بهجة وسرورا
وجميع العدا تكون فداك

يحشر العاشـقون تحت لوائى
وجميـع المـــلاح تحت لواك
ثم بكى بكاء شديدا وأنشد أيضا هذه الابيات :
بديعة الحسن أضحت بغيتى أبدا
لانهـا فى ضـمير القلب أسرارى
فان نطقت فنطقى فى محاسـنها
وان سكت ففيها عقـد اضمارى
ثم بكى بكاء شديدا وأنشد أيضا هذه الابيات :
وفى كبـدى نار يزيد وقودها
وأنتم مرادى والغـرام يطـول
أميل اليـكم لا أميل لغـيركم
وأرجو رضـاكم والمحب حمول
لكى ترحموا من أنحل الحب جسمه
وأضـعفه والقلب منـه عليل
فرقوا وجودوا وانعموا وتفضلوا
فلم أنتقل عنكم ولست أحـول
ثم ان ساعدا استبطأه ، فخرج من القصر يفتش عليه فى البستان، فرآه ماشيا فيه متحيرا وهو ينشد هذين البيتين:
والله والله العظيـم وحـق من
يتلو من القرآن سـورة فاطر
ماجال طرفى فى محاسن من أرى
الا وشخصك يابديع مسامرى
ثم اجتمع سيف الملوك وساعد أخوه ، وصارا يتفرجان فى البستان ، ويأكلان من الفـواكه ، الى أن أتت بديعـة الجمال مع دولة خاتون • ودخلتا القصر وقـد زين أحسن زينة ، وجلست بديعة الجمـال على التخت الذهبى وكان بجانبها طاقة تشرف على البستان ، وقد أعد الخدم أنواع الطعـام الفاخرة ، فأكلت هى ودولة خاتون ، ثم غسلتـا أيديهما وجاء الخدم بالشراب وآلات المدام ، وصفت الاباريق

والكاسات ، وصارت دولة خاتون تسقى بديعة الجمال وتشرب معها

ونظرت بديعة الجمال من الطاقة التى بجانبها الى البستان، فوقعت عينها على سيف الملوك وهو يمشى فيه وخلفه الوزير ساعد . وسمعت سيف الملوك ينشد الاشعار ، ويذرف الدموع الغزار

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الرابعة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة بعد الأربعمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بديعة الجمال لما رأت سيف الملوك فى البستان ، أعقبتها النظرة الف حسرة ، فالتفتت الى دولة خاتون وقد لعبت الخمر بأعطافها وقالت لها : يا اختى من هذا الشاب الذى أراه فى البستان وهو حائر ولهان كئيب لهفان ؟ فقالت لها دولة خاتون : هل تأذنين فى حضوره عندنا ؟ . فقالت لها : ان أمكنك أن تحضريه فأحضريه فعند ذلك نادته دولة خاتون . وقالت له : اصعد الينا ، واطلع بحسنك وجمالك علينا . فصعد الى القصر ، وما وقع نظره على بديعة الجمال حتى خر مغشيا عليه ، فرشت دولة خاتون وجهه بالماء حتى أفاق من غشيته . ثم نهض وقبل الارض قدام بديعة الجمال ، فبهتت من حسنه وجماله . فقالت لها دولة خاتون : اعلمى أيتها الملكة أن هذا هو سيف الملوك الذى كانت نجاتى بقضاء الله تعالى على يديه ، وهو الذى قاسى المشقات من أجلك ، وقصدى أن تشمليه بنظرك، فقالت بديعة الجمال وقد ضحكت : هل يفى بالعهود هذا الشاب مع انه من الانس ؟ . فقال سيف الملوك : آيتها الملكة ان عدم الوفاء لايكون منى أبدا ، وما كل الخلق سواء . ثم بكى بين يديها وأنشد هذه الابيات :

بحق ما حازه خـداك من ملح
من أبيض وشـقيق أحمر قان
لاتتركى ذلك الهجران يقتلنى
فان جسمى منطول النوى فان

ثم بكى بكاء شديدا ، وتحكم عنـده العشق والغرام ، فصار يسلم عليها بهذه الابيات :

سـلام عليكم من محب متيم
وكل كريم للكريم يميـل
سـلام عليكم لاعـدمت خيالكم
ولم يخل منـكم مجلس ومقيل
أغار عليكم كلما ذكر اسمكم
وبى من جفاكم رقة ونحـول
فلا تقطعوا احسانكم عنمحبكم
فان الاسى يرديه وهـو عليـل
أراعى النجوم الزهر وهىتروعنى
وليـلى من فرط الغرام يطول
ولم يبق لى صبر ولا لى حيلة
فأى كلام بعـد ذاك أقـول
عليكم سلام الله فى ساعة الجفا
سـلام من الولهان وهو حمول

فلما فرغ من شعره وبكائه ، قالت له بديعة الجمال : انى أخاف أن أقبل عليك بقلبى،فلا أجد منكألفة ولا محبة، لان الانس خيرهم قليل ، وغدرهم جليل،وقد أخذ سليمان ابن داود الملكة بلقيس بالمحبة ، ثم تركهـا لما رأىأحسن منهـا • فقال لها سيف الملوك : ياعينى وياروحى ، والله ما أترك هواك أبدا • وسوف تبصرين ما أفعل موافقا لما أقول ، والله على ما أقول وكيل • فقالت له بديعة الجمال : لنتعاهد على أن من خان صاحبه ينتقم الله تعالى منه • فلما سمع سيف الملوك منها ذلك الكلام ، وضع يده فى يدها ،

وتحالفا أن كلا منهما لايختار على صاحبه أحدا من الانس أو الجن • ثم تعانقا وتباكيا من شدة فرحهما ، وغلب الوجد على سيف الملوك فأنشد هذه الابيات :

بكيت غراما واشـتياقا ولوعة
وأعطيت من أهواه قلبي ومهجتى
وبي زادت الآلام من طول هجركم
وباعي قصير عن تقارب نسبتى
وحزنى مما ضـاق عنه تجلدى
يوضـــح للــوام بعض بليتى
وقد ضاق بعد الاتساع حقيقة
مجال اصطبارى لابحولى وقوتى
فياسادتى هل يجمع الله شملنا
وتبرا من الآلام والسقم غصتى ؟

وبعد أن تحالفا وتعاهدا ، جاءت لهمـا جارية بزجاجة من الشراب

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



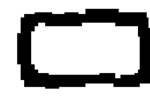
الليلة الخامسة بعد الاربعمائة : فلماكانت الليلة الخامسة بعد الأربعمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بديعة الجمال وسيف الملوك قعدا يأكلان ويشربان ساعة ، ثم قالت له : اذا جئت الى بستان ارم ، فانك ترى خيمة كبيرة هناك ، وهى من اطلس احمر وبطانتها من حرير اخضر . فادخلها ولاتخف . ثم انظر أمامك تجد عجوزا جالسـة على تخت من الذهب الاحمر ، مرصع بالدر والجوهر ، فسلم عليها بأدب واحتشام، وانظر تحت التخت تجد نعالا منسوجة بقضبان الذهب مزركشة بالمعادن ، فخذها وقبلها وضعها على رأسك ، ثم ضعها تحت ابطك الايمن • وقف قدام العجوز سـاكتا مطرقا • فاذا

سألتك وقالت لك : من أين جئت وكيف وصلت الى ههنا ومن عرفك هذا المكان ولأى شيء أخذت هـذه النعال ؟ • فاسكت حتى تدخل جاريتي وتستعطفهـا عليك عسى أن تجيبك الى ماتريد

ثم نادت بديعة الجمال جارية لها اسمها مرجانة وقالت لها: ان قضيت حاجتى فى هذا اليوم فأنت حرة لوجه الله تعالى ولا يكون عندى أعز منك • فقالت لها : ياسـيدتى ونور عينى قولى لى ما حاجتك حتى أقضيها لك على رأسى وعينى • فقالت لها : أن تحملى هذا الانسى وتوصليه الى بستان ارم عند جدتى أم أبى ، ثم توصليه الى خيمتها ، واذا دخلت بعده وسمعتها تسأله : من أين أنت ومن أى طريق أتيت ومن أوصلك الى هذا المكان ومن شأن أى شيء أخذت النعال وأى شيء تريد ؟ فسلمى عليها وقولى لها : ياسيدتى أنا التى جئت به هنا ، وهو الذى كان فى القصر المشيد وقتل ابن الملك الازرق وخلص منه دولة خاتون وأوصلها الى أبيها سالمة • وقد أوصـلته اليك لاجـل أن يبشرك بسلامتها فتنعمى عليه • ثم بعد ذلك قولى لها : ان هـذا الشاب مليح كامل المروءة والشجاعة ، وهو صاحب مصر وملكها ، وقد حوى سائر الخصال الحميدة • فاذا قالت لك أى شيء حاجتك ؟ فقولى لهـا : ان سـيدتى تسلم عليك وتقول لك : الى متى وهى قاعدة فى البيت بلا زواج ،فلأى شيء ما تزوجينها فى حياتك وحياة أمها مثل سائر البنات؟• فاذا قالت لك : نحن لانعرف أحدا يوافق مرادها ، فعند ذلك قولى لهـا : لقـد كنتم تريدون تزويجهـا بسليمان وصورتم له صورتها على القباء الذى أهداه والدها اليه • وقد أرسل هو القباء الى ملك مصر فأعطاه لولده ، ولما رأى هذا صورتها عشقها ، ثم ترك ملك أبيه وأمه وأعرض عن الدنيا وما فيها وخرج هائمـا على وجهـه ، وقاسى أكبر الشدائد والاهوال من أجلها

ثم ان الجارية حملت سـيف الملوك وقالت له : أغمض عينيك • فلما فعل طارت به فى الجو ساعة ، ثم قالت له : افتح عينيك • فلما فتحهما وجـد نفسه فى بستان ارم ، وقالت له الجارية مرجانة : ادخل ياسيف الملوك هذه الخيمة • فذكر الله ودخل ، ومد عينيه فرأى العجوز قاعدة على التخت وفى خدمتها الجوارى ، فدنا منها بأدب واحتشام ، وأخذ النعال وقبلها كما أوصته بديعة الجمال • فقالت له العجوز : من أنت ومن أين أقبلت ؟• ومن جاء بك الى هذا المكان ؟ ولأى شىء أخذت هذه النعال وقبلتها ؟ فسكت حتى دخلت الجارية مرجانة وسلمت عليها بأدب واحتشام ، ثم حدثتها بحديث بديعة الجمال الذى قالته لها • فلما سمعت العجوز هذا الكلام ، صرخت واغتاظت منها وقالت لها : من أين يحصل بين الانس والجن اتفاق ؟

وهنا أدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة بعد الأربعمائة : فلمـــا كانت الليـــلة السادســـة بعـــد الأربعمائة قالت : بلغنى أيهـــا الملك السعيد أن سيف الملوك لما سمع كلام العجوز ، قال لها : اننى أعدك بأن أكون غلامك وأموت على طاعتك وأحفظ عهدك وسوف تنظرين صدقى وعدم كذبى وحسن مروءتى ان شاء الله تعالى • ففكرت العجوز ساعة ثم قالت له : أيها الشاب المليح ، مادمت تحفظ العهد والميثاق ، وتقسم على ذلك بمن رفع السماء وبسط الارض على الماء فأنا أقضى لك حاجتك ان شـاء الله تعالى ، ولكن اذهب الساعـة الى البستان ، وتفرج فيه وكل من الفواكه التى لانظير لها فى الدنيا ، الى أن أبعث الى ولدى شهيال فيحضر وأتحـدث معه فى شأن زواجك بابنته بديعة الجمال • ولا يكون الا خيرا ان شاء الله تعالى ، لأنه لايخالفنى ولا يخرج عن أمرى • فطب

نفسا ، وقر عينا ، فانها ستكون زوجة لك
فلما سمع سيف الملوك ذلك الكلام من العجوز قبل يديها ورجليها ، وخرج من عندها متوجها الى البستان . أما هي فالتفتت الى تلك الجارية وقالت لها : فتشي على ولدى شهيال وانظريه في أي الاقطار والاماكن واحضريه عندى . فراحت الجارية وفتشت على الملك شهيال حتى وجدته وأحضرته عند أمه
أما سيف الملوك ، فبينما كان يتفرج في البستان ، اذا بخمسة من الجان أعوان الملك الازرق مروا بالقرب منه ، فلما رأوه قال أحدهم : لعله الذى قتل ابن الملك الازرق . ثم اتفقوا على أخذه بالحيلة . وصاروا يتمشون قليلا قليلا الى أن وصلوا الى مجلسه في طرف البستان وقالوا له : أيها الشاب المليح ، اننا نهنئك على قتل ابن الملك الازرق وانقاذ دولة خاتون منه ، فانه كلب غدار مكر بها ، ولولا أن الله قيضك لها ما خلصت منه أبدا . فقال لهم سيف الملوك : لقد قتلته بهذا الخاتم الذى في أصبعى . فلما ثبت عندهم انه هو الذى قتله ، قبض اثنان منهم على يديه ، واثنان على رجليه ، والآخر قبض على فمه حتى لايصيح فيسمعه قوم الملك شهيال . ثم حملوه وطاروا به ، ولم يزالوا طائرين حتى نزلوا عند ملكهم وأوقفوه بين يديه وقالوا : يا ملك الزمان قد جئناك بقاتل ولدك . فقال له الملك الازرق : هل قتلت ولدى وحشاشة كبدى ونور بصرى بغير حق وبغير ذنب فعله معك ؟ . فقال له سيف الملوك : نعم أنا قتلته ، ولكن لظلمه وعدوانه ، لأنه كان يأخذ أولاد الملوك ويذهب بهم الى البئر المعطلة والقصر المشيد ، ويفرق بينهم وبين أهليهم ، وقد قتلته بهذا الخاتم الذى في أصبعى وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار . فثبت عند الملك الازرق أن هذا هو قاتل ولده بلا شك . ودعا بوزيره وقال له : هذا قاتل ولدى فماذا تشير

على فى أمره ؟ هل أقتله أقبح قتلة ، أم أعـذبه أصـعب عذاب ؟• فقال الوزير الاكبر : اقطع منـه عضوا • وقال آخر : اضربه كل يوم ضربا شـديدا • وقال آخر:اقطعوا أصابعه جميعا واحرقوها بالنار • وقال آخر : اصلبوه • وصار كل واحد منهم يبدى رأيه

وكان عند الملك الازرق أمـير كبير ، له خبرة بالامور ، ومعرفة بأحوال الدهور ، فقال له : يا ملك الزمان ، انى أقول لك كلاما والرأى لك فى سماع ما أشير به عليك • وكان هو مشير مملكته ورئيس دولته ، ولذلك يسمع كلامه ويعمل برأيه ولا يخالفه فى شىء • فقال له الملك : ماعندك من الرأى ؟ فقال له : هل اذا أشرت عليك برأى فى شأن هذا الامر تتبعه وتعطينى الامان؟فقال له : بين رأيك وعليك الامان • فقال له : اعلم انك ان قتلت هذا ولم تقبل نصحى، فان قتله فى هذا الوقت غير صواب ، لانه تحت يدك وفى حماك وأسيرك ، ومتى طلبته وجدته وتفعل به ماتريد • فاصبر يا ملك الزمان فان هذا قد دخل بستان ارم وتزوج بديعة الجمال بنت الملك شهيال • وجماعتك قبضوا عليه هناك•وما أخفى أمره عليهم ولا عليك•فان قتلته فان الملك شهيال يطلب ثأره منك ويعاديك ، ويأتيك بجنود لامقدرة لك على حربهم • فقال الملك : ماذا أصنع بقاتل ولدى ؟• فقال له : اسجنه حتى تثبت فى أمره

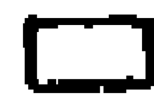
هذا ما كان من أمر سيف الملوك • أما بديعة الجمال فانها بعد أن اجتمعت بوالدها شهيال ، أرسـلت الجارية تفتش على سيف الملوك : فرجعت الجارية اليها وقالت : ماوجدته فى البستان • فأرسلت الى عملة البستان وسـألتهم عنه فقالوا : كان قاعدا تحت شجرة ، فجاء خمسة أشخاص من جماعة الملك الازرق وتحدثوا معه ، ثم حملوه وطاروا به • فلمـا سمعت بديعـة الجمال ذلك الـكلام ، اغتاظت غيظا



« ثم حملوه وطاروا به »

شـديدا ، وقالت لأبيها الملك شهيال : كيف تكون ملكا وتجيء جماعة الملك الازرق الى بستاننا ويأخـذون ضيفنا ويروحون به سالمين ؟ وكذلك صارت أمه تحرضه وتقول له : لا ينبغى أن يتعدى علينا أحد فى حياتك . فقال لها : يا امى أن هذا الانسى قتل ابن الملك الازرق ، فرماه الله فى يده ، فكيف أعادى جنيا من أجل الانسى ؟ فقالت له أمه : اذهب اليه واطلب منه ضيفنا ، فان كان حيا وسلمه لك فاحضره وان كان الملك الازرق قد قتله فاقبض عليه وعلى كل أتباعه وائتنى بهم حتى أذبحهم

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة السابعة بعد الأربعمائة قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لابنها شهيال : ان لم تذهب الى الملك الازرق وتفعل ما امرتك ، فلا اجعلك فى حل من لبنى ، وتكون تربيتك حراما . فعند ذلك قام الملك شهيال وامر عسكره بالخروج الى الملك الازرق ، رعاية لخاطر امه وابنته . ولم يزالوا مسافرين حتى التقوا بعساكر الملك الازرق ، واشتبك العسكران ، فانكسر الملك الازرق هو وعسكره ، وجيء به وأرباب دولته بين يدى الملك شهيال فقال له : يا أزرق أين سيف الملوك الانسى الذى هو ضيفى؟ فقال له الملك الازرق : أنت جنى مثلى ، فكيف لأجل أنسى تفعل هذه الفعال معنا ؟ وهو قد قتل ولدى وحشاشة كبدى وراحة روحى؟ فقال له شهيال : خل عنك هذا الكلام، واذا كان حيا فاحضره وأنا أعتقك وأعتق كل من قبضت عليه من أولادك . أما ان كنت قتلتـه فأنا اذبحك انت وأولادك . فقال له الملك الازرق : هل هـذا الانسى أعز عليك من ولدى ؟ فقال له الملك شهيال : ان ولدكم ظالم

لكونه يخطف أولاد الناس وبنات الملوك ويضعهم فى القصر المشيد والبئر المعطلة . فقال له الملك الازرق : انه عندى ولكن اصلح بيننا وبينه

فكتب شهيال عهدا بين الملك الازرق وسيف الملوك ، ثم أخذ سيف الملوك وأتى به الى أمه ، ففرحت به فرحا شديدا ، وتعجب شهيال من جمال سيف الملوك وكماله ، ومن حكايته مع بديعة الجمال . ثم قال لأمه : حيث رضيت به زوجا لابنتى فأنا طوع أمرك ، فخذيه وروحى الى سرنديب واعملى هناك فرحا عظيما ، فانه شاب مليح

وسارت العجوز ومعها سيف الملوك وبديعة الجمال الى سرنديب ، وبعد أن أقيمت الافراح والليالى الملاح قال سيف الملوك للملك تاج الملوك : لى عندك حاجة أخاف أن تردنى عنها خائبا . فقال له تاج الملوك : والله لو طلبت روحى ما منعتها عنك لما فعلت من الجميل . فقال له سيف الملوك : أريد أن تزوج ابنتك دولة خاتون بأخى ساعد حتى نصير كلنا غلمانك . فقال تاج الملوك : سمعا وطاعة. وجمع أكابر دولته وعقد قران بنته دولة خاتون على ساعد . ثم نثر الذهب والفضة وأمر بتزيين المدينة واقامة الفرح من جديد . ولم يزل سيف الملوك وساعد عنده أربعين يوما بعد ذلك . ثم قالت بديعة الجمال لزوجها سيف الملوك : هل بقى فى نفسك شىء ؟ فقال سيف الملوك : ما بقى فى قلبى حسرة ابدا ، ولكن قصدى الاجتماع بأبى وامى بأرض مصر . فأمرت جماعة من خدمها بأن يوصلوه هو وساعد الى أرض مصر ، فأوصلوهما الى هناك حيث امضيا مدة فى سرور وحبور ، ثم ودع كل منهما اباه وأمه، وعادا الى مدينة سرنديب . وصارا كلما اشتاقا الى أهلهما يزورانهم فى مصر ثم يرجعان . وعاش سيف الملوك هو وبديعة الجمال فى أطيب عيش وأهناه ، وكذلك ساعد مع دولة خاتون ، الى أن أتاهم هازم اللذات ، ومفرق الجماعات

فسبحان الحى الذى لا يموت ، وله الملك والملكوت . وهو أول بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء

فلما سمع الملك شهريار من شهرزاد هذه الحكاية ، مال عجبا ، واهتز طربا ، وقال لها : هذه حكاية تستأهل ان تؤرخ وتحفظ . فقالت له : ما هى يا مولاى باعجب من قصة خليفة الصياد والقرود . فقال لها وما حكايته ؟

خليفة الصياد والقرود

قال الملك شـــهريار لشهر زاد بعد ان انتهت من حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال : هذه حكاية عجيبة ، فيهـا شفاء للنفوس الحزينة الكئيبة . فقالت له : ان حكاية خليفة الصياد مع القرود أعجب وأغرب . وذلك أنه كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان ، رجل صياد ، فى مدينـة بغداد . اسمه خليفة . ولم يكن قد تزوج بعد لانه فقير الحال . لا قدرة له على نفقة الزوجة والعيال . فاتفق ان توجه الى البحر بشبكته ، ليصطاد كعادته . وظل ساعة من الزمان ، وهو يتنقل بشبكته فى البحر من مكان الى مكان لكنه كلما أخرجها من الماء ، لا يجد فيها اى شىء من الاشياء فضاق صدره ، وحار فكره . وقال بعد فشله للمرة العاشرة: استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه ، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، الرزق على الله عز وجل . واذا اعطى الله عبداً لا يمنعه أحد ، واذا حرم عبدا لا يعطيه احد . ثم انه من كثرة ما اصابه من الهم والغم انشد يقول :

اذا ما رماك الدهر منه بشدة
فهيىء لها صبرا ، واوسع لها صدرا

فان اله العـــالمين بجـــوده
سيعقب بعد العسر من فضله يسرا

ثم جلس مفكرا فى امره ، وبعد ذلك انشد هذه الابيات :

اصبر على حلو الزمان ومره
واعلم بأن الله بالغ امـــره

فلرب ليـــل بالهموم محمل
عالجتـــه حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر الحادثات على الفتى
وتزول حتى لا تعود لفكره

وقال خليفة الصياد لنفسه بعد ذلك : انى توكلت على الله ، ومن توكل على الله كفاه . ثم نهض حاملا شبكته ، والقاها فى الماء مرة اخرى ، وهو يدعو الله الا يخيب رجاءه فى هذه المرة . ولما هم بسحبها من الماء بعد ذلك وجدها ثقيلة فخفق قلبه فرحا وتفاؤلا بصيد كثير يعوض جهوده الضائعة من قبل

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الثامنـة بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ان خليفة الصياد ، لما وجد الشبكة اثقل من المعتاد ، أخذ يسحبها بلطف وحذر ، وهو يمعن فيها النظر . فلما اتم اخراجها من الماء ، وجد فيها بدلاً من السمك قردا اعور اعرج . فتملكه الاسف والاستياء ، وفاضت عيناه بالبكاء . ثم قال : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ماذا اصنع فى هذا البخت المنحوس ، والطالع المنجوس ؟. وأى ذنب وقع منى فى هذا النهار ، حتى بليت بكل هذا المرار ؟. ولكن الحمد لله على كل حال ، وهو سبحانه وتعالى مقدر الارزاق والآجال

ثم اخرج القرد من الشبكة ، وربطه بحبل ليمنعه من الحركة . وكانت هناك على شاطىء البحر شجرة كبيرة ، فربطه الى جذعها ، ثم قطع احد فروعها ، وجعل منه عصا ليضرب بها ذلك القرد لشدة غيظه منه ، لكنه ما كاد يرفع عصاه فى الهواء ، ويهم بضرب القرد كما شاء ، حتى انطق

الله القرد فقال له بلسان عربى مبين : أمسك عن ضربى أيها الصياد المسكين ، واتركنى مربوطا فى هذا المكان الامين ، ثم اذهب بشبكتك فألقها فى الماء ، وارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء . فلما سمع خليفة الصياد كلام القرد ، تملكته الدهشة ، وكف يده عنه . ثم حمل شبكته ورجع بها الى البحر فألقاها فيه ، وانتظر حتى استقرت ، ثم اخذ فى سحبها ، فوجدها أثقل مما كانت فى المرة الاخيرة . ثم اشتدت دهشته وحيرته حينما اخرجها من الماء ، فاذا فيها قرد آخر يقهقه بسخرية واستهزاء ، وهو مفلج الاسنان ، عيناه مكحولتان ، ويداه بالحناء مخضبتان . وعليه ثوب مهلهل لا يغطى الا بعض ظهره ، فبكى لفرط غمه وقهره . ثم قال لنفسه : اى شىء جرى فى الوجود ، وكيف تحول السمك الى قرود ؟. وأخذ القرد الجديد بعد ذلك ، ومضى به الى ان وصل الى القرد الاول المربوط فى الشجرة وقال له غاضبا : انظر كيف كانت عاقبة مشورتك ، وكيف جلبت لى الشؤم بقبح صورتك ؟. ماذا اصنع بكما الآن ، واى فائدة فيكما لمحروم مثلى جوعان ؟

وأراد خليفة الصياد بعد ذلك أن يضرب القردين بعصاه ، فأمسكها ورفعها بيمناه ، ولفها فى الهواء ثلاث مرات ، وهم بأن يهوى بها على رأس القرد الاول فيجعله من الاموات . ولكن هذا القرد صاح به قائلا : سألتك بالله لا تضربنى ، واصفح بفضلك عنى . واطلب كل ما تريد ، من هذا القرد الجديد ، فهو فى الحقيقة قدير ، وباجابة طلبك جدير . فلما سمع كلامه ، وفهم مرامه ، امسك عن ضربه والتفت الى القرد الثانى ، فقال له هذا : أيها الصياد الفقير ، اذا شئت ان تحصل على الغنى والخير الوفير ، فاعمل بما أشير به عليك . فقال له خليفة الصياد : هات ما عندك من المشورة . فقال له القرد : خذ شبكتك وامض الى البحر من جديد ، وستجد فيها باذن الله كل ما تريد . فربطه الى

اخيه ، وتركهما وتوجه بشبكته الى البحر فالقاها فيه . وما كاد يخرجها ويرى ما تحويه ، حتى اشتد غضبه وخرج الزبد من فيه . فقد وجد فيها قردا ثالثا اكبر ، لكن لونه أحمر ، وعلى ظهره ثوب ازرق ، مهلهل ايضا وممزق . وما وقعت عليه عيناه حتى فاضت بالدموع عيناه ، وقال : لا حول ولا قوة الا بالله . اما كفانى قردان اثنان ، فيكون من نصيبى ايضا هذا القرد الشيطان ؟ . والله ما رايت مثل هذا اليوم المشئوم ، ولا مثل هذا الرزق المقسوم . وقد خرجت بشبكتى لاصطاد سمكا كالمعتاد ، فاذا بى لا اجد غير هذه القرود الثلاثة الاوغاد

واخذ خليفة القرد الثالث فربطه فى الشجرة مع اخويه ، ثم شمر عن ساعديه ، ورفع عصاه ليهوى بها عليه ، وقد تطاير الشرر من عينيه ، فالتفت القرد اليه وقال له : لماذا تريد ضربى ؟ الا تعرف انى قرد ابى السعادات الصيرفى اليهودى ؟ . وانى اعطيه خمسة دنانير كل صباح ، ومثلها كل مساء ؟ فلما سمع كلامه امسك عن ضربه ، والتفتالى القرد الاول وقال له : هل سمعت كلام صاحبك ؟ انه فى كل يوم يأتى الى صاحبه اليهودى بعشرة دنانير . اما انت ايها المشئوم فأنك تصبحنى بعرجك وعورك وقبح طلعتك فأصير مفلسا جائعا . ثم رفع العصا ولفها فى الهواء ثلاث مراتمعتزما ان يهوىبها عليه . فقال له قرد ابى السعادات : كف عنه يدك يا خليفة ، وسأقول لك ماذاتصنع . فألقى خليفة الصياد عصاه جانبا ، وقال لقرد اليهودى : اى شىء عندك لى يا سيد القرود ؟ . فقال له : خذ شبكتك واذهب الى البحر فالقها فى اى مكان شئت . ثم ارجع الى هنا بما تجده فيها ايا كان ، فأشير عليك بما تفعل ، وتجد ما يسرك باذن الله

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الليلة التاسعة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة التاسعة بعد الأربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خليفة الصياد حمل الشبكة على كتفه ، ومضى بها الى البحر وهو ينشد هذه الابيات :

اذا ضاق صدرى أستعين بخالق
قدير على تيسير كل عسير
فقبل ارتداد الطرف من لطف ربنا
فكاك أسير وانجبار كسير
فسلم الى الله الامور جميعها
فأفضاله تبدو لكل بصير

ثم أنشد كذلك يقول :

ان الذى خلق الانسان من عجل
قد قدر الرزق فى الماضى وفى الآتى
لاتطمعنى بشىء لست أدركه
كم طامع بات مسلوب الارادات

وما فرغ من انشاد شعره حتى كان قد وصل الى البحر، فوقف وألقى بالشبكة فيه ، ثم صبر الى أن استقرت وأخذ يسحبها ، فلما أخرجها من الماء وجد فيها حوتا كبير الرأس، ذنبه كالمغرفة ، وعيناه كأنهما ديناران • ففرح به غاية الفرح ، لأنه ما اصطاد مثله من قبل • ورجع وهو يحمله ويتأمله متعجبا الى الشجرة التى ترك القرود عندها ، وكأنه قد ملك الدنيا كلها • فلما رآه قرد اليهودى مقبلا صاح به: أى شىء تريد أن تصنع بنا بعد هذا ؟• فأجابه قائلا: أريد أن أقتل قرد الأعرج الأعور المشئوم ، وأجعلك قردى بدلا منه

فقال له القرد : مادمت قد اخترتنى فاعمل بما أشير عليك به ، وهو أن تطلق سبيلنا لنذهب حيث نشاء ، ثم تذهب أنت الى نهر دجلة فترمى فيه شبكتك ، وستجد

فيها حينما تسحبها من الماء سمكة كبيرة أكبر من الحوت الذي معك ، فخذها وضعها في قفة وسط الحشائش الخضراء، ثم احمل القفة على كتفك وتوجه الى سوق المدينة ، واذا ناداك أحد في الطريق فلا تجبه بشيء ، بل امض في طريقك حتى تصل الى سوق الصيارف ، وهناك تجد في صدره صاحبي أبا السعادات جالسا في دكانه على وسادة ، وتجد بين يديه صندوقين : أحدهما فيه ذهب ، والآخر فيه فضة. وعنده مماليك وغلمان وعبيد كثيرون . فاقترب منه وضع القفة بين يديه وقل له : اني خرجت اليوم لأصطاد على عادتي،وطرحت شبكتي في الماء وفي نيتي أن يكون مايخرج فيها من نصيبك . وقد أتيت اليك بالسمكة الكبيرة التي اصطدتها ، ولم أشأ أن يراها أحد غيرك . ومتى سمع منك ذلك فسيقول لك : آخذها منك بدينار . فقل له : يفتح الله . وكلما زادك دينارا أو أكثر ، لاتقبل بيعها . ثم قل له: لاأبيعها لك بوزنها ذهبا ، لأني حالف ألا أبيعها الا بكلمتين تقولهما بأعلى صوتك أمام كل من في السوق . فاذا قبل هذا الشرط ، وسألك عن الكلمتين ، فاطلب منه أن يعترف ويشهد على نفسه أهل السوق جميعا أنه رضي بأن تأخذ قرده ، وتعطيه بدلا منه قردك الأعرج الأعور. وعلى هذا أكون أنا قردك وأجيء لك بخمسة دنانير في الصباح وبخمسة دنانير في المساء . ويكون قردك الأعرج الأعور من نصيبه

فقال خليفة الصياد للقرد : سأعمل بمشورتك ياوجه الخير ، وحمل شبكته ومضى بها الى النهر

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة العاشرة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة العاشرة بعد الأربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهر يار : بلغني أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما ألقى شبكته في نهر

دجلة ثم سحبها وجد فيها سمكة كبيرة بالصفة التي ذكرها له قرد أبي السعادات اليهودي ، فوضعها في قفة ، وحملها على كتفه ، ومضى بها الى سوق بغداد وهو يغني بهذا الموال :

سلم أمورك الى رب السما تسلم
وافعل جميلا بطول عمرك ولاتندم
ولا تعاشر أرباب التهم تتهم
وصن لسانك ولا تشتم به تشتم

ولم يزل سائرا حتى دخل المدينة ، فصار الناس ينادونه ويستوقفونه ليروا ما يحمله من السمك ، ولكنه لم يكلمهم وواصل السير حتى وصل الى دكان أبي السعادات اليهودى شيخ الصيارف ، فوضع القفة بين يديه • وما رأى اليهودى تلك السمكة الكبيرة العجيبة فيها حتى قال له : هل رآها أحد غيرى ؟•• فقال له : لم يرها أحد قبلك غيرى ، وقد اصطدتها على بختك • فقال له أبو السعادات اليهودى : وحق التوراة أن هذه السمكة هى الهدية التى رأيت فى منامى ليلة أمس أن العزيز بعث بها الى • ثم قال لخليفة الصياد : هى على بدينار كامل • وناوله الدينار، فلماقبضه ولم يكن قد وصل الى يده ذهب قط ، تملكه الفرح ،وأخذ الدينار وانصرف مسرعا لكى يريه لأهل بيته ثم يوسع عليهم فى النفقة منه • ولكنه ما لبث قليلا حتى تذكر وصية القرد له ، فرجع من فوره الى أبى السعادات ورد اليه الدينار قائلا : يفتح الله ياشيخ الصيارف • هل أنا مجنون حتى أبيع هذه السمكة بدينار ؟

وكان أبو السعادات قد أمر أحد غلمانه بنقل السمكة الى داره لاعدادها لغدائه • فلما رجع اليه خليفة الصياد ورد اليه الدينار ، تعجب غاية العجب ، ولكنه أراد أن يكرمه مكافأة له على تلك السمكة التى اعتقد انها هدية من نبيه اليه • فأعطاه فوق الدينار الاول دينارين آخرين

وقال له : هذه ثلاثة دنانير يا خليفة ، فخذها حلالا لك واصرف منها أنت وعيالك . فقال له خليفة الصياد : أي شيء هذه الدنانير الثلاثة بجانب سمكتي ؟. ما أظن الا أنك تمزح معي ياشيخ . فاشتد عجب اليهودي ولكنه لفرط فرحه بالسمكة ، أعطاه دينارين آخرين وقال له : خذ هذه الدنانير الخمسة ثمنا لسمكتك وانصرف ، واياك والطمع.
فلما صارت الدنانير الخمسة في يد خليفة الصياد الفقير ، كاد عقله أن يطير . وخشي أن يردها الى اليهودي فلايحصل عليها بعد ذلك ، وهي أكبر ثروة حصل عليها في حياته .
فوقف يتأمل فيها ويقول لنفسه : سبحان الله ، هذه ثروة عظيمة ما أحسب الخليفة نفسه حصل على مثلها اليوم ، فأي شيء تكون تلك السمكة بجانبها،ولماذا أعرضها للضياع بطمعي وجشعي ؟. ثم أطبق عليها يده وانصرف مسرعا حتى كاد يخرج من السوق ولكن نفسه حدثته بأن مخالفته لمشورة القرد ربما تغضبه منه فلا يفي بما وعده به من اعطائه خمسة دنانير صباح كل يوم ومثلها في المساء .
فرجع الى أبي السعادات وألقى الدنانير الخمسة بين يديه وقال له : خذ ذهبك وأعطني سمكتي . فنظر اليه أبو السعادات متعجبا ، وقال له في غيظ وحنق : لاشك أنك قد جننت يا خليفة ، هل ترفض خمسة دنانير ذهبا ثمنا لسمكة لا تساوي أكثر من دراهم معدودة ؟

فقال له خليفة الصياد : بالله يا شيخ الصيارف لا تحاول ان تضحك على ذقني . انني اعرف قدر سمكتي ، ولا ابيعها بذهب ولا فضة . فضحك أبو السعادات وقال له : بأي شيء تبيعها اذن ؟. فقال له خليفة الصياد : ما ابيعها الا بكلمتين اثنتين تقولهما بأعلى صوتك على مسمع من جميع اهل السوق !

فلما سمع ابو السعادات اليهودي كلامه ، اخذه الغضب الشديد ، ودارت عيناه ، وصرف اسنانه من فرط الغيظ ،

اذ حسب ان الصياد يطلب منه ان يترك دينه ويعتنق الاسلام ، وان الكلمتين اللتين يريد منه ان يقولهما علانيــة هماكلمتا الشهادة ، اى اشهد الا اله الا الله،وان محمدا رسول الله . وعلى هذا التفت الى مماليكه وغلمانه وعبيده الموجودين فى الدكان ، وقال لهم : ويلكم ايها الكلاب ، اما سمعتم كيف يطلب منى هذا الصياد اللعين ان اخرج من دينى واعلن ذلك على رؤوس الاشهاد ؟ هيا اوثقوه بالحبال ، واضربوه حتى تنقطع انفاسه !

فقال له خليفة الصياد : على مهلك يا شيخ الصيارف ، ولا تخرج عن حلمك . فوالله ما اريد لك الا الخير ، فقل الكلمتين يهنيك بالسمكة والدنانير . فلم يعبأ ابوالسعادات بكلامه وقال لغلمانه غاضبا : مالكم وقفتم هكذا كالتماثيل؟دونكم وهذا الكلب النابح فأدبوه . فما انتهى من كلامه حتى انهال المماليك والغلمان والعبيد ، على خليفة الصياد بالضرب الشديد . وما زالوا يضربونه حتى وقع على الارض مغشيا عليه . فقال لهم ابو السعادات : اتركوه حتى يفيق

ولمــا أفاق خليفــة الصياد ، أخذ فى البكاء ثم قال لأبى السعادات : سامحك الله يا شيخ الصيارف ، اذا كنت تظن انك تأخذ بضاعة الناس بالضرب ، فاضربنى كما تشاء ، ولكن ليكن فى علمك انى لن اتنازل لك عن سمكتى ولو قطعتنى انف قطعة . فقال له اليهودى : انا ما امرت بضربك الا لطلبك منى ان اخرج من دينى وانطق بالشهادتين

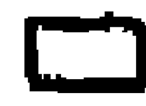
فلما سمع خليفة الصياد كلامه ، ضحك وقال له : لقد أخطأت فهم كلامى يا شــيخ الصيارف . فأنا ما أردت أن تترك دينك وتنطق بالشهادتين ، واسلامك لا ينفع المسلمين شىء ولا يضر اليهود بشىء . كما ان بقاءك على يهوديتك لا يضر المسلمين شيئا ، ولا يزيد اليهود نفعا

فتعجب اليهودى غاية العجب ، وقال له : اى شىء تريد منى اذن ، وما الكلمتان اللتان تطلب ان اقولهما امام الناس

جميعا هنا فى مقابل سمكتك بدلا من الدنانير الخمسة التى رددتها ؟

فقال له خليفة الصياد : اريد ان تجمع اهل السوق ، وتعترف امامهم وتشهدهم على نفسك بأنك رضيت ان تمطينى قردك ، وتأخذ قردى الاعرج الاعور . فاذا انت فعلت هذا فالسمكة حلال لك . فضحك ابو السعادات وقال له : هل هذا كل ما تريد ؟ انه شىء هين ، وسأنفذه فى هذه الساعة

وادرك شهر زاد الصباح وسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية عشرة بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد الاربعمائة، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ان اليهودى جمع اهل السوق واشهدهم على نفسه انه تنازل عن قرده لخليفة الصياد فى مقابل قرده الاعرج الاعور . فشهدوا بذلك جميعا . ثم التفت الى خليفة وقال له : هل بقى شىء آخر تريده ؟ . فقال له : لست اريد اى شىء بعد ذلك . وانصرف من السوق وهو يفكر فى امره . ولم يزل سائرا حتى وجد نفسه على شاطىء النهر ، فتوكل على الله والقى شبكته فى الماء لعله يصطاد شيئا من السمك . فلما اخرج الشبكة من الماء وجدها قد امتلأت بالسمك من جميع الاصناف . ثم جاءته جارية وابتاعت منه بعض ذلك بدينار ، وجاءته جارية اخرى فاشترت بدينار ايضا . وما هى الا ساعة حتى كان قد باع السمك الذى اصطاده بعشرة دنانير . فاخذها وانصرف راجعا الى بيته ، واشترى فى طريقه شيئا كثيرا من اطايب الطعام والملابس الثمينة . وقضى ليلته مع عائلته وكأنهم فى عيد

وفى اليوم التالي ، خرج بشبكته الى النهر فاصطاد سمكا كثيرا باعه بعشرة دنانير ايضا ، ولم يزل كذلك حتى بلغ ما ادخره من بيع السمك مائة دينار ، فقال لنفسه : ان اولاد الحرام كثيرون ، واخشى ان يحسدنى واحد منهم فيبلغ الخليفة هارون الرشيد ان عندى مائة دينار، فيطمع الخليفة فيها ، ويطلب منى ان اقرضه اياها . واذا رفضت او انكرت اننى املكها ، يسلط على الوالى فيضربنى ويأخذها منى غصبا . وعلى هذا يجب ان احتاط لهذا الامر، فادرب نفسى منذ الليلة على تحمل الضرب

وبعد أن تناول خليفة الصياد عشاءه مع عائلته فى تلك الليلة ، بقى ساهرا حتى نام كل من فى البيت ، ثم خلع ثيابه كلها ، وجاء بسوط غليظ ، واخذ يضرب نفسه بكل مافيه من قوة ، وكلما آلمه الضرب بكى وصاح قائلا : لاتصدق كلام الناس عنى يا أمير المؤمنين ، فما أنا الا رجل صياد فقير ، وطول عمرى ماحصلت على شىء من الدنانير . واتفق فى تلك الساعة أن سمع بكاءه وكلامه بعض التجار من جيرانه . فظنوا أن اللصوص سطوا على داره ، وانهم هم الذين يضربونه ليحملوه على الاعتراف بالموضع الذى يخبىء فيه ما يدخره من المال . وقال واحد من التجار : ليس من المروءة ان نترك هذا المسكين لمثل هذا الضرب والنهب . فوافقه زملاؤه على ذلك ، وأرادوا دخول المنزل من الباب ، فلما وجدوه مغلقا ، لم يروا ان يطرقوه خشية أن يهرب اللصوص . ودخلوا المنزل المجاور له حيث صعدوا الى سطحه ، ومن هناك اخذوا ينظرون الى مايجرى من الضرب والصراخ فى منزله . وكانت دهشتهم شديدة حينما وقعت عيونهم على خليفة الصياد وهو واقف وليس على جسمه اى شىء من الملابس ، وفى يده سوط ينهال به على نفسه ضربا ، بينما هو يبكى ويصيح مؤكدا انه مظلوم ولا يملك شيئا من الدنانير

ولما نادوه وسألوه : لماذا تفعل بنفسك هكذا ؟ قال لهم : انى قد ربحت بضعة دنانير من عملي ، فرأيت أن ادرب نفسي على تحمل الضرب ، استعدادا لما قد يحدث لي اذا عرف الخليفة بأمر هذه الدنانير وأمر الوالي بأن يأخذها مني بالضرب . فضحك التجار ، وقالواله : لابأس عليك يا خليفة ، فالخليفة عنده دنانير كثيرة لا تحصى ، ولا حاجة له بدنانيرك التي سلبت عقلك وافقدتك رشدك ، فجعلتك تضرب نفسك وتزعج أهلك وجيرانك بالصراخ والعويل . ولم يزالوا يتلطفون معه في الحديث حتى اظهر أنه اقتنع بصحة كلامهم . فتركوه لكي ينام ، وانصرفوا وهم يتضاحكون عليه

وحاول خليفة النوم ، ولكنه لم يستطع ذلك لما يشعر به من آلام الضرب ، ولأنه خشي أن ينتهز اللصوص فرصة نومه فيسطو بعضهم على داره وهو نائم ؛ وربما يقتلونه بعد سلبه المائة دينار التى ادخرها . ولم يزل كذلك طول الليل

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية عشرة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد الأربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما أراد الخروج بشبكته الى النهر فى صباح اليوم التالى ، لم يشأ أن يترك المائة دينار فى البيت خشية أن يسرقها اللصوص فى غيبته . كما خشي أن يحملها فى جيبه فتكون سببا لقتله بأيدى من يطمعون فيها . وعلى هذا وضعها فى صرة أحكم ربطها ، ثم وضع الصرة فى جيب صنعه فى طوق جبته ، وربطها بحبل لفه حول عنقه . ولما وصل الى النهر والقى الشبكة فيه على عادته ثم جذبها بعد قليل لم



« وخرج من الماء لنشر الشبكة والتف بجزء منها »

يجد فيه شيئا من السمك ، فتعجب من ذلك . ثم أخذ يتنقل من موضع الى آخر ، وكلما ألقى الشبكة ثم أخرجها لايجد فيها سمكة واحدة ، فقال لنفسه : يظهر أن الحظ قد تخلى عنى . وعلى كل حال لن ألقى الشبكة فى الماء بعد ذلك الا مرة واحدة ، فاذا خرجت فارغة ، رجعت الى منزلى قانعا من الغنيمة بالاياب فى هذا اليوم المشئوم

ولما ألقى الشبكة للمرة الأخيرة ثم أراد جذبها وجدها ثقيلة ، واضطر الى النزول فى النهر لكى يخلص خيوطها مما عسى أن تكون قد علقت به ، ولم يزل يجاهد فى معالجتها حتى استطاع اخراجها الى الشاطىء ، لكنه لم يجد فيها الا بعض الحجارة . فأخذ يلتقطها ويقذفها الى النهر حجرا بعد حجر ، الى أن تخلص منها كلها . ثم طوى الشبكة وحملها على كتفه معتزما الرجوع الى منزله. ولكنه تفقد الصرة التى بها الدنانير ، فلم يجدها فى الجيب الذى احتفظ بها فيه فى طوق جبته ، ووجد الحبل الذى يربطها مقطوعا ، فأدرك انها سقطت منه فى النهر حينما كان يعالج أخراج الشبكة ، وكاد عقله ان يطير جزعا وغما ؛ وأخذ يبكى ويلطم وجهه ، ثم ألقى بنفسه فى النهر ، واخذ فى البحث عنها ، وهو يغطس تارة ويعوم تارة ، الى أن هده التعب ونال منه الاعياء ، من غير أن يعثر على أى أثر لها . فتملكه اليأس ، وخرج من الماء فنشر الشبكة والتف بجزء منها وحمل الباقى ، واخذها وانطلق هائما على وجهه لايدرى أين يذهب ، وقد نسى جبته حيث تركها على الشاطىء ، ولم يفطن لذلك لفرط حزنه وغمه على ثروته الضائعة وحظه المنحوس . ولم يزل يضرب فى الطريق على غير هدى أكثر من ساعة ، وكأنه حصان جامح ، أو شيطان مارد كان محبوسا فى قمقم من نحاس ثم وجد نفسه فجأة مطلق السراح

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الليلة الثالثة عشرة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعدالأربعمائة ، قالت شهرزاد للملكشهريار : بلغنى ايها الملك السعيد انه فى الوقت الذى كان فيه خليفة الصياد هائما على وجهه فى الضواحى الواقعة على شاطىء النهر ، كان الخليفة هارون الرشيد قد خرج للتريض فى تلك الجهة كى يرفه عن نفسه مايجده من العشق والهيام بجارية عزيزة عليه اسمها قوت القلوب . وكان يصحبه وزيره جعفر البرمكى ، وهو الذى اشار عليه بالخروج الى تلك الضواحى للتفرج على بساتينها واشجارها واطيارها ، ولتمضية بعض الوقت فى الصيد والقنص ، لعله يسلو هوى تلك الجارية التى شغلته بجمالها وادبها وظرفها عن كل شيء عداها ، حتى انه لم يكن يفارق مقصورتها الا ساعة كل اسبوع لصلاة الجمعة ، وظل كذلك شهرا كاملا حتى كادت تتعطل أعمالالديوان ، وضجت زوجتهالسيدة زبيدة بالشكوى غيرة من تلك الجارية . فلما وصلا الى قرب الموضع الذى سبقهما اليه خليفة الصياد ، ووقعت عليه عين الخليفة وهو يسير هائما على وجهه ، تذكرهيامه بحب الجارية قوت القلوب فأنشد يقول :

أردد الطرف كى أحظى برؤيتها
فلا أرى غير طيف من خيالاتى
وكلما لاح لى ظبى يعاودنى
خيالها بانعطافات ولفتات

ثم أنشد بعد ذلك قول الشاعر :

من لى بأسمر تروى عن معاطفه
سمر رشاق عوال سمهريات ؟
ساجى الجفون حريرى الخدود له
فى قلب عاشقه المضنى مقامات

وأدرك جعفر البرمكى أن الخليفة عاوده الشوق والحنين الى محظيته قوت القلوب ، فقال له : ان أذن لى مولاى أمير

المؤمنين فاني أدعو ذلك الرجل الهائم على وجهه فى الفلوات ، فلعل فى قصته مايبعث على التسلية . فقال له الخليفة : بل امكث أنت هنا حتى اذهب اليـه وارى ماخبره . ثم همز جواده وانطلق قاصدا الربوة التى كان خليفة الصياد قد وصل اليها . فلما اقترب منه أوقف جواده وصاح به قائلا : هل انت حارس هذا البستان أيها الشيخ ؟.. فنظر اليه خليفة الصياد مستنكرا ، ولم يرد على سؤاله . فتعجب الرشيد وقال له : انى غريب عن هـذه الديار ، وقد أصابنى العطش بعد طول السفر ، فهل عندك شىء من الماء ؟.. فالتفت اليه خليفة الصـياد وقال له : هل انت أعمى ؟.. ان النهر هناك على مسافة خطوات منك ، فاذهب اليه واشرب ماءه كله اذا شئت ، فضحك الخليفة، وأخذ يتأمل متعجبا فى هيئة خليفـة وهو عريان لايغطى جسمه الا شبكته ، وقد انتفش شعر رأسه ، وجحظت عيناه ، وصارتا بلون الدم لشدة غيظه وبكائه على فقـد دنانيره . فقال له : من تكون ياسيدى وما صنعتك ؟.. فنظر اليه خليفة ساخرا وقال له : هذا أعجب واغرب من سؤالك عن الماء ، الا ترى آلة صنعتى على كتفى ؟. فقال له الرشـيد : نعم انت تحمل شـبكة صياد ، ولـكنك تستعملها بدلا من الملابس . فلمـا سمع خليفـة كلامه تذكر انه ترك ملابسـه على الشـاطىء عند خروجـه من النهر يائسـا من العثور على دنانيره المفقودة . وخيل اليـه أن الشخص الغريب الذى يخاطبـه قد وجدها عند مروره عليها وأخذها لنفسه ، فاشتد غضبه ، وتقدم اليه فأمسك لجام جواده وصاح به قائلا : انت الذى سرقت جبتى وشـملتى وحزامى . ولن اتركك حتى تردها أو آخذ روحك بدلا منها

وكان خليفة يتكلم والزبد يخرج من فمه وعيناه تقدحان بالشرر ، وقد أمسك لجام الجواد باحدى يديه ، ووضـع

يده الأخرى على عصـــاه . فخشي الخليفة أن يصيبه شر من جنونه الذى بدا ظاهرا لعينيه ، وكف عن الضحك حتى لا يزيـــد فى جنونه . ثم قال له متلطفـــا : انا لم أسرق ملابسك ، ولـكنى خشيت أن يسرقها احد غيرى من المارة فنقلتها من موضعها على الطريق الى موضع آخر بالقرب منه . فاذا كنت تريدها الآن فأنا أمضى بجوادى واحضرها اليك هنا أسرع من البرق

وظن الخليفة هرون الرشيد انه سيتخلص بهذه الحيلة من قبضة خليفة الصياد ، ولـكن هذا ما كاد يسمع كلامه حتى شدد قبضته على لجام جواده ، ثم شهر بيده الأخرى عصاه فى وجهه وصاح به محتدا : وحق هذه العصا ، لئن لم ترجع لى ثيابى التى سرقتها بالتى هى احسن ، لأضربنك حتى تبول على نفسك وتلوث ثيابك . فقال الخليفة لنفسه : لقد القيت بنفسى الى التهلكة اذ خاطرت بالمجىء وحدى الى هذا المجنون . وما اظن اننى اتحمل ضربة واحدة من يده القوية بهذه العصا الغليظة . ثم قال الخليفـــة ، اذا كنت لا تصدقنى ولا تقبل أن أمضى لآتيك بثيـــابك من حيث تركتها عند شاطىء النهر ، فأنا أعطيك عباءتى هذه بدلا منها . ثم خلع عباءته المصنوعة من الاطلس الثمين ، وكانت لاتقـــدر بثمن لدقة صـــنعها وتطريزها بالجواهر النادرة ، واعطى خليفة اياها . فأخذ هذا يقلبها بيديه ، ثم قال له : هذه عباءة مزوقة لاتصلح لغير المماليك والغلمان ، وما أريد الا ثيابى ، لأنها مفصلة على قدى . فقـــال له الرشيد : خذ هذه العباءة لترتديها حتى أعود اليك بثيابك ايضا . فأخذ خليفة العباءة ولبسها ، فلما وجدها طويلة يصل ذيلها الى عقبيه ، خلعها مســـتنكرا ، ثم اخرج من القفة التى معه خنجرا حاد النصل ، واخذ يقطع به ذيلها ليقصرها . فلما انتهى من ذلك رمى الجزء الذى قطعه على الارض ، واعاد لبسها فلم تصل الا الى ركبته . ثم التفت

الى الرشيد وأخذ يتفرس فى وجهه ثم قال له : أرى لك خدين كبيرين وفما صغيرا ، فلابد أنك زمار . فضحك الرشيد وقال له : نعم انا اعمل زمارا ، واذا كنت تحب ان تتعلم صنعتى فأنا أعلمك حتى أجعلك زمارا مثلى . فقال له خليفة : كم تربح من الزمر ؟ فقال له : أربح عشرة دنانير فى الشهر . فضحك خليفة ساخرا وقال له : انت والله مسكين ، وقد حملتنى همك . ولا مانع عندى من أن اعلمك صنعتى ، واتخذك غلاما لى فتعيش معى وتكون فى خدمتى . واشركك فى مكسبى وهو عشرة دنانير فى اليوم ، تأخذ منها خمسة . فما رايك فى هذا ايها الزمار المسكين ؟

ففكر الرشيد قليلا ، ثم قال لخليفة الصياد : هل أنت تربح فى اليوم الواحد عشرة دنانير ؟ . فقال له خليفة : نعم أربح عشرة دنانير من القاء شبكتى هذه مرة واحدة فى الماء . فاذا قبلت العمل عندى فهيا نبدأ العمل الآن

وراق للرشيد أن يسرى عن نفسه بقبول ما عرضه عليه خليفة الصياد ، فترجل عن جواده ، وقال له : قد قبلت عرضك يا سيدى ، فمرنى بما شئت ولك على السمع والطاعة . فأمره خليفة بأن يربط الجواد الى شجرة هناك ، وبأن يشمر ثوبه ويضع ذيله فى منطقته ، ثم ناوله الشبكة والقفة ليحملهما ويمشى خلفه الى النهر ، ففعل كل ما أمره به راضيا مسرورا

ولما وصلا الى شاطىء النهر ، أخذ خليفة الصياد منه الشبكة ، وصار يعلمه طريقة القائها فى الماء ، وطريقة سحبها منه . وكلما أخطأ فى شىء من ذلك وكزه بقبضته، وهدده بعصاه . الى أن اطمأن الى أنه فهم الصنعة وحذقها، فترك له الشبكة وأمره بأن يقوم وحده بالقائها فى الماء ثم سحبها منه . فقال له الرشيد : سمعا وطاعة يا معلمى . ثم ألقى الشبكة فى الماء، وصبر حتى استقرت فيه . ولما أراد سحبها لم يقدر على ذلك . فالتفت الى خليفة مستنجدا .

فما كان من هـذا الا أن شهر عصاه في وجهه وقال له : يظهر أنك لاتصلح الا للزمر ، ولئن أصاب شبكتي أى تلف بسبب قلة فهمك ، فلا بد أن آخذ جوادك وأبيعه فى السوق لاشترى بثمنه شبكة أخرى ، ويكون عقابك أنك تحمل السمك على كتفك كل يوم الى السوق !

ثم تقدم خليفة الصياد ليساعد الرشيد على جذب الشبكة من الماء ، فلما تمكنا من اخراجها بعد جهد طويل ، وجدها قد امتلأت حتى آخرها بأنواع مختلفة من السمك

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الرابعة عشرة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد الأربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خليفة الصياد لما رأى الشبكة ملآنة بالسمك ، التفت الى الرشيد وقال له : الآن يا زمار يمكن أن يجيء منك خير فى صنعة الصيد . ولا شك أن هذا السمك الذى في الشبكة يساوى عشرين دينارا على أقل تقدير . فاترك الشبكة بما فيها ، واذهب أنت فاركب جوادك الى السوق حيث تشترى لنا قفتين كبيرتين ، لننقل فيهما السمك الى هناك ونبيعه . فقال له الرشيد : سمعا وطاعة يا معلمى . ثم توجه الى حيث ترك جواده فحل قيده وركبه ومضى به مسرعا حتى وصل الى جعفر البرمكى ، فى الموضع الذى كان قد تركه منذ ساعة فيه

وكان الوزير قد تملكه القلق لغياب الخليفة ، فلما رآه مقبلا يضحك مسرورا ، قال له : لعلك يا مولاى وجدت فى ذلك البستان ماحبب اليك المكث فيه كل هذه المدة ؟. وقد داخلنى الخوف وخشيت أن يكون هناك خطر ، فأسرعت باحضار بعض المماليك والجنود ، وكنت على أهبة السير بهم الى البستان فى اللحظة التى رجعت الينا فيها .

فالحمد لله على سلامتك . ولعلك تأمر الآن بالرجوع الى قصر الخلافة ؟

فروى له الرشيد وهو يضحك كل ما جرى له مع خليفة الصياد من أوله الى آخره ، وكيف أعطاه عباءته الأطلس فلم تعجبه وقص ذيلها حتى لاتصل الى ما تحت ركبته . ثم كيف اتفق معه على تعليمه الصيد ، ليحترفه بدلا من صنعة الزمر التى حسب بفراسته أنه يعمل فيها . الى أن تعلم بالضرب القاء الشبكة وسحبها ، وخرج فيها سمك كثير مختلف الأنواع والألوان ، فأرسله ليشترى قفتين كبيرتين لنقله فيهما الى السوق حيث يبيعانه هناك بعشرين دينارا ، يعطيه نصفها حسب اتفاقهما . ثم طلب منه أن يأمر المماليك والغلمان الذين معه بأن يتوجهوا الى خليفة الصياد عند شاطىء النهر ويشتروا السمك الذى فى شبكته كل سمكة بدينار . فقال جعفر البرمكى للرشيد: سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين .ودعا المماليك والجنود وكلفهم أن ينفذوا أمر الخليفة فورا ، ثم يأتوا بالسمك الى قصر الخلافة . .!

وفيما كان خليفة الصياد جالسا بجانب الشبكة فى انتظار عودة الرشيد وهو معتقد أنه زمار مسكين رضى أن يعمل غلاما له ، أقبل عليه المماليك والجنود فوق جيادهم . فقال لنفسه : يظهر أن غلامى الزمار قابل أحدا من أهل صنعته فى الطريق ، وأخبره بما فتح الله به عليه فى صنعته الجديدة عندى ، فجمع بعضهم بعضا وجاءوا الى هنا لكى أعلمهم مثله . ولما وصلوا اليه ، وسلموا عليه ، رد السلام بفتور من غير أن يتحرك من مكانه . ثم سألهم : هل أنتم جميعا من الزمارين ؟. فضحكوا وقال له كبيرهم : اننا من المماليك والجنود فى قصر الخلافة ، وقد جئنا نشترى مامعك من السمك كل سمكة بدينار . فقال له خليفة : لا أبيع شيئا منه حتى يحضر شريكى ولو دفعتم الف دينار

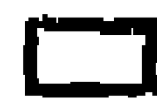
ثمنا لكل سمكة . وحاولوا ان يقنعوه ببيع السمك لهم ثم يحاسب شريكه عند حضوره ، لكنه لم يقتنع وأصر على رأيه . وعلى هذا هجموا على الشبكة وأخذوا مافيها من السمك بالقوة ، وصار كل منهم بعد ما أخذه من السمك ثم يترك بجانب الشبكة مثل عدده دنانير ، أما خليفه فانه لما شاهد هجومهم ومعهم السيوف والرماح والحراب وغيرها من أنواع السلاح ، اعتقد أنهم من اللصوص وقطاع الطرق ، وخشى على حياته منهم ، فملأ حجره سمكا وانطلق به هاربا وهو يقول لنفسه : ان هذا اليوم شؤم كله ، فلا حول ولا قوة الا بالله

ولما انتهى المماليك والجنود من اخذ السمك الذى فى الشبكة ، وترك دنانير بعدده الى جوارها ، انطلقوا راجعين الى قصر الخلافة . وعلى اثر ذلك رجع خليفة الى موضع الشبكة وهو يدعو الله الا يكونوا قد أخذوها مع السمك أيضا . فلما وصل الى هناك ، أخذته الدهشة اذ وجد بجانب الشبكة أكواما من الدنانير ، فلم يصدق عينيه أول الأمر . ثم تحقق من وجودها بعد أن امسكها بيده وفحصها ، فجلس محاولا عدها وعقله يكاد يطير من الدهشة والفرح

وكان أحد المماليك قد تأخر عن التوجه معهم لشراء السمك من عند خليفة الصياد ، وذلك لأن جواده جمح به فى الطريق . فلما تمكن من كبح جماح الجواد ، وتوجه الى الشاطىء فى اثر زملائه ، كانوا قد رجعوا الى قصر الخلافة ، ولم يبق الا خليفة الصياد مشغولا بعد الدنانير التى تركوها له ثمنا للسمك الذى أخذوه . وما كاد يرى المملوك أمامه ، حتى وقف شاهرا عصاه فى وجهه ، ليدافع عن نفسه وعن الثروة الجديدة التى هبطت عليه . فقال له المملوك : لا بأس عليك أيها الصياد ، فما اريد الا شراء ماعندك من السمك كل سمكة بدينار ، مثل زملائى الذى كانوا هنا .

فقال له خليفة : أعطنى الثمن أولا ثم اعطيك مابقى عندى من السمك . فوضـــع المملوك يده فى جيبـــه ليخرج له الدنانير التى فيه ، لـكنه لم يجد فيه شيئا وتبين أنهـــا سقطت منه خلال جرى الجواد به فى الطريق . فالتفت الى خليفة الصياد وقال له : أعطنى السمك ، ثم تعال الى قصر الخلافة فى أى وقت أردت ، واطلب مقابلة الطواشى صندل ، فأقابلك وأعطيك الدنانير المطلوبة مضاعفة . فقال له خليفة : انا ما تعودت أن أبيع الا بالنقـــد ، فاذهب واحضر الثمن والا فلا أعطيك حتى سمكة واحدة ولو كنت أنت الخليفة هرون الرشيد نفسه

وخجل الطواشى صندل أن يرجع الى القصر ويده فارغة من السمك المطلوب للخليفة ، فاستل سيفه وهجم به على خليفة الصياد ، وهدده بضرب عنقه ان لم يعطه كل مامعه من السمك ، ثم يلحق به الى القصر لقبض الثمن . فخاف خليفة على حياته ، وناوله السمك وهو يقول : خذه هدية منى اليك . فأخذه وانصرف .



الليلة الخامسة عشرة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد الأربعمائة ، قالت شهر زاد : بلغنى أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد ما كاد الطواشى يغيب عن نظره حتى قام فجمع الدنانير التى تركهـــا له المماليـك والجنود ، ووضعها فى حجر العبـــاءة التى أخـــذها من الرشيد ، ثم حمل شبكته وقفته على كتفه وسار قاصدا الى داره . فلما وصل الى الحارة التى بها داره ، لقيـــه خياط الخليفة خارجا من منزله فيها ، وتعجب غاية العجب حين وجده يرتدى عباءة من ملابس الخليفـــة ، فسأله : من أين لك هذه العباءة ؟ فقال له : انها عباءة زمار مسكين أشفقت عليه وجعلته غلاما لى لأعلمه صـــنعتى ، فسرق

ملابسى وهرب تاركا لى هذه العباءة المزوقة التى يخجل المرء من لبسها !. فأدرك الخياط أن ذلك الزمار لابد أن يكون هو الخليفة نفسه ، وضحك من سذاجة خليفة الصياد ، خصوصا بعد أن علم منه انه قطع ذيل العباءة ورماه على الأرض أمام صاحبها الزمار . ثم افترقا ومضى كل منهما فى سبيله

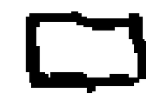
هذا ما كان من أمر خليفة الصياد ، أما الخليفة هرون الرشيد فانه ما كاد يصل الى القصر بعد ان غاب عنه طول النهار ، حتى سارع اليه مسرور السياف فقبل الأرض بين يديه وقال له : الحمد لله على سلامتك يا أمير المؤمنين ، ثم أخذ فى البكاء . فسأله الخليفة : ماذا جرى وأى شىء يبكيك . فلم يجب مسرور ، وواصل البكاء ، وكذلك وجد الخليفة كل من فى القصر يبكون ، فانقبض قلبه ، وارتجف بدنه من الغيظ والغضب لسكوت الجميع وكتمان مايبكيهم عنه . فصاح بهم : والله لئن لم تخبرونى بماحدث لأضربن أعناقكم جميعا ، وحينئذ تقدم مسرور السياف وقال له : اعلم يا مولاى ان الجارية قوت القلوب كانت جالسة فى مقصورتها صباح اليوم ، وبينما هى تتناول شيئا من الشراب اذ شرقت وأصيبت بغصة فى حلقها ، فماتت لساعتها . ولما بلغنى النبأ اسرعت به الى مسكن مولاى ، فعلمت أنك خرجت مبكرا للصيد ومعك الوزير جعفر . وقد أبت مولاتى الملكة زبيدة الا أن تقوم بالواجب وزيادة ، فأمرت باعداد قبر جميل لها فى حديقة القصر ، وأشرفت بنفسها على تجهيزها ودفنها . فلما سمع الرشيد ذلك ، ضاقت الدنيا فى عينيه ، وبللت دموعه خديه ، ثم طلب أن يدلوه على قبرها فدلوه عليه . وهناك أمضى ساعات يبكى وينتحب ، ثم أنشد يقول :

بالله يا قبر هل زالت محاسنها
وهل تغير ذاك المنظر النضر

يا قبر ، ما أنت بستان ولا فلك
فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

ولم يزل كذلك حتى فات وقت العشاء ، فنهض لأداء الفريضة ، وغادر القبر مترحما على من فيه . وبرغم شدة تعبه طول النهار ، لم يذق النوم فى ليلته ، كما أنه لم يجد أى شهية للطعام أو الشراب ، أما الملكة زبيدة زوجته فأمضت ليلتها والدنيا لاتسعها من السرور ، لنجاح حيلتها فى التخلص من تلك الجارية التى كادت تستأثر بكل اهتمام الرشيد !

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة عشرةبعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد الملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد كانت قد امتلأت غيرة من قوت القلوب وغضبا عليها وغيظا منها لاستئثارها بحب الرشيد . وظلت مدة طويلة وهى تفكر فى الأمر ، وقد هجرها المنام ، وفقدت شهيتها للطعام . ثم هداها التفكير الى طريقة للتخلص من هذه الجارية ، وأخذت تتحين فرصة لتنفيذ المكيدة التى دبرتها . فلما علمت بخروج الرشيد ومعه وزيره جعفر للتريض فى ضواحى بغداد . أرسلت الى قوت القلوب تدعوها الى زيارتها . واستقبلتها أحسن استقبال ، وأكرمتها غاية الاكرام . ثم قالت لها : لقد سمعت بكمال أدبك وظرفك وحسن صوتك وعزفك ، فأحببت أن يكون لى اليوم نصيب من الاستماع لحديثك وغنائك . فقامت قوت القلوب وقبلت الارض بين يديها ، ثم نهضت على قدميها ، وقالت بلسان فصيح ، وصوت عذب مليح : السمع والطاعة لذات المقام الرفيع ، والجناب المنيع ، زينة السلالة العباسية ،

والعترة النبوية . ثم جلست وتناولت الدف وأخذت تنقر عليه بالأصابع ، بصنعة تذهل المسامع ، وأنشدت :

ألا يا طار قلبي طار شـــوقا
ويصرخ من جواه وأنت تضرب
ومن عجب تفاجئـــه بضرب
يعـــذبه فيعجبـــه ويطرب

ثم وضعت الدف ، وأخذت شبابة نفخت فيها فأخرجت من الأنغام ، ما حرك الآلام وحير الأفهام ، وأنشدت تقول بصوت يسحر العقول :

لها أعين ، انســانها بأصــابع
يشير الى لحن صحيح بلا شــكل
اذا صوتها أوفى على سمع عاشق
ومعشوقة أنساهما لذة الوصل

ثم وضعت الشبابة ، وأخذت عودا أجلسته فى حجرها، وحنت عليه حنو الام على ولدها ، وأنشدت ما قيل فيه :

وغصن رطيب ، عاد عودا لقينة
يحن اليه الاكــرمون الافاضــل
اذا حــركت أوتاره حركت أسى
فكان كأغصــان عليهــا بلابل

ثم غنت بصوت عذب حنون ، يثير كوامن الشجون :

قــد أفصحت بالــوتر الاعجمى
وأفهمت من كان لــم يفـــهم
وخبــرت أن الهـــوى قاتــل
يودى بعــقل الــرجل المســلم

ولما رأت اعجاب السيدة زبيدة بغنائها ، وجمال صنعتها وحسن أدائها ، أنشدت تقول هذين البيتين :

يوم عليك مبـــارك   فيـــه السرور يجدد
اقبـــاله متـــواتر   ونعيمـــه لا ينفـد

ولم تزل قوت القلوب ، تتفنن فى الغنـــاء والضروب ، وتأتى بكل فن محبوب • حتى كادت السيدة زبيدة تنسى غيرتها ، وتحس فى قلبها محبتها • وتعجبت مما اجتمع فيها من المحاسن والمفاتن • اذ كانت مع عذوبة صوتها ، وحسن أدبها وظرفها ، باهرة الجمال ، كريمة الخلال•أسيلة الخدين، رمانية النهدين ، بوجه أقمر ، وجبين أزهر ، وطرف أحور• قد سكنت أجفانها فتورا ، وأشرق وجههـا نورا وحبـورا ، وكأن الشمس تطلع من غرتها ، والليل يستمد ظلامه من طرتها ، والمسك يفوح من نكهتهـــا ، والازهار تـزهو من بهجتها ،والقمر يبدو من جبهتها ،والغصن يميل من ليونتها• وقد تكحلت بالسحر عيناها ، وتقوس حاجباها ، واحمر من الخفر خداها ، وشاركتهما فى الحمرة شفتاها ، فصارت فتنة لكل من رآها ، وسبحان الذى خلقها فسواها ، وكأنها هى التى عناها ، من قال فى جميلة يهواها :

اذا غضبت رأيت الناس قتـلى
وان رضـيت فأرواح تعـــود
لها من طرفهـا آيات سـحر
تميت بهـا وتحيى من تريد
وتسـبى العالمين بمقلتيهـا
كأن العـالمين لهـا عبـيد !

ولكن السيدة زبيدة ، عادت فتـــذكرت ما دبرت من مكيدة ، وقالت لنفسها : ان لم أتخلص من هـذه الجارية ، فلن أسترد مكانتى عند الرشيد ثانية • وعلى هذا أشارت الى بعض جواريها ، فأحضرن نوعا فاخـرا من الحلـوى التى تشتهيها ، بعد أن وضعن شيئا من البنج فيها • ثم قدمت بيدها قطعة منها لقوت القلوب•فما كادت تستقر في جوفها حتى دار رأسـها وارتخت أجفانها• وبدت وهى جالسـة ، وكأنها ناعسة • فأمرت السيدة زبيدة بحملها الى احـدى

المقاصير ، وهناك أرقدتها فى صندوق كانت قد أعدته لذلك، ثم أغلقته ، وأمرت أحد العبيد بحمله الى السوق ، وبيعه بأى ثمن لمن شاء ، بشرط ألا يفتحه الا بعد البيع والشراء ، وفى موضع لا تصل اليـــه أعين الرقباء •فحـــمل العـبد الصندوق ، وتوجه مسرعا الى السوق • وفى الوقت نفسه كان آخرون من العبيد والغلمان ، قد أعدوا قبرا جميـــل الصنع فى حديقة القصر ، ثم أذيع على الجميع أن الجارية قوت القلوب توفيت الى رحمة الله ، وأن السيدة زبيـدة أمـرت بصنع هذا القبر وأشرفت على دفنها فيه • فلما رجع الرشيد وعلم بموتها ، لم يخالجه شك فى صحة الخبر ، وتوجه الى ذلك القبر فبكى عنده من الغروب الى وقت السحر

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة عشرة بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد الأربعمائة،قالت شهر زاد للملك شهريار: هذا أيها الملك السعيد ما كان من أمر السيدة زبيدة زوجـة الرشيد ، وتخلصها من الجارية قوت القلوب بادعاء موتها ، والتظاهر بالاسف والحزن على فقدها، بعد أن بنجتها ووضعتها فى ذلك الصندوق ، وأمرت العبد بحمله وبيعه بما فيه فى السوق • أما خليفة الصياد ، فانه بعد أن رجع الى منزله فى بغداد ، قضى ليلته ساهرا يعد الدنانير التى تركها له المماليك • وفى صـباح اليوم التالى ، قال لنفسه : لاداعى لحمل الشبكة والتوجه الى البحر اليوم ، وحسبى ما حصلت عليه من أولئك القوم • ثم تذكر أمر المملوك الاخير الذى لم يدفع له ثمن السمك الذى أخذه منه ووعده بدفعه له اذا قابله فى قصر الخلافة • فقال لنفسه : والله لا أترك حقى يضيع ، ولابد أن أطالب به ذلك المملوك الرقيع ، فان لم يدفع ما عليه بالتى هى أحسن ، شكوته الى رئيسه هناك ،

واستخلصت حقى بالشجار والعراك · ثم حفر حفرة فى ركن من حجرته ، وأخفى ما عنده من الدنانير فيها · وغادر المنزل بعد ذلك قاصدا الى قصر الخلافة

ولما وصل خليفة الصياد الى القصر ، وجد المماليك والعبيد والخدم قياما وقعودا على بابه ، ووقعت عيناه بينهم على المملوك الذى أخذ منه السمك ولم يدفع الثمن ، فأسرع نحوه وأمسك كتفه قائلا : أين الدين الذى عليك أيها الشقى ؟· أم كنت تحسب أننى أترك حقى لك تأكله فى بطنك ولا أطالبك به ؟ · فلما سمع الطواشى صندل الكلام، عرفه وضحك من سذاجته ، وهم بأن يخرج له من جيبه بعض الدنانير · لكنه فى هذه اللحظة شاهد الوزير جعفر البرمكى واقفا على باب الخليفة يشير اليه ، فلم يسعه الا أن أسرع نحوه تاركا خليفة الصياد · وظن هذا أن الطواشى يحاول الفرار حتى لا يدفع له ثمن السمك ، فوقف غاضبا وهو يتابعه بنظراته خلال وقوفه مع الوزير · ولما طال انتظاره لم يطق صبرا الى أن ينتهيا من حديثهما ، وانطلق كالكرة حتى وقف خلف الطواشى وهز كتفه قائلا له : قبحك الله وقبح كل مماطل مثلك · الست وعدتنى أن تدفع لى هنا ثمن السمك الذى أخذته منى ؟· فاغتاظ منه الطواشى صندل وهم بضربه وطرده · ولكن الوزير استمهله وسأله: ما شأن هذا الصعلوك ؟· فقال له الطواشى صندل : انك يا سيدى الوزير أمرتنا أمس أن نشترى منه سمكا لمولانا أمير المؤمنين كل سمكة بدينار ، وكانت الدنانير التى معى قد سقطت على الارض والجواد يجرى بى جامحا ، فأخذت منه السمكات التى وجدتها عنده ، وطلبت منه أن يقابلنى هنا لادفع له ثمنها · فلما جاء وهممت بأن أعطيه بعض الدنانير ، رأيتك تدعونى فأسرعت اليك · ويظهر أنه لحوح ثقيل كما ترى

فلما سمع جعفر البرمكى كلام الطواشي صندل ، أدرك أن الصعلوك الذى أمامههو الصياد الذى قابله الخليفة وعمل صبيا وشريكا له • فضحك هو الآخر من فرط سذاجته ، وغرابة هيئته • وقال للطواشي غامزا له بطرف عينه : ما يصح لك أن تماطل هذا الصياد المسكين فى دفع ثمن السمك الذى أخذته منه • ثم أمره باكرامه وابقائه عنده حتى يشاور فى أمره الخليفة ، لعله يسمح بمثوله بين يديه ، فيضحك عليه ، ويتعزى عن حزنه لفقد الجارية قوت القلوب

ودخل الوزير جعفر على الخليفة هرون الرشيد ، فأخبره بأمر خليفـة الصياد وكيف جاء الى القصر وأمسك بخناق الطواشي صندل مطالبا اياه بثمن السمك • فتعجب الخليفة وقال لجعفر : هل عرف ذلك الصياد أن غلامه بالامس هو الخليفة • فقال الوزير : ما أحسبه يعرف شيئا يا مولاى ، بل ما أظن أنه يعرف أمير المؤمنين اذا رآه • فقال الرشيد : انى يا جعفر محزون القلب كاسف البال لفقد قوت القلوب• ثم أخذ يترنم بقول الشاعر :

يكلفنى السـلوان عنها عـواذلى
وما لى على قلبى اذا لم يطع أمر
وكيف يكون الصبر من بعد موتها
وما كان لى عن هجرها قبله صبر؟

فقال الوزير جعفر ليسليه ويعزيه ويدخل السرور الى قلبه الحزين : نعم يا مولاى ان الفراق صعب ، ولكن الموت حق • كما أن ذلك الصياد المسكين له حق أيضا ، وهو قد جاء الينا مطالبا بثمن سمكات معدودات أخذها منه الطواشي صندل ، مع أن المماليك تركوا له دنانير لا يحصى عددها • ولا شك أنه لو رأى هنا الآن مولاى أعزه الله لما خطر بباله الا أنه أمام غلامه الزمار

فابتسم الرشيد وقال للوزير جعفر : لا بأس ، أحضره

الينا لنرى ما يكون • فخرج جعفر لاحضار خليفة الصياد ، وأخذ يبحث عنه الى أن وجده ممسكا بخناق المماليك والخدم الذين عهد اليهم الطواشي صندل فى ابقائه حتى يشاور الخليفة في أمره • وسمعه يسبهم ويلعنهم ويقول لهم : أما كفاكم أنكم أكلتم حقي بعد أن أكلتم سمكى ؟• انكم والله أحق منى بالحبس ، ولكنى مع هذا أسامحكم فى حقى ولا أريد حبسكم • فأخرجونى من هذا الحبس فورا ، والا رجعت فى كلامى !

فلما سمع جعفر كلامه ، ضحك وقال له متلطفا : لا بأس عليك ايها الصياد ، تعال معى لأعطيك ثمن سمكك وزيادة . ثم أخذ بيده وسار به والمماليك والجند من خلفهما الى أن وصلوا الى باب الرشيد ، فالتفت خليفة الصياد الى المماليك والجنود وصاح بهم قائلا : ما شأنكم بى ، انصرفوا لا بارك الله فيكم • فصرفهم جعفر ، واصطحبه داخل الديوان متنقلا به من دهليز الى آخر حتى دخل القاعة الكبرى بعد الدهليز السابع . فرفع جعفر الستر الأكبر الذى يحجب الرشيد وقال لخليفة الصياد : تقدم يا شيخ وسلم على أمير المؤمنين وحامى حومة الدين . وما وقعت عينا خليفة على الرشيد وهو جالس على سريره وأرباب الدولة واقفون فى خدمته حتى هجم عليه واحتضنه قائلا له : اين كنت يا زمار ؟ . .ما كان يصح أن تتركنى أحرس السمك ولاترجع لى بالقفتين من السوق . فضحك الخليفة وقال له : انى قد عاقنى عن الرجوع اليك عذر قاهر ، فماذا فعلت بالسمك أليس لى نصفه كما اتفقنا ؟. فقال له خليفة الصياد : الذنب ذنبك يا زمارّ ، فأنت الذى ضيعت حقك وحقى أيضا بسبب عدم رجوعك بالقفتين . فقد جاءنى مماليك كثيرون يركبون الخيل وبأيديهم السيوف وأخذوا كل السمك غصبا ثم هربوا الى هنا . ولما جئت أطلب ثمنه

أرادوا حبسي . لكن لماذا حبسوك انت ايضا هنا يا زمار ؟
ولم يتمالك الرشيد نفسه من الضحك على سذاجة الصياد ، وكذلك ضحك جميع الحاضرين ، ثم اجلسه الرشيد بجانبه على السرير وقدم له كيسا فيه أوراق وقال له : امدد يدك يا معلمي وأدخلها في هذا الكيس ، وخذ ورقة من الورقات العشرين التي فيه . واعلم أن في كل منهـا كتابة بما يجب أن يعمل مع الذي يختارها ، فان كنت من المحظوظين السعداء ، كان نصيبك مكافأة ثمينة من دينار الى الف دينار ، وان لم تكن كذلك ، كان نصيبك العقاب من جلدة الى مائة جلدة أو القتل بالسيف !

فلما سمع خليفة الصياد كلام الرشيد ، قال له : يظهر انك لم تصلح للعمل زمارا ولا صيادا فعملت منجما . ثم اخرج ورقة من الكيس وناولها للرشيد قائلا له : انظر أي شيء طلع لي فيها . فقرأها الرشيد وقال له : ابشر يا معلمي . لقد نجاك الله من ضرب رقبتك ، وستضرب مائة جلدة فقط !

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة عشرة بعد الأربعمائة : فلمـا كانت الليلة الثامنة عشرة بعد الأربعمائة،قالت شهر زاد للملك شهريار: بلغني أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما سمع الرشيد يتلو عليه الحكم المكتوب بضربه مائة جلدة ، ظن أنه يمزح معه ، وقال له : هذا نصيب قبيح يا زمار ، ولكن الانسان لا يهرب من نصيبه . وأرى أن تدعني اخرج ورقة اخرى من الكيس ، لعلي أحصل على نصيب أحسن يعوض الضرب الذي اتحمله . فتشاور الرشيد مع جعفر في هذا الامر ، ثم قال للصـيـاد : لا بأس بذلك يا معلمي . فخـذ لك

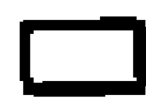
ورقة أخرى من الـكيس ، ثم ينفذ الحكمان معا . ولمـا أخرج الورقة الثانية وقراها الرشيد ، وجد فيهـــا من يختارها يعطى دينارا واحدا ، فأخرج الدينـــار من تحت وسادته واعطاه لخليفة الصياد ، ثم أمر المماليك الواقفين حوله بضربه مائة جلدة . فقال خليفة : لا حول ولا قوة الا بالله ، هذا زمن معكوس ، يباع فيه السمك كل سمكة بدينار ، ويعطى فيه الصياد مائة جلدة بدينار

وأسرع المماليك فأخذوا خليفة الصياد وأوثقوه بالحبال ، وضربوه مائة جلده . وهو يسب ويلعن ويصيح قائلا . هذا ما هو جميل منك يا زمار . وبعد أن انتهى جلده ، ساروا به ليخرجوه من قصر الخلافة ، وعند الباب وقعت عينه على صندل الطواشي ، فأمسك بخناقه مرة أخرى وصاح به : انت سبب نكبتى وجلدى ، ولا اتركك حتى آخذ حقى منك . وكان صندل قد علم بما وقع له ، فأعطاه كيسا فيه مائة دينار وقال : هذه مائة دينار ثمن السمكات التى اخذتها منك ، وتعويض لك عمـا لحق بك بسببى . فلما رأى خليفة الدنانير ، كف عن سبه ولعنه ، ومال على يده فقبلهـا ، وانصرف وقد نسى آلام الضرب ، ولـكنه بقى غاضبا على غلامه الزمار ، ويفكر فى الانتقام منـه ، وهو لا يدرك أن هذا الزمار هو الخليفة الرشيد

ولمـا وصل الى سوق المدينة ، وجد التجـــار ملتفين حول أحد العبيد ، وهم يساومونه على شراء صـــندوق مغلق يقول ان فيه تحفة ثمينة كانت خاصة بالســـيدة زبيدة زوجة الخليفة هرون الرشيد . وسمع أحد التجار يعرض عشرة دنانير ثمنا للصندوق ، فزاد تاجر آخر فى الثمن خمسة دنانير ، وزاد ثالث خمسة دنانير أخرى . واستمرت المزايدة حتى وصل الثمن الى مائة دينـار ، فتقدم خليفة الصياد وقال للدلال : هو على بمائة دينار ودينار . وكان العبد قد مل طول الانتظـار ، فقـــال

الدلال : قد بعت الصندوق لهذا الشيخ فاقبض منه الثمن . وهم خليفة الصياد بأن يعدل عن شراء الصندوق، ولكنه خجل من التجار الحاضرين ، فأعطى الدلال المائة دينار التى أخذها من الطواشى صندل ، والدينار الذى أخذه من الخليفة وهو يحسب أنه غلامه الزمار ، ثم حمل الصندوق على كتفه وسار قاصدا الى منزله

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التاسعة عشرة بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما وصل الى منزله وضع الصندوق بجانب فراشه ، وقال لنفسه : لا حاجة بى الى فتحه الآن ، وخير لى أن أتركه الى صباح غد فأفتحه بعد أن أكون قد استرحت من التعب والعذاب فى هذا النهار . ثم أكل ونام ، فلما انتصف الليل استيقظ على صوت بكاء وانين بجانبه ، فتملكه الخوف ، وأخذ ينظر حواليه فلم يجد غير الصندوق ، وأدرك أن الصوت ينبعث منه . فاشتد خوفه وقال : لابد أن هذا الصندوق فيه جن محبوسون ، فالحمد لله على أنى لم أفتحه والا كانوا أهلكونى ، ثم أراد أن يوقد المصباح فلم يجده لشدة ظلام الحجرة ، فغادرها مسرعا واخذ يصرخ مستغيثا بالجيران ، فلما استيقظوا وسألوه عن سبب صراخه ، قال لهم : اعطونى سراجا لأن الجن يعاكسوننى فى حجرتى المظلمة . فضحكوا عليه ، ثم أعطاه أحدهم سراجا ، فأخذه ورجع الى الحجرة ، ووقف يتأمل ويفحص الصندوق . فلما لم ير أو يسمع شيئا ، تشجع وكسر قفله ، ثم رفع غطاءه . فما كاد يرفعه حتى

نهضت قوت القلوب من مرقدها فيه ، وكانت قد أفاقت من الاغماء ، وقالت له : هات لى نرجســـا وياسمينا . فأغمي عليه من الخوف

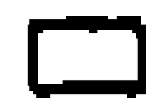
ولمـا آفاق ، وجد قوت القلوب جالسة الىجواره وهى تنعشه وتلاطفه بحديثها ، فاطمأن قلبه . ثم سألته : من أنت . وأين أنا ؟. فروى لها قصة شرائه للصندوق منذ توجه الى قصر الخلافة الى رجوعه منالسوق وهو يحمل الصندوق . ثم قال لها : ان اسمى خليفة الصياد ، وهذا منزلى . ويظهر ان حظى عدل عن معاكستى فقـد كنت أظن أنك من الجن فاذا بك من أظرف الأنس . فضحكت وطلبت منه طعاما لأنها جائعـــة . فنهض وغادر الحجرة حيث أيقظ بعض الجيران وأحضر من عنـــدهم ما تيسر من الطعام ، وجرة فيها ماء . فأكلت وشربت وحمدت الله . ثم قالت لخليفةالصياد : انى قوت القلوبحظية أميرالمؤمنين الخليفة هرون الرشيد ، وقد غارت منى زوجته السيدة زبيدة ، فانتهزت فرصة خروجه للصـــيد ودعتنى الى مسكنها فى قصر الخلافة ، حيث غنيت لها ثم قدمت لى حلوى ما كادت تستقر فى بطنى حتى دار رأسى ولم أعد أشعر بأي شىء . الى أن تنبهتمنذ قليل ، وأردتالنهوض فلم أستطع . ولولا أنك فتحت الصندوق لزهقتروحى. واعلم أن الخليفة الرشـيد هو نفسه غلامك الزمار الذى قابلته فى قصر الخلافة . واذا أنت ذهبت اليه وأعلمتهبأنى عندك فى منزلك ، فانهذا يكون سببا لغناكوحظوتك عنده

فلما سمع خليفة كلامها ضحك وقال لها : والله مارأيت فى حيـــاتى أبخل ولا أحمق من ذلك الزمار القليل الخير والعقل ، فقد علمته الصيد وجعلتـه شريكى ، فتركنى وهرب الى ذلك القصر ، ولمـا قابلته فيه جازانى أقبح الجزاء وأشار على من هناك من المماليـك فضربونى مائة جلدة نظير الدينار الواحد الذى أعطانيه

فضحكت قوت القلوب من سذاجته ، وقالت له : دع عنك هذا الكلام ، واعلم انه ليس زمارا ، بل هو الخليفة الحاكم على كل بلاد المسلمين ، وكل ماعمله معك انما كان لكي يسلى نفسه . وكل المماليك والحجاب الذين رأيتهم هناك هم خدمه وعبيده

فلما سمع كلامها وفهمه ، تعجب من امره وامرها ، وقال لها : على عينى ورأسى افعل كل ما به تأمرين ، فقالت له : ساهون عليك المهمة . فاحضر لى ورقة وقلما ودواة ، فقام وخرج الى بعض جيرانه فأحضر من عندهم ما طلبت . وكتبت قوت القلوب الى التاجر الذى باعها للخليفة ، تخبره بكل ما جرى لها ، وتسأله أن يحضر لأخذها تمهيدا لأرجاعها الى الخليفة . ثم طوت الورقة واعطتها لخليفة الصياد ، وقالت له : فى الصباح ان شاء الله تحمل هذه الورقة الى السوق ، وتسأل عن دكان التاجر ابن فرناس ، ثم تعطيه الورقة وتفعل ما يشير به . فقال لها : سمعا وطاعة لك يا سيدة الملاح

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة العشرون بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة العشرون بعد الأربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر ابن فرناس لما جاء اليه خليفة الصياد ، ظن انه سائل يطلب احسانا ، وأمر غلمانه بأن يعطوه نصف درهم . فقال له خليفة : انا ما جئت لطلب احسانك يا سيدى . ولكنى رسول احمل اليك خطابا . ثم اعطاه الخطاب ، فلما قراه وعلم مافيه ، وضعه على رأسه ونهض قائما ، وقال لغلمانه : اعطوا هذا الشيخ الطيب الف دينار ، واحضروا لنا بغلتين

مسرجتين . وحملوا بغلة أخرى كل ما طاب من الطعـام والشراب مع شيء من الورود والرياحين . ففعلوا ماأمرهم به فورا . وكان خليفة واقفا يحمـل الـكيس الذى به الألف دينار وهو لايكاد يصدق نفسه . فلما طلب منه ابن فرناس أن يركب البغلة المسرجة ويتقدمه ليدله على بيته، ارتاب فى الأمر ، ورفض الركوب قائلا : أنا لااعرف الركوب . ولـكن التاجر اصر على أن يركب . فركب خليفة البغـلة جاعلا وجهه الى مؤخرها ، ثم امســـك ذيلهـا وصرخ ، فأجفلت ورمته عن ظهرها ، فوقع على الارض بين ضحك الحاضرين . ثم نهض فجلس بباب الدكان قائلا : والله لا اركب هذا الحمار الـكبير أبدا ولو قتلتمونى !

فقال له التاجر : صف لى اين بيتـــك وانا اتركك . فوصفه له ، ثم حمل الـكيس الذى به الدنانير ، وانطلق يجرى هاربا . اما التاجر فتوجه الى قصر الخلافة حيث أبلغ الرشيد امر محظيته قوت القلوب ، واخبره بمكانها . فارسل معه جماعة من المماليك لاحضارها من بيت خليفة الصياد ، واحضاره معها معززا مكرما لمـكافأته على حسن صنعه معها . فلما وصلوا الى بيته ، لم يجدوه فيه لأنه كان لا يزال هائما على وجهه فى الطرقات . ودخـل ابن فرناس على قوت القلوب ، فقبل الأرض بين يديها ، وهنأها بالسلامة ، وطلب اليها ان تقوم فتركب معــه الى قصر الخليفة . فقالت له : أين سيدى الجديد صــاحب هذا البيت ؟ انه اشترانى بماله واكرمنى فلابد من مكافأته . فقال لها : انى أعطيته الف دينار ، ولم يرض أن يركب معى الى هنا ، ولا أدرى اين ذهب . فقـــالت له قوت القلوب : مايصح أن أغادر بيته بغير اذنه . ولابد من اعطائه مكافأة حسنة منى ومن الخليفة نفسه

وبينما هما يتحدثان ، اقبل خليفة الصياد الى البيت ،

فلما رأى المماليك على خيولهم ، ومعهم سيوفهم ورماحهم، تملكه الخوف . ثم وقعت عينه على التاجر ابن فرناس ، وهو يتحدث مع قوت القلوب ، فهجم عليه قائلا : انت غريمي ، ولا أتركك تسرق دنانيري وجاريتي . فأخذ التاجر يهدىء روعه ، وقالت له قوت القلوب : اطمئن يا خليفة . وتعال معنا الى قصر الخلافة ، لتقبض مكافأة حسنة من الخليفة هرون الرشيد

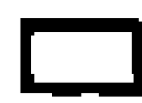
فلما سمع كلامها ، بكى من فرط تأثره ، وقال لها معاتبا : هل تقصدين ذلك الزمار اللعين ؟ لا حاجة لى بمكافأته . فهي دينار واحد وفوقه مائة جلدة تقصم ظهر البعير . فضحكت قوت القلوب ، ولم تزل تلاطفه وتطمئنه حتى رضى بالذهاب معهم الى قصر الخلافة ماشيا ، لأنه لايحب الركوب !

ولما وصلوا الى القصر ، كان فرح الرشيد شديدا بلقاء محظيته قوت القلوب ، بعد أن اعتقد انه لن يلقاها في الدنيا ، لابلاغه نبأ موتها ومشاهدته قبرها فى بستان القصر . وأمر للتاجر ابن فرناس بجائزة ثمينة . ثم التفت الى خليفة الصياد وقال له : انت اتفقت معى على الشركة فى الصيد فقط ، فكيف تشاركنى فى هذه الجارية ؟ . فقال له خليفة الصياد : انا ما شاركتك فيها ، وما كان لى منها غير النظر والحديث . وقد دفعت لذلك ثمنا هو مائة دينار وفوقها دينار كلفنى مائة جلدة كما تعلم . فضحك الخليفة وأمر له بخمسين ألف دينار ، وبخلعة ثمينة من ملابس الخلفاء ، كما أهدى اليه بغلة وعددا من العبيد والجوارى لخدمته . وقال له : كل ما تريد يا معلمى تعال الى هنا واطلبه منى فيكون ذلك فورا

فقال له خليفة الصياد : هذا كثير يا زمار ، لأن دينارك بمائة جلدة وانا لا اتحمل الجلد بقيمة كل هذه الدنانير .

فضحك الخليفة وطيب خاطره وشكره على مروءته وحسن خلقه ، كما شكرته قوت القلوب

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية والعشرون بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الأربعمائة ، قالت شهرزاد : بلغنى ايها الملك السعيد أن الخليفة هرون الرشيد ، غضب على زوجته السيدة زبيدة غضبا شديدا ، لما كان منها مع قوت القلوب . وبقى مدة طويلة لا يكلمها ولا يزورها . حتى ادركها السقم ، ونفد صبرها ، فأرسلت اليه تعتذر من ذنبها وختمت رسالة اعتذارها بهذه الأبيات :

الا من لقلبى باللقا بعد ذا الجفا
فقد ذبت منه حسرة وتأسفا
ايا سادتى رقوا لفرط صبابتى
فهذا الذى لاقيته منكمو كفى
لقد عيل صبرى بعدكم يا أحبتى
وكدرتمو عيشى الذى كان قد صفا
حياتى اذا وفيتمو بعهودكم
وموتى اذا لم تسمحوا لى بالوفا
هبوا أننى اذنبت فالعفو منكمو
جميل ، وما أحلى الحبيب اذا عفا

فلما وصلت رسالتها الى الخليفة الرشيد وقراها ، لان قلبه ورق لحالتها ، وقال لنفسه : ان الله غفور رحيم يغفر الذنوب جميعا ، وكتب اليها معلنا انه قبل اعتذارها وعفا عنها ، ففرحت بذلك غاية الفرح . اما قوت القلوب فانها طلبت الى الرشيد أن يرتب لخليفة الصياد خمسين دينارا كل شهر ، فاجاب طلبها فورا ، وانصرف خليفة من

عنـــدهما والدنيا لاتسعه من السرور . وبينما هو يهم بالخروج من باب قصر الخلافة لمحه الطواشي صندل ، فعجب من كثرة الخلع والعطايا التي حصل عليها من الخليفة ، وأراد مداعبته فناداه واستوقفه قائلا : أما تعطيني شيئا من هذه الثروة الكبيرة التي صـــارت لك ؟ أم نسيت أني أعطيتك أمس مائة دينار ؟ . فقال له خليفة : لاينسى المعروف الاابن الحرام . ثم أعطاه كيسا فيه ألف دينار وقال له : هذا هدية مني اليك جزاء معروفك معي . فتأثر الطواشي صندل وأعجب بما تنطوي عليه نفس هذا الصياد الفقير من المروءة والـكرم والاعتراف بالجميل ، ثم قال له : خذ مالك يا خليفة بارك الله لك فيه . وودعه بكل اجلال واكرام

ولم يزل خليفة الصياد سائرا في موكبه حتى وصـــل الى داره ، فاستقبله جيرانه مهنئـــين ، واخبرهم بكل ماجرى له من اوله الى آخره . ثم اشـــترى دارا كبيرة عاش فيها عيشة الاثرياء ، وكتب على بابها هذين البيتين :

انظر لدار شبه دار النعيم
الهم تنفيه وتشفي السقيم
قد جمعت من كل ما يشتهى
والخير فيهـــا كل وقت مقيم

وبعد مدة قصيرة ، خطب لنفسه ابنة واحد من أعيان المدينة ، وكانت على حظ عظيم من الجمـال والـكمال ، فاكتملت سعادته ، وعاش معها في نعمة سابغة ، وصـــار يحمد الله في كل وقت على ماأعطاه ، ويترنم بقول الشاعر :

لك الحمـــد يامن فضله متواتر
واحســـانه بين البرية وافر
تداركتني باللطف من بعد شقوتي
واني لهذا اللطف ماعشت شاكر

وكل الورى من بحر جودك ينهل
وأنت لهم عند الشدائد ناصر
كريم حليم منعم متفضل
رحيم بكل الناس للذنب غافر
فجد بدوام الستر يا خير ساتر
فما لعيوب الناس غيرك ساتر
بجاه الذى قد جاء للناس رحمة
ومن دينه نور من الله باهر
عليه صلاة الله ثم سلامه
وأصحابه ماناح فى الايك طائر

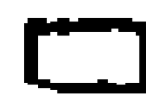
ولم يزل خليفة الصياد يتردد على الخليفة هرون الرشيد وجاريته قوت القلوب ، وينال عندهما حظوة كبيرة ، الى أن أتاهم جميعا هازم اللذات ومفرق الجماعات ، فسبحان من تفرد بالبقاء ، ومن هو وحده الحى الذى لا يدركه الفناء .



أبو قير وأبو صير

قال الملك شهريار لشهرزاد ، بعد ان سمع منها قصة خليفة الصياد ، وماجرى له مع هرون الرشيد فى مدينة بغداد : هذه والله قصة عجيبة . فقالت له : ماهى يامولاى بأعجب من حكاية ابى قير وابى صير . فقال لها : بالله قصى على حكايتهما . فقالت : يحكى ايها الملك السعيد ، انه كان فى مدينة الاسكندرية ، بأقصى الديار المصرية ، رجل صباغ اسمه ابو قير ، وله جار فى السوق يعمل مزينا واسمه ابو صير . وكان الاول نصابا كذابا صاحب شر ،لايستحى من العيب . ومن عادته اذا اعطاه احد قماشا ليصبغه ان يأخذ أجره مقدما ، ثم يبيع القماش وينفق ثمنه والاجر الذى اخذه من صاحبه ، فاذا جاءه صاحب القماش ليأخذه مصبوغا ، قال له : تعال غدا قبل طلوع الشمس فأسلمه لك مصبوغا أحسن صبغه . وحينما يرجع اليه فى هذا الموعد يعتذر اليه بأنه شغل عن صبغ قماشه بضيوف كانوا عنده ويضرب له موعدا آخر لتسليمه له . ولكنه يخلف وعده أيضا ، ويستمر هكذا فى ضرب المواعيد واخلافها ، وهو فى كل مرة يأتى بحيلة جديدة للاعتذار ، فيزعم يوما أن زوجته كانت طول الليل تعانى آلام المخاض ، ويزعم يوما ان المولود مات !

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية والعشرون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة

الثانيةوالعشرون بعدالاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار بلغنى ايها الملك السعيد أن ذلك الصباغ المسمى بأبى قير ، كان اذا نفد صبر صاحب القماش ، وطلب منه أن يرده اليه مصبوغا او غير مصبوغ ، يعمد الى آخر حيلة عنده للتخلص منه ، فيقول له : والله يا اخى ، انا ما اخلفت كل مواعيدى لك الا لخجلى من ان اخبرك بالحقيقة ، وهى انى بعد ان صبغت قماشك صبغة لا نظير لها ، نشرته على الحبل امام دكانى كما هى عادتى ، فسرقه لص خبيث من اولاد الحرام من غير ان أشعر بذلك . وكان اكثر اصحاب الاقمشة المفقودة يصدقونه وينخدعون ببكائه أمامهم ، فيتركون عوضهم على الله . وكان بعضهم لا يصدقونه ويرفعون امره الى القاضى ، ولكنه يصر امامه على ادعائه ويحلف الايمان المغلظة مؤكدا صدق زعمه ، ثم يبكى ويندب حظه فيرق له قلب القاضى ويخلى سبيله

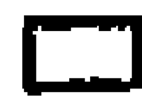
ولما شاع امر ابى قير الصباغ ، وصار مضرب الامثال فى الكذب والمماطلة واكل اموال الناس بالباطل ، امتنع أهل الحى عن معاملته ، خوفا على اقمشتهم من الضياع ، فصار بعد ذلك يفتح دكانه فى الصباح ، ثم يتركه ويجلس فى دكان المزين ابى صير المواجه له ، ليتفادى مقابلة أصحاب الاقمشة التى اخذها وباعها . واذا لمح زبونا غريبا عن الحى امام دكانه اسرع اليه ورحب به ، واخذ منه قماشه واجر صبغه ، ووعده بتسليمه اياه فى صباح اليوم التالى ، فاذا جاء الزبون المسكين فى هذا الموعد ، ضرب له موعدا آخر ، أو أخفى نفسه فى دكان جاره المزين حتى لا يقابله

واتفق بعد سنوات مضت على هذه الحالة أن أخذ ابو قير قماشا ليصبغه ثم أضاعه كعادته . وكان هذا القماش لرجل وجيه بينه وبين القاضى قرابة وصداقة ، فلما ضاق ذرعا بمواعيد ابى قير الكاذبة ، شكاه الى القاضى ، فأرسل

هذا بعض اعوانه الى دكان ابى قير لتفتيشه واحضار قماش قريبه منه ، وقال لهم : ان لم تجدوا القماش المطلوب فى الدكان ، فأغلقوه وهاتوا مفتاحه لى ، فلا اسلمه الى ذلك الصباغ المماطل حتى يحضر القماش الذى اخذه . فلما توجهوا الى الدكان ، لم يجدوا فيه أثرا لاى قماش ، ولا اى شيء له قيمة . ورجعوا الى القاضى حيث اخبروه بذلك ، فامر بالقبض على ابى قير لحبسه ان لم يحضر القماش المطلوب

وكان ابو قير فى تلك الساعة مختفيا عند جاره المزين ابى صير فى دكانه ، فلما علم بما حدث ، تملكه الخوف ، ثم اخذ يفكر فى طريقة ينقذ بها نفسه من الحبس ، فلم يجد سبيلا الى ذلك الا مغادرة الاسكندرية كلها ، والفرار الى اى بلد آخر لايعرفه فيه أحد ، لكى يعيش هناك . ثم عرض هذه الفكرة على جاره المزين ابى صير ، واخذ يغريه بالسفر معه ، عسى ان يوسع الله عليه فى الرزق ، بدلا من الكساد الذى يعانيه فى الاسكندرية . ولم يزل يلح عليه ، ويمنيه بالامانى ، حتى قبل أن يسافر معه

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



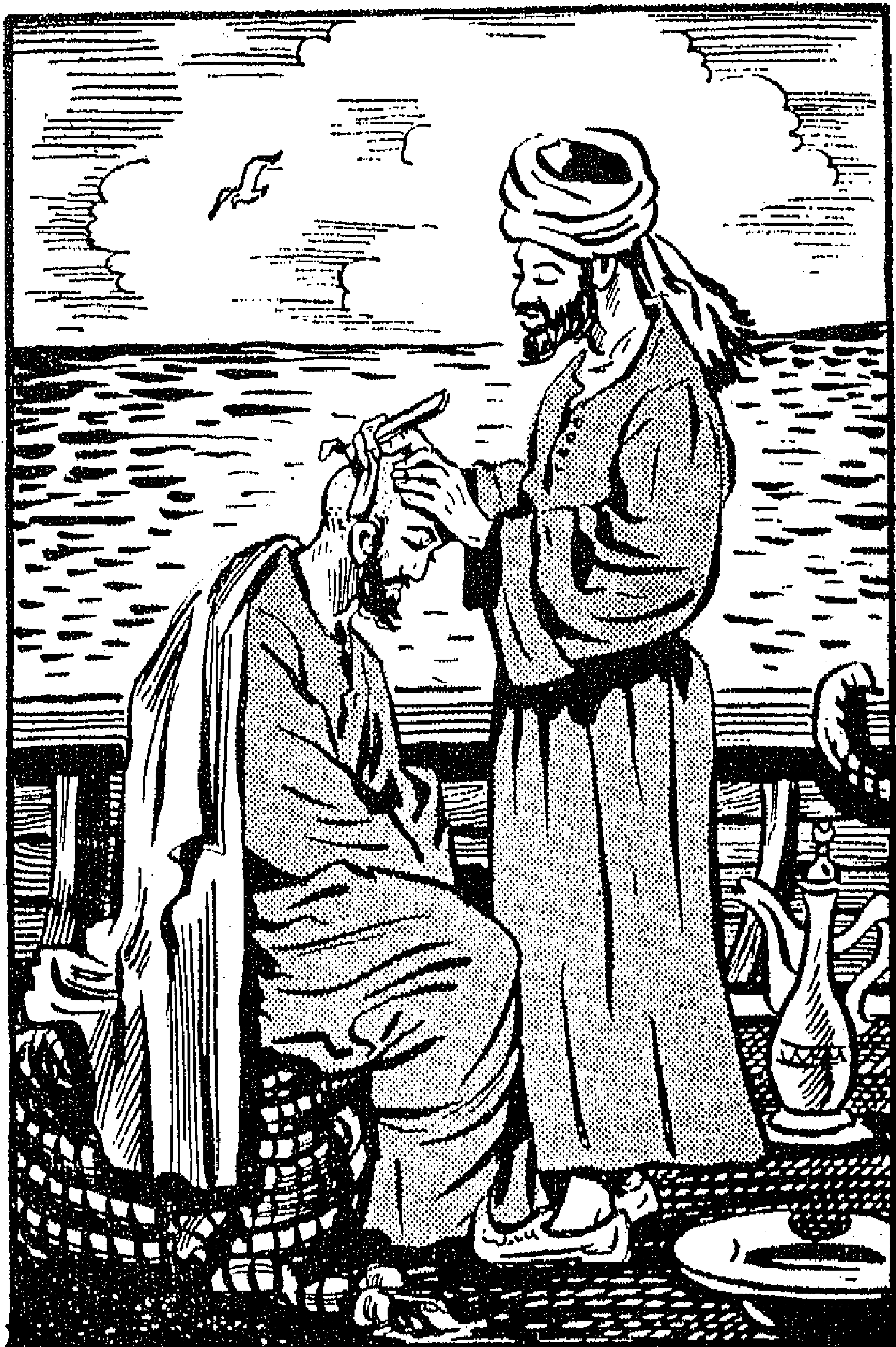
الليلة الثالثة والعشرون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار: بلغنى ايها الملك السعيد أن المزين ابا صير لما سمع كلام جاره الصباغ النصاب ابى قير ، قال لنفسه : ان صنعتى تصلح لكل مكان ، وقد امضيت سنين هنا فى الاسكندرية وانا اعانى الفقر لانصراف الناس منى الى المزينين الجدد . وعلى كل حال لن اكون بعد سفرى اسوأ حالا منى الآن . وسأتفرج

على بلاد الله ، وتتحسن صحتي بتغيير الهواء . ثم انشد هذه الابيات :

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا
وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم ، واكتساب معيشة
وعلم ، وآداب ، وصحبة ماجد
وان قيل فى الاسفار غم وكربة
وتشتيت شمل او لقاء شدائد
فموت الفتى خير له من حياته
بدار هوان بين واش وحاسد

ولما عزما على السفر ، قال ابو قير الصباغ لابى صير المزين: لقد صرنا كأخوين يا جارى العزيز ، ولا فرق بيننا . فلنقرأ الفاتحة متعاهدين على أن نكون شريكين فى السراء والضراء وكل مانربحه .ننفق منه وندخر بعضه لوقت الحاجة . فقرأ ابو صير معه الفاتحة وعاهده على ذلك ، ثم أغلق دكانه وسلم مفتاحه الى صاحبه بعد ان أخلاه من كل ما كان فيه وتوجها الى الميناء ، فوجدا سفينة كبيرة تهم بمغادرته وفيها مائة وعشرون راكبا غير البحارة ورئيسهم . فنزلا فيها وليس معهما أى شىء من الزاد . وما لبثت أن اقلعت من الميناء ومضت تشق طريقها فى البحر

وبعد نحو ساعة ، قام ابو صير المزين فاظهر نفسه لرئيس البحارة ، وعرض عليه ان يكون حلاق السفينة ؛ فقبل مسرورا لان الحلاق الذى اتفق معه على ذلك لم ينفذ هذا الاتفاق . وبعد أن حلق له ابو صير ، حمل عدته وطاسته ومشى بين الركاب ، وصار يحلق لكل من يرغب فى ذلك ، فلم تمض ساعة حتى كان قد جمع منهم بضعة دراهم ، وشيئا كبيرا من الطعام . فرجع الى زميله الصباغ ابى قير ووضع الطعام امامه قائلا : كل حتى تشبع . وكان ابو قير



« وقفى نحو ساعتين يتنقل بين الركاب والبحارة ويحلق لهم »

قد شعر بالجوع الشديد ، فما كاد يرى الطعام أمامه حتى هجم عليه كأنه السبع الضارى ، ثم تناول طاسة ابى صير وشرب كل مافيها من ماء عذب أنعم به عليه من حلق لهم من الركاب . وبعد ذلك تجشأ ، ثم تمدد فى موضعه ، وما لبث قليلا حتى راح فى نوم عميق . فتركه أبو صير نائما وقام قاصدا الى القبطان رئيس السفينة ، وجلس معه يحدثه ويسليه بما يحفظ من حكايات ونوادر وفكاهات . ثم روى له حكايته من اولها الى آخرها وكيف اتفق مع زميله الصباغ ابى قير على مغادرة الاسكندرية ، طلبا للرزق فى مدينة أخرى من بلاد الله . ولم يذكر له شيئا عن نصب زميله وكذبه واحتياله ، بل وصفه بأنه شيخ طيب القلب ، ضعيف البنية ، فى حاجة الى الرعاية والعناية . فلما سمع القبطان كلامه ، قال له : لاتحمل هما أنت وزميلك مادمتما معى فى هذه السفينة . وفى كل يوم تعال انت وهو عندى هنا لنتناول طعام العشاء معا ، فالخير كثير عندنا والحمد لله . فشكره أبو صير على اريحيته وكرمه

وبعد ذلك ، قضى ابو صير نحو ساعتين وهو يتنقل بين الركاب والبحارة ، يحلق لهم ، ويمازحهم ويسليهم بأحاديثه وحصل منهم فضلاً عن أجرته على كثير من انواع الطعام المختلفة التى يحملونها معهم ، مثل الجبن والزيتون والبطارخ والخبز وغيرها ، كما ملأ طاسته من الماء الحلو الذى يحتفظون به للشرب منه خلال السفر فى البحر الملح . وحمل ذلك كله ورجع الى زميله الصباغ ابى قير ، فوجده مازال نائما وقد علا شخيره . فأيقظه ، وقال له : ان الله سبحانه وتعالى قد حنن علينا قلوب أهل السفينة ، وقد حصلت منهم على هذه المقادير من الطعام والماء العذب ، عدا الدراهم التى أخذتها منهم أجرا على الحلاقة . وقد تفضل القبطان فدعانى أنا وأنت الى تناول العشاء معه كل يوم ما دمنا مسافرين فى البحر على سفينته . فالرأى عندى أن نحتفظ هنا بما جئت

به من طعام وشراب ، ثم تقوم معى الآن فنذهب الى ذلك القبطان ، حيث نتعشى عنده ، ونقضى بعض الوقت فى الحديث والمسامرة ، ثم نعود الى موضعنا هذا فننام

فقال له ابو قير : أنا لا أقدر ان أقوم من مكانى هنا ، لانى اشعر بأن راسى يدور من السفر فى البحر ، لانى لم اتعوده ، فاذهب انت الى القبطان لتتعشى عنده ، واتركنى هنا لاستريح واذا شعرت بالجوع فانى آكل مما عندنا . فقال له ابو صير : أنا ما أريد الا راحتك . ولكنى أخشى ان تعود للنوم فيفوتك الاكل . وعلى هذا يحسن ان تأكل الآن على قدر طاقتك ، واذا وجدتك نائما بعد عودتى أيقظتك لتتم اكلك

فقال له ابو قير : هذه مشورة حسنة . ثم وضع الطعام بين يديه ، واخذ فى القضم والبلع بشراهة ، وكأنه لم يأكل منذ عام ، او يأكل آخر طعام . فجلس ابو صير يتفرج عليه ودهشته تزداد كلما رآه يأكل الرغيف على لقمتين ، ويأتى عليه فى طرفة عين ، ويحملق بعينيه فيما بين يديه حملقة الغول ، وينفخ شدقيه كأنه ثور جائع وقع على كومة فول . وفيما هما كذلك جاء احد البحارة ، يدعوهما الى العشاء عند القبطان ، فأصر ابو قير على البقاء ، وقال له ابو صير : انت وماتشاء . ثم تركه ومضى مع البحار الى القبطان ، فوجد عنده مائدة منصوبة ، وعليها أكثر من عشرين لونا من الوان الطعام . ومعه بعض اعوانه المقربين ، وكلهم جالسون فى انتظاره ورفيقه . ولما رآه القبطان مقبلا وحده رحب به وقال له : أين رفيقك ؟ . فقال له ابو صير : انه شعر ببعض التعب من السفر فى البحر لانه لم يتعوده ، فآثر البقاء فى موضعه للراحة . فقال القبطان : لا بأس عليه ان شاء الله وسيزول عنه مايشعر به من الدوار عما قريب . ثم اجلسه بجانبه على المائدة ، واخذ الجميع يأكلون ويشربون ، وابو صير يحدثهم ويسليهم بما يحفظ من النوادر والاشعار ،

وهم يبدون اعجابهم بما يرويه ، ويعزمون عليه بأطايب الطعام والشراب

وبعد أن انتهت السهرة ، وهم ابو صير بالرجوع الى زميله ابى قير ، اعطاه القبطان صحنا كبيرا جمع فيه من كل الوان الطعام الذى اكلوه ، كما اعطاه كوزا ملأه بالماء العذب المصفى وقال له : خذ هذا لرفيقك ليأكل ويشرب متى شاء . فشكره على حسن كرمه ، وحمل الصحن ورجع الى حيث ترك زميله ، فوجده قد نام ، بعد أن اتى على كل ماتركه عنده من طعام !

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الرابعة والعشرون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ان المزين ابا صير لما وجد زميله الصباغ ابا قير نائما وقد اتى على كل ما تركه عنده من طعام . قال لنفسه : ما اظن انه بعد ذلك الا قد نوى الصوم ، ولا يستطيع القيام من النوم الا بعد يوم . ثم وضع الصحن بما فيه جانبا واستعد للنوم بجانب ابى قير ، فاذا به يفتح عينيه ، ثم يمد الى ذلك الصحن يديه . وما كاد يرى ما احتوى عليه ، حتى اهتز عجبا ، ومال طربا ، ثم شرع فى التهام ما فيه متشدقا كالجمل ، وانقض عليه انقضاض الذئب على الحمل . وما هى الا دقائق معدودات ، حتى كان الصحن نظيفا كأنه غسل سبع مرات . كل هذا وابو قير مازال مضطجعا على جنبه ، حتى اذا انتهى من اكله وشربه ، اسلم جفونه الى النوم من جديد ، وبقى شدقه يتحرك وكأنه يقول هل من مزيد ؟

ولم يزل ابو صير وابو قير على هذه الحال فى السفينة عشرين يوما . وفى كل يوم يقوم الاول بمزاولة صنعته ، ويرجع للثانى بما يحصل عليه من دراهم وطعام وشراب ،

فيحتفظ بالدراهم عنده مع متاعه ، ويأتي على كل ما يجيء به زميله من المأكولات ، ولايترك له شيئا منها ، كل هذا وهو ملازم لمرقده فى السفينة ، اما ابوصير المزين فيكتفى من الغذاء بما يتناوله عند القبطان فى العشاء كل مساء ، ويحمد الله على ذلك

وفى اليوم الحادى والعشرين ، رست السفينة على ميناء مدينة كبيرة ، وغادرها جميع الركاب للتجارة والفرجة ، فشكر ابوصير قبطانها واعوانه على مالقيه منهم من اكرام . وقال لابى قير : قم بنا يا اخى ندخل هذه المدينة العظيمة ، لنسعى فى اكتساب رزقنا فيها . فقال له ابو قير : انا لااقدر على المشي لانى ضعيف . فحمله ابو صير مع متاعهما ،وسار الى المدينة وهو يكاد يقع على الارض لثقل حمله وفرط تعبه . ولم يزل كذلك حتى وصل الى خان قريب من الميناء ، فاستأجر حجرة فيه ، وانزل فيها حمله ، وبعد ان استراح قليلا ، ترك زميله نائما على الفراش فى الحجرة وخرج الى السوق فاشترى بعض الطعام ورجع به اليه حيث أيقظه ودعاه الى الاكل ، فقال له ابو قير : هات الاكل هنا عندى فى الفراش لانى ضعيف . وما كاد أبوصير يضع الاكل بين يديه ، حتى هجم كالغول عليه . وماهى الا لحظات حتى كان قد التهمه كله !

وفى اليوم التالى ، خرج أبو صير من الخان ، ومشى فى المدينة حاملا عدته ، فحلق لكثير من الناس ، واشترى بنصف ماجمعه من اجره طعاما مختلف الالوان ، ورجع به الى زميله ابى قير ، فأكل تسعة اعشاره وهو مضطجع على الفراش ، وأخذ مابقى من الدراهم مع ابى صير ليحتفظ به عنده أيضا ، ثم نام من جديد

ولم يزالا على هذه الحال أربعين يوما ، وكلما قال ابو صير لابى قير : تعال معى لنتفرج على المدينة وما فيها . أجاب بانه ضعيف لا يقدر على المشى . فيتركه نائما فى حجرتهما

بالخان ، ويمضي هو ليعمل ويشقى ، ثم يرجع اليه بالطعام والشراب ، ويعطيه ما تبقى معه من مكسبه ليدخره عنده مع الدراهم الاخرى

وفى اليوم الحادى والاربعين ، اراد ابو صير ان يخرج من الخان لمزاولة عمله كعادته ، ولكنه لم يستطع لشعوره بالمرض والتعب . فبقى راقدا بجانب زميله . ولما حان وقت الغداء، دعا بواب الخان وكلفه ان يحضر لهما بعض الطعام ، فلما جاء به ووضعه بين أيديهما ، لم يجد ابو صير شهية للأكل لاشتداد مرضه ، فالتهم ابو قير جميع الطعام وحده . وكذلك فعل فى العشاء ، ثم أسلم جفنيه للنوم غير سائل عن صحة زميله المريض المسكين . ولما استيقظ فى صباح اليوم التالى ، وجد أبا صير المزين قد فقد وعيه وغاب عن الوجود من شدة مرضه . فقام واخذ كل مافى الغرفة من الدراهم المدخرة ، ثم تركه وحده فيها ، وخرج من غير ان يعلم بخروجه اى أحد . وما زال سائرا حتى وصل الى سوق المدينة فاشترى لنفسه طعاما اكله حتى شبع ، كما اشترى ثيابا لبسها . ثم سار يتفرج على شوارع المدينة وقصورها ودورها ومتاجرها وقلبه يفيض بالسرور ، غير مفكر فى صاحبه المريض الذى تركه وحده فى الخان !

ولاحظ ابو قير ان جميع الملابس التى يرتديها أهل المدينة لونها أبيض او أزرق ، وليس هناك أى لون آخر . فعجب من هذا الامر ، وسأل صاحب مصبغة صادفها فى طريقه: بكم تصبغ مثل هذا الثوب الابيض الذى ألبسه ؟ . فأجابه صاحب المصبغة : بعشرين درهما . فقال له ابو قير : هذه اجرة باهظة ، وفى بلادنا نصبغ مثله بدرهمين فقط . فقال له صاحب المصبغة : اذن انتظر حتى تصبغه فى بلادكم فالاجرة عندنا لا تنقص درهما واحدا عما ذكرته . فقال له ابو قير : هل الاجرة واحدة للصبغ بجميع الالوان ، لانى أريد ان آتيك بأربعة ثياب لتصبغ احدها باللون الاحمر ، والثانى

بالاخضر ، والثالث بالاصفر ، والرابع بالازرق . فضحك صاحب المصبغة وقال له : اى شيء يكون الاحمر والاخضر والاصفر ؟ . نحن ما نعرف الصبغ الا باللون الازرق . وكل الملابس عندنا اما بيضاء واما زرقاء كما ترى

فقال له ابو قير الصباغ : ان صنعتى صباغ ، وفى استطاعتى ان اصبغ جميع الالوان ، فاذا الحقتنى بالعمل فى مصبغتك فانى اعلمك الصباغة بها ، وبذلك يكون لك فخر السبق على كل الصباغين فى هذه البلاد . فقال له صاحب المصبغة : نحن لا نقبل ان يدخل فى صناعتنا اى غريب عنا . فتركه ابو قير وتوجه الى مصبغة أخرى ، وخاطب صاحبها فى هذا الشأن ، فكان جوابه مثل جواب الاول . ولم يزل يتنقل من مصبغة الى اخرى حتى طاف على اربعين مصبغة ، وتحدث مع أصحابها ليلتحق بالعمل عندهم ، ولكنهم جميعا لم يقبلوا ذلك . فتوجه الى شيخهم وشكاهم اليه ، وطلب منه ان يسمح له بأن يفتح مصبغة لنفسه . فقال له شيخ الصباغين : هذا غير ممكن ابدا

فاغتاظ ابو قير ، وتوجه الى قصر الملك ، وطلب مقابلته. فلما قابله حدثه بكل ما جرى له مع الصباغين وشيخهم ، وأخذ يصف له الوان الصباغة المختلفة من احمر كورى وعنابى . ومن اخضر زرعى وفستقى وزيتى وجناح الذرة. ومن أسود فحمى وكحلى ، واصفر ليمونى ونارنجى . وغير ذلك . فأعجب الملك بهذه الاوصاف ، وقال له : انا افتح لك مصبغة كبيرة ، واذا تبين لى صدقك فانى اجعلك شيخ الصباغين فى مملكتى كلها ، وكل من تعرض لك من الصباغين اشنقه على باب دكانه . ثم امر الملك بانشاء مصبغة كبيرة لابى قير وبأن يعطى كل ما يطلب من المال لشراء ما يلزم لها من أدوات وغيرها . ثم خلع عليه من احسن ما عنده من الملابس ، وانزله فى ضيافته الى ان تم انشاء المصبغة حسب

طلبه ، وقام بصـــبغ بعض الملابس بمختلف الالوان التى ذكرها للملك

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

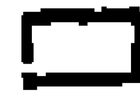


الليلة الخامسة والعشرون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الاربعمائة قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك لما رأى الملابس التى صبغها ابو قير بالالوان المختلفة ، اعجب بها كل الاعجاب ، واعطاه اربعة آلاف دينار لكي يوسع مصبغته، كما جعله شيخ الصباغين فى مملكته ، ثم اخذ هو واكابر اهل المدينة من الوزراء والقواد والتجار وغيرهم يرسلون اليه الاقمشة ليصبغها لهم بتلك الالوان ، ويدفعون له ما يطلب من الاجر وزيادة ، لشدة اعجابهم بصنعته . ولم يمضِ قليل من الزمن حتى اشتهر امره فى المدينة وضواحيها وفى جميع انحاء المملكة ، فصار الناس يتسابقون الى مصبغته ويبذلون له الذهب والفضة بغير حساب ، لكى يصبغ لهم الاقمشة بالالوان التى يحبونها . ولم يعد احد من اهل المملكة يرضى بمعاملة أية مصبغة اخرى غير مصبغته التى اطلق عليها اسم مصبغة السلطان . فتكاثرت ارباحه ،وجمع ثروة كبيرة ، واشترى لنفسه قصرا عظيما ، وكثيرا من العبيد والجوارى . وصار الصباغون يأتون اليه ويقبلون يديه وقدميه ، ويستعطفونه لكى يقبلهم عمالا فى مصبغته ، ولكنه لم يجب طلبهم حتى لا يعلمهم الصباغة بالالوان ، وليبقى هو وحده محتكرا لهذه الصناعة الجديدة فى المملكة كلها !

اما ابو صير المزين ، فانه لما افاق من غشية المرض وجد نفسه وحده فى الغرفة ، حسب أن ابا قير خرج الى السوق لاحضار الطعام ، ولما طال انتظاره اخذ يئن من شدة

المرض والقلق ، فسمع انينه بواب الخان ، وذهب الى غرفته حيث وجدها مغلقة من الخارج ، ففتح الباب ودخل حيث رأى ابا صير وحده وهو يتلوى من الالم ، ولم يجد فى الغرفة اى اثر لزميله ابى قير ، ولا اى شىء من الامتعة والملابس او النقود . فأدرك ان ابا قير أخذها وهرب منتهزا فرصة غيبوبة المرض التى وقع فيها زميله المسكين . وكان هذا البواب طيب القلب ، فأخذته الرافة بأبى صـــير ، وصار يخدمه ويأتيه بالادوية والاطعمة اللازمة له ، الى ان تماثل للشفاء بعد شهرين ، واستطاع الخروج لاستئناف عمله ، شاكرا لبواب الخان ماصنعه معه من المعروف

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة والعشرون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان المقادير ساقت ابا صير بعد شفائه من مرضه الى الجهة التى فيها مصبغة زميله ابى قير ، فلما وصل اليها ورأى الملابس المنشورة أمامها وهى مصبوغة بمختلف الالوان ، تعجب من ذلك غاية العجب ، وقال لنفسه : اى شىء جرى ؟ ومن ياترى ادخل الصباغة بالالوان فى هذه المدينة بعد أن كان أهلها لا يعرفون الا الصباغة باللون الازرق فقط ؟ . . ثم شق لنفسه طريقا بين الناس المزدحمين امام المصبغة ، وعلم من احدهم أن اسمها مصبغة السلطان ، وان ملك المدينة نفسه هو الذى انشأها لرجل غريب من أهل مصر اسمه ابو قير ، وجعله شيخ الصباغين فى المملكة ، وقد صار من كبار الاغنياء ، وله قصر عظيم فى المدينة ، وعنده كثير من العبيد والجوارى والخدم ، وقد علم بعضهم الصباغة بالالوان المختلفة ، ولم

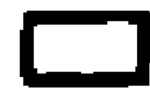
يرض أن يعلم هذه الصنعة الجديدة لاحد غيرهم ، حتى لا ينافسه فيها منافس !

فلما سمع أبو صير المزين ذلك الكلام ، فرح كثيرا بما وصل اليه زميله أبو قير ، وقال لنفسه : لقد ظلمته اذ ظننت انه سرق مالي وهرب وتركني مريضا . ولابد ان الملك هو الذى شغله عني بفتحه هذه المصبغة له . وسيكون سروره عظيما حينما يراني الآن ! ثم تقدم حتى دخل المصبغة فوجد فى صدرها دكة عالية مفروشة بأفخر السجاد وعليها وسائد وطنافس من الحرير الثمين ، وقد جلس عليها أبو قير وكأنه ملك من الملوك ، ومن حوله عشرة من المماليك فى افخر الملابس . بينما اخذ المماليك والعبيد الآخرون يزاولون العمل فى المصبغة ، حسب تعليماته لهم ، وبعضهم يتولون تسلم الاقمشة من العملاء ، وتسليمهم الاقمشة التى تم صبغها ثم يضعون الذهب والفضة امام ابى قير فى اكياس اعدها لهذا الغرض ، وكلما امتلأ كيس منها ، أمر بنقله الى خزائنه بعد ختمه بخاتمه

وحانت من أبى قير التفاتة الى الجهة التى وقف فيها أبو صير ، فلما وقعت عليه عيناه عرفه على الفور ، ولكنه تجاهله وصاح به غاضبا : ما الذى جاء بك الى هنا ايها اللص الخبيث ؟ . اما عفوت عنك فى المرة السابقة على أن تتوب ولا تعود الى السرقة ؟ . ثم امر مماليكه وعبيده بأن يقبضوا عليه ويوثقوه بالحبال ثم يلقوه على بطنه امامه . فلما فعلوا ما أمرهم به ، قام من مجلسه ، وجاء بعصا غليظة ، واخذ يهوى بها على ظهر أبى صير المسكين حتى كاد يقتله من شدة الضرب . وبعد ذلك أمر بحل وثاقه ، وصاح به قائلا : انني سأصفح عنك فى هذه المرة ايضا ، ولكن اذا عدت الى هنا مرة اخرى فلن أعفو عنك ، بل أرسلك الى الملك فيسلمك الى الوالى ليشنقك ويريح الناس من شرك واذاك !

وكان الناس المزدحمون فى المصبغة قد شاهدوا ضرب ابى صير ، وسمعوا ما قاله ابو قير من اتهامه بانه لص خبيث يحاول سرقة الاقمشة والملابس التى فى المصبغة ، فأخذوا يشيعونه بالشتائم عند انصرافه باكيا مكسور الخاطر . وما زال يسير وهو يبكى ويئن من ألم الضرب وخيبة امله فى زميله الذى خانه وغدر به ، الى ان وصل الى الخان الذى يقيم به ، فدخل غرفته ولزم الفراش عدة أيام ، كان البواب الطيب القلب يعوده خلالها ويزوده بما يحتاج اليه من الطعام

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة والعشرون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ان أبا صير المزين حينما خرج من الخان بعد ذلك لاستئناف عمله ، خطر بباله ان يدخل حمام السوق ليغتسل فيه ويغير ملابسه . وكانت دهشته شديدة حينما سأل عن حمام يذهب اليه ، فاذا به يعلم ان المدينة كلها ليس فيها أى حمام ، وان أهلها ليس لهم اى علم بحمامات السوق ولا سمعوا بها ، بل ان ملك المدينة نفسه ليس فى قصره حمام من هذا النوع

وفكر ابو صير فى هذا الامر ، فهداه تفكيره الى ان يقابل الملك ويعرض عليه ان ينشىء حماما فى المدينة . فأخذ طريقه الى قصر الملك فورا ، ولما قابله أخذ يصف له حمامات السوق فى مصر ، ويشرح له مزاياها وفوائدها وكيف انها من احسن نعم الدنيا ، وفى وجودها بالمدينة ما يكسب أهلها الصحة والنظافة والجمال . فلما سمع الملك كلامه ، أخذه العجب وقال له : هل تقدر ان تنشىء فى المدينة حماما بهذه الصفة ؟ . فقال له ابو صير : نعم أستطيع ذلك يامولاى .

وكل ما اطلبه لذلك ان تجعل تحت يدى عشرة من البنائين وعشرة من النجارين ، وعشرة من النحاسين . وتأمر لى بقطعة من الارض لاقامته عليها ، وخمسين دينارا اشترى منها ما يلزم للحمام من ادوات وأثاث . فقال له الملك سأجعل جميع البنائين والنجارين والنحاسين طوع أمرك اما المال فأنا الآن اعطيك الف دينار ، واى مبلغ تطلبه بعد ذلك يصرف لك فورا . ثم دعا الملك وزيره الاكبر وكلفه ان ينفذ تلك التعليمات كلها . كما أمر لابى صير ببذلة فاخرة ، وجواد كريم ، ودار للسكنى حسنة الاثاث ويكون بها بعض العبيد والجوارى للخدمة . فقبل ابو صير يد الملك شاكرا ، وانصرف ومعه الوزير الاكبر حيث سلمه هذا الدار التى امر له الملك بها مع العبيد والجوارى والجواد والبذلة والالف دينار

وفى اليوم التالى ، شرع ابو صير فى بناء الحمام ، فى المكان الذى اختاره لذلك وسط المدينة . ولم تمض أيام حتى تم البناء بالطريقة التى ارادها . كما تم فرش الحمام ، وتزيينه من الداخل والخارج حتى صار بهجة للناظرين . ثم دعا الملك الى الفرجة عليه ، فلما رآه أعجب به كل الاعجاب . وبعد ذلك جاء ابو صير بعشرة مماليك شـــبان ، وعلمهم الخدمة فى الحمام من تدليك وتكبيس وتبخير وغير ذلك . وكان الملك اول من جرب الاستحمام فيه ، فلما انتهى من ذلك ، شعر بالانتعاش والسرور ، لان جسمه ترعرع من النظافة بالماء الحار والصابون والتدليك والتكبيس والتبخير . فأمر لابى صير بعشرة آلاف دينار ، وقال له : قد سمحت لك بان تطلق على حمامك اسم حمام السلطان ، وبان تأخذ من كل واحد يدخله للاستحمام الف دينار ، فهذا اقل ما تستحقه على مثل هذا العمل العظيم المفيد . فقال له أبو صير : يامولاى ، ان الناس ليس فيهم من يقدر على دفع هذا المبلغ مثلك ، والافضل ان نجعل اجر الدخـول الى



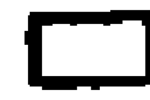
« واستخدم عشرات من الجوارى فى الحمام لخدمة النساء »

الحمام بحسب ما تسمح به حالة كل شخص ، لكي يعم الانتفاع به ، وتتحسن صحة الاهالى ، ويتعودوا النظافة ، فيزداد نشاطهم فى اعمالهم ويزداد الرخاء تبعا لذلك .
فقال له الملك : صدقت ، ولكن اكراما لك يجب على جميع الامراء والوزراء وكبار التجار ان يعطيك كل واحد منهم الف دينار ومملوكا وعبدا وجارية فى اول مرة يدخل فيها الحمام . فقبل الجميع ذلك مسرورين . وجمع ابو صير من ذلك ثروة عظيمة فى بضعة ايام

وبعد أن انتهى الامراء والوزراء والقواد واكابر التجار والاعيان من الفرجة على الحمام والاستحمام فيه لأول مرة ، وكل منهم يعطى أبا صير الف دينار وعبدا ومملوكا وجارية . أذن له الملك فى ادخال كل من يشاء من أهل المدينة ، فصار الناس يزدحمون على باب الحمام منذ فجر كل يوم، فيدخلهم ابو صير طائفة بعد طائفة ، ويأخذ من كل واحد ما تسمح به نفسه . ثم خصص يوما فى الاسبوع لاستحمام الملك وأهل بيته ، من اول النهار حتى الظهر ، ولاستحمام الوزراء والعلماء ورؤساء العساكر وامثالهم من الظهر حتى العشاء . واستمر الحال على ذلك نحو شهر ، فامتلأت خزائن ابى صير بالذهب والفضة ، وصار عنده عدد لا يحصى من المماليك والجوارى والعبيد ، فأخذ فى توسيع الحمام ، وجعله على درجات . وخصص للملكة وحاشيتها قسما خاصا ، كما خصص وقت ما بين الظهر والعصر كل يوم لنســـــاء المدينة . واستخدم فى الحمام عشرات من المماليك لخدمة الرجال ، وعشرات من الجوارى لخدمة النساء . ثم قال للملك وهو يكبسه بنفسه يوما : لقد كثر المماليك والجوارى عندى يامولاى ، وهم يكلفوننى كثيرا ولست احتاج الى اكثر من عشرة من هؤلاء وهؤلاء ، غير المماليك والجوارى الذين يعملون فى الحمام . فالرأى عندى ان تخلصنى منهم وتأخذهم فى قصرك . فقال له الملك : لك ما تريد . وقد

امرت لك فى نظير ذلك بمائة الف دينار ، تصرف لك فى هذا النهار من الخازندار . فقبل ابو صير يد الملك ودعا له بدوام العز وطول البقاء

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة والعشرون بعد الاربعمائة : فلمـــا كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان اباصير المزين لم تمض عليه اشهر معدودة بعد انشاء الحمام حتى صار من كبار الاغنياء فى المملكة ، وعاش عيشة الملوك ، واحبه الناس جميعا لحسن معاملته وكرم اخلاقه ، اذ كان يحترم الكبراء ويخدمهم بنفسه ، ويكرم الفقراء فلا يأخذ منهم اجرا على دخول الحمام ، بل يعطيهم مما اعطاه الله

وكان رئيس البحرية فى المدينة فى مقدمة المعجبين بأبى صير ، حتى انه اتخذه صديقا له ، وصار يقضى اوقات فراغه معه فى الحمام او خارجه فى قصر احدهما ، وكلما مضت الايام ازداد محبة له ، واعجابا بظرفه وكرمه ولطف معاملته، وتمنى ان يرد له جميله عليه ، ولكنه لا يجد طريقة لذلك

واما ابو قير الصباغ ، فكان طول تلك المدة مشغولا بكثرة الاعمال فى مصبغته ، وكل اوقات فراغه يقضيها فى اشباع رغباته المختلفة من الطعام والشراب والسماع وما اليها . ثم اتفق ان سمع من بعض مماليكه وجواريه بأمر الحمام الذى انشأه الملك فى المدينة ، واطنبوا فى مدحه وذكرمزاياه حتى شوقوه اليه ورغب فى دخوله ، وهو لا يعرف انه حمام ابى صير . وفى صباح اليوم التالى ، لبس افخر ما عنده من الملابس ، ثم خرج من قصره فىموكب كبير ، راكبا على جواد أصيل مسرج بالذهب والفضة ، ومن خلفه اكثر من عشرين مملوكا من مماليكه على جيادهم ، ووراءهم العبيد

والسياس . وتوجه في هذا الموكب الفخم الى الحمام . فلما اقترب منه وصلت الى انفه رائحة الند والعود والصندل وغيرها من اطايب البخور ، وشاهد ازدحام الاهالي على باب الحمام ، وكلهم يتسابقون الى دخوله . ولما رأوا موكبه عرفوه واوسعوا له الطريق حتى وصل الى مدخل الحمام ، فترجل هو ومماليكه وتركوا جيادهم مع العبيد والسياس ، ثم دخلوا الى دهليز الحمام فذهل ابو قير لما شاهد من فخامة البناء ، وبدائع النقوش والزخرفة ، والاثاث الفاخر ، والمفروشات الثمينة، وروعة التنسيق . وتلقاه مماليك الحمام بالترحيب والاجلال

وحانت من ابي صير التفاتة الى الجهة التي وقف فيها ابو قير ، فلما وقعت عينه عليه عرفه ، ونهض من مجلسه في صدر الايوان ، وسارع الى استقباله مرحبــا به كل الترحيب . فلما رآه ابو قير وعرف انه صــاحب حمام السلطان ، حسده على النعمة العظيمة التي صار فيها ، واكل الحقد قلبه . لكنه كتم غيظه ، وتصنع الفرح بلقائه وقال له وهو يبادله العناق والتحيات : كيف تكون هنا على مقربة من مصبغتي وقصري ولا تزورني ، هل نسيت ما بيننا من الزمالة والصداقة ؟. انني والله قد تعبت من طول بحثي عنك ، وقد كلفت مماليكي ان يسألوا عنك في جميع الخانات بالمدينــــة فلم يعثروا على اى أثر لك . ولذلك تنغصت معيشتي ، وتكدر خاطري . ولم اجد اى لذة في كل ما حصلت عليه من الثراء والجاه لاسفي على فراقك

فتعجب أبو صير من كلامه ، وقال له : الم تعرفني ياأخي حينما جئت اليك في المصبغة ، فاتهمتني بأنني لص أحاول سرقة الاقمشة منها ، وضربتني حتى كدت تقتلني ، ثم هددتني بضرب عنقي ان عدت الى المصبغة بعد ذلك ؟

فتظاهر أبو قير بالدهشة الشديدة ، وقال له : ماهذا الذي تقوله يا اخي ؟ . . هل انت قد جننت ؟ . . كيف تقوى يدي على ضربك وانت أعز علي من نفسي ؟ . . ثم اخذ ابو قير

يحلف اغلظ الايمان مؤكدا انه لم يره منذ تركه مريضا فى الخان ، وانه ظل يبحث عنه بعد ذلك حتى يئس من العثور عليه . واتبع ذلك بأن اخذ يبكى وهو يعانقه ويقبله قائلا : ان هذا اليوم عندى احسن من كل عيد

ولم يجد أبو صير بعد ذلك بدا من مبادلة ابى قير العناق والتقبيل ، ثم اخذه واجلسه بجانبه ، حيث بالغ فى اكرامه وروى له ماجرى له من اوله الى آخره . ثم أدخله الحمام وأوصى المماليك بخدمته كما يخدمون الملك وزيادة ، وبعد ذلك ودعه بأحسن مما استقبله به ، ومشى معه حتى خرج من الحمام وركب مع مماليكه راجعا الى قصره ، بعد أن اتفقا على التزاور لتجديد الود وتأكيد المحبة من حين الى حين

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التاسعة والعشرون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ، أن أباقير ظل يتردد بعد ذلك على ابى صير ، حيث يدخل الحمام ، ويلقى كل اكرام ويتظاهر خلال ذلك بالاخلاص التام ، بينما هو حاقد عليه ، ويتمنى زوال كل نعمة لديه ، حتى لايبقى منها شىء فى يديه !

وفى يوم من الايام ، قال ابو قير لابى صير وهو يزوره فى الحمام : اننى اهنئك يا اخى من كل قلبى على مابلغته فى صناعتك من النجاح العظيم ، ولكنى لا اخفى عليك أن الحمام مازال ينقصه شىء خطير لابد من وجوده فيه لكى يكون كاملا من جميع الوجوه . فقال له أبو صير : ماهذا الشىء يا أخى ؟ فقال له : هو الدواء الذى يزيل الشعر بسهولة . وانت تعرف هذا الدواء الذى يستعمل فى حمامات مصر ، ويصنع من

الزرنيخ والجير . ولذلك انصحك بعمل هذا الدواء فورا ، ومتى جاء الملك الى الحمام ، فقدمه له ليكون أول من يجربه ولاشك فى أنه سوف يغتبط بنتيجة استعمال هذا الدواء كل الاغتباط ، فتزداد مكانتك عنده ، ويجزيك احسن الجزاء .

فقال له ابو صير : شكرا لك يا اخى على هـذه النصيحة الثمينة ، وساعمل بها فى اقرب وقت ممكن ، ويكون الملك أول من يجرب هذا الدواء ان شاء الله

وماكاد ابو قير ينصرف من الحمام بعد ذلك حتى توجه الى قصر الملك مسرعا ، وطلب مقابلته فى خلوة لأمر خطير خاص . ولما تمت المقابلة قال للملك : اننى ما جئت الآن لمقابلة مولانا الملك الا لأمر عظيم ، وخطر جسيم رأيت من واجبى ان انبهك اليه ، لكى ادلل على انى احفظ الجميل ، ولا اتاخر عن التضحية بكل عزيز فى سبيل انقاذ حياتك الغالية

فقال له الملك : ماهذا الخطر الذى يهدد حياتى ؟ فقال ابو قير : اعلم يا مولاى ان الرجل الذى انشأ الحمام بمساعدتك له فى المدينة ، كان زميلا لى فى الأسر عند ملك المجوس . وقد اتفق معه هذا الملك على أن يحضر الى مدينتك ويحتال لقتلك انتقاما للهزائم المتلاحقة التى انزلتها بجيوشـــه . وبناء على هذا الاتفاق حضر ذلك الرجل الى هنا واقنعك بانشاء الحمام ، وجعلك تتردد عليه وأنت مطمئن مسرور ، الى أن تحين الفرصة لتنفيذ المؤامرة الغادرة ، وقد علمت يامولاى أن موعد التنفيذ لم يبق عليه الا يوم أو يومان ، وقد اعد أبو صير صاحب الحمام وجاسوس ملك المجوس سما قاتلا على هيئة دهان يعتزم تقديمه لك باعتبار انه دواء لازالة الشعر من الجسم بسهولة ، كما يعتزم تقديمه للأمراء والوزراء والقواد والعلماء ، فلا تمضى أيام بعد ذلك حتى يتم له ما أراد ـــ لاقدر الله ـــ ويكون فى خلال ذلك قد هرب ورجع الى ملك المجوس ليبشره بنجاح حيلته !

فلما سمع الملك كلام أبى قير ، أخذه العجب والخوف ، وقال له : لكنى أكرمت هذا الرجل كل الاكرام ، فأنشأت له ذلك الحمام ، وهو يربح منه اموالا طائلة ، ما أظن أن ملك المجوس يعطيه مثلها ، أو يجعل له مكانة فى مملكته مثل المكانة التى له عندنا . فكيف يرضى ان يقوم بهذه المؤامرة الدنيئة ويحرم نفسه من النعمة العظيمة التى هو فيها . هذا الى أننى عاشرته واختبرت أخلاقه فوجدته رجلا طيب القلب كريم الاخلاق لايعرف المكر والغدر ، بل يحرص على تقوى الله ويحسن معاملة الناس جميعا !

فقال له أبو قير : اننى أعرف به يامولاى ، والواقع أنه اخبث من ابليس ، لكنه يتظاهر بالطيبة والاخلاص لكى ينال غرضه . ولابد له من تنفيذ تلك المؤامرة لان أولاده وزوجته مازالوا أسرى عند ملك المجوس ، ولاسبيل الى انقاذهم الا بقتلك واكابر مملكتك أرضاء لذلك الملعون ، اما المكاسب التى تأتيه من الحمام هنا فلا حاجة له بها بعد أن جمع ثروة كبيرة لاخذها معه بعد تنفيذ مؤامرته ، فضلا عما وعده به ملك المجوس من مكافأة عظيمة أخرى هى جعله وزيره الاكبر ، ثم اقتسام مملكتك معه بعد غزوها والاستيلاء عليها بسهولة متى نجحت المؤامرة !

فقال الملك لابى قير الصباغ : جزاك الله عنا خيرا ، وسوف لاننسى لك ابدا اخلاصك ومروءتك . ولكن يجب أن يكون الأمر سرا بيننا الى ان اذهب بنفسى الى الحمام واقطع الشك باليقين . ومتى قدم لى ابو صير ذلك الدواء الذى وضع فيه السم ، فلن أستعمله ، بل أقبض على ذلك الجاسوس الخبيث وأقتله شر قتلة ، ثم امثل بجثته ليكون عبرة لكل من تحدثه نفسه بالغدر والخيانة !

وقام الملك على أثر ذلك ، وتوجه الى الحمام ومعه بعض أعوانه ، فلما وصل الى هناك ، سارع ابو صير الى استقباله بكل اجلال وترحيب كعادته ، ثم اخلى له ولمن معه مقاصيرهم

الفخمة بالحمام ، وتولى بنفسه خدمة الملك وتدليكه وتكبيسه وتبخيره . وكان الملك يراقبه خلسة خلال ذلك فلا يجد فى حركاته وتصرفاته واقواله الا مايدل على الاخلاص والوفاء ، ولم يزل كذلك حتى كاد ينتهى من الاستحمام ، فقال الملك لنفسه : الحمد لله على براءة هذا الرجل الطيب مما نسبه اليه ابو قير الصباغ !

وفيما هو يفكر فيما عسى أن يكون الداعى الى ذلك الاتهام الخطير ، اذا بأبى صير يقدم له علبة جميلة الصنع فيها مسحوق غريب الشكل ويقول له : هذا يا مولانا دواء عجيب الأثر ، يكفى دهن الجسم به لازالة كل مافيه من شعر لا لزوم له ، فيصبح الجلد أملس ناعما كالحرير . فلما سمع الملك كلامه ، ورأى شكل ذلك المسحوق ، وشم له رائحة كريهة ، تجهم وجهه وتملكه الغضب الشديد ، اذ تحقق صحة المؤامرة التى أخبره بها أبو قير ، فقال لأبى صير محاولا أن يكتم غيظه وغضبه : هل اعطيت احدا قبلى هذا الدواء ؟. فقال أبو صير : لم أعط احدا شيئا منه بعد ، لانى رايت ان يكون مولاى اول من ينتفع به

فصاح به الملك فجاة : اخسأ ايها الجاسوس الملعون ، اهذا جزاء ماقدمنا لك من معروف واحسان ؟! .. ثم صاح بأعوانه قائلا لهم وهو يشير الى ابى صير : اقبضوا على هذا الخائن ، وخذوه الى الديوان لمحاكمته والاقتصاص منه . ثم سارع الملك الى ارتداء ملابسه ، وغادر الحمام مع اعوانه قاصدا الى الديوان ، وابو صير معهم مقبوضا عليه ، وقد اذهلته المفاجأة وتملكته الحيرة وانعقد لسانه من الرعب والفزع لغضب الملك عليه من غير سبب يعرفه

وكان الاهالى فى الطريق يتساءلون فى دهشة عما دعا الى غضب الملك فجاة على أبى صير ، وبكى كثير منهم شفقة عليه وخوفا على حياته ، لانه كان محبوبا لدى كل من عرفوه !

وما وصل الملك الى الديوان ، حتى امر باحضار ابى صير

بين يديه ، وسأله : هل صنعت هذا الدواء ؟. فقال ابو صير : نعم أنا الذى صنعته . فسأله : هل صنعته لكى استعمله انا واكابر مملكتى ؟. فقال : نعم يامولاى . واخيرا سأله الملك : كيف صنعته ولماذا كانت له رائحة كريهة ؟. فظن ابو صير ان غضب الملك يرجع الى تلك الرائحة واجاب قائلا : الواقع يامولاى اننى أخطأت بعدم التفكير فيما يذهب هذه الرائحة ، ولكنى معذور لاننى صنعته كما يصنع فى بلادنا من الزرنيخ والجير ، ولو أننى قدرت انك ستغضب وتنفر من هذه الرائحة ، ماقدمته لك الا بعد تخليصه منها !

فلما سمع الملك كلامه ، ابتسم ساخرا منه وقال له : الحمد لله الذى جعل تلك الرائحة الكريهة تنم على غدرك وخيانتك !. ثم التفت الملك الى اعوانه وصاح بهم : أحضروا القبطان فورا ، فلما حضر القبطان قال له الملك وهو يشير الى ابى صير : هذا الخبيث كان يريد قتلنا بالزرنيخ والجير ويجب أن يكون جزاؤه من جنس عمله . ولهذا آمرك بأن تضعه الآن فى كيس كبير متين ، وتضع معه فيه قنطارين من الجير الحى ، ثم تلقى الكيس بما فيه فى ماء النهر ، ليموت هذا الخائن غريقا محروقا فى وقت واحد !

فقال القبطان : سمعا وطاعة . واخذ ابا صير وهو ما زال مقيدا لكى ينفذ فيه الحكم

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثلاثون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الثلاثون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن القبطان لما رأى ابا صير مقيدا بين يدى الملك ، وسمع الحكم باعدامه غرقا وحرقا بتلك الطريقة القاسية ، تملكه العجب والحزن ، لعلمه بأنه رجل طيب كريم الاخلاق لايمكن أن يقدم على خيانة أواى عمل يجعله مستحقا

لذلك العقاب الصارم ، ولما اخذه الى البحر ليلقيه فيه تنفيذا لامر الملك ، قال له أبو صير : انني مظلوم ولا أعرف لى ذنبا يوجب حكم الملك على بالغرق والحرق فى وقت واحد. فقال له القبطان : هذا ما أعتقده ، وقد عزمت على انقاذ حياتك من هذا المصير الفظيع ، وسآتيك بملابس صياد سمك لترتديها وتعمل صيادا فى هذه المنطقة الى أن يحين موعد سفرى فى البحر فآخذك فى سفينتى وارجعك الى بلادك . فشكره ابو صير على حسن صنيعه معه . ثم ارتدى الملابس التى احضرها وحمل شبكة الصيد على كتفه ، ومضى فى سبيله وهو يكرر الشكر للقبطان

ولما رجع القبطان الى الملك فى قصره ، وجده جالسا بين الأمراء والوزراء وقواد الجيش وهو فى حالة غم عظيم ، وكلهم مطرقون مثله وقد خيم السكون والوجوم على الجميع . فاخذ مجلسه بينهم . ثم سأل الجالس الى جواره عن سبب غم الملك وحزنه ، فعلم منه أن الملك توجه الى شرفة القصر المطلة على البحر لكى يمتع عينيه بمشاهدة ابى صير عند القائه فى الماء جزاء خيانته ، وفيما هو يشير بيده ، سقط منها خاتمه المرصود ووقع فى البحر . فقال القبطان : لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم . ان الملك يحق له أن يحزن على فقد هذا الخاتم لانه سبب انتصاراته على جميع اعدائه وخصومه ، وكان انفع له من جيش عظيم ، اذ أن فيه سحرا قديما مرصودا على هيئة شعاع يخرج من فصه ، وكان يكفى توجيه هذا الشعاع الى اى انسان يريد الملك قتله فيصرعه فورا

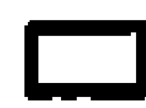
ثم قام القبطان ووقف بين يدى الملك وقال له : هل يأذن لى مولاى فى البحث عن الخاتم المرصود المفقود فى البحر بواسطة الغواصين والبحارة ؟ . فلما سمع الملك كلامه رفع راسه وقال له : لافائدة من البحث عن الخاتم ، لانى رايته عند سقوطه فى البحر وتحققت انه لم يقع فى الماء بل تلقفته

سمكة كبيرة كانت ظاهرة قرب الشاطيء حينذاك ، ثم انطلقت به الى عرض البحر ! . فتعجب القبطان والحاضرون من ذلك ثم اخذوا يعزون الملك ويحاولون الترفيه عنه ، فقال لهم : يظهر والله أعلم ان ذلك الرجل الذى امرت بقتله وحرقه لم يكن يستحق ذلك العقاب ، وان فقد الخاتم كان عقابا لى على الانتقام منه بتلك الطريقة القاسية

ولم يستطع الملك مواصلة الجلوس فى الديوان بعد ذلك ، ففض المجلس ، واعتكف طول يومه ملازما فراشه بالقصر ، وفكره مشغول بفقد خاتمه المرصود ، الذى طالما استعمله فى التخلص من الاعداء ، وبقتل ابى صير المسكين بالطريقة التى أوصى بها القبطان

وما كاد القبطان يغادر قصر الملك ويرجع الى بيته حتى وجد أباصير واقفا فى انتظاره على باب البيت وهو فى ملابس الصيادين . فقال له : ماالذى جاء بك الى هنا الآن ؟. فقال له ابو صـــير : انني جئت لامرين ، اما احدهما فهو انى اصطدت كمية كبيرة من السمك الفاخر فرأيت أن أهديها اليك ردا لبعض جميلك ومعروفك معي . وأما الامر الآخر — وهو الأهم — فهو أني ارتكبت جريمة من حيث لا اشعر ، وقد ذهب ضحيتها مملوكان بريئان ، فجئت استشيرك فيما اصنع !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية والثلاثون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن القبطان لما سمع كلام ابى صير المزين تعجب غاية العجب ، وقال له : اما هدية السمك التى جئت بها فقد قبلتها واشكرك عليها ، ويسرني أن تقبل دعوتى الى تناول الطعام معى . واما الجريمة التى

ذكرت لى انك ارتكبتها وانت لاتشعر ، فأمرها عجيب ، وارجو أن تروى لى حكايتها بالتفصيل بعد أن ندخل البيت وتغير ملابسك . وثق بأنه لاخوف عليك مادمت فى بيتى وحمايتى

فشكره ابو صير ، ودعا الله أن يجزل ثوابه ومكافأته على احسانه اليه . ثم دخل معه البيت حيث بدل ملابسه ، وجلس يروى له تفصيل تلك الجريمة العجيبة فقال : اننى بعد ان حملت شبكة الصيد ومشيت على شاطىء البحر ، قادتنى قدماى الى الموضع الذى يطل عليه قصر الملك ، وهناك القيت الشبكة فى الماء ، وماكدت اسحبها بعد قليل ، حتى وجدتها قد امتلأت سمكا من افخر الانواع ، وفيما انا اخرج السمك من الشبكة واضعه فى القفة التى اتيت به فيها الى هنا ، وجدت شيئا يلمع فى فم سمكة كبيرة ، واخذتنى الدهشة حينما تحققت انه خاتم ثمين عليه نقوش غريبة ، ويشـــع من فصه بريق قوى يأخذ الابصار ، فجعلته فى اصبعى وفى نيتى ان اهديه اليك مع السمك . ولم تمض لحظات حتى فوجئت باثنين من مماليك السلطان ، حاولا اخذ السمك الذى معى غصبا ، فمددت يدى التى بها الخاتم لادفعهما بعيدا ، وماكاد الشعاع المنبعث من فص الخاتم يتجه اليهما حتى فوجئت بوقوعهما صريعين . ولما تحققت موتهما ، خشيت على حياتى ، واسرعت الى هنا لكى أحتمى بك واقص عليك ماحدث

فلما سمع القبطان ذلك ، ظهر السرور فى وجهه ، وقال له : اعلم أن هذا الخاتم الذى وجدته فى فم السمكة هو الخاتم المرصود الذى كان الملك يتخلص به من أعدائه ، وقد سقط من يده فى البحر ، وشـــاهد السمكة وهى تتلقفه بفمها وتمضى به الى عرض البحر ، فاغتم لذلك غما شديدا ، واعتكف فى فراشه لشدة حزنه على ضياع الخاتم منه

فقال ابو صير للقبطان : مادام الامر كذلك ، فخذ الخاتم

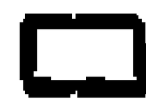
واذهب به الى الملك . ثم خلع الخاتم واعطاه اياه . فأخذه القبطان ، وترك ابا صير في بيته ، وتوجه مسرعا الى قصر الملك حيث طلب مقابلته فورا لامر عاجل خطير ، والح فى طلب المقابلة برغم الامر الذى كان الملك قد اصدره بعدم مقابلة أى أحد . فلما علم الملك بذلك تملكه القلق والخوف وحدثته نفسه بأن القبطان ما الح فى طلب مقابلته هكذا الا لهجوم وقع من الاعداء على المملكة ، وتذكر فقد خاتمه المرصود الذى كان يغلب به اعداءه فى مثل هذه الحالة ، فانهمر الدمع من عينيه ، حتى بلل لحيته وخديه . ثم أذن للقبطان فى الدخول عليه ، للوقوف على ماالديه . فلما وقف القبطان بين يديه ، سأله الملك : ماذا جاء بك ايها القبطان ، واى الاعداء ياترى قد هجم على المملكة الآن ؟. فقال له القبطان : لم يهجم احد على المملكة يامولاى ، ولكنى أتيت ببشرى عظيمة لا مثيل لها . فقال الملك : ماهذه البشرى ؟. فأخرج القبطان الخاتم المرصود من جيبه واعطاه للملك قائلا : هل هناك بشرى فى الوجود اعظم من إسترداد الخاتم المرصود المفقود ؟

ولم يصدق الملك عينيه اول الامر ، ولكنه مالبث أن تحقق رجوع الخاتم اليه ، ووجوده فى يديه . فكادت الدهشة تخرج عقله من راسه ، وصار ينظر الى الخاتم مرة والى القبطان مرة ، وهو يضحك ويبكى فى وقت واحد . ولم يزل كذلك وقتا غير قصير . ثم عانق القبطان وقال له : لو انني أعطيتك نصف المملكة مكافأة لك على اعادة هـذا الخاتم ماوفيت حقك . ولكن اخبرنى كيف تمكنت من استرداده وقد رأيت بعينى تلك السمكة التى ابتلعته وهربت به الى عرض البحر ؟. فقص عليه القبطان قصة ابى صير من أولها الى آخرها ، ثم قال له : لولا انه رجل طيب مظلوم ، ماكتب الله خلاصه من القتل على يدى . ولو انه كان خائنا لمولاى لابقى الخاتم المرصود لنفسه بعد عثوره عليه فى فم تلك

السمكة التي اصطادها ، اذ انه بواسطة هذا الخاتم كان يستطيع ان يقتل كل من يريد قتله فى لحظة واحدة كما حدث مع المملوكين اللذين حاولا اغتصاب السمك منه

فتعجب الملك من ذلك غاية العجب ، وامر باحضار ابى صير اليه فورا من بيت القبطان

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية والثلاثون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ، ان أباصير تملكه الخوف والفزع لما فوجىء بحضور جنود الملك لاخذه اليه من بيت القبطان ، اذ حسب ان الملك يريد تنفيذ حكمه عليه بالقتل حرقا وغرقا ، كما حسب أن الملك امر بقتل القبطان لعدم تنفيذه ذلك الحكم . وقد جزع على القبطان أكثر من جزعه على نفسه . ولكنه ماكاد يدخل على الملك حتى اخذته الدهشة ، اذ وجد القبطان جالسا يضحك معه ، وقام الملك واستقبله بالعناق والترحيب قائلا له : لاتؤاخذنا ايها الرجل الطيب على مافعلناه معك ، فلو أنك كنت خائنا ماارددت الينا الخاتم المرصود ، وهو وحده يساوى عدة ممالك !

ثم ارسل الملك بعض أعوانه فأحضروا ابا قير مقبوضا عليه ، واثبت التحقيق معه انه كان كاذبا فيما ادعاه على أبى صير . كما شهد بواب الخان وعمال المصبغة والحمام بما أيد اقوال ابى صير ضده . واثبتت تجربة الدواء الذى زعم وجود السم فيه انه خال من السم ، وليس فيه مايضر الجسم ، بل هو يزيل الشعر منه بسهولة كما قال ابو صير وعلى هذا أمر الملك بأن يقتل ابو قير بالطريقة التى كان ابوصير سيقتل بها ، على أن يطاف به قبل ذلك فى انحاء المدينة لفرجة الناس عليه وفضيحته بينهم

فلما سمع ابو صير ذلك ، انهمرت الدموع من عينيه حزنا على زميله الخائن الحقود ، وقال للملك : انني سامحته يامولاى فقال له الملك : لكنى لايمكن أسامح امثاله . ولابد من انزال هذا العقاب به ليكون عبرة لسواه

وبعد ان نفذ حكم الملك فى ابى قير ، صودرت ممتلكاته وأمواله كلها ، وأضيفت الى ممتلكات ابى صير ، واراد الملك ان يكافئه بعد هذا بجعله وزيرا أكبر عنده . فشكره أبو صير وابدى رغبته فى العودة الى الاسكندرية ليقضى مابقى من حياته بين أهله ومعارفه . فقال له الملك : انت وماتشاء . وأمر باعطائه ثمن ممتلكاته كلها ، وأن تهدى اليه سفينة كبيرة مشحونة بالخيرات لكى يسافر فيها الى بلده . ثم خرج بنفسه لتوديعه حتى اقلعت به السفينة . وكذلك فعل القبطان وكل اكابر المملكة

وفيما كانت السفينة بالبحر ، راى بعض البحارة كيسا كبيرا تتقاذفه الامواج ، فأخرجوه من الماء . وفتحوه فاذا به جثة ابى قير . فلما علم بذلك ابو صير أمر بحفظها وحملها فى السفينة ، حيث دفنها فى الاسكندرية بالقرب من شاطئها وبنى عليها قبة كبيرة ، كما انشأ بجانبها مزارا كبيرا ومضيفة للغرباء أوقف عليها عدة أوقاف . وكتب على جدران القبة هذه الابيات :

المرء يعـــــرف فى الانام بفعـــله
وفضـــائل الحر الـــكريم كعقله
فتجنب الفحشـــاء لا تنطق بهـــا
ســــيان فى جد الـكلام وهزله
فى الجو مكتـــوب على صـحف الهوا
من يفعل المعروف يجـــز بمثـــله

اياك تطلب سـكرا من حنظل
فالشيء يرجع فى المذاق لاصـله

ولم يزل ابو صير بعد ذلك مقيما بالاسكندرية ، وهو يواصل التعبد لله ، ويوزع الخيرات على ذوى قرباه ،ويتصدق على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، الى أن توفاه الله ، فدفن حسب وصيته الى جوار صديقه ابى قير . ومازال ذلك المكان معروفا باسميهما حتى الآن . فسبحان من له الدوام ، وبارادته تجرى الليالى والأيام

عبد الله البرى وعبد الله البحرى

قال الملك شهريار لزوجته شهر زاد : ان حكاية أبى قير وابى صير ، فيها موعظة وعبرة لكل كبير وصغير . وانها لجديرة لذلك بأن تكتب وتحفظ وتروى . فقالت له : ماذا تقول اذن يا مولاى لو أنك سمعت حكاية عبد الله البرى وعبد الله البحرى ؟ فقال لها : وما حكايتهما ؟. فقالت : يحكى أيها الملك السعيد ان صيادا فقيرا كثير العيال اسمه عبد الله ، كان من عادته ان يذهب الى البحر بشبكته كل يوم ، ثم يلقيها فى الماء سبع مرات . ويأخذ ما يخرج فيها من السمك الى السوق حيث يبيعه ويشــــترى بثمنه ما يلزم لاولاده التسعة وزوجته من طعام وغيره

وفى يوم من الايام ، استيقظ الصياد عند الفجر ، وصلاه حاضرا ، وفيما هو يستعد للخروج بشبكته الى البحــر كعادته ، جاءت اليه بنته الكبرى فبشرته بأن أمها انجبت له مولودا جديدا ذكرا ، وطلبت منه ان يعجل بالرجوع الى البيت بالطعام وبما يلزم للمولود الجــــديد وامه من الملابس والاغطية وغيرها . فقال لها : كل شىء باذن الله ، وعسى أن يكون رزق المولود الجديد واسعا ، ويكون قدومه فاتحة خير لنا جميعا . ثم غادر البيت مسرعا ، ولما بلغ شاطىء البحر ، ألقى شبكته فى الماء وهو يقول : على بركة الله تعالى وبخت المولود الجديد . ثم صبر عليها مدة كافية وسحبها من الماء ، فلم يجد فيها سمكة واحدة ، بل وجدها قد امتلأت حجارة وأعشابا . فتكدر من ذلك الامر كثيرا ،

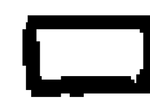
وقال : لا حول ولا قوة الا بالله . ثم خلص الشبكة من تلك الحجارة والاعشاب ، والقاها فى البحر وهو يقول : على بركة الله وبخت المولود الجديد . وصبر عليها مدة اطول ، ثم أخذ فى سحبها وقلبه يخفق بالآمال لانه وجدها ثقيلة . لكنه بعد ان اتم اخراجها من الماء لم يجد فيها غير حجارة وقوارير مكسورة . فاشتد كدره وغضبه . ثم انتقل الى مكان آخر والقى الشبكة فيه وهو يدعو الله أن يعوضه خيرا مما فاته فى المرتين السابقتين . لكنه سرعان ما تبين بعد سحب الشبكة من الماء ان حظه فى هذه المرة ادعى الى الاسى والاسف . وهكذا كان شانه فى المرات الاربع الباقية وانقضى اكثر النهار وهو لم يحصل على شىء من السمك . فلم يجد بدا من الركون الى اليأس ، وحمل شبكته على كتفه ، واخذ طريقه راجعا الى بيته مهموما مشغول البال ، لا يدرى كيف يحصل على ما يقيت به زوجته وعيالهما الذين بلغ عددهم عشرة بالمولود الجديد

ولم يزل سائرا حائرا ، ويحدث نفسه قائلا : هل هذا المولود خلقه الله من غير رزق ؟ كلا ! ان هذا لا يكون ابدا ، لان الذى شق الاشداق ، تكفل لها بالارزاق ، ولما وصل فى طريقه الى الفرن الذى تعود شراء الخبز منه كل يوم ، وجد الناس حوله فى زحام شديد . لان الغلاء كان فاشيا فى ذلك الحين ، والمال قليل فى ايدى الناس ، وكلهم يشكون قلة المؤونة . وكان الخباز وعماله يظهرون الضيق بالمزدحمين ويزجرونهم زجرا شديدا طالبين منهم السكوت . بينما يأخذون ثمن الخبز المطلوب من كل منهم مقدما . فقال الصياد لنفسه : اذا كان هذا حال من يشترون الخبز بالنقد ، فكيف يكون حالى ان طلبت خبزا على ان ادفع ثمنه فيما بعد ؟ وترامت الى انفه رائحة الخبز الساخن ، فشعر بالجوع وتذكر حال زوجته الوالدة الضعيفة وأولاده الذين ينتظرون عودته اليهم بالطعام ،

فانهمرت الدموع من عينيه ، ووقف فى آخر الصفوف مطرقا حائرا لا يدرى ما يفعل

وحانت من الخباز التفاتة الى الجهة التى وقف فيها الصياد المسكين ، فعرفه بالشبكة التى على كتفه ، وادرك انه فى حاجة الى خبز وليس معه فلوس . فأشفق عليه ، وتوجه اليه حاملا عددا كبيرا من الارغفة ، ثم اعطاه اياها وقال له : لا تيأس من رحمة الله يا صياد ، خذ هـــذا الخبز لعيالك ، وهذه عشرة دراهم ايضا لكى تشترى ما يحتاج اليه البيت من اللحم والخضروات وغيرها !

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثالثة والثلاثون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ، ان الصياد لم يستطع ان يمسك دموعه لشدة تأثره من عطف الخباز عليه ورثائه لحالته . ثم شكره على ذلك ، وعرض عليه ان يأخذ الشبكة رهنا عنده حتى يسدد الدين الذى عليه . فرفض الخباز ذلك بأباء وشمم ، وقال له : كيف آخذ شبكتك وهى اداة رزقك ؟. لا تقل هذا الكلام يا رجل ، وامض الى اهلك بما يحتاجون اليه من طعام . واذا احتجت الى خبز او دراهم فى اى يوم فانا على استعداد لاعطائك كل ما تريد . فكرر الصياد شكره وانصرف

ولما دخل بالخبز والطعام على زوجته واولاده ، وجدهم يبكون من شدة الجوع ، ولكن بكاءهم انقطع عند رؤيته ، وبعد ان اكلوا وشبعوا جميعا ، حمدوا الله على ما اعطاهم ، وامضوا ليلتهم على ما يرام . وفى صباح اليوم التالى ، خرج الصياد بشبكته الى البحر ، وهو يدعو الله قائلا : اللهم ارزقنى بما يبيض وجهى امام الخباز ، ولا تحكم على

عيالى بالبكاء من الجوع والحرمان ، فانك انت الكريم الحنان المنان . ولكن حظه فى هذا اليوم لم يكن احسن من حظه فى اليوم السابق . وخجل من ان يراه الخباز عندمروره عليه وهو فى طريقه الى البيت ، فلما اقترب من محله ، تعمد الاسراع فى سيره محاولا الاختفاء بين جماهير المزدحمين هناك . ولكن الخباز لمحه خلال ذلك فناداه ، ورحب به قائلا : هل نسيت ماقلته لك امس ؟. اياك أن تتأخر عن الحضور الى هنا كل يوم . ثم اعطاه شيئا كثيرا من الخبز ، وعشرة دراهم لشراء اللحم والخضر والفاكهة . ولما اراد الصياد ان يشكره ، اسكته قائلا : لا شكر على واجب

ولم يزل الصياد والخباز على هذه الحال اربعين يوما ، وفى اليوم الحادى والاربعين قال الصياد لزوجته : يظهر ان رزقى انقطع من البحر ، ولهذا لا ارى فائدة فى خروجى الى البحر اليوم ، ما دمت سأرجع من غير صيد كما حدث فى الاربعين يوما السابقة . وقد طال صبر الخباز على كل هذه المدة ، ولم اعد استطيع ان اظهر امامه . فقالت له زوجته : هل وجدت منه ما يدل على غضبه او عزمه على عدم اقراضك ؟ فقال لها : كلا ، بل هو فى كل يوم يزداد ترحيبا بى ، ويفضلنى على المزدحمين امامه من طلاب شراء الخبز بالنقد . وهذا ما يجعلنى اذوب خجلا منه . فقالت له : لولا انه رجل طيب ما فعل هذا معك . والراى عندى أن تذهب بشبكتك الى البحر اليوم لترميها على بخته فى الماء ، وكل ما يخرج فيها من السمك ان شاء الله تعالى ، لا تذهب به الى السوق لبيعه ، بل اذهب به الى ذلك الخباز وقدمه هدية له . فقال لها : سأفعل ما تشيرين به ، ويفعل الله ما يشاء

ولما هم الصياد باخراج شبكته من الماء بعد ان القاها فيه اول مرة فى هذا اليوم ، وجدها ثقيلة جدا ، فخفق قلبه فرحا ، وقال لنفسه : يظهر ان رزق الخباز كثير . غير أن



« ولما دخل بالخبز والطعام على زوجته واولاده ،
وجدهم يبكون من شدة الجوع »

ثقلها لم يكن لامتلائها بالسمك كما ظن لاول وهلة، بل كان بسبب وجود جثة حمار فيها !

وامضى الصياد اكثر من ساعة حتى استطاع تخليص خيوط شبكته من جثة الحمار العفنة الكريهة الرائحة ، وبعد ان أصلح الخيوط التالفة ، وغسل الشبكة مرارا لازالة ما علق بها من آثار تلك الرائحة ، انتقل الى مكان بعيد ، والقى الشبكة فى الماء وهو يدعو الله قائلا : يارب اسألك ان ترزقنى من فضلك واحسانك ولو بسمكة واحدة كبيرة اقدمها هدية للخباز . ولما أراد جذب الشبكة بعد ذلك وجدها ثقيلة ايضا ، فدعا الله قائلا : اللهم لا اسألك رد القضاء ولكن اسألك اللطف فيه . واخذ قلبه يخفق بشدة خشية ان يجد فى الشبكة جثة حمار آخر !

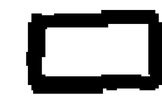
ولما اتم اخراج الشبكة من الماء ، فوجىء بوجود آدمى فيها ، ورآه يحرك رأسه وينظر اليه ، ثم يضحك مسرورا وهو يقول له : شكرا لك ايها الصياد . فلم يسعه الا ان ترك الشبكة بما فيها على البر ، وولى هاربا ، اذ حسب ان ذلك الشخص ليس سوى عفريت مارد من الجن ، وانه كان محبوسا فى قمقم مسحور من النحاس بأمر نبى الله سليمان عليه السلام ، ثم انكسر القمقم او انفتح غطاؤه لامر ما فى تلك الساعة فانطلق منه العفريت ودخل فى الشبكة !

ولم يزل الصياد يجرى حتى ادركه التعب فوقع على الارض وهو يرتجف من شدة الرعب والفزع ، ثم اغمى عليه . فلما افاق وفتح عينيه ، اخذته الدهشة ، اذ وجد شبكته ملقاة بين يديه ، ومازال فيها ذلك الشخص الذى اصطادته من البحر . ولما هم بالنهوض محاولا الهرب مرة اخرى ، قال له ذلك الشخص : لا تخف ايها الصياد ، اننى لست عفريتا ، بل انا آدمي مثلك ، اومن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واشهد الا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله . اما سبب وجودى فى البحر وخروجى منه فى شبكتك ،

فسوف احدثك به بعد ان تخلصنى من خيوط شبكتك التى كادت تخنقنى !

فلما سمع الصياد هذا الكلام ، اطمأن قلبه ، وزال عنه الخوف ، واخذ فى تخليص ذلك الشخص من خيوط الشبكة حتى اخرجه منها

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الرابعة والثلاثون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ، ان الشخص الذى اخرجه الصياد من البحر بشبكته ، شكره على ذلك كثيرا ، ثم جلس بجانبه على الشاطىء وسأله : ما اسمك ايها الصياد ؟ فأجابه اسمى عبد الله . فقال له : انا ايضا اسمى عبد الله ، ولكنك عبد الله البرى ، وانا عبد الله البحرى لانى من ابناء البحر ، واهلى كلهم يعيشون فيه ، وهم من خيرة اهله وحكامهم ، وكلنا على دين الاسلام ، ولا يمكن ان نؤذى احدا من المسلمين ولذلك لم احاول تخليص نفسى من شبكتك حين وقعت فيها اثناء سيرى فى البحر ، لانى خشيت ان اوذيك بقطعها . وما دمنا على دين واحد ، وكل منا يحمل اسم الآخر ، فلنتعاهد الآن على ان نكون صديقين . وفى كل يوم نتقابل هنا فى هذا المكان لنتبادل التحيات والاحاديث والهدايا . وسآتيك الآن بما تيسر من الخيرات الكثيرة التى عندنا فى البحر ، من لؤلؤ وياقوت وزبرجد ومرجان وغير ذلك من الجواهر الغالية . وفى غد ان شاء الله تحضر لى معك ما تيسر من الخيرات التى عندكم من البطيخ والعنب والخوخ والرمان والتين والزيتون وما اليها . على ان يكون ذلك سرا فيما بينى وبينك لا يعلم به احد غيرنا . فعاهده عبد الله البرى الصياد على ذلك . ثم نهض وحمل شبكته وودعه محاولا

الانصراف لمعاودة رمى الشبكة فى الماء ، عسى ان يصطاد سمكة فيهديها الى الخباز ، حتى لايخجل منه . ولكن صديقه عبد الله البحرى ، طلب منه ان ينتظر لحظة ريثما ينزل الى البحر ويعود اليه بهدية بسيطة . ثم تركه ونزل فى البحر حيث اختفى تحت الماء ولم يظهر له اى اثر . فقال الصياد عبد الله البرى لنفسه : الحمد لله الذى خلصنى منه على كل حال ، فما هو والله اعلم غير عفريت من الجن ، ولولا ذلك ما كان فى استطاعته ان يعيش تحت الماء !

وهم الصياد بالانصراف وهو يكرر الحمد لله على نجاته من شر ذلك الشيطان . ولكنه ما كاد يسير بضع خطوات حتى رأى عبد الله البحري يشق الماء ويخرج منه حاملا صرة كبيرة ثم اعطاه هذه الصرة وودعه مذكرا اياه بالحضور فى اليوم التالى ومعه الهدية التى طلبها ، لكى يأخذ هدية تليق بمقامه ، اكبر من الهدية البسيطة التى استطاع احضارها له على عجل . ثم عاد الى البحر واختفى ثانية تحت الماء . وفتح عبد الله البرى الصرة التي اخذها منه ، فوجدها ممتلئة بأنواع من الجواهر النادرة الثمينة ، وكاد يجن من الدهشة والفرح ، ثم وضع الصرة بما فيها تحت شبكته المطوية ، وسار قاصدا الى فرن الخباز ، فلما رآه هذا رحب به كعادته ، وترك الناس المزدحمين امامه وتوجه اليه حيث اعطاه الخبز والدراهم مثل كل يوم قائلا له : لا تحمل هما يا صياد ، ولا تحرمنا من رؤيتك ابدا . فشكره عبد الله البرى وقال له : كم بلغ ما فى ذمتى لك حتى الآن ؟ فقال له الخباز : لا داعى لهذاالسؤال ، وحينما يفتح الله عليك وتستطيع السداد نعمل الحساب !

فلما سمع الصياد كلام الخباز ، فتح الصرة التى معه وملأ يده مما فيها من الجواهر ، واعطى الخباز ذلك قائلا له : اذن خذ هذا الآن واعطنى بضعة دنانير الى ان نتحاسب . ولما رأى الخباز تلك الجواهر ، اخذه العجب ووقف يتأمل



« وحمل اليه قفة كبيرة ملأها بأنواع الفاكهة المختلفة »

فيها ذاهلا ، فقال له عبد الله البرى : هذا رزق ساقه الله الى ، ولو اعطيتك اضعافه ما وفيت حقك ، فأبق لنفسك من هذه الجواهر ما تشاء ، وبع منها ما تشاء ، واعطنى الآن بضعة دنانير لاشترى منها ما يلزم للبيت . فأعطاه الخباز قبضة من الدنانير بغير عدد ، ثم وضع الجواهر فى جيبه ورجع الى مكانه والدنيا لا تسعه من السرور .

اما عبد الله البرى ، فسار فى طريقه ، ورجع الى بيته حاملا شيئا كثيرا من اللحم والفاكهة والملابس والهدايا لزوجته واولاده . وامضوا جميعا اسعد ليلة فى حياتهم . ولما سألته زوجته من اين جاء بالمال الذى اشترى به كل هذه الاشياء ، اكتفى بأن قال لها : هذا من فضل الله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب !

وفى فجر اليوم التالى ، خرج عبد الله البرى من بيته قاصدا الى المكان الذى تواعد على اللقاء فيه مع صديقه عبد الله البحرى ، وحمل معه اليه قفة كبيرة ملأها بانواع الفاكهة المختلفة . وما كاد يصل الى ذلك المكان ، حتى خرج اليه عبد الله البحرى من الماء ، وبعد ان تبادلا التحيات واحاديث المودة ، اخذ عبد الله البحرى تلك القفة بما فيها من الفاكهة ، ثم نزل بها الى الماء فغاب قليلا ، ورجع وهو يحملها ووضعها بين يدى صديقه عبد الله البرى ، بعد ان افرغها من الفاكهة ، وملأها حتى آخرها بأنواع الجواهر والمعادن النفيسة ، وقال له : عندنا من هذا شىء كثير جدا ، وفى كل يوم تأخذ مثله ان شاء الله ، لكى تنفق منه عن سعة فيما يرضى الله ، وانا اكرر وصيتى لك بأن تبقى هذا الامر سرا فيما بينى وبينك . ثم ودعه ورجع الى البحر فاختفى تحت الماء كما كان . وحمل الصياد القفة بما فيها ، وسار قاصدا بيته ، فلما وصل فى طريقه الى محل صديقه الخباز ، وكانت الشمس قد اوشكت ان تشرق ، وجده واقفا مع اولاده وعماله يستعدون لبيع الخبز . فسلم عليه ، واعطاه

مقدارا كبيرا من الجواهر التى معه فى القفة قائلا له : خــذ هذا من أصل مافى ذمتى لك من الدين . فقال له الخباز : لا آخذ منك اى شيء يا سيدى ، لان ما اخذته منك امس يعادل ما اخذته منى الف مرة واكثر . فقال له عبد الله البرى : لاتقل هذا ياسيدى ، لان معروفك عندى لا يقدر بمال . ثم ترك له تلك الجواهر ، واخذ كفايته من الخبز وانصرف راجعا الى بيته بعد ان اشترى من السوق فى طريقه ما شاء من لحوم وفاكهة وحلوى وغيرها ، وقضوا ليلتهم جميعا فى عيد سعيد

وفى اليوم التالى ، ذهب عبد الله البرى الى البحر بقفته ممتلئة بالفاكهة ، ثم رجع بها ممتلئة بالجواهر ، ومر بصديقه الخباز فأعطاه قبضة منها . ولم يزل على هذه الحال اربعين يوما ، الى أن ملأت الجواهر حجرة كبيرة فى بيته من الارض حتى السقف . وكان يبيع بعض الفصوص الصغيرة كل يوم ويشترى بثمنها ما يريد من انواع الاطعمة والملابس لنفسه وأهل بيته ، ويتصــدق سرا على الفقراء والمســاكين . ثم اتفق انه فى احد الايام اخذ جوهرة كبيرة وتوجه بها الى شيخ تجار الجواهر فى سوق الصاغة ، وعرضها عليه ليشتريها بالثمن الذى يقدره لها . فلما وقعت عين الرجل على تلك الجوهرة الكبيرة النادرة ، وكان يهوديا مشهورا بالمكر والغدر والبخل ، اكل الحقد قلبه ، وقال لنفسه : كيف اكون شيخ تجار الجواهر فى المدينة وليس عندى مثل هذه الجوهرة التى مع هذا الصياد الفقير . ثم سأل عبد الله البرى : هل عندك جواهر اخرى غير هذه الجوهرة ؟ فأجابه : نعم عندى كثير من امثالها والحمد لله ، لكنى لا احتاج الى بيع غيرها الآن ، فكم تدفع لى ثمنا لها ؟ فقال له اليهودى لا ادفع فيها اكثر من الف دينار . فقال له عبد الله البرى : بعتها لك بهذا الثمن ، واذا اردت شراء مثلها فسوف احضر لك جوهرة اكبر منها فيما بعد ان شاء الله

فلما سمع اليهودى كلامه ، اشتد حقده عليه ، وحسده له ، ثم أخذ منه تلك الجوهرة وصاح بغلمانه قائلا لهم : اقبضوا على هذا اللص واشبعوه ضربا ، فلا شك فى أنه هو الذى سرق عقد الملكة الذى ضاع منها ، وما هذه الجوهرة الا من ذلك العقد

وتكاثر الغلمان على عبد الله البرى فأوقعوه على الارض ، ثم أوثقوه بالحبال ، وانهالوا عليه ضربا حتى أغمي عليه ٠ بينما أرسل اليهودى شيخ تجار الجواهر الى الملك رسولا خاصا أبلغه أن اللص الذى سرق عقد الملكة الضائع قد قبض عليه ومعه جوهرة منه ٠ فأمر الملك باحضار اللص والجوهرة المضبوطة معه بين يديه ، وسرعان ماقام اليهودى وغلمانه بحمل عبد الله البرى وهو ما زال فى اغمائه ، حتى وضعوه بين يدى الملك ، ثم أخرج اليهودى الجوهرة التى أخذها منه وناولها للملك ، فلما رآها تعجب من ضخامتها وجمالها ، وأرسلها الى الملكة لكى تطلع عليها وترى هل هى من حبات عقدها المفقود أم لا ٠ وأخذ الحراس والحجاب فى انعاش عبد الله البرى حتى أفاق من اغمائه ٠ فسأله الملك: من أين لك هذه الجوهرة وأنت صياد فقير ؟٠٠ فأجاب قائلا : انها من خيرات البحر وقد رزقنى الله من فضله بألوف من أمثالها ، كلها عندى فى بيتى ، وما كنت طول عمرى من اللصوص

فلما سمع اليهودى شيخ الصياغ كلام عبد الله البرى الصياد ، قال للملك : ها قد رأيت يامولاى كيف أوقعه لسانه فاعترف بجريمته من حيث لايشعر ، ذاكرا أن بيته فيه ألوف من أمثال هذه الجوهرة الثمينة النادرة التى لايقدر على اقتنائها غير الملوك ٠ والرأى عندى أن يعجل مولاى الآن باصدار الامر الى الوالى لكى يقوم بمداهمة بيت هذا اللص الحقير ، وضبط كل مافيه من المسروقات

والتفت الملك الى من حوله من الإمراء والوزراء والقواد،

مستطلعا آراءهم ، فوافقوا جميعا على ما قاله اليهودى •
فلما سمع الصياد كلامهم ، أيقن بالخراب والهلاك،وانهمرت دموعه من عينيـــه ، ثم رفع رأســـه وقال للملك : ياملك الزمان ، وصاحب العدل والاحسان•حاشا لمثلك أن تعاقب على غير ذنب • وليس يخفى على فطنتك يامولاى أنني لو كنت لصا كما يدعى ذلك اليهودى الحقود ما ذكرت أن بيتى فيه ألوف من أمثال تلك الجوهرة

فقال له الملك : لو صح ما تقوله وكانت عندك ألوف من الجواهر ،فهذا دليل على صحة اتهامك ، اذ كيف تستطيع اقتناءها وأنت صياد فقير لاتملك قوت يومك ؟

فقال عبد الله البرى : لاتنس يامولاى أن الله يرزق من يشاء بغير حساب • وما أتم كلامه حتى دخل الرسول الذى كان الملك قد أرسله بالجوهرة الى الملكة ، فقبل الارض بين يدى الملك ، ثم نهض وسلم اليـــه تلك الجوهرة قائلا : ان الملكة يامولاى قد رأت هذه الجوهرة ، وأعجبت بهـــا كل الاعجاب ، ولما سألتها : هل هى من العقد المفقود ؟• قالت: لقد وجدته بعد أن فقدته ، وحرام أن نظلم أحدا ونتهمه بسرقته وهو موجود عندى • ولكن أبلغ الملك أنى أعجبت بهذه الجوهرة النادرة وأرغب فى شرائها ، لان الجواهر التى عندى لايوجد بينها ما يضارعها فى ضخامتها وجمالها

فلما سمع الملك كلام الرسول ، تعجب غاية العجب ، وقال لليهودى شيخ الصياغ : قبحك الله ، لقد كدت توقعنا فى شر عظيم بظلم هذا الرجل البرىء المسكين • ثم طرد اليهودى من حضرته مذموما مدحورا ، وأمر بفك قيود عبدالله البرى الصياد ، وأجلسه بجانبه وقال له : لاتؤاخذنا أيها الصياد • ولكن كيف تكون عندك جواهر مثل هذه الجوهرة وترضى بأن تعيش فقيرا تشقى طول النهار فى طلب القوت لنفسك وعائلتك ؟

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الليلة الخامسة والثلاثون بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الأربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله البرى الصياد ، لما ظهرت للملك براءته من اتهام اليهودى له بسرقة الجوهرة ، فرح بذلك فرحا عظيما ، وقال للملك : ان الفضل فى براءتى يرجع الى شهادة الملكة ، ولولا هذه الشهادة الصادقة العادلة ما نجوت من خطر الخراب والهلاك ، وعلى هذا أرجو أن تتقبل يامولاى هذه الجوهرة هدية منى الى الملكة . واذا سمحت لى بالتوجه الى بيتى الآن فانى أرجع بعد ساعة ومعى قفة كبيرة ممتلئة بالجواهر لأقدمها هدية الى مولاى ، يتصرف فيها كيف يشاء

فلما سمع الملك كلام الصياد ، ضحك كثيرا ، اذ فهم من كلام الصياد أنه يسمى السمك جواهر ، وفهم على هذا الاساس أن ألوف الجواهر التى عنده فى بيته ليست سوى أنواع من السمك ، ولذلك يضعها فى قفة كما هى عادة الصيادين . ثم التفت الملك اليه وقال له : يظهر يا صياد أنك رجل طيب ظريف ، وقد أمرنا لك بألف دينار مكافأة لك على صدقك وسلامة نيتك ، وتقديرا لهديتك الجميلة . كما أمرنا لك ببغلة تركبها ، وحلة ثمينة تلبسها ، وعندما تحضر القفة لاتعطها للطباخين مباشرة ، بل احضرها عندى هنا لأتفرج على ما فيها من الجواهر التى اصطدتها بشبكتك اللطيفة

فشكره عبد الله البرى ، وانصرف من القصر راكبا البغلة بعد أن لبس الحلة الثمينة التى أمر الملك له بها . ولما وصل الى بيته ، أخبر زوجته وأولاده بما حدث . ثم ملأ قفة كبيرة بأنواع مختلفة من الجواهر النادرة ، وغطاها بالحشائش كما يغطى السمك ، ورجع بها على البغلة مسرعا الى قصر الملك . فلما دخل عليه وهو يحمل القفة فوق رأسه ، رحب به مسرورا برؤيته ، وأمره بوضع القفة بين يديه ورفع الحشائش

التى تغطيها ، لكى يتفرج على مافيها ، وقال له ملاطفا :
هيا أرنا جواهرك يا صياد الجواهر !

وما كاد عبد الله البرى يكشف عما فى القفة من جواهر حقيقية مكدسة بعضها فوق بعض ، حتى ذهل الملك ، وكاد عقله يطير من رأسه ، وأخذ يتأمل فيها ويقلبها بين يديه فاحصا متحققا ، وكلما عجب من ضخامة جوهرة وجمالها ، وجد غيرها أضخم وأجمل ، فازداد عجبا وطربا . ولما فرغ من فحصها كلها . التفت الى الصياد قائلا : ما شاء الله ياصياد ، من أين لك هذا كله ، ان خزائنى بل خزائن جميع ملوك الارض ليس فيها عشر هذه الجواهر النادرة

فقال له عبد الله البرى : ألم أقل لك يا مولاى ان بيتى فيه ألوان من هذه الجواهر ؟ . . وعلى كل حال مادامت جواهرى تعجبك ، فسوف أحضر لك منها كل يوم نصف قفة ، لأننى أحصل فى كل يوم على ملء قفة منها ، ولا يكلفنى ذلك الا شراء بعض الفاكهة بدراهم معدودة ، ثم أتوجه بها فى القفة الى البحر ، فأفرغها فيه ، وأرجع بها ممتلئة بالجواهر بدلا من الفاكهة

فقال له الملك : هل يمكن أن ارى مافى بيتك من الجواهر التى حصلت عليها بهذه الطريقة العجيبة ؟ . فقال له : نعم يا مولاى ، وانه ليسرنى حقا أن تشرف بيتى بزيارتك ، ولكنه بيت حقير لا يليق بمقام الملوك . فقال له الملك : كلا ، بل ان قصور الملوك هى التى لاتليق بمقام صيادى الجواهر ، ثم أمر باعداد موكب للخروج ، وركب ومعه عبد الله البرى ، والأمراء والوزراء والقواد من حولهما ، والمماليك والحراس من خلفهما ، الى أن وصل الموكب الى بيت الصياد . ودخل الملك معه حيث رأى الجواهر المكدسة فى الغرفة وقد ملأتها حتى سقفها . فكاد يجن من فرط دهشته ، ثم قال : سبحان الله العظيم ، سبحان الكريم المنعم الوهاب الرزاق الفتاح العليم .

والتفت الى الصياد وقال له : اسمع أيها الرجل الطيب .
ان أولاد الحرام كثيرون ، وقد رأيت بنفسك كيف حسدك
اليهودى شيخ الصياغ وكاد يرميك فى الهلاك لانه وجد
معك جوهرة واحدة . وانى لاخشى ان يطمع الناس فيما
أعطاك الله من فضله ، فيكون فى ذلك خطر على حياتك
وحياة أولادك ، ولهذا أعرض عليك ان تنتقل بأسرتك
وجواهرك الى قصرى ، حيث أجعلك وزيرا لى ، وأزوجك
ابنتى ، فيكون الملك لك من بعدى . فما قولك فى هذا ؟
فقال عبد الله البرى الصياد للملك : أمهلنى لحظة حتى
أشاور فى هذا الأمر زوجتى وأولادى . فأعجب الملك
بوفائه لاهله ، وقال له : شاورهم كما تشاء ، فتركه
عبد الله البرى يواصل الفرجة على الجواهر التى فى الغرفة ،
وتوجه الى زوجته وأولاده فأخبرهم بكل ماحدث ، وبما
عرضه الملك عليه ، فوافقوا جميعا . ورجع هو الى الملك
فأبلغه ذلك . وعلى هذا أمر الملك بنقل تلك الجواهر الى
خزائن قصره ، وأعلن فى طول المملكة وعرضها أنه عين
عبد الله البرى وزير ميمنة له ، وزوجه من ابنته ، وجعله
خليفة له من بعده . وأقيمت لذلك الافراح فى كل مكان ،
وبات عبد الله البرى ليلته هو وأسرته فى قصر الملك
ضيوفا مكرمين معززين ، وفى اليوم التالى ، أعد قصران
كبيران مثل قصر الملك بل أفخم منه : أحدهما لزوجة
عبد الله البرى الاولى وأولاده . والآخر لزوجته الجديدة ابنة
الملك . وصار هو يتردد على القصرين كلما شاء ، ويمضى ليلته
فى أيهما أراد . وفى النهار يتولى أعمال وزارة الميمنة ، فينصف
المظلومين ، ويقضى بالعدل بين المتخاصمين ، ويغمر بعطفه وبره
جميع الفقراء والمساكين . وفى صباح كل يوم يخرج وحده
الى البحر ومعه هدية عظيمة من الفاكهة لصديقه عبد الله
البحرى ، وبعد أن يمضى معه ساعة فى تبادل الاحاديث ، يرجع
ومعه شىء كثير من جواهر البحر ، فيضيفها الى الجواهر

التى فى خزائن القصر ، وينفق مما يبيعه منها فى شئونه الخاصة ، وفى الشئون العامة للمملكة ، حتى صارت بفضله من أحسن الممالك وأسعدها . ثم أرسل الى صديقه الخباز ، واتفق مع الملك على تعيينه وزير ميسرة ، وكان الخباز اسمه عبد الله ايضا . كما أن الملك أيضا اسمه عبد الله وكذلك كان اسم السبب فى سعادتهم جميعا ، وهو عبد الله البحرى . وقد سر الملك كثيرا بهذا التوافق العجيب فى اسمائهم فأصدر أمره الى جميع أفراد الرعية بأن يسمى كل منهم أول ولد يرزق به باسم عبد الله ، وبأن يصرف له راتب شهرى مدى الحياة

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة والثلاثون بعد الأربعمائة : فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الأربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن عبد الله البرى ظل على هذه الحال سنة كاملة ، عم فيهما العدل والخير أنحاء المملكة ، واشتهر أمره فى جميع الممالك ، فصار ملوكها يتقربون اليه بمختلف الهدايا ، فيهدى اليهم مايبهرهم من أنواع الجواهر التى يجلبها من البحر كل يوم .. ثم اتفق فى ذات يوم انه ذهب الى البحر حيث قابل صديقه عبد الله البحرى ، وفى خلال حديثهما جاء ذكر الحج وزيارة الروضة النبوية الشريفة . فقال له عبد الله البحرى : هنيئا لكم ياأهل البر المسلمين ، انكم تستطيعون الحصول على هذا الشرف العظيم ، فتسافرون الى هذه الاراضى الطاهرة المقدسة ، وتنعمون بجوار قبر الرسول الكريم . أما نحن أولاد البحر من المسلمين فلا نقدر على ذلك ، لاننا لايمكننا أن نعيش خارج البحر اكثر من ساعة

ثم سأل صديقه عبد الله البرى : ألم تعتزم اداء فريضة

الحج وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام ؟. فقال له : انني عزمت على الحج والزيارة فى هذا العام ان شاء الله تعالى ، وثق يا اخي بأنني لن انساك ، وسوف اذكرك هناك ، وأدعو لك بكل خير ، اعترافا بما لك عندى من الجميل ..

فقال له عبد الله البحرى : مادام الامر كذلك ، فأنا ادعوك الى زيارتى فى البحر ، حيث تقضى معى أياما تتفرج فيها على عجائبه الكثيرة التي لاتحصى ، وأزودك بمقدار كبير من الجواهر التى لها قيمة كبيرة عند أولاد البر ، وليس لها أى قيمة عند أولاد البحر ، كما أحملك أمانة تؤديها عنى حينما تصل بسلامة الله الى الروضة النبوية الشريفة ..

فقال له عبد الله البرى : انت تعلم يا اخى اننى من أولاد البر ، ولا قدرة لى على العيش تحت الماء مثلكم . فضحك عبد الله البحرى وقال له : نعم انا أعلم ذلك يا أخي ، ولكنى سأتيك قبل ذلك بدهان تدهن به جسمك فتستطيع أن تبقى تحت الماء كما تشاء . وهذا الدهان لايعرفه أحد غيرنا ، ونحن نستخرجه من كبد نوع من السمك اسمه الدندان ، حجم السمكة منه مثل حجم الفيل عشر مرات . وهو اقوى مخلوقات البحر واخطرها علينا ، وفى استطاعته أن يبتلع عشرة منا مرة واحدة

فلما سمع عبد الله البرى ذلك الوصف ، ارتجف بدنه من الخوف ، وقال لصديقه عبد الله البحرى : أخشى ان يصادفنى وانا عندكم فى البحر ذلك الدندان الذى حدثتنى عنه ، فيبتلعنى والعياذ بالله . فقال له عبد الله البحرى : لاتخف يا أخي فلن يكون عليك اى خطر من الدندان اذا صادفك فى البحر ، لانه هو نفسه لايخاف شيئا مثلما يخاف من بنى آدم ، بل نحن أولاد البحر لايمكننا التخلص منه الا بواسطة بنى آدم ، وذلك ان كل واحد منا يحرص

خلال تنقلاته تحت الماء على أن يكون معه اثر لآدمى ، فاذا صادفنا الدندان فى الطريق ، فانه ما يكاد يشم رائحة هذا الأثر حتى يركن الى الفرار ، والا قضت عليه هذه الرائحة فورا . ولذلك عندما نريد صيده لاستخراج ذلك الدهان من كبده ، نضع له طعما نأخذه من جثة غريق آدمى ، فاذا دخل الطعم فى جوفه قتله لساعته واستولينا عليه

وقبل أن يفترق الصديقان : عبد الله البرى ، وعبد الله البحرى ، اتفقا على التعجيل بهذه الزيارة ، وحددا اليوم التالى موعدا لها . فلما رجع عبد الله البرى الى قصره ، بعث بالجواهر التى جاء بها من البحر الى الخزائن . ثم أخبر الملك وأهل بيته بأنه يعتزم القيام برحلة لا يصحبه فيها أحد ، وقد يغيب فيها عنهم مدة أسبوع أو اسبوعين ، وطلب اليهم ألا يقلقوا لغيابه . وفى صباح اليوم التالى ودعهم وخرج وحده الى البحر كعادته ، فوجد صديقه عبد الله البحرى فى انتظاره ، ومعه دهان كبد الدندان ، فدهن به جسمه ، ثم نزل معه الى البحر ومشى تحت الماء ، وهو يتعجب غاية العجب لاستطاعته المشى والرؤية بسهولة تامة ، وكأنه يمشى على البر لا تحت الماء !

وفيما هو يتفرج على ماتكشف له من عجائب البحر ، سمع ضجة عظيمة ، ورأى عددا كبيرا من مخلوقات البحر المختلفة بين صغيرة وكبيرة وهى تتزاحم هاربة الى جحورها باقصى سرعتها ، والتفت الى صديقه عبد الله البحرى ليسأله عن السبب ، فقال له هذا وهو يرتجف : الحمد لله الذى ساقك الينا فى هذا الوقت ، فلولا ذلك لهلك كثير منا ، لأن هذه الضجة التى تسمعها سببها أن جماعة كبيرة من الدندان قامت بغارة مفاجئة على منطقتنا هذه . ولكنها سوف تشم رائحتك متى اقتربت من هنا ، فتهرب مسرعة ، أو تقتلها الرائحة . وقد شهدت آخر غارة لها

علينا منذ عشرين سـنة ، وكنت يومئذ مازلت صـبيا ناشئا ، ولكنى لم انس ما الحقته بنا من الأخطار والاضرار ، اذ قل من استطاع النجاة من خطرها فى ذلك الحين

وما اتم عبد الله البحرى كلامه ، حتى اشتد الموج من حولهما ، ثم ظهر بالقرب منهما حيوان عجيب الشكل كأنه جبل عظيم يسبح فى البحر ، ثم مالبث أن اضطرب واخذ يدور حول نفسه ثم سقط الى قاع البحر بلا حراك . وبعد قليل ظهر حيوان آخر مثله ولقى مثل مصرعه ، ثم ظهر حيوان ثالث لـكنه سرعان مارجع من حيث أتى وهو يطلق صرخة عظيمة ، تلتها صرخات كثيرة من حيوانات مثله ، واستمر البحر فى هياج شديد مدة من الزمان ، ثم سكن الموج وساد الهدوء انحاء البحر ، وعادت مخلوقاته المختلفة الاخرى الى الظهور خارجة من مخابئها ، واخذت ترقص ويقبل بعضها بعضا متبادلة التهنئة بالنجاة من ذلك الخطر الداهم العظيم !

وما لبث النبأ أن شاع فى مملكة البحر بأن سبب النجاة من ذلك الخطر هو وجود ضيف آدمى عند عبدالله البحرى ، ووصل النبأ الى مسامع ملك أولاد البحر المسلمين ، فأرسل الى عبد الله البحرى يدعوه وضيفه الآدمى الى زيارته فى مقر ملكه ، فلم يسعهما الا تلبية الدعوة . وهناك لقى عبد الله البرى من الملك البحرى المسلم كل ترحيب واكرام ، وامر بأن ينزل فى ضيافته أربعين يوما ، يتفرج خلالها على جميع ماتضمنته مملكته الشاسعة من عجائب لاتحصى ولا تعد ، ولا مثيل لها فى روعتها وجمالها وغرابتها

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة والثلاثون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة

السابعة والثلاثون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيهـــا الملك السعيد ، أن عبد الله البرى امضى اربعين يوما فى ضيافة ملك أولاد البحر المسلمين ، شاهد خلالها كلأنواع مخلوقات البحر ، ووقف علىطباعها وعاداتها فى أفراحها وأحزانها ، وطعامها وشرابها ، وحربها وسلمها ، وعند انتهاء الضيافة سأله الملك : هل اعجبــك مارأيت عندنا ؟ . . فقال له : لقد رأيتأكثر من ألفـمدينة، اهل كل منها لايشبهون أهل غيرها ، فضحك الملك وقال له : ان عجائب البحر ومخلوقاته شىء عظيم جدا ، وأنت مارأيت الا شيئا بسيطا منها ، لأن رؤيتها كلها تستغرق الف سنة أو أكثر . ثم أمر له بجزيرة كبيرة من الزمرد ، وأمر أعوانه بأن يقتلعوها من جذورها فى أعمــاق البحر ، وينقلوها الى الشاطىء فى مملكة عبد الله البرى ، وودعه أحسن وداع ، طالبا منه أن يذكره بخير عندما يحج الى بيت الله الحرام ، ويزور قبر المصطفى عليهالصلاة والسلام

وبعد ذلك ابى عبد الله البحرى أن يترك عبد الله البرى الا بعد أن ينزل فى ضيافته الخاصة أربعين يوما أخرى . وهناك فى بيته عرفه الى زوجته وأولاده ، وكانوا فى أول الأمر يعجبون من شكله ، ولا سيما أنه لاذيل له مثل أولاد البحر ، ويضحكون من ذلك قائلين له : هل أنت وحــدك أزعر أم الآدميون كلهم كذلك ؟. فيضـــحك لضحكهم ، ويتبسط معهم فى الحديث ، حتى اذا انتهت مدة الضيافة التى حددها عبد الله البحرى ، وهى أربعون يوما ، وحان وقت رجوع عبد الله البرى الى بلاده وأهله ، بكى أهــل صديقه كلهم بكاءشديدا ، وتعلقوا به لايريدون أنيفارقهم ابدا . فقال لهم : لاتحزنوا فانى لن انساكم ولابد منزيارتكم من حين الى حين

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الـكلام المباح

الليلة الثامنة والثلاثون بعـــد الأربعمائة : فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعـــد الأربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبدالله البرى بينما كان فى طريقه الى البر مع صديقه عبد الله البحرى ، صادفا فى طريقهما احتفالا عظيمافيه غناء ورقص وسماط كبير ممدود ، فيه من كل انواع السمك التى هى وحدها طعام أهل البحر ، فلما رآهما المحتفلون ، دعوهمـــا الى مشاركتهم فى فرحهم . وأراد عبد الله البرى أن يعتذر من عدم استطاعته قبوله هذه الدعوة ، خصوصا انه كان قد مل أكل السمك الطرى ، بعد ان ظل ثمانين يوما وهو لايتناول طعاما غيره . ولـكن عبد الله البحرى قال له : لايليق بنا أن نتخلف عن المشاركة فى هذا الاحتفال العظيم ، لانه أقيم لمناسبة وفاة كبير من أهل المحتفلين ، ولابد انك تعلم أن التقاليد تقضى بتــوديع الميت بالفرح والسرور ، كما تقضى باستقبال المولود بالبكاء والعويل !

فلما سمع عبد الله البرى ذلك ، تعجب غاية العجب ، وقال له : ان تقاليـــدنا على عكس ذلك ، فنحن نســتقبل المولود بالفرح والابتهاج ، ونودع الميت بالبكاء والنحيب ، فبدا الغضب والاسف فى وجه عبد الله البحرى ، وقال له : هل أنتم كذلك حقا ؟. انكم اذن لاتعرفون الله حق معرفته ، ولو كنتم تعرفونه ماجزعتم من لقائه !

وبعد أن امضيا بعض الوقت مع المحتفلين بموت عميدهم ، استأذنا فى الانصراف ، ولم يزل عبد الله البحرى يسير مع صديقه عبد الله البرى ، الى أن أوصله الى الشاطىء الذى جاء منه ، وهناك دله على الموضع الذى نقلت اليه جزيرة الزمرد التى أهداها اليه ملك المسلمين البحريين ، وقال له : الآن يا صديقى أودعك الى غير لقاء ، لأن نفسى لا تطمئن الى معاشرة من يفرحون بالحياة الدنيـــا الفانية ، ويبكون جزعا من لقاء الله والخلود عنده فى الحياة الآخرة الباقية .

ثم سلم الى عبد الله البرى صرة فيها ملابســـه البرية ، وتركه يرتديها على الشاطىء ، ورجع هو الى البحر حيث اختفى تحت الماء . وكان ذلك آخر مابينهما من لقاء

أما عبد الله البرى ، فرجع الى عمله وزيرا عند الملك ، وروى له ولأهل بيتـه كل ماوقع له فى رحلتــه تحت الماء من أولها الى آخرها . وبعد أن قام بالحج والزيارة ، ورجع الى المملــكة ، نقل جزيرة الزمرد شــيئا فشيئا الى مخازن خاصة أعدها لذلك . ولم يزل يبيع منهـا ومن الجواهر التى جلبها من البحر ، وينفق عن سعة على مملكته الى أن حضرته الوفاة بعد أن عمر طويلا ، فأوصى بأن يدفن عند الشاطىء الذى كان يلتقى فيه مع صــديقه عبد الله البحرى . وما زال قبره معروفا هناك حتى الآن

نعم ونعمة

الليلة التاسعة والثلاثون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغني أيها الملك السعيد أنه كان بمدينة الكوفة رجل من وجوه أهلها ، يقال له الربيع بن حاتم ، وكان كثير المال ، مرفه الحال . وقد رزق ولدا سماه « نعمة الله » فبينما هو ذات يوم فى سوق النخاسين اذ رأى جاريةتعرض للبيع ، ومعها وليدة لها بديعة الحسن ، فأشار الى النخاس الذى يبيعهما وقال له : بكم هذه الجارية وابنتها ؟ فقال النخاس : هما بخمسين دينارا . فقال له الربيع : اكتبالعقد وهذا هو الثمن لكى تسلمه لمولاها . ثم دفع له المال وفوقه أجر دلالته ، وتسلم الجارية وابنتها ، ومضى بهما الى بيته حيث سلمهما الى زوجته وهى ابنة عمه ، فقالت له : يا ابن العم ما هذه الجارية ؟ . فقال لها : اشتريتها رغبة فى هذه الصغيرة التى على يديها ، وارى أنها اذا كبرت فلن يكون فى بلاد العرب والعجم مثلها فى الجمال . فالتفتت زوجته الى الجارية وسألتها : ما اسمك واسم ابنتك ؟ . فقالت : اسمى توفيق يا سيدتى ، واسم ابنتى سعد . فقالت لها : سعدت وسعد من اشتراك . ثم قالت لزوجها : ان ولدنا اسمه نعمة فما رأيك فى ان نسمى هذه الجارية الصغيرة باسم «نعم» ؟ فقال الربيع : لابأس بذلك

ثم أن الصغيرة نعم ، تربت مع نعمة بن الربيع فى مهد واحد ، الى ان بلغا من العمر عشر سنين . وكان كل شخص

يراهما يعجب بجمالهما وادبهما وظرفهما . وكان يدعوها بقوله لها : يا أختى . وهى تدعوه بقولها له : يا أخى . ثم أقبـــل الربيـــع على ولده نعمة يوما وقال له : يا ولدى ليست نعم أختك ، بل هى جاريتك ، وقد اشتريتها لك وانت فى المهد فلا تدعها باختك من اليوم . فقال نعمة لابيه : ما دام الامر كذلك فأنا اجعلها محظيتى . فوافق والده كما وافقت والدته على ذلك !

واحب نعمة بن الربيع محظيته حبا جما ، وبادلته هى مثل هذا الحب ، ثم مضت تسع سنين وهما على هذه الحالة ، ولم يكن فى الكوفة من هى مثل نعم فى كمال حسنها وظرفها ، وقد حفظت القرآن والعلوم ، واتقنت الغناء والعزف على آلات الموسيقى . وفاقت جميع أهل عصرها فى ذلك كله

وفيما هى جالسة فى يوم من الايام مع سيدها نعمة بن الربيع وقد شربا حتى اكتفيا ، أخذت العود وشدت أوتاره ، وأنشدت هذين البيتين وهى تعزف عليه :

اذا كنت لى مولى أعيش بفضله
وسيفا به افنى رقاب النوائب
فما لى الى زيد وعمرو شـــفاعة
سواك اذا ضاقت على مذاهبى

فطرب نعمة طربا عظيما ، ثم قال لها : زيدينى من الحانك الجميلة . فعزفت وغنت هذه الابيات :

وحيـــاة من ملكت يداه قيادى
لاخالفن على الهوى حســـادى
ولاعصين عواذلى واطيعـــكم
ولاهجـــرن تلذذى ورقادى
ولاجعلن لكم باكنـــاف الحشا
قبرا ولم يشـــعر بذاك فؤادى !

فقال لها نعمة : لله درك يانعم !

وبينما هما فى أطيب عيش ، سمع الحجاج الثقفى والى

المدينة بأمرهما . فقال لنفسه : لابد أن أحتال لآخذ هذه الجارية نعم ، وارسلها الى الخليفة عبد الملك بن مروان ، فليس فى قصره مثلها فى طيب غنائها وظرفها . ثم دعا اليه بعجوز قهرمانة وقال لها : امضى الى دار الربيع بن حاتم ، واحتالى لاحضار الجارية نعم ، التى لا يوجد على وجه الارض مثلها . فقالت له العجوز : سمعا وطاعة . ثم لبست ثوبا من الصوف ولفت حول رقبتها سبحة حباتها ألوف ، واخذت فى يدها عكازا وركوة يمانية ، وسارت فى طريقها وهى تقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله اكبر ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ولم تزل فى تسبيح وابتهال ، وقلبها ملآن بالمكر والاحتيال ، حتى وصلت الى دار نعمةبن الربيع عند صلاة الظهر ، وقرعت الباب ، ففتح لها البواب ، وقال لها : ماتريدين ؟ فقالت : انا فقيرة من العابدات ، ادركتنى صلاة الظهر ، واريد ان اصلي فى هذا المكان المبارك ، فقال لها البواب : هذه دار نعمـــة بن الربيع وليست بجامع . فقالت له : ان دار نعمة بن الربيع هى أصلح مكان لقهرمانة من قصر امير المؤمنين خرجت طالبة العبادة والسياحة . فقال لها البواب : لا امكنك من ان تدخلى . وكثر بينهما الجدال ، فتعلقت به العجوز وقالت له : هل يمنع مثلى من دخول دار نعمة بن الربيع ، وانا ادخل دور الامراءوالاكابر ؟ وسمع نعمة جدالهما ، فخرج الى العجوز ، ولما رأى هيئتها رق لحالتها وسمح لها بالدخول ، ثم دخل وسارت العجوز خلفه حتى وصلا الى مجلس فيه نعم محظيته ، فسلمت عليها العجوز أحسن سلام ، وتعجبت من فرط جمالها ثم قالت لها : عوذتك بالله الذى الف بينك وبين مولاك فى الحسن والكمال ! ثم نوت الصلاة وكبرت ، ولم تزل فى قيام وقعود ، وركوع وسجود ، الى أن مضى النهار واقبل الليل فقالت لها نعم : اريحى قدميك ساعة يا أمى . فقالت العجوز ياسيدتى ، ان من طلب الآخرة اتعب نفسه فى الدنيا ، ومن

لم يتعب نفسه فى الدنيا لم ينل منازل الابرار فى الآخرة . فتركتها تصلى وتتهجد الى مابعد العشاء . ثم قدمت لها الطعام وقالت لها : كلى من طعامى وادعى ربك لى بالتوبة والرحمة . فقالت لها العجوز : لقد كنت صائمة ، وافطرت على تمرة . ومعى تمرة لسحورى . أما أنت فصبية يصلح لك الاكل والشرب والطرب والله يتوب على من يشاء من عباده . وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : « الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا »

فلما سمعت نعم كلامها ، وثقت بصلاحها وتقواها وقالت لسيدها : ليت هذه العجوز الصالحة تقيم عندنا مدة عسى أن ينفعنا صلاحها . فقال لها : أخلى لها مكانا للعبادة ، ولا تدعى احدا يدخل عليها . ولعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا

وباتت العجوز ليلتها تصلى وتقرأ الى الصباح ، ثم اقبلت على نعمة ونعم ، وصبحت عليهما وقالت لهما : استودعتكما الله . فقالت لها نعم : الى أين تمضين يا أمى ، وقد أمرنى سيدى أن أخلى لك مكانا تعتكفين فيه للعبادة ؟ فقالت لها العجوز : ابقاكما الله ، وادام نعمته عليكما . انما اريد منكما ان توصيا البواب الا يمنعنى من الدخول اليكما ، وسأنصرف الآن لزيارة بعض الاماكن الطاهرة ، وأدعو لكما عقب الصلاة والعبادة فى كل ساعة . ثم خرجت من الدار ، فبكت نعم لفراقها ، وهى لاتعلم السبب الذى أتت اليها من أجله !

وتوجهت العجوز الى الحجاج فقال لها : ما وراءك ؟ فقالت له : انى نظرت الى الجارية ، فرأيتها لم تلد النساء أحسن منها . فقال لها الحجاج : ان فعلت ما أمرتك به فسيصل اليك منى خير جزيل . فقالت له : امهلنى شهرا كاملا . فأجابها الى طلبها

وأخذت العجوز تتردد الى دار نعمة وجاريته نعم ، وهما

يزيدان فى اكرامها ، ويرحب بها كل من فى الدار !

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الاربعون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد أن العجوز الماكرة المحتالة ، ظلت تتردد على دار الربيع الى ان خلت الى نعم فى يوم من الايام وقالت لها : لقد طفت بالاماكن الطاهرة ودعوت لك ، واتمنى أن تكونى معى لتشاهدى المشايخ الواصلين ، وتتلقى البركة منهم . فقالت لها نعم : سألتك بالله يا أمى ان تأخذينى معك . فقالت لها : استأذنى ام نعمة فى خروجكما معى . فتوجهت نعم الى ام نعمة وقالت لها : اسألى سيدى ان يسمح لى ولك بأن نخرج يوما من الايام مع العجوز الصالحة لنزور بعض المشايخ الزاهدين العابدين . فلما رجع نعمة الى الدار سألته امه أن يسمح لهما بتلك الزيارة . فقال لها : ان شاء الله تعالى يكون ذلك فيما بعد

وفى اليوم التالى ، رجعت العجوز الى الدار بعد خروج نعمة منها ، ولما علمت من نعم بما كان من جوابه لوالدته قالت لها : تعالى معى فى هذه الساعة ، وسنرجع قبل أن يجىء . فقال نعم لأم نعمة : سألتك بالله أن تاذنى لى فى الخروج مع هذه العجوز الصالحة ، لازور بعض أولياء الله واعود بسرعة قبل مجىء سيدى . فقالت لها ام نعمة : اخشى أن يحضر نعمة فلا يجدك . فقالت لها العجوز : والله لا ادعها تجلس على الارض ، بل تزور وهى واقفة حتى لاتبطىء فى العودة !

ومازالتا تلحان عليها ، وتتوسلان اليها ، حتى قبلت . وما خرجت نعم من الدار مع العجوز حتى توجهت بها الى قصر الحجاج ، وعرفته بمجيئها بعد أن ادخلتها مقصورة

هناك . فقام الحجاج مسروراودخل على نعم في تلك المقصورة، فلما رآته نعم ، سترت وجهها ، وقالت للعجوز : من يكون هذا ؟ واين المشايخ الزهاد العباد ؟ . فلم تجب العجوز ووقفت ساكتة . بينما قال الحجاج لنفسه : والله ان هذه الجارية لاجمل كثيرا مما سمعت . ثم أمر خمسين فارسا ان يحملوها الى دمشق فورا ، ويسلموها هناك الى الخليفة عبد الملك بن مروان . وكتب لهم كتابا بذلك اليه . ولم يمض الا قليل حتى كانت نعم محمولة فى هودج ارخيت ستائره ، ومن حول الجمل الذى عليه الهودج خمسون فارسا بأسلحتهم

ولما وصلت نعم الى قصر الخليفة فى دمشق ، أمر بأن توضع وحدها فى احدى المقاصير ، ويقدم لها كل ماتحتاج اليه ، ثم دخل الى زوجته وقال لها : ان الحجاج قد اشترى لى جارية من بنات الملوك بعشرة آلاف دينار . فقالت له زوجته : زادك الله من فضله . ثم أرسل الخليفة اخته لمشاهدة نعم فلما رآتها قالت لها : والله ماخاب من أنت فى منزله واو كان ثمنك مائة الف دينار . فقالت لها نعم : ياصبيحة الوجه ، لمن هذا القصر ، وفى أى مدينة هو ؟ فقالت لها : هذه مدينة دمشق ، وهذا قصر اخى وهو الخليفة عبد الملك بن مروان . ثم قالت لها : كأنك ماعلمت هذا من الذى باعك وقبض ثمنك عشرة آلاف دينار ؟

فلما سمعت نعم ذلك الكلام ، انهمرت دموعها ، وقالت لنفسها : لقد تمت الحيلة على . ولو قلت ذلك الآن مايصدقنى أحد . ومالى الا أن أصبر واثقة بأن فرج الله قريب

ثم أطرقت حياء ، واحمر خداها . فتركتها اخت الخليفة فى ذلك اليوم ، ثم جاءتها فى اليوم التالى بشىء كثير من الملابس الفاخرة ، والجواهر النادرة ، وجاء الخليفة بعد ذلك فجلس بجانبها مرحبا بها . وقالت له أخته ان هذه الجارية آية من آيات الحسن والادب . فقال الخليفة : لماذا لاتضع القناع عن وجهها ؟ فقالت له : ذلك من فرط حيائها وأدبها . وكان

الخليفة قد راى معصمي نعم ، فوقعت محبتها فى قلبه ،وقال لاخته : لا ادخل عليها الا بعد ثلاثة ايام حتى تستأنس بك ، ثم خرج من عندها ، وبقيت معها اخته تؤانسها ، بينما نعم ساهمة مفكرة متحسرة ، لافتراقها عن سيدها نعمة . وما أتى الليل حتى أصيبت بالحمى ، ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ، وانمحت محاسنها . ولما علم الخليفة بذلك شق عليه أمرها ، ودخل عليها بالاطباء واهل البصائر ، فلم يقف أحد منهم على سر مرضها !

اما نعمة بن الربيع سيدها ، فانه لما رجع الى داره وناداها فلم تجبه قام مسرعا واخذ يسأل عنها كل من فى البيت ، الى ان وجد والدته جالسة ويدها على خدها فقال لها يا أمى أين نعم ؟ فقالت له : ياولدى انها مع من هى أشفق منى عليها وهى العجوز الصالحة ، وقد خرجت معها لتزور بعض الفقراء الصالحين وتعود . فقال لها : متى كان خروجهما من البيت ؟. قالت : خرجتا فى بكرة النهار . فقال لها : لم اذنت لها بذلك ؟ فقالت له : انهما الحتا على فى ذلك كثيرا فقال نعمة : لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ثم خرج من بيته وهو ذاهل عن الوجود ، وتوجه الى صاحب الشرطة وقال له : كيف تحتال على وتأخذ جاريتى من دارى ؟ لابد أن أسافر الى دمشق وأشكوك الى الخليفة ! فقال له صاحب الشرطة : من اخذها ؟ فقال : عجوز صفتها كذا وكذا ، عليها ملبوس من الصوف ، وبيدها سبحة عدد حباتها الوف . فقال له صاحب الشرطة : دلنى على العجوز وانا أرد اليك جاريتك . فقال نعمة : لا اعرف من هى هذه العجوز ولا اين تقيم . فقال له صاحب الشرطة : لا يعرف الغيب الا الله سبحانه وتعالى . وكان صاحب الشرطة قد ادرك انها فعلت ذلك بأمر الحجاج . فلما قال له نعمة : ما أطلب جاريتى الا منك وبينى وبينك الحجاج، قال له : امض الى من شئت

وتوجه نعمة الى قصر الحجاج ، وكان والده من اكابر

أهل الكوفة ، فلما وصل الى القصر عرفه الحاجب وأدخله على الحجاج ، فلما وقف بين يديه قال له الحجاج : ماذا تريد ؟ فقال له نعمة : كان من أمرى ماهو كذا وكذا . فأمر الحجاج باحضار صاحب الشرطة ، فلما حضر قال له : أريد منك أن تبحث عن جارية نعمة بن الربيع ، فقال له صاحب الشرطة : لايعلم الغيب الا الله . فقال له الحجاج : لابد أن تأخذ خيلك ورجالك وتبحث عنها فى الطرقات والبلدان . ثم التفت الى نعمة وقال له : ان لم ترجع جاريتك فأنا اعطيك عشر جوار من دارى وعشر جوار من دار صاحب الشرطة . ثم قال لصاحب الشرطة : أخرج فى طلب الجارية . فخرج صاحب الشرطة ، ورجع نعمة الى داره وقد يئس من الحياة ، وكان قد بلغ من العمر أربع عشرة سنة ، ولانبات بعارضيه ، فجعل يبكى وينتحب

وفى صباح اليوم التالى قال له والده : ياولدى ان الحجاج قد احتال حتى اخذ الجـــارية منك . ومن ساعة الى ساعة يأتى الله بالفرج من عنده . فاشتدت الهموم على نعمة وصار لايعلم مايقول ، ولايعرف من يدخل عليه . وظل كذلك ثلاثة أشهر ، حتى تغيرت أحواله ، ويئس ابوه من شفائه ، وقال الاطباء ماله دواء الا الجارية التى أحبها وأحبته

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية والاربعون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد : بلغنى أيها الملك السعيد أن والد نعمة سمع بطبيب ماهر أعجمى ، وصفه الناس باتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل ، فدعاه اليه ، وأجلسه بجانبه وأكرمه ثم قال له : أنظر ماحال ولدى . فقال الطبيب لنعمة : هات يدك . فأعطاه يده . وبعد أن فحصه جيدا نظر فى وجهه وضحك ، والتفت الى أبيه وقال

له : ليس بولدك غير مرض فى قلبه . فقال له الربيع : صدقت ياحكيم ، فانظر فى شان ولدى بمعرفتك ، واخبرنى بجميع أحواله ولا تكتم عني شيئا من أمره . فقال الطبيب الاعجمى : انه متعلق بجارية ، وهذه الجارية فى البصرة أوفى دمشق ، وليس له دواء غير اجتماعه بها . فقال له الربيع : ان جمعت بينهما فلك عندي مايسرك وتعيش عمرك كله فى العز والنعمة . فقال الطبيب الاعجمى : ان هذا الامر قريب وسهل . ثم التفت الى نعمة وقال له : لابأس عليك ، فطب نفسا وقر عينا . ثم قال للربيع : أعطنى من مالك اربعة آلاف دينار ، لانى اريد من ولدك أن يسافر معى الى دمشق وان شاء الله تعالى لا ارجع الا بالجارية ، ثم التفت العجمى الى الشاب وقال له : يانعمة ، اطمئن وعش فى أمان الله تعالى فانه عما قريب يجمع بينك وبين جاريتك . فاستوى نعمة جالسا ، ثم قال له الطبيب : ثبت قلبك فنحن نسافر فى مثل هذا اليوم من الاسبوع القادم ، فكل واشرب وانبسط لتقوى على السفر !

واخذ الطبيب العجمى فى اعداد معدات السفر وجميع مايحتاج اليه ، وقد كلف ذلك والد نعمة عشرة آلاف دينار غير الخيل والجمال لحمل الاثقال فى الطريق . ثم ودع نعمة والده ووالدته ، وسافر مع الطبيب العجمى الى حلب ، وبحثا عن الجارية فيها فلم يقفا لها على اثر هناك . وعلى هذا واصلا السفر الى دمشق ، وأقاما بها ثلاثة ايام ، وبعد ذلك استاجر الطبيب الاعجمى دكانا ، وملاها بالصينى النفيس والاغطية ، وزركش رفوفها بالذهب والقطع الثمنة ، ووضع أمامه أوانى وزجاجات فيها من مختلف الادهان والاشربة ؛ ووضع حول الزجاجات اقداحا من البلور ، كما وضع الاسطرلاب بجانبه ، ولبس أثواب الحكمة والطب ، واوقف بين يديه نعمة بعد ان ألبسه قميصا من الحرير ، ولف على وسطه حزاما مزركشا بالذهب . ثم قال له : يانعمة انت



« والتفت الى ابيه وقال له : ليس بولدك غير مرض فى قلبه »

من اليوم ولدى ، فلا تدعنى الا بذلك . فقال نعمة : سمعا وطاعة !

ولما رأى أهل دمشق دكان الأعجمى وما فيه ، اخذوا يفدون اليه ، ويتعجبون من البضائع التى فيه ، ومن جمال نعمة . وكان يكلم نعمة بالفارسية ، ونعمة يكلمه بها كذلك لانه كان يعرفها على عادة أولاد الاكابر . واشتهر ذلك الاعجمى عند أهل دمشق ، واخذوا يتزاحمون عليه طلبا للعلاج ، وهو يعطيهم الادوية . بعد أن ينظر فى القوارير المملوءة ببول المرضى ، ويحدد مرض كل منهم على حسب البول الذى فى القارورة . الى أن اعتقد الجميع انه طبيب حاذق صادق . وشاع خبره فى المدينة كلها وفى بيوت الاكابر خاصة

وبينما هو جالس فى الدكان ، اقبلت عجوز راكبة على حمار برذعته من الديباج المرصع بالجواهر ، ولما وصلت الى الدكان شدت لجام الحمار ، واشارت للاعجمى لكي يساعدها على الترجل ، فأخذ بيدها حتى نزلت من فوق الحمار . ثم قالت له : هل انت الطبيب العجمى الذى جئت من العراق ؟. فقال لها : نعم ياسيدتى . فقالت له : ان لى بنتا مريضة ، وهذه قارورة بها شيء من بولها ، لتعرف منه مرضها وتصف لها الدواء . فنظر العجمى الى مافى القارورة وقال لها : ياسيدتى ما اسم هذه الجارية حتى أحسب نجمها واعرف أى ساعة يوافقها فيها شرب الدواء ؟ فقالت له : اسمها نعم يا اخا العجم !

فلما سمع اسم نعم ، جعل يحسب ويكتب على يده ، ثم قال لها : ياسيدتى ما أصف لها دواء حتى اعرف من اى أرض هى ، لان الهواء يختلف باختلاف الارض . كما يجب معرفة سنها . فقالت العجوز : سنها أربع عشرة سنة ، وهى من الكوفة بالعراق . فقال لها : كم شهرا لها فى هذه الديار ؟ فقالت له : ان لها فى هذه الديار أشهرا قليلة !

فلما سمع نعمة كلام العجوز ، أدرك انها تتحدث عن نعم جاريته المفقودة ، واشتد خفقان قلبه . بينما قال الطبيب للعجوز : ان دواء ابنتك كذا وكذا . فقالت له العجوز : أعطنى ما وصفت على بركة الله تعالى ، وأعطته عشرة دنانير . فنظر الحكيم الى نعمة وأمره أن يهيىء لها عقاقير الدواء . وصارت العجوز تنظر الى نعمة وتقول : أعيذك بالله ياولدى ، ان شكلها مثل شكلك . ثم قالت العجوز للعجمى : يا أخاالفرس هل هذا مملوكك أو ولدك ؟ فقال لها العجمى : انه ولدى . ثم أن نعمة وضع لها الادوية فى علبة ، ودس فى داخلها ورقة كتب فيها هذين البيتين :

اذا أنعمت نعم على بنظـــــرة
فلاأسعدت سعدى ولاأجملت جمل
وقالوا : اسل عنها تعط عشرين مثلها
وليس لها مثل ، ولست لها أسلو

ثم ختم العلبة وكتب على غطائها بالخط الكوفى : أنانعمة بن الربيع . ثم ناول العلبة للعجوز فأخذتها ، وودعتهما وانصرفت متوجهة الى قصر الخليفة . فلما وصلت العجوز الى نعم ، وضعت علبة الدواء قدامها ثم قالت لها : ياسيدتى أعلمى أنه قد أتى الى مدينتا طبيب عجمى ما رأيت احدا أعرف بأمور الامراض منه ، وقد ذكرت له امر علتك واسمك فوصف لك هذا الدواء . وقد أعده ابنه الذى يعمل معه ، وليس فى دمشق أجمل ولا أظرف من ولده هذا ولا احسن ثيابا منه كما انه لايوجد فى دمشق كلها دكان مثل ذلك الدكان . ونظرت نعم الى العلبة ، فلما وجدت على غطائها اسم سيدها واسم أبيه ، تغير لونها وقالت : لاشك أن صاحب الدكان قد أتى فى شأنى . ثم قالت للعجوز : صفى لى ذلك الشاب الذى أعد الدواء . فقالت : هو شاب ظاهر الوسامة والكرامة على حاجبه الايمن اثر ، ويرتدى ملابس فاخرة ، ويتكلم بالفارسية . فقالت لها : ناولينى الدواء على بركة الله تعالى

وعونه . ثم اخذت الدواء وشربته وهى تضحك قائلة : انه دواء مبارك . وفيما هى تتأمل فى العلبة ، وجدت الورقة التى كتبها نعمة ، وقرأتها . فلما فهمت معناها تحققت انه سيدها نفسه ، فطابت نفسها وفرحت . ولما رأتها العجوز كذلك ، قالت لها : ان هذا اليوم يوم مبارك . فقالت لها : نعم انه يوم مبارك ، والآن اريد الطعام والشراب ، فقالت العجوز للجوارى : قدمن الموائد والاطعمة الفاخرة لسيدتكن . فقدمن اليها الاطعمة وجلست للاكل

وفيما هى كذلك ، اقبل الخليفة للاستفسار عن صحتها كعادته كل يوم ، فلما رآها جالسة تأكل وتشرب وتضحك تملكه الفرح ، وقالت له القهرمانة : يا أمير المؤمنين يهنيك عافية جاريتك نعم ، وسبب شفائها انه وصل الى هذه المدينة طبيب عجمى ما رايت اعرف منه بالامراض ودوائها وقد جئت لها منه بدواء ، فما كادت تتناوله مرة واحدة حتى زال مرضها واستردت عافيتها . فقال لها الخليفة : هذه ألف دينار مكافأة للطبيب . ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية ، اما العجوز فتوجهت الى دكان العجمى بالالف دينار وأعطته اياها وأعلمته أنها من الخليفة . وكانت نعم قد اعطتها ورقة كتبتها لتعطيها له . فلما فتحها نعمة وقرأها عرف خط نعم فوقع مغشيا عليه . ولما افاق ، اعاد قراءة الورقة ، فوجد فيها : « من الجارية المسلوبة من نعمتها ، المخدوعة فى عقلها ، المفارقة لحبيب قلبها . اما بعد ، فانه قد ورد كتابكم على ، فشرح الصدر ، وسر الخاطر ، وكان كقول الشاعر :

ورد الكتـــاب فلا عدمت أناملا
كتبت به حتى تضـــمخ طيبا
فكأن موسى قـــد اعيـــد لأمه
او ثوب يوسف قد أتى يعقوبا

ولم يتمالك نعمة نفسه من البكاء لفرط تأثره . فقالت

له القهرمانة : ما الذى يبكيك يا ولدى لا ابكى الله لك عينا ؟ فقال لها العجمي : ياسيدتى كيف لايبكى وما مريضتك الا جاريته المحبوبة ، وما كان مرضها الا حزنا على فراقه ، وتعلقا بحبه . وعلى هذا خذى أنت ياسيدتى الالف دينار مكافأة لك . وعندنا أكثر من ذلك لاجلك اذا نظرت الينا بعين الرحمة ، وجمعت بين هذين الحبيبين . فقالت العجوز لنعمة : هل انت نعمة بن الربيع مولى نعم ؟ فقال لها : نعم . فقالت له : انها والله لم تفتر عن ذكرك . ثم اخبرها نعمة بما جرى كله من الاول الى الآخر ، فقالت له العجوز : اطمئن ياولدى ، وسيكون اجتماعك بها قريبا بواسطتى ان شاء الله

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية والاربعون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما دخلت على نعم ضحكت فى وجهها ، وقالت لها : يحق لك يابنتى أن تبكى وتمرضى من اجل فراق مولاك نعمـــة بن الربيع الكوفى . فقالت لها نعم : اذن قد انكشف لك الامر وظهر لك الحق ؟ فقالت لها العجوز : طيبى نفسا وانشرحى صدرا فوالله لاجمعن بينكما ولو كان فى ذلك ذهاب روحى . ثم رجعت الى نعمة وقالت له : انى قد وجدت عند نعم من الشـــوق والاخلاص لك أكثر مما عندك لها . وذلك أن أمير المؤمنين اراد أن يجتمع بها والح فى ذلك كثيرا ، ولكنها امتنعت وأصرت على الامتناع . فان كان لك جنان ثابت وقوة قلب ، فأنا أجمع بينكما واخاطر بنفسى معكما . فأدبر حيلة لدخولك قصر الخليفة حتى تجتمع بها فيه ، فانها ماتقدر أن تخرج منه . فقال لها نعمة : جزاك الله خيرا . ثم ودعته ، ورجعت

الى نعم وقالت لها : ان نعمة كادت روحه تذهب لفراقك وهو يريد الاجتماع بك ، فما تقولين فى ذلك ؟ فقالت نعم أنا كذلك اريد الاجتماع به

وعلى أثر ذلك ، أخذت العجوز صرة فيها حلى ومصوغات وبعض ثياب النساء ، وتوجهت الى نعمة وقالت له : ادخل بنا مكانا وحدنا ، فدخل معها قاعة خلف الدكان ، وهناك زينت معاصمه وزوقت شعره والبسته مامعها من ثياب النساء ، فصار كأنه حورية من حور الجنان . ولما رأته كذلك قالت : تبارك الله أحسن الخالقين ، والله انك لاجمل من كل جارية رأيتها . ثم قالت له : امش امامى قليلا ، وهز اردافك، ففعل كما امرته . وصارت تعلمه حتى راته قد اتقن مشى النساء ، ثم قالت له : امكث حتى آتيك ليلة غد ان شاء الله تعالى ، فآخذك وادخل بك القصر . واذا اعترض الحجاب طريقك فقو عزمك وطأطىء راسك ولا تتكلم مع احد ، وانا أكفيك كلامهم وبالله التوفيق !

وفى الموعد المحدد ، رجعت القهرمانة اليه ، واخذته الى القصر ودخلت قدامه ،فدخل هو فى أثرها . ولما اراد الحاجب أن يمنعه من الدخول ، صاحت به قائلة : هذه جارية نعم محظية الخليفة ، فكيف تمنعها من الدخول ؟ ثم قالت : ادخلى ياجارية ! فدخل نعمة ومشى خلفها . ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى الباب المؤدى الى صحن القصر ، فقالت له العجوز : يانعمة قو نفسك وثبت قلبك ، وادخل من هنا ثم امش الى اليسار ، وعد خمسة ابواب وادخل الباب السادس فانه باب المكان المعد لاجتماعك بنعم . ولاتخف من شىء ، واذا كلمك احد فلا تتكلم معه . ولما هم بالدخول ، اعترض الحاجب طريقه ، فقالت له العجوز : ان سيدتنا تريد شراء هذه الجارية . فقال لها : مايدخل احد هنا الا باذن من الخليفة ، فارجعى بها لانى لااتركها تدخل . فقالت له القهرمانة : أيها الحاجب الكبير أين عقلك ؟ ان محظية الخليفة ومالكة

قلبه كانت مريضة كما تعلم ، ولم تعد اليها العافية الا بعد عذاب ويأس . وهي الآن تريد شراء هذه الجارية ، فلاتمنعها من الدخول لئلا يبلغها انك منعتها فتغضب عليك ، ولاتكون النتيجة الا قطع رأسك بأمر الخليفة . ثم التفتت العجوز الى نعمة وقالت : ادخلي ياجارية ولاتسمعي كلامه ، ولكن سألتك بالله لا تخبري سيدتك بأنه حاول منعك من الدخول .
فطأطأ نعمة رأسه ودخل القصر ، وأراد أن يمشي الى يساره لكنه اخطأ ومشى الى يمينه ، ثم عد خمسة أبواب ودخل السادس فرأى موضعا مفروشا بالديباج ، وجدرانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب ، وفيه مباخر العود والعنبر والمسك الاذفر . ورأى سريرا فى الصدر مفروشا بالديباج . فجلس عليه وهو لايعلم بما كتب له فى الغيب !

وفيما هو جالس يفكر فى أمره ، دخلت عليه أخت الخليفة ومعها جاريتها . فلما رأته جالسا ، حسبته جارية ، واشارت اليه قائلة : من تكونين ياجارية وماخبرك وماسبب دخولك هنا ؟. ولما بقي نعمة ساكتا لا يرد جوابا ، عادت تقول له : تكلمي ياجارية ، ان كنت محظية لاخي وقد غضب منك فأنا أستعطفه عليك . فلم يرد نعمة ايضا . وعندئذ قالت لجاريتها التى تتبعها : قفي بالباب ولاتدعي أحدا يدخل . ثم اقتربت من نعمة وهو فى ثياب النساء ، وأخذت تتأمل فى وجهه وقد بهرها جماله ، ثم قالت : عرفيني من تكونين وماسبب دخولك هنا ، فاني لم أنظرك فى قصرنا . ولما لم يرد نعمة عليها جوابا اخذها الغضب ودفعت صدره بيدها وهي تقول : تكلمي ياجارية ، هل انت خرساء بكماء ؟. ولكنها فى الوقت نفسه لاحظت أن صدر الجارية الذى دفعته بيديها ليس فيه نهدان . فاشتد غضبها ، وصاحت مهددة متوعدة : ماهذا ؟ هل أنت مملوك فى ثياب جارية ؟ ولماذا جئت الى هنا متنكرا ؟ والله لابد من عقابك بضرب عنقك !

فلما سمع نعمة تهديدها له بالقتل تملكه الفزع ، وقال

لها : بالله ياسيدتى لاتظنى بى السوء ، فما انا الا مظلوم مسكين ، وأنا مستجير بالله وبك . وما أنا مملوك لاحد ولكنى نعمة بن الربيع بن حاتم الكوفى ، وقد جئت الى دمشق ، ودخلت هذا القصر مخاطرا بروحى ، لاجل جاريتى نعم التى احتال الحجاج حتى أخذها وأرسلها الى هنا

فقالت له أخت الخليفة : ان كان ماقلته حقا فلا بأس عليك . ثم دعت جاريتها وقالت لها : امضى الى مقصورة نعم الآن ، وارجعى بها الى هنا . فقالت الجارية : سـمعا وطاعة وخرجت لتنفيذ امر مولاتها

وكانت القهرمانة قد توجهت الى مقصورة نعم وقالت لها : هل وصل اليك سيدك ؟ فقالت : لا والله . فقالت القهرمانة : كيف لم يصل اليك ؟ لقد أدخلته القصر فى ثياب جارية ، وأخشى أن يكون قد اخطأ ودخل مقصورة اخرى ، فتنكشف حيلتى ، ويكون فى ذلك هلاكنا جميعا

فلما سمعت نعم كلام القهرمانة العجوز ، ارتجف بدنها من شدة الخوف ، وانهمرت الدموع من عينيها ، ثم قالت : لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، قد فرغ اجلنا وهلكنا : وفيما هى تتحدث مع القهرمانة ، اقبلت جارية أخت الخليفة وقالت لها : ان مولاتى تدعوك الى مجلسها . فقالت : سمعا وطاعة . اما القهرمانة فأسرعت بالخروج محاولة الفرار والنجاة بنفسها

ولما دخلت نعم على اخت الخليفة ، لم تجد عندها غير جارية جميلة تجلس مطرقة . واشارت أخت الخليفة الى هذه الجارية قائلة لنعم : افتحى عينيك وانظرى جيدا ، كيف بالله لم تعرفى انك واقفة وجها لوجه امام سيدك ومولاك نعمة بن الربيع ؟ تقدمى وسلمى عليه ، فليس عليك ولاعليه خوف ان شاء الله تعالى !

فلما سمعت نعم هذا الكلام من أخت الخليفة ، اطمأن قلبها ، وألقت بنفسها بين أحضان نعمة بعد ان عرفته ،

فعانقها عناق مشتاق ، أضناه الفراق . ثم وقعا على الارض مغشيا عليهما . فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة : اجلسا حتى نتدبر فى الخلاص من الامر الذى وقعنا فيه . فقالا لها : سمعا وطاعة والامر لك . فقالت : والله لن ينالكما سوء قط . ثم قالت لجاريتها : أحضرى الطعـــام والشراب ، وجلسوا جميعا يأكلون ويشربون . ثم قال نعمة : ليت شعرى بعد ذلك مايكون ؟ فقالت له أخت الخليفة : يانعمة هل تحب نعم جاريتك ؟ فقال لها : ياسيدتى ان هواها هو الذى حملنى على ماأنا فيه من المخاطرة بروحى ، فقالت لنعم : وانت هل تحبين سيدك نعمة ؟ فقالت لها : ياسيدتى ان هواه هوالذى أذاب جسمى وغير حالى . فقالت اخت الخليفة : لاكان من يفرق بينكما ، فقرا عينا ، وطيبا نفسا . ثم طلبت نعم عودا واخذته . فاصلحته واطربت بالنغمات ، ثم أنشــــدت هذه الابيات :

ولما أبى الواشـــــون الا فراقنـــا
وليس لهم عندى وعنـــــدك من ثار
وشنوا على اســـــماعنا كل غارة
وقل حماتى عند ذاك وأنصــــارى
غزوتهـــــم من مقلتيــــك وأدمعى
ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

ثم اعطت العود لسيدها نعمة ، وقالت له : غن لنا شعرا فأخذه واصلحه واطرب بالنغمات ، ثم أنشد هذه الأبيات :

البـــــدر يحكيـــــك لولا ذلك الـكلف
والشمس مثلك لولا الشمس تنكسف
انى عجبت وكم فى الحب من عجب
فيه الهموم وفيـــــه الوجد والكلف
ارى الطريق قريبا حين أســــلكه
الى الحبيب ، بعيـــدا حين أنصرف

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الليلة الثالثة والأربعون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد أن نعمة بن الربيع لما فرغ من انشاد شعره ، ملات له نعم قدحا وناولته اياه ، فاخذه وشربه ، ثم ملات قدحا آخر وناولته لاخت الخليفة فشربته واخذت العود فاصلحته وشدت اوتاره وانشدت على نغماته هذين البيتين :

غم وحـــزن فى الفـــؤاد مقيـم
وجوى تردد فى حشـــــاى عظيم
ونحول جســـــم قد تبدى ظاهرا
فالجسم منى بالغـــرام ســـقيم

ثم ناولت نعمة العود فاخذه واصلح اوتاره وانشد هذين البيتين :

يامن وهبت له روحى فعذبهـــا
ورمت تخليصها منـــه فلم اطق
دارك محبـــا بما ينجيه من تلف
قبـــل الممات فهـــذا آخر الرمق

ومضت ساعات وهم ينشدون الاشعار ، ويشربون على نغمات الاوتار ، وقد تملكهم الطرب والسرور . ثم فوجئوا بالخليفة قد دخل عليهم ، فلما وقعت عيونهم عليه ، قاموا وقبلوا الارض بين يديه . فنظر الى نعم والعود معها ، وقال لها : الحمد لله الذى أذهب عنك البأس . ثم التفت الى نعمة وهو مازال فى ثياب النساء وقال لاخته : من هذه الجارية التى بجانب نعم ؟ فقالت له أخته : يا امير المؤمنين ، هذه جارية تحبها نعم ، ولا يلذ لها اكل ولاشرب الا وهى معهـا

فقال الخليفة : والله انها مليحة مثلها ، وفى غد أخلى لها مجلسا بجانب مجلسها وأنقل اليه جميع ما تحتاج اليه . ثم دعت أخت الخليفة بالطعام والشراب من جديد ، وجلس الخليفة طالبا ان يسمع من نعم بعض الالحان ، فأخذت

العود بعد أن شربت قدحين ، وانشدت هذين البيتين :

اذا ما نديمى علنى ثم علنى
ثلاثة أقـــداح لهن هـــدير
أبيت أجر الذيل تيهــا كأننى
عليـــــك أمير المؤمنين أمير

فطرب الخليفة طربا شديدا ، وأمرها أن تغنى لحنا آخر ، فشربت قدحا ، واهتزت فرحا ومرحا . ثم داعبت بأناملها الاوتار ، وغنت هذه الأشعار :

يا أشرف الناس فى هذا الزمان ومن
به العـــلا والنهي والمجـد تفتخر
ياواحدا فى الورى عـــدلا ومكرمة
ياسيدا ماجدا فى الكون مشـــتهر
يا مالــكا لملوك الارض قاطبــــة
تعطى الجزيل ، ولا من ولا ضجر
ابقاك ربى على كيـــد العــدا ابدا
وزان طالعك الاقبــال والظفـــر

فلما سمع الخليفة من نعم هذه الابيات ، قال : لله درك بانعم ، ما افصح لسانك ، واوضح بيانك . ولم يزالوا فى فرح وسرور الى نصف الليل . ثم قالت أخت الخليفة له : ياأمير المؤمنين انى قرات حكاية فى بعض الكتب ، أحب أن أقصها عليك . فقال الخليفة : وما تلك الحكاية : فقالت له : يحكى يا أمير المؤمنين انه كان بمدينة الكوفة ، صبى يسمى نعمة ابن الربيع ، وكانت له جارية يحبها وتحبه ، وقد تربت معه فى بيت واحد . فلما بلغا أشدهما ، تزوج بها ، وعاشا معا فى صفاء وسعادة . ثم رماهما الدهر بنكباته ، وجار عليهما بآفاته ، وحكم عليهما بالفراق . وكان ذلك بمكيدة دبرها حاكم غاشم لمدينتهما ، اذ احتال حتى أخرجها من بيت مولاها وزوجها ، ثم ادعى انها جارية اشتراها بماله ، وباعها لاحد الملوك بعشرة آلاف دينار . ولكن الملك الذى اشتراها

لم ينعم بها ، لانها مرضت حزنا لفراق من تهواه . وكان عند مولاها من المحبة لها مثل ماعندها له ، ففارق أهله ووطنه وسافر فى طلبها . ومازال يبحث حتى اهتدى الى مكانها ؛ فاحتال حتى اجتمع بها فى قصر ذلك الملك ، ولكنه ماكاد يلقاها حتى دخل عليهما الملك الذى اشتراها من الذى سرقها فلما رآهما معا امر بقتلهما ، وابى ان يمهلهما حتى يستمع الى حكايتهما . فماذا ترى يا امير المؤمنين فى حكم ذلك الملك عليهما ؟. فقال الخليفة : ما ارى الا انه ظلمهما ، وكان ينبغى له أن يعفو عنهما لثلاثة أشياء : الاول انهما متحابان ، والثانى انهما فى منزله وتحت قبضته ، والثالث أن الملك ينبغى له أن يعدل فى الحكم بين الناس ، كما ينبغى له ان يعفو عند المقدرة . ولاشك انه بقتلهما قد فعل فعلا لايشبه فعل الملوك

فقالت له أخته : بارك الله فى عدلك ياأخى ، والله انك لاعدل الملوك وارحمهم . ثم طلب الخليفة من نعم ان تغنى له لحنا آخر !

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الرابعة والاربعون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما طلب من نعم أن تغنى له ، امسكت العود وغنت عليه هذه الابيات :

غدر الزمان ولم يزل غدارا
يصمى القلوب ويورث الاكدارا
ويفرق الاحبـــاب بعد تجمـــع
فترى الدموع على الخدود غزارا
كانوا وكنت وكان عيشى ناعمـــا
والدهر يجمع شـــملنا مدرارا

فلابكين دما ودمعـــا بعـــدهم
أســـفا على عهد مضى وتوارى

فلما سمع الخليفة شعرها وغناءها ، طرب طربا عظيما فقالت له اخته : ياأخى من حكم على نفسه بشىء لزمه القيام به ، وأنت قد حكمت على نفسك !. فقال لها : وكيف كان ذلك ؟ فالتفتت الى نعمة وقالت له : قف امام امير المؤمنين حتى يراك ويعرف قصتك . ثم قالت لاخيها : يا أمير المؤمنين ان هذه الجارية الواقفة امامك ما هى الا نعمة بن الربيع الكوفى ، اما جاريته وزوجته فهى نعم ، وقد سرقها الحجاج بن يوسف الثقفى ، وأرسلها اليك زاعما انه اشتراها بعشرة آلاف دينار وأنا أسألك بحرمة آبائك الطاهرين أن تعفو عنهما وتعيد جمع شملهما لتغنم أجرهما ، فانهما فى قبضتك ، وقد أكلا من طعامك ، وشربا من شرابك ، وانا الشـــافعة فيهما ، المستوهبة دمهما !

فلما سمع الخليفة كلامها ، نظر الى نعم ونعمة ، فوجدهما يبكيان . فقال لهما : لاتبكيا ولا تحزنا ، فوالله لا ارجع فى حكمى ، وليس لكما عندى الا الاكرام !

ثم قال لنعمة : كيف عرفت مكانها ، ومن وصف لك هذا المكان ؟ فروى له نعمة جميع ماكان من أمره ، ومافعله معه الطبيب العجمى والقهرمانة . فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب . ثم قال : على بذلك الطبيب . فلما حضر بين يديه جعله من جملة خواصه ، وأمر له بجائزة سنية . وقال : من يكون هذا تدبيره يجب أن نجعله من خواصنا . ثم انعم على نعمة ونعم ، وامر بأن ينزلا فى ضيافته سبعة أيام ، أمضوها جميعا فى ارغد عيش . ثم استأذن نعمة ونعم فى السفر الى الكوفة ، فأذن لهما الخليفة ، وزودهما بأحسن الهدايا . ولم يزل نعمة ونعم فى افراح ومسرات ، الى ان أتاهما هازم اللذات ومفرق الجماعات

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

مسرور التاجر وزين المواصف

الليلة الخامسة والاربعون بعد الاربعمائة : فلمــا كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى أيها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان ، رجل تاجر اســـمه مسرور . وكان من أحسن أهل زمانه ، كثير المال ، مرفه الحال . ولكنه كان يحب النزهة فى الرياض والبساتين ، شغوفا بهوى النساء الملاح . فاتفق أن كان نائما فى ليلة من الليالى ، فرأى فى نومه كأنه فى روضـــة من احسن الرياض ، وفيها أربعة طيور بينها حمامة بيضاء مثـــل الفضة النقية ، فأعجبته هذه الحمامة ، ووقعت من قلبه موقعا حسنا . وفيما هو يتطلع اليها ويداعبها بيـــده ، انقض عليه طائر عظيم وخطفها من يده وطار هاربا ، فعظم ذلك عليه ووقف يصرخ ويبكى . ثم انتبه من نومه ، وأخذ يتعجب من هذا الحلم العجيب . وبقى كذلك الى الصباح ، ثم قال لنفسه : لا بد أن أبحث اليوم عمن يفسر لى هـــذا المنام . وغادر منزله لهذا الغرض ، وصار يبحث ويسأل عن واحد يفسر له منامه ، الى أن تعب من كثـــرة المشى والسؤال ، وتملكه اليأس من الحصول على ما يريده ، وفيما هو راجع الى منزله ، خطر بباله أن يمر على دار لأحد زملائه التجار الاغنياء ، فتوجه اليها ، وما كاد يقترب منها حتى سمع صوت أنين ، ينبعث من قلب حزين ، وهو ينشد هذه الابيات :

نسيم الصبا هبت لنا من رسومها

معطرة يشفى العليـــــل شميمها

وقفت بأطلال دوارس ، ســـائلا

وليس يجيب الدمع الا رميمهـــا

وهبت نسيمات لطاف ، ســألتها :

هل الدار فى يوم يعود نعيمهـــا ؟

وأحظى بظبى مال بى لين قـــده

وأجفانه الوسنى سبانى سقيمها ؟

فلما سمع التاجر مسرور ذلك الصوت ؛ نظر فى داخل البيت ، فرأى روضة من أحسن الرياض ، فى وسطها ستر من ديباج أحمر ، مكلل بالدر والجوهر ، ورأى من وراء الستر أربع جوار ، كأنهن الاقمار . ومن بينهن صبية ، ذات طلعـــة بهية ، وقامة سمهرية . بعينين كحيلتين ، وحاجبين مقرونين ، وفم كأنه خاتم سليمان ، وشفتين وأسنان ، كالدر والمرجان. وهى تسلب العقول بجمالها ، وقدها واعتدالها . فدخل مسرور الدار ، وهو يقول : يا رب يا ستار . ولما وصـل الى الستر وقف يتأمل فى محاسن تلك الصبية، ثم سلم عليها فردت التحية ، بصوت أعذب من الالحان الشجية . فطار عقله ، وذهب لبه . ووقف ذاهلا ينظر الى تلك الروضة وما فيها من الياسمين والمنثور والبنفسج والورد والنارنج وغـيرها من مختلف الاشجار ، المحملة بأطايب الثمار ، وصوادح الاطيـار . وكان الماء ينحدر اليها من أربعة ايوانات يقـابل بعضـها بعضا . فتأمل فى الايوان الاول ، فرأى مكتوبا على دائره بالياقوت الاحمر :

الا يا دار لا يدخلك حــزن

ولا يغـــدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لكل ضيف

اذا ما الضيف ضاق به المكان

ثم تامل فى الايوان الثانى : فرأى مكتوبا فى دائره بالذهب الاصفر هذه الابيات :

لاحت عليك ثياب السعد يا دار
ما غردت فىغصونالروض اطيار
وعطرتك نسـيمات معطـرة
وقضيت فيك للاحبـاب أوطار
وعاش أهلك فى عـز ، وفى نعم
ما لاح نجم بأعلى الافق سـيار

ثم تأمل فىالايوان الثالث، فرأى مكتوبا فى دائرهباللازورد الازرق :

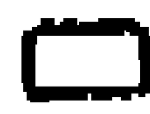
بقيت فى العز والاقبـال يادار
ما جن ليـل ولاحت فيه انوار
فىبابك السعد يأوىكل مندخلوا
والخير منـك لمن وافاك مدرار

ثم تأمل فى الايوان الرابع فرأى مكتوبا فى دائره بالزمرد الاخضر هذا البيت :

هذه روضة وهذا غدير مجلس طيبورب غفور

وقد جمعت تلك الروضة انواع الطير كلها ، من قمارى وحمام ، وبلابل ويمام ، وكل منها يغرد بأحسن الانغام

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة والاربعون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان الصبية لما وقعت عينها على مسرور التاجر وهو واقف يتأمل فى جمـالها وقدها واعتدالها ، قالت له : أيها الرجل كيف تدخل بغير استئذان دارا غير دارك ، وتتطلع الى غير جواريك ؟ فقال لها : ياسيدة الحسان ، انى رأيت هذه الروضة فأعجبنى حسن اخضرارها

وعبق ازهارها ، وترنم اطيارها . فدخلت لاتفرج فيها ساعة من الزمان ثم أمضي في سبيلي . فقالت : حبا وكرامة . تفرج ماشئت ثم انصرف تصحبك السلامة . فلما سمع مسرور التاجر كلامها ، ازداد اعجابا بظرفها وادبها ، مع فرط حسنها ولطافة حديثها . واطرق لحظة وقد سبح بفكره ، في أمرها وأمره . ثم تمالك نفسه ، فرفع رأسه . وانشد هذه الابيات :

قمر تبدى في بديع محاسن
بين الربى والروح والريحان
والآس والنسرين بين بنفسج
فاحت روائحه من الاغصان
في روضة كملت جميع صفاتها
وحوت جميع الزهر ذي الالوان
والبدر يزهو من خلال غصونها
والطير تنشد اطيب الالحان
قمريها وهزارها ويمامها
وكذا البلابل هيجت اشجاني
وقف الغرام بمهجتي متحيرا
في حسنها كتحير السكران

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور ، نظرت اليه نظرة ، اعقبته الف حسرة ، وسلبت بها عقله ولبه ، ثم اجابته بهذه الابيات :

لا تنتظر وصل التي علقتها
واقطع مطامعك التي أملتها
ودع الذي ترجو ، فلست بقادر
يوما على هجران من احببتها
ما أكثر العشاق حين تعدهم
وأقل امثال التي ابصرتها

فلما سمع مسرور شعرها تجلد وصبر وكتم غرامه في

قلبه ، وقال لنفسه : مالمثلي معها حيلة الا الصبر . ولما اقبل الليل ، أمرت زين المواصف باحضار الطعام والشراب ، وسرعان ماوضعت بين أيديهما مائدة فيها مختلف الالوان ، من السمانى وأفراخ الحمام ولحوم الضأن واحسن الفاكهة واجود انواع المشروب والمشموم . وبعد ان اكلا وشربا وغسلا ايديهما ، امرت باحضار الشمعدان وجعلت فيه شمع الكافور ، كما أمرت باطلاق البخور ، ثم قالت للتاجر مسرور : ان صدري ضيق فى هذه الليلة . فقال لها : شرح الله صدرك وكشف غمك . فقالت له : انا متعودة لعب الشطرنج فهل تعرفه ؟ فقال : نعم أنا عارف به . فوضعت بينهما شطرنجا بديع الشكل ، صنعت قطعة من الابنوس المطعم بالعاج ، وحليت بالذهب والدر والياقوت ، فلما رآه مسرور أخذ يتأمله وقد حار فكره فى بديع صنعته . فقالت له زين المواصف : هل تختار القطع الحمر أم البيض ؟ فقال لها : ياسيدة الملاح ، خذى أنت الحمر ، ودعى لى البيض . فأخذت هى الحجارة الحمر وصفتها ، وصف هو حجارته البيض . ثم بدأت زين المواصف اللعب فمدت يدها الى أول قطعة ونقلتها . فلما نظر الى أناملها ، تعجب من دقتها وحسنها ، وذهل عن اللعب!

فالتفتت اليه زين المواصف ، وقالت له : لاتدهش واثبت فقال لها : ياذات الحسن الذى فضح الاقمار ، اعذرى المحب فليس له اصطبار . ثم أخذ فى اللعب وهو مشتت الافكار ، ولم يمض الا قليل حتى غلبته زين المواصف ، وأدركت أن قلبه بحبها راجف . فقالت له: لا ألعب معك الا برهان معلوم . فقال لها : سمعا وطاعة . ثم قالت له : احلف لى ، واحلف لك ، لايغدر أحدنا بالآخر ولا يخونه . وبعد أن تحالفا علي ذلك ، ابتسمت له وقالت : اذا غلبتك آخذ منـــك عشرة دنانير ، وان غلبتني فاطلب ماتشاء !

فلما سمع شرطها ، فرح كثيرا ، وظن أنه سينال مراده منها لانه لابد أن يغلبها فى اللعب . ثم أراد ان يستوثق من



« واخذت في اللعب وهى تضحك قائلة له : خذ حذرك »

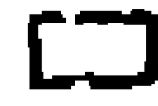
ذلك فقال لها : هل تعتزمين تنفيذ هذا الشرط فورا ؟ . فقالت له وهي تبتسم : أنا ماتعودت ان احلف باطلا . فاشتدت فرحته ، وأخذ فى اللعب وهو مشغول الفكر بجمالها ودلالها وقرب وصالها . أما هى فانها انقضت على بيادقه ورخاخه وأفراسه وغيرها فقضت عليها فى لحظات ، وما لبثت أن أعلنته بغلبتها عليه قائلة له : الشاه مات . فأقر بانتصارها ، وأعطاها عشرة دنانير

وبدا مسرور التاجر يلعب معها من جديد ، ممنيا نفسه بنصر مجيد وحظ سعيد . وكان على راسها وشـــاح من الديباج الازرق الثمين ، فرفعته عن شعرها ، وشمرت عن ساعدها ، واخذت فى اللعب وهى تضحك قائلة له : خذ حذرك يامسرور !. فطار عقله ، وذهب لبه لما شاهد من جمالها ورقتها وظرفها وخفتها . واراد اللعب فاذا بيـده تترك قطعه البيض وتنقل قطعة من قطعهـا الحمر وهو لايشعر !. فقالت له : أين ذهب عقلك ؟ أن الحمر لى والبيض لك . فقال لها : ان من يراك لايملك عقله ولا قلبه . فقالت له : خذ انت القطع الحمر ، وآخذ أنا القطع البيض ، ولعلك بعد ذلك لاتخطيء وتكون لك الغلبة . فشكرها على لطفهـا وظرفها . ثم استأنفا اللعب فغلبته !

ولم يزل يلعب معها وهى تغلبه ويدفع لها فى كل مرة عشرة دنانير . الى ان قالت له : نلعب الدور بمائة دينار لعلك تعوض خسارتك . فوافق على ذلك . لكنه استمر فى الخسارة أيضا ، الى أن انتهت السهرة ، وخسر كل ماكان معه من المال . فاستأذن فى الذهاب الى منزله حيث جاء بأموال كثيرة أخرى ، وانشد يقول :

رايت طيرا مر بى فى المنـــام
فى روض أنس زهره ذو ابتسام
ناديتـه يا طـير هـذى يدى
أقبل ولا تخش سـهام الملام !

فقـــال : لبيك ، وصرنا معـــــا
الفين فى العش ونلنـــــا المرام
فليت شــــعرى والهوى غالبى
بالشوق : ماتأويل هذا المنــام ؟
وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة والاربعون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لماسمعت شعر مسرور التاجر ، تعجبت من فصاحته ، ولم تزل تلاعبه ثلاثة أيام وتغلبه فى كل مرة حتى أخذت منه جميع ماحضره من الاموال . ثم قالت له : هل تريد ان الاعبك على دكان العطارة ؟ فقال لها : نعم وهو يساوى خمسمائة دينار نلعب بها خمسة أشواط . ثم لعب معها الاشواط الخمسة فغلبته فقال لها : لاعبينى على ما عندى من الجوارى والعقارات والبساتين . فلعبت معه عليها وغلبته ايضا !

ثم قالت له : هل بقى عندك شىء تلعب به ؟ فقال لها : وحق من أوقعنى فى شرك محبتك مابقيت يدى تملك قليلا ولا كثيرا . فقالت له : كل شىء أوله رضا لايكون آخره ندامة ولكن اذا كنت قد ندمت ، فخذ مالك واذهب عنا فى سبيلك فقال لها مسرور : والله لو أردت أخذ روحى لكانت قليلة فى سبيل رضاك ، فما عشقت أحدا سواك

فقالت له : مادام الامر كذلك فاذهب واحضر القـــاضى والشهود ، لنكتب عقدا بجميع ماربحته منك . فقال : حبا وكرامة . ثم نهض وتوجه الى القاضي والشهود واحضرهم عندها . وما رآها القاضى حتى طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من جمالها ودلالها ، وقال لها : ياسيدتي لا أكتب لك الدكان والعقارات والجوارى الا اذا كانت كلها فى حيازتك

فقالت له : أنا واثقة فى ذمة صاحبها ، فسكت القاضى وكتب الحجة ووقع عليها الشهود . ثم صرفتهم بعد أن أخذت الحجة ، ثم قالت لمسرور : اذهب فى سبيلك أنت أيضا . فنهض وهم بالانصراف وهو يبكى أسفا على فراقها . فقالت له جاريتها هبوب : أنشدنا شيئا من الاشعار فى شأن لعب الشطرنج . وما اصابك بسببه ، ففاضت عيناه بالعبرات وانشد هذه الابيات :

اشكو الزمان وما قد حل بى وجرى
من الخسائر فى الشطرنج اذ حضرا
لاعبت غانية بيضـــاء ناعمـــة
وطالما قبلهـــا قـــد كنت منتصرا
لكنهـــا بســـهام من لواحظهـــا
قد صـــيرتنى عديم العقل منكسرا
صفت امامى جيوشا من محاسـنها
ونازلتنى وقالت لى : خذ الحـذرا
لم أســـتطع لذهولى أن أبارزها
والوجد صير منى الدمع منهمـرا
وخيرتنى بين العســـكرين معـــا
فاخترت تلك الجيوش البيض مقتمرا
وقلت هذى الجيوش البيض اصلح لى
وسوف ألقى جيوش الحمر مقتـدرا
ولاعبتنى على رهـــن رضيت به
فضـــاع مالى وما قضيت لى وطرا
يالهف قلبى وياشـــوقى وياحزنى
على وصـــال فتاة تشـــبه القمرا
وصرت حـيران مبهـوتا على وجل
أعاتب الدهر فيما تم لى وجـرى
قالت : اراك سليب العقل . قلت لها :
هل شارب الخمر ذو عقل اذا سكرا

حسناء هيفاء مثل الغصن قامتها
لها فؤاد عنيد يشبه الحجرا
أطمعت نفسي وقلت اليوم أملكها
مدى الزمان ومنها أقطف الثمرا
فصرت عبدا اسير الحب تملكني
ولا أرى لى عنها قط مصطبرا

فلما سمعت زين المواصف هذه الابيات ، تعجبت من فصاحة بيانه ، وقالت له : دع عنك هذا الجنون ، وارجع الى عقلك وامض عنا فى سبيلك ، فقد أفنيت مالك وعقارك فى لعب الشطرنج ، ولم تبلغ غرضك ، وليس هناك امل فى وصولك اليه . فالتفت مسرور الى زين المواصف وقال لها : ياسيدتى ، اطلبى أى شىء ، وكل ما تطلبينه أجىء به اليك وأحضره بين يديك . فقالت له : أنت مابقى عندك شىء من المال . فقال لها : يامنتهى الآمال ، اذا لم يكن عندى شىء من المال ، فان عندى كثيرا من الرجال ، وكل شىء أطلبه منهم ينفذونه فى الحال وبلا جدال !

فقالت له : اريد منك اربع نوافج من المسك الاذفر ،واربع اوقيات من الغالية ، وأربعة أرطال من العنبر ، واربعمائة حلة من الديباج الملوكى المزركش ، فان جئت لى بها ، ومعها أربعة آلاف دينار من الذهب ، ملكتك نفسى . فقال لها : هذا على هين يامخجلة الاقمار. ثم ودعها وخرج من عندها ليأتيها بما طلبته منه . فالتفتت الى هبوب الجارية وقالت لها : اتبعيه من بعيد لتنظرى مايكون من أمره . فقالت الجارية : سمعا وطاعة

وبينما كان مسرور سائرا فى شوارع المدينة ، اذ لاحت منه التفاتة ، فرأى الجارية وهى تمشى خلفه على بعد ، فوقف الى ان لحقت به . وقال لها : الى اين أنت ذاهبة ؟ فقالت له : ان سيدتى ارسلتنى خلفك لارى ما تفعل لاجابة ماطلبت منك . فقال لها : والله ياهبوب ، ان يدى لاتملك

شيئا من المال ، ولا أعرف احدا يمكن ان يعطيني درهما واحدا ، ولكنى لم اتمالك نفسي من شدة وجدى وتعلقى بحب سيدتك زين المواصف ، فوعدتها وانا لا ادرى كيف أنجز وعدى

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة والاربعون بعد الاربعمائة : فلماكانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان الجارية هبوب لما سمعت كلام مسرور التاجر ، قالت له : طب نفسا ، وقر عينا . وما دمت مخلصا فى حبك لسيدتى هكذا ، فلابد لى من ان أجمع بينكما ، اذ انها لايصلح لها سواك . ثم تركته ينتظرها فى الطريق ، ورجعت الى سيدتها . وقالت لها وهى تبكى : والله انه رجل كبير الهمة كريم النفس . وقد ضحى بكل ما يملك ، ولكنه ما وجد عندنا قلبا رحيما ، لاننا أخذنا ماله ، وبخلنا عليه بما يستحقه من العطف والشفقة . فقالت لها زين المواصف : نعم ياهبوب ، ان اخلاصه لاشك فيه ، ولكن اخشى اذا بلغته مراده أن يشيع الخبر ، فنكون مضغة فى أفواه الناس . فقالت لها هبوب : يا سيدتى أنت ما عندك الا أنا وجاريتك سكوب ، ولن نقدر أن نتكلم عنك الا بما يسرك ويرضيك . فأطرقت زين المواصف لحظة ، ثم قالت : الرأى عندى ان ارسل خلفه الآن لكى يرجع الينا ولا ندعه يسأل احدا من اللئام فما أمر السؤال . ثم دعت بدواة وقرطاس ، وكتبت هذه الابيات :

دنا الوصل يا مسرور ، فلتهن بالوصل
وهيا بنا وادخل القصر بالليل

ولا تحسبني في هواك بخيلة
فقد كنت في سكري وقد رد لي عقلي
وما لك مردود عليك جميعه
وزدتك يامسرور فضلا على فضل
لانك ذو نبل وصبر وهمة
وليس صدودي عنك من شيمة العدل

ثم طوت الكتاب ، واعطته لجاريتها هبوب ، فأخذته ومضت به الى مسرور ، حيث وجدته يبكي وينشد قول الشاعر :

يهب على قلبي نسيم من الجوى
فأبكي دما من فرط وجدي ولوعتي
وقد زادني وجدا صدود أحبتي
وذاب فؤادي في جداول عبرتي
وعندي من الآلام ما ان أبح به
لصم الحصى يوما لرقت لحالتي
الا ليت شعري هل ارى مايسرني
واحظى بما أرجوه من نيل بغيتي
وتطوى ليالي الصد من بعد نشرها
وأبرأ مما كان في الاصل علتي ؟

وما كاد ينتهي من الترنم بتلك الابيات ، حتى ظهرت امامه هبوب وناولته الكتاب ، فأخذه وهو يقول لها : ما وراءك من أخبار سيدتك ؟ فقالت له : ان في هذا الكتاب ، ما يغني عن رد الجواب ، وانت من ذوي الالباب . ففض الكتاب وقرأه ثلاث مرات ، ثم أنشد يقول :

ورد الكتاب فسرنا مضمونه
واردت اني في الفؤاد أصونه
وازددت شوقا عندما قبلته
والدمع من فرحي استفاض هتونه

وبعد أن شكر الجارية على جميل سعيها ، كتب البيتين

فى ورقة ، وطلب منها ان تسبقه بها الى سيدتها . فأخذتها منه ورجعت الى زين المواصف ، فسلمتها اليها ، واخذت تحدثها عن مسرور وما شاهدت من اخلاصه وكرمه ، وحسن اخلاقه ، فقالت لها زين المواصـــف : لماذا ابطأ فى الوصول الينا ؟ فقالت لها هبوب : انت طلبت منه ان يأتى بالليل . فقالت : نعم لقد تذكرت ذلك الآن . ولما اقبـــل المساء ، توجه مسرور الى قصر محبوبته زين المواصف ، فلما رأته رحبت به وأجلسته الى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب : هاتى له بذلة من أحسن ما عندنا . فقامت هبوب وأتت له ببذلة مطرزة بالذهب والجـــواهر ، كما جاءت لسيدتها ببذلة من أفخر الملابس ، ووضعت على رأسها تاجا من اللؤلؤ ، وعصابة من الديباج مكللة بالدر والجواهر واليواقيت ، وأرخت من تحت العصابة سالفتين ، ووضعت فى كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج . ثم أرخت شعر سيدتها على كتفيها وظهرها وبخرتهما بالعود والمسك والعنبر وهى تقول لهما : اسأل الله ان يحفظكما من العين . ثم أخذت تتأمل فى محاسن سيدتها وأنشدت هذه الابيات :

خجلت غصون البان من خطواتها
وسبت نهى العشاق من نظراتهـا
والوجه تحت الشعر بدر فى الدجى
والصدر فيه الحلو من ثمراتهـــا
طوبى لمن قد اسعدته بحسنهـــا
وسقته صـــافى نيلها وفراتهـــا

فشكرتها زين المواصـــف ، ثم أقبلت على مسرور بطلعتها التى تخجل البدور . وقالت له : آنستنا بالحضور . فقال لها : والله ما ادرى هل انت أنسية ، أم أنت حورية ؟

وبعد ذلك وضعت امامهما مائدة الطعام ، ثم مائدة المدام فأكلا وشربا . ثم أخذا يتبادلان العزف والغناء ، وهما فى

منتهى الطرب والانتشاء . الى ان ترنم منشدا :

عجبت لعين لم تمـــل لجمالهـــا
وقلب نجا من أسره بدلالها

وليس لها فى عصرها من مشـــابه
للطف معانيها وحسن خصالهـــا

ويحسد غصـــن البان لين قوامها
اذا خطرت فى قدها واعتدالهـــا

بوجه منير يخجل البدر فى الدجى
وأهدابها ترمى سهـــام نبالهـــا

اذا خطرت فى الارض فاح عبيرها
نسيما سرى فى سهلها وجبالها

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التاســـعة والاربعون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أن زين المواصف لما سمعت شـــعر مسرور ، تعجبت من فصاحته ، وقالت له : انت يا مسرور قد اكلت خبزنا وملحنا ، فوجب حقك علينا ، ولكن من حقنا عليك الا تطمع فى غير مالك . وعلى هذا ساعطيك الآن كل ما أخذنا منك من الاموال وغيرها ، ثم تمضى فى سبيلك فقال لها : أنت فى حل من قتلى اذا كان هذا يرضيك . وليس لى حاجة بمال ولا عقارات ، لانك كل املى فى الحياة . وقالت لها جاريتها هبوب : ياسيدتى استحلفك بالله العظيم أن تجبرى خاطره ، ولا تحرميه من البقاء معنا فى هذه الليلة . فقالت لها : لا يكون الا ما تريدينه . فجددى لنا مجلسا . فنهضت الجارية وجددت مجلسا ، وزينته وعطرته بأحسن العطر . ثم احضرت المدام ، ودارت الكؤوس ، الى ان تمايلت الرؤوس ، وانتشت النفوس . ولم تعد زين المواصـــف

تتمالك عواطفها ، فقالت لمسرور : اعلم ان كل ما أخذناه منك هو حلال لك حرام علينا . ثم ردت عليه جميع ماأخذته منه ؛ وقالت له : انت الليلة ضيفي ، وكل ما تطلبه يكون لك ولو طلبت روحي . وفي غدأكون في ضيافتك في دارك . فقال لها : هذا والله فوق ماكنت أتمناه . ولم يزل عندها في طرب وسرور الى أن طلع النهار ، فانصرف الى منزله ، وامر جواريه ان يصنعن طعاما فاخرا ، وان يهيئن مجلسا حسنا وصحبة عظيمة . ثم دعا زين المواصف الى داره هي وجواريها ، فأكلوا وشربوا وطربوا . ثم قالت له : لقد خطر ببالي شعر رقيق ، أريد ان أغنيه على العود . فأمر مسرور باحضار العود واعطاه لها فأخذته واصلحت أوتاره ، واطربت بالنغمات ، وانشدت هذه الابيات :

قد مال بي طرب من الاوتار
والوقت طاب وطال بالاسحار
والحب أسفر عن فؤاد متيم
بادي الهوى متهتك الاستار
والخمر قد رقت وراق مزاجها
وتلاقت الافكار بالافكار
في ليلة جادت لنا بسرورها
ومحت جميع شوائب الاكدار

ولما فرغت من شعرها ، وهو مفتون بحسنها وسحرها قالت له : انشدنا من اشعارك ، ومتعنا بأطايب ثمارك فأنشد هذين البيتين :

طربنا على بدر يدير مدامة
وانغام عود طاب منها مقامنا
فهل بعد هذا للمحب سعادة
وما هو الا غاية القصد والمنى ؟

فلما فرغ من شعره ، قالت له زين المواصف : انشد شعرا فيما وقع لنا ، ان كنت مشغولا بحبنا . فقال لها

حبا وكرامة . وانشد هذه القصيدة :

قف واستمع ما جرى لى ... فى حب هذا الغزال
لما رمانى بلحظ ... عرفت وقع النبال
وتاه فى الحب بالى ... وضاق فيه احتيالى
هويت ذات جمال ... تهوى فنون الدلال
ابصرتها بين روض ... وقدها ذو اعتدال
سلمت ، قالت : سلاما ... واطربت بالمقال
سألت : ما الاسم ؟ قالت : ... اسمى وفاق جمالى
« زين المواصف » اسمى ... ما بين قومى وآلى
فقلت : بالله رقى ... يا زين ، وارثى لحالى
فأن عندى غراما ... هيهات صب مثالى
قالت : اذا كنت تهوى ... وطامعا فى وصالى
أريد منك حليا ... وفيه أحلى اللآلى
أريد منك ثيابا ... من الثياب الغوالى
أريد مسكا وعطرا ... يزين خدى وخالى
وفضة ونضارا ... ولا تضن بمال
فقلت : ان ضاع مالى ... فان عندى رجالى
أجىء منهم بهذا ... وغيره لا أبالى
وليس يكثر شىء ... على مثال الجمال
من وجهها كنهار ... وشعرها كالليالى
وخدها فيه ورد ... مثل اللظى فى اشتعال
وجفنها فيه سيف ... يرمى بسحر حلال
وثغرها فيه خمر ... يفوق بنت الدوالى
وجيدها جيد ظبى ... وحسنها فى اكتمال

فطربت زين المواصف من هذه القصيدة طربا عظيما ، وقالت له : يا مسرور ، قد دنا الصباح ، ولم يبق الاالرواح.

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الليلة الخمسون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليـــــلة الخمسون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيهــا الملك السعيد ان مسرورا التاجر قام بعد ذلك وأوصل زين المواصف الى قصرها ، ثم رجع الى داره وامضى طول نهاره وليله مفكرا فى محاسنها . فلما أقبل الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، هيأ لها هدية فاخرة ، ومضى بها اليها، فرحبت به وبقى عندها طول النهار

ولم يزالا على ذلك عدة أيام ، وهما فى أرغد عيش وأهنأه ، ثم توجه اليها بعد ذلك فوجدها جالسة تبكى ، وقالت له : ان سيدى اليهودى كان مسافرا ، وقد جاءنى منه كتاب اليوم بانه فى الطريق الى هنا ، واخشى بعد وصوله أن يكدر علينا عيشنا ، ولا أدرى كيف يكون العمل وما لاحدنا عن صاحبه صبر ؟ فقال لها : أنت أخبر وادرى باخلاقه وطباعه، كما انك صاحبة عقل وحيلة لا مثيل لهما . فقالت : انه رجل صعب شديد الغيرة ، والرأى عندى اذا قدم من سفره أن تأتى أنت فتقابله وتزعم له أنك رجـــل عطار تريد أن تشترى منه صفقة كبيرة . وأى ثمن طلبـــه لا تتردد فى قبوله . وسوف يصير بذلك مطمئنا اليك ، وكلما أجزلت له الربح ، ازداد تعلقا بك طمعا فى مالك ، ولا بد انه يدعوك الى الطعام والشراب هنا ، ويدعونى لاغنى لكما . وبذلك يتم سرورنا باللقاء وهو لا يدرى . فقال لها : لا حرمنى الله منك أبدا

ولما وصل سيدها اليهودى رحبت به وسلمت عليه ، وكانت قد غسلت وجهها بالزعفران فبدا اصفر . كمـــا تظاهرت بالضعف ، وقالت له جواريها : انهـــا مريضـة من وقت ما سافرت ، لانشغال قلبها عليك ، وقد اضناها طول الفراق ، وطالما شكت الوجد والاشتياق . وكانت تبكى وتقول : لو كان معى رفيق ما حمل قلبى هذا الهم كله، فبالله عليك ما بقيت تسافر الا برفيق ، ولا تقطع عنهـــا

اخبارك لاجل ان تكون مطمئنة القلب عليك . فقال لهن : حبا وكرامة . ولا يكون الا ما تريده . ثم خرج بشيء من بضاعته الى دكانه ، وجلس للبيع فى السوق . فبينما هو فى دكانه ، اذ اقبل مسرور وسلم عليه ، وجلس الى جانبه وصار يحييه ويتحدث معه ساعة . ثم اخرج كيساممتلئا بالدنانير ودفعه اليه ، وقال له " أعطنى بهذه الدنانير شيئا من أنواع العطارة لابيعه فى دكانى . فقال : سمعا وطاعة . ثم أعطاه الذى طلبه . وصار مسرور يتردد عليه اياما ، وفى كل مرة يدفع له كيسا من الذهب ويأخذ منه قليلا من أنواع العطارة الى ان اطمأن الرجل اليه ، وصار ينتظره بلهفة واشتياق طمعا فى الربح . ثم قال له يوما : ان لى مدة طويلة ابحث عن رجل طيب اشركه فى تجارتى فما رأيك فى ان تكون شريكى؟ فقال له مسرور : هذا غاية ما اتمناه ، وقد كان أبى تاجرا فى بلاد اليمن وخلف لى مالا عظيما لا اعرف كيف استغله . فقال له سيد زين المواصف : سأتخذك شريكا ، ترافقنى فى أسفارى ، وتكون صديقى وملازمى فى خلال اقامتى . وسوف اعلمك البيع والشراء ، والاخذ والعطاء . فقال له مسرور : حبا وكرامة

وبعد ان انتهى العمل فى الدكان ، اراد مسرور الانصراف ، فقال له الرجل : ابق معى اليوم لتكون فى ضيافتى . فقبل ذلك شاكرا . ولما توجه معه الى قصره الذى تقيم به زين المواصف ، اجلسه اليهودى فى الدهليز ، ودخل هو عليها وقال لها : انى احضرت معى شابا غنيا من التجار ، اخترته شريكا ورفيقا لى ، فاعملى لنا ضيافة حسنة

فلما سمعت كلامه ، وكانت قد عرفت ان الضيف هو مسرور ، فرحت فرحا شديدا ، وهيأت وليمة فاخرة ، فيها كل الوان الطعام والشراب . ثم قال لها سيدها : تعالى اجلسى معنا لترحبى بالضيف . فتظاهرت بالغضب وقالت له : كيف اجلس مع رجل غريب ؟ . فقال لها : لا داعى لان

تخجلي منه ؛ فهو شريكي ، وعنده اموال كثيرة سوف نستغلها فى تجارتنا . فقالت له : والله ياسيدي انى لاستحيي من الجلوس مع هذا الاجنبي ، ولكن ما دمت انت واثقا من حسن اخلاقه وكرم طباعه ، فلا بأس من جلوسى معه . ثم قامت مع سيدها الى مسرور ، فرحبت به وجلست تشاركهما الطعام والشراب

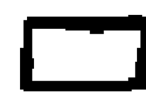
وكان مسرور يتظاهر بالحياء الشديد ، مما جعل الرجل يزداد اطمئنانا اليه ووثوقا به . وبقى الثلاثة فى أكل وشرب وطرب بقية النهار ، ثم انصرف مسرور ، وقد امتلأ قلبه بالسرور ، لاجتماعه بزين المواصف مالكة قلبه

وكان عند اليهودى طائر من نوع الهزار ، تعود ان يرفرف على راسه كلما جلس للطعام ثم يستقر فوق حجره ويأكل معه . ولكنه منذ رجوعه من سفره لاحظ ان ذلك الطائر لم يعد يفعل ذلك معه . فأهمه الامر كثيرا ، ثم لاحظ حين حضر مسرور عنده وجلسوا على المائدة ان الطائر اخذ يرفرف على راس مسرور ، ثم حط على حجره وصار يأكل من يده وكأنه يعرفه ويألفه من قديم . فداخله الشك فى هذا الامر . ثم اتفق ان كان جالسا بعد ذلك بالقرب من زين المواصف وهى نائمة ، فسمعها تتكلم وهى تحلم ، مرددة اسم مسرور . فقال لنفسه : لابد ان فى الامر شيئا . واخذ كلما حضر مسرور معه وجلسوا للأكل والشرب والطرب كعادتهم ، يراقبهما خلسة . فلم يلاحظ عليهما أى شيء غير عادي اول الامر . وكاد يعتقد انه كان مبالغا فيما توهمه

وفى ذات يوم ، جلس الثلاثة على المائدة ، فأكلوا وشربوا وطربوا ، وكان طائر الهزار طول ذلك الوقت يرفرف على رأس مسرور ، ويحط على ركبته آمنا مطمئنا ، ويتناول الاكل من يده . فحاول اليهودى ان يأخذ الطائر ويضعه على ركبته هو ، كما كان يفعل من قبل سفره . ولكن الطائر أبدى نفوره منه ، وأبى الا يستقر الا فى حجر مسرور ، والا

يأكل الا من يده فقط . ولما ضايقه اليهودى بمحاولاته ، طار عن المائدة كلها هاربا منه

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية والخمســـــون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان اليهودى لمـا رأى ذلك ، سكت على مضض . ثم أخذ يراقب زين المواصف خلسة ، فوجدها تتبادل النظرات الوالهة مع مسرور . وتذكر ما سمعه من ترديدها اسمه وهى نائمة تحلم . فقال: وحق موسى وهرون ، ماهذان الا عاشقان . ثم التفت الى مسرور وقال له : انك آنستنا كثيرا يا سيدى . ولى اولاد عم منزلهم قريب من هنا . وسأتوجه اليهم لاحضارهم كي يشاركونا مانحن فيه من الحظ والانس . فقال له مسرور : أفعل ما بدا لك . فقام اليهودى وخرج من الباب الكبير للقصر ، ثم تسلل راجعا ودخل من باب صغير فى الحديقة ، ووقف من خلف طاقة تشرف على المجلس ، وصار ينظر منها الى مسرور وزين المواصـــــف ويراقبهما من حيث لا يشعران !

وما كادت زين المواصف تراه عند خروجه من الباب الكبير ، حتى قالت لجاريتها سكوب : لقد ذهب فى داهية ، فهيا اغلقى الباب بالحديد ، ولا تفتحى له حتى يدق الباب بعـد ان تخبرينى . فقالت لها الجارية : سمعا وطاعة . ثم قامت زين المواصف فأخذت الكأس وطيبتها بماء الورد والمسك وملأتها وقدمتها الى مسرور ، وصارت تسقيه وهو يسقيها ، وكل منهما يرش الآخر بماء الورد ، حتى فاحت رائحتـه فى المجلس . كل ذلك وزوجها ينظر اليهما ، ويتعجب من شدة الحب الذى بينهما . وقد امتلأ قلبه غيظا مما رآه .

وتملكته الغيرة الشديدة ، فترك مكانه وتوجــه الى الباب الكبير فلما وجده مغلقا اخذ يطرقه بشدة ، الى ان فتحته الجارية بعد ان اخبرت سيدتها زين المواصف . ثم دخل على مسرور وهو يضحك كاتما غيظه وقال له : لا تؤاخذني يا اخي ، لقد وجدت اولاد عمي مشغولين بقسمة تجارة لهم ، ولا بد لي من حضور هذه القسمة الآن عندهم . وأرجو ان نعود نحن الى مثل مجلسنا هذا في غد ان شاء الله . فنهض مسرور مستأذنا في الانصراف ، ورجع الى منزله والنار مشتعلة في فؤاده اسفا على فراق زين المواصف

وامضى اليهودى ليلته مهموما مفكرا فى امره مـــع زين المواصف ومسرور . وصار يقول لنفسه : ماذا أصنع ؟. ولما طال ارقه وعذابه ، انشد هذه الابيات ، وعيناه تفيضان بالعبرات :

تعاندنى الايام فيمن احبــــه
وقلبى بما فيـــه يزيد تضرما
صفا الدهر حينا ثم كدر صفوه
تقلب قلب خان عهدى واجرما
فما لك يا طير الهزار تركتنى
لغيرى وصار الود منك محرما ؟
وقد أبصرت عينى أمورا عجيبة
تفتت قلبى عنـــــدها وتخرما
رأيت التى أهوى اضاعت مودتى
واصبح مسرور لديهـــا مكرما
ولابد من يوم انتقام يريهمـــا
نجوم السما ظهرا ويرمى الذى رمى

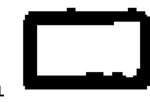
وسمعته زين المواصف وهو يردد شعره ، فارتعــدت فرائصها واصفر وجهها ، وقالت لجاريتهـــا : ماذا يعنى بانشاد هذا الشعر ؟ فقالت لها الجارية : ما سمعته فى عمرى

قال مثل هذا ، ولكن اطمئنى يا سيدتى فلن يكون الا ما تحبين.

وبعد ايام ، صار اليهودي يبيع كل ما عنده من البضاعة ، فلما انتهى من ذلك قال لنفسه الآن ارحل بزين المواصف من هذه البلاد وانا مطمئن . ومتى فارقت ذلك الشاب فانها تسلوه وترجع الى عهدها معى . ثم كتب خطابا مزورا وقراه عليها مدعيا انه من عند اولاد عمه المقيمين ببلدة بعيدة ، وانهم يلحون فى سفرهما اليهم للاقامة عندهم شهرا ، فقالت له : سافر انت اليهم وانا ابقى هنا حتى ترجع بالسلامة ، لانى ضعيفة لا أقدر على السفر . لكنه لم يقبل ذلك واصر على سفرها معه قائلا لها : خذى معك الجاريتين هبوب وسكوب لتكونا فى خدمتك حتى نعود . ثم اعد هودجا مليحا وعزم على الرحيل بهن . فلما رات زين المواصف انه لابد من سفرها معه ، ارسلت الى مسرور خطابا قالت فيه : اعلم ان صاحبنا دبر لنا مكيدة للتفريق بيننا . وانا واثقة من ان العهود والمواثيق التى بيننا لن تنسى مهما طال الفراق ، ولكنى أخشى غدره ومكره . فلما قرأ خطابها تملكه الحزن ، وحاول مقابلتها او مقابلة احدى جواريها فلم يتمكن من ذلك . وصارت هى تبكى وتنتحب ولا يقر لها قرار فى ليل ولا نهار . الى ان حان موعد السفر ، واحضر اليهودى الجمال ووضع عليها الاحمال ، فانتهزت فرصة اشتغاله بذلك وتوجهت الى الباب الاول للدار ، وكتبت عليه هذه الابيات :

الا يا حمام الدار بلغ تحيتى
الى من له دون الجميع محبتى
وبلغه انى لا ازال مقيمة
على عهدنا حتى اذوق منيتى
وانى ذرفت الدمع من بعده دما
صبيبا على ماقد مضى من سعادتى

قضينا زمانا والسرور حليفنـا
وكنا كأنا عائشـان بجنـة
ولم نستفق من نشوة الانس ساعة
الى ان قضى الدهر الخؤون بغربتي
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية والخمسون بعد الاربعمائة : فلمـا كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ان زين المواصف توجهت بعد ذلك الى الباب الثاني وكتبت عليـه هـذه الابيات :

الا أيها البـاب الذى راق منظرا
اذا جاء محبوبى فأبلغه ما جرى
وأنى ذرفت الدمع من بعده دما
على الخد يجرى من عيونى احمرا
وابلغه ان الصبر لاشيء غـيره
يداوى قلوبا باعها الدهر واشترى
ومن طاف فى شرق البلاد وغربهـا
يجد نفسه رغم الاسى قد تصبرا

ثم أتت الباب الثالث ، وبكت بكاء شديداً ، وكتبت عليه هذه الابيات :

رويدك يا مسرور ان زرت دارها
فمر على الابواب واقرأ سطورها
ولا تنس يامسرور ايام قربهـا
وان عدمت بعد الفراق سرورها
وكانت اذا ماجئت يفتح بابها
فصارت اذا ماجئت ارخت ستورها

لقد ذهبت عنها ليالى وصالنا
وفرط ظلام الهجـــر اطفأ نورها
رعى الله اياما مضت ما أسرها
بروض الامانى اذ قطفنا زهورها
فهل يا ترى الايام تجمع شملنا
وترجع أيام بكينـــا مرورها ؟
تبارك من كل الامـــور بكفه
يخط على لوح الجبين سطورها

ثم جاء اليهودى فأخذها وحملها على الهـــودج الذى صنعه لها . فلما صارت على ظهر البعير ، أنشدت هـــذه الابيـــات :

عليك سلام الله يا منزلا خـــلا
وقد طالمـــا شاهدت فيك تجملا
جزعت على بعدى وشوقى لموطن
عزيز ، لحبى كان من قبل موئلا
فياليت شعرى هل أرى فيه ليلة
تروق كما راقت لياليـــه أولا ؟

فلما سمع اليهودى شعر زين المواصف ، قال لها : لاتحزنى على فراق منزلك ، فانك تعودين اليه عما قريب . وصار يطيب خاطرها ويلاطفها . ثم ساروا حتى خرجوا الى ظاهر البلد واستقبلوا الطريق ، فعظم عليها الامر ، ولم تتمالك نفسها فأخذت فى البكاء

ولمـــا توجه مسرور الى منزلها لمحاولة رؤيتها كعادته ، رأى الابيات التى كتبتها زين المواصف على الباب الاول . وما قرأها حتى وقع على الارض مغشيا عليه . ولما أفاق من غشيته ، فتح الباب ودخل الى الباب الثانى ، فرأى ما كتبته عليه وقرأه . وكذلك قرأ الابيات التى كتبتها على الباب الثالث ، فعلم أن اليهودى رحل بها . وزاد به الغرام والشوق والهيـــام ، فخرج فى أثرها يسرع فى خطاه حتى

لحق بالركب ، وكان هودجها فى آخره بينما زوجها فىأوله. فتعلق مسرور باستار الهودج ، واخذ يسكب العبرات ؛ ثم انشد هذه الابيات :

ليت شعرى بأى ذنب رمينـا
بسهام الصدود حتى دمينـــا
يا منى القلب جئت للدار أبغى
نظرة والفؤاد كان حزينـــا
فاذا الدار قد خلت بعــد أنس
فشكوت النوى وزدت أنينـــا
وســـألت الابواب : أين تولت
زين قلبى وخلفته رهينـــا ؟
فأجابت اشـــعارها بسطور
اظهرت فى الفؤاد حبا كمينـــا

فلما سمعت زين المواصف صوته وهويترنم بهذا الشعر، عرفته على الفور ، وامعنت فى البكاء هىوجواريها. وخشيت ان يراه اليهودى وهو متعلق باستار هودجها فيعمد الى ايذائه . فأطلت عليه وقالت له : سألتك بالله يا مسرور ان ترجع ، لئلا يراك ويرانى . فلما سمع مسرور كلامها وقع على الارض مغشيا عليه .ولمـا أفاق بعد حين ، وجـــد الركب قد سار ، واختفى عن الانظار ، فرجع الى قصرها وهو يبكى بالدمع المدرار ، واخذ يقبل هناك كل جدار ، ثم انشد يقول :

يا ربع رق لذلتى وخضـــوعى
ونحول جسمى وانسكابدموعى
وانشر على قلبى عبير نسيمهم
فعساه يشفى ما اذاب ضلوعى

ورجع بعد ذلك الى منزله ، حيث لزم الفراش ، وبقى عشرة أيام لا يهنأ بنوم ولا طعام ولا شراب
اما زين المواصـف ، فما زال اليهودى سائرا بهــا حتى

وصل بعد عشرة ايام الى مدينة كبيرة ، فأنزلها فيها بدار اشتراها ، واعتقد ان غربتها قد انستها هواها . ولكنهـــا فى الحقيقة زادت وجدا وهياما . ولم تكد تخلو الى جاريتها هبوب وسكوب حتى كتبت رسالة الى مسرور وطلبت منهما ارسالها اليـــه بأى طريقة . فقالتـــا لها : ســـمعا وطاعة

ولما وصلت الرسالة الى مسرور ، عظم عليه امر الفراق ، وبكى من شدة الوجد والاشتياق

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثالثة والخمسون بعد الاربعمائة : فلماكانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الاربعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان مسرورا التاجر كتب بعد ذلك رسالة الى زين المواصف وختمها بهذين البيتين :

كيف السبيل الى من ليس ينسانى
وليس لى عنه يوما أى ســلوان ؟
ما كان أطيب أوقات لنــــا سلفت
فليت منها لدينـــا بعض أحيـــان

ولما وصلت هذه الرسالة الى زين المواصف ، قرأتهـــا واعطتها لجاريتها هبوب وقالت لها : اكتمى خبرها . فقالت لها : سمعا وطاعة . ولم يزل العاشقان يتراسلان ،ويتبادلان شكوى الزمان ، الى ان علم اليهودى بأمر هذه المراسلات، فأكلت قلبـــه الحسرات . ورحل بزين المواصف وجواريها من تلك المدينة ، الى مدينة اخرى تبعد عنها مســـــيرة عشرين يوما

ولما انقطعت رسائلها عن مسرور صار لا يهنأ له نوم ، ولا يقر له قرار فى اى يوم . وصار يتوجه الى قصرها الخالى ، ليذرف عنده الدموع الغوالى . ويتخيل انها تستقبله هناك كعادتها ، فيزداد حزنه على ما ضاع من سعادته وسعادتها .

وكلما وصل الى شجرة فى حديقة القصر ، وقف يعانقها أحر العناق ، ويبثها ما يجد من فرط الاشتياق

وكان لزين المواصف اخت تسمى نسيم ، تعرف ما بينها وبين مسرور من الحب العظيم . وكانت تراه من دارها كلما توجه الى قصر أختها ، فتبكى لبكائه ، وتعجب لشدة اخلاصه ووفائه . وفى يوم من الايام ، شاهدته هناك وقد اشتد به الهيام ، فسكبت العبرات ، وانشدت هذه الابيات :

كم ذا تطوف بهذى الدار تبكيها
والدار ليس بها الا مبانيها
كان السرور بها من قبل ان رحلت
تلك التى طالما قد اشرقت فيها
اين الليالى التى كانت طوالعها
طوالع السعد فى ابهى معانيها ؟
واين من كنت قبل اليوم تألفها
فصرت لما طواها البين تبكيها
لولاك ما رحلت من دارها ابدا
ولا رأيت غرابا فى أعاليها

فبكى مسرور بكاء شديدا ، ثم قالت له اختها : بالله عليك يا مسرور لا تتردد على هذا المنزل لئلا يشعر بك احد فيصيبك منه أذى . واعلم ان اختى زين المواصف لاسبيل لك اليها ابدا ، فأترك الامل فى اجتماعك بها وارجع الى بلدك لعلك تسلو حبها . فلما سمع مسرور ذلك من اختها بكى بكاء شديدا وقال لها : والله يا نسيم لو قدرت ان أطير لطرت شوقا اليها . ومن المحال أن أسلو هواها . وانى التمس منك أن تكتبى لها خطابا ، وان تخبريها بما صارت اليه حالتى ، فقالت له : حبا وكرامة . ثم جاءت بدواة وقرطاس ، واخذت تكتب ما يمليه عليها واصفا شدة شوقه وما يكابده من الم الفراق ، الى ان قال فى آخر الخطاب : اعلمى يا أختى

ان الذى أملى على هــذا الخطاب ، هو الهــائم الولهــان ، الذى فاضت به الاحزان ، وقد اضناه الفراق ، واشتعل بنيران الاشواق . فصار لا يقر له قرار ، فى ليل ولا نهار . ودائما يبكى بدموع غزار ، حتى قرحت الدموع اجفانه ، وافنده الوجد جنانه . وطال تأسفه ، وكثر تلهفه ،فجسمه فى نحول ، وعقله فى ذهول وضاقت عليه الجبال والســهول فأمسى من فرط وجده ينشد ويقول :

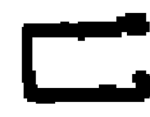
وجدى على تلك المنــازل باقى
زادت الى سكانها اشــــواقى
ولقد بعثت لكم حديث صبابتى
وتعلقى بالعهـــد والميثــاق
وعلى ترحلكم وبعــــد دياركم
تبكى الجفون بدمعها المهراق
ياحادى الاظعان عرج بالحمى
فالقلب كم ذا فى البعاد يلاقى
واقرأ سلامى للحبيب وقل له :
ما للمحب سوى اللقا من واقى
أودى الزمان به فشتت شـمله
ورمى حشاشته بســهم فراق
ما ملت قط ولا سلوت هواكم
كيف السلو لعاشق مشـــتاق
فعليكم منى الســلام تحيـــة
ممزوجة بالمســك فى الاوراق

فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة اشماره ، ثم ختمت الكتاب بالمسك الاذفر ، وبخرته بالند والعنبر ، وأوصلته الى بعض التجــار وقالت له : لا تسلم هذا الا لأختى أو جاريتها هبوب . فقال :حبــا وكرامة

ولما وصل الكتاب الى زين المواصف وقرأته عرفت أنه

من املاء مسرور ، فقبلته ووضعته على راسها ، واجرت الدموع من جفنيها . ولم تزل تبكى حتى غشى عليها ، فلما أفاقت دعت بدواة وقرطاس ، وكتبت رد الجواب ، وضمنته شوقها وغرامها ، ووجدها وهيامها . الى ان قالت : الى سيدى ومالك رقى ومولاى ، وصاحب سرى ونجواى . أما بعد فقد أقلقنى السهر ، وزادت بى الفكر ، ومالى على بعدك مصطبر ، يا من حسنه يفوق الشمس والقمر . فالشوق أقلقنى ، والوجد أهلكنى . فيا بهجة الدنيا وزينتها : هل لمن انقطعت أنفاسه أن يطيب كأسه ! انه ليس من الاحياء ، فحياته هى والفناء سواء !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الرابعة والخمسون بعد الاربعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الاربعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف ختمت خطابها الى مسرور بهذه الابيات :

كتابك يا مسرور قد هاج لى البلوى
وتالله ما لى عنك صبر ولا سلوى
ولما عرفت الخط حنت جوارحى
وأصبحت لا أقوى على ألم الشكوى
جفا النوم أجفانى وفاضت مدامعى
ولم أدر طعم المن بعدك والسلوى
حرام على العيش بعد بعادكم
فانى على حر التفرق لا أقوى

ثم ختمت الكتاب ، وأرسلته مع أحد التجار وقالت له : لا تسلمه الا لأختى نسيم . فلما وصل الى اختها ، أوصلته الى مسرور ، فقبله ووضعه على عينيه ، وبكى حتى أغمى عليه

ولم يزل اليهودي سيد زين المواصف يرحل بهـــا وبجاريتها من بلد الى بلد ، وقد اشتعل قلبه بنار الغيرة واتقد . فلما مضت على ذلك سنة ، قالت له زين المواصف: الى متى تسير بنا وتبعدنا عن الاوطان ؟ فقال لها : يظهر أن كل هذه الرحلات، لم تمنع تبادلكما المراسلات ، واخشى أن تأخذي أموالي ، وكل ما كسبته في اقامتي وتجوالي ، ثم تهربي به الى عشيقك مسرور . وعلى هذا لا خلاص لك ولا لجاريتيك من يدي . ثم توجه الى أحد الحدادين ، وصنع لهن ثلاثة قيود من الحديد ، ونزع ما كان عليهن من الثياب الغالية ، والبسهن ثيابا خشنة قاسية . ثم دعا الحداد وأمره بوضع القيود في أرجلهن . فلما رأى الحداد زين المواصف بهره جمالها ، وادبها وكمالها . وعض على أنامله ، وطار عقله من رأسه . ثم قال لليهودي : ما ذنب هؤلاء الجواري ؟ فقال : انهن سرقن مالي وحاولن الهرب مني . فقال له الحداد : والله لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة ، واذنبت كل يوم ألف ذنب ما آخذها . وما أظن أن من كانت مثلها في جمالها وكمالها تطيق وضع الحديد في رجليها . فقال له : اصنع لها قيدا أخف وزنا . فقال الحداد : سمعا وطاعة ، وصنع لها قيدا خفيفا وضعه في رجليها ، بينما وضع أرجل جاريتيها في قيدين ثقيلين . ثم انصرف بعد أن أخذ أجره . وهو يتعجب من جمـال زين المواصف ، ويحدث نفسه بأنها لا يمكن أن تكون سارقة ولا آبقة . وشعر في قلبه بميل شديد اليها ، واشـفاق عليها . لان جسمها الناعم لا يتحمل القيد ولو كان خفيفا. ولم يزل يفكر في أمرها الى أن وصل الى منزله ، فاشتدت على قلبه الحسرات وأنشد في وصف زين المواصف هذه الابيات :

حسناء كالشمس حازت منتهى الادب
والقيد في رجلهـا يدعو الى العجب

ولو راى حسنها قاضى القضـــاة رثى
لهـــا واجلســـها فى أعظم الرتب
ومن تكن مثلها فى حسن طلعتهـــــا
فكيف تسرق أو تقـوى على الهرب ؟

واتفق أن قاضى القضاة كان فى تلك اللحظة مارا على دار الحداد ، فلما سمعه يترنم بانشاد هذه الابيات ، قال له : من هذه التى تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها ؟ فقال له الحداد بعد أن قبل يده : أدام الله أيام مولانا القاضى ، وفسح فى عمره ، انها جارية صفتها كذا وكذا . وصار يصف له زين المواصف وما هى عليه من الجمال والظرف والكمال ، وقال : انها ذات وجه جميل ، وخصر نحيل ، وردف ثقيل . وحديثها يشفى العليل . ولكن سيدها من اشرار اليهود ، ويعاملها بالقسوة والجحود ، وقد وضع فى رجليها القيود ، وألبسها أخشن الثياب ، ومنع عنهـا الطعام والشراب . فقال له القاضى : دلنا عليها ، واوصلنا اليها . حتى نأخذ لها حقها . فقال الحداد : سمعا وطاعة . ثم توجه لساعته الى دار زين المواصف ، فوجد البـــاب مغلقا ، وسمع صوتها الرخيم وهى تنشد هذه الابيات :

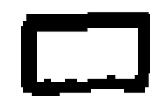
قد كنت فى وطنى والشـــمل مجتمع
والحب يمـــلأ لى بالصفو اقداحا
دارت علينـــا بما نهـــواه من طرب
فليس ننـــكر امســـاء واصـــباحا
لقـــد قضينا زمانا كان ينعشـــنا
كأســــــا وعودا وقانونا وافراحا
ففرق الدهر والتصريف الفتنــــا
والحب ولى ووقت الصـــفو قد راحا
فليت عنـــــا غراب البين منزجر
وليت فجر وصـــالى فى الهوى لاحا

فلما سمع الحداد شعرها ، بكى بدمع كدمع الغمام

ثم طرق الباب . فسمع الجارية هبوب من خلف الباب تسأله عما يريد . فقال لها : ان مولانا القاضي علم بأمركن، فرثى لحالتكن . وقد أمر باحضاركن لديه ، واقامة الدعوى بين يديه . فقالت له : كيف نذهب اليه والباب مغلق علينا ، والقيود فى أرجلنا ، والمفاتيح مع اليهودى سيدنا ؟ فقال لها الحداد : أنا أعمل مفاتيح وافتح بها الباب والقيود . ثم أدلكن على بيت القاضى . فقالت له زين المواصف : كيف نمضى عند القاضى ونحن لابسات ثياب الشعر المبخرة بالكبريت؟ فقال الحداد : انالقاضى لايعيبكن وانتن فى هذه الحالة

ثم صنع الحداد مفاتيح للباب والقيود ، وبعد أن دخل عليهن وحل القيود عن أرجلهن ، اخرجهن من الدار، ودلهن على بيت القاضى فذهبن اليه بعد أن دخلت زين المواصف الحمام ، ولبست أحسن الثياب . وكان اليهودى فى ذلك الوقت مشغولا بحضور وليمة عند بعض التجار ، فانتهزت هذه الفرصة وتزينت كذلك أحسن الزينة . وما كادت تدخل على القاضى حتى نهض قائما ، ووجد نفسه متيما بها هائما

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الخامسة والخمسون بعد الخمسمائة : فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الخمسمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما دخلت على القاضى سلمت عليه بصوت عذب وأدب جميل ، ثم رشقته بسهام عينيها ، وقالت له : أدام الله مولانا القاضى ، وأيد به التقاضى . ان هذا الحداد ، قد تصرف معنا تصرف الاجواد ، ولولاه ما تخلصنا من العذاب الذى كنا فيه . ثم أخبرته بما صنع اليهودى بها

وبجاريتيها ، وكيف أشرفن على الهلاك ، ولم يجدن سبيلا الى الفكاك . فقال لها القاضي : ما اسمك ؟ فقالت له : اسمي زين المواصف . فقال لها القاضي : ان اسمك وافق مسماه ، وطابق لفظه معناه . فتبسمت ولفتت وجهها . فقال لها القاضي : يا زين المواصف : هل لك زوج أم لا ؟ فقالت : مالي زوج يا مولاى ، وأنا ولله الحمد على دين الاسلام وملة خير الانام . وأشهد ألا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله . فقال لها : كيف تكونين مسلمة حرة بينما اليهودى الذى أنت عنده يدعى أنك جاريته ؟ فقالت له : أيها القاضي ، أدام الله أيامك بالتراضى ، وبلغك آمالك ، وختم بالصالحات أعمالك . ان أبى خلف لى بعد وفاته خمسة عشر ألف دينار ، وجعلها فى يد هذا اليهودى لكى يتجر بها ، ويكون الكسب بيننا وبينه ، ورأس المال ثابت بالبينة . فلما مضت أيام على وفاة أبى ، طمع اليهودى فى مالى ، كما أعجبه جمالى ، فأراد أن يتزوجنى ويخرجنى من دينى ليجعلنى مثله يهودية . فهددته أمى برفع أمره الى القاضي . فخاف عاقبة ذلك ، ثم غافلنا وهرب بأموالنا الى مدينة عدن . وبقينا نبحث عنه حتى اهتدينا الى مكانه ، فجئنا اليه وطالبناه بحقنا . ولما رآنا ذكر لنا أنه يتاجر فى البضائع ، ولم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعذبنا أشد العذاب ، ونحن غرباء ومالنا معين الا الله تعالى ومولانا القاضي . فلما سمع القاضي كلام زين المواصف قال لجاريتها هبوب : ما دامت سيدتك هذه غريبة وليس لها زوج فزوجينى بها ، وأنا أخلص لكن حقكن من ذلك اليهودى بعد أن أجازيه بما فعل . فقالت له هبوب : لك السمع والطاعة . فقال لها القاضي : ليطمئن قلبك وقلب سيدتك ، وفى غد ان شاء الله تعالى أرسل الى ذلك اليهودى وأخلص لكن حقكن منه وتنظرين العجب فى عذابه .

فشكرته الجارية ، وانصرفت هى وسيدتها وتركتـاه فى وجد وهيام ، وشوق وغرام !

ثم توجهت زين المواصف وجاريتاها بعد ذلك الى دار القاضى الثانى ، ثم الى القاضى الثالث والرابع . فكان كل منهم يعرض على زين المواصف أن يتزوجها ، ليخلص لها حقها من اليهودى . فتتظاهر هى بالموافقة على ذلك . وهكذا صار كل واحد من قضاة المدينة الاربعة يمنى نفسه بالتزوج بها ، بينما اليهودى لا علم له بشىء من ذلك لانه كان فى دار الوليمة !

وفى صباح اليوم التالى ، لبست زين المواصف حلة من أفخر الملابس ، وتوجهت الى مجلس الحكم وفيه القضاة الاربعة ، وهناك أسفرت عن وجهها وسلمت عليهم ، فردوا السلام ، وفتنتهم جميعا بحسـنها ، فوقع القلم من يد أحدهم وهو يكتب ، وتلجلج لسان آخر كان يتحدث . وغلط الثالث فى حساب كان يجريه . وكاد الرابع يغمى عليه . ثم قالوا لها : يا ظريفة الخصال وبديعة الجمـال ، ليطمئن قلبك كل الاطمئنـان ، فلا بد من أن نخلص لك حقك ونبلغك مرادك . فشكرتهم ثم ودعتهم وانصرفت بعد ان أطمعت كل واحد منهم فى قبوله زوجا لها . وكذلك أخذت تطوف ومعها جاريتها هبوب على ولاة الاحكام وارباب الاقلام ، وتعمل معهم مثلما عملت مع القضاة

ثم كتبت خطابا ضمنته جميع ما عمله معها اليهودى من الاول الى الآخر ، وكلفت جاريتها هبوب بارساله الى مسرور . ولما رجعت الى البيت بعد ذلك ، لم يمض قليل حتى حضر اليهودى ودخل عليهما ، فلما رآهما طليقتين والسرور يفيض من وجهيهما ، غضب غضبا شـديدا ، وقال لهما : هل صديقكما مسرور هو الذى فعل ذلك ؟ فقالت له زين المواصف : نحن مالنا معين عليك الا سبحانه وتعالى ، وهو القادر على أن يخلصنا من جورك ويردنا الى

بلادنا . فقال اليهودى : لا بد أن أصنع لكل واحدة منكما قيدا وزنه عشرة أرطال ، وأطوف بكما حول المدينـة . فقالت له هبوب : جميع ما نويته لنا ستقع أنت فيـه ان شاء الله . فقال لها : سترين الآن عاقبة هذا الكلام . ثم غادر الدار وتوجه الى الحداد ليصنع لهما قيدين جديدين. فانتهزت زين المواصف هـذه الفرصة وخـرجت هى وجواريها ، وتوجهن الى مجلس الحكم حيث سلمت على القضاة ، فردوا السلام واقفين . وقال قاضى القضاة لمن حوله : ان هذه الجارية زهراوية ، كل من رآها أحبهـا وخضع لحسنها . ثم أرسل معها أربعة من الجنود الاشداء وقال لهم : احضروا غريمها فى أسوأ حال . فلما وصـلوا الى الدار ، كان اليهودى قد رجع من عند الحداد ، فانهال عليه الجنود بالضرب ، وسحبوه على وجهه حتى أتوا به الى مجلس الحكم ، حيث صاح به قاضى القضاة : ويلك يا عدو الله ، هل بلغ من أمرك أن تبعد هؤلاء النساء عن أوطانهن وتسرق أموالهن وتريد أن تجعلهن يهوديات وهن مسلمات ؟

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة والخمسون بعد الستمائة : فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الستمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن اليهودى لما سمع كلام قاضى القضاة ، تعجب غاية العجب ، وقال له : يا مولاى ان هذه زوجتى. فلما سمع القضاة كلامه صاحوا كلهم فى وجهه مكذبين ، وأمروا بالقائه على الارض وضربه على وجهه بالنعال قائلين : ان ذنبه لا يغفر . وأسرع الجنود فنزعوا عنه ثيابه الحريرية وألبسوه ثيابا من الشعر ، ثم ألقـوه على الارض ونتفوا لحيته وضربوه على وجهـه



« صاح به قاضي القضاة : ويلك يا عدو الله ! »

بالنعال . ثم أركبوه بعد ذلك حمارا وجعلوا وجهه الى كفله ، وذيل الحمار فى يده ، وطافوا به حول البلد . ثم عادوا به الى مجلس الحكم وهو فى ذل عظيم ، فحكم القضاة الاربعة بأن تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يقتل وترمى جثته للكلاب !

ولما سمع اليهودى هذا الحكم ، غاب عقله وقال للقضاة: اذا كنتم تريدون منى أن أعترف بأن هذه الجارية ما هى زوجتى ، وبأنى اخذت مالها وتعديت عليها وأخرجتها من أوطانها ، فأنا أقر بذلك وأكتب على نفسى حجة به ، لكى اخلص بحياتى . فقال له قاضى القضاة : لا بأس يا ملعون. ثم جعله يكتب الحجة ، وسلمها الى زين المواصف مع جميع امواله ، وقال له : اياك أن تبقى فى هذا البلد دقيقة واحدة . فقال : سمعا وطاعة

ولما رجعت زين المواصف الى الدار ، جهزت جميع ما تحتاج اليه ، وصبرت الى أن دخل الليل ، ثم اخذت ما خف حمله وغلا ثمنه ، وغادرت المدينة وجواريها فى الظلام . بينما كل واحد من القضاة يمنى نفسه بزواجها . وما أقبل الصباح حتى توجه كل منهم الى دارها لعقد زواجه بها . ولكنهم لم يجدوا لها ولا لجواريها اى أثر هناك . فركب كل منهم بغلته واخذ غلامه وصار يطوف فى أزقة المدينة للبحث عن زين المواصف وجواريها . وكان كل واحد منهم يظن أنه ليس بينها وبين غيره إتفاق على الزواج . فلما طال بحثهم بلا فائدة ، رجع كل منهم الى منزله ، ولزموا الفراش مشرفين على الهلاك لشدة الوجد والهيام !

وفى اليوم التالى ، أرسل قاضى القضاة الى الحداد الذى كان سببا فى معرفة زين المواصف ، فلما حضر بين يديه ، قال له : هل تعرف شيئا عن خبر الجارية التى دللتها علينا ؟ وهدده بضربه بالسياط ان لم يرشده الى مقرها .

فلما سمع الحداد كلام القاضى ، أنشد هذين البيتين :
ان التى ملكتنى فى الهوى ذهبت
وحرمت أن أذوق النــوم تحريما
رنت غزالا ، وفاحت عنبرا ، وبدت
شمسا، وماجت غديرا، وانثنت ريما

ثم قال له الحداد : والله يامولاى انها منذ كانت هنا أول مرة ، ما نظرتها عينى . ولقد ملكت لبى وعقلى ، وصارت حديثى وشغلى . وقد رحت الى منزلها فلم أجدها ولم أر أحدا يخبرنى بشأنها ، فكأنها غطست فى الماء ، أو صعدت الى السماء

فلما سمع القاضى كلامه ، شهق شهقة كادت روحه أن تخرج فيها . ثم صرف الحداد ، وواصـــل الرقاد مع السهاد . وكذلك كان شأن بقية القضاة الاربعة . وحارت الحكماء فى مرضهم ولم يعرفوا له علاجا !

ومضت على ذلك أيام ، ثم دخل الناس على القــاضى الاول ، فسلموا عليه واستخبروه عن حاله ، فتنهد وباح بما فى ضميره ، ثم أنشد هذه الابيات :

كفوا الملام كفــــانى مؤلم السقم
من شفه الوجد لم يعذل ولم يلم
قد عشت حينا وهذا الدهر يسعدنى
ولم يكن ثم ما أشـــكوه من الم
حتى رميت بســـهم لا طبيب له
من طرف جارية جاءت لسفك دمى
لله غانية تشـــكو ظلامتهـــا
وثغـــــرها كيتيم الدر منتظم
لما نظرت محيـــاها غداة أتت
رأيت بدرا بدا فى حالك الظـــلم
وجها منيرا ، وثغرا باســما ، ويدا
كفضــة طرزت بالدر والعـــلم

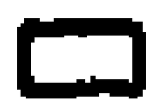
والله ما نظـرت عينى كطلعتهـــــا
من البـــــرية فى عرب ولا عجـم
يا حسن ما وعـدتنى وهى قائلة
اذا وعـــــدت أفى يا قاضى الامم
هذا مقامى وهـــــذا ما بليت به
لا تسألوا عن شجونى يا أولى الهمم

ولما فرغ القاضى من هذه الابيات ، بكى بكاء شديدا ، ثم شهق شهقة ففارقت روحه جسده . وكفنوه ، وصـلوا عليه ودفنوه ، وكتبوا على قبره هذين البيتين :

قد كان هـــــذا للبرية قاضيا
وكلامه فاق الحســـام بحـــده
فقضى عليـــه الحب لم نر قبله
مولى تذلل فى الانام لعبـــــده

ثم انهم ترحموا عليه ، وانصرفوا الى القاضى الثـــانى ومعهم الطبيب ، فلم يجدوا به ما يحتاج الى علاج . ولما ســـألوه عن حاله ، أخبـرهم بما كان من أمره مع زين المواصف ، وأخذ يشكو غرامه ، ووجده بها وهيامه ، ثم شهق شهقة ففارقت روحه جسده . فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة والخمسون بعد السبعمائة : فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد السبعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن أهل المدينة ذهبوا بعد ذلك الى القاضى الثالث ، ثم الى القاضى الرابع ، فوجدوهما مريضين بالحب ، ثم لحقا بزميليهما ، فدفنوهما معهما . وكذلك كان شأن جميع ولاة الاحكام والشهود وغيرهم ممن وقعوا فى غرام زين المواصف !

اما هى وجواريها ، فما زلن يسرعن فى السير ليـــل نهار ، حتى قطعن مسافة طويلة فى البرارى والقفار ، ثم مررن على دير فى الطريق ، فيه راهب كبير اسمه دانس ، ومعه أربعون راهبا من تلاميذه . فلما شاهد زين المواصف، نزل اليها ودعاها وجواريها الى النزول فى ضيافته للراحة من عناء السفر ، فقبلن دعوته ، وهن يجهلن رغبته . وكان منذ رآها قد فتنه هواها ، فأخذ فى كل يوم يرسل اليها واحدا من تلاميذه ، ويزوده بخطاب منه يشرح لها فيــه ما يعانيه من حبها ، ولكن كل راهب أرسله اليها كان يقع فى حبها ، ويحاول اجتذاب قلبها . ويكثر من ملاطفتهـا ويراودها عن نفســـها ، بينما هى تصـــدهم وتنهرهم فلا يزيدهم ذلك الا تعلقا بها

ولما فرغ صبر دانس واشتد غرامه ، قال لنفسه : ان صاحب المثل يقول : ما حك جلدك غير ظفرك . ثم نهض وصنع طعاما فاخرا ، وحمله اليها ، ووضعه بين يديها . وكان ذلك فى اليوم الثالث من وصولها الى الدير . ثم قال لها : تفضلى بالاكل من هذا الطعام الذى صنعته بيدى . فأكلت هى وجواريها حتى اكتفين ، وشكرنه على كرمه . ثم قال لها : يا سيدتى أريد أن انشدك أبياتا من الشعر . فقالت له : حبا وكرامة . فأنشد هذه الابيات :

ملكت قلبى بألحاظ ووجنـــات
وفى هواك جرت بالليــــل أناتى

لا تتركينى صـــبا مغرما دائما
أعالج العشق حتى فى المنـــامات

لا تتركينى صريعا والها فلقـــد
تركت أشغال ديرى بعـــد لذاتى

يا غادة حللت فى الحب سفك دمى
رفقـــا بحالى فقد طالت شكاياتى

فلما سمعت زين المواصف شعره ، أجابته بهـــذين البيتين :

يا طالب الوصـــل لا يغررك بى أمل
اكفف سؤالك عنى أيهـــا الرجل
لا تطمع النفس فيما لست تملكه
ان المطامع مقرون بهـــا الاجـل

فلما سمع شعرها ، رجع الى صومعته حائرا لا يدرى كيف يصنع ، ولم يزل فى أسوأ حال الى أن جن الليـل ، فقامت زين المواصف وقالت لجواريها : اننا لن نقدر على مقاومة هؤلاء الرهبان ، فهيا بنا نهرب من هنا . فوافقن على ذلك ، وخرجن من باب الدير ليلا ، ولم يزلن سائرات حتى لحقن بقافلة فاختلطن بها ، وعرفن أنهـا قادمة من المدينة التى كن فيها ، كما علمن بموت القضاة والشهود . فتعجبت زين المواصف من ذلك غاية العجب . فقـالت لها جاريتها هبوب : اذا كان الرهبان الذين اعتزلوا الناس للعبادة ولا ميـل لهم الى النســاء قد افتتنوا فى هواك ، فاعذرى أولئك القضاة ، لان عقيدتهم أن لا رهبانيـة فى الاسلام !

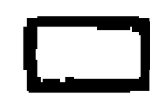
وفى صباح اليوم التالى ، بحث الرهبان عن زين المواصف وجواريها ، فلم يجدوا لهن أثرا ، فاشتد عليهم المرض ، ولما يئسوا من الوصول اليها ، صنعوا لها صورة كبـيرة علقوها عندهم فى الدير

أما زين المواصف فانها لم تزل سائرة الى أن وصلت الى منزلهـا ، وفتحت الابواب ودخلت ، ثم ارسلت الى اختها نسيم ، فلما سمعت أختها برجوعها ، فرحت فرحا شديدا ، وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش ، وأرخت الستور على الابواب ، واطلقت بخور الند والعنبر والمسك والعود . وبعد أن لبست زين المواصف أفخر الثيـاب وتزينت أحسن الزينـة ، جلست تتحدث مع أختهـا

وجواريها اللاتى تخلفن عن السفر معها ، وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الاول الى الآخر . ثم التفتت الى هبوب وأعطتها دراهم وأمرتها أن تذهب وتأتى اليها بشيء تأكله هي وجواريها ، فذهبت وأتت بالذى طلبتـــه من الاكل والشرب . فلما انتهى أكلهن وشربهن ، أمرت هبـوب أن تمضي الي مسرور وتنظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الاحوال !

وكان مسرور قد زاد به الوجد والغرام ، والعشـــق والهيام ، فخرج قاصدا منزل محبوبته ليتسلى كعـادته بانشاد الاشعار ، وتقبيل هذا الجدار وذاك الجدار . فلما اقترب من الزقاق الذى به منزل زين المواصف ، شم تلك الروائح الزكية ، فطار لبه وخفق قلبه ، وتضرم غرامه ، وزاد هيامه . ثم وقعت عيناه على هبوب وهى متوجهة للبحث عنه، فلما رآها مقبلة من صدر الزقاق ، اغمى عليه من شدة الفرح !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثـامنة والخمسون بعـد الثمانمائة : فلما كانت الليلة الثـامنة والخمسون بعد الثمانمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد أن الجـارية لما وقعت عيناها على مسرور ، أسرعت اليه ولم تزل تنعشه حتى أفاق ، ثم بشرته بقدوم سـيدتها زين المواصف ، وقالت له : انهـا أرسلتنى فى طلبك . ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد ، ثم أخذته ورجعت به اليها . فلما رأته زين المواصف نزلت من فوق سريرها ، ولم يزالا فى عناق وبث أشواق حتى غشي عليهما زمنا طويلا من شدة المحبة والاشتياق . فلما أفاقا من غشيتهما أمرت جاريتها

هبوب باحضار قلة مملوءة من شراب السكر ، وقلة مملوءة من شراب الليمون . فأحضرت لها الجارية جميع ما طلبته. ثم أكلوا وشربوا ، وما زالوا كذلك الى أن أقبل الليل . فصاروا يذكرون الذى جرى لهم من أوله الى آخره

وفى صباح اليوم التالى، أمرت باحضار القاضى والشهود، فعقدوا قرانها على مسرور ، وأقام الجميع بعد ذلك فى سعادة وحبور

وبعد نحو شهر علمت زين المواصف أن اليهودى فى طريقه الى المدينة ، فدعت جاريتها هبوب وقالت لها : أمضى الى مقبرة اليهود واحفرى قبرا وضعى عليه الرياحين ، ومتى جاء اليهودى وسألك عنى فقولى له : أن سيدتى ماتت حزنا على فراقك ، ثم اذهبى به الى القبر واحتالى لدفنه فيه حيا . فقالت : سمعا وطاعة . وما كاد اليهودى يصل الى المنزل حتى استقبلته هبوب وهى تبكى ودموعها تجرى على خدها . فقال لها : ما يبكيك وأين سيدتك ؟ فقالت له : أن سيدتى ماتت بسبب حزنها عليك . فلما سمع منها ذلك حار فى أمره ، وبكى بكاء شديدا . ثم قال لها : أين قبرها ؟ فأخذته ومضت به الى المقبرة وأرته القبر الذى حفرته فوقف يبكى بكاء شديدا ، ثم أنشد هذين البيتين :

شيئان لو بكت الدماء عليهما
عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم تقضيا المعشار من حقيهما
شرخ الشباب وفرقة الاحباب

ثم أنشد هذه الابيات :

أواه من حرقة قد أوهنت جلدى
ومن فراق قضى بالحزن والكمد

يا ليتنى ما عـرفت الحب فى زمنى
ولم أبح بفرآم هاج فى كبـــدى
قد كنت فى عيشة مرضـية رغد
وصرت من بعدها فى الذل والنكد
زين المواصف لا كان الفـراق ولا
كان الذى فارقت روحى بهاجسدى
لقد ندمت على نقض العهود وقد
عاتبت نفسى على ما قدمتـه يدى

ولما فرغ من شعره ، بكى وأن واشتكى ، ثم خر مغشيا عليه ، فأسرعت هبوب وجرته حتى وضعته فى القبر ، ثم سوته عليه ، ورجعت الى سيدتها وأعلمتها بما كان ، ففرحت بذلك فرحا شديدا ، وأنشدت هذين البيتين :

الدهر أقسم أن يكـون مكدرى
حنثت يمينـك يا زمان فكفر
مات العذول ، ومن هويت مواصلى
فانهض الى داعى السرور وشـمر

ولم يزالوا فى أفـراح ومسرات ، الى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ، ومميت البنين والبنات

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

أبو الحسن الدراج والمجذوب

من الليلة التاسعة والخمسين بعد الثمانمائة الى الليلة التاسعة والخمسين بعد التسعمائة : قالت شهرزاد للملك شهريار : قد سمعت يا مولاى حكايات كثيرة عن التجار وما جرى لهم فى الرحلات والاسفار ، من الاهوال والاخطار ، فى المحيطات والبحار ، والبرارى والقفار . كما سمعت حكايات اخرى عن العشاق ، وما جرى لهم من الفراق وطول الحنين والاشتياق . فهل أقص عليك بعض حكايات عن الصالحين من العباد الزهاد ، وما كان من أمرهم فى مختلف البلاد ؟

فقال لها : حبا وكرامة . فقالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن أبا الحسن الدراج ، أحد رجال الطريقة ، الذين وصلوا الى الحقيقة ، حدث مريديه يوما ببعض ما شاهد من أحوال ، خلال قيامه بالترحال والتجوال ، فقال : رزت عدة مرات مكة المكرمة زادها الله شرفا ، وكان الناس يتبعوننى لمعرفتى بالطريق والمناسك . فاتفق فى عام من الاعوام انى أردت الحج الى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام . وقلت لنفسى : أنا عارف بالطريق فأذهب وحدى . ومشيت حتى وصلت الى القادسية ، ودخلت مسجدها فرأيت فى محرابه رجلا مجذوبا ، وقال لى : أسألك الصحبة الى مكة المكرمة ، فقلت لنفسى : انى فررت من الاصحاب فكيف أصحب المجذوبين ؟ ثم قلت له : انى لا أصحب أحدا . فسكت

ولم يكلمنى بعد ذلك حتى اقبل الصباح فتركته فى المسجد، واستأنفت السير وحدى حتى وصلت الى العقبة . وما دخلت مسجدها حتى عجبت اذ وجدت ذلك المجذوب قد سبقنى اليه . وقلت لنفسى : سبحان الله ، كيف سبقنى هذا الى هنا ؟ فرفع راسه وتبسم وقال لى : يا أبا الحسن ، انه يصنع للضعيف ما يتعجب منه القوى . فبت تلك الليلة فى حيرة مما رأيت . ولما أصبحت سلكت الطريق وحدى . فلما وصلت الى عرفات وقصدت المسجد ، اذا بالرجل نفسه فى المحراب هناك ، فأقبلت عليه وقلت له : يا سيدى أسألك الصحبة . وجعلت أقبل قدميه . فقال لى : ليس الى ذلك سبيل . ولما رآنى أبكى وانتحب لحرمانى من صحبته ، قال لى : هون عليك فانه لا ينفعك البكاء ، ثم أنشد هذه الابيات :

اتبكى على بعدى ومنك جرى البعد
وتطلب ودا حين لا يمكن الود
نظرت الى ضعفى وظاهر علتى
وقلت سقيم لا يروح ولا يغدو
ألم تر أن الله جل جلاله
يمن بلطف ما تخيله العبد
لئن كنت فى رأى العيون كما ترى
وبالجسم من فرط الزمانة ما يبدو
وليس معى زاد يوصلنى الى
محل به يأتى الى سيدى الوفد
فلى خالق ألطافه بى خفية
وليس له ند ولا منه لى بد
فسر سالما عنى ودعنى وغربتى
فان الغريب الفرد يؤنسه الفرد

فانصرفت من عنده آسفا . وكنت بعد ذلك لا آتى موضعا الا وجدته قد سبقني اليه . ولما وصلت الى المدينة غاب عنى اثره ، ولم أقف على خبره . ثم لقيت أبا يزيد البسطامى وأبا بكر الشبلى وأصحابهما من الشيوخ الواصلين ، فأخبرتهم بقصتى ، وشكوت اليهم قضيتى . فقالوا : هيهات أن تنال بعد ذلك صحبته ، هذا أبو جعفر المجذوب ، بحرمته تستقى الانواء ، وببركته يستجاب الدعاء . فلما سمعت منهم هذا الكلام ، زاد شوقى الى لقائه ، وسألت الله أن يجمعنى به . فبينما أنا واقف بعرفات اذا بجاذب يجذبنى من خلفى ، واذا به ذلك المجذوب . فلما رأيته صحت صيحة عظيمة ووقعت مغشيا على ، فلما أفقت لم اجده . فزاد وجدى لذلك ، وضاقت على المسالك ، وسألت الله تعالى رؤيته . وبعد أيام فوجئت به يجذبنى من خلفى ، وقال لى : ماذا تريد منى ؟ فسألته أن يدعو لى ثلاث دعوات : الاولى أن يحبب الله الى الفقر ، الثانية أن لا أبيت على رزق معلوم ، والثانية أن يرزقنى النظر الى وجهه الكريم . فدعا لى هذه الدعوات وانصرف عنى . وقد استجاب الله دعواته لى . أما الاولى فان الله حبب الى الفقر فوالله ما فى الدنيا شىء هو أحب الى منه . وأما الثانية فانى منذ سنين ما بت على رزق معلوم ومع ذلك لا يحوجنى الله الى شىء ، وانى لأرجو أن يمن الله على بالثالثة انه كريم مفضال . ورحم الله من قال :

زى الفقير تبتل ووقار
ولباسه الخلقان والاطمار
والاصفرار يزينه ، وطعامه
وشرابه الترتيل والاذكار
قد شفه طول القيام بليله
والدمع من أجفانه مدرار

فأنيســــــه فى داره أذكاره
وجليســــه فى ليــــله الستار
ان الفقـــير به يغـاث الملتجى
وكذلك الانعـــام والاطيـــار
ولأجـــله يجـرى الاله بلاءه
وبفضــــله تتنزل الامطـــار
واذا دعا يوما بكشف ملمــــة
هلك الظلوم وعطل الجبـــــار
فالخلق أجمعهم مريض مـدنف
وهو الطبيب المسـمف المغـوار
سيماه تعرفه بها فى وجهـــــه
أثر الســجود تحيطــه الانوار
يا راغبا عنهم ولم تر فضــلهم
حجبتك ويحــك عنهم الاوزار
ترجو لحاقهم وأنت مقيـــد
قد أخـــرتك عن المنى الافــكار
لو كنت تعرف قدرهم لصحبتهم
وحلت لك الرحلات والاســفار
لا يعرف المزكوم عطــر ازاهر
ولذى العمى لا تظهـر الاقمـار
فارجع الى مولاك واسأل فضله
فعسى تساعد سبـعيك الاقدار
وتراح من فرط التباعد والقلى
وتنال ما تهوى وما تختـــار
فجنـــابه رحب لكل مؤمل
وهو الاله الواحـــد القهـــار

ابراهيم الخواص وبنت الملك

ثم قالت شهرزاد للملك شـــهريار : يحكى أيها الملك السعيد أن ابراهيم الخواص رضى الله عنه قال : طالبتنى نفسى فى وقت من الاوقات بالخـــروج الى بلاد الكفار ، وحاولت أن أكفها عن ذلك فلم تكف ، وعملت على نفى هذا الخاطر عن ذهنى ، لكنه ألح عليه . الى أن خرجت الى تلك البلاد ، فوصلت اليها بعد جهاد واجهاد . ولم أزل أسير فيها والعناية تكتنفنى ، والرعاية تحفنى ، وكلمــا لقيت كافرا من أهلها غض ناظره وتبـــاعد منى ، الى أن أتيت مدينة كبيرة فيها ، فوجدت عند بابها جماعة من العبيد ، وبأيديهم مقامع من حديد . فلما رأونى أسرعوا الى وسلموا على ، وقالوا لى : أطبيب أنت ؟ فقلت : نعم . فقالوا : ان الملك يطلبك . ثم أخذونى الى قصر عظيم ، وادخلونى على الملك ، فلما رآنى قال لى : مرحبا بك أيهــا الطبيب ، ثم التفت الى بعض أعوانه وقال لهم : خذوه اليها ، واعلموه بالشرط قبل دخوله عليها . فلما خرج بى أولئك الاعوان من عنده ، قالوا لى : ان للملك ابنة قد أصابها اعتـــلال شديد ، وقد عجز جميع الاطباء عن علاجهــا . وما من طبيب دخل عليها ولم يفدها طبه الا قتله الملك . فانظر ماذا ترى ؟ فقلت لهم : خذونى اليها ، وادخلونى عليها . فأخذونى الى قصرها ، ولم أزل أمشى معهم فيـــه حتى وصلنا الى باب مخدعها ، فوقفوا وقرعوه ، واذا بصــوت رقيق من داخله يقول : هل جاء الطبيب صـــاحب السر

العجيب ؟ فقال كبيرهم : هذا طبيب غريب ، وقد أخبرناه بالشرط فقبله . فأنشدت صاحبة ذلك الصوت تقول :

افتحوا الباب فقد جاء الطبيب
وانظروا نحوى فلى سر عجيب
فلـــكم مقترب مبتعـــــــد
ولـــكم مبتعـــــــد وهو قريب
كنت فيمـــا بينـــكم فى غربة
فأراد الحـــق انسى بغـــريب
جمعتنـــا نسبة دينيـــــة
جمعت بين محب وحبيـــب
ودعانا للتـــلاقى بعـــد أن
حجب العـــاذل عنا والرقيب
فاتركوا عـــذلى وخلوا لومــكم
اننى يا ويحـــكم لست أجيب
ليس قصـــدى نحو فان غائب
انما قصـــــدى باق لا يغيب

قال الخواص : ثم فتح الباب شيخ كبـــير وقال لى : ادخل . فدخلت معه وأخـــذت أنظر حولى ، فاذا غرفة كبيرة حسنة الاثاث ، بها جميع انواع الرياحين ، وفى ركن منها ستر مضروب على سرير ، وفوق السرير فرش كثيرة واغطية ثقيلة ، اختفى بينها هيكل نحيف ، يتردد من أعلاه أنين خافت ضعيف . فخطر ببالى أن ألقى السلام ، ولكنى تذكرت قول النبى صلى الله عليه وسلم : لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام ، واذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم الى أضيقه . فأمسكت ووقفت صامتا . وبعد هنيهـــة سمعت صاحبة ذلك الصوت الرقيق تقول : أين ســلام التوحيد والاخلاص يا خواص ؟ فتعجبت من ذلك غاية العجب ، وقلت لنفسى : كيف عرفتنى ، وهى قبل ذلك ما رأتنى ؟ ثم ازداد عجبى حين واصلت العليلة كلامهـــا

فقالت : يا خواص ، كل صعب يهون بالصبر والاخلاص ، الا تعلم انه اذا صفت القلوب والخواطر ، أعربت الألسن عن مخبآت الضمائر . لقد سألته أمس أن يبعث الى وليا من أوليائه يكون على يده الخلاص ، فنوديت من زوايا بيتى : لا تحزنى انا سنرسل اليك ابراهيم الخواص . فلما سمعت كلامها ، قلت لها : ما خبرك ؟ فقالت لى : انا منذ أربع سنين ، قد لاح لى الحق المبين ، وكان لى نعم الجليس، والمحدث والانيس . فرمقنى قومى بالعيون ، وظنوا بى الظنون ، ونسبونى الى الجنون . وما دخل على طبيب منهم الا أوحشنى ، ولا زائر الا ادهشنى . فقلت لها : من الذى دلك على طريق الوصول ، وعرفك تلك الأصول ؟ فقالت : براهينه الواضحة ، وآياته اللائحة . ومتى وضح السبيل، فقد وضح الدليل ، وظهر الحق واختفت الاباطيل . وفيما انا أكلمها ، جاء الشيخ الموكل بها ، وسألها : ما فعل طبيبك ؟ فقالت له : عرف العلة ، وشفى الغلة . فلما سمع ذلك منها أظهر لى البشر والسرور ، وسار بى الى الملك وأخبره بما حدث . ففرح فرحا عظيما ، وأوسعنى ترحيبا وتكريما . ولم ازل أتردد على ابنته سبعة أيام ، وهى تجاذبنى أطراف الكلام ، وعلمت منها أن الله قد شرح صدرها للاسلام ، وانها ترغب فى الحج وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام . فقلت لها : كيف يمكن خروجك من هنا ؟ فقالت لى : يقدر على ذلك من ادخلك على ، وساقك الى . قال الخواص : ثم توجهت اليها فى اليوم التالى ، فاذا هى قد نهضت من فراش مرضها ، وارتدت ملابسها وسارت بى حتى خرجنا من قصرها ، من غير أن يعلم أحد بأمرها . ولم تزل تسير فى المدينة وانا أتبعها من بعيد ، حتى وصلنا الى بابها ، فخرجنا منه بسلام . وواصلنا السير فى رعاية الله الى أن بلغنا المرام ، بالحج الى بيت الله الحرام ، وبزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام . ثم

اقامت هناك سبعة اعوام ، لم تنقطع خلالها عن الصلاة والصيام . ولما اختارها الله الى جواره الكريم ، شيعت جنازتها باحتفال عظيم . رحمها الله ورحم من قال :

ولما أتونى بالطبيب وقد بدت
دلائل من دمع سفوح ومن سقم
نضا الثوب عن وجهى فلم ير تحته
سوى نفس ينبى عن الضعف فى الجسم
فقال لهم : هذا محال شفاؤه
وللحب سر ليس يدرك بالوهم
اذا انت لم تعرف حقيقة حبه
فلا نفع فى التعريف بالحد والرسم

الحطاب القتيل

ثم قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، كان يتعبد فى جبل مرتفع ، وتحتـــه عين ماء تجرى . فكان بالنهار يقعد فى أعلى الجبل حتى لا يشغله الناس عن ذكر الله تعالى ، فبينما هو فى ذات يوم ينظر من مجلسه الى عين الماء الجارية تحت الجبل ، اذ أقبل فارس اليها ، ثم ترجل ووضع بجانبه جرابا كان معه . وبعد أن استراح وشرب من ماء العين ، قام وركب فرسه ومضى ، تاركا ذلك الجراب حيث وضعه . وبعد ساعة اقبل الى العين عابر سبيل ليشرب منها ، فلما وقعت عينــه على الجراب ، التقطه وانصرف به . ثم جاء بعده رجل حطاب ، وعلى ظهره حزمة حطب ثقيلة ، وجلس على حافة العين ليستريح ويشرب من الماء ، فاذا الفارس الاول قد أقبل متلهفـا ، وصاح به : أين الجراب الذى كان هنا ؟ فقال له : لا أدرى عنه شيئا . فاستل الفارس سيفه وضرب به الحطـاب فقتله ، ثم فتش ثيابه ولكنه لم يجد شيئا فترك جثـة القتيل ومضى فى سبيله

وتعجب ذلك النبى مما حدث ، وقال لنفسه : ما معنى أن واحدا من الناس يأخذ الف دينار بغير بحث ولا تعب ، بينما يقتل آخر مظلوما ؟ فأوحى الله اليه أن اشـــتغل بعبادتك فان تدبير العالم ليس من شانك . وما من شىء الا فيه لى حكمة . وقد كان والد هذا الفارس رجلا ظالما

غصب الف دينار من مال والد الرجل الاول . فمكنت الولد من مال أبيه . أما الحطاب فكان قد قتل والد ذلك الفارس ، فمكنت الولد من القصاص لوالده

فقال ذلك النبى : لا اله الا أنت سبحانك أنت علام الغيوب

قال النبى : الاهى قد رأى بصرى
ما حرت فيه وبات القلب فى كدر

عبدان : هذا اغتنى من غير ما تعب
وذاك أصبح مقتولا على الاثر

فجاءه الوحى : ما فى ذاك من عجب
وان تكن حكمتى تخفى على البشر

ان الدنانير كانت مال والد من
قد نالها ومضى فى السير والسفر

أما القتيل فان القتل جاء له
جزاء قتل أبى الجانى ، وغير برى

سلم لاحكامنا واخضع لحكمتنا
فنحن أدرى بنفع الخلق والضرر



خليفة الشيخ الصالح

ثم قالت شهرزاد للملك شهريار :

ومما يحكى ان رجلا من الصالحين قال : كنت ملاحا فى سفينة بنيل مصر ، أنقل الناس عليها من شاطئه الشرقى الى شاطئه الغربى . فبينما أنا فى يوم من الايام قاعد فى سفينتى ، اذ جاءنى شيخ ذو وجه مشرق ، وسلم على ، فرددت السلام . ثم قال لى : أتحملنى لله تعالى ؟ فقلت : نعم . فقال : وهل تطعمنى لله ؟ فقلت : نعم . فركب سفينتى ، واعطيته طعاما فأكل منه قليلا ثم حمد الله ، ولما عبرت به الى الجانب الشرقى ، وأراد النزول ، قال لى : أريد أن احملك امانة . فقلت له : ما هى ؟ فقال : اذا كان الغد ، والهمت أن تأتى الى هنا وقت الظهر ، فانظر تحت تلك الشجرة القريبة منا ، فان وجدتنى ميتا ، فغسلنى وكفنى بالكفن الذى تجده تحت رأسى ، ثم ادفنى بعد الصلاة على ، وخذ ما كان معى ، وهو المرقعة والركوة والعصا . واحفظها عندك الى أن يحضر اليك من يطلبها ويصفها لك فاعطها له

قال الملاح الصالح : فلما كان اليوم التالى ، باشرت عملى الى أن جاء الظهر ، ثم نسيت امر ذلك الشيخ ، فلم اذكره الا قرب العصر ، فسرت بسرعة الى تلك الشجرة حيث وجدته تحتها ميتا ، ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك ، فغسلته وكفنته وصليت عليه، وحفرت له قبرا ودفنته . ثم عبرت النيل الى الجانب الغربى ليلا

ومعى المرقعة والركوة والعصا التى كانت معــه . وبت ليلتى افكر فى امره . فلما أصبحت جاءنى شــاب كنت أعرف أنه من اللصوص وقطاع الطرق . وقال لى : هات الامانة . فقلت له : ما هى ؟ فقــــال : المرقعة والركوة والعصا . ثم أرانى يديه وفيهما أثر الحناء ، وقال لى : انى كنت ليلة أمس فى عرس ، وسهرت أغنى الى ان جاء وقت الفجر ، فنمت لأستريح . وقد جاءنى فى المنــام شخص قال لى : ان الله تعالى قبض روح فلان الولى ، واقامك مقامه . وقد ترك لك مرقعته وركوته وعصـــاه عند فلان الملاح

قال الملاح الصالح : فلما سمعت ذلك منه ، سلمته الامانة فنضا ثيابه ثم لبس المرقعة وسار وتركنى . فبكيت لما حرمت من ذلك . ولما جن الليل على ونمت ، رأيت ذلك الشيخ الصالح فى المنام ، فقال لى : لا تستكثر على الله أن يمن على عبد من عبيده بالرجوع اليه . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله على كل شيء قدير . فلما صحوت من نومى أنشدت هذه الابيات :

ما للمحب مـــع الحبيب مرام
كل اختيارك لو عرفت حــــرام
ان شــــاء وصلك منة وتعطفا
أو صـــد عنك فما عليــه ملام
ان لم تكن بصدوده متــلذذا
حقــــا ، فما لك فى الغرام مقام
ما القصد فى الحب الصحيح سوى الرضى
فاذا ظفرت به فلست تضــــام

جزيرة الكنوز

وفى الليلة التالية ، قالت شهرزاد للملك شهريار :

ومما حكى أن رجلا من بنى اسرائيل ، كان كثير المال ، وله ولد صالح مبارك ، فحضرت الرجل الوفاة ، فقعد ولده عند رأسه وقال له : يا سيدى أوصنى . فقال له : يابنى لا تحلف بالله بارا ولا فاجرا . ثم مات الرجل وخلفه ابنه فى مكانته . وعلم فساق بنى اسرائيل بأمر تلك الوصية ، فصاروا يقصدونه ويدعون أن لهم اموالا فى ذمته ، ويطالبونه بسدادها ، أو يحلف أنه ما اخذها . فكان يعطيهم جميع ما طلبوه حتى لا يحلف عملا بوصية والده . ولم يزل كذلك حتى فنى ماله ، ورقت حاله . وكانت له زوجة صالحة مباركة ، له منها ولدان صغيران . فقال لها : ان الناس أكثروا مضايقتى . وليس عندى مال ادفعه لهم ، لانهم أخذوا مالى كله ، ولم يبق لى شىء ، فخير لنا أن نهرب بأنفسنا ونذهب الى موضع لا يعرفنا فيه أحد ، ورزقنا على الله . فوافقته زوجته على ذلك ، واخذا ولديهما وسافرا فى سفينة ولسان حالهما يقول :

يا خارجا خوف العدا من داره
واليسر قد وافاه عند فراره

لا تجزعن من البعاد فربما
عز الغريب بطول بعد مزاره

لو قد أقام الدر فى أصدافه
ما كان تاج الملك بيت قراره

واتفق أن هاج البحر ، فانكسرت السفينة وغرقت ، ولكن الله سبحانه وتعالى قدر النجاة للرجل واسرته ، فتعلق كل منهم بلوح من ألواح السفينة . ثم فرقتهم الأمواج وقذفت بالمرأة الى احدى الجزائر ، وبأحد الولدين الى جزيرة أخرى ، والتقط الولد الآخر اهل سفينة فى البحر. أما الرجل فقذفته الامواج الى جزيرة ثالثة مقفرة . ولما وجد نفسه على البر ، توضأ وأذن للصلاة ، فخرج من البحر أشخاص بألوان مختلفة وصلوا معه ، ثم رجعوا الى البحر . فمشى هو فى الجزيرة ، وأكل من ثمار شجرة صادفته حتى شبع ، ثم وجد عين ماء فشرب منها وحمد الله عز وجل

وبقي كذلك ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع سمع مناديا يناديه : يا أيها الرجل الصالح ، البار بأبيه ، لا تحزن أن الله عز وجل مخلف عليك ما خرج من يدك ، فان فى هذه الجزيرة كنوزا وأموالا ومنافع يريد الله أن تكون لها وارثا ، وهى فى موضع كذا من هذه الجزيرة ، وسوف تأتى اليك السفن لتحملك الى حيث تريد ، ولكن ابق فى مكانك هنا لا تبرحه ، وأحسن الى كل من يأتى اليك ، ان الله يحب المحسنين

وما كاد الرجل يسير خطوات بعد ذلك حتى وجد تلك الكنوز والاموال ، وفى اليوم نفسه جاءت السفن الى شاطىء الجزيرة ، فأحسن استقبال أهلها وأكرمهم ، وصار الناس يأتون اليه من مختلف الاماكن حاملين اليه الهدايا ، فيقبلها منهم ويجزل لهم عطاياه . ويحبب اليهم الاقامة بالجزيرة ، الى أن عمرت بهم ، وجعلوه ملكا عليهم . وشاع ذكره فى مختلف البلاد

وكان ولده الاكبر بعد نجاته من البحر قد أقام عند رجل صالح ، علمه وأدبه . وكذلك رزق الله أخاه برجل أحسن تربيته وعلمه طرق التجارة . اما والدتهما ، فأقامت عند

رجل من التجار ، أئتمنها على ماله ، وعاهـدها على ان يعينها على طاعة الله عز وجل . وكان يصطحبها فى أسفاره الى البلاد المختلفة التى يقصدها للتجارة

ومضت على ذلك عشرة أعوام ، ثم سمع الولد الكبير بملك تلك الجزيرة وهو لا يعلم انه والده . فسافر اليه ، وأقام عنده حيث عمل كاتبا له ، وكذلك قصد الولد الآخر الى والده الملك العادل الصالح وهو لا يعرفه ، فلما رآه الملك شعر بعطف ابوى عليه أيضا ، ووكله عنه للنظر فى أموره . وبقى الولدان مدة من الدهر فى خدمة والدهما وكل واحد منهم لا يعلم بالصلة التى بينهم . الى أن جاء الى الجزيرة ذلك التاجر الذى عنده والدتهم ، وأحضرها معه فى سفينة ملأها بالثياب الفاخرة والتحف النادرة . وما كاد يصل الى الجزيرة حتى توجه الى الملك وقدم له هدايا ثمينة ، فاعجب بها ، وأمر له بجائزة سنية . وكان من بين الهدايا عقاقير اراد الملك أن يعرف طريقة استعمالها وفوائدها ، فقال للرجل التاجر : أقم الليلة عندنا . فقال التاجر : لا يمكنني ذلك حتى أشاور سيدة صالحة معى فى سفينتى ، لانى عاهدتها على ذلك ، وأنا أتيمن بدعائها ، وظهرت لى البركة فى آرائها . فقال له الملك : حبا وكرامة

ولما استشارها التاجر ، أشارت عليه بقبول دعوة الملك، وبقيت هى فى السفينة . بينما أرسل الملك كاتبه ووكيله لحراسة السفينة خلال تلك الليلة ، فنفذا أمر الملك، وتوجها الى السفينة وقعدا على مؤخرها يذكران الله عز وجل . ثم قال احدهما للآخر : ان الملك ما امرنا بحراسة هذه السفينة الا لحرصه عليها . ولا يزال أمامنا وقت طويل حتى يطلع الفجر ، فما رأيك فى أن نتسلى ونستعين على السهر بأن يحدث كل منا الآخر بأغرب ما وقع له ؟ فقال له : هذا رأى حسن . وأغرب ما وقع لى أننى وأنا صبى صغير ركبت البحر مع والدى ووالدتى وأخ لى أصغر

مني . فهاجت علينا الرياح ، وكسرت السفينة التى كنا فيها . ثم كتب الله سبحانه وتعالى نجاتى فتعلقت بلوح من ألواح السفينة ، حملنى الى احدى الجزائر ، وبقيت بها حتى كبرت وجئت الى هنا.

فلما سمع أخوه تلك القصة تعجب كل العجب ، وسأله عن أسماء والديه واخيه ، فلما انبأه بها ، كاد يغمي عليه من شدة الفرح ، ثم عانقه وقال له : انى أخوك . وقد كان من امرنا قبل غرق السفينة ما هو كذا وكذا . ثم أخذ يحدث اخاه بما جرى فى صغرهما

واتفق أن أمهما قامت للصلاة كعادتها ، فسمعت حديثهما كله ، وعرفت أنهما ولداها . ولكنها جاهدت نفسها وتملكت عواطفها ، ولم تشأ أن تظهر لهما حتى يرجع التاجر من عند الملك . ولما رجع التاجر اليها وجدها فى كرب شديد . فقال لها : ماذا أصابك ؟ فقالت له : ان الرجلين اللذين بعث بهما الملك لحراسة السفينة قد أرادا بى السوء ، وبت ليلتى فى كرب عظيم بسببهما . فلما سمع التاجر كلامها ، رجع الى الملك وشكا اليه ما فعل أميناه . فتعجب الملك ، وكان يحبهما لما تحقق فيهما من الامانة والديانة ، ثم أمر باحضارهما واحضار المراة من السفينة ، ليحقق الامر بنفسه

ولما دخلت السيدة على الملك ووقعت عيناها عليه ، عرفت أنه زوجها ووالدهما ، ولكنها كتمت فرحتها باجتماع شملهم . ثم قالت للملك : أسألك بالله الا أمرتهما أن يعيدا كل ما تكلما به ليلة أمس وهما فى السفينة

فقال لهما الملك : أعيدا كل ما قلتما ، ولا تكتما منه شيئا

وما كاد الملك يسمع منهما قصة نجاتهما من السفينة الغارقة ، حتى قام عن سريره ، وصاح صيحة عظيمة .

ثم أخذ يعانقهما وهو يبكى ويقول : انتما ولداى . انتما ولداى

ثم كشفت المرأة عن وجهها وقالت : وأنا والله أمهما . فنظر اليها الملك وعرفها . وصاروا جميعا يبكون من شدة الفرح ، ثم عاشوا فى الذ عيش وأهنـاه ، الى أن أبادهم الموت . وسبحان من له الدوام ، ولا يبقى الا وجهـه ذو الجلال والاكرام

لكل شىء من الاشـياء ميقـات
والامر فى يده : محو ، واثبـات
لا تجـزعن لأمر قد دهيت به
فاليسر من بعد عسر ، فيه آيات
ورب ذى كربة باتت مضرتهـا
تبدو ، وباطنها فيـه المسرات
وكم مهان جميع الناس تهمـله
تأتى اليـه من الله الـكرامات
هذا الذى غرقت فى البحر أسرته
وكان يحسب أن الكل قـد ماتوا
قد شاء ربك جمع الشمل بينهمو
وهم بمختلف الانحاء أشـتات
أعطـاه عمرا وخيرا ثم جاء بهم
اليـه والكل فى نعمـائه باتوا
سـبحان من عمت الاكوان قدرته
وعنـه دلت بنى الدنيا الدلالات

العابد والسحابة

ومضت شهرزاد فقالت للملك شهريار :

وحكى أنه كان فى بنى اسرائيل ، رجل من الصالحين المشهورين بالعبادة ، الموصوفين بالزهادة . وكان اذا دعا ربه أجابه ، واذا سأله أعطاه وآتاه مناه . وقد تعود السياحة فى البرارى والقفار، وماصلة الاذكار والاستغفار بالليل والنهار . وكان الله سبحانه وتعالى قد سخر له سحابة تسير معه حيث يسير ، وتسكب عليه ماء ليتوضأ منه ويشرب ، فما زال على هذه الحال ، الى أن اعتراه فتور ، لأمر من الامور ، فانتزع الله منه سحابته ، وحجب عنه اجابته . فكثر لذلك حزنه وطال كمده . وما زال يحن الى عهد الكرامة الممنون بها عليه ، ويتحسر ويأسف ويتلهف الى أن نام فى احدى الليالى ، فجاءه هاتف فى نومه يقول له : ان شئت أن يرد الله عليك سحابتك ، فاقصد الملك الفلانى والتمس بركة دعواته الصالحات ، ثم انشد الهاتف هذه الابيات :

اقصد الى الصالح الامير ... فى خطبك الواقع الكبير
لقد سما فى الملوك قدرا ... وجل فيهم عن النظير
وسوف تلقى لديه أمرا ... يؤذن بالبشر والسرور
فاقطع له البيد والفيافى ... وواصل السير بالمسير

فلما قام من نومه ، استأنف السياحة فى الارض ، ولم يزل سائرا حتى دخل البلدة التى ذكرت له فى المنام ،

فسأل عن قصر الملك وتوجه اليه ، فلما وصل باب القصر، وجد غلاما جالسا على كرسى عظيم ، وعليه كسوة فخمة فوقف أمامه وسلم عليه ، فرد السلام وسأله : ما حاجتك؟ فقال : أنا رجل مظلوم ، وقد جئت للملك أرفع قصتى اليه . فقال له الغلام : لا سبيل لك اليوم لمقابلته ، لأنه جعل لأهل المسائل يوما معينا فى الاسبوع يدخلون عليه فيه ، وهو يوم كذا . فسر راشدا حتى يأتى ذلك اليوم

فلما سمع جواب الغلام ، أنكر على الملك احتجابه عن الناس ، وقال لنفسه : كيف يكون هذا وليا من أولياء الله عز وجل ، وهو على مثل هذه الحال ؟ ومكث فى المدينة ينتظر اليوم الذى قيل له عليه . فلما كان ذلك اليوم ، رجع الى القصر فوجد عند الباب أناسا ينتظرون الاذن لهم فى الدخول ، فوقف معهم الى أن خرج أحد الوزراء وبين يديه خدم وعبيد ، وقال : ليدخل أرباب المسائل . فدخل معهم . ولما وصل الى الملك ، رآه قاعدا وبين يديه ارباب مملكته بحسب أقدارهم ومراتبهم . وأخذ الوزير يقدم له واحدا بعد واحد ، حتى وصلت النوبة اليه . فلما قدمه الوزير ، نظر الملك اليه وقال : مرحبا بصاحب السحابة . اقعد حتى أفرغ لك !

قال الرجل الصالح : فلما سمعت كلام الملك ، تعجبت غاية العجب ، واعترفت بمرتبته وفضله . فلما قضى بين الناس وفرغ منهم ، أخذ بيدى ومضى بى الى جناحه الخاص ، ووجدت هناك عند الباب عبدا أسود ، وعليه ثياب فخمة ، وعن يمينه وشماله أسلحة كثيرة . وما كاد يرى الملك قادما حتى قام وفتح الباب له ، فدخل الملك ويدى فى يده . ومشينا حتى وصلنا الى باب قصير ، ففتحه الملك بنفسه ، ودخل وأنا معه ، فاذا بيت ليس فيه الا سجادة ، واناء به ماء للوضوء ، وشيء من الخوص . ثم تجرد الملك من ثيابه التى كانت عليه ، ولبس جبة خشنة

من الصوف الابيض ، وجعل على راسه قلنسوة من لبد . وبعد أن قعدنا هناك ، نادى زوجته . وقال لها : أتدرين من ضيفنا فى هذا اليوم ؟ فقالت : نعم . هو صـــاحب السحابة . فقال لها : أخرجي اذن . فلما خرجت وجاءت الينا ، اذا هى امرأة كأنها الخيال ، ووجهها يتلألأ كالهلال، وعليها جبة صــوف وقناع . ثم قال الملك لى : يا أخى أتريد أن تعرف خبرنا ، أو ندعو لك وتنصرف ؟ فقلت : بل أريد أن أسمع قصتكما . فقال لى : ان آبائى وأجدادى كانوا يتداولون الملكة ويتوارثونها كابرا عن كابر ، الى أن ماتوا ووصل الامر الى ، فبغض الله ذلك الى واردت أن أسيح فى الارض وأترك أمر الناس لأنفسهم . ثم انى خفت عليهم الفتنة وتضييع الشرائع ، فتركت الامر على ما كان عليه ، وجعلت لكل منهم جراية تكفيه . وصرت ألبس ثياب الملك يوما فى الاسبوع وأجلس فى الديوان ، بينما يجلس العبيد على الابواب ، ارهابا لاهل الشر ، وذبا عن أهل الخير واقامة للحدود . فاذا فرغت من ذلك كله ، دخلت منزلى ، وبدلت ثيابى كما ترى . وزوجتى هذه هى ابنة عمى ، وقد وافقتنى على خطتى ، وساعدتنى على العبادة . ونحن نعمل بالنهار سلالا من هــذا الخوص ، وما يتحصل من ثمنها نفطر به من صومنا . وقد مضى علينا ونحن على هذه الحالة نحو أربعين سنة . فأقم معنا يرحمك الله حتى نبيع خوصـــنا وتفطر معنا ، ثم تبيت عندنا وتنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى

قال الرجل الصالح : فلما كان آخر النهار ، أتى غلام وأخذ ما عمل الملك وزوجته من الخوص ، وسار الى السوق فباعه بقيراط ، واشترى به خبزا وفولا حملهما الينـــا ، فأفطرت معهما ونمت عندهما . وكانا طول الليل يصليان ويبكيان . ولما طع الفجر سمعت الملك يدعو الله قائلا : اللهم ان هذا عبدك فلان يرجو أن ترد سحابته عليه ،

وانت على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير . وكانت زوجته تؤمن على دعائه . وما كادا ينتهيان من الدعاء ، حتى ظهرت سحابتي فى السماء . فالتفت الملك الى وقال لى : أبشر يا أخى فقد رد الله سحابتك . ثم ودعنى وانصرفت راجعا الى بلادى والسحابة فوق راسى . وأنشدت أقول :

وان لربى صـــفوة من عبيـــده
قلوبهمو فى روض حكمته تجـرى

وأبدانهـــم قد أسكنت حركاتهـــا
لما فى قلوب القوم من خالص السر

تراهم سكوتا خاشـــعين لربهم
بحيث يرون السر يظهـر كالجهر

تم الجزء الخامس من طبعة « سلسلة كتاب الهلال » الخاصة لألف ليلة وليلة ـ ويليه الجزء السادس والاخير وأوله حكاية « الأسير المسلم وزوجته » ويصدر فى ٥ يونيـــة ١٩٥٦

فهرس

صفحة

سيف الملوك وبديعة الجمال ١١
خليفة الصياد والقرود ٦٥
أبو قير وأبو صير ١٠٥
عبدالله البرى وعبدالله البحرى ١٣٧
نعم ونعمة ١٦٠
مسرور التاجر وزين المواصف ١٨٢
أبو الحسن الدراج والمجذوب ٢٢٦
ابراهيم الخواص وبنت الملك ٢٣٠
الحطاب القتيل ٢٣٤
خليفة الشيخ الصالح ٢٣٦
جزيرة الكنوز ٢٣٨
العابد والسحابة ٢٤٣

كتاب الهلال

سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هي خطوة ثقافية كبيرة قامت بها دار الهلال لتيسير القراءة المفيدة للجميع .. ففي الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لاحد كبار الكتاب في الشرق والغرب ، في اخراج أنيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتاب الواحد ٨٠ مليما - ما عدا كتاب زينب ١٠٠ مليم - بخلاف مصاريف البريد المسجل ، وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية :

عبقرية محمد
تأليف عباس محمود العقاد

غاندى : القديس الثائر
تأليف لويس فيشر

ماجلان قاهر البحار
تأليف ستيفان زفايج

زعيم الثورة سعد زغلول
تأليف عباس محمود العقاد

هرون الرشيد
تأليف المرحوم الدكتور احمد أمين

الزعيم احمد عرابى
تأليف عبد الرحمن الرافعى

ابو الشهداء
تأليف عباس محمود العقاد

بطلة كربلاء (نفدت نسخه)
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

جنكيز خان سفاح الشعوب
تأليف ف . يان

اشعب امير الطفيليين
تأليف توفيق الحكيم

قلب النسر
تأليف اوكتاف اوبرى

نفرتيتى ربة الجمال والتاج
تأليف صوفى عبد الله

السيد عمر مكرم
تأليف محمد فريد أبو حديد

حديث رمضان
تأليف الامام محمد مصطفى المراغى

عبقرية خالد
تأليف عباس محمود العقاد

الذئب الاغبر مصطفى كمال
تأليف الكابتن هـ.س. ارمسترونج

كليوباترة فى خان الخليلى
تأليف محمود تيمور

الاسلام دين الفطرة
تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش

لا تخف
تأليف ادوارد سبنسر كولز

مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية
تأليف عبد الرحمن الرافعى

القائد الاعظم محمد على جناح
تأليف عباس محمود العقاد

زينب
تأليف الدكتور محمد حسين هيكل

مذكرات عرابى (جزء أول)
تأليف الزعيم احمد عرابى

مذكرات عرابى (جزء ثان)
تأليف الزعيم احمد عرابى

عبقرية عمر
تأليف عباس محمود العقاد

آمنة بنت وهب
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

فاطمة الزهراء والفاطميون
تأليف عباس محمود العقاد

عصا الحكيم فى الدنيا والآخرة
تأليف توفيق الحكيم

أبو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقى

فى الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازنى

ذو النورين عثمان بن عفان
تأليف عباس محمود العقاد

محمد الثائر الاعظم
تأليف فتحى رضوان

مدرسة المغفلين
تأليف توفيق الحكيم

لا تقتل نفسك
تأليف بيترشتاينكرون

عصاميون من الشرق والغرب
لنخبة من كبار الكتاب

البؤساء
تأليف فيكتور هيجو

الارواح المتمردة ـ الاجنحة المتكسرة

الموسيقى
تأليف جبران خليل جبران

علمتنى الحياة
لنخبة من علماء الشرق والغرب

عش مائة عام
تأليف جايلورد هاوزر

الحرية الحمراء
تأليف حبيب جاماتى

اهل الكهف
تأليف توفيق الحكيم

الله
تأليف عباس محمود العقاد

عش شابا طول حياتك
تأليف فيكتور بوجومولتز

علم الفراسة الحديث
تأليف جرجى زيدان

نساء النبى
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

ثائرون
تأليف محمود تيمور

زهرة العمر
تأليف توفيق الحكيم

هذا مذهبى
بأقلام نخبة من الشرق والغرب

غادة النيل
تأليف اميل لودفيج

طريق السعادة
تأليف فيكتو بوشيه

مطلع النور
تأليف عباس محمود العقاد

يوميات نائب فى الارياف
تأيف توفيق الحكيم

الف ليلة وليلة
(الجزء الاول)

عبقرية الصديق
تأليف عباس محمود العقاد

الف ليلة وليلة
(الجزء الثانى)

مدرسة الشيطان
تأليف توفيق الحكيم

الف ليلة وليلة
(الجزء الثالث)

معاوية بن ابى سفيان
تأليف عباس محمود العقاد

الف ليلة وليلة
(الجزء الرابع)

اعرف نفسك
تأليف ادوارد سبنسر كولز

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الكتب من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب ((المبتديان)) بالقاهرة وشركة الصحافة المصرية بشارع النبى دانيال بالاسكندرية ، ومن شركة الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية شارع المتنبى ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات بشارع بيكو طريق المالكى ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات لصاحبه السيد على نظام ببناية العابد بدمشق ، ومن جميع المكتبات الشهيرة واكشاك الصحف ، ما عدا الكتب التى نفدت نسخها كما ترى فى هذا الكشف

وكلاء مجلات دار الهلال

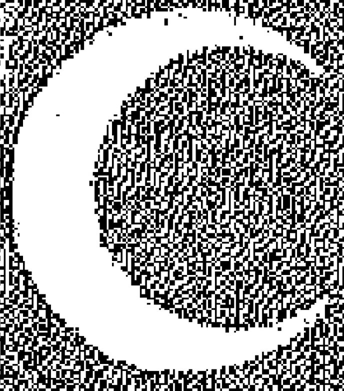
سوريا ولبنان :	شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسي بطريق الملكي المتفرع من شارع بيكو في بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهي تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)
العراق :	السيد محمود حلمي ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد
اللاذقية :	السيد نخلة سكاف
مكة المكرمة :	السيد هاشم بن علي نحاس ـ ص.ب ٩٧
البحرين :	السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين
ساحل الذهب :	The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.
نيجريا :	Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.
انجلترا :	مكتب توزيع المطبوعات العربية Arabic Publications Distribution Bureau 7, Bishopsthorpe Road, Sydenham, London S.E. 26, England.
فرنسا :	Etablissements Helbaoui, 29, Rue Saint-Augustin, PARIS-2°, FRANCE.
البرازيل :	Dr. Michel H. Thomé, Pateo Do Colegio N° 3 3° Andar — Sala 9 SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

هذا هو الجزء الخامس من ألف ليلة وليلة . وقد سبق لسلسلة كتاب الهلال أن نشرت الأجزاء الأربعة فى الأشهر الماضية ، فأقبل عليها القراء اقبالا كبيرا حتى نفد بعضها . ويدل هذا الاقبال على مكانة هذا الكتاب القصصى النفيس من نفوس القراء ، وعلى ما للخيال الروائى الشرقى من خصب وقوة لفتت اليه أذهان الأدباء والروائيين فى الغرب والشرق

وقد عنينا بأن يكون كل جزء من طبعتنا الخاصة لهذا الكتاب مستقلا بقصصه وحكاياته ، وان كان تابعا لما قبله فى عدد لياليه حتى يطالعه القارىء فى لذة ومتعة ، ولا يحتاج لمراجعة ما قبله . كما زينا كلا منها بالرسوم الأنيقة الموضحة ، وهذبناها تهذيبا يتناسب مع قيمة هذا الكتاب دون أن نحدث تغييرا فى منهجه أو طريقته ، أونختصر منه شيئا

وسيلى هذا الجزء الخامس الذى نقدمه اليوم الجزء السادس والأخير لألف ليلة وليلة فى شهر يونيه القادم . وبذلك نكون قد قدمنا لقراء العربية خدمة جليلة بنشر هذا الكتاب



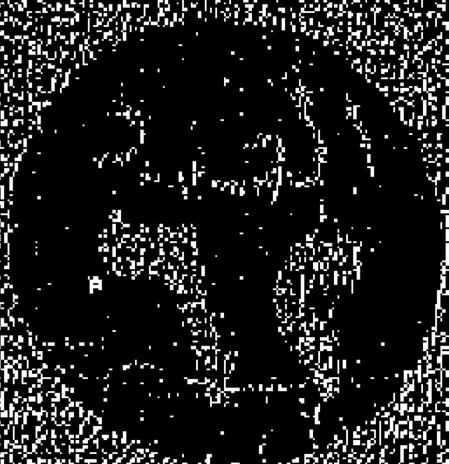
كتاب الهلال

مع الله .. في السماء

تأليف

الدكتور أحمد زكي

مدير جامعة القاهرة سابقا



سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٦٢ ــ رمضان ١٣٧٥ ــ مايو ١٩٥٦

No. 62 — May 1956

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

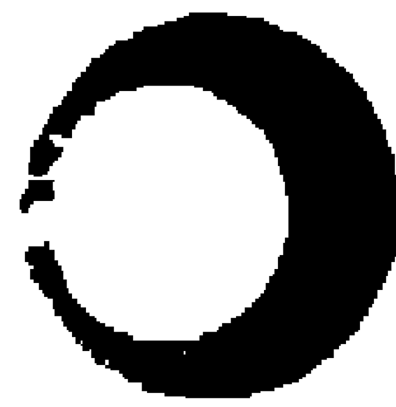
كتاب الهلال ــ بوستة مصر العمومية ــ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ــ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ــ سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا او لبنانيا ــ الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش صاغ ــ فى الامريكتين ٥ دولارات ــ فى سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٣٠/٩ شلنا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

مع الله .. في السماء

تأليف

الدكتور أحمد زكي

دكتور فى الفلسفة Ph.D. (Liverpool)
دكتور فى العلوم D.Sc. (London)
مدير جامعة القاهرة سابقا

دار الهلال

مقدمة

خلقت ، وخلقت معى ، نفس حساسة سآلة • بدأت تحس على صغر ، قبل أن تأتى الناس عادة الاحساس • وبدأت تسأل ، على نعومة ظفر ، قبل أن تأتى الناس عادة التسآل • تريد دائما أن تعرف لماذا ؟ وكثيرا ما لا تجد عما تسأل سببا • وتريد دائما أن تعرف كيف ؟ وقلما تجد للذى تسأل عنه كيفا • وتود مخلصة أن تعلم ، وهى تعلم الكثير • وتغربل ما تعلم ، فينفصل حبه عن طينه ، ولكن ما أكثر الطين ، وتزيد للذى تعلم غربلة ، وتزيد ، حتى ما يكاد أن يكون للحب وجود

وتدرج الحياة ، وأدرج معها • ان الحى لابد له من السير • وأسير ، ويسير معى ناس ، من سود وبيض • ويسير معى فى الحياة كلاب ، من سمر وشقر • وتسير أبقار • وأسعى ، ويسعى معى ثعبان ويسعى عقرب • انه طريق الحياة السلطانى الاعظم يؤذن بالسير فيه لكل ماحملته قدم ، أوزحفت به بطن ، أو نقله جناح • فهو لايرد أحدا لسواد أو بياض ، ولا يمنع أحدا لقوة أو ضعف ، ولا يضيق بأحد لقصر فيه أو طول ، أو لجمال فيه أو قبح ، أو لقسوة فيه أولين

انه طريق الحياة ، العريض ، الواسع ، الفخم ، يحمل الخلائق ألوفا مؤلفة • وهو كالنهر ، يبدأ عند منبعه ، بميلاد ، وينتهى عند مصبه ، بانصباب • بانصباب فى ذلك المحيط الاعظم الذى لاتكاد تجد له غورا • وتأتى الشمس الى هذا المحيط ، تستخلص منه الحياة سحبا ، تعود بها الى تلك المنابع ، ترويها ، وتغذيها ، لتعود سيرتها الاولى ، من ميلاد فى

أعالى الارض عند نبع ، ثم انصباب آخر الامر عند محيط ، في دورة لاتنتهى ، الا أن تعجز شمس عن استخلاص حياة. وهيهات !

ولكم حاولت أن أتوقف في هـــذا الطريق ، في موكب الحياة الاعظم ، الافخم ، أسائل نفسى ، عن هذا الطريق ، لم كان ، وكيف كان ، وما زحام فيـــه • ولكن أبى زحامه الجارى أن أتوقف فيه

وهدأ التيار ، آخر الامر لما بعـــدت منابع ، واقتربت مصاب

فوقفت

وعاودنى تحساس ، وعاودنى تسآل

ونظرت فيما كان ورائى من مشارف ، وما يستقبلنى من مهابط

وأمدنى سابق علم • وأمدتنى خبرة حياة

وخرجت على ما أحسب أنه حقيقة الحياة الكبرى : تلك وحـدة شـاملة كاملة تجرى فى هذه الخلائق جميعا ، على اختلاف صور ، واختلاف خلاق • وهى تجرى فى أرض وفى سماء • أومن بها كايمانى بوجودى ، وايمانى بوجودك ، والايمان بالوجود أول ايمان

وتسألنى عن هذه الوحدة ما اسمها ؟

وأقول : سم ما بدا لك

أما هى عندى : **فوحدة من وحدة الله**

وهذا الكتاب ليس بكتاب فى الفلك ، ولا فى علم أرض ، ولا فى فزياء ، ولا فى كيمياء ، وما كان له أن يكون

انه كتاب ايمان

وأرجو أن أتبعه بالكتاب الثانى ، «مع الله ••• فى الارض» ، اكمالا لمعنى الوحدة

وعلى الله أن أنجزه

وعلى الله أن يوفق فيه **احمد زكى**

الباب الأول

ماهدف الحياة

ولماذا نحن هنا؟

كتب لى شاب فى العشرين من عمره يسألنى : ما هدف هذه الحياة ؟ ولماذا نحن هنا ؟

ويأتينى بين الفينة والفينة ، كتب من شبان فى مثل هذه السن ، تسأل مثل هذا السؤال . وهو سؤال واحد وان اختلفت صيغه ، وكثيرا مايصحب هذا السؤال شكوى من الحياة مرة ، تكاد تدرك منها أن صاحبها لن يصبر على هذه الحياة الا بمقدار ما يتمكن من التخلص منها ، عاما او عامين ، أو مثل ذلك قدرا

ولكن صاحب هذا السؤال ، بل أصحاب هذه الاسئلة لا ينتهون من الحياة بمثل هذه السرعة التى تنم عنها شكواهم المرة ، وقلقهم البالغ ، بل يأسهم الذى سد عليهم مسالك هذه الحياة

اقول هذا فى شىء من التأكيد لانى كنت فى ايامى بعض هؤلاء الشبان ، تجهمت لى الحياة بمثل ما تجهمت لهم ، وتعمت على المسالك بمثل ماتعمت عليهم . وسألت كما سألوا : ما هدف هذه الحياة ؟ ولماذا نحن هنا ؟

ثم طغى سيل الحياة ، سيل هذه الحياة نفسها التى اتساءل عنها ، ويتساءلون ، فانسانى ، وانساهم ، او هو سوف ينسيهم . وحملنى ، كماحملهم ، أو سوف يحملهم ، فى حركة ، تخطر معها خواطر لاتخطر على البال الا وصاحب البال فى سكون

وسبب هذا النسيان ، وهذا البرء ، ان سميت هذا السؤال والتسآل مرضا ، مشغلة الناس بالدنيا . مشغلتى شابا ، ومشغلة هؤلاء المتسائلين شبانا . فصاحب هذه الدنيا تساؤله الأول عن الطعام ، فهو يطلب الرزق أو يحضر

الطلبه . الغذاء أول همه ، وأول همه الكساء . والغذاء لا يتدلى من الشجر ثمرا ، فليس على طالب الرزق الا أن يجنيه . والكساء لابد له من من يغزله ، ومن ينسجه . فالدنيا من اجل هذا شغل شاغل . شق الأرض بحثا عن الطعام ، ومع شقها عرق يصب فوق تربتها صبيب. وللكساء جهد آخر ، وهو مثله جهد جاهد . وليس للانسان فى هذه الجهود التى تبذل اختيار . انه يأتيها برغمه . بل ما فى الأمر رغم . انه يأتيها طبعا وسليقة . ينحدر اليها كما ينحدر الماء . ولسنا نقول ان الماء ينحدر برغمه

الحيـاة تدفع عن نفسها ، فتودع كيان الانسـان ذلك الحافز الأول ، السعي للطعام ، قوام الحياة الأول ، وهو قوامها فى انسان ، وفى حيوان ، وفى نبات

لا يكاد يعى الرضيع الا ويأخذ يتلمس الثدى ليرضع . ولا تكاد تنشق البيضة عن الفرخ الا ويأخذ منقاره يتلمس الحب ليلقط . وتنساب فراخ السمك فى الماء ، وفى طبعها أنها تعوم ، من غير تعليم ، تتصيد فى الماء ما تتصيد .. حتى النبات ، لاتكاد بذرته ان توضع فى الارض ، وتمس الماء ، حتى تأخذ فى سبيل العيش ، طعاما ، وفى سبيل النماء

وما نماء كان الا انتهى الى عجز ، وما شباب الا انتهى الى شيخوخة . والشيخوخة فناء . وتقوم الحياة تدفع عن نفسها مرة أخرى ، فتودع فى كيان الخلائق حافز الانسال

حافز الغذاء له هدف قريب المدى

وحافز الانسال له هدف بعيد المدى

وكلاهما يعمل لبقاء الحياة واتصالها

والشاب المتسائل : « ماهدف هذه الحياة ؟ ولماذا نحن هنا ؟ » ، لا يلبث ان يشغله كل هذا فلايبقى له وقتا يفكر فيه . ثم يمضى من أيامه ربيعها ، وصيفها . ويدخل خريفها والخريف فصل تؤدة وامهال . وعندئذ فقط يجد الفراغ

الذى يعود به الى تساؤله القديم : « ماهدف الحياة ، ولماذا نحن هنا ؟ »

سؤال عرض للداخل فى الحياة

ثم هو يعود فيعرض له وقد قارب ان يخرج منها

سؤال الشاب سؤال يصحبه تشوف . وسؤال الشيخ سؤال يصحبه الأسى

الناس فى ايمانهم صنفان

والناس فى كهولتهم وشيخوختهم ، صنفان

صنف يسلم أمره للواقع ، ويسلم فهمه . فهو لا يفكر ، اما جهلا ، واما عجزا . وكثيرا ما يتدارى فى التعبد ، على أى دين كان . ويغمغم فى تعبده بما يدرى وما لا يدرى ، ويغمغم بالذى يكون له معنى ، ثم يصير من كثرة التكرار وليس له معنى يعيه . وهو يرجو أن ينزل عليه القدر بالخاتمة وهو على هذه الحال ، ويرجو من بعد ذلك حسن المآل . فذلك هو الايمان الذى قال عمر فيه : اللهم ايمانا كأيمان العجائز . وهو ايمان سدت فيه أبواب العقول ، وفتحت فيه فى القلوب طاقات ، لا يشع اليها النور ، ولكن تشع هى بالنور ، وطوبى لكل امرىء ما كسب

أما الصنف الآخر فيؤسس ايمانه على الفهم مااستطاع الى ذلك سبيلا . ولقد يعلم أن العقل سوف لا يبلغ الغاية ، ولكن عنده ان بعض الغاية خير من فواتها كلها . وعنده ان عقلا يتحرك ، يسنده القلب ، خير من عقل كسيح ، وان عقلا ينبض بشىء من الحياة خير من عقل لا حياة فيه

فالى هذا الصنف الأخير ، من شبان وشيوخ ، على الأخص ، أتوجه بالحديث

تحذير

ثم كلمة تحذير أقولها الآن وأنا أردد ما عنه يتساءلون :

« ما هدف هذه الحياة ، ولماذا نحن هنا ؟ »

فقد لا ابلغ بهم من أهداف الحياة شيئا ، ولكنى طامع فى أن أنير لهم بعض الطريق الى هذه الأهداف

وقد لا أستطيع أن أقول لهم « لماذا نحن هنا » ، ولكنى طامع أن أصفلهم « هنا » ، هذه التى يتساءلون عن سبب كينونتهم فيها

وانا لا اصف لهم من ذلك ما وجدت ، ولكن أصف ما وجد العلماء

العلم الحديث مصدر من مصادر الايمان جديد

ان الذى قال : « اللهم ايمانا كايمان العجائز » ، سواء أكان عمر او عليا أو غيرهما ، انما قالها من بضعة عشر قرنا . وقالها لأنه حاول أن ينفذ بالعقل كما ينفذ السهم فى الرمية ، فتوقف السهم دون النفاذ ، فقام القلب يعمده . ولكن شتان ما بين قرنه وقرننا . قولة نقولها مستيقنين ، كما سوف يقولها أتباع لنا عن قرننا فيما سوف يأتى من قرون

ان العلم الحديث ولد منذ نحو من ثلاثة قرون . والأضواء التى صبها على نواحى هذا الوجود كانت أضواء شديدة كشف بها لأعيننا ، وبالأخص لافهامنا فيما لا تراه العيون ، الشىء الكثير

واستفاد الانسان بكثير مما كشف العلم ، فى مطعمه ، وفى ملبسه ، وفى مسكنه ، وفى زراعة وصناعة وتجارة ، وفى ريف وفى حضر . واستفاد بالعلم فى صحة وفى مرض . واستفاد فى عمل وعندما يفرغ من عمل . وصنع بالعلم مدنيــة عارمة يتضاءل الى جانبها ما مضى مما عرفنا من مدنيات

وهذه المـــدنية يحلو لـكثير من النـاس أن يسميها بالمدنية المـادية

وما أحرانا أن نجعل منها ، بالعلم أيضا ، مدنية روحية

فهذا الـكتاب الذي به أبدأ ، هو محاولة متواضـعة فى هذا السبيل

الهدف اثبات وحدة هذا الوجود

وموضوعى الذى ابحث فيه هو الكون أجمع . وانا ابحث فيه مجملا لا مفصلا . وسوف امس فيه فقط تلك الحقائق التى لابد منها لتمام التصوير عند كاتب ، وتمام التصور عند قارىء ، تلك التى تجعل من الشىء رقعة بها من اكتمال ذلك القدر الذى يأذن للعقل ان يجول فيها فيفهم . ويفهم ليؤدى به الفهم الى غايتين ، أو ادراكين

اما الادراك الاول فادراك مافى اشياء هذا الكون من تنظيم وتنسيق ، وسوف اتخذ من هذا دليلا على انه يوجد وراء هذه الاشياء ، فى مواضعها ، عقل منظم منسق مدبر

اما الادراك الثانى فادراك ان هذا النظام ، وهذا النسق ، يجرى على اسلوب واحد ، مهما اختلفت المواضع من هذا الـكون . وسوف اتخذ هذا دليلا على أن العقـل المنظم المنسق المدبر ، فى هذا الـكون ، واحد

وبعد هذا فلكل قارىء ان يجرى على هواه . فان شاء قارىء ان يسمى هذا وحدة الوجود سماه . وان شاء قارىء أن يسمى هذا العقل الواحد « الله » سماه . ان هو ارتأى ان كل هذا ظاهر واحد باطنه « الله » ، فله ماارتآه . وهو استعراض يفيد كل موحد بالله . وافادة غير الموحدين به أكثر ان شاء الله

لا اتعرض لفلسفة او دين

وليكون البحث خالصا محضا ارجو ان لا اتعرض فيه للاديان ، ولدينى خاصة ، وهو الاسلام . وانا لا اتعرض للاديان وانا فى سبيل بحث هذه الوحدة العاقلة الشاملة التى

تضم جنبات هذا الكون ، لانى اريد ان استمد الحجة من العلم وحده ، بمقدار ما بلغنا منه . فمن أراد من الموحدين حجة بعد ذلك لدينه ، فسوف يجد فى بعض هذا البحث حجة ، من اقواها خلوه من اعتماد على دين بذاته

فالدين لن اتعرض اله ، ما استطعت الى ذلك سبيلا ، وبهذا اكون خير عون له

وكذلك الفلسفة ، سوف ادعها جانبا

ان الفلسفة رياضة عقلية سليمة ، ولكن لم يخرج للناس منها نفع كبير ، الا بالذى كان فيها من رياضة . ان الرياضة حركة ، والذهن كالآلة ، وحركة الآلة تغمرها بالزيت فلا تصدأ ، ولكن الفلسفة آلة لم تسر بالناس نحو ما يطلبون طويلا حتى تعطلت . والفلسفة تغيرت مذاهبها على القرون . ويتغير منها الثياب ، ثم لا تكاد تفك ازراره حتى تجد الجسم واحدا لم يكد يتغير

فالاديان لن نتعرض لها . والفلسفة لن نتعرض لها . لا نتعرض لكليهما فى حسم امر ، ولو تعرضنا لهما فى غير ذلك

وستكون سبيلنا الواحدة ، الى مانبتغى ، سبيل العلم ، ومنطق العلم . ولاشيء غير هذا

الرأى عند الناس ، وعند الفلاسفة

الرأى الباده المشترك بين الناس

اقرأ فى القرآن ، فى سورة هود ، فأجده يقص ، فيما يقص ، قصة نوح ، فيذكر أن بعضا من قومه آمن به ، وأن بعضاً كفر . وأن الملأ الذين كفروا من قومه قالوا له : « ما نراك الا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا ، بادى الرأى »

وأسوق هذا الحديث القرآنى لآتى على هـذا التعبير : « بادى الرأى »

فقوم نوح قالوا له ان الذين اتبعوك انما هم أراذلنا ، الفقراء الضعفاء المحقرون فينا . وهم لم يتبعوك عن روية ، واحكام فكرة . ولكنهم اتبعوك للرأى الذى بدا لهم وظهر لهم أول وهلة . وهناك قراءة تقول : « بادىء الرأى » ، أى أول الراى . اى انهم اتبعوك للرأى الاول الذى ظهر لهم ، ولو أنهـم عادوا فدخلوا الى باطن الفكر واستكنهوا الامور ، لما آمنوا .

فذاك هو الرأى البادىء ، أو الرأى البـاده ، أو الراى البادى

. واقرأ للفارابى ، الفيلسوف الشهير ، أستاذ ابن سينا ، فأجده يعبر عن هذا المعنى ، أو شىء قريب من هذا المعنى ، فيقول : « بادىء الرأى المشترك » . وهو قصد به ذلك الرأى الذى يأتى الناس بداءة ، أو بداهة ، دون ايغـال يحتاج الى أداة من علم أو منطق لا تتيسر للطوائف الجارية

من الناس . وهو أضاف « المشترك » ليدل على أن هذا « الرأى البادىء أو الباده أو الظاهر » هو رأى جمهور الخلق بما لديهم ، فى متوسطهم ، من عقل فطرى لم تدخله الفلسفة ، اما افسادا ، واما اصلاحا

ومن الفارابى ننتقل الى العصر الحديث ، فنجد أمم الغرب ، وهم أهل الفكر اليوم وأهل المدنية هذه الحديثة ، يعبرون عن هذا المعنى فيقول الانجليز والامريكان common sense، ويقول الفرنسيون sens commun وكلاهما معناهما الحرفى « الحس المشترك » . وهو تعبير نطق به أرسطو قبل المسيح ، لمعنى يختص بالحواس وبالادراك . ثم تطور على الزمن ، ليكون مفهومه عند أهل القرون هذه الحديثة ، « الرأى المشترك » لا « الحس المشترك » . وهو مشترك لأن جمهور الناس يشتركون فيه وهم يحكمون على الاشياء

فان شئت قلت فيه العقل المشترك

وان شئت قلت فيه الفهم المشترك

وان شئت قلت فيه الرأى البادىء الباده المشترك بين الناس

والألمان يسمونه der gesunde menschenverstand، أى رأى الناس السليم

وحاول أستاذ حديث تعريفه قال : العقل أو الفهم المشترك هو هذا الفهم الذى يتألف من حشد من المعقولات والمعتقدات والاقتناعات تواضع الناس على قيامها بينهم ، ومنها تصدر أحكامهم فيما يحكمون ، ومنها يستمدون الجواب فيما يسألون ، وعلى وفقها يعملون أو لا يعملون . وهى الفروض الاولى للمنطق الانسانى ، وهم قد تواضعوا على أن لا يتساءلوا فيها ، ولا فى كنهها ، فهم يسلمون بها جدلا .

الراى الفلسفى

وغير ذلك الرأى الفلسفى . وغير هذا منهج الفلاسفة

فالرأى الفلسفى لا يكون الا بعد فحص وتمحيص ، والا بعد تقليب الامر على وجوه شتى . وكثيرا ما تطلب قواعد للتفكير ، ليست مما يألف الناس عامة ، لتعين صاحب الرأى فى تكوين رأيه

فالرأى الباده البديهى المشترك بين الناس ، يقابل الراى الفلسفى عند الفلاسفة

الرأى الباده المشترك قد يخطىء ، وكذلك الرأى الفلسفى

وليس الرأى الباده البديهى المشترك بين الناس مصيبا دائما ، فهو قد يخطىء

وليس الرأى الفلسفى مصيبا دائما ، فهو قد يخطىء

ان ضعف الرأى الباده انه رأى يشيع فى الناس بالعادة. فهو كعادة الكلام وعادة الطعام وعادة الملبس يلتقطها الفرد من الجمهور الذى يعيش فيه وهو لا يعى . وهو لا يعمل عند أخذها فكرا . وكما للجسم عاداته فكذلك للفكر . والانسان مقلد فى عاداته الجثمانية ، وعاداته المعاشية . ومن أجل ذلك توحدت فى البيئة الواحدة العادات . وكذلك هو مقلد فى عاداته الفكرية ، ومن أجل ذلك كثر انسجام العقائد (١) فى البيئة الواحدة ، وانسجام الفكر ، فكان ما يسمى بالرأى العام

والرأى الباده المشترك ليس بالشىء الثابت ، فهو يتغير بتغير المكان ، وهو يتغير كذلك بالزمان(٢) . بل قد يتحول

---

(١) المقصود بالعقائد ليس العقائد الدينية خاصة ، فكل مايراه الانسان صوابا فهو عنده عقيدة ، كان موضوعه ما كان

(٢) فالرأى الباده المشترك فى قبيلة افريقية ، غير الرأى الباده المشترك فى قبيلة نجدية أو تركستانية او فى الامة المصرية أو الفرنسية . والرأى الباده المشترك فى مصر اليوم غيره منذ الف عام ، فآلاف الاعوام .

الى نقيضه . فالرأى الباده المشترك فى أوروبا كان منذ قرون يقول بأن الملك يملك بما له من حق مقدس . والرأى الباده المشترك فى أوروبا اليوم هو أن الشعب مصدر السلطات . ذلك بصرف النظر عن صحة رأى وفساد رأى

كذلك الرأى الفلسفى كثيرا ما يؤدى بالانسان فى آخر الأمر الى ما ينقض العقل المشترك فى صميمه ، ويهز أساس الفكر فى الحياة هزا يجعل من العبث متابعة هذا الفكر لاجراء الحياة وادارة عجلة العيش

الرأى العلمى

والى جانب الرأى الباده المشترك ، والى جانب الرأى الفلسفى ، يوجد الرأى العلمى

والرأى العلمى كان بعض الراى الفلسفى فى سابق الدهور ، والعلوم الحديثة ، التى هى فى الواقع علوم الطبيعة ، وعلوم الكون والحياة ، كانت فى سابق الدهور هى الفلسفة أو هى بعضها . ثم افترق العلم عن الفلسفة ، منذ نحو من ثلاثة قرون . واختص العلم بدراسة الاشياء الجامدة ، والاشياء الحية ، وبكل ما يحس ، أو يأتى فى توابع الاحساس . وانصرفت الفلسفة تشتغل بما وراء ذلك ، بما وراء الطبيعة ، فيما لا يحس ، وتشتغل بضروب أخرى من المعانى

واختلفت طرائق العلم الحديث عن طرائق الفلسفة . فالعلم مؤسس على التجربة يجريها العالم ، ويرقم نتائجها . وعلى الملاحظة يأتيها ، ويرصد نتائجها . ثم هو يعمل عقله فى هذه النتائج من بعد ذلك

فالرأى الذى يراه العلم الحديث ليس يدخل فيما نسميه بالرأى الباده المشترك بين الناس . الا أن يتحول الناس

الى علماء . فان آمن به الناس من غير العلماء ، فانما هو ايمان بالعلم الحديث والعلماء . وحق لهم أن يؤمنوا . ذلك لأن العلم فيه ضمان الصدق فى النتائج . يضمن ذلك أنه مؤسس على التجربة المحضة ، أو الملاحظة . ويضمن ذلك رقابة العلماء بعضهم لبعض فيما يجرون من تجارب، وفيما يستنتجون منها ، فالعلماء جميعا ، بما لديهم من مجلات علمية يتبادلونها ، وجمعيات ومؤتمرات يجتمعون فيها ، يتدارسون ، ويتذاكرون ، ويتناقشون، هم فى الحق أعضاء فى برلمان عالمى خفى ، لا يخرج منه الا كل ما تمحص من الآراء . وهو برلمان اختلف عن البرلمانات السياسية بأنه لا أثر فيه للشخصية ، ولا أثر للحزبية ، والذى يحيد فيه عن السبيل السوية ، يفتضح افتضاحا ، لا فى حارة ، أو فى قرية ، أو مدينة ، ولكن فى عواصم الارض جميعا

الآراء العلمية ، فيها المؤكد ، وفيها المشكوك فيه

على أن الآراء التى يقول بها العلم نوعان ، نوع مؤكد ، يقول به العالم بايمان كايمانه بوجوده ، وكايمانه بأنه هو الذى يتكلم لا غيره . مثال ذلك أن كل جسم ينجذب الى مركز الارض ، وأن سرعة سقوطه تزداد ٣٢ قدما فى كل ثانية من سقوطه ، اذا لم يعقه فى الطريق عائق . ومثال آخر أن الماء يتركب من أكسجين وأدروجين

أما النوع الثانى من الآراء فيقع بين الشك واليقين على درجات مختلفات . مثال ذلك أنك تجلس فى دارك تستمع الى حديث يذاع ، أو غناء أو موسيقى ، على موجة طولها ٢٥ مترا . موجة ؟! أو أن تقول ان هذا الضوء الذى تقرأ فيه نهارا ، أو تقرأ ليلا ، يتألف من موجات ضوء تقع ما بين كذا وكذا طولا . موجات ؟! أى موجات هذه ؟ أهى كالأمواج على سطح الماء ؟ أم هى كأمواج الصوت اذ يسير

فى الهواء . أم هى حقول مغناطيسية كهربائية يجرى فيها الضعف والقوة متعاقبين متراوحين على وتيرة واحدة ؟ أم هى أثر لأشياء ، كالاجسام الصغيرة ، المتناهية الصغر ، يلاحق بعضها بعضا ؟ وهنا ، بين الفرضين الاخيرين ، يقع الرأى العلمى فى بعض حيرة . ويصبح رأى « الموجة » يدخل فى نطاق ذلك النوع الثانى من الآراء التى يقول بها العلم ، تلك التى تقع « بين الشك واليقين على درجات مختلفات » ، الى حين

الهوة واسعة بين رأى السواد من الناس والعلماء

واعود فأقول ان الكثرة الكبرى من الآراء العلمية ليست مما يدخل فيما نسميه بالرأى الباده المشترك بين الناس. ذلك لأن الكثرة الكبرى من الآراء المشتركة بينالناس قريبة المتناول : أشياء تدركها الحواس ، ثم يقوم العقل يعمل فيها . وهو لا يعمل فيها طويلا حتى تستقر فيه فكأنها بعضه . وغير ذلك الكثرة الكبرى من آراء العلم

انه رأى يستقر فى العقل ، يؤدى الى رأى يقوم فى العقل أيضا ، ولكن بناءه على الرأى الاول . ويخرج من هذا الثانى ثالث يحمل عليه . ثم رابع يحمل على هذا الثالث . وهكذا دواليك حتى يتكون بناء من الآراء والعقائد فى العقل شامخ ، منه يتألف العقل العلمى . وهو عقل ، من اجل ذلك ، كثيرا ما يبعد أكبر البعد عن سواحل الادراكات الاولى

ومن أجل هذا كانت الهوة واسعة بين عقل السواد من الناس وعقل العلماء ، فهما لا يمكن أن يسيرا معا ، فى مجالات العلم ، على اقتناع ، طويلا. فلابد للعقلغير العلمى، آخر الأمر ، من التسليم ، والا تعذرت الصحبة فى هذه المجالات

عرفت هذا من الحديث الى كثير من رجال ، ومن نساء، هم فى مجالاتهم فى الحياة عظام نوابه ، فى ادارة أو تجارة أو محاماة ، أو فى أدب أو فن ، ومع هذا لم يسيروا فى مجال العلم طويلا حتى تعثروا . فأقلعوا عجزا ، أو ناقشوا، على غير فهم ، عنادا

وكيف لا يتعثرون ، والعلم بعد عن السواد ، بحقائقه ، وبأسلوبه ، وبتضخمه ، بعدا كبيرا

وكيف لا يتعثرون ، والعالم يرى أشياء كثيرة لا تراه عينه ، ويسمع ما لا تسمع أذنه ، ويحس بما يعجز الحس المادى عن احساسه ، والعالم يؤمن بأشياء لم تتكشف له تكشف الاشياء لذى الرأى الباده أبدا ؟

ان العالم يتحدث عن الذرة وهو لم ير قط ذرة . وعن الألكترون وهو لم ير بعد الكترونا ، الا أثرا . دع البروتونات والنيوترونات وما اليها . وهو يتحدث عنها كأنها بعضه . وهو يؤمن بها بأقصى ما يستطيع الحى الانسانى من ايمان

وعند العالم أنه ليس من الضرورى ، لتؤمن بشىء ، ان تراه . فهو يرى آراءه استنتاجا ، فى سلاسل من المعقولات طويلة. وهو قد يتهم الشىء الذى يراه رأى العين، احتراسا من خداع العيون ، وانخداع الافهام

والله لم يره أحد . ولا أحسب أن انسانا على ظهر الارض سوف يراه ، حتى لو صح انه شىء يرى . فالله معنى ، ليس كالعلم ما يثبته ، أن كان مما يدخل فى نطاقه. أو ليس كالعلم ما ينفيه. وهدفنا اثبات معنى الله ، فاثبات وجوده باثبات الوحدة القائمة فى هذا الوجود

الباب الثاني

عبادة الله بغير علم كعبادة الأصنام

عبادة الجهال

فرق هائل بين أن يعبد الجاهل ، وأن يعبد العالم

الجاهل الذى يعبد الله ، وهو لا يدرى شيئا عن الله ، وعن آثاره ، وعن محكم آثاره ، كما يكشف عنها العلم ، كاد أن يعبد الله كما يعبد الصنم . لأن اقتناعه بقدرة الله ، وبعظمة الله ، فى أسلوبه ، وفى منهجه ، وفى مقداره ، كمثل اقتناع يقتنعه عابد الوثن بوثنه . ينشأ عابد الوثن على ما نشأه أبواه . قيل له انه قدير ، فآمن ، وانه يعطى الشر ويعطى الخير ، فآمن . وحفظاه من التعاويذ ما يدفع به شره ، ومن الادعية ما يجلب به خيره . وينشأ عابد الله على جهل ، كذلك كما نشأه أبواه . قيل له ان الله قدير ، فآمن . والله يعطى الشر ويعطى الخير ، فآمن . وحفظاه ما يدفع به نقمته ، ويستدر به نعمته ، فراح يتلوه صباح مساء ، كالببغاء

فهذه عبادة الجهال

قل فيها ما تقول ، واعتذر عن أهل الجهل بما تعتذر ، فلن يغير هذا من الواقع شيئا

عبادة العلماء

وغير هذا عبادة العلماء .

ان عبادة العلماء ليست عبادة لفظ فحسب ، وانما هى عبادة فكر ، وعبادة تأمل . فهى عبادة فكر أولا ، ثم لفظ ثانيا . واللفظ أفرغ ما يكون اذا لم يملأه معنى

ما العبادة ؟

لطالما ساءلت نفسي : ما العبادة ؟

ويجيئني الجواب السريع بأنها عمل ، يكون من نتائجه ، لو صدق، أن يعامل الانسان بني الناس بالعدل . فلا يظلم، ولا يسرق ، ولا يجرح ولا يقتل ، ولا يسعى بين الناس بالأذى ، من أى نوع ، وأن يحب للناس ما يحب لنفسه

ولكن لا تلبث نفسي أن تقول : ما هذه هي العبادة ، ولكنها نتائج تنتج من العبادة ، لو صدقت ، فيما هو ضرورى لحسن المعايشة فى المجتمع الانسانى

أما العبادة فهى عند نفسي شيء آخر . هي استكناه المعبود ، بقدر ما يستطيع الانسان من قدرة . من هو ؟ ما هو ؟ أهو واحد كامل ، أم أجزاء ؟ أم هو أجزاء متكاملة، كواحد ؟

هل يرى ؟ هل يحس ؟ أم هو يعقل ، وكيف يعقل ، والى أى مدى يعقل ؟ هل هو أشياء هذا الكون التى نراها، وتلك الاخرى التى لسنا نراها ، أم هو ذلك الشيء المطلق الذى تجرد واختفى وراء ما نرى ، وما لسنا نرى ، وامتلأ به هذا الوجود ؟ أم ... وأم ... ؟

انه لا سبيل الى شيء من ذلك الا سبيل المعرفة

المعرفة عبادة

والمعرفة كانت فى سوالف القرون ذات طرقات غير معبدة ، يسلكها القليل ، ويسلكونها عاما ويتركونها أعواما. والمحصول الذى يعودون به من هذا الطريق كان قليلا ، كان فيما بين بعضه وبعض اختلاف تقطعت به فيما بينهم العلائق . لأنه كان محصولا يلتقط اللاقط ما يلتقط منه اعتباطا ، لأن العاملين على التقاطه ، على قلتهم ، كانوا افرادا ، لم يربط بينهم رباط ولم تجمع جامعة . وغير

هذا صار حال المعرفة منـــذ قرنين أو ثلاثة . انتظمت أمورها ، وتعبدت طرقاتها ، وترابط رجالهـــا ، واجتمعوا فئات عدة ، كل فى سبيل ، يستهدفون هدفا واحـدا ، يخططون له ، على التعاون ، خططا واحدة أو متشابهة . وتتفرع السبيل الواحدة فتتفرع الفئات العاملة فيــه . وكل ما يجد الباحثون ، المتواصلون فى كل بقاع الارض ، يرقم فى كتاب وكتاب وكتاب . وتقرأ الكتب فيمحصها الرأى والنقاش

العالم الحديث أكبر عابد

فذلك هو العلم الحديث، علم هذا الكون، بالذى فيه من مواد وقوى، وظواهر جارية أو ساكنة لهذه المواد والقوى. وهو الى اليوم أثبت قاعدة يستقر عليها اعتقاد وايمان ، ما انفسحت تلك القاعدة للعقائد والايمان . وهى رقعــة تتسع على الايام ، فهى تنفسح غدا لما لم تكن تنفسح له اليوم

فهذا العلم هو سبيل المعرفة بالله . وهو السبيل الاول والأقوم . وهو آخر سبيل تجوز أن ترتفع اليه ريبة

والباحث فى العلم ، اذا استهدف ببحثه الكشف ، ولو بعض كشف ، فى بعض جوانب الله ، فهو أكبر عابد ، وأكرم قائم وراكع وساجد

والقارىء للعلم ، يريد به استكناه حقيقة هذا القــائم الأعظم على الكون ، والقائم فيه ، انما يعبد الله على أسلوب، هو فى صنوف العبادات فوق الاساليب ، لأن العقل فيه يتحرك نحو الله عن علم ، ويمتلىء به قلبه عن معــرفة ، ويمتزج به عقلا وقلبا ، وجامعهما النور ، والنور لا يكون منه الا الصفاء ، كما الجهالة لا يكون منها الا العكر ، ومع العكر الظلام

العبادة بالعلم مجهود شاق لا بد أن يبذل

وقراءة العلم ، ككل شيء يحصل ، تحتاج الى مجهود يبذل . ان الرزق فى الارض ، ولكن لا بد للارض من حرث. وطالب الرزق يرويها من بعد حرث ، بعد أن يكون قد رواها ببعض عرقه الصبيب . فهذا رزق الاجسام . ومثله رزق الارواح ، لا بد فيه من جهد يبذل ، وعرق يصب . ورزق الارواح المعرفة ، ورزقها العلم . وهما لا يشتريان كسائر أرزاق الحياة بالمال . لا بد من النزول الى أراضيهما ، ثم الانكباب عليها عزقا وحرثا ، لتخرج من بعد ذلك الثمار . وهى ثمار تشبع الأنفس . فالأنفس تشبع وتجوع ، كما تشبع وتجوع الاجسام.

الأنفس تجوع كما تجوع الأجسام

ان الانسان وحده ، من بين الحيوانات ، ومن بين سائر الخلائق ، بمقدار ما علمنا ، هو وحده الذى له نفس تجوع بحكم الطبع ، وتريد أن تشبع ، وتعطش بحكم الطبع ، وتريد أن ترتوى . وهى وحدها النفس المتسائلة عن علاقتها بهذا العماء الذى هى فيه .

ان النفس الانسانية تقف فى العراء ، فوق سطح هذا الكوكب ، يغرقها النور الهابط من السماء كل اغراق . فكل شيء فيما حولها ، فى حاضرها ، واضح بين ، تستشف منه دون سائر الحيوان ما قدر الله أن يستشفه انسان . ولكن الماضى ... ولكن المستقبل ... وذلك الميلاد الذى تبدأ به الحياة ، وذلك الموت التى تختتم به الحياة ...ثم ما قبل ميلاد ... ثم ما بعد موت ... أمور ، على نقيض ذلك الحاضر الواضح البين المشمس ، لا هى بالواضحة ولا البينة المشمسة . أنها ظلمات استدبرها الانسان عندما ولد ، وظلمات يستقبلها عندما يموت . والنفس

الانسانية ، التى لم تفسدها رحابة العيش ، أو التى لم يفســدها ضيقه ، واحتفظت بصحتها على الرخاء وعلى الشدة ، لا يمكن أن تنام فتغفل عن أن تستخبر عما كان قبل هذا العيش ، وعما سوف يكون بعده

الخوف من الموت

ان الذين يتحدثون اليوم عن الحياة الدنيا ، يذكرون الخوف أشد بلاياها : الخوف من الفقــر . الخوف من المرض . الخوف من الظلم . الخوف من الفوضى وضياع الأمن ... وبقى خوف يخـــاف ولا يذكره أحد ، ذلك الخوف من الموت

والخوف من الموت قائم ، لا سبيل الى تخفيفه الا الجهل المطلق ، جهل الانسان الذى هو بعض جهــل الحيوان ، فالحيوان لا يكاد يدرك ما الموت حتى يكون . فاذا هو كان أعجله الموت عن ادراكه . وسبيل أخرى تذهب ببعض هذا الخوف . تلك سبيل العلم ، وسبيل التعبد باجتنائه. وتلك سبيل الله . فلنقم معا لنمشى فى سبيله . سبحانه

الباب الثالث

ما السماء ؟

ما السماء ؟

سؤال لا تكاد تسأله احدا ، حتى تتراءى فى خيـــاله صورتان ، صورة السماء ، والى جانبها صورة الارض . فالصورتان متلازمتان . لا لأنهما متناقضتان ، ولكن لأنهما متكاملتان

وعند كل مسئول من الناس تسأله ، ان الارض أول ، وللسماء المحل الثانى . ذلك لأن العيش ، وهو مشــغلة الاحياء الاولى ، يرتبط أوثق ارتباط بالارض ، ولا يكاد يرتبط بالسماء

نظر الانسان والحيوان الى السماء

ومشغلة الحياة الاولى ، مشغلة العيش ، هى مشغلة الانسان والحيوان . والحيوان لا يعلم عن السماء شيئا ، وما كان له . ان الحيوان قوامه غير قوام الانسان . قوام الانسان راسى . وقوام الحيوان أفقى . فعين الحيــوان تتجه طبعا الى أسفل ، الى الارض . هكذا عيون البقر وعيون الخيل . وقل من الحيوانات من يستطيع أن يتجه ببصره الى السماء . ولم ينقصه من خير العيش انه لم يستطع أن يتجه ببصره الى السماء . وحتى الانسان ، فى قوامه الرأسى المعتدل ، اذا القى ببصره القاه افقيا . فهذا وضعه الطبيعى . وسهل عليه أن يحنى رأسه الى أسفل ، الى الارض . وأن يحنيه ، بمعونة عنقه اذ ينحنى، تسعين درجة ، فيرى بذلك ما عند قدمه . وسهل عليه أن يرفع رأسه الى أعلى ، الى السماء ، وأن يرفعه ، بمعونة

عنقه اذ ينثني ، اربعين درجة أو خمسين ، أو فوق ذلك ، دون أن يحس الما فى عنقه . وهو اذا أراد أن يلقى ببصره القاء الى السماء ، فى راحة من عنقه ، وجب عليه أن يستلقى بظهره على الارض استلقاء ، وهكذا هو يفعل اذ ينام .

فالذى صمم جسم الحيوان ، وركب هيكله ، كأنه لم يرد من هذا التصميم أن يتمكن الحيوان من النظر الى السماء . وذلك لأسباب عدة ، من أظهرها أنه ، مع عقله العاجز ، لا يستفيد من هذا النظر شيئا

وعلى غير هذا الطراز صمم المصمم جسم الانسان ، وركب هيكله . فالانسان عقل واع ، كثير الوعى ، وهو قادر ، كثير القدرة . فهو يستفيد من النظر الى السماء اكبر استفادة . ويلقى فى سبيل هذا النظر بعض المشقة ، ولكنها مشقة تهون فى هذا السبيل الذى هو فيه

السماء هى الكون ، بأرضه وسمائه

وهل ترانى ، بعد كل هذا ، جئت بجواب السؤال الذى سألت : ما السماء ؟

الحق انى لم أجب

والجواب : ان السماء هى كل هذا الوجود

تسأل الرجل العادى عن السماء ، فيقول لك انها هى هذه التي فوقنا . وهو لا يكاد يدرك ، ان هذا الذى هو فوقه ، فى موضعه على سطح هذه الكرة الارضية ، شىء غير ثابت ، وانه يرى من السماء ، فى كل ساعة ، شيئا غير الذى رآه فى ساعة سابقة ، وغير ما سوف يراه فى ساعة لاحقة

ويرفع الرجل المتعبد كفيه الى السماء ، يدعو ربه . فيقولون كفر . فليس الرب يوجد فى مكان بعينه ، ولكنه يوجد فى كل مكان . وهل رفع الرجل المتعبد كفيه الى

السماء ، الى مكان معين ؟ وكيف ، والسماء تدور، يرفعهما الرجل الى مكان بعينه ؟ انه يرفعهما الى كل مكان ما تواتر الزمان .

ان هذا الذى هو « فوقه » ، كان منـــذ نصف يوم « تحته » . والذى هو على « يمينه » كان منذ نصف يوم على « يساره » .

ان ساكن الارض هو وحده الذى يعرف معنى «الفوق» و « التحت » . وغير ذلك ساكن فى الكون سابح

والساكن الكون ، والسابح فيه، لا ارض عنده ولاسماء . فالكل عنده سماء .

والساكن الكون ، والسابح فيه ، قد تحدثه عن أرضك ، فلا يدرى ما هى ، ولا ما أنت . ذلك لأن الأرض ، فى السماء ، كقطرة فى محيط ماء . وساكن المحيط لا يكاد أن يتعرف على قطرات مائه . أو هى كحصاة فى رمال صحراء ، وساكن الصحراء لا يكاد أن يتعرف على حصوات رماله . فهذا الكون ، بسمائه وأرضه ، هو هدفنـا من دراستنا هذه . نريد أن نبين أنه ، على اختلاف أشيائه ، وتباعد أشيائه ، شىء واحد . أبدعه مبدع واحد ، وأجراه مجر واحد ، ونسق بين سننه منسق واحد ، وهندسه مهندس واحد ، على اختلاف مكان ، واختلاف زمان . وأن هذا العقل الأوسع الأشمل أزلى بمقدار ما نفهم من الأزل ، أبدى بمقدار ما نفهم من الآباد

منزلة الارض عند الناس

على أننا مهما قلنا فى السماء ، وفى شمول السماء ، وان السماء هى الكون أجمع ، فلن ينفعنا هــذا ، نحن بنى الناس ، ومساكننا على هذه الارض . فمن تربة هــذه الارض، ومن هوائها ، خرجت أجسامنا . وبظواهر هذه

الارض اشتغلت عقولنا . ومن الارض كسبنا ما كسبنا من تجارب ، وحصلنا ما حصلنا من معارف . فالوثبة التى نثبها ، لنتعرف على السماء ، وهى الأعظم والأضخم ، لا بد ان تبدأ من ظهر هذه الارض . فالانسان ، هو عند نفسه، مركز هذا الوجود . والارض ، هى عنده ، المحور الذى يدور حوله الكون ... تدور حوله قبة هذه السماء

دراسة الارض الحية لها كتاب آخر

فالدارس الكون لا بد أن يبدأ من الارض ، بحسبانها بعض أجرام السماء .

أما دراسة الارض ، بحسبانها مواطن للناس، وللأحياء ، من حيوان ومن نبات ، ولظواهر أخرى للطبيعة تتصل بالحياة ، كما نعرفها على ظهر هذه الارض ، فدراسة سوف يستقل بها بحث منفصل آخر . فلهذا الكتاب ، واسمه « مع الله ... فى السماء » ، توابع ، كمثل « مع الله ... فى الارض » . وغير هذا . وهى « مع الله » دائما أبدا



الكرة السماوية

قبة بالنجوم تدور

ذكرنا فيما سلف « أن السماء تدور » . وهذا قول يحتاج الى شيء من ايضاح

لست أدرى كم من الناس رأى السماء تدور

ان الناس ترى الشمس تدور ، فى قبة السماء ، من مشرق الى مغرب . وترى القمر يدور ، فى قبة السماء كذلك ، من مشرق الى مغرب . ولكنى لا أحسب الا أن من الناس من لا يزال لا يدرى أن نجوم السماء كذلك تدور، من مشرق الى مغرب

ان الناس لا ترى النجوم نهارا ، لأن نور الشمس القوى يغلب على نورها الضعيف ، فيخفيه ، فتختفى . ولكن أهل العلم ، من الفلكيين ، يرون النجوم فى مراصدهم نهارا جهارا

واقتصر الناس ، بأعينهم غير المعانة ، أعينهم العارية ، العارية من منظار فلكى ، اقتصروا على رؤية النجوم ليلا

واذا ظهر القمر فى الليل ، فعل بضوئه القوى نوعا ، بعض ما تفعل الشمس نهارا بالنجوم من اخفاء . انك مع القمر البدر لا ترى فى السماء الا القليل من النجوم ، تلك التى هى أكثر النجوم التماعا

فلا بد لرؤية النجوم وهى تدور فى السماء ، أوضح رؤية من أن نختار لها ليلة ليلاء ، ذات رقعة فى السماء سوداء . وخير الليالى تلك التى هى فى أواخر الشهر العربى ، أو

أوائله ، حين القمر هلال . أو تختار لها غير هـذه من الليالى ، فى النصف الثانى من الشهر العربى ، وقبل أن يطلع القمر من مشرقه

لرؤية النجوم فى الليل خير رؤية ، لا بد من سماء لا قمر فيها . وشرط ثان ، ذلك صفاء الجو

نجوم كالشمس ، تطلع وتغيب

وعندئذ فاجلس ، واضطجع فى جلستك ، ووجهك متجه الى السماء ، شطر الجنوب . واختر من النجوم أى نجم . ثم انظر أين موضعه . واذكر هذا الموضع بأى وسيلة تشاء . واصبر ساعة ، ثم عد الى مثل جلستك ، والى مثل اضطجاعتك . وانظر هذا النجم تجده تحرك . وهو يتحرك تحرك الشمس ، وفى مثل اتجاههـا . ولو نظرت الى سائر النجوم لوجدت أنها تفعل مثل ذلك . ولو نظرت ، فى جلستك تلك ، الى الأفق الشرقى ، لوجدت نجوما تطلع . ولو نظرت ، فى جلستك تلك ، الى الأفق الغربى ، لوجدت النجوم تغيب . تماما كما تطلع الشمس وتغيب

ووسع من نظرتك ، حتى تشمل القبة كلها ، فعنـدئذ أنت واجد أن القبة كلها تدور ، بالذى فيها من نجوم ، من مشرق الى مغرب . تدور حول هذه الكرة الارضية التى عليها نحيا ، ومن سطحها نرقب ، نرقب السماء

والنجوم التى تغرب عنك ، تشرق على قوم فى الناحية الاخرى من الارض آخرين . وكذلك تفعل الشمس ، تغرب عندك لتشرق عند قوم آخرين

وعالم الفلك ، ذلك الذى يستطيع بوسائله الخاصة أن يرى بعض النجوم اللامعـة فى السماء ، يراها وحـده نهارا ، ويرى منها مع الناس ما يرونه ليلا ، هذا العالم ، يراقب النجوم ليلة ونهارها ، اربعا وعشرين ساعة ، يرى

فيها كل ساعة وجوها للنجوم جديدة ، فى وجه للسماء جديد . ثم تبدأ الاربع والعشرون ساعة الثانيــة ، فاذا بهذه الوجوه نفسها تعود تتتابع فىنفس الأوجه منالسماء. تماما كما تقف أنت فى مركز دائرة ، يمشى على محيطها من الجند أربعة وعشرون . ترى أنت ، وأنت ثابت ، وجوههم وهم يسيرون . فاذا هم أتموا فى الدوران حلقة ، بدت لك منهم حلقة جديدة ، والوجوه واحدة ، ومراتبها فى الدوران واحدة

فقبة السماء اذا ، هى اذ تدور ، ليست بقبة واحدة . وانما هى قباب . هى صور من تلك الكرة السماوية الكبرى التى ترصعت بالنجوم . وهى تدور حول الارض ، وهى كرة صغرى ، كما دار الجند فى محيط تلك الدائرة ، التى وقفت أنت ثابتا فى مركزها ، تنظر

الكرة السماوية تدور حول محور له قطبان

ولكن هذه الكرة السماوية الكبرى التى تدور حــول نفسها ، ككل كرة تدور حول نفسها ، لا بد لها من محور، هو لها كالقطب للرحى

والحق انك اذا جلست جلستك تلك الاولى ، مضطجعا ، ووجهك متجه شطر السماء ، ولكن ناحية الشمال ، ثم راقبت النجوم فى قبة السماء وهى تدور ، اذا لوجدت نجمة فوق الافق ، تتراءى النجوم تدور حولها وهى ثابتة لا تتحرك . انها القطب الشمالى ، لذلك المحــور الذى تطلب ، ذلك الذى تدور عليه ، اذ تدور على نفسها ، قبة السماء ... كرة السماء ، الكرة السماوية

انها النجمة القطبية الشمالية ، أو النجمــة الشمالية فحسب

وكما للكرة السماوية قطب فى أعلاها (١) ، قطب فى شمالها ، فكذلك هى لها موضع للقطب فى أسفلها ، فى جنوبها ، هو قطبها الجنوبى . وسكان النصف الاعلى ، النصف الشمالى ، من الارض يرون القطب الشمالى ، ولا يرون القطب الجنوبى . وسكان النصف الاسفل ، النصف الجنوبى من الارض ، يرون القطب الجنوبى ، يرون موضعه ، ولا يرون القطب الشمالى

والكرة السماوية ، بما أنه قد صار لها محور ، له قطبان ، فقد صار لها خط استواء ، وصار لها دوائر ، كتلك التى نرسمها على الكرة الارضية ونسميها خطوط عرض وطول

وكل هذا نصنعه توهما وتصورا

---

(١) التعبير بأعلى وأسفل لا يتفق مع حقيقة الكون . ولكن المتفق فى الرسم الجغرافى ، وفى تصور المواضع الجغرافية عامة ، ان نجعل للشمال أعلى الورقة ، وللجنوب أسفلها ، كما نجعل للشرق اليمين ، وللغرب اليسار . والكرة الارضية ، نموذجها ، وهو من ورق مقوى أو نحوه ، تصنع على هذا المثال . للشمال الاعلى ، وللجنوب الاسفل . وكل ذلك اصطلاحا . فنحن نستخدم هنا ، هذين التعبيرين ، تسهيلا ، واتباع عادة فى الكلام

الباب الرابع

الأرض كرة تدور

الأرض البسيطة

تحدثنا عن الارض فقلنا أنها كرة ، مسلمين بذلك . والحق أن هذا التسليم جاء الانسان بطيئا على القرون . ان الانسان القديم الاقدم ، رأى الارض تنبسط فى رأى عينه فسماها البسيطة ، وما درى انها ، عندما تطول على سطحها المسافات ، تتكور . وكان طبيعيا أن يرى ذلك ، أن يرى أن الارض بسيطة ، فهذا هو الرأى الباده المشترك بين الناس ، على ما سبق أن وصفناه

ونحن الى اليوم ، وقد عرفنا معرفة لاريبة فيها ان الارض كرة ، لانزال نتحدث عن الارض فنقول البسيطة . وفى الحياة الجارية نقيس مانقيس من الارض ، لزرع حقل أو بناء دار ، ولا يخطر ببال أحد ، حتى المهندس القياس ، وهو يقيس ، أن هذا السطح ينحنى . وحتى فى المسافات الطويلة ، يقول القائل أن المسافة بين الاسكندرية والقاهرة تبلغ ١٣٠ من الاميال ، أو أنها بين القاهرة وأسوان تبلغ ٤٢٠ من الاميال ، وقد يدرك أنها مسافة تتعوج فى سبيلها وتتعرج ، ولكنه لايدرك واعيا انها تنحنى . ذلك لانه يقطعها فيرى فيها بحكم الخبرة تعرجا وتعوجا ، ولكنه لايرى بحكم الخبرة لها انحناء . لان انحناء الارض لايحس

ومن الطبيعى كذلك أن نجد من أهل الارض الى اليوم من لايؤمنون بتكور الارض ، اعتمادا على رأى العين ، على الرأى « الباده المشترك » بين سواد الناس

ان تكور الارض من خير الامثال التى يضربها الضارب ليوضح الفرق بين الرأى الباده المشترك ، رأى الناس

بالفطرة ، رأيهم جملة : رأيهم قبل ان ينهلوا من مناهل العلم ، وبين الرأى الآخر ، رأى العلم ورأى العلماء الذى مابلغوه الا من بعد دراسة وبحث وتنقيب كثيرا مالا تتهيأ سبله ، أو يتحقق جهازه ، الا على السنين ، أو بعد فوات الكثير من القرون

الأرض عند الاغريق كرة

لقد عرف الاغريق ، أو على الاصح عرف فلاسفتهم ، ان الارض كرة . وساق كبير فلاسفتهم ، أرسطو ، مثل الحجج التى نسوقها الى اليوم فى مدارسنا ، للتدليل على أن الارض كرة . من ذلك أن السفينة اذ تغادر ساحل البحر فى سفرها ، يختفى أول مايختفي منها ، فى بصر الواقفين على الساحل ، جسمها ، ثم يأخذ فى الاختفاء رويدا رويدا شراعها . ومن ذلك أن المسافر من أقطار فى الارض شمالية، الى أقطار فى الارض جنوبية ، أو عكس ذلك ، يرى نجوما جديدة غير النجوم التى ألفها حيث بدأ (١) . ومن ذلك أن القمر ينكسف ، فتلقى الشمس بظل الارض عليه ، فيكون حد هذا الظل على القمر قوسا من دائرة

وأخذ العرب ، فى أوائل الدولة العباسية ، لاسيما فى عهد المأمون ، عن الاغريق علمهم ، وأخذوا فلسفتهم .

---

(١) قال أرسطو،فى القرن الرابع قبل الميلاد ، بالحرف : « ان الانسان كلما سار فى الارض شمالا ، أو سار جنوبا ، وجد تغيرا كبيرا فى النجوم التى يراها فوق رأسه . والواقع أن هناك نجوما ترى فى مصر ، وترى بالجوار من قبرص ، لا يراها الرائى فى المناطق الشمالية ... وكل هذا ليس يدل فقط على أن الارض كروية الشكل ، بل يدل كذلك على صغر هذه الكرة . فانحناؤها لابد أن يكون شديدا والا لما أحدث كل هذا التغير عند ناظر السماء بسبب مسافات ينتقلها على سطح الارض غير كبيرة » ان هذه الفقرة هى التى أغرت كريستوفر كولومبس ، آخر الامر ، بمحاولة اللف حول الارض طلبا للهند من الناحية الاخرى ، فاكتشف أمريكا

وسلموا بأن الارض كرة . وراحوا بأمر المأمون يرصدون النجوم من فوق هذه الكرة (١) .

ومضى الزمن فعبر الانسان البحار ، وعبر المحيطات ، وطوف حول الارض من شرقها الى غربها ، ومن غربها الى شرقها ، ولف الارض لفا

الطائرات وكروية الارض

وجاءت الطائرات فطوفت حول الارض فى بضعة أيام . وفعلت ذلك فى كل اتجاه . وعبرت القطب . وعرف الانسان الارض بكل تفاصيلها كما يعرف ساكن المدينة ، شوارعها وحاراتها والازقة

الصواريخ وكروية الارض

وجاء عصر الصواريخ ، فأطلقوها فى السماء ومعها آلات التصوير الفوتوغرافية . فلما ارتفعت عن سطح الارض فوق المائة والخمسين ميلا ، انكشفت العدسة فصورت الارض من هذا البعد فظهر حرف الارض على الورق الفوتوغرافى قوسا لدائرة ، دليلا على انحناء الارض (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ١ فى هذا الكتاب ــ ملزمة الصور)

وما كان الرأى العلمى فى حاجة الى أن تعمده الطائرات ، أو الى أن تقول بما تقول الصواريخ . ولكن فى الذى فعلته الطائرات ، وسجلته الصواريخ ، اطمئنان لقلوب تحب أن تؤمن بالاشياء رأى العين ، لارأى العقل ، وعندها أن الخير أن تؤمن بالله بأن تراه جهرة ، لاتعقلا وتبصرا واستنتاجا

---

(١) بنى المأمون فى بغداد ، فى «بيت الحكمة» ، مرصدا . وبنى مرصدا آخر فى سهل تدمر . وأمر علماءه بأن يقدروا حجم الارض بقياس درجتين من خطوط العرض على سطحها ، فوجدوا أن الدرجة الواحدة على سطح الكرة بالارض تساوى ٥٦ ميلا وثلثى ميل ، فكان محيط الارض عندهم ٥٦ ميلا وثلثى ميل × ٣٦٠ = ٢٠٤٠٠ ميل . فكان قطر الكرة الارضية عندهم ٦٥٠٠ ميل . وقطر الارض عند علماء اليوم ٧٩١٣ ميلا تقريبا

الارض هى التى تدور

لاقبة السماء

وهذا مثل صارخ آخر من المفارقة بين مايرى الناس رأى البداهة ، ويحسونه احساس البداهة ، وبين الواقع الذى لاسبيل اليه الا العقل والتعقل.

وان كان الانسان قد فطن الى كروية الارض من زمان بعيد ، فهو لم يفطن الى دورانها الا فى عصر قريب. فالايمان بدوران الارض أعصى من الايمان بكرويتها

ان الدوران حركة ، وقد تعود الانسان أن يحس الحركة. فلما قيل له أن الارض تتحرك ، فما أسرع ماكذب ، اذ كيف تدور وهو واقف فوقها لا يحس دورانها ؟

من فلاسفة الاغريق من قال بحركة الارض

ولقد كان من فلاسفة الاغريق ، فى القرن الخامس قبل الميلاد ، من قال بدوران الارض . حتى اذا جاء عالمهم ، أرستراكوس Aristrachos ، من جزيرة ساموس Samos فى القرن الثالث قبل الميلاد ، قال قولا حاسما . قال بأن الارض تدور حول محورها ، وعلم تلاميذه ذلك . وعلم ان النجوم ثابتة فى قبة السماء ، وأنها انما تتراءى للناس أنها تدور ، لان الارض تدور بالناس . وقال بأن الارض تدور

حول الشمس ، وان الكواكب (١) كذلك تدور حولها . وان الشمس هي مركز هذا الدوران لا الارض . وعلم كذلك أن النجوم تبعد عن الارض والشمس بعدا عظيما تتصاغر الى جانبه حركة الارض حول الشمس ، فهى لايكاد يحسها ساكن هذه النجوم ، لو أن بها ساكنا ، وهيهات

سبق عظيم فى العلم ، لاندرى كيف بلغه صاحبنا ، وحال العلم عند ذاك ماعلمنا ، ولكنه الفكر الطليق ، والفطنة ، وصفاء البصر

وعلى الرغم من هذا فقد ظل الناس لايؤمنون بحركة الارض ألفين من السنين من بعد ذلك . حتى جاء العالم البولندى ، كوبرنيكس Copernicus ، فى القرن السادس عشر ، فأحيا تلك النظرية القديمة ، نظرية دوران الارض ، حول نفسها ، وحول الشمس . وبهذه النظرية فسر ظواهر فلكية كانت عسيرة التفسير قبل ذلك

العرب وحركة الارض

على أنه فى هذين الالفين من السنين ، ظلت النظرية التى تقول بحركة الارض تتراءى من حين الى حين . ويتحدث أبو ريحان محمد بن احمد البيرونى عن هذه الحركة ، ويذكر مايؤمن به علماء الفلك من أهل الهند من ثبوت الارض ، ثم يقول هو رأيه : أن النظريتين ، نظرية الثبوت أو الحركة ، نظريتان متكافئتان ، بكليهما تتفسر الارصاد الفلكية . وان من الصعوبة بمكان ترجيح احداهما على الاخرى

(١) الكوكب ، أو الكوكب السيار ، فى الاصطلاح ، هو الجسم السماوى الذى لا ينير من ذات نفسه ، فهو ليس من نار . وانما يعكس نور غيره . مثال ذلك الزهرة والمريخ والمشترى ، كل نورها يأتينا بالانعكاس من نور الشمس . أما النجم فهو الجسم السماوى ذو النار ، يذكيها هو ، ولا يستعيرها . مثال ذلك الشمس ، وهذه النجـــــوم التى نراها مبعثرة فى السماء تزينها بالليل . ولكل منها موضع بين سائر النجوم ، فى رأى العين ، ثابت

كوبرنيكس وجاليليو وحركة الارض

على أن نظرية كوبرنيكس ، من دوران الارض حول نفسها ، ودورانها حول الشمس ، لم تشع شيوعا كبيرا الا عندما جاء العالم الشهير جاليليو Galileo فى القرن السابع عشر ، وبتلسكوباته الحديثة : التى صنعها بيده ، كشف عن أرصاد كثيرة عززت نظرية كوبرنيكس

تحقيق دوران الارض حول نفسها

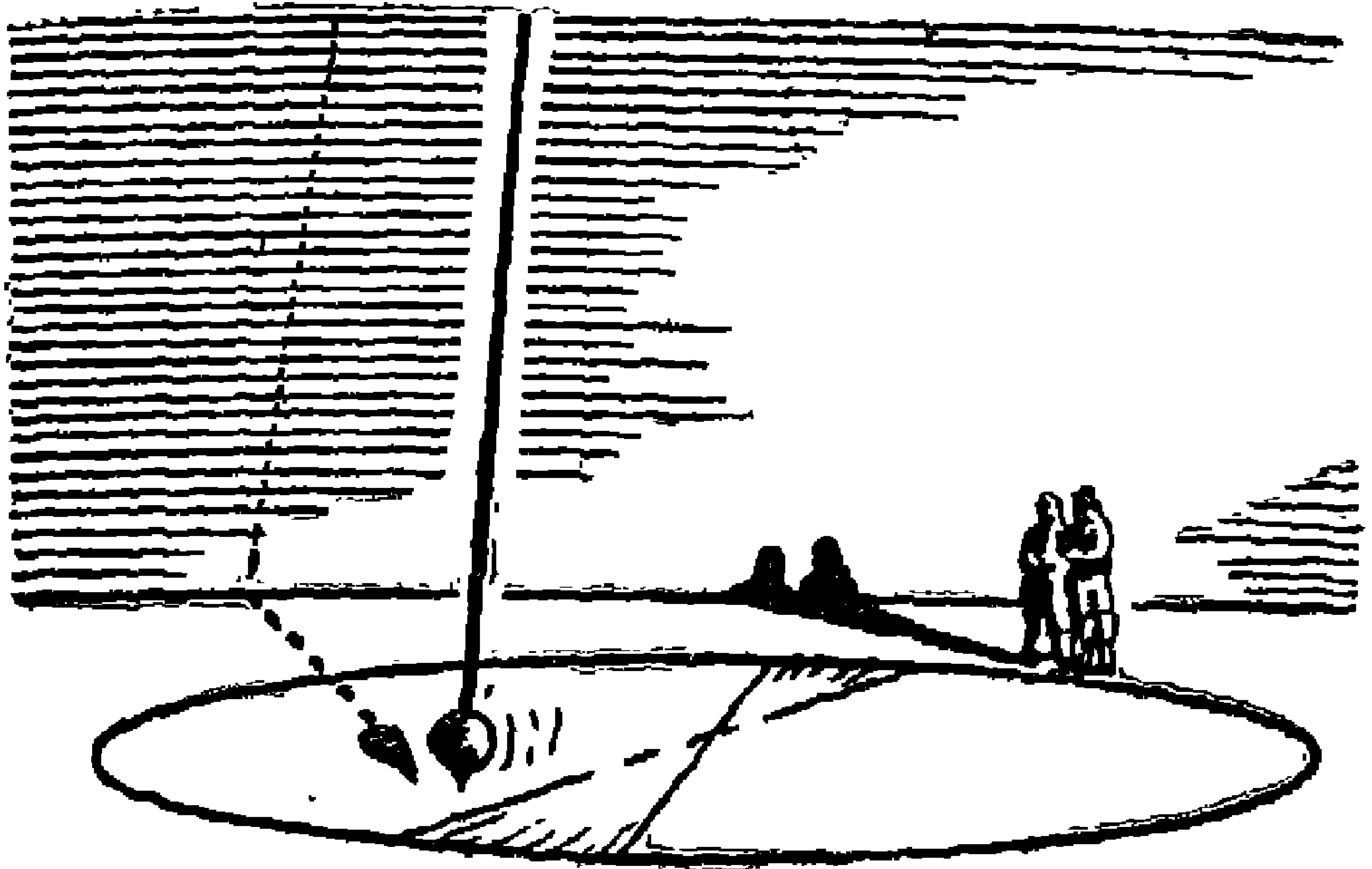
ومع هذا بقيت نظرية الحركة هذه فى حكم النظريات الراجحة زمانا ، حتى اذا جاء عام ١٨٥١ ، تحققت النظرية تحققا لم يدع فيها مكانا للشك أبدا ، فيما يختص بدوران الارض حول نفسها .

تحقق هذا على يد العالم الفزيائى الفرنسى فوكو Foucault أنه جعل الناس ترى الارض تدور حول نفسها رأى العين ، او ما كاد أن يكون كذلك ، بتجربة بسيطة أجراها :

هب رجلا جاء ببندول : خيط يحمل ثقلا ، وربط الخيط من سقف ، وحرك البندول فى اتجاه واحد ، فماذا يحدث لهذا الاتجاه الواحد الذى يتأرجح فيه البندول فوق سطح الارض ؟ لاشىء أول الامر . وتدور الارض من تحته ولا يتغير مستوى يتأرجح فيه الثقل بالخيط من السقف . يتغير اتجاه الارض من تحت هذا الثقل ، بدورانها حول محورها ، ومستوى التأرجح ثابت لايتغير . ويتراءى أنه يدور ، وانما الارض هى التى تدور

ولو وضع بأسفل الثقل المتأرجح ابرة عمودية ، تتأرجح معه ، ووضع على الارض من تحتها رمل تمسه وهى تتأرجح ، اذن لخطت الابرة فى الرمل خطوطا تسجل اتجاه مستوى التأرجح من سطح الارض . ويتغير هذا الاتجاه بمضى الساعات ، فترتسم على الرمل خطوط كأنها أقطار دائرة

واحدة تمر جميعا بمركز واحد . وتأخذ الخطوط تتراءى في الرمل على حال يشعر بأن مستوى التأرجح يلف . وما يلف مستواه ، وانما الارض هي التي تلف ، هي التي تدور .



بندول فوكو يرسم على الرمل بالارض خطوطا يتغير اتجاهها كلما دارت الارض

ثم هب هذا الرجل أخذ بندوله عند القطب الشمالي للارض ، وربطه في سقف ، ثم أرجحه في اتجاه بعينه . فعندئذ تعود الابرة ترسم على الرمل عند القطب ، على رأس الارض، أقطارا لدائرة ، مركزها القطب نفسه. وتعود الابرة من حيث بدأت بعد استكمال الارض دورة واحدة ، أي بعد ٢٤ ساعة ، أي بعد يوم واحد

وهب هذا الرجل أخذ بندوله الى خط الاستواء ، وصنع به ما صنع عند القطب ، وأرجحه بحيث تأرجح في مستوى مابين القطبين. أرجحه من شمال الى جنوب . واخذت الابرة تخط على الرمل . انها عند ذلك لاتخط الا خطا

واحدا . قطرا واحد . لان مستوى التأرجح ، على خط الاستواء ، يدور مع الارض درجة بدرجة ، فهما لايختلفان . وعند ذلك لايظهر ، فيما تخط ابرة البندول ، ان الارض تدور ، انها تدور حول نفسها .

على مثل هذا الاسلوب أجرى العالم الفزيائى الفرنسى تجاربه . وكان طول خيطه ، وهو سلك من معدن ، ٢٠٠ قدم . وحمله ثقلا ثقيلا . وعلق الثقل من قبة البانتيون ، بباريس . والبانتيون هو المكان الفخم الذى يضم رفات عظماء فرنسا ، فى عاصمتها . وأطال العالم فى خيطه ، وزاد فى ثقله ، ليجعل ذبذبة البندول أبطأ فتقل مقاومة الهواء له فيتأرجح أطول مايمكن من الزمن

فتلك تجربة تثبت دوران الارض حول محورها .

وهناك تجارب أخرى تقطع قطعا بدوران الارض حول نفسها ، يمنع من ايرادها الاطالة . ويرجع فى أمرها الى كتب الفلك . فنحن نكتب فى هذا الكتاب من الحقائق مايكفى لبلوغ الهدف الذى نستهدفه ، ذلك اظهار ما فى الكون من ترابط وتناسق ... ووحدة . ولهذا نحن فيه أحرص على ايراد الحقائق منا على ذكر كيف حققها العلماء

تحقيق دوران الارض حول الشمس

وما يقال فى اثبات دوران الارض حول نفسها ، يقال مثله فى اثبات دوران الارض حول الشمس . انه ليس فى خبرتنا اليومية العادية مايجعلنا نؤمن ايمانا سهلا بدوران الارض حول الشمس . ولكن فى علم الفلك ، وفى دراسته ، كل الايمان ، وأيسر الايمان ، واثبت الايمان . وفيه تجارب وفيه أرصاد ، ومن بعد ذلك تعقل ومنطق

ومن أمثلة ذلك :

أنت واقف هنا ، وعلى بعد نحو مائتى متر منك عمودان

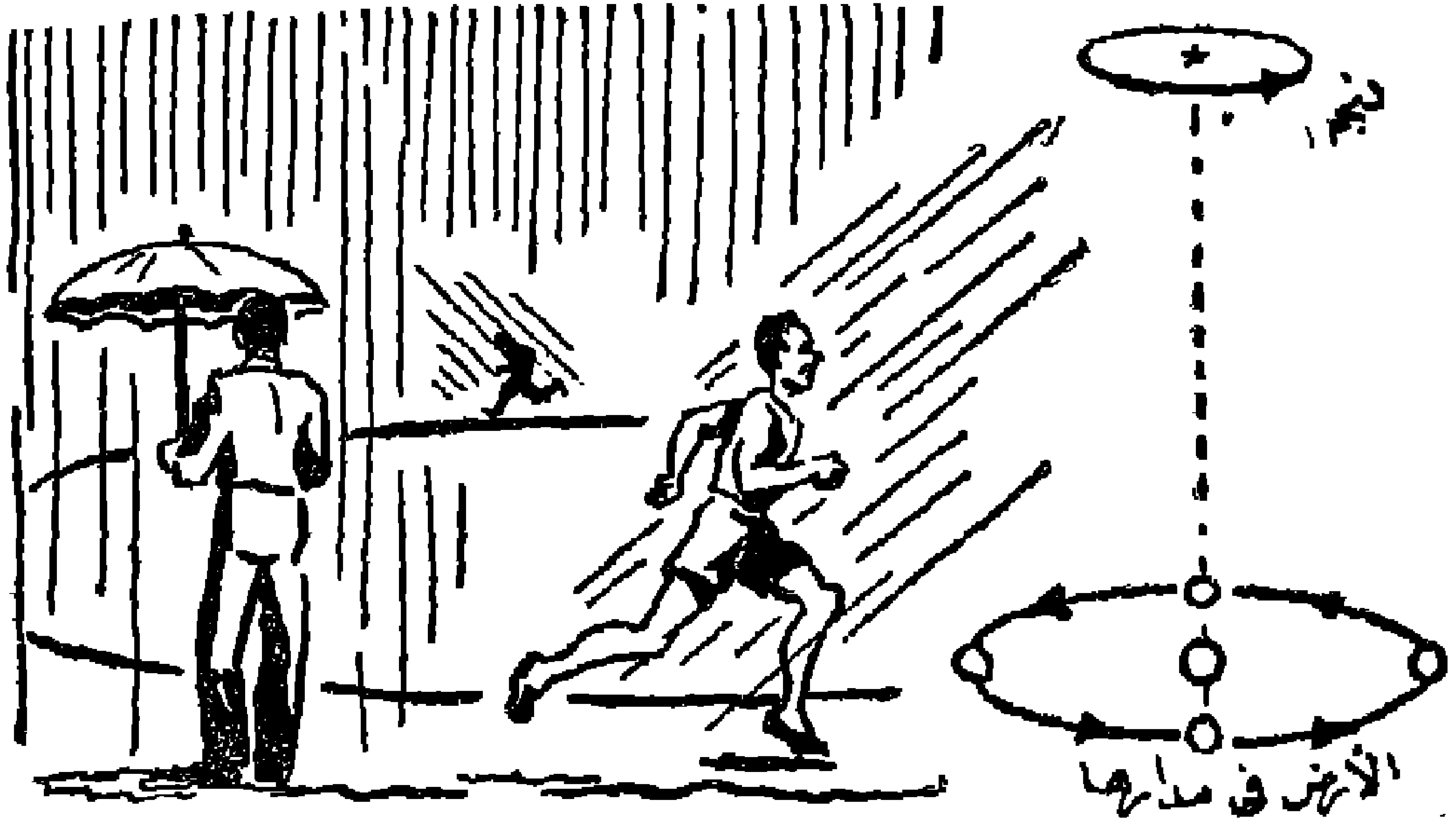
قائمان ، أحدهما وراء الآخر . وأنت ناظر اليهما . ثم أنت تتجه بجسمك الى يسارك فتجد أن العمودين وضعاهما النسبى اختلفا فى بصرك . تجد ان الابعد منهما ظهر كأنه يتجه معك الى يسارك ، والاقرب الى يمينك . وبعد هذا أنت تتجه بجسمك الى يمينك وانت ناظر الى العمودين ؛ فتجد الابعد هو الذى يتجه الى يمينك ، أى هو يتراءى كذلك يفعل ، وتجد الاقرب يتجه الى يسارك . وليس يهم الآن أيهما يتجه أين ، ولكن المهم أنك أنت ، بانتقالك من موضع الى موضع ، تغير من موضعى العمودين ، أحدهما منسوبا الى الآخر ، فى بصرك

وكذلك أنت على سطح الارض ، والارض تنتقل بك من نقطة فى مدارها حول الشمس ، الى النقطة الاخرى المقابلة لها فى المدار ، بعد ستة أشهر . وترصد نجمين بعينهما أثناء هذا الانتقال ، فتلحظ تغيرا فى وضعيهما النسبى ، فى بصرك ، فأحدهما سار يسارا ، والآخر سار يمينا ، فيقوم هذا دليلا على انتقالك ، بل انتقال الارض بك ، فدليلا على أن الارض تنتقل فى مدارها كذلك

وتغير وضعا النجمين على هذا الحال تغيرا يسيرا جدا ، ذلك لبعد النجمين بعدا هائلا عنك وعن الارض ، وذلك بالرغم من أنك انتقلت ، أو انتقلت بك الارض ، لترى اختلاف الوضعين ، مسافة كبيرة ، هى قطر مدار الارض حول الشمس ، ولكنها مسافة ضئيلة جدا اذا ماهى قيست بأبعاد النجوم

ومثل آخر : :

ان النجوم تتراءى لراصدها ، المداوم على رصدها عاما ، أنها تتزحزح رويدا رويدا فى مواضعها من السماء طوال هذا العام ، وأن النجم الواحد يدور ، حيث هو من السماء ، فى مدار خاص به صغير قليل ، يتمه فى عام . وسموا هذا التزحزح الظاهرى للنجم بالزوغان abberation . كشفه



كما يتراءى المطر للجارى فيه انه يميل اليه ، كذلك تتراءى النجوم للارض الجارية فى مدارها أنها تميل . وتتم الارض دورتها فيتراءى النجم كأنه أتم فى السماء دورة ولو صغيرة

برادلى Bradley ، الفلكى الانجليزى ، عام ١٧٢٧ . وطلب سببه ، فاذا هو دوران الارض حول الشمس . وضربوا مثلا : أنت فى ساحة فى العراء ، والمطر يهبط عليك من السماء ، رأسيا . وهو يهبط رأسيا اذا ثبت أنت فى مكانك . ولكنك اذا جريت يمينا تراءى المطر كأن قطراته قد مالت على وجهك تضربه بزاوية ، وهى ماكانت تضرب وجهك قبل ذلك . واذا انت جريت يسارا تراءى المطر كأن قطراته قد مالت على وجهك تضربه بزاوية ، فى عكس اتجاه تلك الزاوية الاولى ، وهى ماكانت تضرب وجهك قبل ذلك . وهكذا يفعل المطر اذا انت جريت الى أمام أو خلف . المطر يضرب دائما وجهك فى عكس اتجاه جريانك . فاذا انت جريت فى دائرة ، ظل المطر يضربك ، فى عكس اتجاه وجهك . اذا فهو يتراءى كأنه يدور لدوران وجهك

وكذلك أشعة الضوء التى تأتيك من نجم بذاته ، وأنت

على الكرة الارضية ، وهذه الكرة تدور بك فى مدارها حول الشمس . انه يتراءى لعينك ان هذه الاشعة التى تأتيك من نجم بذاته تميل قليلا فى عينك ، والارض تجرى بك فى مدارها . فاذا تم عام تراءى لك كأن النجم دار دورة كاملة صغيرة حول موضع له فى السماء ثابت . وما تغير موضعه فى السماء ولكنه هكذا تراءى . وهو ما هكذا تراءى الا لأن الارض دارت فى مدارها حول الشمس

ومثل ثالث مما استخدم العلماء فى اثبات دوران الارض حول الشمس :

ان المريخ ، وغيره من سائر الكواكب السيارة ، يدور حول الشمس كما تدور الارض ، فهى كذلك كوكب سيار . ونرصده فى السماء ، فحق لنا ان نراه يتحرك بين النجوم « الثوابت » فى دورة متصلة ، هى دورته حول الشمس . ولكنا نراه فى هذه الدورة يهدىء من سرعته فى اتجاه تلك الدورة ، واذا به يقف أو يتراءى انه يفعل ، واذا به يعود القهقرى الى حين : ثم هو يتوقف فى تقهقره ليعود الى اتجاهه الاول ، ويمضى فى سبيله الاول ليتم دورته

وعز لهذا الامر تفسير . ونظرية بطليموس ، تلك التى جاء بها فى القرن الثانى الميلادى ليفسر بها هذه الظاهرة ، وعاشت من بعده قرونا ، زادت على القرون حرجا ، وضعفت اقناعا بما تكشف من العلم . وتفسرت الظاهرة ، بما لا يدع فى الامر ريبة ، بالذى تكشف من حركة الكواكب السيارة ، وكيف تدور . ومنها الارض ، وهى تدور فى مثل مداراتها حول الشمس

الايمان والعلم

لقد سقت هذه الامثلة ، وماقصدت بها أن أقدم للقارىء برهانا على ظاهرة او ظواهر . وقد أحس انى لم أوف بعضها ايضاحا خشية من طول الايضاح . وانما سقتها ، ليتذوق القارىء منها ، فيعرف طعم الادلة التى يستدل بها فى علم السماء

خبرة العلم بعيدة عن خبرة الحياة

وأهم من ذلك أنه سيعرف حقيقة مرة : أن العلم الحديث يبعد بعدا كبيرا عن خبرة الحياة العادية الجارية

. ان كل رجل يجرى فى الحياة العادية الجارية ، اذا هو كان قد نال شيئا من التثقف العادى ، يؤمن ايمانا لاشك فيه بأن الارض تدور حول نفسها ، وانها كذلك تدورحول الشمس

الناس تؤمن بالعلم عن سماع

ولكن كيف جاءه هذا الايمان الذى لاشك فيه ؟!

عن السماع

انه ماآمن به ، لانه درس براهين ذلك ، فاقتنع . فما مدرس ، فى درجة التعليم الاولى ، بمورد لتلاميذه من تلك البراهين شيئا . وما كل مدرس بمستطيع ذلك . وهو لو استطاعه ، لوصف تلك البراهين ، دون تجربة ، ودون رصد . فالايمان ، ايمان التلاميذ ، عند ذلك ، حتى لو

أنهم استطاعوا فهما ، انما يكون ايمانا كذلك عن حكاية ... عن سماع .

حتى العلماء يؤمنون بالعلم عن سماع

وحتى العلماء ، يؤمن بعضهم بعلم بعض ، سماعا . فليس فى مكنة أحد ان يتزود من كل العلوم ، على الاسلوب الذى يكون منه ايمان كامل

وحتى العالم فى علمه ، وفى تخصصه ، يؤمن بالذى يجرى هو فيه من تجارب . ولكن أكثر مايعلم من علمه ، هو مؤمن به ... عن سماع .

فهذه هى الحقيقة الغريبة التى ينسى مغزاها حتى بعض العلماء : أن ايمان سواد الناس بالعلم ليس باليسر الذى يزعمون ، ولا حتى ايمان العلماء

ومع هذا فهم يؤمنون .

ما الذى دعا الناس والعلماء أن يؤمنوا بالعلم ايمانا شديدا ؟

فما الذى جعلهم ، مع هذا ، يؤمنون ، ويؤمنون شديدا ؟

انها الثقة . الثقة فى رجال العلم . وتلك الحرية التى يتمتع بها رجال العلم فى بقاع الارض ، حرية الاثبات وحرية الرفض ، وحرية النقد ، بناء ونقضا . وحرية اعادةالتجارب المزعومة والتأكد من نتائجها . وحرية النشر واتساعه . والعلانية . العلانية فى كل مايخرج العلماء فىالمعامل والحقول . والرقابة التى يفرضها بعض على بعض ، ويحبها فارضلها ، ومفروض عليه . وانعدام الهوى عند كل قائم بالعلم يبحث فى شأن من شئونه . وبعد أصحابه عن أهل الهوى من الساسة وغير الساسة . واتفاق الدول جميعا على عدم التدخل بين العلماء ، فيما يبحثون ، وما يجدون ، وما لايجدون ، وان لايؤخذ عالم طبيعى بنتيجة تخرج بهـا

التجربة أو تخرج الملاحظة ولو كانت خاطئة . وان لايؤخذ برأى يراه ولو عارض المعروف المألوف عند الناس أو عند العلماء .

وأمر ثان يكتسب به سواد الناس الثقة بالعلماء . تلك النتائج العملية التى يخرج بها العلماء ، والتقدم الذى تحرزه المدنية بما يصنع هؤلاء العلماء فى بروجهم ، وهى من عاج ، لايغشاها عليهم احد من الناس ، فيهوش فيها هدوءهم أو يفسد من عزلتهم . وتلك النتائج العملية انما تكون تتويجا لحقائق ، ركبتها حقائق ، ركبتها حقائق أخرى . ان الهرم ينتهى الى قمة ، وهى قمة صلدة ثابتة ، لاتهتز ، لانهـا بنيت على حجر صلد ثابت يحمل بعضه بعضا . وكذلك العلم ، ونتائجه . بعضه يحمل بعضا . وقمته دليـل على اساسه ، وآخره دليل على أوله

وأمر ثالث يكتسب به سواد الناس الثقة بالعلم والعلماء : شىء أقرب مايكون الى التنبؤ بالغيب . بل هو التنبؤ بالغيب . وهو شىء أظهر مايكون ، وأفهم مايكون ، وأكثر مايكون فى علم الفلك . وأكثر هذه النبوءات بهرة تنبؤ للقمر بخسوف ، أو تنبؤ للشمس بكسوف . ويعطيك العلمـاء متى يبدأ الخسوف ، ومتى يبدأ الكسوف ، ومتى ينتهى . ويعطونك اياه بالثانية من الزمن فما دون الثانية . وكل هذا سنوات قبل أن يقع . ويقع فاذا به يقع اجمالا وتفصيلا على مثل ماقدروا .

فهذه النبوءات هى عمد الايمان عند الـكثير من سواد الناس . المعجزة ! المعجزة ! سواد الناس دائما يطلب المعجزة ليصيب ايمانا . والمعجزة أصيلة فى دراسة العلم ، وكشف سر هذا الوجود . ولكن كم من الناس يستطيع ذلك ؟ كم من الناس يستطيع دراسة العلم ، ومن دراسته ، يكشف سر الوجود ، ولو بعض كشف ؟!

الباب الخامس

الشمس وأسرتها:
الكواكب السيارة

أسرة صغيرة

أسرة صغيرة قليلة ضئيلة ، أسرة الشمس هذه . واذا عدت الاقدار بالاحجام والاوزان والابعاد ، فهي أسرة ، بالنسبة لما يسكن السماء من اجرام ، أسرة حقيرة ، لا يكاد يعثر عليها ماسح للسماء ، مطوف بها ، سابح

ولكنها أسرتنا ، نحن بنى الناس ، فهى من أجل ذلك كبيرة كثيرة عظيمـــة خطيرة . وهى بالمقـدار وعلى الحال التى تتسع لها عقولنا ، وتألفه ، أو تكاد ، أفهامنا

انه حادث فى الزمان عتيق ، حدث ، فجعل للشمس ، لهذا النجم ، أسرة . فكان لها من جرائه البنون والبنات ، ولادة أو بالتبنى

ومن أولادها الارض . ومن أولادها عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، وغير هؤلاء

وكلها تدور حول الشمس ، ولهذا سميت السيارة . وهى تظهر بالليل ، على صفحة السماء ، وهى ملأى بالنجوم الثوابت ، سيارة

والشمس من نار ومن نور

أما الكواكب فنورها من الشمس ، يرتد عنها انعكاسا

أسرة من أصل واحد

والكواكب السيارة ، أسرة الشمس ، أسرة جاءت من أصل واحد ، أو من أصول مشتركة واحدة . ولهذا حديث سوف يجىء فى موضعه

أسرة تحكمها قوانين واحدة

وكالوحدة فى الاصل ، فى المادة ، توجد الوحدة فى الطبع بين الكواكب ، والصيرورة الواحدة الى الحال الواحدة فى الظروف الواحدة . والحركة ، وهى أظهر شيء فى الكوكب لساكن الارض ، هذه الحركة يحكمها حكم فى السماء واحد . قواعد واحدة تهيمن عليها جميعا ، فتجعل من حركاتها أشباها . ولا أقول تجعل من حركاتها شيئا واحدا . فلقد تطابقت الحركات لهذه السيارات لو أنها نشأت جميعا بكتل واحدة ، فى ظروف لها واحدة .

ولشرح هذا ، لشرح ما نتج عن تطبيق قوانين الطبيعة الواحدة ، المهيمنة فى السماء ، فى الكواكب السيارة ، نتخذ الارض أنموذجا ، نصفه . نصف ذاته ، ونصف دورته ، وما الى ذلك . ثم نلم المامة بسائر الكواكب لنقول أن لها حالا كحال الارض ، لان الذى عمل لها ، أو عمل بها ، عمل بالارض كذلك . انها الارادة الواحدة . انها المشيئة الواحدة

هل الارض كرة حقا ؟

هذا مايقوله الناس اليـــوم . وهذا ماقاله الناس ، فلاسفتهم ، منذ ألف وألف من السنين .

ألم يقل فيثاغورس الاغريقى (١) ، وقال أتباعه ، أن الارض كرة . وبنوا ذلك على حجج ماكان أبعدها عن الكفاية . ولم يكن العلم الحديث قد أطل بقرنيه . ولكن حجة أخرى لدى فيثاغورس ولدى أتباعه كانت هى أقوى شيء فى اقناع ،

---

(١) فيثاغورس Pythagoras هو الفيلسوف الاغريقى الرياضى القديم ، عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، ومات أول الخامس عام ٤٩٧ ق.م. كون مدرسة علمية عظيمة ، وجهت همها الى دراسة الرياضيات والهندسة وعلوم الصوت والموسيقى . وهذه المدرسة الفيثاغورية القديمة عاشت الى النصف الثانى من القرن الرابع قبل الميلاد .

تلك ما دلهم عليه علم الحساب الفيثاغورى، وعلم الهندسة ، من أن أكمل شكل فى الاشكال هو شكل الكرة ، وأن صانع هذا الكون ماكان يصنعه الا على أكمل شكل واجمله . ومن دلائل ذلك الجمال والكمال عندهم أن الشمس تراءت كرة ، وأن القمر تراءى كرة ، وأن قبة السماء كرة ، وأن مجرى هذه الاجرام كلها دائرة ، والدائرة أجمل المسارات وأكملها

وتبع فيثاغورس فى ذلك افلاطون(١) . راى أن الرياضة علم قدسى . ورأى قدسيتها تتمثل فى حركة الكواكب والنجوم ، وهى دائرية . ورأى قدسيتها فى الموسيقى ، فهى مؤسسة على علم الحساب . والموسيقى عنده قدسية جميلة . ورأى قدسيتها فيما يخرج عن الاعداد من عجائب. ومن بعض أهداف الحكمة عنده التأمل فيما تخرج الاعداد

الارض اذا كرة ، لاسباب تروى عندهم قليلة . ولكنها كرة لانها لابد أن تكون كاملة جميلة ، تتسق مع الكون فى كماله وجماله

. وأمن العلم الحديث ، بالمنطق الحديث ، وبالطرائق الحديثة، على ماقاله فلاسفة الاغريق ايمانا بجمال الكون وكماله ، والهاما

أفليس الالهام بعض طرائق المعرفة ، او هو نصف طرائقها. أو لم يقسم أرسطوطاليس ، تلميذ أفلاطون ، المعرفة الى معرفة تأتى بالتسلسل المنطقى ، والى معرفة تأتى خطفا والهاما ؟!

وتمضى القرون ، ويأتى العلم بتسلسله المنطقى ، فيقول ، حديثا ، بما قال به الالهام قديما

مع فارق :

---

(١) أفلاطون هو الفيلسوف الاغريقى الشهير، تلميذ سقراط ، وأستاذ ارسطو ، أسس المدرسة المعروفة بالاكديمية . ولد عام ٤٢٨ قبل الميلاد ومات عام ٣٤٨ ق.م. وعاشت أكديميته الى سنة ٥٢٩ بعد الميلاد

أن الارض ليست كرة تماما
وأن مدارها ليس بدائرة تماما

الارض ليست كرة تماما

انها الحقيقة التى خرج بها القياس ، قياس الابعاد ، وقياس لزوايا والمثلثات . والرجوع الى النجوم سندا لهذا القياس. وهى عمليات مسح خطيرة ، تحتاج الى اوقات طويلة ، وجهود متصلة

وخرجت الحقيقة بأن الكرة الارضية ، بصرف النظر عما بسطحها من ارتفاعات هى الجبال ، ومن انخفاضات هى البحار ، تلك التى يسد بعضها خلل بعض الى حد كبير ، ولا تؤثر لصغرها فى صورة الارض العامة تأثيرا كبيرا ، خرجت هذه الحقيقة ، بأن محور الارض ، قطرها الذى يصل بين قطبها الشمالى وقطبها الجنوبى ، طوله ٧٩٠٠ ميل . وقطرها المتعامد على هذا ، قطر دائرتها الاستوائية ، طوله ٧٩٢٦ ميلا . فالقطر الاستوائى يزيد على القطر القطبى ٢٦ ميلا . مسافة قليلة ، هى دون مابين حلوان والقاهرة . وهو فرق اذا نسب الى أكبر القطرين لكان ٣ر٣ من ألف منه . أى ثلاثة أمتار وثلث فى كل كيلومتر . ولو أننا صنعنا نموذجا من ورق ، للكرة الارضية ، كالذى يصنع للتوضيح فى المدارس ، محوره متر كامل ، اذن لكان محوره الذى عند خط الاستواء مترا يزيد نحوا من ثلاثة ملليمترات وثلث . وهذا فرق تعجز العين عن ادراكه

فالارض كادت أن تكون كرة كاملة ، ولكنها لم تفعل

ولم لم تفعل ؟ ولم لم يتحقق رأى أفلاطون فى أن الكون جميل ، وان أجمل الاشكال واكملها الكرة الكاملة ؟

سر هذا فى دوران الارض

انها غاية فى الجمال والكمال ، تنازع غاية أخرى مثلها جمالا وكمالا

فلنصبر حتى نقول فى مدار الارض

ومدار الارض ليس دائرة تماما

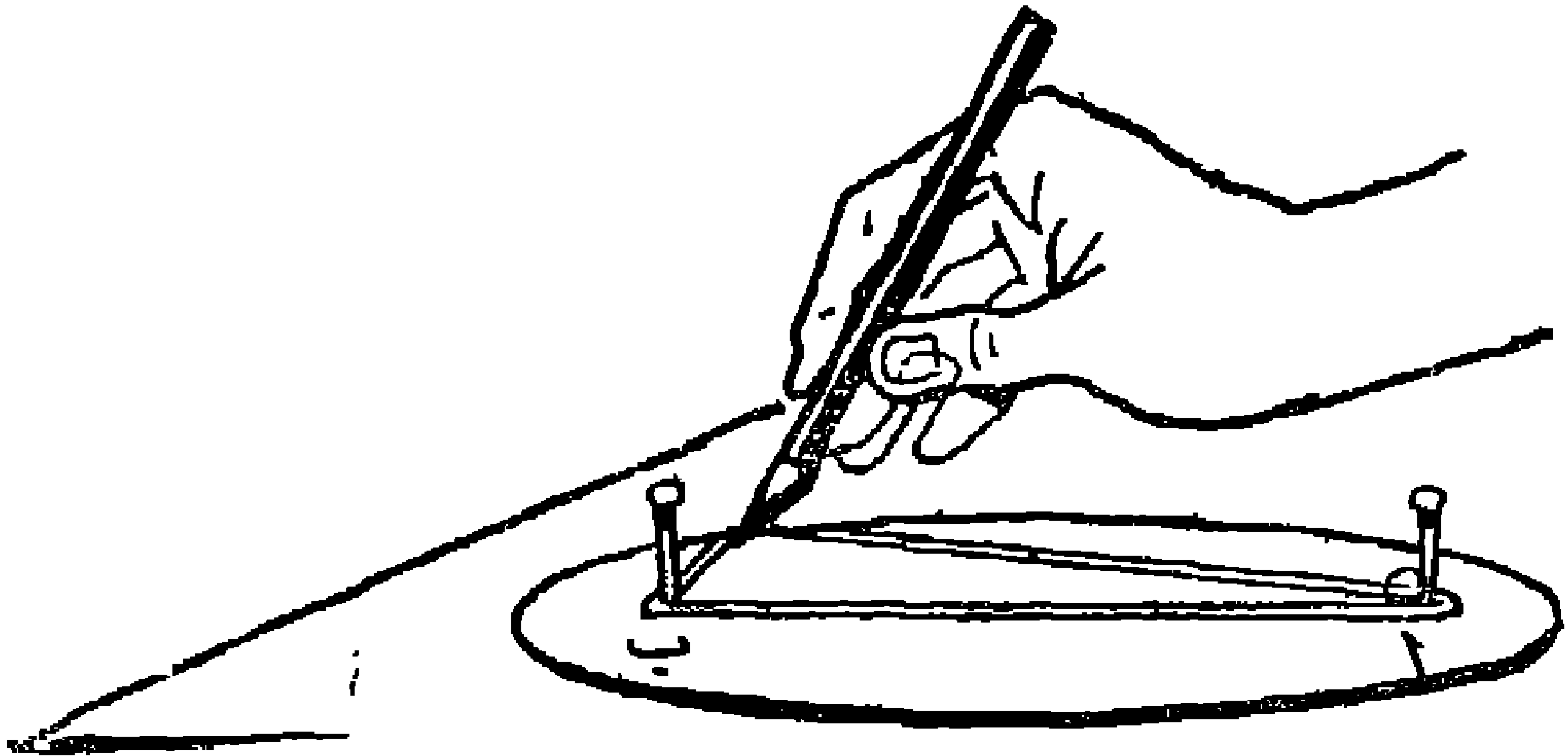
لعبة من لعبات الصبا لازلت أذكرها

ورقة من الكرتون الابيض أضعها على المكتب . ودبوسان أرشقهما قائمين فى الورقة ، والبعد بينهما عشرة سنتيمترات « ا ، ب فى الشكل » . ثم خيط طوله أكثر من عشرة سنتيمترات ، أربط طرفا منه بدبوس من الدبوسين ، وأربط الطرف الآخر بالدبوس الآخر . فيكون الخيط مابين الدبوسين مرتخيا بالطبع ، غير مشدود . وأقيسه فاذا طوله ١٦ سنتيمترا . ثم قلم من رصاص ، حسن البرى ، أمس برصاصته الرقيقة الحادة الخيط مابين الدبوسين ، وأشده ، ثم أدور بالقلم وهو شاد للخيط فأدور به على الورقة ، أرسم به . حتى اذا تمت الدورة ظهرشكل هندسى

انه ليس بدائرة

انه دائرة تفرطحت

انه شيء كالبيضة ، فهو بيضى ، ولكن ماهكذا البيضة



دبوسان وخيط وورقة ترسم شكلا بيضيا اهليلجيا بؤرتاه ا ، ب

تماما . ومن الناس من ينسب الى البيضة فيقول بيضوى وبيضاوى على غير قياس

انه شكل هندسى ، يذكر بالدائرة • ولكن له طول وله عرض ، هما له محوران . والكرة لها محور واحد لا يختلف . وله مركزان ، يسمونهما بؤرتين « أ ، ب فى الشكل » ، والكرة لها مركز واحد

فهذا هو الشكل البيضى أو البيضاوى الذى على مثاله صيغ مدار الارض ، ومدار الكواكب . لهذا أفردناه بالحديث

وفى لغة الرياضة القحة يعرف بالقطع الناقص (١) ، وهو يعرف كذلك بالشكل الاهليلجى

ولتمام الفكرة نقول :

ان البؤرتين ، فى الرسم السابق : ا ، ب : جعلنا المسافة بينهما ١٠ سنتيمترات . وجعلنا طول الخيط الذى يربطهما ، يربط الدبوسين ، ١٦ سنتيمترا . فماذا عسى يحدث لو أننا زدنا فى المسافة بين ا ، ب ، مسافة مابين الدبوسين ، فجعلناها ١١ أو ١٢ ؟ ورسمنا ، مع بقاء طول الخيط ١٦؟ يزيد الشكل البيضوى تفرطحا . حتى اذا بلغت المسافة ا ب ، التى بين الدبوسين ، طول الخيط ، اذا لانطبق الجانبان ، وبلغ من تفرطح الشكل البيضوى أن صار خطا واحدا ، أو هما خطان متطابقان كخط واحد ، طوله ١٦ سنتيمترا

فهذا ما ينتهى اليه الحال لو باعدنا بين الدبوسين ا ، ب .

---

(١) اذا أنت قطعت مخروطا قائما ، بمستوى ، كان القطع الذى على سطح المخروط قطعا ناقصا ، أو قطعا مكافئا ، أو قطعا زائدا ، حسب اتجاه القطع . والذى يعيننا هو القطع الناقص ، البيضوى ، الاهليلجى . والمستوى القاطع للمخروط ، اذا قطع وهو عمودى على محور المخروط القائم ، انتج ، لا قطعا ناقصا ، بيضاويا ، اهليلجيا ، وانما دائرة ، فالدائرة صورة طرفية ، ينتهى اليها الشكل الاهليلجى

ينتهى الشكل الاهليلجى الى ان يكون خطا مستقيما واحدا

واذا نحن فعلنا عكس هذا ، فقاربنا بين الدبوسين ١ ، ب ، فماذا عسى يحدث ؟ يحدث انه باقتراب البؤرتين ١ ، ب ، يزيد الشكل المرسوم الناتج ، لاتفرطحا ، ولكن تكورا . فماذا عسى يحدث بعد ذلك ؟ يحدث انه بانطباق البؤرتين ١ ، ب ، يكون الشكل الناتج دائرة . نصف قطرها ١٦ ÷ ٢ = ٨ سنتيمترا .

فالدائرة هي اذا وضع نهائى ينتهى اليه الشكل البيضى ، الاهليلجى ، القطع الناقص

فمدار الارض ، طلبنا له الدائرة ، فعزت مطلبا . واتخذت الارض لمدارها شكلا ذا نسب بالدائرة قريب . واتخذته كذلك مدارات الكواكب ، الكواكب السيارة

واستقرت الشمس ، لا فى مركز دائرة تدور على محيطها الارض ، ولكنها استقرت فى بؤرة من البؤرتين لذلك المدار الاهليلجى البيضاوى الذى تدور فيه الارض

ومع هذا فهو مدار اهليلجى كاد ان يكون دائرة

تماما كما شكل الارض كاد ان يكون كرة

الكمال عند فيثاغورس ، والكمال فى الكون

اذا فالارض حاولت أن تكون كرة ، لتبلغ مازعم فيثاغورس وأتباعه من فلاسفة اليونان من تمام كمال الكون ، وما زعم وزعموا ، وزعم من بعدهم أفلاطون ، من ان الكرة أكمل شكل . ولكنها عجزت .

وعجزت الارض كذلك عن ان تبلغ بمدارها حول الشمس ان يكون دائرة ، أكمل المسارات واجملها واكثرها تماثلا

والارض ماعجزت ، لانها ماهدفت قط الى ان تكون كرة فى شكلها ، او دائرة كاملة التكور فى مدارها

ان الكرة الكاملة ، والدائرة الكاملة ، هما نتاج من آنتجة الرياضة الفكرية المجردة ، فهما من خلق العقل الانسانى ، وهما من أبسط المخلوقات الفكرية . ولتمام تماثلهما عدهما الفكر الانسانى الفلسفى جمالا . ولكن الطبيعة ، فى شتى أعمالها ، لاتبغى من الجمال هذا الجمالَ الرياضى الكامل الظاهر .

ان جمال الطبيعة هو الجمال الاخفى . وكمال الطبيعة ليس فى الذى ظهر منها ، ولكن فى الذى بطن . بل ان الكون ، فى الكثير من مظاهره ، يظهر فيه الهرج أكثر من النظام ، وغير الترتيب اكثر من الترتيب ، وخبط الاعشى اكثر من رمى البصير . تلك الرياح الهوج ، وذلك المطر الذى يجيء ثم لايجيء ، وهذا الشجرالذى لايكاد يستقيم له جذع او تتماثل له أفرع ، والارض نفسها التى زعمنا لها سطحا أملس ، وهو من كثرة تضاريسه لايكاد ينكشف عن سطح يكفى استوائه لان يلعب فيه بالكرة لاعب . كل هذا يدل على أن مدبر الكون الأعظم والأوحد لم يعن بالجمال ، ويستهدفه ، على نحو ماعنى بالجمال ،واستهدفه، الانسان.الذى قد أراه أنمدبر الكون جعل للكون قوانين ، ثم أطلقها فى هذا الكون ، واحدة ، تعمل فى أرض وفىسماء ، وحيثما كان شيء خلق أو يخلق ، فانطلقت هذه القوانين تفعل فعلها ، وتحدث أثرها ، وهى لاتبالى أن يعد خلق مما خلق مدبر الكون ــ الانسان ــ هذا الاثر ، بل تلك الآثار الشتيتة التى لا تحصر ، جمالا أو قبحا ، نظاما أو خللا

فالباحث عن كمال الكون وجماله قل أن يجده فى ظواهر الاشياء . لابد له ان يحفر . وكثيرا مايحفر بعيدا ليكشف عن الكمال والجمال فى أصول الامور ، لافى فروعها والغصون . وكثيرا مايحفر ، ويحفر عميقا ، ولا ينكشف له شيء .

ولكن بنى الناس ، جملة ، حفروا عميقا ، وحفروا طويلا ، وحفروا كثيرا ، وخرجوا من كمال الكون الخافى بقوانين ، ان نحن قلنا بوحدة الكون ، فانمانعنى وحدة هذه القوانين فيما نعنى من ذلك . هى رباط الكون كله . وان تكن سلطة تسود فى أى ركن من أركان هذا الكون ، كبير أو صغير ، باهر أو مما تقتحمه العين ، فتلك سلطة هذه القوانين ، وهى من سلطة الله ، بمقدار مابلغ العلم ، وبلغ وحده من غير معونة ، من فهم معنى الله

ومن أخطر هذه القوانين ، تلك القوانين التى هى بطبعها لاتتصل بمادة دون مادة ، ولا تعترف بفروق بين الاجسام ماكان لها أجرام : قوانين الحركة ، على ماصاغها اسحق نيوتن ، وقانون الجاذبية على ماصاغه هو كذلك

، فتلك هى القوانين التى عملت فى الارض ، فى شكلها ومدارها ، فقعدت بالشكل عن ان يكون كرة كاملة ، وقعدت بالمدار عن ان يكون دائرة كاملة

وهى القوانين التى هى أظهر شىء يعمل فى السماء . لهذا لزم الوقوف عندها قليلا

الباب السادس

قوانين الحركة وقانون الجاذبية

الحركة والجاذبية تملآن الكون

ليس فى العالم الا شىء يتحرك . حتى ماظهر لنا ساكنا ، كشف عنه العلم فاذا هو يتحرك أشد حركة . حتى الحجر الاصم ، قد لاتتحرك ذراته ، ولكن الذرة ميدان حركة دائبة ، هائلة لا تكاد تعيها الافهام . وعجزت الافهام عن وعيها فما رأت فيها الا سكونا ، هو سكون العجز عن رؤية الحركة ، فى متناهى صغرها ، وفى متناهى عنفها . وسيأتى تفصيل ذلك فى هذا الكتاب

وكذلك التجاذب ، يشمل كل هذا الوجود

فاذا نحن تحدثنا عن الحركة ، وعن الجاذبية ، فانما نتحدث فى أشياء تشمل هذا الوجود أجمع :

الجسم الساكن ساكن أبدا
والجسم المتحرك متحرك أبدا
الا أن تفعل فيهما قوة

بدأ الناس ، فنظروا الى الحركة والى السكون ، فقالوا بداهة أن الشىء الساكن يظل ساكنا ، الا أن تفعل فيه قوة تحركه . وفى هذا أصابوا . وقالوا بداهة ان الشىء المتحرك ، اذا ظل متحركا ، فمعنى هذا أن هناك قوة قائمة دائمة تقوم على تحريكه ماتحرك . وهم فى هذا أخطأوا

والصواب : ان الشىء الساكن يبقى على سكونه ، الا أن تتدخل قوة تعطى الساكن حركة

وأن الشىء المتحرك يبقى على تحركه ، وعلى نفس السرعة التى يتحرك بها ، الا ان تتدخل قوة ، تفعل فى حركة المتحرك ، فتزيد من سرعته أو تنقصها

انهم اهتدوا ، بعد طول النظر والدرس ، الى أن القوة هي الشيء الذى يعطي الحركة ويعطي السرعة . فأنت تضع مكعبا من حديد مثلا ، سطوحه مصقولة ، على سطح افقى، من خشب أو رخام أو زجاج ، ثم تدفعه على هذا السطح بقوة من ساعدك فيتحرك بسرعة ما . فقوة ساعدك هى التى أعطته هذه السرعة . ولكن هذه السرعة لاتلبث ان تتناقص حتى تختفى فيتوقف المكعب فى تزحلقه على السطح المذكور ، من خشب كان او رخام أو زجاج . فما الذى أخذ من المكعب سرعته ؟ انها قوة أخرى عملت فى الضد من اتجاهه ، فنفت سرعة أعطاه اياها ساعدك . وما هذه القوة الاخرى ؟ انها مقاومة الحركة التى يسببها فى السطح المذكور مابه من خشونة . وهى قوة . هى قوة الاحتكاك كما يسميها رجال علم الرياضة

ثم أنت مثلا تزيد السطح صقلا ، فتنقص من قـــوة احتكاكه ، وتدفع بالمكعب الصغير عليه ، فيذهب على السطح أبعد مما ذهب أولا . فتستنتج من ذلك أنك لو استطعت أن تذهب بالاحتكاك كله لما توقف المكعب بعد أن حركته بقوة من ساعدك .

ولقد تنبه الانسان من قديم ، بحكم الفطرة والخبرة ، الى قوة الاحتكاك هذه التى تعمل فى اتجاه مضاد لحركة الاجسام على الارض ، فاخترع العجلة

تصور أن عرباتنا وسياراتنا تسير على الارض من غير عجل . انها اذا تحتاج الى قوة هائلة لتعطيها السرعة الكافية لتسير على الارض ، ولو مستوية . ان بعض هذه القوة ينفق فى التغلب على قوة الاحتكاك ، والبعض الآخر ينفق فى اكساب الجسم حركة ، فى اكسابه سرعة

ولكن العربات والسيارات ، وهى تسير على عجلات ، لاتمس الارض الا فى نقطة ، أو مايكاد ان يكون نقطة ، فيقل

احتكاكها بالارض قلة كبرى . فالعجلات من اخطر ماابتدع الانسان .

والعربة او السيارة تجرى ، ثم تحبس عنها قوة تحركها ، قوة بخار أو قوة بنزين . ولكنها لقلة الاحتكاك تظل تجرى . لان الاصل فى الجسم المتحرك أنه يظل متحركا ، الا أن تعمل فيه قوة ضد اتجاهه فتوقفه . ان احتكاك الطريق المرصوف ، على قلته ، سيأكل سرعة السيارة بعد ان حبس عنها السائق البنزين . ولكن السائق يريد ان يوقفها توا . فهو لذلك يفرمل . وما الفرملة الا الضغط على العجلات بما يحدث فيها قوة احتكاك تأكل سرعة السيارة أكلا فتقف

وكاحتكاك يحدثه سطح الطريق ، احتكاك يحدثه الهواء ، يقاوم به كل حركة تجرى فيه .

خذ النحلة مثلا ، تلك التى يديرها الاطفال بخيط على سطح الارض . انها تدور على سن كسن المسمار ، ليقل احتكاكها بالارض كثيرا . ومن أجل هذا هى تبقى على سرعتها طويلا . ومع هذا تفنى السرعة وتسقط النحلة . ذلك لان احتكاكها بالارض يساعده فى توقيفها احتكاك جسم النحلة بالهواء

ومن أجل مثل هذا دارت الكرة الارضية ، وظلت تدور . لأنها ليست كالنحلة ؛ فلا سن تدور عليه يهدىء من سرعتها ، ولا هى تدور فى محيط من هواء يفنى من حركتها . انها تدور بهوائها

أفبعد هذا تعجب لخفاء هـذا المعنى على بنى الناس طويلا : ان الحركة ، كالسكون ، قائمة دائمة ، الا ان تغير منها قوة طارئة ؟

معنى القوة

وبخفاء هذا المعنى ، معنى الحركة الدائمة ، اختفى معنى

القوة التى كانت جزءا منها ، وعلاقة الحركة بها ظهرت من بعد ذلك واضحة .

واول ما نقوله فى هذه العلاقة أن الحركة تقتضى سرعة . والقوة تسلطها على الشيء الساكن ، فتعطيه سرعة ، فيتحرك . والقوة تسلطها على الشيء المتحرك ، فتعطيه سرعة فوق سرعته ، فيزداد سرعة

فما هى السرعة ؟

تقول ان السيارة تسير بسرعة ٦٠ كيلومترا فى الساعة. ولكنها قد تسير خمس دقائق فقط ، ولا تسير ساعة كاملة ، ومع هذا تقول انها تسير بسرعة ٦٠ كيلومترا فى الساعة . فمعنى هذا اذن أنها تسير ثلاثين كيلومترا فى النصف من الساعة ، وكيلومترا واحدا فى الدقيقة . وهى قد تسير ثانية واحدة ، فان هى سارت فيها بهذه السرعة الواحدة (المنتظمة كما يسمونها) فهى تقطع فى الثانية الواحدة جزءا من ستين جزء من الكيلومتر . وهى قد تسير ، لا ساعة ، ولا دقيقة ، ولا ثانية ، بل ثالثة ، ومعنى هذا يكون انها تقطع جزءا من ستين فى ستين (٣٦٠) جزء من الكيلومتر . وهكذا ، ولو لم تسر السيارة الا لمحة

فالسرعة نسبة مسافة الى زمن ، وهى واحدة مهما قل الزمن .

ومن البديهى ، ومن التجربة كذلك ، ان القوة اذا تضاعفت ، تضاعفت السرعة التى تعطيها لجسم ساكن أو متحرك . ومن البديهى ، ومن التجربة كذلك ، ان القوة اذا تنصفت ، تنصفت السرعة التى تعطيها لجسم ساكن أو متحرك .

القوة اذا تتناسب تناسبا طرديا والسرعة التى تحدثها ، تزيد عندما تزيد ، وتنقص عندما تنقص

وصلة أخرى للقوة ، بغير السرعة

هى صلة القوة بالجسم الذى تحركه ، من حيث وزنه ، أو ثقله ، أو كما يقول العلماء كتلته ، صغيرة هى أم كبيرة

فمن البديهى ، ومن الخبرة كذلك ، أن جسما يزن رطلا يحتاج الى قوة ما تعطيه حركة تتمثل فى رفع سرعته من السكون ، أى من سرعة صفر ، الى سرعة ٥ كيلومترات مثلا فى الساعة . ولكن اذا تضاعفت كتلة هذا الجسم ، فصارت رطلين بدل رطل واحد ، وجب أن تتضاعف القوة التى يراد منها أن تبلغ به نفس تلك السرعة المطلوبة له

فالقوة اذا تزيد كلما زادت كتلة الجسم المراد اعطاؤه السرعة المطلوبة الواحدة .

اذا فالقوة تزيد اطرادا كلما زادت الكتلة ، وكلما زادت السرعة

واذا فالقوة تنقص اطرادا كلما نقصت الكتلة ، وكلما نقصت السرعة

وهى لا تتأثر الا بهذين ، فى التصور المتجرد

اذن فقد وقعنا على وسيلة نقيس بها القوة . فان كانت وحدة الكتلة الجرام ، ووحدة المسافة السنتيمتر ، ووحدة الزمن الثانية

اذن فوحدة القوة هى القوة التى اذا عملت فى جسم كتلته جرام واحد ، أكسبته فى الثانية الواحدة ، سرعة تساوى سنتيمترا واحدا فى الثانية ، اذا كان الجسم أول الامر ساكنا . فان كان متحركا ، له سرعة قائمة ، فوحدة القوة هى التى تزيد هذه السرعة القائمة ، فى الثانية الواحدة ، بمقدار سنتيمتر فى الثانية الواحدة (زيادة السرعة فى الثانية الواحدة ، تسمى بالعجلة)

واذن تكون القوة = كتلة الجسم بالجرام × ما تكسبه اياه من سرعة فى الثانية الواحدة (العجلة)

وكتلة الجسم تقاس

والعجلة تقاس
اذن فالقوة تقاس
ولأول مرة فى التاريخ يتحـدد معنى القوة ، ويبلغ به التحديد أنه يقاس

أخفى المعانى أكثرها أصالة

ان أكثر المعانى أصالة فى هذه الحياة أصعبها تحديدا ، وأكثرها انبهاما

ومن تلك المعانى : الجمال والقبح
ومن تلك المعانى : الذكاء والغباء
ومن تلك المعانى : القوة والحركة

والجمال حاولوا تحديده بالقياس ، فمن مقياس طول ومقياس عرض ، الى مقياس صدر ومقياس خصر . فهل بلغوا من هذا القياس ما استهدفوا ؟ بلغوا من ذلك شيئا كثيرا ظاهرا ، وبقى عنصر من عناصر الجمال أخفى

والذكاء حاولوا تحديده بالقياس ، حتى صار لتقـدير الذكاء عند الناس أسئلة مشهورة ، على قدر جوابها يقدر ذكاء الطفل ، وقد يقدر ذكاء الرجل

والقوة قدروها بما تحدث فى الجسم من حركة . قال قوم : ليس حاصل ضرب الثقل فى ما كسب الجسم من سرعة ، بالقوة . ان هذا هو ما كسب الجسم من حركة . انه مقدار حركة مكسوبة . وبقى معنى القوة على خفائه(١)

ولقد صدقوا

ولكن هذا الشيء الخافى ، يهتدى اليه بأثره . ان القوة على خفاء معناها ، تعطى كتل الاجسام مقادير من الحركة. وهذه المقادير من الحركة تتناسب مع القوة ، قوة وضعفا ، وهذه المقادير من الحركة تعطى للأجسام أقساطا متساوية،

---

(١) فى هذا الباب ، كما فى سائر الكتاب ، بحبحة مقصودة فى التعبير تستهدف التبسيط والتسهيل

فى كل ثانية قسطا . واذن جاز أن نقيس القوة بالقدر الذى تعطيه من حركة فى الثانية الواحدة

ولكن الحركة سرعة . فجاز اذن أن نقول :

القوة = كتلة الجسم × ما اكتسب من سرعة فى الثانية الواحدة

أى القوة = كتلة الجسم × العجلة

الحركة فى خط مستقيم والحركة فى دائرة

ويجب أن نذكر أن كل سرعة لها اتجاه ، ولا يتحدد معناها الا بذكر اتجاهها

ويجب أن نذكر أن القوة ، وهى تعطى السرعة فالحركة ، لها اتجاه ، وهى كذلك لا يتحدد معناها الا بذكر اتجاهها

ولقد ذكرنا أن الجسم الذى يكون ساكنا يبقى على سكونه ، وأن الجسم الذى يتحرك بسرعة ما ، يبقى على تحركه ، وعلى نفس السرعة . ونسينا أن نصف هذه السرعة بأنها فى اتجاه واحد ، أى فى خط مستقيم واحد

ان الجسم الذى تتغير سرعته ، يدل على أن وراءه أو أمامه قوة تغير من سرعته ، فتزيدها أو تنقصها . وكذلك الجسم الذى يتغير اتجاه حركته

انك اذا جئت لجسم متحرك ، منتظم السرعة ، ثابتها ، اتجاهها الشمال مثلا ، وأثرت فيه بقوة اتجاهها غربا مثلا، فان هذه القوة تعطيه حركة جديدة فى اتجاه الغرب ، فسرعة جديدة فى اتجاه الغرب . وتمتزج السرعتان ، سرعة الجسم الاصلية ، وسرعته المكتسبة ، وينتج عنهما سرعة جديدة ، اتجاهها لا الى شمال ، ولا الى غرب ، ولكن بين شمال وغرب

فالجسم المتحرك فى استقامة ، لا يميل به عن استقامته الا قوة تعمل فى غير ذلك الاتجاه

وأشهر مثل لذلك جسم يدور

وأضرب لك مثلا بمقلاع : خيط تربط طرفا منه بأصبعك ، وتربط بالطرف الآخر قطعة من حجر . وترفع يدك وتدور بالخيط والحجر من فوق رأسك فى دائرة أفقية، حتى يكتسب الحجر سرعة ما . ثم تقف بمجهود تبذله لادارة المقلاع برهة . ففى هذه البرهة يكون للحجر سرعة مستقيمة اتجاهها ، فى تلك اللحظة ، فى الخط المماس للدائرة التى يدور فيها الحجر، عند موضع الحجر منها، وكان من حق الحجر أن ينطلق بهذه السرعة فى هذا الخط مستقيما فلا يدور ولكن هناك قوة تمنعه من ذلك . قوة اتجاهها نحو مركز الدائرة التى يدور فيها . وما مركز الدائرة الا اصبعك . انك رغم وقفك مجهودا بذلته لادارة المقلاع ، تشعر فى هذه البرهة بأن أصبعك لا يزال يشد الخيط بالحجر ، لأن الخيط بالحجر يشد أصبعك . فأنت ، مع سكون أصبعك ، تفعل بقوة من أصبعك فى الخيط ، ففى الحجر



ولد يدير مقلاعا : قوة الشد الذى تفعله اليد ، تقابلها « قوة مركزية طاردة » تنشأ عن دوران الحجر فيحدث اتزان ...

وما اتجاه هذه القوة ؟ اتجاهها قطر الدائرة ، من الحجر

الى أصبعك . قوة نحو المركز جاذبة ، هى التى تجعل هذا الحجر يدور

وينقطع الخيط، فينقطع أثر هذه القوة المركزية الجاذبة من الحجر ، فماذا يصنع ؟

تفعل فيه سرعته التى هى فى خط مستقيم كان يمس الدائرة عندما انقطع الخيط . وتفعل وحدها . فينقذف الحجر فى خط مستقيم ، الا أن تجذبه الأرض اليها فيدور نازلا الى سطحها

والخلاصة أن الجسم الذى يدور بسرعة منتظمة ، فى دائرة ، لا يبقى فى الدائرة ، يدور فيها ، الا اذا ظلت تعمل فيه قوة متجهة دائما من هذا الجسم الى مركز هذه الدائرة

الجاذبية تدور بالأرض حول الشمس

أفتدرى الى أى شىء ساقنا هذا الحديث ؟

انه ساقنا الى حركة الكواكب السيارة اذ تدور

ولنضرب مثلا بالأرض . ان الأرض تدور حول الشمس كما دار المقلاع حول اصبعك . فللأرض سرعة كانت لها من يوم تكونت أرضا ، واتجاهها خط مستقيم يمس هذا المدار الذى تجرى فيه ، بحسبانه دائرة . وهذه السرعة باقية لها دائما ، من يوم أن تكونت، الى ما شاء الله . أفلم يكن هذا قانون الحركة الأول الذى شرحنا ، وقلنا ان الحركة ، بسرعة ما ، فى خط مستقيم ، دائمة ، دوام السكون فى الجسم الساكن ، الا أن تتدخل فيهما قوة خارجة تغير من سكونهما والحركة

وللأرض كذلك قوة تفعل فيها ، كالقوة التى صنعها الأصبع ، يشد بها الحجر اليه ، تلك التى فعلت فى اتجاهه، فى اتجاه الاصبع ، على استقامة الخيط . أى هى تتجه

الى المركز الذى يدور حوله المقلاع . وهذه القوة المركزية الفاعلة فى الأرض انما تجذبها نحو الشمس ، التى هى مركز المدار . انها قوة الجاذبية التى بها تجذب الشمس الأرض نحوها (وتجذب الارض الشمس) . وهى قوة ، كالقوة التى كانت بين الأصبع والحجر فى المقلاع ، لا بد قائمة دائما ما بقيت الأرض تدور حول الشمس

وقد رأينا ما حدث للحجر عندما انقطع الخيط . انطلق الحجر على سجيته الأولى ، وتولت حركته سرعته المستقيمة التى كانت له ، دون السرعة المركزية الجاذبة ، فترك المقلاع ، وصاحب المقلاع ، ومضى لسبيله بعيدا عنهما

وكذا الارض ، لو أن قوة الجاذبية بينها وبين الشمس انقطعت ، اذن لمضت الارض لسبيلها ، تجرى فى خط مستقيم ، وفقا للسرعة الواحدة التى كانت لها منذ أن كانت هى ، وبقيت لها وتبقى ما بقيت بعيدة عما يؤثر فيها من قوى جديدة غريبة طارئة

فقوة الجاذبية هى التى تجعل الشمس تمسك بالأرض فتدور حولها . وهى التى جعلت الشمس تمسك بعطارد والزهرة وجعلتهما يدوران حولها ، كلا فى مداره . وهى التى أمسكت بالمريخ والمشترى وزحل وسائر الكواكب السيارة وجعلتها جميعا حول الشمس تدور

خمسة من الرجال العظام

أولهم كوبرنيكس Copernicus ، وقد مر ذكره . وهو الرجل الذى ، فى النصف الاول من القرن السادس عشر (ولد عام ١٤٧٣ ومات عام ١٥٤٣ م) ، رصد السماء وانتهى الى أن وضع الشمس ، حيث يجب أن توضع ، هو فى مركز النظام الشمسى . وأنزل الارض من مركز الأمرة هذا ، وجعل منها تابعا ، كسائر الكواكب التوابع ،

تدور حول الشمس . وهو الذى قال ببعد النجوم عن الارض بعدا كبيرا هائلا ، بحيث أن ألفا من الناس ، على شتى بقاع الارض ، لو صوبوا أذرعهم الى نجم منها ، فى الوقت الواحد ، لتوازت هذه الاذرع جميعا ، ولما مال بعضها على بعض ، ولو أدق الميل ، وذلك بسبب أن هذا النجم البعيد ، بعيد عنها جميعا جدا ، فكأنما هى جميعا تشير الى شيء لا نهاية لبعده

وثانى هؤلاء الخمسة الرجال العظام تيكو براها Tycho Brahe ، وهو دنمركى ولد بعد ثلاثة أعوام من وفاة كوبرنكس (ولد عام ١٥٤٦ ومات عام ١٦٠١ م) ، وظل يرصد الافلاك نحوا من ٣٥ عاما . وجمع من هذه الارصاد الكثير الدقيق الذى كان فوق دقة من سبقوه

ومات بمدينة براج فورث كل هذه الثروة الفلكية العظيمة معاونه كبلر Kepler ، الالمانى . (ولد عام ١٥٧١ ومات عام ١٦٣٠ م) . وهو ثالث الخمسة الرجال . وهو بدأ دراسته من حيث انتهى تيكو براها ، وأخذ فى اكمال جداوله الفلكية خمسة وعشرين عاما ، فى مجهود متصل . وخرج من دراستها ، دراسة ما صنع تيكو وما صنعه هو ، والعلم معاونة واخلاص ، خرج بالقوانين الثلاثة الشهيرة التى تحمل اسمه ، تلك التى بنيت عليها نظرية الكواكب السيارة الحديثة بأكملها . وهذه القوانين هى :

١ ـ كل كوكب سيار يدور حول الشمس ، فى مدار اهليلجى (بيضاوى) ، تستقر الشمس فى احدى بؤرتيه

٢ ـ الخط المستقيم الذى يصل بين مركز الشمس ، ومركز الكوكب السيار ، أى كوكب ، يمسح ، والكوكب يدور فى مداره ، مساحة فى الفضاء واحدة ، فى الزمن الواحد

٣ ـ مربع الزمن الذى يستغرقه كوكب للدوران حول

الشمس مرة كاملة واحدة ، منسوبا الى مربع الزمن لكوكب ثان ، يخرج نسبة تساوى نسبة مكعب المسافة التى يبعدها الكوكب الأول عن الشمس ، الى مكعب المسافة التى يبعدها الكوكب الثانى عنها

وكل هذا أثبته بالرياضة مما خرج به هو ، وخرج صاحبه « براها » ، من أرصاد عديدة

ورابع الخمسة الرجال ، من يكون ؟

انه جاليليو Galileo ، وهو اسم فى تاريخ العلم مذكور منشور . اشتهر بعلمه . واشتهر بأنه أول من استخدم التلسكوب ، أى المنظار المقرب كل بعيد ، لرصد السماء ، وهو صانع تلسكوباته بيده . واشتهر كذلك بخصومته المعروفة للبابا ، من حيث الأرض ، أتدور أو لا تدور . وهو ايطالى (ولد عام ١٥٦٤ ، ومات عام ١٦٤٢ م) . وهو عايش كبلر . وبينا كبلر يحاول أن يرسى علم الكواكب على قواعد ثابتة ، كان جاليليو يحاول أن يرسى علم الحركة على قواعد ثابتة . ونظر الى القمر فكشف بتلسكوبه عن سطح فيه غير مستو . ونظر الى المشترى فكشف عن أقماره . ورأى مصباحا يتأرجح من سقف كاتدرائية مدينة بيزا ، بايطاليا ، فراح يبحث البندول ، على أى القواعد يتأرجح . واستخدم تأرجحه ساعة لقياس الزمن . ورأى الاجسام تسقط ، فراح يدرس سقوطها وخرج بأن الجسم الساقط ، أن قطع فى أول ثانية من سقوطه كذا مترا ، فهو قاطع فى الثانية الثانية ثلاثة أمثال هذه المسافة ، وفى الثانية الثالثة خمسة أمثال . وفى الرابعة سبعة أمثال . وهلم جرا . تتناسب المسافات فى الثوانى ، اذ يتبع بعضها بعضا ، كتناسب ١ و ٣ و ٥ و ٧

ويأتى نيوتن العظيم بعد ذلك ، خامس الخمسة . اسحق نيوتن Isaac Neuton ، الرياضى ، أكبر علماء الانجليز قاطبة ، فيما مضى والى اليوم . هكذا يقول مؤرخوه من

قومه . وهو الرجل الذى لم يات من بعده رجل يضارعه ، فيما دار فيه من مدارات العرفان ، سوى أينشتين . وينتقده اينشتين فى بعض ما يكتب ، ويعز عليه نقده ، يعز على الزميل ، فيقول له : أى نيوتن ، معذرة !

ومن عجائب القدر أن يولد نيوتن فى نفس العام الذى مات فيه جاليليو ، عام ١٦٤٢ . وهو مات عام ١٧٢٧ . وورث نيوتن علم القرنين اللذين سبقاه . وورث من علمهما علم كوبرنكس ، وعلم تيكو براها ، وعلم كبلر ، وعلم جاليليو . وورث مع كل هذا عقلا جبارا

وينظر الى تفاحة تسقط فى حديقة (هكذا تجرى القصة) وقد فر اليها بعيدا عن لندن لما أصابها الطاعون ، فيدرك ما بين التفاحة والارض من تجاذب . ويذكر بذلك القمر . انها التفاحة التى تجذبها الارض . ويقوم يبحث ويفحص ، فيصنع قانون الجاذبية :

كل شىء له كتلة ، يجذب كل شىء آخر له كتلة ، وقوة التجاذب التى بينهما تزيد ازديادا طرديا بزيادة أى من الكتلتين ، فبزيادة كليهما . وقوة التجاذب التى بينهما تنقص كلما زاد البعد بين الكتلتين ، وتزيد كلما نقص البعد بين الكتلتين . فالقوة تتناسب تناسبا عكسيا مع هذا البعد . بل ، لا . لا مع البعد نفسه ولكن مع مربعه . فان زاد البعد فكان مترين بعد أن كان مترا ، أو كان ألفين من الاميال بعد أن كان ألفا ، فقوة التجاذب لا تنقص فتكون ١/٢ ، ولكن تنقص فتصير ١/٢ × ١/٢ = ١/٤ مما كانت

ويطبق هذا القانون ، بالحساب ، على ما بين القمر والأرض من تجاذب ، فيقع الخطأ فى النتائج . ويحدث التساؤل ، أهذا خطأ فى القانون أم خطأ فى المسافات والكتل؟ ويظهر أن الخطأ كان فى الرقم المعروف عند ذلك لقطر الأرض . ويجرى تعيين جديد لقطر الأرض ، يجريه الاستاذ بيكار Picard . ويعود نيوتن يحسب ، فتظهر

صحة القانون ، قانون الجاذبية ، على ما وضعه هو

ويبحث نيوتن ، فى الكثير المتشعب مما بحث ، فى الحركة وقوانينها . وهو لا شك درس ما قال السابقون وانتفع به . ثم هو يضع قوانين الحركة الثلاثة الشهيرة ، فى أوضح صيغة :

١ ـ كل جسم يظل على سكونه اذا كان ساكنا ، أو يظل على حركته المنتظمة فى خط مستقيم اذا كان متحركا . وهو يبقى على حالة السكون هذه أو حالة الحركة ، الا اذا فرضت عليه قوة . فاذا فرضت عليه قوة :

٢ ـ فعندئذ تعطيه هذه القوة حركة تظـــل تتزايد سرعتها ما بقيت القوة تعمل فى الجسم ، وهذه السرعـــة تكون فى اتجاه القوة نفسها . والتزايد الذى يقع فى السرعة (معدل زيادة السرعة فى الثانية الواحدة ، ويعرف بالعجلة acceleration) يتناسب تناسبا طرديا مع مقدار القوة ، فيزيد بزيادتها ، وينقص بنقصها ، ويتناسب تناسـبا عكسيا مع كتلة الجسم . فهو يزيد كلما صغرت الكتلة ، ويصغر كلما كبرت

٣ ـ لكل فعل فعل يضاده ، ويساويه

وهو عنى بهذا القانون الاخير أنك ، مثلا ، تضع ساعتك على مكتبك ، فتضغط ساعتك على المكتب بقوة الى أسفل بمقدار ثقلها . ولكن كذلك المكتب يضغط على ساعتك الى أعلى ، بقوة ، تساوى هذا الثقل نفسه . وتتعادل القوتان فتسكن الساعة فى مكانها

وأحسب أن معانى هذه القوانين الثلاثة قد وضح ممـــا أسلفناه لها من شرح

فهؤلاء هم الخمسة الرجال العظام ، ضمتهم ثلاثة قرون متلاحقة . القرن السادس عشر ، فالسابع عشر ، فالثامن عشر ، فزاد كل على علم من سبق ، حتى تأدى لأخيرهم أن يصوغ أكبر قانونين يحكمان العالم طرا.

قوانين حججها فى السماء أكثر منها فى الارض

انا سقت حديث هؤلاء العلماء الخمسة ـــ مرة أخرى ـ لا لأعرف بهم فحسب ، ولكن لأنوه بأن هذه القوانين صيغت فى السماء اكثر مما صيغت فى الارض . وهى قوانين ماكانت تكشف هكذا سهلا لو اقتصر امرها ، وأمر مكتشفيها ، على الارض ، من فيها ، وما فيها

انها قوانين ، جاءت براهينها من السماء ، حيث الأجرام متوحدة فريدة ، وحيث المسافات التى تفرق بينها كبيرة وحيث الحركة أصفى ماتكون

قوانين تدعمها النبوءات

والعالم لا يكتفى بهذه البراهين اثباتا لهذه القوانين . انه يفرض صحتها ، ويتخذها اساسا لحساب حركة أجرام السماء . ويحسبها على الورق . ويخرج بنتائج . ويذهب الى المرصد يرصد ليعلم من أمر هذه النتائج ، أصابت واهتدت ، ام اخطأت وضلت . فيجدها تصيب دائما . ويتنبأ بحركات أجرام السماء ، فى العام الآتى ، فالذى يليه بل فى القرن الذى يلى ، ويقع ما تنبأ به ، فيكون هذا دليلا لا تدخله الريبة على صحة القوانين ، تلك التى بنى هو عليها هذا الحساب

عندما تخطىء القوانين لتزداد ثبوتا

ودرسوا حركة الكواكب السيارة ، فخرجوا على شىء لايتطابق مع الذى وجدوا فى السماء . قصة طريفة لابد من حكايتها بشىء من التفصيل :

ان زحل كان ابعد الكواكب السيارة عن الشمس ، تلك الكواكب التى عرفها القدماء . ولكن بينا وليم هرشـــل Herschel الفلكى الانجليزى الشهير ، يرصـــد جانبا من

السماء بتلسكوبه ، اذا به يعثر على جسم ، بلونه شيء من اخضرار ، لم يكن قد ادركه مدرك من قبل (١) . وأمعنوا فى رصده ، فاذا به يتحرك ومن ورائه النجوم ثوابت . اذا فما هو بنجم . وزادوه درسا فاذا به كوكب . وهو كوكب جديد . وسموه اورانس . وبذا صارت الكواكب : عطارد فالزهرة ، فالارض ، فالمريخ ، فالمشترى ، فزحل ، فأورانس

وأورانس اسم من أسماء آلهة اليونان . انه اسم اغريقى علم ، وكفى

وقع هذا فى عام ١٧٨١

وحسبوا حركته ، وحسبوا مداره ، معتمدين فى ذلك على قوانين الحركة التى صاغها نيوتن ، وعلى قانون الجاذبية الذى صاغه نيوتن ، فتبلبلوا . ان مداره المرصود ليس كمداره المحسوب . وهم ادخلوا فى الحساب قوة جذب الشمس له . وقوة اجتذاب الكواكب التى تدور حولها له . ومع ذلك ظل هناك فى المدار فارق . انه تنقصه كشف قوة اخرى تجذبه ، من ناحيـــة او نواح اخرى ، ليتطابق المداران ، الواقعى منه والمحسوب . وفرضوا ان هذه القوة لابد آتية من كوكب آخر يدور حول الشمس ابعد منه واوسع مدارا قال بذلك ليفرييه Leverrier الفرنسى . ان احـد لم ير هذا الـكوكب السيار الأبعد ، ولـكن كان لابد من وجوده ، اذا ما صدق القانون ، قانون الجاذبية وما عمده من قوانين للحـــركة . وما اسرع ما كشف ليفرييـــه

---

(١) لم يكن أدرك مدرك من قبل انه كوكب سيار . وقد دل البحث من بعد اكتشافه على أن الراصدين رأوه قبل ذلك عشرين مرة ، كان منها رؤية وقعت عام ١٦٩٠ . ولكنه أفلت منهم . كانوا يظنون أنه نجم ، فتقتحمه عيونهم . لم يصبروا حتى يروه يتحرك بين النجوم . وحتى عندما رآه هرشل ، وصبر حتى رآه يتحرك ، ظنه أول الامر مذنبا ، وأعلن ذلك . ولكن ، من بعد خمسة أشهر ، درسه فيها العالم الفرنسى لابلاس Laplace أعلن أنه ليس مذنبا ، بل كوكبا ، وانه أبعد من زحل .

عن هذا الكوكب المجهول . كشف عن موضعه حسابا قبل ان يراه او يراه أحد ، وكتب الى مرصد برلين يخبرهم به وحرر الراصدون تلسكوباتهم الى هذا الموضع المزعوم ، فكشفوه . رأوه رأى العين ، بعد أن كان لفرييه رآه راى الفكر ، وراى العلم والحساب

وسموه نبتيون Neptune ، وهو اسم اله آخر من آلهة اليونان ، هو اله البحر ، الا ما أكثر ما كانت آلهتهم !

فهل وفى كشف نبتيون فى التوفيق بين مدارات للكواكب محسوبة ، وأخرى مرصودة ؟

لم يف تماما

بقيت بقية يسيرة من اختلاف فى مدار أورانيوس ، زعموا من اجلها أن كوكبا ابعد من نبتيون ما زال مختبئا فى السماء واطلقوا وراءه كلابهم تبحث . وماكان ابعده ! وماكان اخفاه ! ومع هذا كشفوه اخيرا . كشفوه فى عصرنا هذا الحديث فى الثالث عشر من مارس عام ١٩٣٠ . وقد وددت ان اكتب فى اى ساعة ابصروه . فهو مولد من موالد العلم الكبرى التى يتضاءل الى جانب خطورتها موالد العظام من الرجال ولكن هيهات أن يفهم السواد من الناس ذلك ، فهم فى مشغلة بلقمة العيش ينتزعونها من تربة هذا الكوكب الارضى ، عن أحداث يحدثها الانسان عظمى فى مراقى هذه السماء

فأى سند يكون لقوانين الحركة ، وقوانين الجذب والتجاذب (١) أقوى من كل هذا ، وأى عماد !

---

(١) راى العالم الشهير ، اينشتين ، أن الصورة الحسابية : التى صور بها اسحق نيوتن نظرية الجاذبية ، ليست صحيحة أكمل صحة . وقوة الجذب بين الاجسام لا يتصورها اليوم العلماء كما تصورها نيوتن . ليست هى اليوم مجرد قوة ميكانيكية ، كالقوة التى يجربها حصان عربة أو قاطرة قطارا . ولكن هذا الفرق بين ما ارتأى نيوتن ، وما ارتأى اينشتين ، لا أثر له فيما نبحث فيه

قوانين الحركة والجاذبية فى حس الرجل العادى

ويطلب الرجل من سواد الناس تحقق هذه القوانين ، على الأرض ، حيث عيشه ، ويطلب تحقيقها ، فيسهل فى الدخول الى فهمه من هذه القوانين جانب ، ويعز جانب

اما قوانين الحركة فيمنع من تفهمها السريع ، ان الحركة على هذه الارض ، ليست فى صفاء الحركة فى السماء . وان العوائق على الارض خافية شديدة . هذا فى الشارع ، وفى الحقل ، وفى الجبل . ولكن المعامل أخرجت تجارب كانت فيها الحركة أقرب ماتكون الى صفاء . ودلت نتائج التجارب على صدق هذه القوانين

والجاذبية ، وهى قوة ، اوجدوا لها ، بالتجربة ، فى المعمل ذلك القدر من الصفاء الذى به يحسب الحاسب كم من زيادة فى السرعة (كم من عجلة) تعطى جاذبية الأرض الاجسام

والجاذبية الأرضية ظاهرة بينة الوجود عند الناس . كل شىء ما ارتفع الا سقط ، وهو بسقوطه يتجه عموديا نحو الأرض

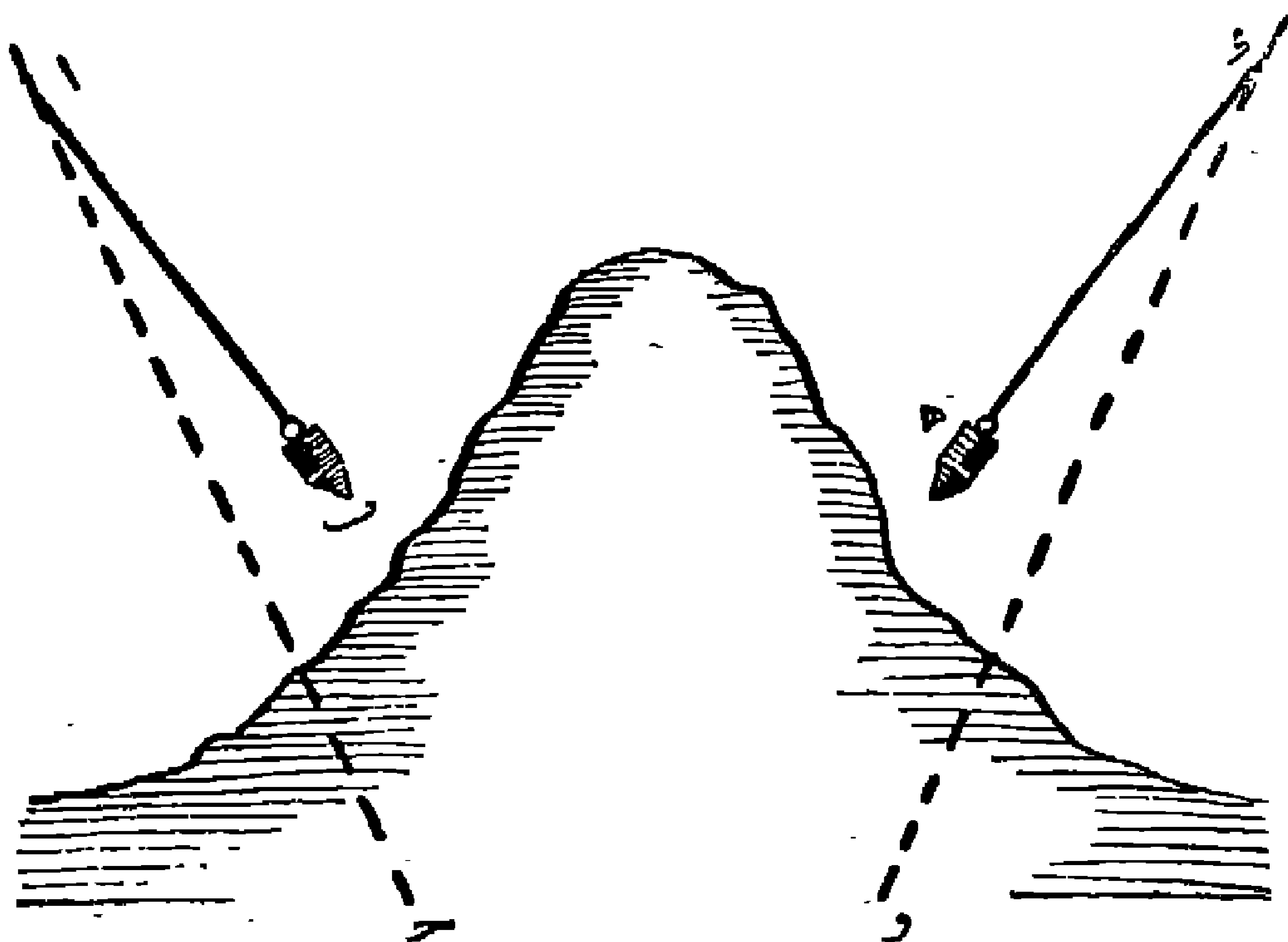
ولكن القانون يقول ان الارض تجذب الانسان ، وكذلك يجذب الانسان الارض . أما الشق الاول فظاهر ، واما الشق الثانى فما أخفاه . وهو ، تبعا لقانون الجاذبية ، يجب أن يكون خافيا اشد الخفاء . ان الارض تجذب الانسان بمقدار جرمها ، ولهذا يظهر جذبها . أما الانسان فيجذب الارض بمقدار جرمه ، واين جرمه من جرمها ؟

كذلك الاشياء على سطح الارض ، يجذب بعضها بعضا ولكن لا يبين جذبه ، لصغر هذه ولتناهيها فى الصغر ، بالنسبة لما يجرى على سطح الارض من قوى

ومع هذا ، هل سمعت بتجربة الجبل ؟

انه جبل اختاروه ووقفوا فى شماله ، عند سفحه . وجاءوا بخيط ، بطرفه ثقل ، وعلقوه هناك . ووقفوا فى جنوبه ،

عند سفحه ، وجاءوا بخيط ، بطرفه ثقل ، وعلقوه هناك كذلك . فوجدوا ان كلا من الخيطين ، بالذى حمل من ثقل قد ترك الاتجاه الرأسى . ومال الى الجبل . ولكن كيف عرفوا أن الخيط مال عن الخط الرأسي الى الجبل ؟ عرفوا ذلك من رصد نجم أو نجوم وهى فى أقصى ارتفاعها اذ تعبر السماء



تجربة الجبل : ا ح ، د و خطان رأسيان على الارض (يلتقيان فى مركز الارض) ، ا ب ، د ه خيطان يحملان ثقلا ، انجذب كل منهما ناحية الجبل . وفى الصورة مبالغة بقصد سهولة الايضاح ظاهرة

ميل نحو الجبل قليل ، لاشك فى هذا . ولكنه يقاس على كل حال ، وهو بلغ من الدقة فى القياس بحيث استخدموه فى هذه التجربة ، بعد مسح الجبل واجراءات اخرى ، لتعيين كتلة الكرة الارضية

وتجربة الميزان

فحتى الميزان استخدموه فى تقدير هذه القوى الصغيرة الضئيلة التى تقوم بين الشىء والشىء ، على سطح هذه الارض ، فتجذب بعضا الى بعض

كتلتان كرويتان علقوهما فى عاتق ميزان ، وكانتا متساويتين فاستقام العاتق . وجاءوا بكرة عظيمة ثقيلة ، ووضعوها تحت احدى الكتلتين المتعادلتين ، فشال الميزان عند الاخرى . ولرده الى حيث كان ، ولرد العاتق الى اعتداله وجب ان يضيفوا الى الناحية التى شالت بعض ثقل ، هو الذى به قدروا ماكان بين الجسمين الذين تجاذبا من تجاذب

ومن هذه التجربة أيضا حسبوا كتلة الارض ، فكانت ٥ × ١٠ ٢١ طنا . أى خمسة مضروبة فى واحد على يمينه ٢١ صفرا . أى خمسة آلاف مليون مليون مليون طن

كل شىء فى هذا الوجود يجذب كلا

ان كل شىء فى هذا الوجود يجذب كل شىء آخر ، فى أرض أو سماء

انه لصغر ماتعودنا عليه من كتل على سطح هذه الارض صغرت قوى التجاذب حتى مانحسها

ان كرتين من الرصاص ، تزن كل منهما عشرة كيلو جرامات ، يوضعان بحيث يبعد مركز احداهما عن مركز الاخرى ١٥ سنتيمترا ، تقوم بينهما قوة تجاذب مقدارها نحو من جزء من ٣٣٠٠٠ جزء من وزن جرام . فأى ضآلة هذه ! ولكنه مقدار موجود ، على ضآلته ، لاشك فيه

انك لتمشى فى الارض ، فتمر فى جبل ، فيجذبك . وتمر بين جبلين يتنازعانك جذبا . حتى فى الشارع تتجاذبك البيوت ، تماما كما تجذبك الارض . وأنت فى بيتك ، يجذبك كل ماتلقى من أشياء ، وتجذبها

ولكنك لاتحس من كل هذا ، لضآلته ، شيئا

انك سجين الجاذبية . انك لاتستطيع ان ترتفع عن الارض لانك سجين جاذبية الارض . وانت كذلك سجين كل ماحولك مما تلقى ، على سطح هذه الارض ، ولكنه سجن ، ماتحركت أفقيا ، غير ذى بال . سجن أسواره لا تمنع شيئا لشدة ضعفها . أشد منها الهواء فى منع حركتك . وعلى ضآلة قوة الجاذبية ، وأثرها القليل فى حركة الناس على الارض هى جبارة عارمة فى السماء ، حيث الكتل عظيمة هائلة . وهى هناك نافعة ، لان بها تمسك أجرام السماء بعضها بعضا ، والا انفرط نظامها

ومدبر الكون لم يقدر لها انفراطا

ولهذا سن قانونا ، هو غير قانون يسنه الانسان . قانون المدبر الاعظم ، والاوحد ، لايحتاج الى نشر ، فهو فى طبيعة الاشياء . وهو فى طبيعة كل الاشياء ، وتطيعه كل الاشياء واذا أنت طلبت برهانا على وحدة هذا الوجود كله ، وانتظامه فى سلك واحد ، لكان من أول البراهين التى يلقى بها على مائدة البحث قانون هذا التجاذب الذى يعمل فى صمت فى أرض وسماء . وهواء وماء . وهو يعمل فى كل ذى حياة وكل جماد . ويعمل فيها جملة ويعمل تفصيلا . والأحياء التى لها شىء من اختيار فيما تصنع ، ولها ارادة ، الظاهر فيها انها هى التى تصنعها ، هذه الاحياء ، لا تكاد تخرق حرمة هذا القانون ، حتى تجد جزاء ذلك توا ، فلا تحقيق ولا تدقيق ، ولا نيابة ولاشرطة ولاقضاء ، بل هو القضاء يصدر حكمه على التو وفى صرامة لا تعرف من الرحمة شيئا ان الذى يتحدى قانون الجاذبية ، فيمشى من فوق سطح بيت الى الفضاء ، يهوى به هذا القانون فيدق على الارض بعنقه فلا يكاد يمهله ليدرك من عاقبة تحديه لسنة الله شيئا

مدبر الكون أطلق قوانينه ثابتة تعمل فى الكون كله ، ثم كان ما كان

ساقنا الى هذا الحديث ، حديث قوانين الحركة ، وقانون الجاذبية ، ان الارض خيل الينا انها تريد ان تتشكل كرة تامة كاملة ، التى هى منتهى اشكال الجمال عند فلاسفة اليونان ، والجمال عندهم من صفات الكون ، ولكنها لم تبلغ من ذلك ماتريد . لقد قاربت ان تكون كرة ، ولكنها ماكادت وتفرطحت عند قطبها قليلا

وساقنا اليه كذلك انهم زعموا ان مدار الارض ، وسائر الكواكب ، حق له ، بحكم كمال الكون وجماله ، ان يكون دائرة والكن المدار اخفق فى ان يكون دائرة ، ولو انه قارب

ولكن فى الحق ان الذى ساقنا الى هذا الحديث ، حديث هذه القوانين ، أكبر السوق ، انها القوانين التى تطيعها النجوم وسائر اجرام السماء (والارض) فى جريانها

اما ان الارض ، فى شكلها ، او فى مدارها ، ارادت ان تبلغ من الكمال والجمال غاية ، فقصرت دونها ، فرأى أشبه شيء بأمل ، تحدوه العاطفة ، ويحدوه الشعر ، ويحدوه رأى لافلاطون ، الفيلسوف الشاعر ، جميل

ولكن الطبيعة ، ان تكن تعرف الجمال ، فهى لاتكاد تعرفه هكذا بسيطا ساذجا . ان الجمال الرياضى ، الجمال الهندسى فى الدائرة بسيط ساذج . والجمال الرياضى ، الجمال الهندسى ، لعله فى الشكل البيضاوى والاهليلجى ، اكبر ، لانه أعقد ، ولو كان أخفى

ومدبر الكون أحسبه لايهدف الى الجمال ساذجا بسيطا . انه صنع القوانين واطلقها فى الكون ، لا تشذ ، فكان منها الذى كان . ثبات هذه القوانين ، فى كل مكان ، وكل زمان هو الاصل الذى جرت عليه الاحداث وتجرى فى نظام هذا الكون وتنظيمه . وهذا أكثر ما يمكن ان يقال

الباب السابع

الأرض كرة تدور على نفسها، تفرطح قطباها. ما أسباب هذا، وما نتائجه؟

عودة الى الارض

تحدثنا عن الارض ، بحسبانها كوكبا سيارا ، حديث اجمال ، والآن نعود الى تفصيل ما أجملنا

قد ذكرنا أن الارض كروية الشكل تقريبا ، وأن قطر هذه الكرة يتقاصر كلما ذهبنا به من عند خط الاستواء الى اى من قطبىالأرض ، قطبها الشمالىوقطبها الجنوبى . اى ان الارض تتفرطح ونحن فى طريقنا الى القطبين

كذلك ذكرنا أن الارض تدور حول نفسها ، تدور حول محورها . وهى تدور حول محورها مرة واحدة فى اليوم الواحد ، فيتعاقب عليها النور نهارا والظلام ليلا ، فى اليوم الواحد

كذلك ذكرنا أن مدار الارض ، الذى تدور فيه حول الشمس ، ليس دائرة ، الشمس فى مركزها ، ولكنه مدار بيضاوى ، اهليلجى ، قد استقرت الشمس فى احدى بؤرتيه

ونستأنف القول فى ذلك تفصيلا :

القوة المركزية الطاردة

ان كل جسم يدور حول مركز يكتسب قوة تدفعه ، تطرده ، بعيدا عن هذا المركز . وتعرفهذه القوة « بالقوة المركزية الطاردة » ، الطاردة بعيدا عن المركز

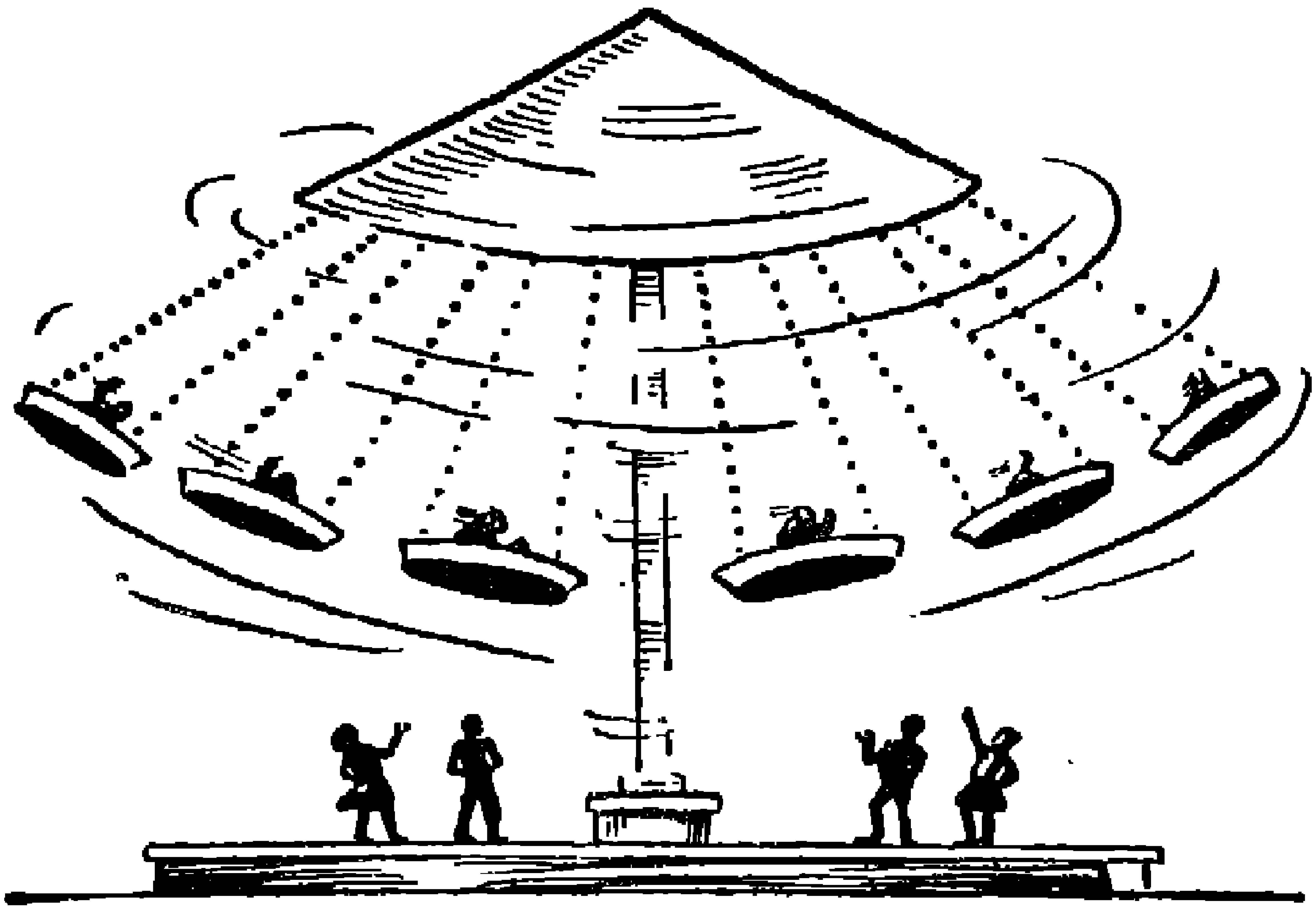
مثال ذلك ماسبق أن وصفنا من أمر المقلاع : خيط ،

طرفه فى يدك أو هو ملتف حول اصبعك ، والطرف الآخر ربط به حجر . وتحرك الحجر وتـدور به حتى يجرى افقيا فى دائرة . فتحس يدك بشد الحجر على اصبعك . انه يريد أن يترك الأصبع . انها قوة تعمل على استقامة الخيط ، تشد الحجر فتشد يدك. وأنت تبذل ، للاحتفاظ بالحجر ، قوة جذب ، على استقامة الخيط أيضـا ، تلغى قوة الشد تلك ، حتى لا يترك الحجر بالخيط اصبعك

فقوة الشـــد هذه هى القوة المركزية الطاردة . وهى مركزية لأن اتجاهها دائمـا من مركز الدوران ، الذى هو اصبعك ، الى الحجر ، حيثما كان من الدائرة

وقد تزيد سرعة الدوران ، فتزيد قوة الشد بزيادتها ، فتزيد أنت من قوة الجذب لتحتفظ بالحجر . ولـكن قد تبلغ سرعة الدوران مبلغا تزيد به قوة الشـــد والجذب (التى تســـاويها) ، فـلا يحتمل الخيط مابه من شـد وجذب ، فينقطع

ومثـــال آخر : الأرجوحة الدوارة . وهى عبارة عن قوارب يجلس فيها الصبية، أو أحصنة من خشب يركبونها، وكلها معلقة بأسلاك من حديد صلب بمحيط دائرة متينة فى أعلى القوارب والاحصنة . وهذا المحيط يدور مركزه على رأس عمود قائم فى الأرض فى أوسط الدائرة . ويدير صاحب الأرجوحة الدائرة ، فتـــدور الاحصنة أو تدور القوارب . ثم تزيد سرعة الدوران فتخـــرج القوارب والأحصنة عن محيط الدائرة وهى تدور . وكلمـا زادت سرعة الدوران زاد خروج الاحصنة والقوارب فى الفضـاء خارج الدائرة . انها القوة المركزية الطاردة ، تطرد القوارب والاحصنة ، وما عليها من صبية ، خارج دائرة الدوران . وهى قوة تزيد كلما زادت السرعة



ارجوحة تدور : تظهر ما لسرعة الدوران من « قوة مركزية طاردة » ، تطرد أجزاء الجسم وهي تدور ، الى الخارج ، بعيدا عن مركز الدوران

ومثال آخر أبسط من هذا وهذا : قف . ثم مد ذراعا منك واحدا ، أو حتى الذراعين ، أفقيا . ودر حول نفسك . فكيف تحس بذراعيك ؟ انك تحس كأن يدك تريد أن تنفصل عن ساعدك . ثم زد سرعة دورانك ، تشتد رغبة يدك في الانفصال عنك

كذلك العجلة التي تدور حول محور لها . كلما زادت سرعة دورانها ، اشتد ميل محيط هذه العجلة الى البعد عن مركزها . وهو لايستطيع أن يبتعد لتماسكه . ولكن قد يزيد دوران العجلة حتى يذهب بتماسك محيطها فيتكسر ويتناثر ويصبح خطرا على من حوله

ان القوة المركزية الطاردة ، على غرابة اسمها ، تعمل في أكثر من وجه من وجوه حياتنا . وهي تعمل حتى في هذه الأرض التي عليها نسكن ، فما الأرض الا شيء يدور

ان من المهم ان نعرف شيئا ادق مما ذكرنا عن علاقة هذه القوة ، من حيث مقدارها ، بالدوران ، من حيث سرعته ، ومن حيث عدد لفات الشيء الدائر

لهذا نقول : هب كرة من حديد وزنها ٧ أرطال تدور حول محور ، وهى مرتبطة بالمحور بحبل طوله ٣ اقدام ، وهب أن الكرة تلف لفتين فى الثانية حول هذا المحور ، اذا فالقوة المركزية الطاردة التى بها تشد الكرة المحور (وهى تساوى القوة الجاذبة التى يجذب بها المحور الكرة) تساوى بالتقريب :

١١/٤ × كتلة الحديد × طول الحبل (أى نصف قطر الدوران) × (عدد اللفات فى الثانية)٢

= ١١/٤ × ٧ × ٣ × ٢ ٢

= ١٠٥ من الأرطال

هذا هو القانون . ودع عنك كيف وجدناه

ومعنى هذا انه كلما زادت سرعة اللف ، سرعة الدوران أو بلفظ آخر كلما زاد عدد اللفات فى الثانية ، زادت القوة . وكلما قلت تلك ، قلت هذه

القوة المركزية الطاردة تشكل الأرض فتفرطحها

بعد هذا يتضح أمر الأرض ، أمر شكلها . أن محورها الذى يصل بين قطبيها أصغر من محورها الذى هو عند أوسطها ، عند بطنها ، عند خط استوائها . الأول طوله ٧٩٠٠ ميل ، والثانى طوله ٧٩٢٦ ميلا . فلماذا برزت الأرض ، ولو قليلا ، عند بطنها ، وتفرطحت عند قطبيها ؟

سبب هذا ان الأرض تدور

فتفعل فيها القوة المركزية الطاردة التى تفعل فى كل جسم يدور

والأرض اليوم جامدة تقاوم أن يتغير شكلها ، ولكنها بالأمس البعيد ، البعيد جدا ، كانت أكثر ليونة . كانت

عجينة تدور (١) ، تتشكل بالذى يقضى به دورانها

وهى قد تشكلت وفقا لذلك . ان كل قطعة من مادة الأرض تلف ، فى الزمن الواحد ، عددا من اللفات واحدا . ولـكن بعد تلك القطع من محور الدوران ليس واحـدا . فقطعة من مادة الأرض ، عند خط الاستواء (خط عرض صفر) ، بعدها عن محور الدوران ، محور الارض ، بعد اكبر من بعد قطعة مثلها عن خط العرض ٣٠ ، كالقاهرة مثلا . ان القوة المركزية الطاردة عند خط الاستواء اشد من القوة الطاردة عند القاهرة . والقوة المركزية الطاردة عند القاهرة أشد من القوة الطاردة عند استوكهلم ، عاصمة السويد ، وخط عرضها ٦٠ . والقوة المركزية الطاردة تنعـدم ، فتصبح صفرا ، عند خط العرض ٩٠ ، أى عند القطب ، لأن القطب لا يكاد يدور . انه لايدور

ومن أجل هذا اشتد بروز الأرض ، قديما ، وهى لينة ، عند خط الاستواء . وأخذ يقل تدرجا ، ذهابا الى القطب الشمالى ، او الى القطب الجنوبى . وبمقدار ما خرجت الارض ببطنها عند اوسطها ، دخلت عند الرأس والقدم . ثم انجمدت قشرة الارض فانجمدت على ما كانت وصلت اليه من تفرطح

نتائج تفرطح الأرض ودورانها

وينتج عن كل هذا نتائج كثيرة خطيرة منها :

أولا ــ الأشياء تزن عنـد القطبين أكثر مما تزن عنـد خط الاستواء

من نتائج ذلك ان الجسم الواحد ، أو ان شئت لفظا علميا فالـكتلة الواحدة ، تزن عند قطب الأرض اكثر مما تزن عند خط الاستواء ، أى هى أثقل عند القطب منهـا

(١) أنظر أصل الارض ، وكيف تنشأت ، وأصل سائر الكواكب فى موضع ذلك من هذا الكتاب ، وسيأتى بعد

وهى عند خط الاستواء . واذا نقلنا هـذه الكتلة من خط الاستواء الى القطب فهى تزداد ، كلمـا سرنا فى هـذا الطريق ، ثقلا

ذلك لأن الثقـل ، أو الوزن ، ما هو الا قوة . وهى القوة التى تجذب بها الأرض ، بجرمها العظيم ، ما على سطحها من أشياء

وقوة الجاذبية ، بناء على ما سبق أن ذكرناه من قانون الجاذبية ، تتناسب تناسبا عكسيا مع مربع المسافة بين الشيئين المتجاذبين . والقوة التى تجذب بها الأرض ما على سطحها من أشياء متركزة فى مركزها . فقوة جذبها لهذه الأشياء تزيد كلما اقتربت هذه الاشياء من مركز الأرض ، وتنقص كلما بعدت عن هذا المركز . والكتلة التى عنـد القطب اقرب الى مركز الأرض منها وهى عند خط الاستواء ، فانجذابها الى الارض أكبر ، اى وزنها أكبر

وعامل آخر يؤثر فى هذه الكتلة فيزيد فى هذا الوزن ، فى قوة الانجذاب هذه ، أو ينقص منها . ذلك قوة الأرض المركزية الطاردة عند موضع هذه الكتلة من الأرض

والقوة المركزية الطاردة تحاول أن تطرد ما على الأرض وهى تدور من أشياء . تحاول أن تقذف بها بعيـدا عن مركز الدوران الذى هو محور الأرض . فأثر هـذه القوة الطاردة فى الأشياء التى على الأرض هو عكس أثر الجاذبية . فالقوة الطاردة تضعف الجاذبية ــ تنقص منها . وهى فاعلة اكثر فعلها عند خط الاستواء ، معدومة عنـد القطب لأنه لا يدور

فهذا العامل الجديد يخف بالأوزان عند خط الاستواء . وهو لا يؤثر فيها ، زيادة أو نقصا ، وهى عند القطبين

فتفرطح الأرض ، ودورانها ، يفعلان فى الأجسام على

سطح الأرض ، ويفعلان معا . يزيدان الشـــد معا ، أو ينقصان منه معا

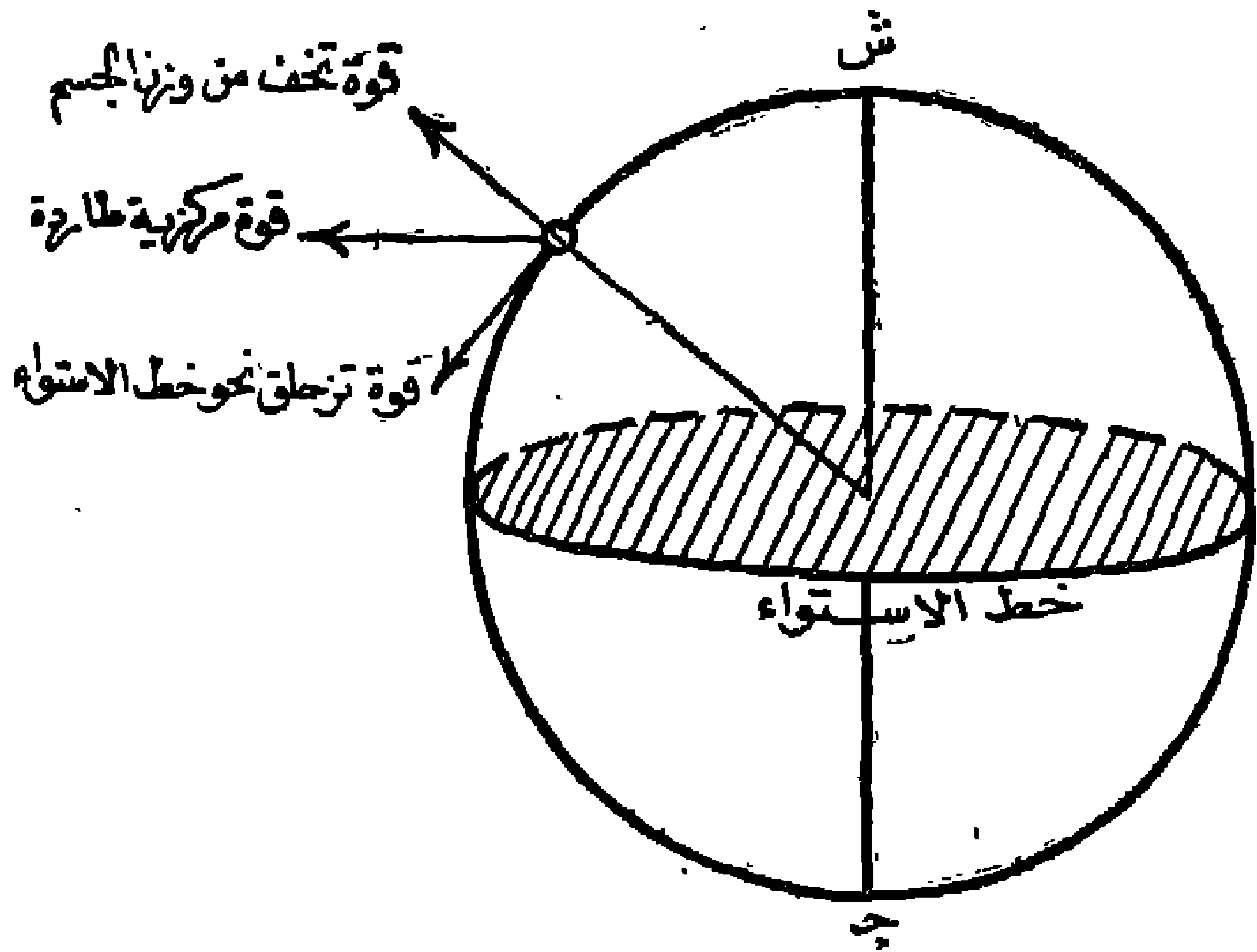
وبسبب هذين العاملين ، بعـد الكتلة لجسم ما على سطح الأرض عن مركز الأرض ، والقوة الطاردة الناشئة عن دورانها ، نجد أن جسما ما نزنه عند القطب (نقيس مقدار شد الأرض له) ، فنجد أن وزنه ١٩٠ رطلا . ثم نعيد وزنه عند خط الاستواء ، فنجدأن وزنه نقص رطلا، أى صار ١٨٩ رطلا (١)

ثانيا ــ لولا دوران الارض حول نفسها لفرغت البحار والمحيطات من مائها

ومن نتائج زيادة جاذبية الارض لما على ســـطحها من أشياء ، عند القطبين ، على جاذبيتها عند خط الاستواء ، ان الأشياء التى على سطح الأرض تنزلق من حيث الجاذبية أقل ، الى حيث الجاذبية أكثر بفعل الشد الاقوى . ولقد جاز هذا على الأرض لو أنها كرة أو شبه كرة ملساء . وما هى بذلك ولـكنه يجوز على ما فوق ســـطحها من ماء ، فالماء مائع ذو حركة . واذا فقد كان من المنتظر أن يسير ماء البحار والمحيطات الى القطبين انزلاقا وانحدارا بفعل الجاذبية الاكبر ، فيتجمع عند رأس الكرة الارضية وقدمها تجمعا هائلا . وهو بمقدار ما تمتلىء به منـاطق القطبين فمادونها تدرجا ، تفرغ منه مناطق خط الاستواء الى القطبين تدرجا

---

(١) لا يكون هذا بالميزان ذى الكفتين بالطبع ، لانه فى هذه الحالة تخف السنجة كما يخف الشىء الموزون ، أو تزيد . وانما يكون الوزن بقياس مقدار الشد ، كأن يستخدم ميزان ذو زنبرك أو نحو ذلك



دوران الارض يطرد الاشياء التى على سطحها ، عن سطحها . وهذه القوة المركزية الطاردة (الوسطى) تساوى قوتين : قوة رافعة (العليا) تخفف من جاذبية الارض ، وقوة (السفلى) تزحلق الاشياء الى خط الاستواء

الى مثل هذا الحال يؤدى منطق القوى . ولكن الأرض كرة تدور حول نفسها فيكسبها دورانها على محورها ، كما قدمنا ، قوة مركزية طاردة ، اتجاهها عمودى على المحور ، وهو يحاول أن يبعد بها ، أن يطردها ، عن المحور . وقد رأينا كيف عملت هذه القوة فى عكس اتجاه جاذبية الأرض فخففت من وزن الأشياء على سطح الأرض . والآن تعمل هذه القوة نفسها ، القوة الطاردة ، فى عكس ذلك الاتجاه الذى قضى المنطق بأن تسير فيه مياه البحار والمحيطات . ان زيادة الجاذبية عند القطبين عنها عند خط الاستواء تميل الى دفع تلك المياه من خط الاستواء الى القطبين . ولكن القوة الدافعة ، وهى ازيد

عند خط الاستواء منها عند القطبين ، تدفع بتلك المياه من القطبين الى خط الاستواء

وقد تعادلت القوتان ، قوة الجاذبية وقوة الدفع ، من حيث زحلقة البحار والمحيطات الى القطبين أو خط الاستواء ، بحيث توزعت مياه هذه المحيطات والبحار على سطح الأرض توزعا نعرفه عادلا

والذى عادل بينهما ان لفات الارض حول نفسها كانت ، من حيث العدد الحاصل منها فى الزمن الواحد ، بحيث لاتتخاذل المياه عن خط الاستواء وتجور على القطبين ، أو تتخاذل عن القطبين وتجور على خط الاستواء فتغرق ما على اوسط الأرض من أشياء وأحياء . وهذا تقدير ، لولاه ، لتغير وجه الأرض . فمن يا ترى قدره ، وقدره على هذه الدرجة الدقيقة من الضبط والربط ؟

ثالثا ــ دوران الارض يوجه الرياح

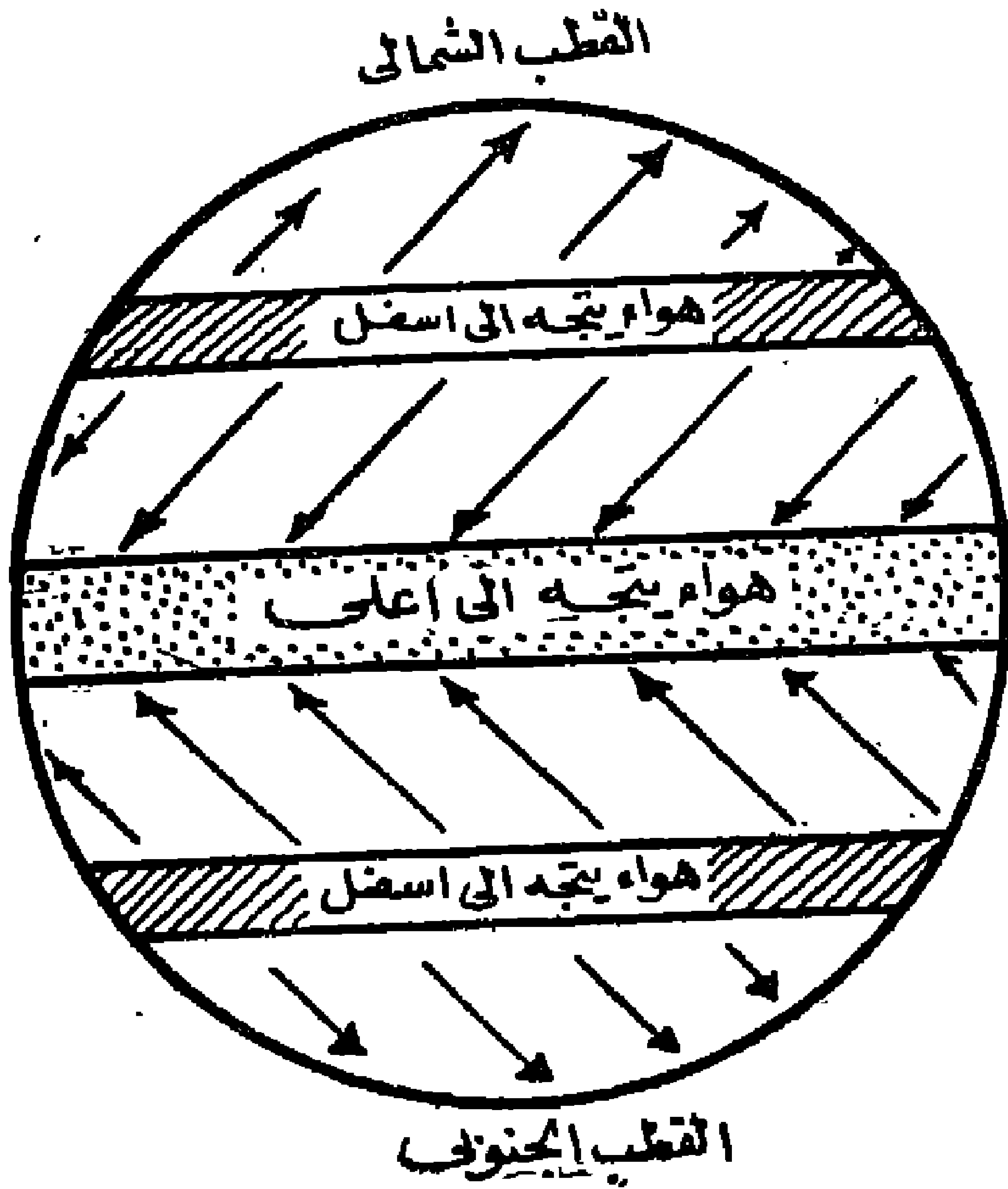
ومن نتائج دوران الأرض حول نفسها ، وهى كرة ، ان سرعة دوران المدن ، وما بها من منازل ورجال ، ليست سرعة واحدة . فالمدينة التي على خط الاستواء تقطع محيط الارض هناك فى ٢٤ ساعة . فهى تقطع فى الساعة الواحدة ألف ميل تزيد قليلا . ولكن مدينة مثل مدريد ، عاصمة أسبانيا ، وهي على خط عرض ٤٠ ، لاتقطع فى الاربع والعشرين ساعة محيط الارض كله ، ولكن تقطع دائرة أصغر ، هى الدائرة التي تمثل خط عرضها على الكرة ، فسرعة دورانها هى لذلك نحو من ٨٠٠ ميل فى الساعة . ولو ذهبنا أبعد فى الشمال ، الى ألسكا ، بأقصى أمريكا الشمالية ، لوجدنا الارض تدور هناك بسرعة نحو ٥٠٠ ميل فى الساعة . وعند القطب تماما تبلغ هذه السرعة صفرا لانعدام الدوران عنده . وهذه السرعات كلها من غرب الى شرق ، لأن الأرض هكذا تدور

واختلاف هذه السرعات فى بقاع الأرض يؤثر فى اتجاه الرياح . وخلاصةهذا التأثير أن ريحا ، فىالنصف الشمالى من الكرة ، تهب من خط الاستواء شمالا ، تميل الى يمين اتجاهها دائما ، فتصيب الناس فى القاهرة أولندن فى اتجاه يصفه الناس بقولهم ان الريح تهب الى شمال بشرق ، أو هى تأتى من جنوب بغرب . وأن ريحا ، فى النصف الشمالى من الكرة ايضا ، تهب من القطب الشمالى جنوبا ، تميل الى يمين اتجاهها أيضا ، دائما ، فتصيب الناس فى لندن أو القاهرة فى اتجاه يصفه النـــاس بقولهم ان الريح تهب الى جنوب بغرب ، أو هى تأتى من شمال بشرق

اما فى نصف الكرة الجنوبى ، فريح تهب من جنوب الى شمال ، أو من شمال الى جنوب ، تميل دائما الى يسار اتجاهها

وسبب هذا فى كل الحالات أن الريح تذهب الى شمال او الى جنوب بسرعة هبوبها . ولـكن الهواء يدور حيثما كان مع الارض ، وبالسرعة التى تدور بها الارض حيث هو . وهـذه السرعة دائما من غرب الى شرق . فالريح التى تهب ، الى شمال أو الى جنوب ، لها ، الى جانب سرعتها شمالا أو جنوبا ، سرعة من غرب الى شرق . وهى سرعة تختلف حسب الموضع من الارض الذى تبدأ منه الريح هبوبها . فهى فوق الألف ميل عند خط الاستواء ، وهى ٨٠٠ ميل عند مدريد ، و ٥٠٠ عند ألسكا

والريح بانتقالها ، فى نصف الكرة الشـــمالى ، الى شمال ، تلقى أرضا لها من سرعة الى الشرق دون سرعتها ، من أجل هذا هى تصيب الناس هناك وهى أكثر ميلا الى الشرق . فيقولون ريح جنوبية غربية ، اى هى تأتى من جنوب بغرب



بسبب دوران الارض ، من غرب لشرق ، تنحرف الريح فى النصف الشمالى من الكرة الارضية الى يمين الريح دائما ، والى يسارها دائمـــا فى النصف الجنـــوبى من الارض

والريح بانتقالهـــا ، فى نصف الـكرة الشـــمالى ، الى جنوب ، تلقى ارضا لها من سرعة الى الشرق فوق سرعتها ، فهى تتخلف عن مسايرتها شرقا ، وهى تصيب النـــاس هناك ، وهى اكثر ميلا الى الغرب . فيقول النـــاس ريح شمالية شرقية ، أى هى تأتى من شمال بشرق

وفى كلتا الحالتين تميل الريح الى يمين اتجاهها شمالا أو جنوبا

وبمثل هذا يستدل على أن الريح ، بالنصف الجنوبى

من الأرض ، تميل الى يسار اتجاهها
وكما فى الريح يكون الحال فى الرياح العاصفة الدوارة ، اى الأعاصير ، تلك التى تعصف وهى تدور حول مركز لها منخفض ضغط هوائه . فحركة الارض اذ تدور على محورها تحدد لهذه الأعاصير الاتجاه الذى عليه تدور . وهى فى النصف الشمالى من الكرة تدور فى اتجاه هو عكس اتجاه تدور عليه عقارب الساعات . وهى فى النصف الجنوبى من الكرة تدور فى اتجاه هو اتجاه عقارب الساعات فى دورانها

والذى يقال فى تيارات الهواء من حيث اتجاهها ، يقال فى تيارات الماء فى البحار والمحيطات . والذى يقال فى أعاصير الهواء يقال فى دوامات البحار . وكلها يختلف مايقع منها فى نصف الكرة الشمالى عن نصفها الجنوبى

وهذه الأشياء التى تساق على انها نتائج لدوران الأرض ، قد تساق على انها براهين على هذا الدوران

رابعا ـ لو دارت الارض حول نفسها اسرع مما تدور لتناثرت المنازل وتفككت الأرض وتناثرت هى الأخرى فى الفضاء

لقد ذكرنا كيف ان دوران الأرض حول نفسها يكسب أجزاءها ، وكذلك كل شىء على سطحها ، قوة مركزية طاردة ، تطرد كل شىء بعيدا عن محور الدوران ، محور الأرض . وان هذه القوة الطاردة تعمل فى عكس اتجاه جاذبية الأرض فتخفف من أوزان الأشياء عند السطح . اى تقلل من ارتباط هذه الاشياء بهذا السطح . وكلما اسرعت الأرض فى لفاتها حول نفسها ، زادت القوة الطاردة ، فقلت الجاذبية ، وقل ارتباط مافوق سطح الأرض بسطحها . وجذب الارض للاشياء يمحى امحاء عندما تسرع الأرض فى لفها فتبلغ به أن تلف اللفة الواحده على نفسها ، لا فى ٢٤ ساعة ، بل فى ساعة وأربع وعشرين

دقيقة . عند ذلك لا تكون هناك قوة تربط الناس والمنازل بالأرض ، فتتطاير ، فتذهب كل مذهب . والأرض نفسها توشك أن يضيع تماسكها فتتفكك وتتفتت، وتتناثر فى الفضاء اجزاؤها

ولكن الناس ومساكنهم فى مأمن من هذا ، اذ الواقع ان الأرض التى نحن عليها تلف اللفة الواحدة حول نفسها فى الاربع والعشرين المعروفة من الساعات . والسنوات لا تأتى بزيادة فى سرعة اللف هذه ، ولكنها تأتى بنقص فيها . ومعنى هذا أن الأيام على ظهر الأرض تطول

ولقد كانت هذه الأيام ، فى القديم الأقدم ، قصيرة غاية القصر . كان طول اليوم ، لا ٢٤ ساعة ، ولكن أربع ساعات . وتدور الأرض وتتم دورتها ، فيكون ليل ويكون نهار ، فى اربع ساعات . كان هذا لما كانت الأرض كرة من عجين ، من صخر منصهر ، قبيل أن تنجمد قشرتها ، بعد اقتطاع القمر منها (١) ، كما يقتطع الرغيف من العجين ، فينفصل عنها ، لتحبسه الأرض بما لها من جاذبية ، فتجعله يدور حولها . كان هذا منذ الفى مليون من السنين فما فوقها

ثم كانت القشرة الأرضية ، وكان من فوقها الماء . وكانت البحار وكانت المحيطات ، وتراءت على سطح الأرض القارات . وفعل القمر الدائر بماء الأرض وفاء لقوانين الجاذبية . فجذب سطح البحار والمحيطات اليه ؛ فعلا نحوه . فكان المد . وتدور الأرض بهذا الماء ، ليستقبل القمر ماء على سطح الأرض غيره . فيصيبه المد بجذب القمر . ويهبط الماء الأول بعد ان فاته القمر فيصيبه الجزر من بعد مد . وهكذا تدور الأرض فيتناوب سطوحها المائية جذب القمر لها شدا . وتكون الأرض تدور حول

---

(١) أنظر هذا فى موضعه من هذا الكتاب

نفسها اسرع مما يدور القمـــر حولها . ويبعـــد بعض سطحها اذ يدور عن القمر ، والقمر متعلق بمائه ، فيعوق هذا التعلق الأرض فى دورانها . ذلك لأن المـــاء المتعلق يرتطم بما يأتى من سواحل المحيطات الصلبة وقيعانهـا فيعوق من دورانها ، فمن دوران الأرض

وهو تعويق غاية فىالقلة ، ولكنه تعويق على كل حال . كالرجل يدور حول نفسه ، وتمسك انت بأطراف ثوبه . وكلما أفلت من يدك طرف أمسكت بطرف . فهذا يعوق من دوران الرجل حول نفسه

ولـكن هــــذا التعويق القمرى لدوران الأرض ، على ضآلته المتناهية ، تراكم على آلاف الألوف من السنين ، فنزل بسرعة الأرض اذ تلف حول محورها الى أن صارت نحوا من سدس ما كانت . كان يوم الأرض اربعساعات ، فصار أربعا وعشرين

خامسا ـ لو دارت الارض حول نفسها ابطأ مما تدور لهلك الناس من حر ومن برد

وسرعة دوران الأرض حول نفسها ، هـــذه السرعة القائمة الكائنة اليوم ، هى سرعة توافق ما علىالأرض من حياة ، حيوانية نباتية بأوسع معانيها

ان الأحياء الدنيئة ، كالبكتريا ، تموت عندما ترتفـع الحرارة بها ، ومن أجل هذا نحن نغلى اللبن لنقتل مابه من جراثيم قد تضر شاربه . وقد ننزل بدرجة تسخينه الى نحو ٧٠ درجة مئوية ونطيلمكثه عندها بعضالوقت . والاحياء الأعلى ، فالاعقد ، أكثر حسا بالحرارة من الأحياء الدنيا . وهى تموت دون هذه الدرجة من الحرارة . ومن هذه الاحياء الانسان

كذلك البرودة لها حدود تقف عنـــدها الحيـــاة . ان البرودة لا تحلل المادة العضوية التى تتألف منها الاجسام كما تفعل الحرارة ، ولـكنها توقف الوظائف الحية . وبهـــا

تتوقف الحياة ان طال عليها هذا الحال

والارض اذ تدور حول نفسها يواجه الشمس نصفها حينا فيكتسب منها الحرارة ويكتسب الحياة ، بينا نصفها الآخر فى برودة وظلام . فالأرض تفقد حرارة بالليل وتكسب حرارة بالنهار . ويتعادل ماتكسب نهارا بالذى تفقد ليلا فتعتدل الحرارة فتكون وفقا لما على الأرض من حياة وأحياء

ومن العوامل الكبرى فى ذلك طول اليوم . فاليوم اذا طال ، طال نهاره وطال ليله . واليوم اذا صار مائة ساعة ، بابطاء الارض فى دورانها ، بدل ٢٤ ساعة ، تعرض نصف الارض نهارا ، لحرارة طائلة ، وليلا لبرودة طائلة . فتزيد الحرارة نهارا الى مالاتطيقه الاحياء ، وتزيد البرودة ليلا الى ما لا تطيقه الاحياء

فهذه موافقة كان لابد منها ، بين الحياة كما نعرفها ، وبين صفات وطبائع لما نسميه بالكون الجامد ، اى الذى لا حياة فيه

وليست هذه هى الموافقة الواحدة التىتتطلبها الحياة ، كما نعرفها على هذه الأرض . ان هنالك موافقات عدة تتطلبها الحياة من هذا الكون الجامد . هى شرائط لابد من ان تستوفى قبل أن تبدأ الحياة ، وان تستوفى جميعا ومعا ، فلا يسبق منها سابق ليعقبه لاحق . واجتماع هذه الشرائط لايكون عن محض مصادفة

أم هو يكون عن محض مصادفة ؟!

واجتماع هذه الشرائط لا يكون من غير تدبير وتوجيه وتنسيق ، واستهداف أهداف من أخطرها فى حسباننا ايجاد هذا الحيوان الذى اسمه الانسان ، وايجاد هذا الوعى فيه الذى اسميناه العقل ، ليعى ويستوعب مما حوله غرائب هذه الأشياء وعجائب هذه الاحداث

أم يكون كل هذا من غير تدبير وتوجيه وتنسيق ؟!

لعل الخير فى ترك هذا الأمر معلقا حتى نأتى على طائفة من غرائب هذه الأشياء وعجائب هذه الأحـــداث ، ثم نستعرضها ، ثم نتأملهامجموعة متناسقةمترابطة متساندة، ثم ننظر مايقول الفكر فيها . وان عجز الفكر عن أن يقول ، نظرنا الى ما يقول الحس الطبيعى فينا والشعور



الباب الثامن

الأرض

ساعة الكون العظمى

يوم الناس يطول

ان دوران الأرض هو مرجع الانسان الأول فى قياس الزمن في هذا الوجود الذى هو فيه . ولقد سبق أن ذكرنا ان الأرض كانت تدور ، فى ازمان بعيدة ، بسرعة عظيمة ، ثم تباطأت الأرض فى سرعتها الى الحد الذى نعرفه عنها فى حياتنا هذه الحاضرة

وسرعة دوران الارض حول نفسها لا تزال تصغر من قرون الى قرون ، ولنفس تلك الاسباب . فيوم الناس يطول بتوالى الزمان

ولكنه طول لا يحسه الناس ، ولا تكاد تحسه الآلات ، لصغره ، الا اذا هو تراكم . ان يوما كان منذ ٤٠٠٠ سنة ، كان أقصر من يوم نعرفه اليوم بنحو من ١/٣٠ من الثانية. ومعنى هذا أن متوسط زيادة اليوم فى هذه الأربعين من القرون كان ١/٦٠ من الثانية . ولكن هذه القرون احتوت على ١٤٦٠٠٠٠ يوم ، فمجموع هذه الزيادة اليومية المتراكمة ، فى هذه القرون الأربعين ، هى ١٤٦٠٠٠٠ × ١/٦٠ ثانية ، اى ٢٤٠٠٠ ثانية ، أى ٢/٣ ٦ من الساعات

انه بسبب هذا التراكم أدرك الانسان ما فى ساعة الكون العظمى من تأخر . ان أحداثا فلكية حدثت فى القرون الذاهبة ، كان من حسن حظ العلم والعلماء أن سجلها انسان ذاك الزمان ، فلما قام الحاضرون بحسابها ، متى كانت ، أو متى وجب أن تكون ، راجعين فى حسابهم الى الوراء ، كشفوا عما فى دورة الارض حول نفسها على القرون من ابطاء

تتأرجح الارض ، فيتأرجح الزمان

والى جانب هذا الابطاء الدائم القائم المنتظم فى دوران الأرض حول نفسها ، لأسباب أكثرها وأخطرها جذب القمر لمياه البحار والمحيطات ، توجد تغيرات فى سرعة هـــذا الدوران ، اسراعا أو ابطاء ، تصيبه فى غير انتظام . وقد تصيبه بغتة . كشفت عن هذا ارصاد فلكية قام بهـــا العلماء فى المائتين والخمسين عاما الماضية . ومن امثلة ذلك ما أصاب هذا الدوران من ابطاء فى عام ١٧٨٥ ميلادية . وجاء عام ١٨٩٩ فأخذت الارض تستعيد ما فاتها . وقد بلغ الأثر المتراكم للابطاء فى دوران الارض حـــول نفسها ، بين هذين التاريخين ، أى بين عام ١٧٨٥ وعام ١٨٩٩ ، دقيقة واحدة

ان كل حدث يحدث فى الارض ، فى سـطحها أو فيما دون سطحها ، يكون من اثره انتقال مادة من مكان الى مكان ، يؤثر فى سرعة دورانها . فليس المد والجزر هو العامل الوحيد فى ذلك . حتى ما تنقله الانهار من مائها ، من ناحية فى الارض الى ناحية ، يؤثر فى سرعة الدوران . وما ينتقل من رياح يؤثر فى سرعة الدوران . وسقوط فى قاع البحار ، أو بروز فى سطح الارض هنا أو هنا ، يؤثر فى سرعة الدوران

ومما يؤثر فى سرعة هذا الدوران ان تتمدد الارض أو تنكمش ، بسبب ما ، ولو انكماشا أو تمددا طفيفا لا يزيد فى قطرها أو ينقص منه الا بضع أقدام

ساعات تسجل اجزاء الألف من الثانية

وهو تأثير ، على ما رأينـــا ، من الصغر بحيث تعجز ساعات صنعها الانسان عن ادراكه . ان ساعة الارض فى انتظامها أدق من أدق ساعة ذات بندول عرفها الناس .

وغير ساعة البندول ساعة الكورت المتبلور . Quartz Crystal Clock . والكورت المتبلور صخر هو من حيث ترتيبه الكيماوى ثانى أكسيد السيلسيوم . أى هو الرمل الشائع. الا أنه صاف ، وكذلك متبلور ، وشديد الصلابة ، وكثير الانتشار بين صخور الارض . والسر فى تبلوره . وساعة الكورتز من الضبط بحيث تدرك الجزء من الألف من الثانية الواحدة يزيد أو ينقص فى طول يوم . وقد وجدوا بها أن طول اليوم يطول فى الربيع لابطاء فى دوران الارض، ويقصر فى الخريف لسرعة دورانها ، وذلك فى حدود ٢ ١/٢ جزء من ألف من الثانية لليوم الواحد طول العام

وغير ساعة الكورت المتبلور ، الساعة الذرية . وهى ساعة دقيقة جدا . ابتدعها مكتب المعايير القومى بعاصمة الولايات المتحدة

يوم الأرض كان ٤ ساعات لا ٢٤

وقد يهول القارىء صغر هذه الاجزاء من الزمان .وقد يقترن استصغاره لها ، بالاستخفاف بها . وهو ان فعل فقد فاته خطورة المقادير الضئيلة فى حساب الافلاك . أن عمر الانسان يقاس بالايام والاشهر والسنين ، وأحداث حياته تؤرخ بالأعوام . ولكن عمر الأفلاك وأحداثها تؤرخ بآلاف السنين وبالملايين وبآلاف الملايين . والآلاف والملايين تجمع القليل التافه الذى يحدث فى اليوم الواحد ، الى القليل فالقليل ، فينتج عن ذلك الكثير . وقد رأينا كيف أن الزيادة هذه الضئيلة التافهة ، التى لا تكاد تدرك ، فى طول يومنا الحاضر ، خرجنا منها ، رجوعا الى الوراء ، بأن اليوم كان ، فى أزمان سالفة بعيدة ، طوله ٤ ساعات لا اربعا وعشرين

كمال الكون من كمال سننه

ولقد ذكرنا كم يطرأ على هذه المقادير الصغيرة، المتناهية الصغر، من تغير، فى حدود هذه الضآلة. وقد ينسب هذا، على ضآلته، الى نقص فى الكمال الكونى، ذلك الكون الذى يجب أن يكون كاملا، أو تتوق الانفس الى أن تراه كاملا فى كماله، لا تشوبه شائبة من نقص، مهما صغرت، حتى هذه التى لا تدركها الا الساعات الكورتية البلورية، أو الساعات الذرية. ولكن الكون، كما لعلنا سبق أن ذكرنا، لا يهدف الى أن يكون كاملا فى نتائجه، وفقا لما يراه البصر الانسانى من كمال، ولكنه يهدف الى أن يكون كاملا فى أسبابه. بل هو هدف وفرغ من أهدافه، ومن تقرير أسبابه: تلك القوانين التى سنها، ثم هو أطلقها فى الكون تعمل فيه. ونعيد القول فنقول انه قد يأتى من اطلاقها، وهى شتيتة عديدة، متضاربة أحيانا، شيء ظاهر النظام، مما يراه البصر الانسانى كمالا. ولكن قد يأتى من اطلاقها كذلك أشياء ظاهرها الاختلاط والارتطام، فى بصر الانسان، هى نتائج لأسباب غاية فى الانتظام، غاية فى الثبات، تقضى فى محيطها ومجال حكمها، وتقطع قطع السيف

دوران الأرض متناه فى انتظامه

ودوران الارض من الاشياء الظاهرة الانتظام فى البصر الانسانى. بل هو غاية فى النظام اذا ما قرنا تلك الاجزاء من الألف من الثوانى التى بها اختلف ويختلف دوران الارض فى اليوم، على تناهى صغرها، بجرم الارض، الذى هو خمسة آلاف مليون مليون مليون طن، على تناهى كبره. ان العقل الانسانى ليقف عند هذه الحقيقة، وهى من أمهات الحقائق، متأملا، غارقا فى تأمله، حائرا، واجما.

ان ساعة من معدن أو غير معدن ، جرمها جرامات ، تدور فتخطىء فى دورانها فى اليوم بضع ثوان ، نقول عنهـــا ما أضبط وما أجمل . فما أمر ساعة جرمها ملايين ملايين الملايين ، لا من جرامات ، ولكن من أطنان ، تدور فلا تخطىء فى اليوم ثوانى ، ولا اعشار ثوان ، ولكن بضعة أجزاء من الف من الثانية . وتخطئها لأسباب معلومة محسوبة ، فما هى بأخطاء . نعم ، ما أمرها ، وما أمر كف تدور بها ، تدور بهذا الجرم الهائل ، فى هذا الفضاء الهائل ، فتبلغ به هذه الدقة الهائلة ، بأخطائها هذه التى هى ، بصغرها ، هائلة

محور الارض

موضعه فى كرة الأرض غير ثابت
ليس كالنقص دليل على كمال

ليس كذكر الخطأ فى الأشياء ، وتقديره ، دليل على ما فى هذه الاشياء من صحة وضبط وصواب . ان كل شىء فيه خطأ ، خطأ صغير أو خطأ كبير . وقد لا نسميه خطأ ، ولكن زحزحة عما يدل عليه المعنى الكامل زيادة أو نقصا . فأنت تشترى الشىء وتدفع لبائعه مائة دينار عدا ، وتحسب انك دفعت مائة دينار ، فلم تزد ولم تنقص . ولكنك اذا فتشت فى الأمر ، وفتشت مليا ، ودققت فى الأمر ، ودققت مليا ، واستخدمت من وسائل العلم ادق وسائله فى التحليل والوزن ، لخرجت على أنك لم تدفع مائة دينار قط ولن تستطيع دفعها . ان كل دينار دفعته من المائة لا يطابق سائر الدنانير التسعة والتسعين ، لا فى مقدار ذهبه ، ولا فى مقدار ما فيه من شوائبه . ومجموع الذهب الذى فى المائة ، ومجموع ما فيها من شوائب لا يمكن أن يتطابق وما قدرت له بأرقام الحساب . ويكفى فى الدلالة على هذا ان نقول ان أثقالا اتخذتها عند الوزن معايير ، فيها الخطأ قل أو صغر . وانت تريد أن تدلل على صحة هذه الموازين فتقول أن الشىء وازن مثلا ١٢٣٤ر٥٠ + أو - ٥٠٠٠٠ر٠ من الجرامات ، وتعنى بذلك أن بالوزن خطأ مقداره ٥٠٠٠٠ر٠ من الجرام ، زيادة أو نقصا . وعندئذ تؤمن بأن الوزن صحيح دقيق ، لا لأنه صحيح دقيق

اطلاقا ، ولكن لأن به خطأ ، واننـــا قدرناه ، وأنه ظهر صفيرا

ان الصحة المطلقة التى يتصورها العقل عنـدما يقول عشرة وعشرين وخمسة وخمسين ، وعندما ينطق بسائر أرقام الحساب ، لا وجود لها فى الحياة ، الا تخيلا وتصورا، ذلك لأن الواحد الكامل من شىء لا وجود له ، ويتراءى لك هذا اذا أنت قارنت واحدا من جنس ما بسائر وحداته

لا يدل على مقدار التمام والكمال اذن الا ذكر النقص

كذلك لا يدل على انضباط محور الارض ، وشدة ثباته من موضعه من الكرة الارضية ، كذكر انحرافه عن ذلك الموضع

محور الارض صورة فى الخيال

ان الكرة الارضية التى نحملها الى قاعات التـدريس بالمدارس ، تلك التى صنعت من ورق مقوى ، رسمت فوقه القارات والمحيطات ، هذا النموذج من الكرة الارضية يدور على محور من نحاس . فهو محور ثابت الموضع اذا من هذه الكرة الصغيرة ، بمقدار ما يجوز على أمثال هـذه المتحركات الميكانية من ثبوت

وغير ذلك كرة الارض التى نحيا عليها . انهـــا تدور حول نفسها ، وتدور فوق الـ ٣٦٥ مرة فى العام . ولكل كرة تتحرك محور دوران فى أوسـطها ثابت لا يتحرك ، لا شك فى هذا . ولكنه محور لا يرى ، ولا يمسك به ، لأنه صورة رياضية لا وجود لها الا فى الخيـــال . وهو لا سمك له ، لأنه ان كان له سمك ، وتحرك مع الارض حول نفسه ، لكان محور الارض قد اختفى فى باطنه ، خطا من خلق علم الرياضة تدور حوله الارض اذ تدور

ثبات المحور ثبات القطبين وسائر خطوط الأرض

ومحور الارض الذى تدور عليه يثبت موضـــعه من كتلتها ، ومعنى هذا ثبات طرفيه من سطح الارض ، أى ثبات القطبين فى موضعهما فى شمال الارض وجنـوبه . ومعنى هذا أيضا ثبات الدائرة ، التى تلتف حول الارض عند بطنها ، فى أوسط المســافة بين القطب الشــمالى والجنوبى ، تلك التى نسميها بخط الاستواء . ومعنى هذا كذلك ثبات تلك الدوائر الاخرى المرسومة توهما على سطح الارض ، موازية لخط الاســتواء ، تلك التى نسميها فى الجغرافيا بخطوط العرض ، والتى بمعونتها نعـين مواقع المدن وغير المدن على سطح الارض

ثبات القطبـين اذن من موقعيهما فى شـــمال الارض وجنوبها أمر ذو خطورة . ولكن النجوم ، وهى ثوابت ، ترصد من مواقع عند خطوط العرض هذه ، فنتائج رصدها من الموقع الواحد على الارض يجب أن لا يتغير بتغير الزمان لو أن قطبا الارض من الارض ثابتان

قطب الارض يتزحزح ٤٠ قدما

وقد دل هذا الرصد على ان القطبين غير ثابتين فى موضعهما من الارض تماما . أى أن محورا تدور عليه الأرض لا ينتهى دائما ، فى أعلاه ، أو فى أسفله ، بمواقع من سطح الارض ثابتة .

وسبب هذا تدخل قوى تعمل فى الارض وهى تدور . حتى تنقل الهواء فى جو الارض ، كتلا عظيمة ، من مكان الى مكان يؤثر فى محور دوران الارض ، ففى موضعه من كرتها ، ففى موضع القطبين منها

ولن نتقصى أسباب ذلك تفصيلا ، وعلاقته بباطن الارض ، وما به من صلابة وتماسك ومرونة . فقد يكفى لأغراضنا

المحاضرة أن نقول ان قطب الارض ، اذ يتزحزح عن موضعه الأوسط من شمال الأرض ، لا يتزحزح أكثر من ٤٠ قدما !

مثل فى دقة الكون رائع

لقد انضبط دوران هذا الجرم الأرضى الضخم ، الذى يزن نحـوا من ٥٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طن ، العائم فى الفضاء بلا عمد تقيمه ، أو سند يسنده ، انضبط الى حد أن قطبه لا يتزحزح أكثر من ٤٠ قدما !

وهل تدرى ما طول هذا المحور الذى لا يتزحزح أكثر من ٤٠ قدما ؟ ان هذا المحور طوله نحو من ٤٠ مليون قدم

ومعنى هذا ان محورا من الصلب ، طوله متر واحد ، تدور عليه كرة ، لا يتزحزح رأســه عن موضعه اكثر من ١ من ١٠٠٠ من المليمتر

ولكن محور الصلب هذا مثل صغير يضرب للتقريب ، يضيع معه عنصر الضخامة الذى هو بعض عناصر الأعجاز

اننا نهدف فى هذا الكتاب الى ايضاح ما فى الكون من وحدة ولكن كذلك من اهدافه ايضاح ما فى الكون من ضبط ودقة

وهذا مثل يضرب لايضاح درجة الدقة والضبط التى يسير عليها الكون

انها القوانين تفعل ، وتشمل ، ولا تبالى

وهذه الدقة ما بلغت الغاية الا باظهار ما فى حركة الكون من ازورار عن الكمال ، وهو بدوره ازورار بلغ الغاية من الصغر . وهو لم يأت عفوا . وهو لم يأت جزافا . بل جاء نتيجة قوانين فى الكون واحدة دائمة ثابتة ، تعمل معا ، ولا تبالى اجاءت نتائجها مما قد يعده الانسان كمالا او لا يعده . والرجل العالم القح لا تبهره ، فى مثلنا هذا ، ان الارض تدور على هذه الدقة المتناهية ، بقدر ما يبهره ان

القوانين قائمة ثابتة خالدة ازلية سرمدية ، وانها تملأ الكون اجمع . وهذا معنى يحسن ان لا يمل احد من تكراره ، فهو معنى ، فى معنى الوحدة ، ضخم عظيم

ماذا لو استقام محور الارض

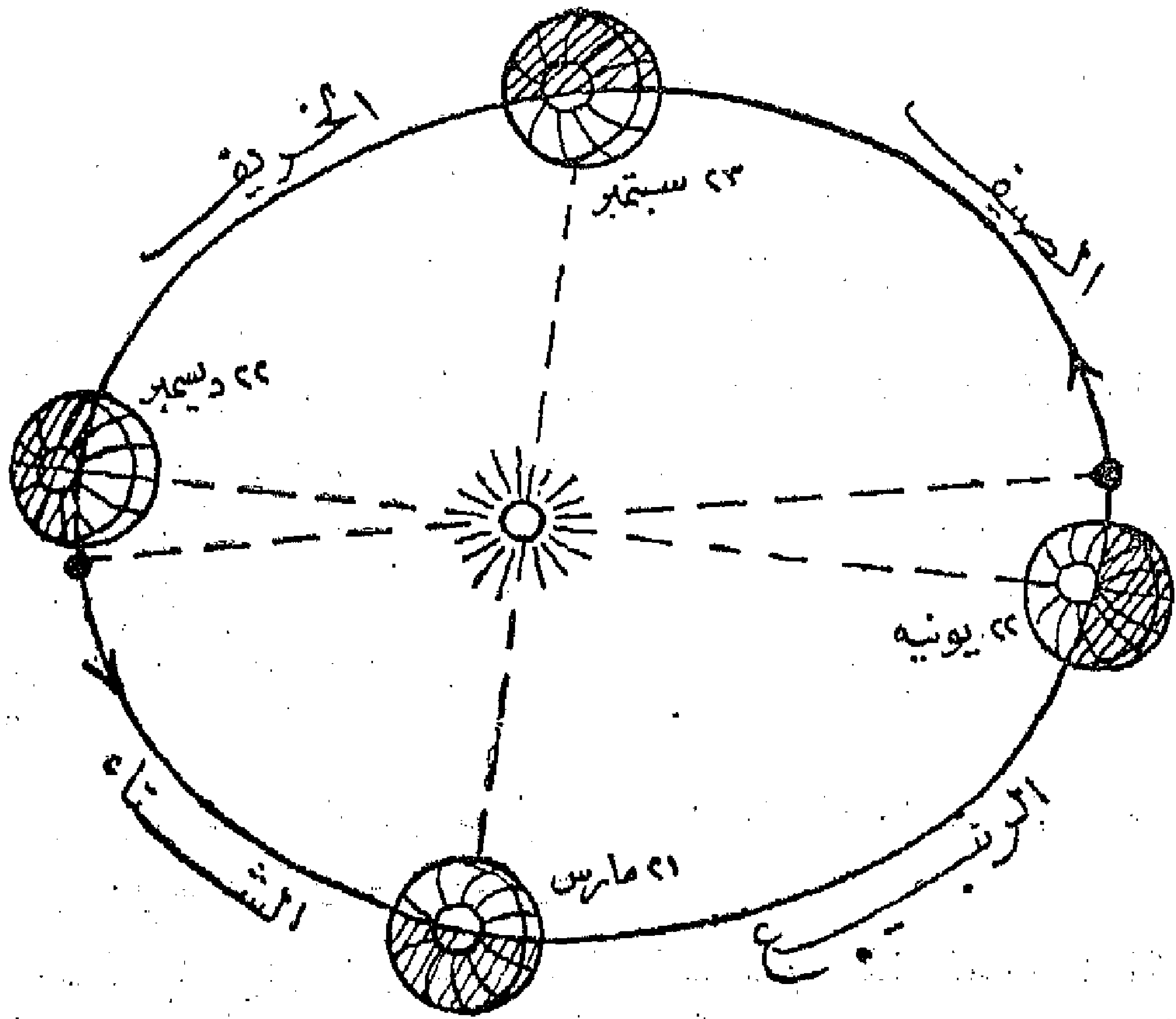
ان الارض تدور حول نفسها ، والارض تجرى فى مدارها حول الشمس ، وتجرى ومحورها الذى عليه تدور حول نفسها ، مائل . مائل على هذا المدار الذى تدور حول الشمس فيه. فلو انالارض رجل ، لكان رجلا ممن يتكفأون دائما فى مشيهم وجريهم الى امام . الراس دائما سابق ، والرجلان متخلفتان

الا ان محور الارض يميل دائما فى اتجاه واحد ، لا يتغير فى اى موضع كان من مداره

فماذا يا ترى كان يحدث لو استقام هذا المحور ، فكان دائما عموديا على مداره . فكان كالرجل الذى يسير على استقامة دائما ، وفقار جسمه عمودية على سطح الارض

ماذا يحدث لو استقام محور الارض ، وجرت الارض فى مدارها حول الشمس فى دائرة ، الشمس مركزها ؟

اذا لاختفت على الارض الفصول ، ولم يدرالناس ما صيف وما شتاء ، وما ربيع وما خريف . ان بعد اى بقعة من سطح الارض عن الشمس سيظل عندئذ طولالعام واحدا . والزاوية التى تضرب بها اشعة الشمس اى بقعة من سطح الارض ستظل واحدة ، ومعنى هذا ان حرارة تصل من الشمس على مدار العام ستظل واحدة . ان هذه الزاوية لها اكبر الخطر فى تقدير ما يصل الى الارض من حرارة . ان ضربة تاتيك عمودية على وجهك قد تفقدك الوعى ، وغير ذلك ضربة تاتيك بانحراف

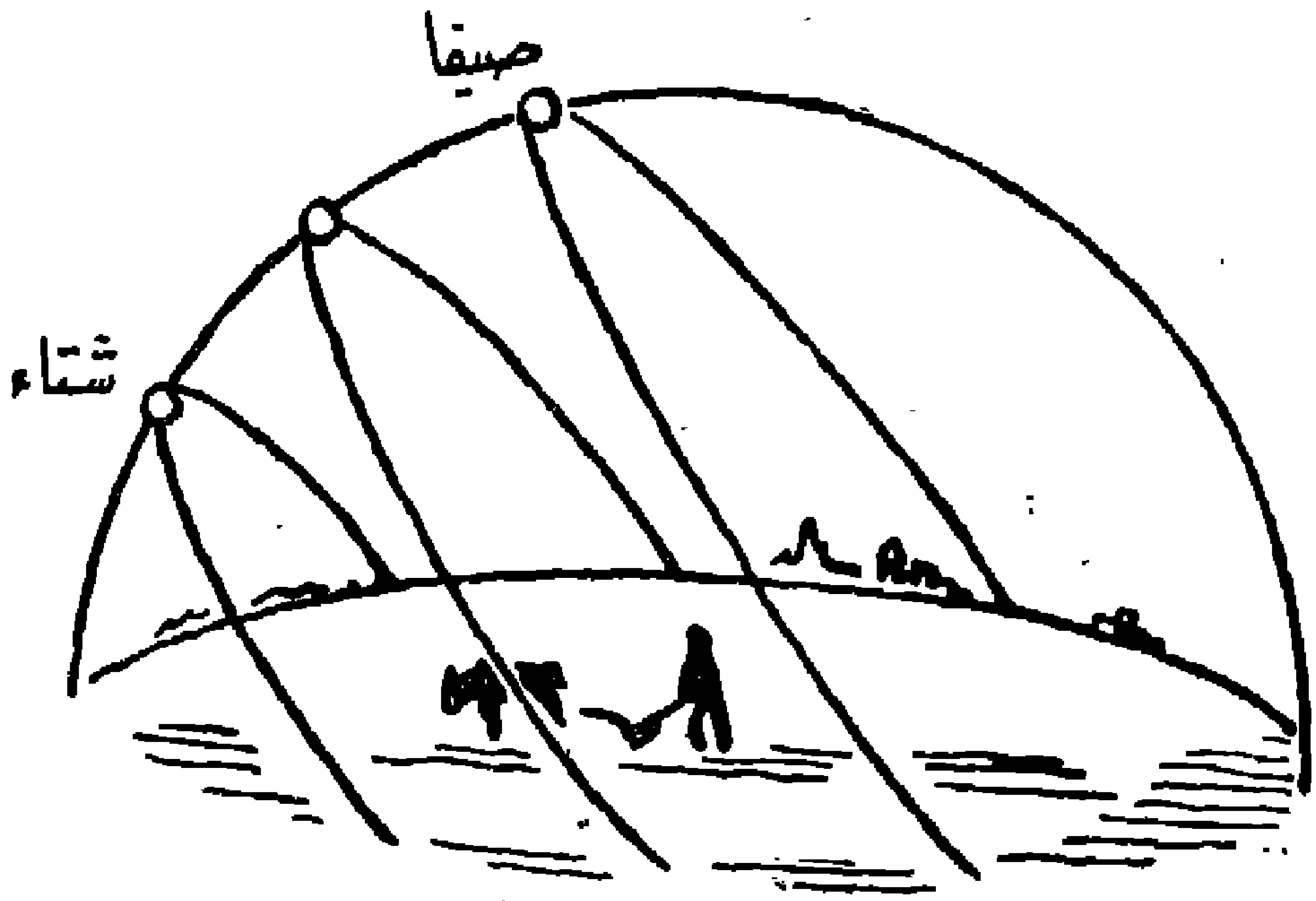


مدار الارض حول الشمس ، والفصول ، وهى لسكان النصف الشمالى من الكرة الارضية . والارض فى الشتاء أقرب الى الشمس

وستظل بقاع الارض تختلف فيما بينها ، حرارة وبرودة بسبب هذه الزاوية على الاكثر ، وبسبب اختلاف بعدها عن الشمس كذلك . فبقاع خط الاستواء ستأتيها الاشعة عمودية فتحتر . وبقاع القطب تأتيها الاشعة بانحراف فتكون أقل حرارة ، فهى ابرد . ولكنهما حرارة او برودة تثبتان للبقعة الواحدة طول العام

ولكن ما هكذا حال الارض

ان الارض تميل برأسها (رأسها نصف كرتها الشمالى) دائما ، تميل بمحورها ، وهى تدور حول الشمس . وهى تميل بهذا الرأس دائما فى اتجاه واحد ، وهى مقبلة نحو الشمس ، او وهى مدبرة



فى الشتاء تجنح الشمس الى الافق الجنوبى ، فتصل اشعتها الينا مائلة . وفى الصيف تصعد الى أوج السماء فتصل اشعتها الينا عمودية أو تكاد . . .

وهى فى اقبالها وراسها مائل نحو الشمس ، تقع اشعتها على هذا الرأس عمودية فيحتر . وهى فى ادبارها ، ورأسها مائل فى غير اتجاه الشمس ، تقع اشعة الشمس على هـذا الراس بانحراف فيحتر قليلا ، فيكون ابرد . وهو اذ يحتر يكون صيف . واذ يبرد يكون شتاء . وهو فى منتصف هذين الوضعين يكون بين بين ، فيكون ربيع ان كان من بعده صيف ، ويكون خريف ان كان من بعده شتاء

وبنو الناس على الارض يعرفون الصيف باقتراب الشمس من أوج السماء ، فأشعتها اكثر عمودية عليهم ، واحر ضربا لهم . وهم يعرفون الشتاء بنزول الشمس الى الافق ، فأشعتها اكثر ميلا عنهم ، وضرباتها اخف وطأة

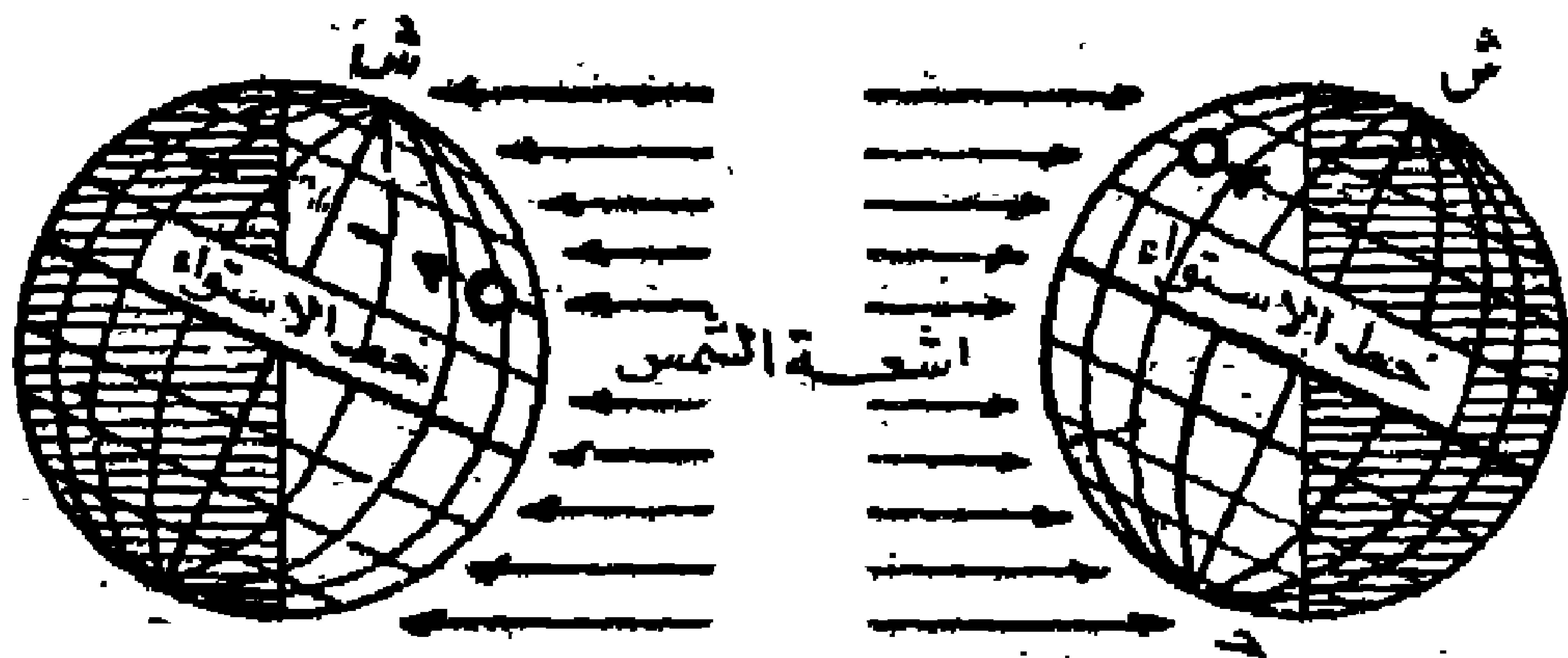
والناس تحسب ان الارض ، بحسبانها كوكبا يدور حول الشمس فى مدار بيضاوى ، الشمس فى احدى بؤرتيه ،

تكون فى الصيف فى الموضع من مدارها الاقرب الى الشمس وتكون فى الشتاء الموضع من مدارها الابعد من الشمس

وهذا خطأ . ان العكس هو الصحيح . ان بعدالارض عن الشمس شتاء (يناير) يبلغ نحوا من ۰۰۰ر۳۰۰ر۹۱ ميل. ويبلغ فى الصيف (يوليو) نحوا من ۰۰۰ر۵۰۰ر۹۴ ميل . فالفرق بينهما ۰۰۰ر۲۰۰ر۳ ميل ، اى نحو من ۳ ۱/۲ فى المائة من المسافة كلها . وهو فرق اثره فى احرار الارض وابرادها ضئيل اذا هو قورن بأشعة تقع راسيه على سطح الارض ، او تميل فتنحرف

وسبب آخر لحر الصيف وبرد الشتاء : ان رأس الارض ، وهو فى الصيف اكثر ميلا الى الشمس واقبالا عليها ، يبقى فى اشعتها مدة اطول . فنهاره طويل ، وليله قصير . وعكس هذا يجرى شتاء

والحديث هنا عن نصف الكرة الشمالى وساكنيه



الارض فى وضعها لنا ، سكان نصف الكرة الشمالى ، فى الشتاء ، حين تضربنا اشعة الشمس مائلة . وفى الصيف ، حين تضربنا عمودية او تكاد

ان استواء محور الارض يؤدى الى استواء الفصول ، وهذه رتابة

وان ميل محور الارض ادى الى اختلاف الفصول ، وهذا تغيير وتبديل

ولسنا نقف لنوازن بين رتابة وتبديل ، فهذا شأن الناس، وشأن امزجة الناس . والباحث فى الامر يقول الكثير اذا شاء أن يربط هذا الامر بعيش الناس ، وانفس الناس

والكن الامس بهذا الموقف الذى نحن فيه من الارض ان نتساءل : هل هكذا تميل محاور سائر الكواكب ، وغير الكواكب من اجرام السماء ؟ ان تكن كذلك كلهـــا تميل ، فهذا معنى من معاني الوحدة جديد ، يضاف الى معان سابقة واخرى لاحقة

الباب التاسع

جوف الأرض

من نار ، بلا نور

اعمق منجم حفروه

لمعرفة ما فى جوف الارض لابد من الدخول فى جوفها لنرى ما فيه . ولكن من دون ذلك استحالة ظاهرة . واذ امتنع علينا علم ما فى الارض مشاهدة ، وجب ان نتحول الى علم ما بها استنتاجا

ان الناس تحفر فى الارض بحثا عن الذهب وغير الذهب واعمق منجم حفروه بلغ عشرة آلاف قدم ، او نحوا من ثلاثة كيلو مترات عمقا ، او نحوا من ميلين عمقا . عمق قليل ، لاشك فى هذا ، لا يبلغ الا نحوا من ۱/۲۰۰۰ من نصف قطر الارض ، ومع هذا فقد عرفنا من دراسة هذا العمق شيئا خطيرا عن الحرارة فى باطن الارض . ان درجة الحرارة تزيد كلما تعمقنا فى الارض . وعرفنا هذا ، لا من هذا المنجم وحده ، بل من اشباه كثيرة له ، وكذلك من ثقوب ثقبناها عميقة فى بضعة آلاف موضع مفرقة على سطح الارض . فظاهرة ارتفاع الحرارة كلما تعمقنا فى الارض ظاهرة عامة ، لا تختص ببقعة فى الارض دون بقعة

الناس تسلق عند عمق ۱/۲ ۲ كيلو متر ، ثم تشوى

ومن هذه الدراسات تعلمنا ايضا ان الحرارة تتناسب تناسبا مطردا مع العمق ، وانها تزيد ۳۰ درجةمئوية لكل كيلو متر عمقا ، اى ۳ درجات لكل مائة متر . ولكن متوسط درجة الحرارة عند سطح الارض ۲۰ درجة . واذا فنحن نبلغ درجات غليان الماء ، اعنى ۱۰۰ درجة ، عند عمق كيلو مترين ونصف تقريبا . ونحن قد بلغنا فى المنجم الذى ذكرنا

وهو منجم للذهب فى افريقية الجنوبية ، عمقا أكثر من هذ ومعنى هذا ان العمال عندهذا العمق تسلق سلقا ، أوتشوى شيا . ولكنهم حموا العمال ، من سلق وشى ، ومما قارب السلق والشى ، بأجهزة مكيفة للهواء بلغت نفقاتها مئات الالوف من الجنيهات

ثم ينصهر الصخر

فلو اننا فرضنا اطراد الزيادة فى الحرارة باطراد العمق ، اذا لبلغنا عند نحو عمق ٥٠ كيلو مترا من سطح الارض درجة انصهار الصخر ، وهى تقع ما بين درجة ١٢٠٠ مئوية ودرجة ١٨٠٠ مئوية

ومن دلائل الحرارة بجوف الارض ما يتفجر فى بقاع من سطحها من نوافير ماء ساخن باخر ، وما يتثقب سطح الارض عنه من فوهات براكين يفيض منها الصخر حمما منصهرة . ولقد قاسوا درجة هذا الصخر المنصهر وهو فى فوهات براكينه فوجدوا له درجة ١٢٠٠ ، وهى درجة تتفق مع ان ماتاه من عمق ٥٠ كيلو مترا او نحوها

فالكرة الارضية ، بناء على هذا ، تتألف من قشرة كروية جامدة ، سمكها نحو ٥٠ كيلو مترا ، تلتف حول قلب للأرض، من نار حامية ، من صخر مصهور

ومعنى هذا ان لب الارض سائل

جوف الارض له صلابة الفولاذ

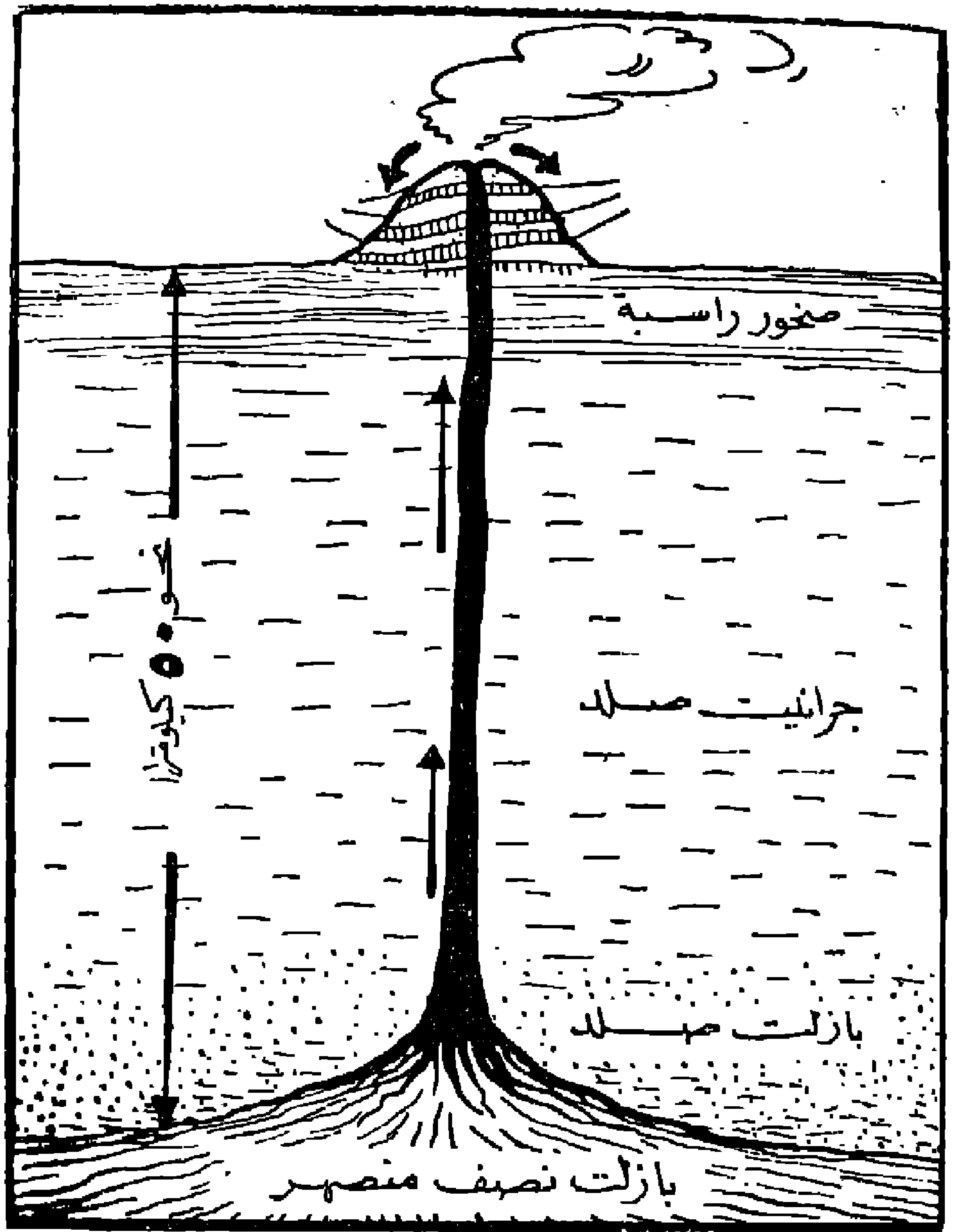
ولكن يتناقض مع سيولة لب الارض ظواهر تدل على ان هذا اللب له صلابة وتماسك فوق صلابة الزجاج وتماسكه بل فوق صلابة الفولاذ . دل على ذلك فيما دل ما حدث ويحدث فى الارض من زلازل . فمن مراكز هـذه الزلازل

تخرج موجات ارتجاف تسرى فى الارض ، يرقمها ويسجلها الراقمون فى المراصد حيث كانوا من سطح الارض . ومن هذه الموجات ما يمر ببطن الارض فيدل عليه . ومنهـــا ما يمر بسطح الارض فيدل عليه . واذا كان موضع التسجيل بعيدا عن مركز انطلاق الزلزلة ، مرت الموجات بجوف الارض فيما تمر به ، ومن دراسة هذه الموجات التى مرت وتمر فى جوف الارض استدلوا على ان هذا الجوف له صلابة فوق صلابة الفولاذ .

وهنا يتساءل المرء : كيف تكون صلابة مع سيولة ؟

والجواب قد يكون اننا هنا نتحدث عن جوف للأرض منصهر سائل ، ولكنه واقع تحت ضغط هائل . ان الضغط على عمق ٥٠ كيلو مترا يبلغ ٢٠٠٠٠ ضغط جوى اى نحو ٣٠٠٠٠٠ رطل تقع على سطح كل بوصة مربعة ، فما بال الضغط عند ٥٠٠ كيلو مترا ، او عند الالف او الالفين من الكيلو مترات ، او عند مركز الارض وهو على بعد ستة آلاف من الكيلو مترات فما فوقها عمقا . ان مادة جوف الارض ، وهى واقعة تحت هذه الضغوط العالية ، تنضم جزيئاتها او ذراتها انضماما يذهب بميوعتها ، فتتخلق وتتطبع وتنقل موجات الزلازل بمثل ما يتطبع ويتخلق وينقل الفولاذ والزجاج .

ولكنك ان رفعت هذا الضغط ، ظهرت طبيعة جوف الارض : مادة سائلة منصهرة . وهى هكذا تظهر عندما يزيد سطح الارض برودة ، فينكمش ، فيتشقق ، فتعفى هذه الشقوق مصهور الصخر فى بطن الارض من ضغط واقع عليه فيمتد فيها . وقد تمتد الشقوق الى سطح الارض فيمتد وراءها الصخر المنصهر فيخرج متدفقا من سطحها بركانا يقىء حمما



رسم ايضاحي لبركان ثائر

ومتوسط كثافة الارض يبلغ ضعف كثافة الصخور التى منها تتألف قشرة الارض . ومعنى هذا أن جوف الارض له من الكثافة اضعاف ما للسطح الارض من كثافة . وهى تبلغ فى لب الارض عشرة اضعاف كثافة الماء او اثنى عشر ضعفا .

وبينا قشرة الارض ، تحت ما على الارض من رواسب ، تتألف من صخور ثقيلة كالجرانيت ، يعقبه البازلت ، يغلب ان يتألف لب الارض حول المركز من معادن ثقيلة كالحديد والنيكل (١)

---

(١) للعلماء آراء عن جوف الارض مختلفة ، منها القديم ومنها الحديث الاحدث . ولكن مهما اختلفت هذه الآراء فهى لا تؤثر شيئا فيما نستهدف من اثبات وحدة هذا الوجود ، وما فيه من تنسيق وتدبير وراءها جميعا ، على ما سوف ندعى ، مشيئة واحدة

الارض ، صخورها وعناصرها

ليس للانسان من الارض الا قشرة رقيقة على ظهرها

تحدثنا فى ايجاز عن جوف الارض ، فتحدثنا بذلك عن الكثرة الكبرى من الارض . لان أكثر الارض جـوف . فالسطح الذى نستطيع ان نلمسه يدا ، أو نراه عينا ، أو نكشف عنه حفرا ، شىء من حيث السمك يتضاءل كل التضاؤل اذا قرناه بسمك الارض ، بقطرها . ومع هذا فعلى هذه القشرة ، الكبيرة السمك فيما تعودنا نحن ، بنى الناس ، ان نقدره من سموك ، الضئيلة السمك بالقرآن بالذى يتصل بالارض من سموك وابعاد ، على هذه القشرة نحيا ، ومنها نستمد العيش ، وعليها ومنها يحيا كل حيوان ويستمد عيشه ، وفى تربتها ينبت النبات ، غذاء لكل من درج على هذه القشرة من كل ذى حياة وذات حياة

وان تكن فى جوف الارض حركة ، ففى هـذه القشرة الف حركة وحركة . ولا اقصد حركة الاحياء ، ولكن اقصد حركة الجماد

الماء والهواء والشمس تغير من قشرة الأرض

ان هذه القشرة الارضية فى حركة دائمة ، ففى تغير دائم . يهتز البحر بالموج فيؤثر فيها . ويتبخر ماء البحر ، تبخره الشمس ، فيصعد الى السماء فيكون سحبا تمطر الماء عذبا ، فينزل على الارض متدفقا ، فتكون السيول

وتكون الانهار ، تجرى فى هذه القشرة الارضية فتؤثر فيها. تؤثر فى صخرها فتحله ، فتبدل فيه من صخر صخرا . وهى من بعد ذلك تفتته وتسحقه . وهى من بعد ذلك تحمله وتنقله . ويتبدل وجه الارض على القرون ومئات القرون وآلافها . وتعمل الثلوج الجامدة بوجه الأرض ما يفعل الماء السائل . وتفعل الرياح بوجه الارض ما يفعل الماء . وتفعل الشمس بوجه الارض ما يفعله الماء والريح، بما تطلق على هذا الوجه من نار ومن نور . والاحياء على الارض تغير من وجهها كذلك . ويغير منها ما ينبثق فيها من جوف الارض من براكين

العالم الجيولوجى يحدثك عن صخور الأرض

وتسأل عالم الأرض ، العالم الجيولوجى ، عن صخور هذه القشرة فيعدد لك من صخورها الشيء الكثير . ويأخذ يحدثك عن أنواعها الثلاثة الكبرى

يحدثك عن الصخور النارية ، تلك التى خرجت من جوف الارض الى ظهرها ، صخرا منصهرا ، ثم برد . ويضرب لك منها مثلا بالجرانيت والبازلت . ويأتيك بعينة منها يشير لك فيها الى ما احتوته من بلورات ، بيضاء وحمراء أو سوداء ، ويقول لك ان كل بلورة من هذه تدل على مركب كيماوي ، له كيان بذاته ، فهذه الصخور اخلاط. ويلفت فكرك الى انه من هذه الصخور النارية ومن اشباهها تكونت قشرة هذه الارض عندما تمت الارض تكونا فى القديم الاقدم من الزمان . ثم قام يفعل فيها الماء ، هابطا من السماء أو جاريا فى الارض ، أو جامدا فى الثلج ، وقام يفعل الهواء ويفعل الريح ، وقامت تفعل الشمس ، قامت جميعها تغير من هذه الصخور ، من طبيعتها ومن كيميائها ، فولدت منها صخورا غير تلك الصخور حتى ما يكاد يجمعها فى منظر أو مخبر شيء

وقد يزيد العالم الجيولوجي حديثا فيذكر لك ان قاعدة القارات ، تلك القاعدة التى لا تبين لانه غطاها وجه الارض المتغير ، هذه القاعدة من جرانيت . ثم هو يذكر لك انه فى قاع البحار والمحيطات يوجد البازلت ، فهـو من تحت الجرانيت قابع ، وهو منه أثقل . وقد يقول لك « لانه منه أثقل » ، ضاغطا على «لانه» ، يريد ان ينبهك ان ثقله هو السبب فى هبوطه يوم كانت مادة الارض منصهرة مائعة

وينتقل بك الجيولوجي الى الصنف الاكبر الثـانى من الصخور ، الى الصخور التى أسموها بالمترسبة أوالراسبة. وهى تلك الصخور التى اشتقت ، بفعل الماءوالريحوالشمس او بفعل الاحياء ، من صخور أكثر فى الارضأصالة ، وأعقد. واسموها راسبة لانها لا توجد فى مواضعها الاولى . انها حملت من بعد اشتقاق من صخورها الاولى ، أو وهى فى سبيل اشتقاق ، حملها الماء او حملتها الريح ، ثم هبطت ورسبت واستقرت حيث هى من الارض

ويضرب لك الجيولوجى مثلا للصخور الراسبة بالحجر الجيرى الذى يتألف منه جبل كجبل المقطم ، ومن حجره تبنى القاهرة بيوتها . ويقول لك انه مركب كيماوى يعرف بكربونات الكلسيوم ، وانه اشتق فى الارض من عمل الاحياء أو عمل الكيمياء . ويضرب لك مثلا بالرمل ويقول لك ان أكثره اكسيد السيلسيوم ، وانه مشتق كذلك . ومثـلا آخر بالطفل والصلصال ، وكلها من أصول سابقة

كيف تولدت تربة الأرض ، فزرع الانسان

وتسأل عن هذه الأصولالسابقة التى منها اشتقتتلك الصخور الراسبة ، على اختلافها ، فتعلم انهـا الصخور النارية . بدأت الأرض عندما انجمد سطحها من بعـد انصهار ، فى قديم الأزل ، ولا شىء على هذا السطحالمنجمد

غير الصخر الناري . ثم جاء الماء وجاءت البحار وتفاعل الصخر الناري والمـاء ، وشركهما الهواء ، شركهما غازات متفاعلة ، وشركهما رياحا عاصفة . وشركتهما الشمس ، نارا ونورا . وتفاعلت كل هذه العوامل جميعا ، وفقـا لمـا أودع فيها من طبائع ، فغيرت من صخر ناري صلد ، غير نافع ، الى صخر نافع . صخر ينفع في بناء المساكن، وصخر ينفع في استخراج المعادن . وأهم من هذا ، وأخطر من هذا ، أنها استخرجت من هذا الصخر الناري الصلد، الذي لا ينفع لحياة تقوم عليه ، استخرجت تربة ، رسبت على سطح الأرض ، مهدت لقدوم الأحياء والخلائق

ان الجرانيت لا ينفع لحرث أو زرع أو سـقيا ، ولـكن تنفع تربة هشة لينة خرجت منه ومن أشباهه . وبظهور التربة ظهر النبات . وبظهور النبات ظهر الحيوان ، وتمهدت الأرض لقيـام رأس الخلائق على هـذه الأرض ، ذلك الانسان ...

ولو شئنا لزادنا العالم الجيولوجي حديثا ، وزاد علما ممتعا طريفا

ولكن هـذه التفاصيل سـوف تزحمنـا ونزحمها وسوف تنسينا الغاية التي نستهدفها من ايضاح ما في هذا الـكون من وحدة

عناصر الكون من عناصر الارض

ان الارض بعض الكون . وليس أظهر في وحدة الاشياء ، وما نبغي من ابانة الوحدة في أصولها ، كالبحث في وحدة تركيبها . ونحن نبغي الآن التعرف على أصول منها تركبت الأرض ، لنقرنها بعد ذلك بأصول منها تركب سائر الكون، لنقول بعد ذلك انها أصول سـواء ، في تركيب أرض أو تركيب سماء

والذى يهمنا الساعة من تركيب الارض ، ليس هو صخور تركبت منها ، ومركبات تألفت منها هذه الصخور ، ولكن غناصر تركبت منها هذه المركبات وتألفت منها بعد ذلك الصخور

ان العناصر التى تألفت منها قشرة الارض ، بلغت نحوا من التسعين عنصرا . ولكن الكثير من هذه العناصر غير ذى بال ، فهو فى الارض قليل الوجود نادر . وبلغ الشائع فى الأرض من العناصر نحوا من عشرين عنصرا . يتقدمها جميعا من حيث الكثرة الاكسجين ، يتبعه عنصر السلكون ، ومن السلكون والاكسجين تتركب أكثر رمال الصحراء . ويتبعهما فى الانتشار عنصر الالمنيوم . السيليسيوم وهذه العناصر الثلاثة تؤلف ، متركبة ، أكثر تربة الارض . يجىء من بعد ذلك الحديد فالكلسيوم والصديوم فالبوتسيوم فالمغنسيوم فالادروجين ، وهلم جرا

ولسوف نذكر هذا ، واكثر من هذا ، عندما نتحدث عن عناصر يتألف منها الكون أجمع

ولسوف نرد مواد الكون جميعا الى عناصر واحدة

ولسوف نرد ، حتى هذه العناصر جميعا ، الى اصل او اصول واحدة

فهل شىء ، فى معنى الوحدة ، ابلغ من هذا ؟

ولكن صبرا صبرا

الباب العاشر

جوّ الأرض

بحر من هواء نعيش في أعماقه

من الهواء أنفاسنا والاجسام

ان الارض كرة تلفها قشرة من صخر

وتلف اكثر الصخر ، طبقة من ماء

وتلف الصخر والماء جميعا طبقة من هواء

وهى طبقة من غاز سميكة ، كالبحر ، لها اعماق . ونحن ، بني الناس ، والحيوان ، والنبات ، نعيش فى هذه الاعماق هائمين بالذى فيها

فمن الهواء نستمد أنفاسنا ، من اكسجينه . ومن الهواء يبنى النبات جسمه ، من كربونه ، بل من اكسيد كربونه ذلك الذى يسميه الكيماويون ثانى أكسيد الكربون . يبنى النبات جسمه من اكسيد الفحم هذا . ونحن نأكل النبات ، ونأكل الحيوان الذى يأكل النبات ، ومن كليهما نبنى أجسامنا . بقى من غازات الهواء النتروجين ، أى الازوت ، فهذا لتخفيف الأكسيجين حتى لا نحترق بأنفاسنا . وبقى بخار الماء وهذا لترطيب الهواء . وبقيت طائفة من غازات أخرى ، توجد فيه بمقادير قليلة ، هى ، فى غير ترتيب ، الارجون والهليوم والنيون وغيرها . ثم الادروجين . وهذه تخلفت على الاكثر فى الهواء من بقايا خلقة الارض الاولى (١)

---

(١) لغازات الهواء وظائف أخرى غير ما ذكرنا . منها وظائف تتصل بوقاية الحياة من التلف . وسوف نذكر كل ذلك فى كتابنا ، « مع الله فى الارض » . فنحن فى كتابنا هذا الحاضر نتركز على الارض بحسبانها كوكبا من بين كواكب ، لامنبت حياة . الا ماتدعو اليه الضرورة من ذلك

لولا ضغط الهواء لخرج من أجسامنا ماؤها وفسدت الدماء

نحن اذا على سطح الارض ، فى أعماق هذا البحر الغازى، سعيدون . وبشىء آخر نحن كذلك فىهذه الاعماق سعداء . ذلك ضغط هذا الهواء فى هذه الاعماق . انه يضغط على كل شىء ، وعلى أجسامنا ، بثقل منه نحو من كيلو جرام على السنتيمتر المربع الواحد من جلودنا وظاهر أغشيتنا ، او فوق هذا القدر ببضع عشرات من الجرامات . وهـذا الضغط يحفظ علينا دماءنا وماءنا ، وعلى سائر الحيوان ، فلا يخرج من أغشية ومن جلود

تقيدنا بالارض ، ولصالحنا كان القيد

ونحن مقيدون بالارض ، والانسان يكره القيد ، ولصالح الانسان كان هذا القيد

ان الانسان لو ذهب فى الارض سفلا طمره الصخر ، ولو زاد تسفلا سلقه بطن الارض . وان ذهب سفلا فى البحر اغرقه البحر . وهو ان ذهب فى الهواء علوا ، كان لعلوه حد . ان الهواء فى هذه الأعالى يتخفف . ويقل أكسيجينه فيتعذر التنفس . ويدخل الصاعد فى الهواء فى أدوار الموت، ومن أولها فقدان الوعى

عن حكمة اذن كانت جاذبية الارض ، وكان ربط الناس بسطح هذه الارض

حتى الطير ، وهو حر فى انطلاقه ، لحريته حدود ، هى حدود كل ذى حياة على هذا الكوكب

لماذا ازرقت السماء

وشىء آخر يسديه الينا هذا الهواء : ذلك النور المنتشر نهارا فى الفضاء ، وزرقة هذه السماء

ان نور الشمس ينفذ الينا بعد نفاذه من هذه الطبقـــة

السميكة التى فوقنا من هواء . وهو يلقى جزيئات الهواء فيتشتت عند لقائها . ونور الشمس به ألوان قزح ، قوس قزح ، أحمر وبرتقالى وأصفر وأخضر وأزرق ونيلى وبنفسجى . وهى ألوان تمثلها موجات . وهى موجات طويلة فى الطرف الاحمر من هذا الطيف ، وهى قصيرة فى الطرف الازرق ، وشبه الازرق ، منه

ان الضوء كله يتشتت جزء منه عند اصطدامه بجزيئات الهواء ، فتكون منه تلك النشوة التى تغمرنا نهارا من رؤية ما نرى من الكون وقد غمره هذا الضياء

ولكن اللون ذا الموج الاقصر ، أللون الازرق وشبه الازرق، أكثر تشتتا بالهواء من اللون الاحمر . فاللون الازرق يصل الينا مشتتا ، ولسائر ألوان الطيف غامرا ، ومن أجل هذا تظهر السماء لنا ، نهارا ، وفى الصحو ، زرقاء

لماذا احمرت الشمس عند غروب وعند شروق

وتغيب الشمس او تطلع . وهى فى غروبها وشروقها ، يحول بيننا وبينها طبقة من الهواء اسمك ، واسمك كثيرا. ذلك لان أشعتها تدخل طبقة الهواء أفقية او تكاد فتمر فى هواء اكثر . وفى هذه الطبقة السميكة أكبر السمك، يتشتت اللون الازرق على عادته أكثر التشتت ، ولكنه يضيع فى هذا السمك الكبير قبل ان يصل الينا .. وبذلك تظهر الشمس حمراء

وكيف كان الشفق ، فى امساء واصباح

والشمس من بعد غروب ، ومن قبل شروق ، يصل الينا ضياؤها شفقا . انه ضياؤها ولكن لا يصل الينا مباشرة . انه يصل أولا الى الطبقات العالية من الهواء الجوى فيتبعثر على جزيئات هذا الهواء ، فيصل الينا ضياء غير مباشر . ضياء تكسر ، فحاد عن سبيله ، فسلك سبيلا الينا فيما

سلك من سبل . وهو ضياء بحكم الحال ضعيف . والشفق باق ما مست اشعة الشمس من طبقات الهواء طبقة . ومن بعد ذلك ، غروبا ، او من قبل ذلك ، شروقا ، يخيم على الارض ظلام حالك ، الا نورا يأتيها من النجوم أو يأتيها من القمر فى الساعات التى يبين فيها

انه لولا هذا الغلاف الهوائى الجوى ما كان للارض شفق، ولانقلب نور الشمس على الأرض ظلاما دامسا ، بغتة ، عند غروب . او لانقلب ظلام الليل نورا باغتا ، عند شروق

لولا الهواء لرأينا النجوم ظهرا

واعجب من هذا وهذا ، انه لولا هذا الهواء الذى يلف الارض لرأينا نجوم السماء نهارا جهارا . لرأينا نجوم السماء ظهرا . لرأيناها ظهرا ، نقاطا من ضياء فى صحيفة من السماء سوداء . ورأينا الشمس على هذه الصحيفة السوداء قرصا أبيض ، لا أقل ولا اكثر

ان الهواء هو الذى يبعثر ضوء الشمس نهارا ، فيحجب عنا اضواء تأتى من نجوم السماء . وهو يرينا السماء بيضاء ، وما هى ببيضاء . ان الذى ابيض انما هو هذه الطبقة من الهواء

واذا نحن علونا فى الهواء ، حتى تركناه وراءنا ، نهارا ، اذا لوجدنا انفسنا فى ظلام . واستحال النهار ، بدون هواء ، الى ليل . وتراءت النجوم فى السماء كما تتراءى فى سماء ليل . والشمس نفسها تتراءى كنجم ، ذى قرص كبير ، ومن حولها سواد . انه سواد الليل . انه سواد بنهار

لا هواء بعد ٥٠٠ ميل

ونتحدث عن طبقة هذا الهواء ، ونتحدث عن صعودنا فيها حتى نفوتها . فكم نصعد حتى نفوتها

قلنا ان الهواء يخف كلما صعدنا ، لان جاذبية الارض له

تقل كلما بعد عنها . والضغط يقل . ولو ان ضغط الهواء كان واحدا اذا لكان سمك الهواء نحوا من خمسة أميال . ولـكن تخففه هـذا المتدرج يصل به الى نحو من ٥٠٠ ميل . ولـكنه قبل ذلك يتخفف تخففا كبيرا

ان قطر الارض ، عند خط استوائها ، يبلغ نحو ٨٠٠٠ ميل . فقطرها مع غلافها الهوائى يبلغ اذا ٩٠٠٠ ميل

نتحدث عن الهواء استهدافا لوحدة الكون

تحدثنا عن جو الارض ، جوها الهوائى ، لنفع هذا الحديث فى ذاته . ولكنا تحدثنا على الاكثر لنفعه عند مقارنة هـذا الكوكب الارضى بسائر الكواكب ، زحفا الى الهدف الاول من هذه الاحاديث ، ذلك ايضاح مافى الكون من توحيد ، على الرغم من المتشابه فيه والمتفارق

عمر الارض

عمر الفرد من الناس على هذه الارض ستون عاما ، او سبعون ، أو ثمانون ، وقد يتجاوز المائة . والناس تتساءل عن اعمارها . ثم ينمو اوعى فيهم فيخرج بهم عن اعمارهم الى اعمار ما حولهم : هذه التربة ، هذه الرمال ، هذه الجبال ، هذه الانهار ، هذه البحار . . . بل هذه الارض كلها ، بل هذه الشمس ، بل هذه النجوم ، بل هذا الكون اجمع

ويرى الانسان الكون فى تغير ، فيحسب ، بحكم الطبع ، انه لأمد لا لأبد . وينظر الى الوراء فيحدس انه عند شيء ما ، وفى زمن ما ، بدأ

الاقدمون وعمر الارض

ورجم القدماء فى عمر الارض مارجموا . وكان أقربهم ظنا ، لما ظن العلم والعلماء ، الهنود القدماء . جاء فى كتب الحكمة القديمة عندهم ان الدنيا خلقت فى يوم . وهو يوم من ايام برهما . وبرهما عندهم اله ، وهو أول الثالوث (برهما ، فشنو ، سيفا) الذى تتمثل فيه القوة فى هذا الكون ، وهو مصدر هذا الوجود

ويوم برهما ، هذا الذى خلقت فيه الدنيا ، قدروه بـ ٤٫٣٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ عام . وقسموا اليوم الى ١٤ ساعة ، كل ساعة مقدارها ٣٠٨٫٤٤٨٫٠٠٠ عام ، يضاف اليها ١٫٧٢٨٫٠٠٠ من الاعوام هى شفق هذا اليوم . ومن بعد

شفق يبدأ الليل . وعند الليل يدخل هذا الكون المحدود في لا نهائية هذا الوجود

وتسأل الهندى البرهمى : ففى أى ساعة من هذا اليوم نحن الآن ؟ فيجيئك الجواب اننا فى الساعة السابعة ، اى فى نحو ظهر هذا اليوم . وانا ، بناء على هذا التقويم ، فى السنة الـ ١٫٩٧٢٫٩٤٩٫٠٤٨ منذ أن كانت الأرض

فهذا الرقم هو عندهم عمر الارض بالسنين

والعجيب فى الامر ان هذا الرقم قارب ان يكون الرقم الذى خرج به العلماء على أنه عمر الارض . فعمر الارض عندهم ، منذ بردت قشرتها من بعد انصهار ، هو ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ، أى بليونان من السنين ، أو يزيد

وأنت لابد سائل كيف عرفوه . واليك الجواب

عمر البحار على ظهر الارض

ان أول شيء استدلوا منه على عمر الارض هو عمر ما عليها من بحار مالحة . ان ملوحة البحار تزداد عاما بعدعام. تخرج الشمس الماء من البحار عذبا ، وتجريه الرياح سحبا، ثم هو يهطل على الأرض اليابسة امطارا ، فيغمر جبالها ويجرى فىسهولها أنهارا ، ثمهو يعودالىالبحار مرةأخرى. ولكنه يعود وما حمل من ملح الارض اليابسة ، من شتى صخورها ، ما حمل

وقدروا حجم ماقى بحار الارض من ماء فكان ١٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو مترا مكعبا

وقدروا ملوحتها فكان متوسطها ٣ جرامات فى كل مائة من الماء حجما

وقدروا ماقى هذه البحار من ملح فبلغ نحوا من ٤٠ ألف مليون مليون طن

وقدر الجيولوجيون كم تحمل مياهِ الامطار والسيول

والانهار ، من ملح الى هذه البحار ، كل عام فكان نحوا من ٤٠٠ مليون طن

وبالقسمة البسيطة يخرج لنا ان عمر البحار ١٠٠ مليون عام

ويتقدم الزمن فيكون اعتراض على مقدار مايدخل البحار من ملح كل عام . اعتراض يختص بالتحاليل ، وأوان التحاليل ، وانه قل منها ما يجرى والانهار فى فيضانها . وكذلك اعتراض على الاصول . ويقفز عمر البحار من مائة مليون عام الى ٢٥٠ مليونا

هذا على زعم ان أثر الاملاح فى صخور الارض ظل واحدا فى الاحقاب المختلفة من الزمان . ولكن ، هل كانت الاحقاب واحدة فى تزويد البحار والمحيطات بملحها ؟

وينظرون الى الجبال الحاضرة ، وما نحر الماء منها ، وما صب فى البحر . وينظرون الى تواريخ الجبال كما سجلها الصخر . ويعلمون انه كانت جبال فانبطحت ، وأخرى فانبطحت ، وانه جاء على الارض أحقاب غمر فيها ماءالبحر الكثير من الارض ، فقل تزويد الماء العذب له بما يحمل من الصخر الجاف اليه من ملح . فملوحةحقبتنا هذه الحاضرة اشد ، وما استمده البحر فى حقب من الزمان سالفة أخف

ويقفز عمر البحار ، وهو من عمر الارض ، فى التقدير ، بناء على هذا ، الى ١٥٠٠ مليون عام ، أو نحوها

وعمر الارض ؟

لابد قبل ذلك . فهذا الماء كله كان بخارا . وهو انتظر طويلا حتى بردت الارض ، فبلغت دون درجة غليان الماء ، وعندئذ تكثف البخار فكان منه الماء وكانت البحار

عمر الصخور على سطح الارض

تقدير تقريبى لاشك فى هذا ، تقدير عمر البحار هذا ويطلب العلماء طريقة أدق

لو ان فى الصخر ساعة ، ظلت تدق من يوم ان كان الصخر سائلا ، الى يومنا هذا ، لا يؤثر فيها دفء ولا برد ، ولا تؤثر فيها زلزلة او سكون ، لقرأنا هذه الساعة اليوم ، وعلمنا منها عمر الصخر ، فعمر الارض

ووجدوا هذه الساعة آخر الأمر

انه اليورنيوم اذ ينحل

ان الدنيا كلها سمعت باليورنيوم . ان القنبلة الذرية انما هى قنبلة يورنيوم . واليورنيوم معدن ، أو كما يقول الكيماويون فلز . وهو عنصر . وهو فى القنبلة الذرية يهيأ بحيث ينشق ، بحيث تنشق ذرته ، او على الادق نواته ، فى نحو منتصفها ، فيتحول الى عناصر لها ذرات أو نويات دون نواة اليورنيوم ثقلا ، ودونها شحنة . فاليورنيوم ، ذلك الذى وزن ذرته ٢٣٥ ، ينشق ، فيما ينشق اليه ، الى عنصر البريوم المعروف ، بل الى صورة من صوره ، وهو عنصر وزنه الذرى نحو ١٣٧ . وكذلك ينشق الى كربتون ، وهو غاز معروف ، وهو عنصر وزنه الذرى نحو ٨٤

تتهتك الذرة اليورنيومية اذا ، وتتكسر ، ومن الكسر الناتجة تتألف عناصر أصغر ذرة . ولكن أوزان هذه الكسر التى اليها تكسرت ذرة اليورنيوم ، اذا جمعناها جمع حساب ، وأحصيناها ، وجدناها تقل وزنا عن مقدار اليورنيوم الذى به بدأنا

فأين ذهب هذا الفرق ؟ اين ذهبت هذه المادة الناقصة ؟ انعدمت ؟

لا . وانما تحولت الى طاقة أنتجت قوة هائلة ، هى قوة القنبلة الذرية اذ تتفجر

وكما يتحول اليورانيوم يتحول أخوه ، الاقل منه ثقلا ذلك الثريوم

وكلاهما فلز . كلاهما معدن . ووزن ذرة اليورنيوم ، او من أوزانها ، ٢٣٨ . ووزن ذرة الثريوم ٢٣٢

وكلاهما يوجد فى الطبيعة ، فى صخور الارض

واليورانيوم يتحول فى الطبيعة غير تحوله هذا الذىذكرنا عند ذكر القنبلة الذرية . ان فى القنبلة الذرية تنشق ذرة اليورانيوم عند نحو نصفها غالبا ، ومن اجل هذا يخرج منها عناصر ذراتها قريبة الوزن من نصف ذرتها . أما فى الطبيعة ، وبين صخور الارض ، فتنشق ذرة اليورنيوم الى رصاص ، وهو معدن ، والي الفاز المعروف ، ذلك الذى استخدم لخفته يوما فى رفع المناطيد ، ذلك الهليوم . وهو أخف العناصر بعد الادروجين

وكما يتحول اليورانيوم فى الصخر ، يتحول الثريوم

ساعات فى الصخر أدق ألف مرة من ساعات الارض

ومن العجيب : أن تحولهما الى الرصاص يجرى بانتظام على الزمن عجيب . يجرى بسرعة بطيئة ، نعم ، وهى غاية البطء . ان جرام اليورانيوم يعطى ، وهو يتحول ، فى العام الواحد جزءا من ٧٫٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جزء من الجرام رصاصا . والجرام الواحد من الثريوم يعطى جزءا من ٢٨٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جزء من الجرام رصاصا . سرعةغاية فى البطء ولكنها منتظمة . تنتظم انتظاما لاتعرفه ساعات الارض ، ساعات الناس .

ومن العجيب : ان هذا التحول يجرى على هذا الانتظام الرائع رغم كل شىء ، فلا تؤثر فيه حرارة ، ولا يؤثر ضغط ، مهما علا . الا ان تبلغ الحرارة بلايين الدرجات ، كما حسب عالم ، والا ان يبلغ الضغط بلايين من ضغوط كضغط جونا هذا الارضى

فتلك هى الساعة ، بل الساعات ، التى أودعها صانع هذا الصخر ، بطن الصخر ، فكشفنا عنها ، وقرأناها . ومنها احصينا كم من السنين مضت منذ ان تكون هذا الصخر

احصينا الصخر ، كم فيه من يورنيوم وثريوم . واحصينا كم يصحب هذا اليورنيوم والثريوم من رصاص . وحسبنا كم من السنين كفت ليتحول هذا القدر من يورنيوم وثريوم الى هذا القدر من الرصاص .

وخرجنا للصخور على أعمار متفاوتة ، قارب أقصاها ان يكون ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الأعوام

فألفا مليون من الاعوام هو عمر الصخر

وألفا مليون من الاعوام هو عمر الارض منذ أن بردت قشرتها فكانت صخرا .

ولكن ، كم استغرقت الارض المنصهرة لتبرد ؟

ان عمر الارض على كل حال فوق البليونين من الاعوام

عظة

ان فى كل هذا لعظة لقوم يتفكرون

ان دنيا الناس جميلة ، دنيا الحياة ، دنيا الشراب والطعام ، دنيا الانفاس . وهى عجيبة . وهى رائعة . ولكنها قصيرة . والذى يذكر منها الناس قليل ، لقصر الاعمار . ونحن نسمى عصور ماقبل الاسلام ، وعصور ماقبل المسيح ، بالعصور العتيقة . ومصر الفرعونية نتحدث عنها فنقول مصر القديمة ، لانه مضى عليها بضعة آلاف من السنين .

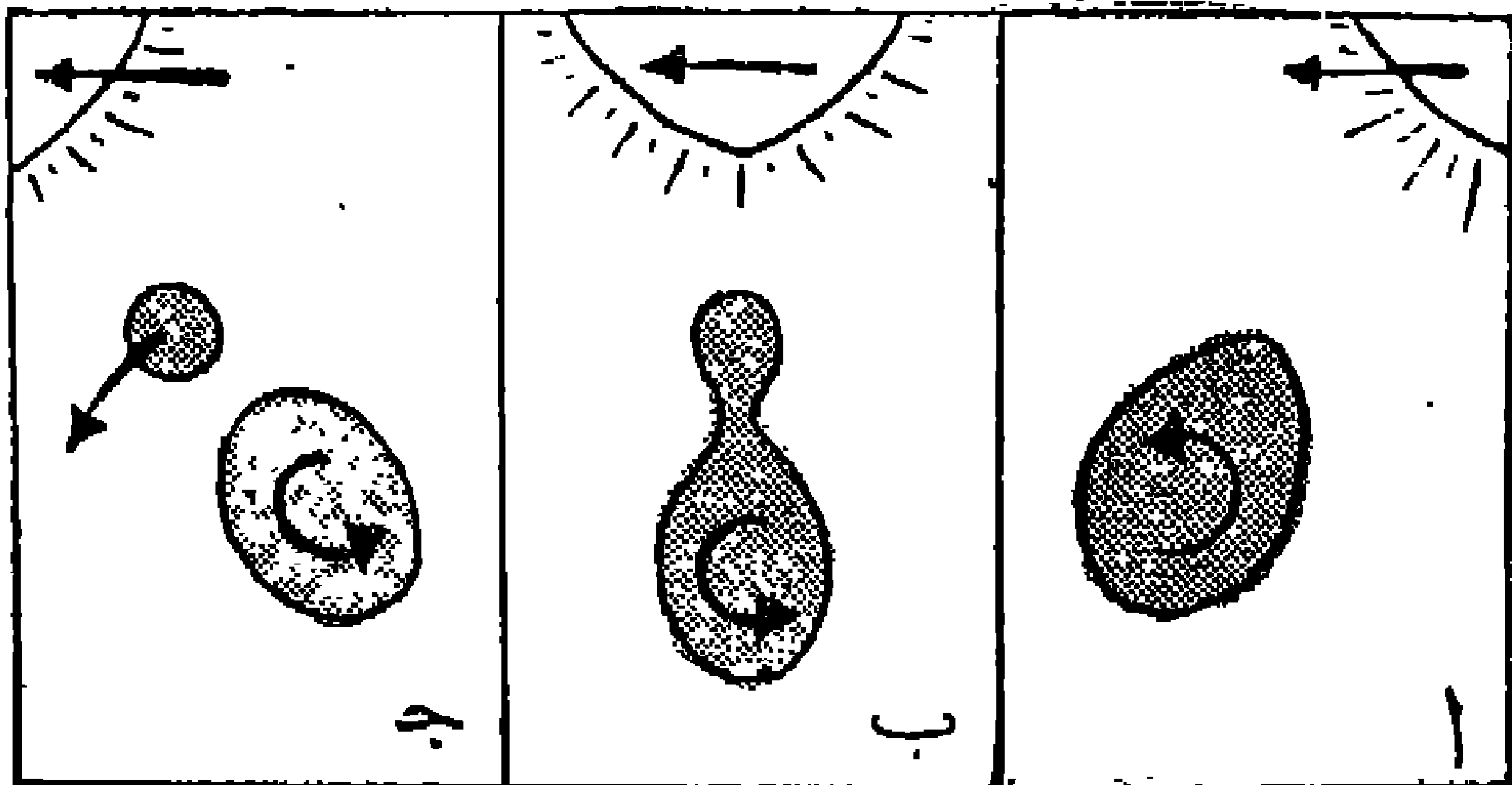
ودنيا الصخر أطول . تلك الصخور التى عايشت الارض منذ كانت ، وتطورت ، ليت لها ذاكرة تعى ، ولسانا ينطق ، فيحدثنا عن تفصيل ما كان ، فى كل حقبة من احقاب ذلك الزمان

وتلك الذرات اليورنيومية ، واخواتها الثريومية ، تلك التى عاصرت الارض فى نشأتها ، حق عليها ، كما حق على الناس ، الفناء . ولكنها قاومت هذا الفناء ولاتزال تقاوم قاومته الف الف الف عام ، بل مثلين من هـــذه الاعوام

أمنا الارض تلد طفلا :
انه القمر

نعم ، انه القمر . قطعة اقتطعت من الارض ، والارض لاتزال مائعة . فان صح هذا ، فعمر القمر من عمر الارض، من عمر قشرتها ، يوم بدأت تتجمد

والذى اقتطع هذه القطعة من الارض الشمس . اجتذبت اليها من الارض طرفا ، ظل يبرز ثم يبرز ، حتى اذا تهيأ للانفصال ، انفصل . كقطرة صغرى من ماء تنفصل عن قطرة كبرى . وكانت الارض تدور ، تدور حول نفسها ، وتدور حول الشمس ، فظل فصيلها ، طفلها ، يدور حول نفسه ، ويتبعها ، فيدور معها حول الشمس



تولد القمر من الارض : جـــذبت الشمس قطعة من الارض ، وهى مائعة ، ظلت تنجذب ، ثم تنجذب ، حتى انفصلت عن الارض . هى القمر . ودارت كما دارت الشمس والارض ، من غرب الى شرق ..

· واستقر القمر اليوم على بعد من أمه الارض متوسطه ٢٣٨٨٦٠ ميل ، ولنقرأه مقربا ٢٤٠٠٠٠ ميل . وقطرالارض نحو من ٨٠٠٠ ميل . فبعد الارض عن القمر نحو من ثلاثين قطرا من اقطار الارض

وقطر القمر نفسه نحو من ٢١٦٠ ميلا ، فهو يزيد قليلا عن ربع قطر الارض

· والارض أثقل من القمر ٨٢ مرة

نذكر هذا كله لننسب الوليد الى أمه ، لتتكون فى ذهن القارىء صورة قريبة من حال هما عليه اليوم فى السماء . وهو حال لاشك تغير كثيرا عن حال كان لهما فى سالف الايام. الايام البعيدة التى نحصيها بالاف آلاف السنين

ما أشبه الوليد بأمه

وأول شيء يهمنا ، فيما نهدف من ايضاح وحدة الكون ، مابين الارض والقمر من تشابه فى التركيب . ان القمر اقتطع من الارض . وعلى هذا الفرض وجب أن يكون تركيبه كتركيب الارض .

ويقول العلماء انه اقتطع من سطح الارض ، والارض على وشك انجماد . ولاتزال فى سطح الارض حفرة هائلة تشهد على هذا الاقتطاع . فذلك هو الحوض ، الذى فيه الماء الغمر ، الذى يعرف بالمحيط الهادى

وانجمد القمر من بعد ذلك ، فوجب ان يشبه الارض من بعد انجمادها .

وننظر الى القمر بالمناظير الحديثة ، ونأخذ بها له صورا ، وننتهى بأن نقول : ما أشبه الوليد بأمه . وهو ان اختلف عنها ، فلأسباب نعلمها كان هذا الاختلاف

بالقمر وهاد وجبال ، وفوهات براكين

ان القمر تراه بالعين المجردة ، بغير منظار ، فتجد فى

وجهه ، وهو بدر كامل ، بياضا يختلط به سواد . وجرى خيال الناس شططا ، أو تفكها ، فخالوا ان للقمر وجها كوجه الرجل . وقالوا الرجل الذى بالقمر يفعل ويفعل . واتخذوا من بقع السواد التى تراها العين فى القمر عيونا . واتخذوا انفا وفما

وكشفت المناظير والصور الفوتوغرافية عن هذا السواد فاذا بها منخفضات هائلة ، فى سطح القمر ، تحيطها مرتفعات كالجبال . وهى وهاد متسعة أشبه شىء بنجاد الارض . ورآها أسلافنا ، بمنظاراتهم القاصرة ، فحسبوها بحارا ، وسموها بحارا ، وماهى ببحار . وظللنا نحن الى اليوم نسميها بأسماء بحار ، سماها بها الاسلاف ، وصلا للذى كان

ويكون القمر هلالا ، ويزحف نور الشمس على جانبه المظلم ، فتتراءى فيه نقاط بيضاء قبل ان يأتيه فيعمه الضياء . انها قمم الجبال علت ، فنالت من الشمس نورا قبل ان ينال سائر ماحولها من وهاد

وتطلع الشمس على هذه الجبال ، أو تغيب عنها ، فترمى وراءها بظلال لها ، تطول عند بزوغ الشمس او غروبها ، ثم تتقاصر . تماما كما تطول ظلال لجبال الارض عند شروق وعند غروب ، ثم تتقاصر ضحى ، وتتزايل أو تكاد ظهرا

وتتقاطر هذه الجبال فيكون منها سلاسل كسلاسل جبال الارض . وأسموها بأسماء جبال الارض ، فسلسلة جبال الالب ، وسلسلة جبال القوقاز وهلم جرا . وتعلو فى هذه السلاسل قمم قد تبلغ ٢٦٠٠٠ قدم فوق مايخيطها من سهول . وأعلى قمة فى الارض ، قمة جبل أفرست بالهملايا بالهند ، ٢٩٠٠٠ قدم (أنظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ٢ ملزمة الصور)

وفوهات فى القمر أشبه شىء بأفواه البراكين ، لهـــا شفاه قامت حولها كشفاه البراكين ، وعدوا من هــذه الافواه على سطح القمر الظاهر لنا ثلاثين ألفا

ليس فى القمر هواء ولا ماء

ونعود فنقول بعد هذا ما أشبه الوليد بأمه .

ولكن الوليد لايشبه أمه فى كل شيء . ان للارض جوا ... غطاء يلفها من هواء . وما بالقمر جو ، وما به غطاء من هواء

ولسبب ظاهر كان للأم غطاء ولم يكن للوليد غطاء

انه جرم الارض وجرم القمر . اختلفا جرما ، فاختلفا جذبا . ان الارض تجذب ماعلى سطحها ، ومن على سطحها بقوة ، هى ستة امثال قوة يجذب بها القمر ماعلى سطحه كبرت جاذبية الارض عند سطحها لما فوق سطحها من جو ، من هواء ، فاستطاعت له حبسا . وصغرت جاذبية القمر ، لصغر جرمه ، فلم تستطع لجوه ، ان هو كان ، حبسا

وبغياب الجو غاب الشفق عن القمر . فالقمر تطلع الشمس عليه بنهار باغت ، وتغرب عنه بليل باغت . ويمر القمر بنجم وراءه . ونرقب ضوء النجم وهو يختفى وراء القمر ، وننتظر من هواء قد يكون عند طرف قرص القمر ، حيث يختفى النجم ، أن يلعب لعبه المعتـــــاد فى ضوء النجم ، فيشتته ، فيحمر ، كما تحمر شمس الارض عند غروب ، فلانجد من احمرار شيئا . ويختفى النجم اختفاء باغتا حاسما

• ليس فى القمر اذا هواء

وليس فيه ماء . ومن الماء سحاب ، فليس فيه سحاب

على سطح القمر الموت والفناء

انه صحراء بلقع . وانه لخراب يباب . ولا نقول ينعق فيه البوم . فحتى البوم لا يقوى فيه على حياة

والهواء والماء ، على أرضنا هذه ، قد تعاونا على تفتيت الصخر وتشتيته ، وحمله وترسيبه ، حتى كانت من ذلك

تربة أمكن فيها الزرع . وتعاونا على نحر الجبال والنجاد ، وملء الوهاد ، فلا تكاد تجد فى شىء كان على الارض أو هو كائن الا أثرا لهدم وأثرا لبناء .

وانت على القمر لاتجد شيئا من ذلك . غاب عنه الماء وغاب الهواء وغابت الرياح ، فغاب التفتت والتشتت ، فالجبال فيه باقية على خشونتها ، باقية على قسوتها ، لم تكد ان تتثلم حدودها ، أو تنبرى أطرافها . والساحات فى القمر لاتزال مبسوطة تحوطها حوائط لاتزال قائمة عارمة تتحدى النازل اليها

وغاب الهواء ، وغاب الماء ، وحضرت حرارة الشمس المحرقة ومابها من أشعة قاتلة . ان الجو على الارض حمى الناس من كثير من ويلات الشمس . ان أشعة الشمس لاتصل الناس على الارض الا وقد صفاها الهواء من خبيث مافيها . وهى تصل الى القمر بكل الذى فيها من شر واتلاف وافناء .

الارض تتراءى فى سماء القمر قمرا

وذكرنا الشمس ، وكيف تشرق على القمر وتغيب . ولم نذكر الارض

ان الارض تفعل للقمر ، مايفعل القمر للأرض . كل يعكس الى كل نور الشمس فيتراءى قمرا

ولو أنك على سطح القمر ، ونظرت الى الارض لوجدتها قمرا فى كبد السماء . وهى تدور فى السماء بمثل الاوجه التى يدور بها القمر فى السماء ، فتكون هلالا ، فبدرا ، فهلالا . وهى تتراءى ، وهى بدر ، اكبر من بدر القمر فى سمائنا مرات أربعا . ولها مثل ضيائه ستين مثلا . انها مرآة عظيمة عاكسة ، يزيد من حسن عكسها ان جوا يلفها . فالاجواء تحسن عكسا للضياء



هكذا تتراءى الارض فى السماء لساكنى القمر ، لو أن له سكانا . تتراءى قمرا يعكس أشـــعة الشمس الى جبـــال القمر ووهاده

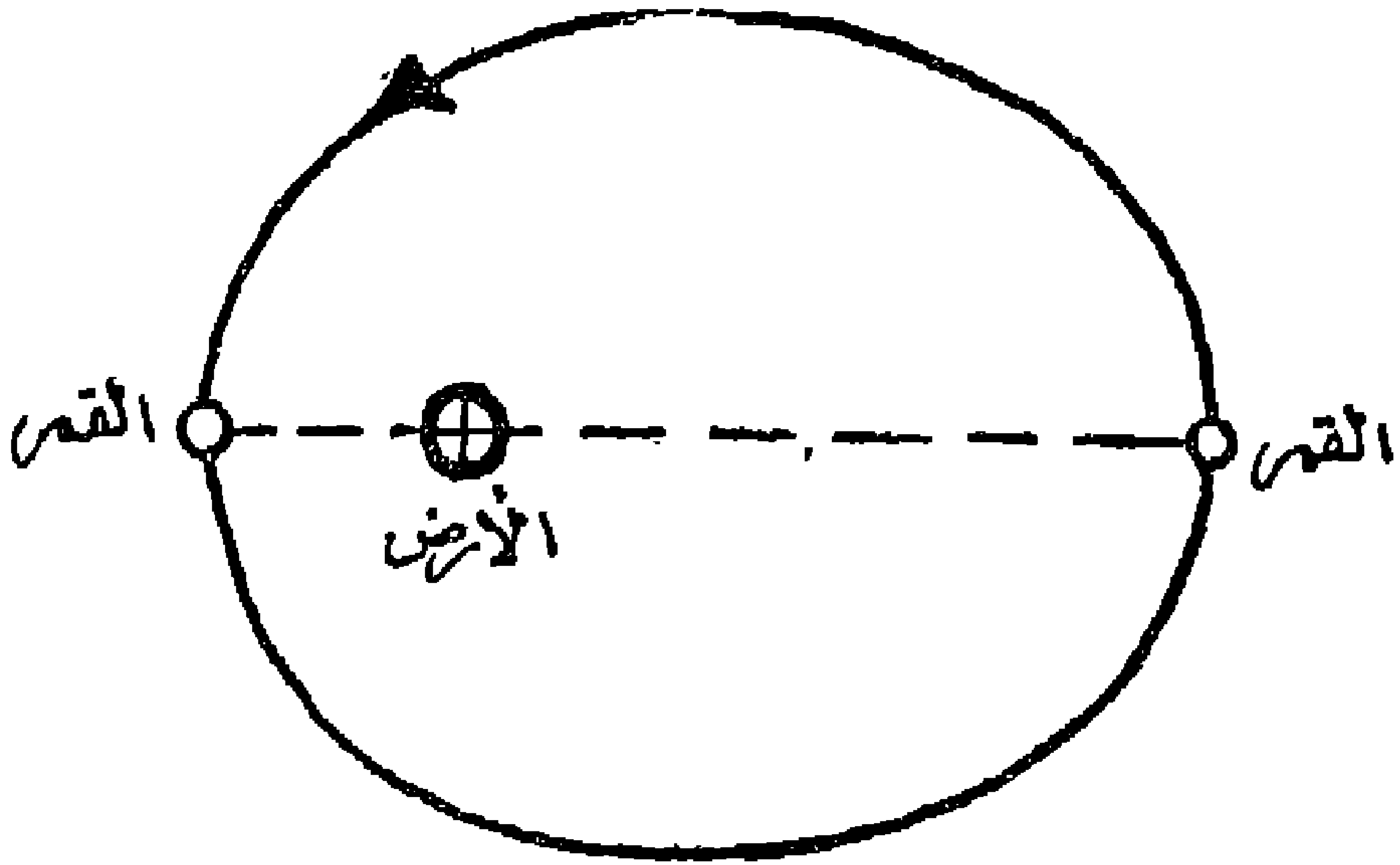
ويبدو القمر فى سمائنا هلالا ويضىء الهلال ويظلم سائر القمر . وحق علينا ان لانراه . ولكنا نراه ولو فى شىء كثير من اعتام . فبأى نور نراه . اننا نراه بنور نحن اليه من الشمس عكسناه . بنور من الشمس عكسته أرضنا اليه . أفليست الارض للقمر قمرا !

القمر يدور ، كالارض والكواكب

ثم لنرجع الى حركة القمر نكشف ما بينه وبين الارض من تشابه ، هو بعض سبيلنا الى التعريف بوحدة الكون

ان الارض تدور حول نفسها ، وتدور حول الشمس

وكذلك يدور القمر حول نفسه ، ويدور حول الارض . وهو يتبع أمه فى دورانها حول الشمس .



مدار القمر حول الارض ، وهو اهليلجى
(مبالغ فى تفرطحه) ، والارض فى احدى بؤرتيه

ومدار الارض ليس بالدائرة الكاملة ، فهو اهليلج . انه مدار بيضاوى احتلت الشمس احدى بؤرتيه . وكذلك مدار القمر ليس بالدائرة الكاملة ، فهو اهليلج . انه مدار بيضاوى احتلت الارض احدى بؤرتيه . ويبعد القمر عنا حتى ليكون بعده ٢٥٢٧١٠ ميلا . ويقترب منا حتى ليكون بعده ٢٢١٤٦٣ ميلا . تنقص المسافة بيننا وبين القمر اكثر من عشرها ، ومع هذا لانحس للقمر باقتراب او ببعاد

ويستغرق القمر فى اكمال دورته حول الارض ٢٧١/٣

من الايام . ولكنها الارض تكون فى أثناء هذا دارت بالقمر حول الشمس فتغير موضعها ، ووجب على القمر أن يلاحقها ليكون فى موضعه بالنسبة لها عندما بدأ دورته حولها اول الشهر . وهو يلحق بهذا الموضع بعد نحو يومين فيكون قد مضى على أول دورته نحو من ٢٩١/٢ من الايام

والقمر يدور فى مستوى حول الارض ، تدور الارض فى مستوى غيره حول الشمس . انهما يكادان يتطابقان ، فميل المستوى على أخيه يبلغ نحوا من ٥ درجات

وكما مال محور الارض على مستوى مداره ، فكذلك مال محور القمر على مستوى مداره ، الا أنه أقل ميلا

ودارت الارض حول نفسها ، ودار القمر حول نفسه

ولكن الارض تقطع مدارها حول الشمس وتتمه بعد أن قد دارت حول نفسها نحوا من ٣٦٥ مرة هى الايام . والقمر يقطع مداره حول الارض ويتمه فى شهر قمرى ، ولكنه أثناء هذا لايكون قد دار حول نفسه الا مرة واحدة

ومن اجل هذا لانرى منه الا وجها واحدا ، الا أن يتأرجح فنرى من جوانب هذا الوجه ، من ورائها ، أطرافا . انه يواجهنا بوجه واحد كلما دار ، ويأبى ان يعطينا ظهره . فليس فى الناس ، من أموات وأحياء ، من رأى للقمر ظهرا

والشمس تدور فى سمائنا من شرق لغرب . وما تدور وانما الارض هى التى تدور على نفسها ، من غرب لشرق . وكذلك يدور القمر على نفسه من غرب لشرق

والارض والقمر كلاهما يدور فى مداره من غرب لشرق . ان « من غرب لشرق » قاعدة هذا الوجود . فلنذكرها عندما نذكر الوحدة

فهذه قصة القمر ، ما أشبهها بقصة الارض ، وبقصص لاجرام فى الكون أخرى ، تعمل فيها ، فى الاصول ، سنن لهذا الكون واحدة

الباب الحادي عشر

الكواكب السيارة

الكواكب قديما وحديثا

من من الناس ، ممن تثقف ، فى قديم الزمان وحديثه ، لم يسمع بعطارد ، وبالزهرة وبالمريخ وبالمشترى وبزحل ؟ أنها أجرام سماوية خمسة أضاءت فى السماء منذ الازل الانسانى كما أضاءت النجوم

الا فرقا واحدا .

أضاءت النجوم فى رقعة السماء ، وثبتت فى مكانها من تلك الرقعة . وتحركت الكواكب فوق هذه الرقعة ، فاختلفت مواضعها ، ودل على هذا الاختلاف ماعلى الرقعة من نجوم ثوابت . فهى كل يوم وكل شهر وكل عام فى موضع. فهى دائبة السير . انها الكواكب السيارة . وسائر اجرام السماء النجوم الثوابت

ولكن القمر كذلك سار فوق رقعة السماء ، وسارت الشمس .

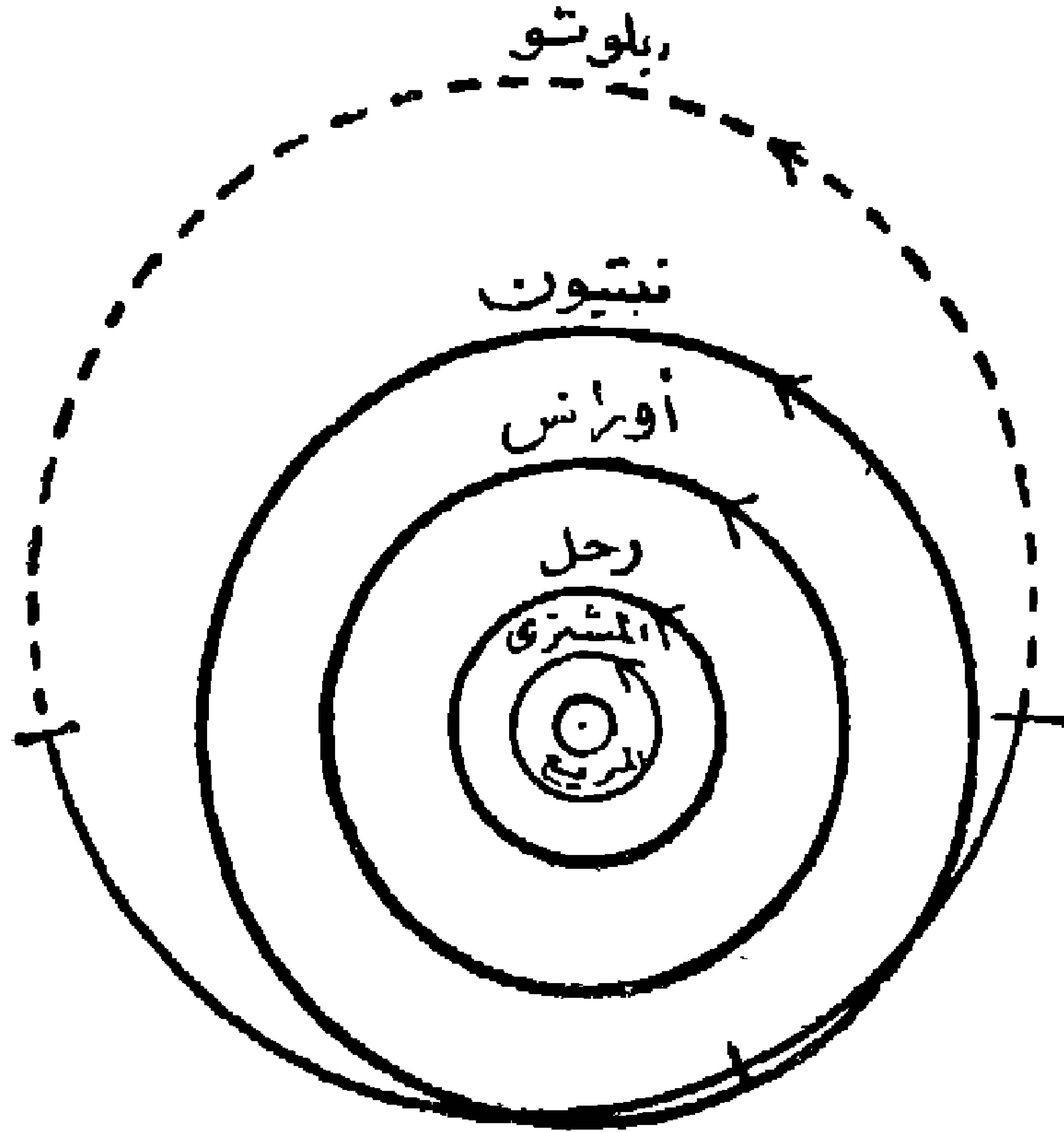
ورأى القدماء فى حركات هذه السائرات غير مانراه اليوم ظنوا أنها حول الارض تدور . وتقدم بنا العلم فرأينا أنها الخمسة جميعا حول الشمس تدور

ودارت الارض حول الشمس ، فعن ذلك كشف العلم الحديث ، فكانت الارض الكوكب السادس . ودار القمر حول الارض ، فلم يكن كوكبا ، بل صار تابع كوكب ، هو الارض . انه قمر . وكل ما دار حول كوكب وكواكب فهى أقمار .

وكشف العلم عن عطارد بأنه أقرب الكواكب ، يدور حول الشمس ، تليه الزهرة ، فالارض ، فالمريخ ، فالمشترى ،

زحل . ان زحل أبعد الكواكب القديمة وارفعها . أفمن
جل هذا قال المعرى :

زحل ، أشرف الـكواكب دارا
من لقـــاء الردى على ميعـــاد



مدارات الكواكب السيارة حول الشمس ، بداخلها مدارات المريخ والأرض والزهرة وعطارد ، ضاق عنها الرسم لصغرها

على أن العلم الحديث كشف عما هو أبعد من الكواكب ، وإذا ارفع واشرف . كشف عن الكوكب اورانس ، وهـــو يلى زحل . اكتشف عام ١٧٨١ . وكشف عن الـكوكب نبتيون ، وهـــو يلى أورانس . اكتشف عام ١٨٤٦ . وكشف عن بلوتو ، وهو يلى نبتيون . اكتشف عام ١٩٣٠ . ولقد سبق ان وصفنا كيف كان ذلك تصديقا لما تنبأ به العلم

فهذه كواكب تسعة

سوى طائفة كبيرة من كواكب سيارة صغيرة ، كويكبات، تقع مابين المريخ والمشترى . ويبلغ عددها نحوا من ١٦٠٠ وقليل منها الكبير . واكبرها سيرس ، وقطره نحو ٤٨٠ ميلا . ولكن قطر الكثرة منها لابد اقل من ٥٠ ميلا ، واقل كثيرا وهى كلها تدور حول الشمس كما تدور السكواكب السيارة . ومجموع كتلتها دون كتلة المريخ . أفكانت هذه الالف والبضع مئات من الكواكب الصغيرة البالغة الصغر ، كوكبا واحدا ، انفجر ، فانتثر ، وعملت فى نثارته الجواذب حتى استقرت حيث هى من مداراتها حول الشمس ، تطيع قوانين الكون كما أطاعت سائر الكواكب ؟

ان الحساب ، وفرض التناسق فيما يجرى فى السماء ، تطلبا ان يكون فى هذا الموضع ، بين المريخ والمشترى ، كوكب . ولكنهم نظروا فلم يجدوا . حتى اكتشفت فى هذا الموضع هذه الطائفة الكبيرة من الكويكبات . واثلج هذا الكشف صدر العلم ، لانه استجاب لفرض كانوا فرضوه ، ونسق كانوا تصوروه ، فيما دائما هم مصوروه فى الكون من اتساق

فهذه الكواكب السيارة كلها . وهى انما تسير ، انما تدور ، حول الشمس .

وهى ليست كالنجوم . انه ليس بها نار ، وليس بها نور ، الا ماتعكسه من نور الشمس . وبهذا النور ، نور الشمس المعكوس ، كشفناها . وبه درسناها . فلولا هذا النور ماعرفناها ، ولظلت دفينة فى ظلام هذا المجهول

بالارض تقارن الكواكب

أن الارض احدى الكواكب . وهى كوكبنا ، لهذا درسناها أولا وقدمناها . وقدمناها لانها أنموذج للكواكب اجمع .

ومن دراستها عرفنا كيف تتحرك حول نفسها ، وحول الشمس . ومن أى المواد هى تتألف

وفى السعى الى الكشف عما فى هذا الكون من وحدة بدأنا بالارض ، لنقرن بها الكواكب ، لنقول انها جميعا اشياء واحدة ، تتألف من مواد واحدة ، سنثبت آخر الامر أنها من بناء واحد . ولنقول انها جميعا اشياء واحدة ، تحكمها قوانين واحدة ، تدور بأصغرها كما تدور بأكبرها ، وتدور بأقربها كما تدور بأبعدها . بل لنقول ، فى آخر دراستها ، أنها أسرة واحدة ، تفتق عنها أصل واحد .

أى أصل ؟

سوف نرى

الكواكب أشباه نظائر

ان الكواكب السيارة تدور حول الشمس كما تدور الرحى ، قطبها الشمس . انها تدور فى مستوى الرحى . دوامة فى الماء تحمل قطرات الماء فتدور بها فى سطح واحد حول مركز واحد

بل انه ليس سطحا واحدا . بل أسطح للدوران . قد يعلو منها سطح ، أو قد ينخفض سطح ، ولكن فى حدود ضيقة . انها حدود سمك الرحى ، وهى من حجر سميك . وانها حدود سمك الدوامة ، فالدوامة ليست قطرات مائها كلها تدور فى مستوى واحد

وهى تدور حول الشمس ، فالشمس مركز دورانها . ولكنها ليست مركز دائرة . انها مدارات بيضاوية كادت ان تكون دوائر . ان قوانين الحركة ، وقانون الجاذبية ، التى تحكم الكواكب جميعا ، قضت بأن تكون المدارات بيضاوية . والكواكب تجمعها الوحدة على الطاعة . والمدار الاهليلجى ، أى البيضاوى ، غير الدائرة . الدائرة لها مركز واحد .

والاهليلجى له مركزان . وقد حلت الشمس فى مدارات هذه الكواكب السيارة فى أحد مركزيها . وقد شرحنا هذا كله فى الحديث عن الارض

مدارات كلها اشباه . أفبحكم الصدفة كانت أشباها ؟!

ومدارات كاد ان يجمعها سطح واحد ، أفبحكم الصدفة كادت ان يجمعها سطح واحد ؟!

وشيء أعجب ، وهو للفكر أمتع

انها كرات تدور حول نفسها كما تدور الارض ، بينا هى فى مداراتها تدور حول الشمس ، تجرى فى مثل اتجاه مدار الارض ، من غرب لشرق . وهى كالارض ، تدور حول نفسها من غرب لشرق . ولهذا تراءت الشمس ، وهى النجم النارى الثابت ، كأنها تدور حولها جميعا ، من شرق لغرب

وهنا أود أن أكسر الحواجز الدراسية ، فأقتحمها الى الشمس ، قبل أن أمس الشمس دراسة ، لاقول انالشمس كذلك تدور حول نفسها ، وتدور منغرب لشرق . وتحفزنى الحوافز لازيد للحواجز تكسيرا ، فأذهب فى سبيلالتوحيد، فى الحركة ، الى ماوراء الشمس . ولكنى لاأفعل ، حفظا لنظام الدرس

نعم ان الشمس تدور حول نفسها ، كما تدور الكواكب ، وعلى نمط واحد . انها ربة الاسرة ، ترقص ، وحولها الكواكب راقصة مثل رقصتها ، وعلى سجيتها

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا

فشـــيمة أهل البيت كلهم الرقص

وشبهت أسرة الشمس فى السماء ، بالدوامة فى الماء . وحق لى . فليس فى الدوامة ، حتى مركزها ، شيء ثابت

وشيء آخر يجب أنلاأنساه . ان للأرضقمرا . وللأكثر

هذه الكواكب أقمار . وهى فى جملتها اشبه بكواكبهامدارات واتجاهات

مدارات الكواكب

ولكل من الكواكب السيارة بعد عن الشمس يختلف عن بعد أخيه ، فله مدار يختلف ضيقا وسعة عن مدار أخيه . وهو يقطع المدار ، يقطع الدورة الواحدة ، فى زمن دورى ثابت واحد ، يختلف عن زمن أخيه . ويكشف القياس ، ويكشف الحساب ، عن علاقة بين أبعاد الكواكب وأزمنة دورانها . علاقة تتضمن نسقا كاد ان يكون واحدا . ويكفينا الآن من هذا النسق أن نقول ان الكوكب كلما زاد بعده عن الشمس ، فطال مداره ، زاد زمن دورى يقطع فيه هذا المدار

ان الكواكب ، حتى عند اختلاف فى حجم أو ثقل أو بعد ، تجمعها الانساق ، لانها تجمعها القوانين الواحدة

على انى أعود فأراجع نفسى . لم أمتنع عن ذكر الانساق وأفوت على القارىء ما بها من جمال ، ومن حكمة ، ومن عبرة . لم لا اعود فأذكر بها رغم ما بها من حساب ، كما صاغها العالم الفلكى المعروف كبلر منذ أكثر من ثلاثة قرون :

١ ــ كل كوكب يدور حول الشمس فى اهليلج ، بحيث ان خطا ، يصل بين الكوكب والشمس ، يمسح من مداره فى الزمن الواحد مساحات من هذا المدار واحدة

٢ ــ اذا قرنا اى كوكب بكوكب ، لوجدنا ان نسبة مربع الزمن الذى يقطع فيه الكوكب الاول مداره ، الى مربع الزمن الذى يقطع فيه الكوكب الثانى مداره ، تساوى نسبة مكعب بعد الاول عن الشمس الى مكعب بعد الثانى عنها

ان لغة الكلام عائمة مبهمة ، ولغة الحساب ثابتةواضحة

لالبس فيها ولا ابهام . انه جميل ان نقول ان بين الكواكب نسقا . ولكن أجمل من هذا ، وأكثر اقناعا ، أن نصف هذه الانساق بالارقام ، ولو عزت على بعض الناس ، لامعنى ، ولكن مغزى

وعلى سبيل المثال، ألا تدرى مامعنى هذا النسق الاول ؟ معناه أن كل كوكب ، ما دام يسير فى اهليلج ، الشمس فى احدى بؤرتيه ، فهو يقترب من الشمس ، ثم يبعد عنها ، ثم يقترب منها . وهذه دورة . ومعناه أيضا ان هذا الكوكب يتمهل فى سيره كلما بعد عن الشمس . وهو يسرع فى سيره كلما اقترب يدور حولها . ومعنى هذا ، مطبقا على الارض ، أن الارض لاتسير بسرعة واحدة فى مدارها حول الشمس . انها تسرع وهى قريبة من الشمس ، وتبطىء فى السير وهى بعيدة عنها فى مدارها

وفى حديثنا عن الارض ذكرنا شيئا عجبا : ان الارض فى الشتاء تكون أقرب الى الشمس منها فى الصيف . وفسرنا ذلك . وهنا نقول انها تسرع فى سيرها حول الشمس فى شتاء ، وتتمهل فى صيف . ان الشمس بذلك كأنها تهرب من برد الشتاء الى دفء الصيف . والدفء حياة ، والبرد موت

وكالارض سائر الكواكب
ثم الى شيء من أرقام
فليس أضبط للغة الكلام ، كالارقام

أحجام الكواكب

ولنبدأ بأحجام الكواكب وأثقالها « كتلها » ، ولنذكر معها الشمس لنناسب بين الام وبنيها وبناتها

الاسم	الشمس	عطارد	الزهرة	الأرض
متوسط القطر بالأميال	٨٦٤٠٠٠	٣١٠٠	٧٧٠٠	٧٩٢٧

الاسم	المريخ	المشترى	زحل	أورانس	نبتيون
متوسط القطر بالأميال	٤٢١٥	٨٨٦٤٠	٧٤١٠٠	٣٢٠٠٠	٢٨٠٠٠

وتركنا الكوكب التاسع بلوتو ، وهو الاحدث اكتشافا ، لاختلاف فيه (١) . وهو على الارجح أصغر من الارض

ونلاحظ ان أكبر الكواكب حجما المشترى . ومع هذا فقطره عشر قطر الشمس . ومعنى هذا ان حجمه نحو جزء من ألف من حجم الشمس ، فأحجام الكرات تتناسب ومكعبات أقطارها

فانظر ، كم تقع أحجام كل الكواكب ، مجموعة ، من حجم الشمس !

أثقال الكواكب ((كتلها))

وكتلة الكوكب مقدار مافيه من مادة

وكتلة الارض تبلغ نحوا من ٥ × ١٠(٢١) من الاطنان، أى خمسة آلاف مليون مليون مليون طن ، كما سبق أن ذكرنا

وكتلة الشمس اكبر من كتلة الارض نحوا من ٣٣٢٠٠٠ مرة . فلو اننا ذكرناها بالاطنان لكانت عددا من الكبر بحيث لايطمئن اليه الذهن لانه لم يتعود تصوره .

(١) كذلك تركنا « النجيمات » أو « الكويكبات » ، ايجازا وتبسيطا . هى تدور حول الشمس ، بين المريخ والمشترى

لهذا ننسب الكتل الى كتلة الارض ، فرضا بأن كتلة الارض = ١

الاسم	الأرض	الشمس	عطارد	الزهرة
الكتلة	١	٣٣٢٠٠٠	٠٥ر٠	٨١ر٠

الاسم	المريخ	المشترى	زحل	أورانس	نبتيون
الكتلة	١١ر٠	٣١٦٫٩	٩٤٫٩	١٤٫٧	١٧٫٧

وتركنا الكوكب التاسع لاختلاف فيه . ومع هذا فكتلته على الارجح أصغر من كتلة الارض قليلا

ونلاحظ أن أكبر الكواكب كتلة المشترى . وهو يكاد يتوسط سائر الكواكب بعدا عن الشمس . وتصغر كتل الكواكب من قبله ومن بعده

ونلاحظ أن كتل الكواكب مجموعة تبلغ نحوا من ٤٤٦ مثلا من كتلة الارض . ولو نسبنا كتلها جميعا الى كتلة الشمس لكانت شيئا ضئيلا : ١/٣ ! من الالف

والارض التى نحيا عليها أشد ضآلة . انها نحو ٣ من مليون من كتلة الشمس

أبعاد الكواكب عن الشمس

بل متوسط أبعادها . فقد علمنا أنها لاتدور حول الشمس فى دائرة ، الشمس مركزها . وانما تدور فى مدار بيضاوى ، له مركزان ، الشمس تحتل احدهما . فالكوكب فى مداره حول الشمس يبتعد ويقترب

المريخ	الأرض	الزهرة	عطارد	الاسم
١٤٢	٩٣	٦٧	٣٦	البعد بملايين الأميال

بلوتو	نبتيون	أورانيوس	زحل	المشترى	الاسم
٣٦٧٠	٢٧٩٤	١٧٨٣	٨٨٦	٤٨٣	البعد بملايين الأميال

اعداد كبيرة ليس تصورها ، متناسبة فى الذهن ، بالشيء
السهل اليسير .

فلنصورها بصورة أصغر ، حافظين للذى بينهما من
نسب

ولنجمع بين أبعاد الكواكب وبين أحجامها :

الشمس كرة كبيرة ، تحملها بين كفيك . ان قطرها دون
المتر . وأزيد من ٣/٤ المتر . أن قطرها ٨٦ سنتيمترا

وعلى بعد ٣٦ مترا من هذه الكرة ، من الشمس ، توجد
عدسة . انها من العدس الذى نأكل . وانها لعطارد . وعلى
بعد ٦٧ مترا من تلك الكرة الكبيرة ، من الشمس ، توجد
فولة صغيرة . انها الزهرة .

وعلى بعد ٩٣ مترا ، من الشمس ، ومن الشمس دائما ،
توجد فولة اخرى ، اكبر قليلا من الاولى . فهذه هى
الارض

وعلى بعد ١٤٢ مترا ، توجد سمسمة ، هى المريخ

وعلى بعد ٤٨٢ مترا ، توجد برتقالة ، هى المشترى

ثم برتقالة اصغر ، على بعد اكبر ، هو ٨٨٦ مترا ، فهذه
زحل

ثم ليمونة ، على بعد ١٧٨٢ مترا (كيلومتران تقريبا) ، هى أورانس

ثم ليمونة أصغر قليلا ، على بعد ٢٧٩٤ مترا (ثلاثة كيلومترات تقريبا) : فذاك نبتيون

واخيرا بلوتو ، كالفولة أو دونها ، على بعد ٣٦٧٠ مترا ٣ ١/٢ كيلومتر تقريبا)

وكل هذه ، من فول وعدس وسمسم وبرتقال وليمون ، تدور حول الكرة الكبيرة ، التى هى بين كفيك ، الشمس

ونعود نخص الارض ، أمنا الارض ، بالذكر

انها فولة . وعلى هذه الفولة يعيش مايقرب من ٢٥٠٠ مليون من الناس . يعيشون ، ويصطخبون ، ويصطرعون ، على شيء يخرج من فتيت الصخر يسمونه طعاما . وفتائل تخرج من النبت يسمونها لباسا . ومذاهب شتى ، ألوانا ، بين الاحمر وبين الازرق ، يتخاصمون فيها . ويتخاصمون فى معانى أعتى واخفى . وهم ، على صغرهم ، يتحدثون عن شيء أصغر ، وأصغر كثيرا ، وأضأل ، وأضأل كثيرا . تلك الذرة . ان الارض كلها فولة ، فكم تكون الذرة ؟!

وانا ، أجلس فى ركن من أركان هذه الفولة ، فى موضع لايراه أهل السماء ، لو أن لها أهلا ، ولا تراه مناظيرهم ، مكبرة مقربة ، ولو اجتمعت . وأجلس وأدور على الورق بسائل أسود أو أزرق سميناه حبرا . فينبسط اشكالا ، قيل انها أوعية المعانى ، تغترف منها عيون فتغترف معنى . ويقال هذا وعى من وعى أخذ . وما أصغرها أوعاء ، وما اضألها أوعاء ! وان يكن الوعى أصغر شيء فى الدنيا ، فانه يسع الدنيا جمعاء . وبالوعى أنا أكتب ، على هذه الارض ، هذه الفولة . وبالوعى أنت تقرأ . والوعى لايوزن . ولكنه وعى ضم الأرض والسماء ، أبعادها وأجرامها ، وكل مايوزن ويقاس

وان يكن للانسان ، بالوعى ، مجد على هذه الارض
فالمجد لله ، فى أرض وفى سماء

أيام الكواكب وأعوامها

نحن نعرف أيام الارض ، ونعرف أعوامها . ان الارض تدور حول نفسها ، فتأخذ من ضوء الشمس وتحرم منه ، فيكون يوم ، بعضه النهار وبعضه الليل . وان الارض تدور فى مدارها حول الشمس ، فينتج العام . ويميل محورها على مدارها ، فتنتج الفصول

وهكذا تفعل الكواكب .

وان يكن يوم الارض ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة ، وعامها ٣٦٥ر٢٥٦ يوما

فيوم عطارد نحو ٨٨ يوما ، وكذلك عامه . ومعنى هذا ان عطارد للشمس ، مثل القمر للارض ، يدور حولها وقد أعطاها وجها واحدا دائما لاترى غيره

ويوم الزهرة صعب تحديده ، لانه ليس على سطحها علامات دائمة يتعرف الناظر اليها بها على مدة دورانها . وقد قيل ان يومها كيوم الارض . وقيل بل كشهر الارض

ثم الارض

ومن بعد الارض المريخ ، ويومه ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة . فهو كيوم الارض . وعامه ٦٨٧ يوما . فهو يقطع مداره فيما قارب ان يكون سنتين

والمشترى يومه تسع ساعات وخمسون دقيقة . فهو برغم عظمه النسبى ، سريع اللف حول نفسه . وعام المشترى قارب ان يكون أثنى عشر عاما من اعوام الارض . انه ٨٦٢ر١١ عام .

وزحل يومه عشر ساعات من ساعات الارض . وعامه

قارب ان يكون ثلاثين عاما من أعوام الارض . انه ٢٩٫٤٥٨ عام

وأورانس يومه كيـوم زحل تقريبا ، انه ١٠٫٤٥ من الساعات . وعامه ٨٤ عاما

ونبتيون يومه ١٥ ساعة و ٤٨ دقيقة . وعامه ١٦٥ عاما . اى أن دورة حول الشمس ، بدأها هو عند قيـام الثورة الفرنسية ، اكملها فى هذه الايام . عام طويل يخفف منه أن يومه لايطول

وبلوتو عامه ٢٤٧ عاما ، فهو أطول الكواكب أعواما

ان العام يطول كلما كبر المدار

كواكب كالاقمار

ومن هذه الكواكب ، مايظهر لنا ، بالمناظير ، أقمارا

فذلك الزهرة

وكالزهرة عطارد

انهما الكوكبان الاقربان منا للارض

وتظهر الزهرة ، وهى فى الناحية النائية المقابلة لنـا من الشمس ، والشمس قد ملأت وجهها ، فى اتجاهنا ، نورا . انها بدر كامل . وتدور الزهرة حول الشمس فيتناقص بدرها . وتدور الزهرة حول الشمس حتى تأتى بيننـا وبينها ، ولكن فى غير خط مستقيم . عندئذ لانرى من وجه أنارته الشمس من ناحيتهـا الا حاجبـا من نور . انه الهلال . هلال الزهرة . ولـكنه لقربه منا هلال كبير

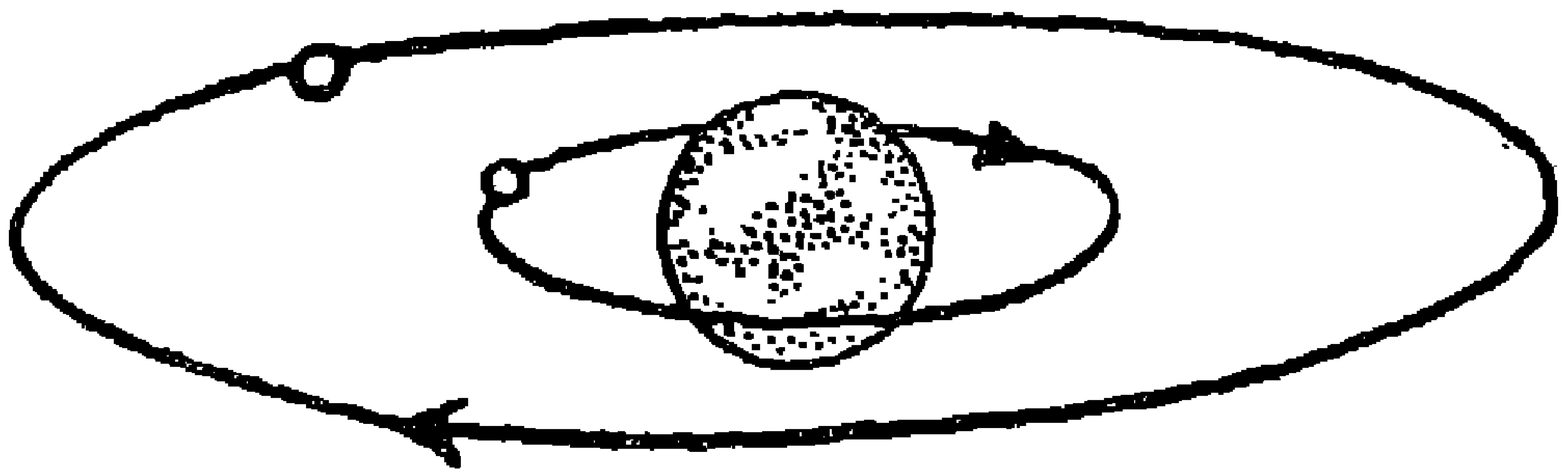
والزهرة ، لانها اقرب الى الشمس منا ، وأصغر مدارا ، نحن نراها فى السماء دائما والشمس معـا . عند غروب أو عند شروق . وهما دائما معا، حتى والنهار قائم . تتأرجح الزهرة الى يمين الشمس أو شمالها ، ولكنها هناك معها

ان الزهرة هي « نجم المساء » الساطع . او هي « نجم الصباح » الساطع . وصيفة الشمس التيتكاد لاتفارقها . وماهي بنجم . وهي ، من بعد الشمس والقمر ، ألمع شيء في السماء . وهي ، في موضعها الاوفق ، ألمع من الشعرى اليمانية نحوا من ١٣ مرة . والشعرى اليمانية ألمع نجم بين النجوم

للكواكب أقمار

ان للارض قمرا واحدا . ولبعض الكواكب أقمار كثيرة . وهي ، كقمر الارض ، حول كواكبها دوارة . ومن هذه الاقمار ، التوابع ، الصغير الذي قطره بضعة من أميال ، خمسة أو عشرة أو عشرين . ومنها الكبير كقمرنا ، قمر الارض ، وقطره ٢١٦٠ ميلا ، ومنها الاكبر منه ، ويبلغ ٣٢٠٠ ميلا

ومنها الذي يدور حول كوكبه في ساعات ، ست أو سبع . ومنها مايستغرق السنتين



المريخ يدور حوله قمراه كما تكشف عنه المناظير

وللمريخ قمران
وللمشترى ١٢ قمرا
ولزحل ٩ أقمار
ولأورانس ٥ اقمار

ولنبتيون قمران

والاقمار فى جملتها تدور حول نفسها ، وتدور حول كواكبها ، وتدور مع كواكبها حول الشمس . وهى فى جملتها تدور من غرب لشرق . ولها على ذلك ايام ، ولها ، كسائر الكواكب ، أعوام .

ألا ما أشبه الكواكب ، وأشبه أقمارها ، وأشبهها بأقمارها

انه النسق الذى ينتظم الاجرام جميعا ، ماتهيأت ظروفه



هل من حياة على ظهر الكواكب ؟

سؤال لا بد يخطر على كل خاطر

نحن ، أصحاب الحياة ، نريد ان نطمئن دائما على ان لنا فى هذا الكون أشباها ، نريد أن نطمئن الى أنه العالمون لا العالم الواحد . وقد نخرج من هذا الحديث على أنه ليس فى الكواكب حياة . أو على ان بها بعض حياة . ولن يؤثر هذا فى معنى الوحدة التى بين الارض والكواكب ، وفيما بينها

ونحن بنى الناس ، الانسانية تشملنا ، من حيث التركيب والشكل والوظائف . فهذه وحدة لاشك فيها . ولكنا نحن مختلفون فى تفاصيل هذه الاوصاف . وفينا وحدة حتى فى الفكر ، ولكنا مختلفون فى تفاصيل هذا الفكر . توحدنا اصولا وجواهر ، واختلفنا اعراضـــا وظواهر . وكذلك الكواكب .

وامتناع حياة ، ان نحن استنتجناه عن الكواكب ، ليس معناه امتناع حياة فى سائر الكون

ونقول الحياة ، ونعنى بها هنا الحياة كما عرفناها فى نبات أو حيوان او انسان . حياة تركب اجساما ، من مادة ومواد ، يحدوها الكلوروفل فى النبات ، والهيمجلوبين فى حيوان أو انسان .

أما الحياة ، أو الحيوات ، التى ليس لنا بها عهد ، فليست تدخل فى نطاق حديثنا ، لاننا لانتحدث الآ فيما نعهد . ه قد تكون حياة من نار ، وقد تكون حياة من نور ، ومن

غير ذلك . كل شيء فى العقل المجرد ممكن . ووعينا هذا الانساني ، الذى هو سر من أسرار الخلق عميق ، قد يركب النار وقد يركب النور . اننا لانستطيع انكار هذا أو اثباته ، لانه ليس لنا الوسائل فيه لانكار واثبات

وسبيلنا فى التعرف على وجود الحياة ، على ظهرمانرصد من كواكب ، هو التعرف على أجوائها ، هل بها هواء ، كالذى نعهد من هواء ، وهل بسطحها ماء ، كالذى نعهد من ماء ؟ وهل بها حرارة معقولة ، فالحرارة حياة ؟

ان الهواء لازم لكل حى ، وكذلك الماء . وكذلك الحرارة ، الا أن تكون نارا موقدة

والشعاع الواصل الينا من كل كوكب يحمل الينا ، عند تحليله ، قصة هذا الهواء ، ان وجد ، وما احتوى . ويحمل قصة الماء ، أن وجد الماء

وان كان للكوكب جو كثير عكس الينا الكثير مما يصل اليهمن نور الشمس . وان كان للكوكب جو قليل أو لاجو له عكس القليل الأقل . ان عطارد لا يرد الينا أكثر من ٦٪ مما يصل اليه من الضوء . واما الزهرة فترد الينا ٧٣ فى المائة مما يصل اليها من ضوء بسبب الذى بها من جو

ان الصخور ، بغير جو ، تمتص الكثير الذى يصل اليها

وان كان للكوكب جو ، فهو لابد محيط بقرصه الذى يظهر لنا . ومن وراء هذا الكوكب الشمس والنجوم تظهر وتختفى . وتمر لها شعاعات تخترق الينا هذا الاطار الذى هو من جو ، اذا هو وجد ، او هى لاتخترق شيئا ، اذا هو لم يوجد . وتحمل الينا هذه الشعاعات اقاصيص مختلفة من ذلك . وتفصيل هذا فى علم الفلك (راجع ما قلنا عن الشفق فى الارض)

والكوكب ، اذا لم نجد له اليوم جوا من هواء ، جوا كجو الارض من غازات ، فليس معنى هذا انه لم يكن له بالامس

جو . ان الهواء يتألف من غازات مختلفة ، بعضها الخفيف وبعضها الثقيل . والغازات تتألف من جسيمات غاية فى الصغر تعرف بالجزيئات. وهى خفيفة فى الغازات الخفيفة، ثقيلة فى الغازات الثقيلة . وكل هذه الجزيئات فى حركة شديدة دائبة . وترتفع الحرارة فتشــــتد سرعة هذه الحركة . وهى قد تشتد فتهرب من الجو ، جو الكوكب ، الى الفضاء . ذلك اذا لم يحبسها الكوكب اليه بما عنده من جاذبية . وغازات الاجواء أخفها ، فى الغازات المعروفة ، الادروجين ، فالهليوم ، فالنشادر ، فالميثان وبخار الماء ، فالنتروجين ، فالاكسجين ، فثانى أكسيد الكربون . وأخفها أسرعها حركة، واقلها انجذابا للكوكب ، واقربها الى الافلات منه . فالادروجين أقرب افلاتا من ثانى أكسيد الكربون . والكوكب كلما كبر كلما زادت قوة جاذبيته للذى على سطحه من غازات . فالارض أشد جاذبية من عطارد والزهرة . وهى أقل جاذبية من المشترى وزحل . والارض احتفظت بالقليل من غاز الادروجين الذى لايعدو ان كان بها اول الامر ثم هرب . واحتفظت بالغازات الاثقل ، كالاكسجين والنتروجين وبخار الماء ، وغاز الكربونيك اى ثانى أكسيد الكربون

ومن معرفة سرعة جزيئات الغازات ، خفيفها والثقيل ، ومن معرفة كتلة الكوكب ، نستطيع ان نقول ان كان هذا الكوكب جديرا باحتفاظ بجو ، ان كان له جو ، أو جديرا باضاعته . واى الغازات هو قادر على الاحتفاظ بها . حتى دون ان يأتينا من الكوكب شعاع واضح

والآن فلنستعرض الكواكب ، فى كثير من ايجاز ، لنرى الى اى حد تتشابه سطوحها وسطح الارض ، بعد ان استعرضنا حركاتها وتبينا مابين الارض وبين هذه الكواكب من أشباه كثيرة ، تدل على وحدة فى التصميم ، ووحدة فى التنظيم ، ووحدة فى الاصول

عطارد

هو طفل الاسرة الشمسية . انه أصغر الكواكب التسعة. وهو لايكبر القمر كثيرا ، فى حجمه او فى كتلته . وترى عليه علامات كالتى ترى على القمر . ونحو الثلثين من سطحه ينال من الشمس اشعتها ، والثلث الباقى فى ظلام دائم . وهذا يذكر بالقمر . وسطحه أبعد مايكون عن استواء ، فهو جبلى كالقمر ، أو أشد . ولا أثر للجو على سطحه . انه صغير الجرم فما يكاد يحبس جوا . وسطحه المواجه للشمس له حرارة تذيب الرصاص . وسطحه الذى لايرى الشمس به البرودة التى تسيل حتى غازات الهواء ، هوائنا الارضى هذا .

ان عطارد كوكب لاحياة فيه

الزهرة

والزهرة والأرض يعرفان بالأختين التوأمين ، لشبه بينهما فى الجرم ، وشبه فى المدار ، فالمداران يكادان أن يكونا دائرتين . وهما ، بين الكواكب التسعة ، أقربها تجاورا

وللزهرة جو ، يقارن فى كثرته بجو الارض . فكل منهما له من الجرم ، فقدرة الجذب ، ما يحفظ بها جوه . وجو الزهرة من أسباب التماعها

ونحن لا نكاد نرى سطح الزهرة ، فان سحبا تلفها فتحجبه عنا . وقد قيل انها سحب من غبار ، لأن الزهرة تفتقد الماء . وليس فى طيف النور المنعكس من الزهرة دليل على وجود أكسيجين ، على الأقل فى الطبقات العليا من جوها . وعلى عكس ذلك يوجد الدليل على غزارة فى ثانى أكسيد الكربون ، فوق مستوى السحب التى بها ، فمقداره قد يبلغ نحوا من عشرة آلاف مقداره فى جو

الارض كله . وهذا غطاء جيد يحفظ على الزهرة حرارتها. والدفء تحت هذا الغطاء ، قد يبلغ درجة غليان الماء

ولكن ماذا يوجد تحت هذا الغطاء من أكسيد الكربون ، وذاك الغطاء من سحب ، ان صح انها سحب من غبار ؟

لا ندرى

وماذا على السطح الآخر من الزهرة ، ذلك الذى لا يتجه ناحيتنا أبدا ؟

لا ندرى

وماذا على ما بين السطحين الظاهر لنا والخافى ، أيكون نبات ويكون حيوان ، وتكون عناصر حياة ؟

لا ندرى . لا ندرى اليوم ، ولعلنا فى غد ندرى

المريخ

ومن بعد الزهرة ، بعدا عن الشمس ، الارض

وقد قلنا فى أمنا الارض ما فيه الكفاية

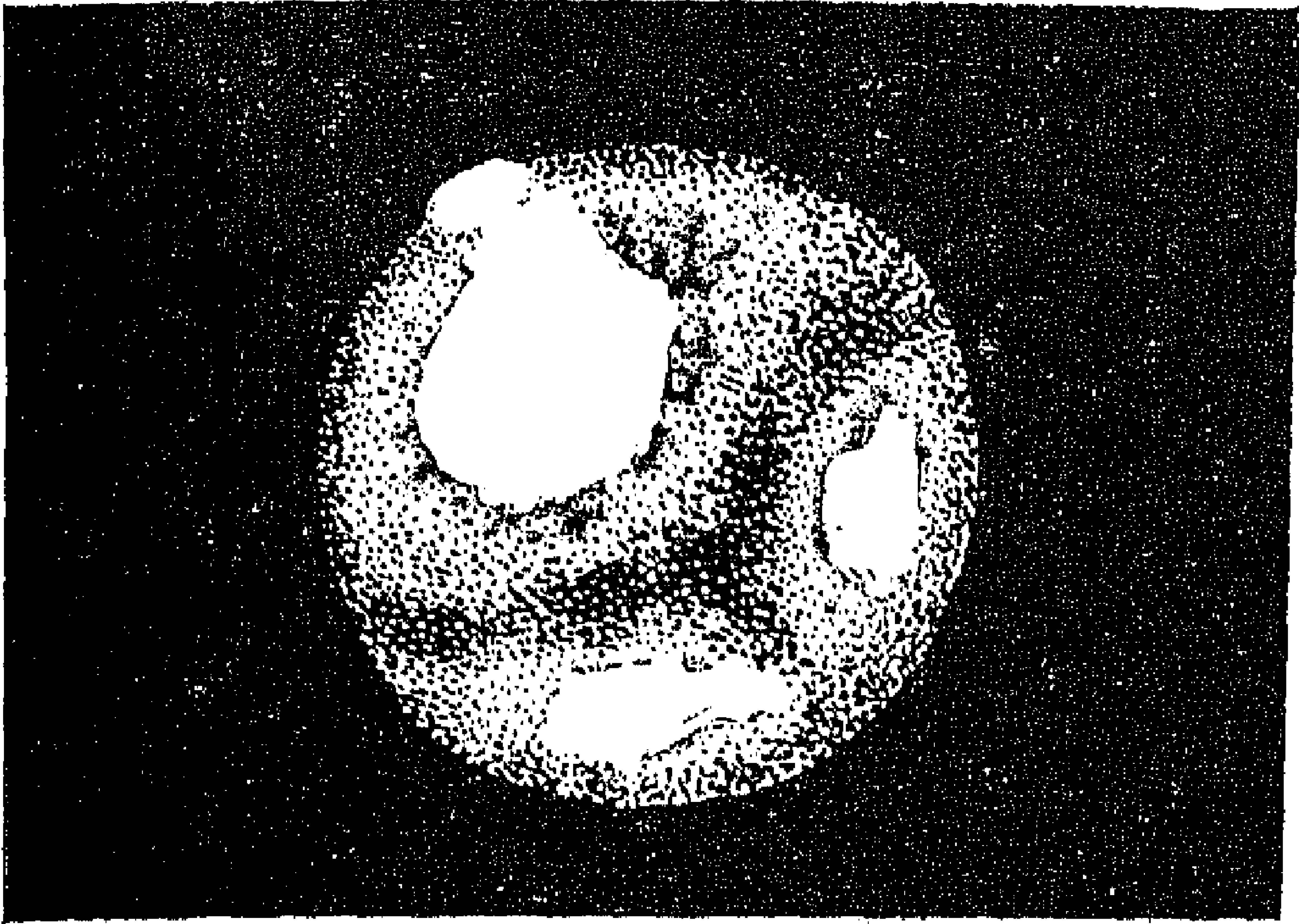
ومن بعد الارض يأتى المريخ

والمريخ لا يذكره الناس الا ذكروا الحياة على الكواكب . فالمريخ عندهم مثلها من بعد الارض

وانطلق بهم الخيال انطلاقا ، فخالوا بالمريخ رجالا ، وخالوهم على حال من المدنية فوق مدنية الارض ، ومن العلم والتقدم فوق علم الارض وتقدمه . وانهم كشفوا أسرار هذا الوجود قبل أن يكشف أبناء آدم ، وأكثر مما كشفوا . واتصلوا بالارض لاسلكيا ولم نتصل . وهم فعلوا اكثر من ذلك : هبطوا على هذه الارض فرآهم من رأى من أهل الارض ، خوارق للخلق أفذاذا

جموح بالخيال ، لابأس به ، ما دمنا لا ننسى أنه الخيال

وبعد ، فما الحقيقة عن المريخ ؟



المريخ كما يتراءى فى المناظير

الحقيقة أن أكثر العلماء يرون أن على المريخ حياة . على الاقل عليه نبات ولو يقع من مملكة النبات فى صفوفها الدنيا . ومنهم من يرى أنه قد يوجد كذلك على المريخ حيوانات من صنف ما . وهذا أقصى ما يصل اليه الظن والاحتمال

ونقول الظن لأن المريخ فى حاجة الى دراسة أعمق ، وعلى الأخص الى مناظير أكبر أيضا

ثم ما هى الحقائق التى بنوا عليها ما ظنوه من ظنون أو احتمالات ؟

انها الصور التى حملها المنظار الينا . والقصص التى حملتها الأشعة الينا

انك تنظر الى المريخ فتجد بياضا عند قطبيه ، يمتد

عليه ، وسمرة فى حمرة فيما بينهما . ويأتى الصيف فيتقلص البياض متراجعا الى القطبين ، وتزيد الرقعة السمراء الحمراء ، وتظهر فيها زرقة ويظهر اخضرار

أفكان هذا البياض من ثلج ، فهو يتجمد شتاء ويمتد ، ثم يأتيه الصيف فيسيح ويسيل ، وتحتر الاقطار الاستوائية من المريخ فينمو فيها الزرع ويربو ، ويخضر أوسط الكوكب ؟

ان المريخ يشبه الارض فى أشياء كثيرة . فمحوره مائل على مداره . فله من أجل ذلك ربيع وصيف وخريف وشتاء

ورأوا على سطح المريخ قنوات ، أو شبهها . وعمل الخيال فى غير غلو ، فخالوا انها قنوات تحمل الماء . وهى تتصل بالبياض القطبى ، فاليها يسيل ماؤه اذن عندما يأتى الصيف . وخالوا ان الخضرة تزداد حول هذه القنوات صيفا وتنحسر شتاء

ولكن الجو . ما شأن الجو ؟

هنا تظهر العقبات ، تحد من جموح الخيالات

ويأتى الشعاع الذى يأتى منه الينا ، معكوسا عن الشمس ، فيحكى ويقول :

ان جو المريخ اخف من جو الارض

وان جو المريخ ليس به من الاكسجين ، اللازم للحياة كما نعرفها ، غير نحو ١ فى المائة من مقداره على ظهر الارض

وان جو المريخ ليس به من بخار الماء غير نحو من ٥ فى المائة مما فى هواء الارض

وان جو المريخ به من ثانى أكسيد الكربون ، وهو الغاز الذى يصنع النبات منه مادته ، ضعف ما بجونا هذا الأرضى

وان درجة الحرارة ، فى الاقطار الاستوائية على الأقل،

مناسبة . وهى قد تبلغ درجة ٢٥ مئوية

عقبة وجود انسان على ظهر المريخ تتمثل فى الهواء . فى الاكسجين خاصة

فهذا ما نعرف عن المريخ اليوم

وللغد علمه وعرفانه

المشترى

ومن بعد المريخ تأتى مجموعات الكويكبات الهائلة العدد التي تدور حول الشمس . تلك التى أسموها بالنجيمات . وقد سبق ذكرها . وهى لا جو فيها ، فليس فيها حياة . انها من الصغر فى الجرم ، فمن الصغر فى قوة الجاذبية بحيث لا تستطيع أن تحبس على سطحها جوا غازا

ومن بعد هذه يأتى المشترى ، أضخم الكواكب جرما

وتنظر بالمناظير الى المشترى فيروعك منه مناطق تدور حوله كالأحزمة ، منها البارق ، ومنها المعتم ، دليل سحب فى سطح المشترى كثيرة . وتتغير خطوطها ، وتتغير حدودها بسرعة أحيانا ، فتؤكد فيها معنى السحب ، وهى سحب من غازات سهلة التكثيف

وتبلغ درجة الحرارة عند الطبقات التى بلغ اليها البحاث



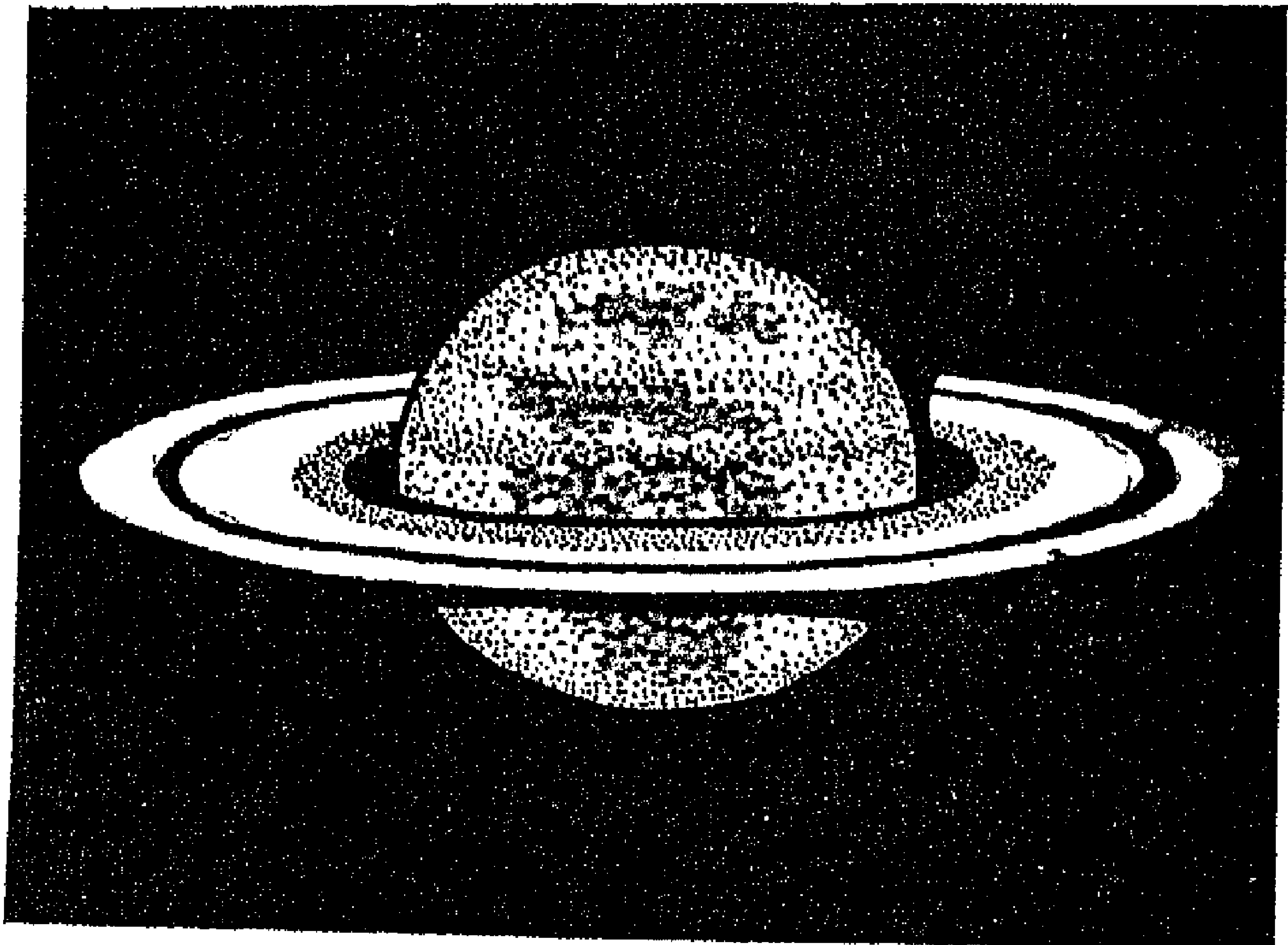
المشترى ، اكبر الكواكب السيارة

من جو المشترى ١٣٠ ْ مئوية تحت الصفر . ويدل التحليل الطيفى للأشعة أن بجو المشترى الميثان ، وهو غاز البرك ، ويتألف من ذرة كربون وأربع ذرات ادروجين . وأن بجوه غاز النشادر، ويتألف من الأزوت والادروجين. وكلا الغازين خانق. أما الماء فقد تجمد حيث كان من سطح هذا الكوكب

أفنحن فى حاجة بعد هذا الى القول : انه لا يمكن أن تكون عليه حياة ؟

زحل

ومن بعد المشترى زحل . وهو ثانى الكواكب جرما وهو أبدع الكواكب منظرا . ذلك أن له حلقات من حوله ، تدور كما يدور . انها قطع من ماء مثلوج ، أثلجه فجمده ذلك البرد الذى هو لا بد كائن على مثل هذا البعد من الشمس . انها حلقات من جليد



زحل ، وحوله حلقاته

أما الكوكب نفسه فله جو كثيف ، كصاحبه المشترى . وجوه هذا قد يكون عميقا حتى ليبلغ فى اتجاه المركز الى ربع قطر الكوكب

وقد كشف التحليل الطيفي فى هذا الجو عن وجود النشادر ، ووجود الميثان .

انه ليس على زحل من حياة

سائر الكواكب

أما أورانوس فبعده عن الشمس كبعد الارض ١٩ مرة . وقطره نحو ٣٢٠٠٠ ميل . لكل هذا هو صغير عندما تتمكن العين العارية من رؤيته. وهو بالمنظار يتراءى قرصا صغيرا ، ذا خضرة فى زرقة . ويلفه جو . وفى الجو ميثان فلعله أشبه بصاحبيه اللذين مرا.

ونبتيون أبعد من أورانس ، فبعده عن الشمس كبعد الارض عنها ثلاثين مرة ، وهو قريب من أورانس جرما ، وان كان أصغر . وهو مثله يلفه جو . وبالجو ميثان

ثم الكوكب الاخير ، بلوتو

انه كوكب صغير بعيد . يزيد على عطارد قليلا . وهو أبعد الكواكب . يبعد عن الشمس كبعد الارض عنها أربعين مرة . والظن أنه يشبه اخوانا له سلفت . ولكن البحث فيه لا يزال جاريا .

والكواكب هذه الاخيرة هى ، لبعدها عن الشمس ، من البرودة بحيث لا تكون فيها حياة

كيف نشأت الكواكب السيارة وتولدت

وما الارض الا بعض الكواكب السيارة

فهذه هى الكواكب ، وهذه هى أشكالها ، واحجامها ، وأجرامها ، وابعادها ، ومداراتها ، وأشكال المدارات وأوقاتها وهذه كذلك أقمارها . وهذه سطوحها وما حملت

كلها اشباه . وكلها نظائر . وكلها وحدات قائمة سائرة فى نظام واحد سائر

وتأخذها جملة فتجدها واحدة فيما هو أصيل ، وتأخذها فرادى ، فتختلف يسيرا فى غير ماهو اصيل . وتنظر فى الخلاف فتجد انه بسبب هذه الاصالة الاولى

إن الرجل والمرأة يجتمعان فيلدان الذكور ويلدان الاناث ويخرج هذا طويل وهذا قصير ، وهذا خفيف وهذا ثقيل وهذا أشقر وهذا أسمر . وهذا ثائر وهذا هادىء . اوهذه وهذه . لقد اتحدوا فى الاصول اجمالا واختلفوا تفصيلا

والكواكب وصفناها . فذاك الصغير الجرم وذاك الكبير وما صغر وما كبر بمنكر وحدة فى الاصول . ومع هذا فقد ينتج اختلاف عن صغر وعن كبر . ان الكوكب الصغير ، بحكم قانون يسيطر على الكون ، له جاذبية قليلة . فهو لم يستطع أن يمسك بغازاته ، عند سطحه ، فطارت عنه ، فلم يكن له جو ، او رق جوه فما يكاد يبين . والكوكب الكبير بحكم هذا القانون الذى يسيطر على الكون ، له جاذبية كبيرة فهو استطاع ان يمسك بغازاته ، فكان له جو ، وكان كثيفا

اختلفت النتائج بسبب صغر أو كبر . أو بسبب بعد عن الشمس او قرب ، فبسبب برودة او حر . وجمع الكواكب المختلفة الطاعة . تلك الطاعة التى كان بسببها ذلك الاختلاف طاعة ذلك القانون المسيطر المهيمن الاسمى ، الذى يقول ان الاشياء تتجاذب بمقدار مافيها من جرم . ويزيد البعدبينها فتقل تجاذبا . انها الجاذبية وقانونها

وأدرك العلماء هذه الوحدة بين الكواكب السيارة ، وهى تدور حول الشمس ، وعلى مثل ماتدور هذه الشمس نفسها ، فطلبوا لذلك سببا

الشمس أصل الكواكب

نظروا الى الكواكب ، فى أصولها ، وكيف نشأت ، فردوها بحكم الطبع ، وبحكم المنطق ، الى الشمس

وهل كان العلماء فى حاجة الى ذكاء خارق ليدركوا ذلك ؟

ألسنا ، أنت وأنا ، بعد الذى وصفناه من امر الكواكب السيارة والشمس ، قد ادركناه ؟

اليست هى الا دوامة فى ماء ، الشمس فى بؤرتها ، تدور ومن حولها الكواكب ، قطرات من ماء ، تدور ، وتدور مثل دورانها ؟

واختلفوا . .

لم يختلفوا فى هذا . ولكنهم اختلفوا فى كيف كان هذا

نظرية التصادم

زعم زاعم منهم أن جرما سماويا جاء ناحية الشمس ، واصطدم بها ، وخرج من هذا الاصطدام قطع من مادة ، بعضها حبسته الشمس اليها بما لها من جسم كبير جاذب فدارت حولها . فتلك الكواكب . وبعضها افلت من قوة جاذبية الشمس فذهب بعيدا فى الفضاء الكونى حيثما ذهب

فهذا رأي الكونت دى بيفون ، العالم الكاتب الفرنسى . كتب ذلك فى موسوعته الشهيرة فى التاريخ الطبيعى ، تلك التى بدأ نشرها فى عام ١٧٤٩ ، وانتهى منه فى عام ١٧٨٩ . وعندئذ لم يكن علم الفلك تقدم تقدما بالسنبة لتقدمه اليوم كبيرا

نظرية الانكماش الشمسى

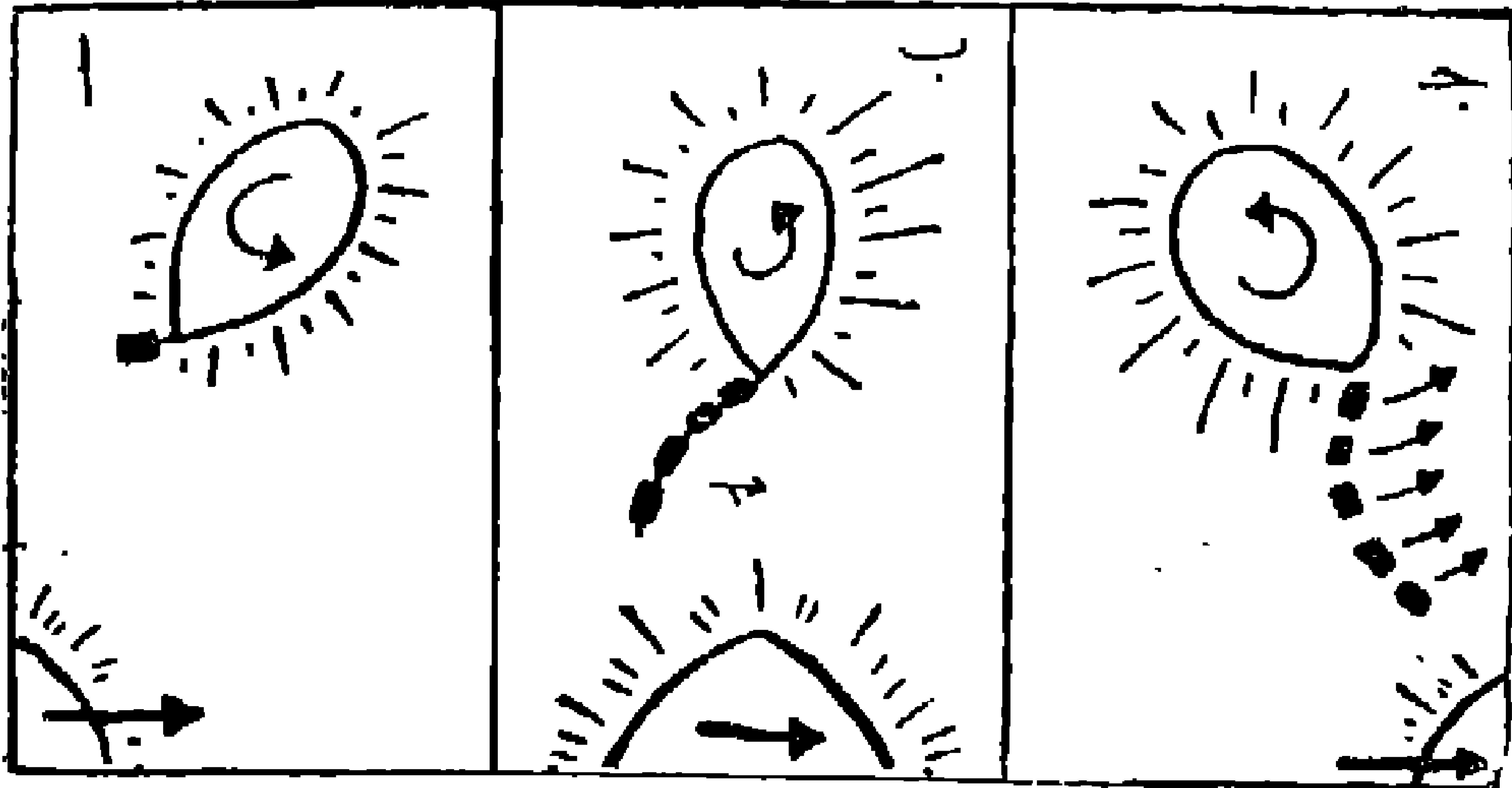
وكان الفيلسوف الالمانى الشهير ، عمانويل كنت ، قد ابتدع نظرية فى نشأة الكواكب ، فى نحو منتصف القـــــرن الثامن عشر . زعم ان الكواكب نشأت من الشمس ، ومنها وحدها ، وبدون أن يصدمها من الخارج صادم . زعم أن الشمس كانت فى أول امرها شيئا عظيما ضخما ، من غاز ، ملأ بحجمه الهائل كل هذه المنطقة التى تشغلها اليوم الكواكب فى مداراتها . وأن هذه الكرة الضخمة الهائلة من الغاز كانت من الاصل تدور حول نفسها . وانها اذ اخذت تبرد ، بالاشعاع انكمشت ، وبانكماشها زادت سرعة دورانها حول نفسها ، فبذلك تقضى قوانين معروفة . وانه بزيادة دورانها ، زادت القوة المركزية الطاردة عند اوسطها . وخرجت ، بفعل هذه القوة الطاردة ، من هذا الاوسط ، حلقات من غاز . وان هذه الحلقات تكثفت فيما بعد ، وتجمعت مادتها ، وبردت من بعد ذلك فصارت الكواكب . وظلت بالطبع على دورانها

ويأتى عام ١٧٩٦ فيجد العالم الفرنسى الرياضى الشهير لابلاس ، يعتنق هذه النظرية ، ويتوسع فيها ، ويشد من أزرها

تردد بين النظريتين

ويأتى القرن الحاضر فيجد من العلماء من يعود الى نظرية الكونت دى بيفون فيعدل فيها . ان نجما لم يصدم الشمس بل لقد يقرب هذا النجم الكبير المغير من الشمس ، وهى مائعة فيجذب مادتها ، فيخرج اليه بالجذب لســـان من

الشمس طويل ، بل لسانان . وينفصل اللسان بل اللسانان عن الشمس . ويظلان يتحركان فيدوران على مثل مادارت ويكون النجم المغير قد فارق . فتحبس الشمس بقوة جاذبيتها قطعا من هذا اللسان بل اللسانين اللذين انفصلا عنها . فهذه الكواكب . فهى أولاد الشمس وبناتها . ومن مادة الشمس اقتطعت مادتها . وبردت هذه القطع من الغازات الحارة الملتهبة . وسهل عليها البرودة صغرها . وتكثف الغاز فكان سائلا . وتكثف السائل فكان جامدا . فكانت من ذلك الكواكب السيارة على الحال التى نعهدها عليها اليوم



مر نجم هائل قرب الشمس ، فجذب اليه منها شريطا من غاز . ومر النجم سريعا ، وخلف الشريط . فتقسم الى قطع ، هى الكواكب السيارة فى دور تكوينها الاول . ودارت حول نفسها وحول الشمس ، كدورة الشمس ، من غرب الى شرق

فتلك نظرية العالم الفلكى الانجليزى ، السير جيمس جين وصاحبين له من الامريكيين

ويقوم اعتراض على هذه النظرية ، شأن كل نظرية

ان قطعا تخرج من الشمس ، على مثل هذا الوصف ، تقضي القوانين بأنها تدور حول الشمس فى مدار بيضاوى

أهليلجي . ونعم أن مدارات الـكواكب أهليلجية ، ولـكن الكثير منها اقتربت مداراتها من الدائرة فكادت ان تكون دوائر . فما الذى فعل فى الاهليلجات حتى كادت أنتكون دوائر ؟

وشيء آخر . ان اقتطاع نجم كبير لقطع من الشمس بقوة الجذب على النحو المذكور ، يقضى احتمالا بأن تكون هذه القطع كبيرة خطيرة . ولكن الكواكب ، بالنسبة إلى الشمس ، ليست لا بالكبيرة ولا الخطيرة . ان جرمها كلها ، مجتمعة ، لايساوى الا جزءا من ألف من جرم الشمس ، من مادتها ، فأين الكبر واين الخطر ؟

ويعود بعض العلماء فيحرك نظرية لابلاس ليوقظها من جديد ، بشيء من التعديل . وهو يجمع بينها وبين نظرية بيفون . انها نظرية بين النظريتين . وشيء وسط بينالرأيين

والذى يهمنا ، ونحن نستهدف ايضاح وحدة الاصول والانساق فى هذا الكون ، ان العلماء على اختلافهم فى أمر هذه الاسرة الشمسية ، بشمسها والكواكب ، لم يختلفوا فىأصل ، وانه واحد ، وانما اختلفوا فى تصورهم لخروجها جميعا من أصل أو اصول واحدة ، وكيف تنشأت هـذه الانساق التى شملتها جميعا

وهذا حسبنا

الباب الثاني عشر

الشمس ...

التي عبدها الناس

لولا الشمس ما كانت حياة

وعبدوها ، لانهم وجدوا مرد كل شيء فى هذه الحياة اليها كل منابع الحياة تنبع منها ، وكل المصادر تصدر عنها

هذا البقل منها ، وهذا القمح ، وكل ما اخضرت به الأرض فمن الشمس . أن الشمس ترسل أشعتها الى الارض تنظم بها ما تفرق من عناصر الارض ، كما تنظم الابرة والخيط . وهى تنظمها أنساقا أشتاتا ، ألفا فألفا فألفا . وهى تغلقها خزائن فيها القوة ، وفيها الطاقة وفيها الحياة . فذلك نبات الارض

ومن النبات ينشأ الحيوان ، حيوان الارض . يأخذ التماسك فى البناء ، والطاقة لكل حركة ، من نبات الارض . والانسان يأكل من نبات الارض ، ومن حيوانها ، من هذه الاصول ، من هذه الاحقاق التى أغلقت على طاقاتها . ومرجعها جميعها الشمس . يأكل منها فيبنى نفسه ، ويستمد طاقته وقوته

والحياة فى حاجة الى ماء . النبات فى حاجة الى الماء . والحيوان فى حاجة الى الماء . والبحر ملح أجاج . والشمس هى التى تحيله ماء فراتا . وهى ترشه من عل على النبت مطرا ، او تجريه فى مسارب الارض انهارا . ويريد الانسان أن يقبع على الارض ، فلا يقبع الا عند ماء ، مورده السماء

ونريد أن ندفىء الأجسام ، أو ننضج الطعام ، فنحرق الخشب . وما الخشب الا خزائن الطاقة ، طاقة الشمس أودعتها فيها من آلاف آلاف الاعوام

ونطلب الحركة والتحريك . حركة تحملنا ، أو حركة

تدور بسواقينا واشباه السواقى . فنتخذ من الدواب سيارات ومحركات . ولكل سيارة جسم ، هيكل ، ولكل سيارة وقود . وسيارات الانسان البدائية الاولى ، من حمار او فرس او ثور أو جمل ، بناؤها من الشمس ، وبنزينها من الشمس . ان بنزينها ما تأكل من تبن وفول وبرسيم ، وهى من نتاج الشمس . وتتقدم المدنية ، فنطلب الحركة اكثر ما تكون . نطلبها لآلات تدور عارمات ، تصنع الخير للناس فنجدها فى الفحم ، أو فى الزيت ، وفى كل طاقة من طاقات الشمس فى طباق الارض مخزونة دفينة

ونفكر ، فننفق فى التفكير طاقة ، مردها آخر الأمر الى طاقة الشمس

وأنت بالفكر تعبد . والفكر من الشمس . فحتى العبادة لاتكون الا أن تنفق فيها من طاقة ، من شمس

ان الشمس تسيطر على هذا الوجود . الوجود الانسانى

ان على سطح هذه الارض الوف الملايين من الناس ، بجانبهم ملايين الملايين من سائر الاحياء . كلها تنبض بالحياة وكلها بالحياة دفيئة . كل حى مصباح دافىء ينير . وهى مصابيح عدد الرمال ، منها الساطع بنوره ، ومنها الخافت وكلها متصلة بالشمس تستمد منها دفأها ، وتستمد نورها

أطفىء الشمس ، تنطفىء كل هذه المصابيح على الارض ولا يلبث أن يلف الارض ظلام ، هو ظلام القبر ، وبرد ، هو برد الموت

من أجل هذا عبدها القدماء ، وعبدوا فيها الحياة

ونحن لانعبدها ، وانما نقدسها . ونقدسها ، كما تقدس الفروع الاصول . ونقدسها بحسبان انها لنا ، نحن القاطنين بهذه الارض ، آية الله الكبرى

الشمس فى اوسط اسرتها ، ترقص
رقصة الكواكب ، من بنين وبنات

وتسأل عن الشمس ، ماهى ؟ واليك البيان ، اجمالا

انها نجم ، كسائر ماترى فى السماء من نجوم . وهى ان تراءت لنا نجما عظيما ، فما ذلك الا لقربنا منها ، فماهى بين النجوم بالنجم العظيم ولا الخطير . نحن الذين اعطيناه هذا الخطر ، لانه نجمنا ، وبه ارتشقنا ، واتصلت به كل حياتنا . وهو النجم الوحيد الذى نستطيع ان نراه ، ونرى بعض تفاصيله ، وندرسه . فسائر النجوم بعيد عنا بعدا كبيرا هائلا ، فهى من اجل هذا لانكاد تتراءى لنا فى اكبر المناظير اكثر من نقاط من ضياء

ولقد وصفنا الارض مثلا للكواكب السيارة

ونصف الشمس الآن مثلا للنجوم

ان الشمس ، على ماسبق ان ذكرنا ، كرة هائلة من غازات متقدة متوهجة ، قطرها نحو من ٨٦٥٣٨٠ ميلا . ولو اننا صففنا على هذا القطر كرات ارضية ، ككرتنا الارضية ، لبلغ عددها ١٠٩ . ولو أننا جمعنا من هذه الكرات لنبلغ بأحجامها حجما مثل حجم الشمس ، لجمعنا نحو ١٠٠٠٠٠٠ منها

والشمس تدور حول نفسها ، كما تدور الارض ، ولها محور تدور عليه كما تدور الارض . ومحور الارض يميل على مستوى تدور فيه حول الشمس ، هو مستوى مدارها . وينشأ من ذالك الشتاء والصيف ، ومحور الشمس يميل ايضا على هذا المدار ، سبع درجات . ولقد نتج عن ذلك ان يكون للشمس صيف ويكون شتاء ، لو ان الشمس كوكب . ولكنها نور ونار

ومحور الارض يتجه ، حيثما كان من مدارها ، وحيثما

دارت الارض حول نفسها ، الى نقطة فى السماء ، هى النجم القطبى ، او هى نقطة قريبة من هذا النجم جدا . ومحور الشمس يتجه كذلك ، والشمس تدور حوله ، الى نقطة فى السماء ثابتة ، فى تلك الناحية من السماء

والشمس تدور حول نفسها من غرب لشرق ، كما تدور الارض وتدور سائر الكواكب السيارة

ولو ان الشمس كانت كالارض ، لها جسم صلب متماسك ، لدارت كلها قطعة واحدة جامدة متماسكة كالارض ، فكان لها يوم ثابت الطول ، اربع وعشرون ساعة ، او فوق ذلك او دون ذلك ، قدرا . ولكن الشمس من غاز . ونقاط على سطحها ، عند خط استوائها تدور الدورة الواحدة حول محور الشمس فى وقت اقل مما تدورها نقاط على سطحها أبعد عن خط استوائها وأقرب الى أى من قطبيها . فيوم الشمس ، ان صح ان نسميه يوما ، هو عند خط استوائها يبلغ نحوا من ٢٤ يوما من ايامنا نحن . وهو قرب قطبيها يبلغ نحوا من ٣٤ يوما

ونذكر كل هذا ، فيما نذكر ، تدليلا على النسق الواحد الذى تجرى عليه الاسرة كلها ، الشمس وبنوها ، فلو انها جوقة موسيقية لاتسقت انغامها وشاقت . او انها فرقة راقصة صامتة لاعبة ، لاتفقت حركاتها ، وهى يدور راقصوها وراقصاتها ، على فقار ظهورهم وظهورهن ، وفى مدارات ، حول أم لهن واحدة ، هى أيضا حيث هى راقصة . وهى مدارات للرقص دارت واتسعت حتى لا يزحم بعضهم بعضا ومالوا جميعا برءوسهم ، وملن . واختلفوا واختلفن ميلا زيادة فى الجمال وامعانا فى الاغراء

واعجب من كل هذا ان الشمس لا تثبت حيث هى من

السماء . انها تسير . وانها تحمل معها أسرتها ، كما تسير الهرة تتبعها هريرات



الشمس راقصة ، تدور حـــول نفسها . والكواكب ، بنوها وبناتها ، من حولها ، يرقصن مثل رقصتها ، ويدرن مثل دورتها ، حول أنفسهن وحولها. ودائما من غرب لشرق

وكيف ذلك ؟
سنفصل ذلك فى موضعه بعد من هذا الكتاب

الشمس كرة من نار

والشمس ، كما اسلفنا ، كرة من نار . ودرجة حرارتها عند السطح تختلف بموقعهـــا من قرص الشمس الذى نراه . وهى تبلغ نحوا من ٦٠٠٠ درجة مئوية فى أوسط القرص ، وهى تبلغ دون ذلك كلما ابتعدنا نحو الطرف . وهى عند أطراف القرص تبلغ نحوا من ٤٨٠٠ درجـــة ، لأن الاشعاع مصدره الينا أبعد ، فهو يتنفذ فى جو الشمس اكثف قبل أن يصل الينا

اما أوسط الكرة الشمسية ، فى أوسط الأتون ، فقد قدروا درجة حرارته فكانت حول ٢٠ مليون درجة

ومقادير الحرارة التىتشعها الشمس فيما حولها مقادير هائلة . ان السنتيمتر المربع الواحد من سطح الشمس يشع فيعطى فى الدقيقة الواحدة ٨٩٠٠٠ سعر حرارى ، فهو يعمل عمل محرك قدرته ٩ أحصنة . فالمتر المربع الواحد يعمل عمل محركات قدرتها ٩٠٠٠٠ حصان . وسطح الشمس كله يعمل فى اشعاعه عمل خمسمائة وثمانين ألف مليون مليون مليون حصان ، وهو عدد يكتب اختصارا فيكون ٥ر٨ × ١٠(٢٣)

ونصيب الارض من هذا الاشعاع كله يبلغ نحوا منجزء من ٢٢٠٠ مليون جزء . ونصيب الميل المربع على سطح الارض منه يعادل ى المتوسط ٥ ملايين من الاحصنة ، الأحصنة الميكانيكية ، التى تتخذ وحدة للطاقة ، للقدرة

من أين تأتى الشمس بوقودها

واختلفوا فى مصدر هذه الحرارة ، هذا الاشعاع كله ، من أين يجىء ، وكيف ينفق . إنه ان كان يجىء وينفق من مختزن ما فى بطن الشمس من حرارة ، اذن لانخفضت درجة حرارة الشمس نحو درجة كل عام . ومعنى هذا ان عمر الشمس لن يمتد أكثر من بضعة آلاف منالاعوام، تكون فيها مصدر الحرارة . ولكنا اذا نظرنا الى الماضى ، لا الى المستقبل ، علمنا أن عمر الشمس والارض امتد ، لا الوفا ، ولكن ملايين كثيرة من السنين

وهي ، فى هذه الاحقاب الطويلة ، أعطت الارض من الحرارة بمقدار، لايزيد ولاينقص ، فىحدود متقاربة أكثر التقارب ، تلك الحدود التى يعيش فيها النبات والحيوان والانسان

لا بد اذن من شىء يعطى للشمس من الحرارة ، من

الطاقة ، ما تفقد منها . يمدها ويستمر فى امدادها ، على النسق الواحد الذى تنسقت عليه الحياة على هذه الارض، فلا يزيد فيحرق ، ولا ينقص فيجمد . ففى كليهما فناء الاحياء

وجاء العلماء بالنظرية من بعد النظرية فىتصوير المصدر الخبىء الذى يمد الشمس بحرارتها ، ويظل يقوم على امدادها

وجاءوا بنظرية تتصل بالشهب ، اذ ترتطم بالشمس فتعطى الطاقة ، فما أغنت

وجاءوا بنظرية تتصل بانكماش الشمس ، والانكماش يعطى الحرارة ، فما أغنت

الشمس قنبلة أدروجينية هائلة !

وجاء العصر الحديث ، عصر انحلال الذرة وانشقاق الذرة ، فرأى العلماء فيه بغية منشودة

ان ذرة الراديوم تنحل . ومن بعض أنتجة انحلالها غاز الهليوم . وهى تنحل فتشع فتخرج الطاقة . وفى الشمس استدلوا على وجود الرديوم . والهليوم موجود طبعا فى الشمس ، فهو اكتشف فيها قبل أن يكتشف فى الارض . ومن هذا كان اسمه ، فهليو معناها الشمس ، فقد جاز أن يسمى شمسيوم

الرديوم اذن فى الشمس ، وكذلك واحد من أنتجة انحلاله ، الهليوم . وتقوم النظرية على أن الشمس تستمد طاقتها ، لتتجدد ، من هذا الانحلال

ثم هم يحسبون ويقدرون ، فلا تبلغ النتائج أرقام الحرارة التى يطلبون

وتنشق ذرة اليورنيوم ، بعد انحلال ذرة الرديوم وتنشق فى القنبلة الذرية فتعطى ما قد علمنا من مقادير

من الحرارة هائلة . اذن فحرارة الشمس الهائلة من هذا الانشقاق الهائل

ثم هم يحسبون ويقدرون ، فلا تبلغ النتائج ما يبتغون منها

لا بد اذن من مصدر أكبر هولا

ويأتى عصر الادروجين والقنبلة الادروجينية. انالقنبلة الادروجينية أقوى منالقنبلة الذرية ، القنبلة اليورنيومية واقوى كثيرا

ان ذرة اليورنيوم تنشق ، وتتفرق أجزاؤها ، فتنتج مع هذا الانشقاق الحرارة والطـــاقة . أما الاجزاء التى انقسمت اليها الذرة فعناصر دون اليورنيوم وزنا . واذا فرضنا أننا جمعنا هذه الاجزاء ووزناها لكانت أقل مما استخدم من يورنيوم وزنا . فأين ذهب الشيء الناقص ؟ انه تحول الى طاقة ، الى حرارة ونور واشعاعات أخرى . ان المادة تحولت الى طاقة . وتلك الحقيقة هى أكبر حقيقة خرج بها القرن العشرون . وبسببها كان اسمه قرن الذرة

ان المادة تتحول الى طاقة ، فتنتج مقادير منها هائلة

ان الجرام الواحد من المادة ، يتحول الى طاقة ، فينتج منها ما يعادل ٢٢ مليون مليون سعر من حرارة

لم يكف اليورنيوم، فرضا أنه موجود بالشمس، لتفسير حرارة الشمس

وكفى الادروجين

وذرة اليورنيوم تعطى من مادتها فتنتج الطاقة بالتقسم والتجزؤ والتفرق . وذرة الادروجين تعطى من مادتها ، لا بالتشقق والتفرق ، ولكن بالتجمع

ان أربع ذرات من الادروجين تتجمع وتعطى ذرة واحدة من الهليوم . ولكن أربع ذرات منالادروجين بها من المادة ، من الكتلة ، من الثقل ، أكثر مما بالذرة الواحدة منالهليوم (تفسير ذلك نعتزمه فيما بعد) ، فأين ضاع سائر المادة ؟

تحول الى طاقة ، والى طاقة كثيرة هائلة

ان هذا التحول الهـائل نهض يفسر ما فى الشمس من انطلاق طاقة عرفناها هائلة

وهل فى الشمس ادروجين ؟

نعم ، انه أكثر مادتها

وهل فى الشمس هليوم ؟

نعم انه بالشمس كثير ، يأتى مقداره فى الكثرة بعـد الادروجين

الشمس اذن اتون من نار ، يجرى فيه مثل ما يجرى فى ملايين الملايين من قنابل ادروجينية ، يتحول فيهـا الادروجين الى هليوم ، والى عناصر أكثر تركيبا من الهليوم

فما الادروجين هذا ، وما ذرته ؟

انه أخطر شيء فى الدنيا . وذرته أخطر ذرة

انها الذرة التى أعطت النار والنور

وانها الذرة التى دخلت فى تركيب الاجسام والاجرام

انها اللبنة ، الطوبة ، قطعة الآجر التى منها بنى هـذا الكون

وعندما ننتهى من ايضاح الوحدة فى بناء هذا الكون ، سننتهى الى هذه الذرة وحدة لهذا الوجود

وكل آت قريب

نور الشمس ألوان

تحدثنا عن نار الشمس ، عن حرارتها ، ولم نتحدث عن نورها

ونور الشمس بعض اشعاعها . وهو ما تراه العين . والشمس أضوأ شيء فى السماء ، يليهـا القمر . وهى أضوأ من القمر نحوا من نصف مليون مرة ، والقمر بدر . والسنتيمتر المربع الواحد فى سطح الشمس يعطى مايعادل ٥٠٠٠٠ شمعة من ضياء

ونحن نحدث الضوء فى هذه الحياة الارضية اصطناعا : شمعة نوقدها ، او مصباح زيت ، أو غير ذلك . ويخرج من ذلك اشعاع ينقسم بين نور ، ونار (حرارة) ، وغير ذلك . وتقل نسبة النـــــور للاشعاع كله ، أو تزيد . والشمس أكثر المصادر الاشعاعية جميعا نسبة نور. وهى نسبة تكبر بضع مرات نسبة نجدها فى أكثر المصـــادر الصناعية ضياء

وضوء الشمس أبيض اللون . فهكذا اثره فى العين . ولكنك ترسل الشعاع منه الى منشور ثلاثي من الزجاج ، فيدخل الشعاع الى الزجاج من سطح ليخرج من سطح آخر من اسطحه الثلاثة . ولكنه لايخرج أبيض كما دخل. انه يخرج وقد تفرق الى شعاعات كثيرة ، ومال بعضها عن بعض ، وتجنب بعضها بعضا ، ليظهر كل منها على حقيقته، أحمر او أخضر أو غير ذلك . ولو انك جمعت هذه الشعاعات الملونة مرة اخرى ، فخلطتها ، فخرجت شعاعا واحدا ، لكان شعاعا ابيض كالذى كان أول مرة

فذلك هو الطيف : شعاع أبيض تفرق الى ما احتـواه من شعاعات ذات الوان

وانت ترى الطيف أحمره وأخضره فى بيتك ، فيما تثلث من زخرف الزجاج ، فيما يتدلى من ثريات المصـــابيح ونحوها . وانت ترى الطيف فى السماء ، وقد بل المطر هواءه . انه قوس قزح بألوانه المعروفة المألوفة

وما سبب تفرق هذا الشعاع الى مكوناته من شعاعات حمراء وخضراء ونحوها ؟

نور الشمس امواج

سببه ان كل شعاع ذى لون ، انما هو أمواج متواصلة من الضوء . وتختلف أطوال الموجات للشعاعات فتختلف الوانا . وأهم من هذا أن مجراها ينكسر عند خروجها من

الزجاج على ما وصفنا . والانكسار ميل عن مجرى الى مجرى . والشعاعات التى تختلف ألوانها ، يختلف ميلها عند انكسار .. عند خروجها من الزجاج . لهذا تخرج متفرقة

الشعاعات الحمراء تميل عن مجـراها الاول ، مجرى الضوء الابيض ، قليلا . والشعاعات البرتقالية التى تليها تميل عن ذلك المجرى الاول أكثر ، لأن طول موجتها أصغر . والشعاعات الصفراء التى تليها تميل عن الشعاعات البرتقالية لأن موجتها أصغر منها . وتلى الشعاعات الصفراء الخضراء ، فالزرقاء ، فالنيلية ، فالبنفسجية

سبعة ألوان تميزها العين فيما نرى من الطيف ، تصغر موجاتها كلما ذهبنا من الطرف الاحمر من الطيف الى الطرف البنفسجى منه

ونقول شعاعات سبع ، وما هى بسبع . انما هى آلاف ، يندمج بعضها فى بعض ، ويتدرج بعضها الى بعض فى موجات تتراوح أطوالها ما بين ٧٠٠٠ الى ٣٩٠٠ وحدة ، لا سبيل الى وصفها باللون

وما هى هذه الوحدة فى قياس أطوال الموجات الضوئية ؟

ليست مترا . ولا سنتيمترا . ولا ملليمترا . انها أصغر من ذلك كثيرا . انها جزء من عشرة ملايين من أجزاء نقسم اليها المليمتر الواحد !

ومعنى هذا أن أقصى ما تراه العين من الأشعة البنفسجية تبلغ موجته من القصر ٣٩٠٠ وحدة . ومعنى هذا أيضا أن أقصى ما تراه العين من الأشعة الحمراء ، التى بطرف الطيف الآخر ، تبلغ من الطول ٧٠٠٠ وحدة

اشعة لاتراها العين

ولكن ، ماذا فى الطيف بعد الأشعة البنفسجية مما لا ترى العين ؟

بها شعاعات أصغر موجة ، ليس من ذنبهـا أن العين لاتراها . انها الأشعة المعروفة « بفوق البنفسجية » . انها الأشعة التى تؤثر فى اللوح الفوتوغرافى العادى وتعطينا الصور الفوتوغرافية . وبالفوتوغراف نحن نصورها

ثم ، ماذا وراء هذه ؟

وراءها أشعة أصغرمنهاموجة . منها الأشعةالسينية ، تلك التى تنفذ فى الأجسام ، وتؤخذ بها صور من بواطننا ، نكشف بها الأمراض . ومن بعد الأشـــعة السينية تأتى اشعة جيم ، أشعة جاما . تلك التى منهـا ما يبلغ جزءا صغيرا من هذه الوحدة المتناهية الصغر التى بهـا نقيس موجات الضوء . وهى الأشعة التى تخرج عنـد انفلاق الذرة فتضر بالناس ايما ضرر ، وقد تقتل

وكما وراء الأشعة البنفسجية اشعة ، هى أصغر منها موجة ، فكذلك وراء الأشعة الحمراء ، اشعة ، هى اكبر منها موجة . وتعرف بأشـــعة ماتحت الأحمر . وليس من ذنبها كذلك أن العين لا تراها ، انها الحرارة التى نحسها اجمعين . ومن بعد هذه تأتى الأشعة اللاسلكية . وطول موجتها قد يكون جزءا من عشرة من المليمتر . وقـــد يبلغ أميالا طوالا

فهذا هو الطيف كله ، يتألف من موجات ، منها الضوئى ، ومنها الحرارى ، ومنهـا السينى ، ومنها الجيمى ، ومنها اللاسلكى . وكلها شىء واحد فى طبيعتـه . لا اختلاف بينها الا طول موجة ، ثم ما ينشأ عن طول الموجـة من اختلاف فى الطباع

والشمس لا يمتد طيفها فيشمل كل هذا . انه يشمل الجزءالمرئى ، والكثير الى يمين هذا ، ذاك الفوقالبنفسجى ، والكثير الى يسار هذا ، ذاك التحت الاحمر

الغاية من هذا الحـديث

ولـكن ، ما الغاية من هذا الحديث ، حديث الطيف ؟ الغاية المعرفة ، وكفى بالمعرفة كسبا

والغـــاية ادراك مافى الصور المختلفـــة من الطاقـــة من وحـــدة ، هي بعض وحـــدة الـكون : الضـوء ، الحرارة ، الأشـــعة السينية ، اللاسلـكية ، وهلم جرا ، كلها شيء فى طبيعته واحد

وغاية ثالثة قريبة محققـــة ، تلك علم مافى الشمس من عناصر . علم من أى شيء يتركب هذا النجم الذى سميناه الشمس . فعلم من أى شيء تتركب النجوم . فمن أى شيء يتركب الـكون ، فما الـكون الا نجوم . وكل هذا فى سـبيل ايضاح الوحدة الـكاملة الشاملة . واليـــك حديث هذا

قرص الشمس

ان ابين شيء فى الـكون ، أصعب شيء رؤية . انهـــا الشمس . انك تنظر اليها فى كبد السماء بعينك العارية فتمشي وتعمى فلا ترى منها شيئا . وتنظر اليها بالمنظار ، دون احتياط مما يحتاط به الناظرون فيها ، فقد تحترق عيناك . أنظر الى الشمس بلا منظار ، ولـكن من خلال لوح من الزجاج ملون ، يمنع عنك وهجها وشدة التماعها، تجدها قرصا مستديرا ، لونا أبيض واحدا لاشية فيه

وتنظرها بالمنظار ، وقدتزود بمايقيك شر النظر ، فتجد لها قرصا قد اكتمل وتحددت أطرافه . وهو قد ترقط ، فـكأنما نثرت عليه أرزا أو كأنه وجه البحر انتشرت فيه الامواج خفيفة وابيضت رؤوسها. (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ٣) (١) . أو كأنها مطبوح اللبن الثخين على النار فهو

---

(١) اللوحات الفوتوغرافية المشار اليها فى هذا الكتاب منشورة كلها فى آخر الكتاب

يتفقع فى كل ناحيةفيه . أو كأنها الغازات تخرج من بطن الشمس وتفور عند سطحها . وهى رقطات لا تلبث أن يتغير شكلها ويتغير موضعها ، فكأنما مادة الشمس فى اصطراع لا يأذن لها بهدوء . وقطر الرقطة منهـا هو فى المتوسط ٥٠٠ ميل

وعلى سطح الشمس غير ذلك بقع سوداء . انها تتراءى سوداء وما هى بسوداء (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ٤) . انها مناطق فى هذا السطح ، أقل منـه توهجا ، لأنها أقل منهدرجة حرارة ، لهذا يظهر فيها اعتامبالنسبة لما حولهـا من اطار أنصع . لعلهـا أعاصير تخرج بهـا الغازات من بطن الشمس فوارات . وتتمدد الغازات فتفقد فى تمددها حرارة . وتكون درجة حرارة هذه البقع أقل من البيئة الناصعة التى حولها ١٠٠٠ درجـة أو دون ذلك قدرا . وقد تصغر فتكون بضع مئات من الأميـال عرضا ، وقد تكبر فتكون بضع عشرات ألف من الأميال عرضا . وقد تتجمع فيمتدمجموعها الى ٢٠٠,٠٠٠ميل ، مساحتها ٥٧٠٠ مليون ميل مربع

ولظهور هذه البقع واختفائها أثر فى شـئون الارض كبير ، فى مجالاتها المغناطيسية ، وفى اذاعاتها اللاسلكية . وهى دائمة الظهور ، ودائمة الاختفاء . تثور لتهـدأ ، وتهدأ لتثور

ان ما فى قرص الشمس من ترقط ، ومافيه من تبقع ، وما يعترى كل هذا من تغير فى شكل وفى موضع ، لدليلا على مافى هذه الكرة الغازية الملتهبة من جيشان وثوران

فهذا هو قرص الشمس الذى نراه

هذا هو السطح الخارجى لكرة الشمس . وهو الذى يسمى « بالغلاف الضوئى » أو « الطبقة المرئية » (١) ، لأن منها يخرج النور الينا فنرى الشمس . وهو طبقـة

(١) فوتوسفير

بالنسبة لقطر الشمس رقيقة ، ونحن لانرى مادونها ومن فوق هذه الطبقة جو الشمس

جو الشمس

وجو الشمس اسم يطلق على كل مافوق « الطبقة المرئية » من طبقات . وهى طبقات من غازات لطيفةرقيقة تزداد رقة كلما بعدنا عن جسم الشمس . والعين العارية لاتطلع عليها الا اذا احتجب جسم الشمس بأن كسفه القمر . انها الاطارالقليل الضوء الذى لايبين الا اذا احتجب الجسم الأضوأ والألمع (أنظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ٥)

ولا يعنينا الآن من هذا الجو الواسع ، بعد أن نذكر أن هالة الشمس هى بعضه ، الا أن نذكر أن فيه تخرج من سطح الشمس ألسنة من اللهب حمراء مديدة ، تمتد فى هذا الجو علوا كبيرا (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ٦)

العناصر التى بالشمس هى عناصر الأرض

وشيء آخر نحن نعنى به ، من هذا الجو ، أكبر عناية ان سطح الشمس ، وتبلغ درجة حرارته نحوا من ٦٠٠٠ درجة مئوية ، يخرج منه النور كاملا . يخرج منه الطيف كاملا . كاملةموجاته ، سواء منها ما كان بالطيف المرئى ، أو ما فوق البنفسجى ، أو ما دون الأحمر

وهذا الضوء ، قبل أن يصل الينا ، نحن أهل الأرض ، يمر بجو الشمس طبعا . وهو أبرد . وبه العناصر شتى .. به ذرات تلك العناصر . وبه حتى جزيئاتها . والعناصر اذا أنت أحميتها ، ووضعتها بين نفسك وبين طيف يأتيك من ورائها كاملا ، ما أتاك كاملا . ان هذه العناصر تمتص منه موجات بها خاصة ، ويصلك الطيف وموضع هذه الموجات منه فراغ اسود. ولكل عنصر موجات بذاتها معروفة مدروسة ، هو دليل عليها ، وهى دليلة عليه . وتظهر فى مكانها

من الطيف ، بعد أن يمتصها العنصر ، خيوط سوداء تعرفه بها . بها تعرف وجوده ، وانه قام بينك وبين الطيف الكامل

وبطيف الشمس ، طيف ضوئها الذي يصل الينا ، ألوف من هذه الخيوط السوداء ، أو ان شئت فالمظلمة ، نتيجة ما امتصته العناصر الغازية الحـــارة التى بجو الشمس ، لا سيما فى الطبقة السفلى من هذا الجو

واذا ، فبدراسة هذه الخطوط المظلمة ، نستدل على ما فى الشمس ، فى سطحها ، من عناصر (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ٧)

واســـتدلوا بذلك على أن الشمس بها نحـو من ٦٧ عنصرا من عناصر الارض . وعناصر الارض تبلغ نحوا من ٩٠ . وسيزيد المستدل عليه من العنـــاصر فى الشمس اذا ما تيسرت الصـــعوبات التى تقوم تعسر من هـــذا الاســـتدلال . فليس الاســتدلال على العنـاصر فى كل حالة بيسير

ومن العناصر الشهيرة التى فى الشمس ، شهيرة بيننا نحن معشر اهل الأرض ، الأدروجين ، والهليوم ، والبورون (على هيئة أكسيد) ، والكربون ، والنتروجين ، والأزوت ، والأكسيجين ، والفلور (على هيئة فلوريد السيلسيوم) ، والصديوم ، والمغنيسيوم ، والألمنيـوم ، والسيلسيوم ، والفسفور ، والـكبريت ، والبوتسيوم ، والـكلسيوم ، والكروميوم ، والمنجنيز ، والحديد ، والكوبلت ، والنيكل ، والنحاس ، والزنك ، والرصاص ، والقصدير

وحتى الفضة والذهب والبلاتين استدلوا على وجودها فى الشمس

واستدلوا على كل ذلك من تحليل الطيف والأطياف

وبتحليل الطيف والأطياف يستدل الـكيماويون اليوم فى معاملهم على ماتحتويه المواد الأرضية من عنـــاصر ،

يكشفون عن نوعها ، ويكشفون عن مقدارها . وهى طرائق عادية مما ألف الكيماويون

واذا نحن قلنا أن الشمس تحتوى كذا وكذا من العناصر فليس معنى هذا انها تحتويها بمقادير واحدة ، أو حتى مقادير متقاربة ، فمن العناصر ما لا توجد فى الشمس الا آثارا ...

وأكثر غازات الشمس : الأدروجين ، فالهليوم . وبالشمس كثرة كبرى من الأدروجين . يأتى من بعده الهليوم كثرة . وهذا فى تفسير حرارة الشمس ، ما منشؤها ، ذو شأن عظيم . وهو فى ايضاح وحدة الكون التى نستهدفها ذو شأن أعظم

انها حقيقة من أخطر الحقائق ، تلك التى خرجنا عليها : ان ما كشفنا من عناصر الشمس هو بعض عناصر الأرض. والشمس نجم يتمثل فيها سائر النجوم . والنجوم هى الكون . فمعنى الحقيقة التى خرجنا عليها ان عناصر النجوم ، عناصر الكون ، هى عناصر الارض . وسوف نزيد النجوم ربطا بالشمس ، كنها وماهية . وسوف يؤدى بنا البحث الى أن هذه العناصر ، هذه التى انبنى منها الكون أجمع ، هى على اختلافها شىء واحد !!

لقد تحدثنا عن الشمس بحسبانها نجما من نجوم السماء

وتحدثنا عنها بحسبانها أما لأسرة ، تلك الأسرة الشمسية، التى نحن من بعضها

ولا يتم حديث هذه الأسرة ، شمسها وكواكبها ، الا بالحديث عن المذنبات ، والحديث عن الشهب ، فهى منها فدونك كلمة موجزة عن هذه وهذه

الباب الثالث عشر

المذنّبات .. والشهب

مذنب أبى تمام

ألم يقل ابو تمام ، فيها :

وخوفوا الناس من دهيـــاء مظلمـــة
اذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب
تخرص ، واقاويل ، ملفقـــــة
ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

وهى ، كما قال شاعرنا العربى الكبير ، قد أثارت الناس اجيالا طوالا ، واذعرتهم ، وافزعتهم . ورأوا فيها نذر الشر ، وسوء الطالع ، بل وعلامة على قيام الساعة . وانتحر قوم رهبا . وفرت ملوك من عروشها هربا . وتوقفت حروب تطيرا

ورحم الله شاعرنا العربى اذ قال عنها فى ذلك العهد الباكر ، فى القرن التاسع الميلادى ، انها تخرص واقاويل وخرافات وتهاويل

ولقد ظل القدماء يرجمون فيها بالظن ويخافون . قال أرسطو انها انفاس تخرج من الأرض ، فلا تكاد تصعد الى الطبقات العليا من الجو حتى تلتهب . وظل الناس يرون ما رأى أرسطو الى نحو القرن السابع عشر . وبدات بشائر العلم الأولى تهل ، فرأى العلماء فيها أنها أشياء تبعد عن الأرض بعدا أكبر كثيرا من بعد القمر ، فما هى للأرض بأنفاس . ثم رأوا أنها تدور حول الشمس ، مقبلة عليها ، فاذا انثنت حولها بعدت عنها مدبرة عنها . فهى تدور فى قطع مخروطى عظيم ، الشمس بؤرته . وقال آخرون : بل هى تدور فى دائرة

مذنب هالى

حتى اذا جاء العالم الفلـكى الرياضى الانجليزى ادمند هالى Halley (ولد عام ١٦٥٦ ومات عام ١٧٤٢) ، اكتشف عام ١٦٨٢ مذنبه الشهير الذى أطلق عليه اسمه وعرف فى التاريخ بأنه مذنب هالى . ودرس مذنبه هذا ، ودرس سجلات تصف ظهور مذنبات سبقت ومداراتها . وخرج من ذلك على أن مذنبا ظهر فى السماء عام ١٥٣١ ، وآخر عام ١٦٠٧ ، ومذنبه هو عام ١٦٨٢ ، كلهـا مذنب واحد ، يذهب ويختفى ثم يعود ويظهر ، مرة كل نحو من ٧٦ عاما . وان هذه المذنبات تدور حول الشمس فى مدار بيضاوى اهليلجى ، كبير التفرطح ، الشمس فى احـدى بؤرتيه .(انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ٨)

وهو فعل أكثر من ذلك . تنبأ بأن هذا المذنب سيعود بناء على ذلك عام ١٧٥٩ . ومات الرجـــل عام ١٧٤٢ . وجاء عام ١٧٥٩ بعد موته ، وانتظر الناس مجىء هـــذا المذنب ، فاذا به يجىء ولا يخلف موعدا . ومن الاحيـاء بيننا من رآه عام ١٩١٠ . وهم يذكرون ما أثاره ظهور هذا المذنب ، مذنب هالى ، عند ذاك ، فى مصر وغير مصر ، من مخاوف ، كانت أصداء قليلة ظلت تتردد من أعمـاق الماضى البعيد . وعام ١٩١٠ كان موعد مجيئه . وهو بين عام ١٧٥٩ وعام ١٩١٠ ظهر مرة واحدة كانت عام ١٨٣٥

وقبل مجىء الفلـكى هالى ، أثبتت السجلات ظهور هذا المذنب فى دوره هذا ، رجوعا الى الوراء ، الى عام ٩٨٩ ميـلادية

واقرأ بيت أبى تمام ، فيخطر لى ان مذنب أبى تمـام هذا ، ذلك « الـكوكب الغـربى ذو الذنب » ، ما هو الا مذنب هالى . فهو لابد ظهر قبل عام ٩٨٩ م بـ ٧٦ عاما . اى لابد ظهر عام ٩١٣ . ثم قبل هـذا العام بـ ٧٦ عام

أخرى ، أى عام ٨٣٧ م . أى وأبو تمام فى أوج حياته الشعرية القصيرة . أى وهو ابن ٣٤ عاما . فهو مات وعمره ٤٢ عاما

نفى أبو تمام الخوف عن هذا المذنب وأشباهه ، نفاه هذا الشاعر السقاء الذى كان يدور بالماء على الناس فى جامع عمرو بالفسطاط . نفاه عام ٨٣٧م . ونفاه شعرا

ونفى هالى الخوف عن هذا المذنب وأشباه له . نفاه ذلك العالم خريج جامعة اكسفورد . نفاه عام ١٦٨٢ . ونفاه علما ..

المذنب يدور حول الشمس

ان المذنب يظهر فى السماء أول ظهوره ، اذ يقترب من الشمس ، شيئا من ضباب خفيف يتراءى كأن فيه شيئا أكثف . ويزيد اقترابه من الشمس فيتغير شكله تغيرا كبيرا . فهو يصبح شيئا مستطيلا ، له رأس يتقدمه ، وفى الرأس نواة . ومن خلف الرأس ، متصلا به ، ذيل يطول أو يقصر

ونواة الرأس أشد مافى المذنب التماعا

ويدور المذنب فى مداره حول الشمس فينحرف ذيله عن الشمس ، فكأنما يخشاها . أو كأنما أشعة الشمس تطارده فيختفى وراء الرأس . ومن عجيب أمره أنه ، من بعد استدارة حول الشمس ، يأخذ يتقدم الرأس من بعد أن كان يتخلف عنها

فهذا هو مثل للمذنب النموذجى . ولكن المذنبات تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا

ومن القدماءمن أسمى المذنبات ، بالنجوم ذات الشعور ولقد صدقوا . فهى أشبه ماتكون برأس جارية أرسل الريح شعرها فجاء يتبع من ورائها

المذنب ، حجمه وكتلتـه

واحجام المذنبات واطوالهـــا تختلف اختلافا كبيرا . فرؤوسها قد لاتبلغ اقطارها غير بضع عشرات الألوف من الأميال ، واذنابها قد لاتزيد على بضعة ملايين . ولكن من المذنبات مابلغ راسه مليون ميل قطرا ، فهو أكبر من قرص الشمس . ومن الرؤوس ماكان أضوأ من الشمس . ومن الأذناب ما بلغ المائة والمائتين من ملايين الأميال طولا فوصل مابين اوج السماء والأفق . ومكان الذنب الواحد قـــد يكون اذناب عدة

ومع كبر هذه الأطوال ، وضخامة ما يتبـــع ذلك من احجام ، فـكتلتها صغيرة حقيرة . ذلك أنها من غازات مخففة أكبر تخفيف . فهى قد تمر دون النجم فلا تحجب نجما . وتمر قرب الأرض والـكواكب فلا تحدث فيهـا أثرا . والذنب أشد جزء فى المذنب تخففا ، فهو يكاد أن يكون فراغا . وقد مر مذنب هالى بالأرض ، عام ١٩١٠ . وفى الليلة التاسعة عشرة من مايو ، فســـحب ذيله على سطح الأرض . واجتمـــع العلماء حيث الذيل يفحصون ويسجلون . ومضت الليلة « فما رأوا شيئا ، ولاسمعوا شيئا ، ولا قاسوا شيئا » . ومر الذيل فيهم فلم يصب منهم حسا

ومن العلماء من قدر ان كتلة المذنب لاتزيد عن جزء من مليون من كتلة الأرض . ومع هذا ، فهو فى هذه الحدود قد يبلغ ملايين كثيرة من الاميال طولا

مذنبات تعود ، وأخرى لاتعود

ومن المذنبات ما يدور فى مداره البيضاوى ، الاهليلجى ، فيذهب ويعود . وعد العلماء من هـــذه نحو الخمسين ، عودها مؤكد . ولكن قد يوجد غير هذه مذنبـــات طال مدارها ، أو طالت فى مدارها ، فما رآها الرائون غير مرة ،

ولعلها عادت مرة أخرى . ومن المذنبات ما ينفتح مدارها، كأن يصبح قطاعا مخروطيا زائدا ، لا اهليلجيا ، فيذهب فى الفضاء ولا يعود

مذنبات تتحطم فتصبح شهبا

ولقد ينفلق رأس المذنب فلقتين ، فينتج عن ذلك مذنبان . حدث ذلك فى مذنب بيلا . ودورته ٦ر٦ من السنوات . حدث هذا عام ١٨٤٦ . ولما حان موعده عام ١٨٥٢ ، عاد المذنبان معا ، وقد تباعد ما بينهما. ومضت دورات ثلاث بعد ذلك ، لايعثر عليه . فلما حانت الدورة الرابعة ، صادف أن الأرض تمر بمداره ، فعثروا مكانه ، فى الطريق الذى وجب أن يسلكه ، وفى الموعد المرتقب ، على شهب ناصعة رائعة . وجاءت الدورة التالية فرأوا مكانه شهبا أيضا . اذا لقد تكسر المذنب فلم يعد الا حطاما

واذا فالشهب من بعض حطام المذنبات . بعض الشهب من حطام المذنبات

ما بالمذنبات من عناصر

ومن اى شىء تتركب المذنبات ؟

لقد دل تحليل ما يصل آلينا من المذنبات من ضوء ، تحليل طيفه ، على أن بها من المعادن الصديوم والمغنسيوم والحديد . وبها كذلك فحم . وبها الاكسجين والادروجين والنتروجين مركبات . فهى تتركب من عناصر فى الارض، ومركبات فى الأرض . ليس فيها شىء غريب

وهذا ، فى فرض وحدة التراكيب فى الكون ، ليس بالشىء الغريب

واتضح من التحليل الضوئى كذلك ، ان المذنبات ، بعض ضوئها يخرج منها ، وبعض يأتى انعكاسا من الشمس

من أين تجيء المذنبات

وســـؤال آخر يراود الفكر : من أين تجيء هـــذه المـــذنبات ؟

والذى ترجح عند العلماء أنها من أهل البيت . انهـا تأتى من هذه الأسرة الشمسية ، وأنها بعضها . فلم يثبت عندهم أن مذنبا دخل الى هذه الأسرة من خارجها . ان المذنب قد يخرج عن الأسرة ، كما يخرج الولد العاصى ، فيضيع وينتحر . ولكن لا يدخل اليها غريب عنها

وتذكر أننا ذكرنا ، فى وصف الـكواكب السيارة ، ان بين المريخ والمشترى ، موضعا لـكوكب سيار ، حل محله كويكبات سيارة ، عددها عظيم ، تدور فى ذاك المـدار ، بين المريخ والمشترى . فهذه الـكوكبات ، الألف والبضع مئات ، هى بعض حطام ذلك الـكوكب السيار الذى كان هناك . انه انفجر . وكانت كتلته قريبة من كتلة الأرض. وتناثرت قطعه . فمنها ماحبسته الشمس ، فدار حولها فى مدارات دائرية تقريبا ، فهذه هى الـكويكبات . وفيها من الـكتلة نحو ١ على ١٠٠٠ من كتلة الارض . ومنهـا ماحبسته الشمس فدار حولهـا فى مدارات اهليلجيـة محاورها الـكبرى تتراوح مابين ٢٥ الفا الى ٢٠٠ الف من قطر الارض ، فتلك هى المذنبات . ومنها ما كانت مداراته مخروطية مفتوحة ، فهذه خرجت عن الشمس وضاعت فى الفضاء فهى لاتعود

ومن هـــذا الحطام جاءت الشهب كذلك وانتشرت . انتشرت ، ولا تزال

نظرية بارعة فسرت الـكثير من الظواهر

الشهب

شهب تحترق فى الهواء وأخرى تصل الينا

انها أجسام صلبة تجرى بسرعة هائلة فى السماء ، فاذا دخلت الجو الارضي ، احترت فاتقدت وهى تخترق الهواء، فرسمت وراءها خطا من نور ، لا يلبث أن يمحى

وهى لو لم تدخل الهواء ، فيصدمها وتصدمه ، ما رآها أحد . وسرعتها الهائلة التى تدخل بها الهواء ، يهدىء منها الجو حتى تذهب أو تكاد . وقد تحترق فتصبح رمادا قبل أن تصل الارض ، وقد تصل منها بقية تصغر أو تكبر

وقد تصل من الشهب الى الارض بقايا لا تحس ولا تذكر . وقد تصل منها كتل كبيرة تزن أطنانا . ومنها ما وزن ستين طنا وزاد .(انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ٩)

الشهاب هو الشيء الواحد من السماء الذى نلمسه بايدينا

والذى يصل منها الى الأرض ذو خطر عظيم

انه الشيء الوحيد من السماء الذى نستطيع أن نمسه بأيدينا ، وأن نحسه . وان نأخذه الى معاملنا شيئا صلبا جامدا ، فنحلله ، فنعرف ماهو ، ومن أى العناصر تكون ، ومن أى المركبات ان تكن مركبات . ومن هذه المعرفة نعرف الكثير من أمر السماء ، هذه البعيدة ، السحيقة ، التى لا تربطنا بها الا أشعة من ضياء . هى وحدها ، قبل الشهب، كانت تقص علينا أقاصيص ماحدث ويحدث هناك

الشهب فى معامل التحليل

ونأخذ هذه الشهب الواصلة الى المعامل فنحللها فنخرج على انها صنفان ، حجرية وحديدية . ولكن منها مايتدرج فى تركيبه بين الحجرى والحديدى . وما الصنف الحجرى الا من حجر الارض . انه الحجر الجيرى ، وانه المغنيسيا ، وانه الحجر الرملى ، تختلط به عادة حبيبـــات من حديد وما الصـــنف الحديدى الا الحـــديد امتزج به النيكل فى اشابة واحدة

ومتاحف الامم بها الكثير من هذه الشهب محفوظة

الشهب التى تهبط الارض ملايين

والشهب يراها الرائى فى السماء كلما طلبها . انهاكالاسهم النارية ، تظهر ثم تختفى . وتترك أثرا يلمع الثوانى ، وقد يلمع الدقائق . (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ١٠)

والشهب والنيازك شيء سواء . والنيزه او النيزك كلمة فارسية معناها الرمح القصير او السهم أو النبل . من أجل هذا أطلقوها على الشهب ، لشبه بينها وهى فى السماء

والراقب السماء يرى فى المتوسط ، فى الساعة الواحدة، نحوا من عشرة من الشهب . ولو ان بسطح الارض كله عيونا ترى ، لرأت فى الساعة الواحدة ألف ألف من الشهب . وبالمناظير ترى أكثر من ذلك كثيرا

والشهب تبدأ فى الظهور وهى على ارتفاع نحو ٦٠ ميلا فى الهواء ، وتختفى عند نحو ٤٠ ميلا

والشهب تهبط الى الارض أسرابا ، وتهبط فرادى

الشهب كالمذنبات ، وأصولها واحدة غالبا

والشهب ، كالمذنبات ، تجرى فى مدارات حول الشمس . وتمر الأرض ، وهى فى مدارها حول الشمس ، بهـــذه المدارات تقطعها ، فتنزل عليها شآبيب منها كأنها المطر .

وهى شهب متوازية ، مساراتها تدل على أن مأتاهاومسارها حول الشمس

والأرض تقطع فى مدارهاحول الشمس ، فى العام ، مدارات للشهب كثيرة . ولأسراب الشهب ، كما للمذنبات ، أسماء. وهى تأتى على ميعاد ، مرة فى العام ، ومنها مايأتى مرة فى الثلاثة والثلاثين من الاعوام ، هى الزمن الذى تقضيه لتمام دورتها حول الشمس

وبين الشهب والمذنبات علاقات وثيقة . فمن الشهب شهب معلومة مداراتها ، هى مدارات مذنبات معلومة ، فمدار الشهاب ومدار المذنب مدار واحد. ومن المذنبات المعروفة مااختفى، وحل ميعاده فلم يعد ، وعاد مكانه سرب أو أسراب من شهب ان المذنب لابد تحطم . وقد يتحطم المذنب فتدور البقية الباقية المتماسكة منـــــه ، وسرب الشهب الذى نتج عن تحطمه ، تدور كلها فى مدار واحد . وقد يتفرق الحطام على المدار ويطول توزعه عليه

على انه ليس من المؤكد فى كل الحالات أن الشهب نتجت عن مذنبات تحطمت . ولكن حتى فى هذا الذى لم يؤكد ، يغلب الظن انها نشأت من غمامة منها نشأ المذنب

الشمس والكواكب السيارة والمذنبات والشهب عناصرها بعض عناصر الأرض

والوثاقة هذه التى بين أسراب الشهب والمذنبات نافعة فى التعرف على تراكيب المذنبات تعرفا مباشرا . المذنبات تتركب مما تركبت منـــــه الشهب من عناصر ومركبات ، هى بعض عناصر الارض ومركباتها . واذ كانت المذنبات قد نشأت هى الأخرى من حطام كوكب سيار على ماقدمنا ، فهذا الكوكب يتركب مما تركبت منه الشهب ، من عناصر ارضنا هذه ومركباتها

الاسرة الشمسية اذا ، شمسها ، كواكبها السيارة ، كويكباتها التى نشأت عن ذلك الكوكب السيار الذى تحطم بين المريخ والمشترى ، مذنباتها ، شهبها ، ولا ننسى الأقمار كل هذا يتألف من عناصر مشتركة بينها ، هى بعض عناصر الأرض

وفى هذا معنى البناء الواحد من الأصول الواحدة ، نجمع اليه معانى من اشباه له اخرى ، نستهدف بها الوحدة الكاملة الشاملة لهذا الكون



الباب الرابع عشر

نجوم السماء

كم تبعد النجوم عنا

وصفنا الشمس فى كثير من التفصيل النسبى ، لانها ام الأسرة ، الأسرة الشمسية ، أسرة الكواكب التى على احداها تجرى الحياة الانسانية ، ولأنها النجم الأول الذى اتصلنا به بحكم قربه منا من بين نجوم السماء

وبوصفنا الشمس ، على هذا النحو ، قد وصفناالنجوم. وصفنا انموذجا منها . وفى هذا اختصار كثير من القول

ونبدأ بذكر ابعاد النجوم . ونعلم أن الابعاد ما بين النجوم ابعاد شاسعة ، فلا بد من وحدة للقياس تتفق وهذهالابعاد المترامية

مقاييس صغيرة هائلة ، وأخرى كبيرة هائلة

ونحن فى الحياة العادية على هذه الأرض نتخذ ، فيما نتخذ ، المتر وحدة للقياس . وتصغر الأشياء فنقول سنتيمتر ، ونقول ملليمتر . ويأخذ بيدنا العلم فيخرج بنا عن مألوف الأطوال ، ليدخل بنا الى المكروبات والذرات ، فاذا بنا نقسم هذا الملليمتر ، وهو جزء من ألف من المتر ، الى الف جزء . ونحتاج فنقسم هذا الجزء الى ألف أخرى . فالملليمتر بذلك تقسم الى مليون جزء . وتزيد بنا الحاجة. الى ماهو اصغر فنقسم هذا الى عشرة أجزاء وبذلك نبلغ قطر الذرة فنكتفي . انها الوحدة الصغرى التى تبلغ بنا اليها الحاجة . ويقضى الايجاز اللغوى بأن يكون لها اسم يدل عليها ، فسموها « انجشتروم » ، باسم عالم الطيف السويدى تشريفا له وتمجيدا لذكراه

ولكن الابعاد كما تصغر فى الحياة العادية قد تكبر ،وتكبر

الابعاد فنقول بعد المتر الكيلو متر ، ونقول الألف كيلو متر والعشرة الآلاف . ونقول الميل وهو ١٦٠٩ من الأمتار، ونقول الألف والعشرة الآلاف من الأميال . ونخرج عن الأرض الى الشمس ، وهى تبعد عنها بمقدار ٩٣ مليون ميل . ثم نخرج عن الشمس الى النجوم فلا تكفى المليون من الأميال ، ولا الألف مليون . لابد من مليون المليون . ويقضى الايجاز اللغوى بأن نبحث عن شيء ، يقرب من هذا البعد ، يمكن اتخاذه وحدة ، فنقع على سرعة الضوء نصنع منها هذه الوحدة الكبيرة فى القياس

ان الضوء يقطع فى الثانية الواحدة ١٨٦٠٠٠ ميل . وستفتح عينيك عجبا ، ولكنه عجب غير نافع . انه العلم يخرج بك عن مألوف الحياة ومألوف التصور . فتعود ذلك مارضيت ان تسلك مع العلم المسالك . ولكن هذا الرقم على كبره غير كاف ان يكون وحدة القياس فيما نبتغيه . اذا فلنتخذ مايقطعه الضوء فى الدقيقة وحدة القياس . ولكنها لا تكفى . اذا ففى الساعة . اذا ففى اليوم . اذا ففى العام . ولكن العام به ٣١ مليونا ونصف مليون ثانية . فاضرب هذه فى سرعة الضوء فى الثانية ، تخرج على بعد مقداره ٥ر٨٨ مليون مليون ميل . أعنى ٦ مليون مليون ميل على التقريب . فهذه هى وحدة القياس ، قياس الابعاد فيما بين النجوم . ونسميها اصطلاحا بالسنة الضوئية . وهو اسم أضر به الايجاز . فظاهره يدل على أننا نقيس زمنا . وما نقيس الا بعدا . اننا بالسنة الضوئية نعنى المسافة التى يقطعها الضوء فى عام . فاذا قلنا ان نجما يبعد عنا عشرين سنة ضوئية فمعنى هذا انه يبعد عنا ٦×٢٠ = ١٢٠ مليون مليون ميل . أى اننا لو أرسلنا اليه ، أو الأفضل لو أرسل هو الينا شعاعا من نور ، لما وصل الينا الا بعد عشرين عاما

اقرب النجوم الينا

وعلى مافى أبعاد النجوم من خطر فان أول قياس لنجم وقع ، كان فى منتصف القرن الماضى

والنجوم تختلف أبعادها عنا اختلافا كبيرا . واذا قلنا عنا فما نعنى الا الشمس . ولو اننا عنينا الأرض ما ضر ذلك شيئا . ذلك أن الـ ٩٣ مليون ميل ، تلك التى بين الشمس والأرض ، لا تؤثر فى أبعاد النجوم تأثيرا يذكر . فما ٩٣ مليون بالنسبة الى مليون مليون ، فالى ألف مليون مليون ، فما هو اكثر من ذلك كثيرا ؟

ان أقرب نجم الينا يبعد عن الشمس فوق الاربع من السنوات الضوئية . اى أن النور ، وسرعتـــه ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية ، يقطع المسافة من الشمس الى أقرب نجم فى نحو أربع سنوات . انه على مســـافة تبلغ نحوا من ٢٦٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل . انك لو مثلت الشمس بنقطة من حبر على هذه الصحيفة ، لتمثــل أقرب نجم بنقطة أخرى تبعد عن النقطة الاولى بنحو ٤ أميال

ان الشمس وبنيها وبناتها فى عزلة تامة عن سائر الكون وان جاز لهذه الاسرة أن تحس لأحست بالوحدة الشديدة أيما احساس . ســـتة وعشرون مليون مليون ميل من حولها ، يملؤها فراغ يكاد أن يكون كاملا ، كأكمل مايكون فراغ نحدثه نحن اصــطناعا على ظهر الارض . ويملؤها البرد بالغا فما تكاد أن تكون فيه حرارة تقاس . ويملؤها السواد والظلام . ويملؤها صمت الموت وسكون القبور

وتطلب وراء هذا النجم الأقرب نجوما قريبة أخرى . فتجد نحوا من ٢٤ على مسافات لاتتجاوز ١٢ ســـنة ضوئية . لا تتجاوز ٤٨ مليون مليون ميل . الا ماأفرغ ماحولنا ، ما حول الشمس !

واغلب هذه النجوم القريبة لا يرى بالبصر العارى . لانها لا تلتمع التماعا شديدا . فلابد لها من منظار

ومعنى هذا أن التماع النجم فيأبصارنا ليس هو وقربه منا شيء واحد . فقد يلتمع البعيد وقـد يخفت القريب حتى ما يكاد يرى

اقدار النجوم : درجة التماعها

بهذا قضى القدماء من الاغريق . نظروا الى النجوم فى السماء ، فوجدوا منها اللامع أشد اللمع ، والخافت أشد الخفوت فما يكاد يرى . ووجدوا بين هذين الطرفين اللامع فالأقل التماعا ، والخافت فالاقل خفوتا . ووجدوا مجد النجم فى بريقه ، ولعلهم ربطوا بين هذا البريق وقدر النجم ، فقسموا النجوم الى أقـدار ستة : قسموها من حيث التماعها الى مراتب ست . وسموها أقدارا

وجاء الأحدثون فقفوا على آثار الاقـدمين ، وحققوا هذه المراتب وضبطوها ، وزادوها . وقسموا المرتبة الواحدة الى مراتب عشر . ووضعوا النجوم فى مراتبها

والتزموا ما استطاعوا بالذى قدر القدماء . والقدماء قدروا التماع النجم رأى العين . والاحدثون قدروه راى الأجهزة العلمية . والاحدثون خرجوا بأن نجم القدرالاول من النجوم يبعث الينا من الضوء حقا اكثر مما يبعث نجم من القدر الثانى كما قال الاغريق . ولـكنه ليس ضعفه وانما هو ما يقرب من ٢ ونصف من مثله . وضوء يأتى من نجم من القدر الثانى هو ٢ ونصف من ضوء يأتى من نجم من القدر الثالث . وهلم جرا

والتماع النجم يكبر كلما صـغر الرقم الذى يدل على مرتبته . وهو يصغر كلما كبر هذا الرقم. وهذا اصطلاح

لاحيلة فيه (١) . وكشفت المناظير الحديثة الهائلة ، كمنظار جبل بالومار ذى المرآة ذات الـ ٢٠٠ بوصة قطرا ، وهى أكبر المناظير الى اليوم ، كشفت ، مستعينة بالتصوير الفوتوغرافى ، عن نجوم من الخفوت بحيث بلغت القدر الثالث والعشرين

وكشف العلماء الاحدثون نجوما اشد التماعا من نجوم الدرجة الاولى . وارادوا لها درجة فى المقياس . فاضطروا اضطرارا ، ابقاء على المراتب التى سبقت وثبتت ، واحتفاظا بالتراث الذى مضى ، اضطروا الى خلق درجات التماع اعلى بالرجوع الى ما وراء الواحد . فخلقوا درجة الصفر ، والتماع نجمها ٥ر٢ مرة من التماع الدرجة الاولى . واحتاجوا مرة اخرى الى درجة التماع اشد ، فرجعوا الى وراء الصفر الى ـ ١ ، ـ ٢

ونطيعهم ، فنقبل ان نفهم ان نجما قدره ـ ١ يعطينا نحن اهل الارض من النور ٥ر٢ مثلا مما يعطى نجم قدره صفر . ونجم صفر يعطى ٥ر٢ مثلا مما يعطى نجم القدر الاول . وهكذا دواليك

والمع نجوم السماء ، بعد الشمس ، الشعرى اليمانية ، انها النجم الذى اتخذ المصريون القدماء يومه الذى يشرق فيه مع الشمس ، اول العام . اول عامهم . لانهم لاحظوا ان النيل يفيض مع شروقه . فهو علامة لاول فيض الخير ، ففيض الحياة

والشعرى اليمانية قدرها فوق المرتبة ـ ١ . ان قدرها ـ ٦ ر ١

والنجم القطبى قدره فى المرتبة الثانية

وهذه الاقدار تعرف بالاقدار البصرية الظاهرة . انها

---

(١) كفصول المدارس وصفوفها . فمن الامم من تطلق السنة الاولى او الصف الاول على الصف البادىء فى التعليم العام . ومنها ما تطلق الصف الاول على الطلبة المنتهين

العرب عن شدة التماع النجم كما ينبىء عنه البصر ظاهرا من فوق ظهر الارض . فهى لا تنبىء عن حقيقة مقدار التماع النجم حيث هو من السماء

فرب نجم يلتمع شديدا ، انما يفعل ذلك لقربه منا . ورب نجم اشد فى الواقع منه التماعا ، يضعف التماعه فى ابصارنا لبعده

فلمقارنة النجوم من حيث أقدارها ، من حيث التماعها ، لابد ان نردها جميعا الى بعد معلوم من الشمس واحد . نصطلح عليه . وعند هذا البعد نحسب درجة التماعها . فتلك هى الدرجات المطلقة لالتماع النجوم . . . الاقدارالمطلقة

ولاسباب لا داعى لذكرها ايجازا ، اصطلحوا على ان يكون هذا البعد المعلوم من الشمس ، الواحد ، ٥ر٣٢ سنة ضوئية . وحسبوا . فما اكثر ما اختلفت عند ذلك الاقدار . فالشعرى اليمانية ، وكانت ألمع نجم فى السماء ، نزلت عن مرتبتها الظاهرة عدة مراتب . ونجوم كانت فى جدول الاقدار الظاهرة هابطة ، ارتفعت فى الاقدار المطلقة درجات . وهكذا الرجال فى الارض ، اقدار ظاهرة ، واقدار حقيقية خافية

والشمس ، تلك التى اخرجناها عن زمرة النجوم عند المقارنة فى التماع ، رحمة بالنجوم ، هبطت المسكينة عند التقدير المطلق ، على ذلك البعد ، بعد ٥ر٣٢ سنة ضوئية ، فصارت لا تراها العين العارية هناك الا بالكاد

كم تساوى النجوم فى التماعها من شموع

اننا نحن ، فوق هذه الارض ، نقيس قدرة المصابيح على الاضاءة بالشمعات . فنقول مصباح قدرته خمس شمعات ، وعشر ، وعشرون ، ومائة شمعة

وشمسنا تعطى من الضوء ما تعطيه(........................٣

شمعة) . والشعرى اليمانية تعطى من الضوء ما تعطيه الشمس ٢٦ مرة . وهى تعطى من الحرارة مقدارا يتناسب مع ما تعطى من ضوء . فلو اننا احللنا الشعرى اليمانية محل الشمس فى اسرتنا الشمسية ، لاحترت بحار الارض ، وغلت ، وتبخرت . وبذهاب الماء تذهب الحياة . وللشعرى هذه نجم ، هو جار لها وصاحب ، يعطى من الضوء ١/٤٠٠ مما تعطى الشمس . ووفقا لذلك من حرارة . فلو اننا احللناه محل الشمس من الارض لتجمد ماء الارض ، فامتنعت الحياة

ومن النجوم ما يعطى من الضوء ٥٠٠ر٠٠٠ مرة من مثل ما تعطى الشمس . انه يشع فى الدقيقة الواحدة ما تشعه الشمس فى عام . فلو حل محل الشمس ، لانصهرت الارض وتبخرت ، هى وما عليها ، الجامد منها والماء

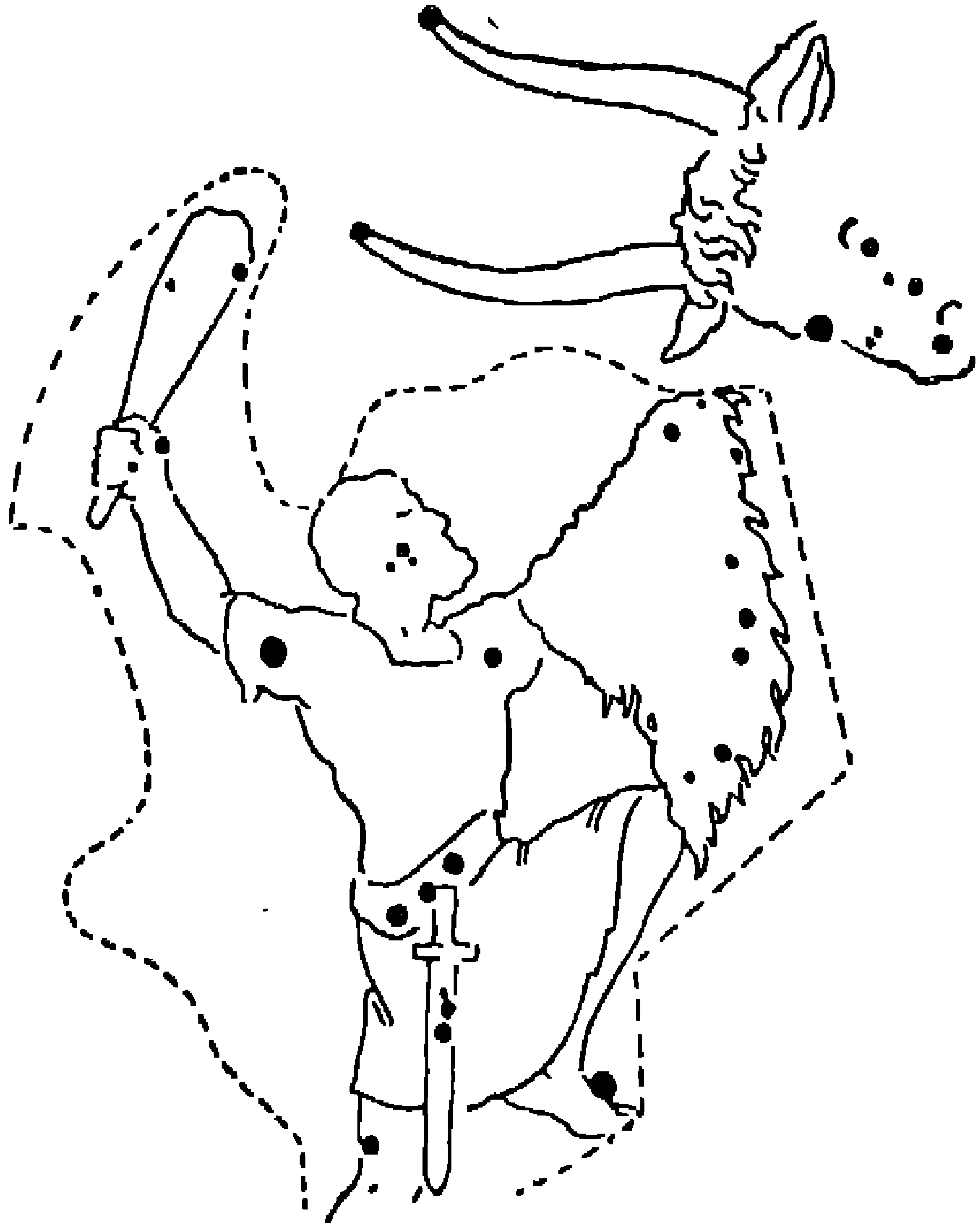
فلنحمد الله على ان نجمنا ، هذا الشمس ، من حيث نوره وناره ، بحيث يكفينا . ولنذكر هذا اذا اشتد بنا حر او برد . ان حياتنا ، هذه الارضية ، قائمة على حرف فما اسرعها ان تميل فتهوى اذا اهتز الميزان ولو هزة قليلة طفيفة

ومن حافظ هذا الميزان ؟ انه الحافظ السائر الموازين فى الكون اجمع

فى السماء حيوانات !

فى السماء دبتان ، وعقرب ، وكلبان . وفيها الجدى وفيها الحمل وفيها الثور وفيها الجبار يضرب بنابوته الثور ليشج راسه . وفيها الثعبان ، وفيها السنبلة والقوس والميزان

خيالات صنعها القدماء ، وصور صوروها ، مما ارتسم على صحيفة السماء من نجوم لامعة



كوكبتا الجبار والثور كما تخيلهما القدماء : رجل فارس يضرب بعصا ثورا

يجتمع بضع من النجوم ــ كوكبة ، فهذا اسمها ــ وينظر اليها البدوى فى صحرائه ، فيتعرف اليها . وتعود فيزيد لها تعرفا . ويتنبأ بها عن الزمان الجارى فيحس بالحاجة اليها . ويطلب لها اسما ، كأسماء يطلقها على الاشياء على هذه الارض ، فلا يجد اسما . وعندئذ يتقد خياله . وينظر انى الكوكبة . فهذا النجم ، وهذا وهذا ، قد تثلثا ، فهما منقار لطير . وهذان للجناح . وهذان للجناح الثانى . وهذا

للذيل . فهذا طائر كامل . انها الدجاجة . وينتقل من كوكبة لكوكبة ، ويتخيل ، ويسمى

وتجتمع من ذلك صور تتناقلها الاجيال . واسماء

وتتكون من هذه الصور المتجاورة المتسلسلة من كوكبات السماء ، خرائط للسماء كبعض خرائط الارض . ويأتى الاحدثون فيزيدون خرائط السماء خرائط يتمون بهاما صنع القدماء ويستكملون . ولقد احصى بطليموس ، بطليموس الاسكندرية ، فى القرن الثانى من الميلاد ، من الكوكبات ثمانى واربعين كوكبة ، وزادها الاحدثون حتى صارت ثمانى وثمانين كوكبة

وحصروا نجوم السماء فى خرائط على اسلوب احدث ، جمعوا فيها بين اللامع والخافت . انه قاموس بل قواميس لسكان السماء عظيم

ونريد ان نسمى نجوم الكوكبة باسمائها ، فنذكر الكوكبة وحرف النجم فيها ، الف هو ، أو باء ، او جيم . ونبدأ بالالمع فالاقل التماعا . او لعله العدد لا الحرف ، ١ او ٢ او ٣

وقد نلحق النجم الخافت الوضيع ، بنجم بين النجوم لامع رفيع

واجتماع النجوم فى الكوكبة الواحدة لا يدل على قرب بينها أو بعد ، ولا على انها جميعا يجمعها مستوى واحد . ان العمودين ، تنظر اليهما من بعيد ، ويكون احدهما بعيدا والآخر اكثر بعدا ، ولكنك تراهما ، من حيث انت ، كأنما تجمعهما صحيفة تواجهك على البعد واحدة . وما هما كذلك . وما نجوم تجتمع فى الكوكبة الواحدة كذلك

النجوم الوان

من النجوم الازرق والاحمر والاصفر . ومنها بين هذه وتلك الوانا

وهى الوان تكون اكثر اتضاحا عندما يحلل العلماء الضوء

الواصل من النجم الى الوان الطيف ... الى الوانه السبعة من احمر فبرتقالى فأصفر فأخضر فأزرق فنيلى فبنفسجى، على ما سبق ان وصفنا . فالنجم الازرق يشتد جانبهالايسر فى الطيف ، أى الجانب الازرق ، عن جانبه الايمن ، أى الجانب الاحمر . والنجم الاحمر يشتد جانبه الايمن الاحمر من الطيف عن جانبه الايسر الازرق . وهكذا فى الابيض فالاصفر ، فذى القلة منهما وذى الكثرة

وقسموا النجوم من حيث لونها ، الذى يكشفه الطيف ، الى مراتب ست . تبدأ بالازرق ، وتنتهى بالاحمر . وقسموا كل مرتبة من هذه الى عشر مراتب

والعين المجردة تدرك هذه الفروق فى اللون اذا كانت فروقا واسعة

ففى كوكبة الجبار نجم عند قدمه اليسرى يعرف برجل الجبار ، فهذالاتخطىء العينفىلونه ،فهو أزرق ،وفىكوكبةالجبار نجم عند كتفه اليمنى يعرف بمنكبالجوزاء ، فهذا لا تخطىء العين فى لونه ، فهو احمر . والشمس لا تخطىءالعينلونها ، فهى صفراء

وهذا اللون انما هو لون اسطح هذه النجوم

وما هو الا نتيجة لدرجة حرارة الغازات عند هذه الطبقات الظاهرة من النجوم

ان الحديد تحميه ، فيبلغ درجة من الحرارة تبدأ انت عندها تراه احمر غير واضح ، ثم احمر واضحا . وتزيد احماءه ، فتزيد درجة حرارته ، فيخرج من الاحمر الى الاصفر . وتزيد فيبيض وهكذا

وكذلك غازات متقدة هى الطبقات الظاهرة من النجوم

حرارة النجوم

فالنجومالزرقاء هى الاكثر حرارة ، أى الاكبر درجة حرارة

والنجوم الحمراء هى الأقل حرارة ، أى الأصفر درجة حرارة والصفراء تقع بين هذه وتلك

والشمس ، وهى صفراء ، درجة حرارة سطحها الضوئى، الذى نراه ، تبلغ نحوا من ٥٨٠٠ درجة مئوية . والنجم الازرق قد تبلغ درجته نحوا من ٢٣٠٠٠ درجة مئوية ، والنجم الاحمر قد تبلغ درجته نحوا من ٣٠٠٠ درجة مئوية

ولنزيد معانى هذه الدرجات اتضاحا نقول ان الحديد يسيح عند درجة ١٥٣٠ مئوية ، ويغلى عند درجة ٢٤٥٠ مئوية

ودرجات حرارة النجوم ، فى بواطنها ، تعلو بالطبع عن ذلك كثيرا . فقد ذكرنا ان حرارة سطح الشمس تبلغ نحوا من ٥٨٠٠ درجة ، بينا درجة باطنها تبلغ نحو ٢٠ مليون درجة

من عناصر الارض تتركب النجوم

سبق ان ذكرنا انه لا يوجد فى الشمس عنصر الا وجد فى الارض ، وكذلك النجوم . عناصرها من عناصر الارض، يدل على هذا اطيافها ، والحساب

واكثر عناصر النجوم غاز الادروجين ، يأتى من بعده غاز الهليوم . وما تبقى من العناصر وغيرها لا يبلغ الا واحدا او اثنين او نحو ذلك فى المئة كتلة ، اى وزنا

وبالطبع كل هذا يشير الى اسطح النجوم ، الى ما على هذه الاسطح من جو من غاز

ولكن المرجح ، البالغ الترجيح ، ان بواطن النجوم كظواهرها تركيبا . فالنجم ، وهو اتون من نار ، يختلط ظاهره بباطنه اختلاطا ، فيتشابها تركيبا

انا اذن لا نجد شيئا فى السماء لا نجده فى الارض

انها الوحدة ظلت تزحف ، او ظللنا نزحف بها ، حتى شملت .. وسوف تزداد توحدا

من اين تأتي النجوم بنورها ونارها

تأتى بهما من مثل ما تأتى بهما الشمس ، على ما سبق أن وصفنا

انه الادروجين يتحول الى هليوم . وبهـذا يقول الرأى الحديث . انه عين الذى يجرى بقنبلة الادروجين مع فارق الظروف . ان بعض المادة يتحول الى طاقة . والادروجين الذى بالشمس ـ وكذلك بسائر النجوم ـ مقداره هائل . انه لكى تعطى الشمس ما تعطيه فى الثانية الواحدة من طاقة من نور ونار ، لابد ان يتحول ٧٠٠ مليون طن من ادروجينها ليكون ٦٩٥ مليون طن من الهليوم . والخمسـة ملايين الناقصة من هذه المادة تتحول الى طاقة ، تكفى الشمس ثانية من الزمان

وستقول ستفرغ الشمس ... وستقول ستفرغ النجوم

ولكن لا . اذكركم فى الشمس من مادة ، وكم فى النجم . ان جزءا من مائة مما فى الشمس من ادروجين يكفى لحياتها ، مضيئة ساطعة ، ٣٠٠ مليون عام

أبقاك الله لمثلها

فى النجوم عمالقة واقزام

لقد وصفنا كيف تلتمع النجوم ، فيشتد التماعها ويضعف وذكرنا ان لالتماعها لونا ، يتراوح بين النجوم من الازرق الى الابيض الي الاصفر الى الاحمر . وذكرنا ان هذه الالوان دليل درجة للحرارة هى الحرارة فى سطح النجم . كالحديد تزيد درجة حرارته فيبيض ، وتنقص فيصفر ويحمـر

فمن اللون ، او على الاصح من طيف النجم الذى يصف لونه ، نستطيع ان نحدد درجة حرارة سطح النجم ، ومن درجة الحرارة هذه نستطيع أن نحسب كم من التماع يخرج من الميل المربع من هذا السطح

ومن التماع الميل المربع ، ومن علمنا بجملة التماع النجم ، الالتماع المطلق ، نحسب سطح هذا النجم . اذن فنعرف حجمه، اذن فنعرف قطره

وقد وجدنا فى الغالبية العظمى من النجوم ، لا سيما فى تلك الناحية من السماء التى تسكنها الشمس ، ان النجوم الزرقاء ، التى هى المع من الشمس ، فأحر من الشمس ، اكبر نوعا من الشمس . وان النجوم الحمراء ، وهى اقل التماعا من الشمس ، فأقل حرارة منها ، اصغر نوعا منها . وهى فى العادة لا تراها العين العارية

ولكن شذت عن هذه القاعدة نجوم

شذت العمالقة الحمراء ، والاقزام البيضاء والزرقاء

فالنجم العملاق أحمر ، فالتماع يخرج من الميل المربع من سطحه اصغر . ولكن جملة التماعه كبيرة تدل على سطح هائل . ومن امثلة هذا النجم « منكب الجوزاء » ؛ ذلك الذى ذكرناه سالفا وذكرنا انه عند كتف الجبار ، فى كركبته . ان قطره يبلغ ٤٦٠ مثلا من قطر الشمس . فحجمه قارب ان يكون مائة مليون من حجم الشمس . فانظر كم من شموس تعبىء فيه !

وفى العمالقة ما هو اكبر

والاقزام عكس هذا . ان الالتماع الذى يخرج من الميل المربع من سطحها كبير ، ولكن جملة التماعها صغير ، فهى ماتكاد ترى . ونحسب اقطارها ، فتبلغ اجزاء من مائة او من الف من قطر الشمس . انها اذا نجوم صغيرة غاية الصغر . انها فى حجم كواكبنا السيارة

والعمالقة الحمراء مادتها متخلخلة . ومنها ما تخلخل مادته حتى ما تبلغ كثافتها الا اجزاء من مليون من كثافة الماء ، او دون ذلك قدرا

والاقزام البيضاء الزرقاء مادتها ، على عكس ذلك ، غاية فى اكتناز . ان منها ما تبلغ كثافته ٥٠٠٠٠ مثل من كثافة

الماء . تعبئة فى الذرات عجيبة . لابد ان هذه ،لتحشر فى هذا الحيز القليل كل هذا الحشر ، لابد ان هذه الذرات تعرت من الكثير من الكتروناتها ، فلم يكد ان تكون فيها الا نواة لصق نواة . حطام من نويات والكترونات كبست فى هذا الحيز كبسا



ومن النجوم شبان ومنها شيب . وفيها طفولة ايضا ..

فبهذا تقول النظرية العلمية . اما الطفولة فتمثلها العمالقة الحمراء ، واما الشباب والرجولة ، فتمثلها كثرة النجوم من زرقاء الى بيضاء الى صفراء الى حمراء ، مما اتزنت صفاتها وتناسبت. واما الشيخوخة فتمثلها الأقزام البيضاء الزرقاء

وشمسنا صفراء ، فهى فى شبابها

ولا ندخل فى تفصيل ذلك .. ايجازا

النجوم النابضة

نجوم تثور لتهدأ ، وتهدأ لتثور : انها النجوم النابضة .. انها تغيرات تعترى النجم ، فيسطع ويلمع ، ثم هو من بعد ذلك يهدأ ويخفت

انها ثورة يتبعها سكون . وقد يعود النجم من بعد سكون فيثور

والمتغيرات من النجوم فى مجرتنا تبلغ بضعة آلاف

ومنها الذى يثور ويهدأ ، ولا تدرى متى يثور ومتى يهدأ . فكأنها البراكين

ومنها ما يثور ثم يهدأ ، ويهدأ ليثور ، وهلم جرا ، فى أوقات لا تختلف ، فكأنها المواعيد صادقة . وكأنها نبض القلوب . ولقد تسمى من أجل ذلك بالنابضة

والنبضة الواحدة قد تستغرق بضع ساعات ، وقد تستغرق بضع مئات من أيام

والمتغيرات الجموعية (تلك النجوم المتغيرة التى عرفت أول ما عرفت فى الجموع النجمية ، وسيأتى ذكرها) تبدأ ثورتها وتنتهى فيما بين ٩٠ دقيقة ويوم واحد تقريبا . وتعود ولا تخلف الميعاد

والمتغيرات القيفاوية (تلك النجوم المتغيرة التى اتخذت اسمها من النجم قيفاوس الدالى ، لأنه أنموذجها فى ثورتها) ، تنبض كذلك على فترات واحدة ، مدتها ما بين أكثر من يوم الى بضعة أسابيع ، ويغلب أن تكون خمسة أيام

وقيفاوس ، هذا النجم المثالى لها ، نبضته مدتها ٥ أيام و ٩ ساعات . وهو يعود فيلتمع ثم يخفت ، وهكذا دواليك . ولا يخلف الميعاد

ومن النجوم ما ينبض ، وتطول نبضته . فمدتها تتراوح ما بين شهور قليلة ، وعامين أو أكثر . وهى تعود كذلك ، ولا تخلف ، الا بضعة أسابيع تتقدمها أو تتأخرها عن الموعد المضروب

وتسأل : ما هذه الثورة ، وما خفوتها ؟

ولا يجيب العلم على هذا السؤال الآن بأكثر من أن يقول ان مصادر الطاقة فى بطن النجم تشتد بغتة ، فتتدفق منابعها . فتزيد غازات هذا البطن انضغاطا وتزيد حرارة ، تظهر على سطح النجم نارا ونورا . ويتمدد الجرم ويتسع ، حتى اذا بلغ من ذلك غاية ، خارت قواه . وعندئذ تعود الجاذبية تتسلط وتتحكم ، وترد النجم الى ما كان . ولكن لم تبدأ الثورة ؟ فهذا ما يقف دونه العلم اليوم صامتا ، الى حين

نجوم تنفجر

انها ظاهرة لمحها الانسان فى قديم الزمان ، حين لم تكن مناظير تكشف السماء ، ومع هذا لم يمنع هذا الانسان أن ينظر الى السماء ، ويرقب ، ويرصد ، ويدرس

ويظهر له فى موضع من السماء نجم حيث لم يكن يرى نجما . ويسطع ويزيد التماعا حتى ينافس أشد النجوم فى السماء التماعا . فيحسب انه رأى نجما خلق . رأى نجما جديدا . وسمى النجوم التى تظهر له هكذا بغتة بالنوفا اى « بالنجوم الجديدة »

وتأتى المناظير فيتضح أن هذه النجوم المخلوقة الجديدة، لم تخلق عند ذاك ولم تستجد. وانها نجوم قديمة خافتة ، دقت عن البصر ، ثم حان لها أن تنفجر ، فانفجرت والتمعت . وزاد التماعها بضع مئات الآلاف من التماعها الاول . وأحيانا بضعة بلايين . فلفتت اليها الانظار . وهى لا تبقى على التماعها طويلا . فهى ما أسرع ما تتقلص من بعد تمدد ، وتعود الى هدوئها الاول ، فخمولها الاول (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ١١)

ونحن نرى من النجوم التى تنفجر ما انفجر على قرب نسبى منا . ولا نرى ما بعد منها . ولكن ترى الفوتوغرافيا . وهى تسجل نحوا من عشرين نجما تنفجر كل عام ، فى دنيانا وحدها من السماء

وقد ينفجر النجم فينقسم ظهر هذا حديثا فى « نوفا » الجاثم » . وقع انفجارها عام ١٩٣٤ ، وصورت عام ١٩٣٥ و ١٩٣٦ و ١٩٣٧، فظهر انها انفلقت جزءين، ظلا يتباعدان من عام لعام

وتتساءل : لم ينفجر النجم ؟ .. وجواب العلم اليوم : لا ندرى ، وقد ندرى غدا

وتتساءل : وهل تنفجر الشمس ؟

والجواب : لا يمنع من ذلك شىء . ان فى دنيانا ، دنيا المجرة ، ينفجر فيها فى العام ، فى المتوسط ، عشرون نجما. فما يمنع أن تكون الشمس بين العشرين المنفجرة فى القريب العاجل . ولكن القريب العاجل ، فى لغة الفلك ، قد يعنى آلاف الاعوام أو مئات الوفها

وما ضر الناس أن تموت جملة . ان الشمس لو انفجرت بغتة ، لتبخرت الارض وصارت غازا بغتة . ويموت الناس قبل أن يدركوا لم ماتوا ، ولا كيف . والموت على هذه الفخامة قد يكون خيرا من الموت فى زاوية باردة من زوايا الحياة خاملة

دوران النجوم

ان الشمس نجم من النجوم ، ولكنه اقترب منا قربا شديدا فبان لنا قرصه . وعرفنا أن القرص يدور ، وكم يدور . والنجوم لا يبين قرصها ، فهى نقاط . فالاستدلال على دورانها حول نفسها ، كما دارت الشمس ، أعسر . ولكن العلم اذا ضاق به سبيل ، اتسع سبيل . والضوء الواصل الينا من النجم له طيف . ومن دراسة أطياف النجوم استدلوا على أنها تدور حول نفسها كما تدور الشمس

واستدلوا على أن النجوم الزرقاء أسرع دورانا حول نفسها من الصفراء . وسرعة الدوران فى الزرقاء تبلغ مائة كيلومتر فى الثانية وتزيد . والنسر الطائر ، وهو نجم أزرق ، تستغرق دورته الواحدة حول نفسه ٦ ساعات ، بينما الشمس ، وهى نجم أصفر ، تستغرق دورتها فى المتوسط ٢٥ يوما

النجوم الثوابت غير ثوابت

والنجم والكوكب فى اللغة العربية ، لغة القواميس ، شىء واحد ، ولقد خصص العلم الحديث النجم اسما للأجرام السماوية الحارة الملتهبة النيرة ، ومنها الشمس . وخصص الكوكب للجرم السماوى غير الملتهب ، وغير النير ، الا ان تسقط عليه النجوم النيرة أشعة فهو يعكسها ، فينير . ومن الكواكب عطارد والزهرة والارض . وزيادة فى الحيطة

أسميناها بالكواكب السيارة . لأنها لقربها منا ، ولدورانها حول الشمس ، تتراءى تتحرك على صفحة السماء فتدرك حركتها العين ، فهى سيارة

ولقد ثبت فى الأذهان من اجل هذا ، ان سائر أجرام السماء ، أعنى النجوم ، ثوابت

والحق أنها ثوابت فى رأى العين . ولكن ما هى كذلك فى ابصار أطول وأوضح ، وأبقى على الزمن : تلك أبصـــار المراصد

لكأنى بالحركة ، هى الصفة العامة ، بل احدى الصفات العامة ، التى شملت الكائنات فى هذا الكون ، حتى ماتراءى لنا سكونه . حتى الحجر الساكن ، الذى يقول فيـــه الشاعر :

ما احسن العيش لو أن الفتى حجر
تنبو الحوادث عنـــــه وهو ملوم

ليس بساكن ، ولا هو ملوم . ان كل ذرة فيه ، بهـا الكترونات تدور حول نواة . كأنها الكواكب تدور حول شمس تتوسطها . ولنا الى هذا عودة

ان الحركة الشاملة فى الكائنات من بعض مظاهر الوحدة فى هذا الكون . وهى حركات أشباه : فى الذرة التى صغرت حتى اختفت ، وفى النجم الذى كبر وهال

ولقد رأينا الشمس كيف تدور حول نفسها . ورأينـا النجوم كيف تدور حول نفسها . وهذا بعض الحركة

ولكن الشمس كذلك تجرى قدما فى السماء . وتجرى كذلك النجوم . تجرى جميعا بسرعات عظيمة ، ولــكن العظيم له ما هو أعظم ، تلك مســـافات عظمى تقوم بين النجوم . فالنجوم مهما تحركت فى السماء بحركاتها هذه العظيمة ، الضئيلة غاية الضآلة بالنسبة لأبعاد فى السماء ،

لن تغير من وجه السماء بالقدر الذى تراه عين الانسان العارية ، فى حياة الانسان القصيرة . ولا هى تكاد تغير منه فى عين أجيال من بنى الناس فى آلاف من السنين قادمة أو ماضية

ان بطليموس ، وقد عاش فى الاسكندرية فى القرن الثانى للميلاد ، رصد الشعرى اليمانية ، ورصد السماك الرامح. وجاء الفلكى هالى ، صاحب المذنب الشهير ، فرصدهما فى عام ١٧١٨ . أى بعد نحو من خمسة عشر قرنا . فوجد انهما تزحزحا من عهد بطليموس عن موضعيهما الى الجنوب . أما الشعرى فتزحزحت نصف درجة على الكرة السماوية ، وأما السماك فتزحزح درجة واحدة

ومن النجوم ما هو أكثر زحزحة وأسرع ، ومع هذا فهى تظهر عند الرصد الدقيق ، غاية فى الصغر ، فى عام . ومن أسرع النجوم تزحزحا نجم يعرف باسم مكتشفه برنارد . فهذا يتزحزح فى خريطة السماء ، عن موضعه ، بمقدار قطر القمر ، فى ١٧٥ من الاعوام

وقدرنا كم تتحرك النجوم ، بالزوايا ، لشدة بعدها . وقدرنا أيضا كم تجرى ، مقبلة الينا أو مدبرة عنا

قدر العلماء سرعة النجوم ، مقتربة منا ، أو مبتعدة عنا ، فكان أغلبها دون الخمسين ميلا فى الثانية ، ولو أن منها ما بلغ ٢٣٩ ميلا فى الثانية . ولكن النجوم التى هى قريبة منا ، سرعة أكثرها لا تزيد على ٢٠ ميلا فى الثانية

وقد بلغت دقة القياس بحيث أن الخطأ فى تقرير هذه السرعات ، فى النجوم ذات الطيف الواضح ، لا يزيد على ربع ميل

والشمس تجرى كما تجرى النجوم . ونحن نجرى معها . أليست أمنا ، ونحن أسرتها ؟

وهى تجرى ، بالنسبة لما حولها من النجوم ، بسرعة ١٢ ميلا فى الثانية

ولكن الى أين هى تجرى بنا ؟ الى أين تجرى بالاحيـاء منا والاموات ؟

الى موضع فى السماء ، ناحية كوكبة الجاثم

تزاوج النجوم

ان هذه السماء ما أملأها .. وان هذه السماء ما افرغها .. تملؤها هذه الاعداد الهائلة ، من الاجرام ذات الاحجام الهائلة

ولكن ، ما بين هذه الاجرام من أبعاد ، أكثر هولا

ان أقرب نجم الى الشمس يبعد عنها ٢٦ مليون مليون ميل

اذن حق لنا أن نقول هذه السماء ما أفرغها . وهى على هذا الفراغ ما أشد وحشتها . ما أشد وحشـة النجم الواحد فى هذا الفراغ الهائل . أفمن أجل هذا كثر التزاوج بين النجوم استيحاشا واستئناسا ؟!

ان من أجمل مناظر هذا الكون ، وأملئها للقلب روعة ، على حلاوة ، ما يراه الرائى بالمنظار ، من نقطتين مضيئتين، مقتربتين فى السماء أشد الاقتراب، واحدة زرقاء، والاخرى برتقالية أو حمراء ، هما نجمان يشد بعضهما بعضـا . ويدور بعض على بعض ، كطفل وطفلة ، فى فناء مدرسة ، وقد تشابك ذراعاهما الأيمنان ، وأخذا يدوران

ان رابطة الجاذبيــة تربطهما ، تربط النجمين ، فلا يستطيعان فكاكا

وانت حيثما توجهت المنظار ، الى السماء ، وجـدت أزواجا . انها ألوف الوف . انها الثنائيات النجمية



يمثلان زوجا من النجوم ، يدور احدهما حول الآخر

ومداراتها اهليلجية ، ذات تفرطح عظيم . وهى وجب أن تكون هكذا ، فبهذا قضت الوحدة ، وحدة التخلق ، وحدة القوانين

ومن أشهر هذه الأزواج الشعرى اليمانية وصاحبتها ، بل صاحبها . انك تنظر الى الشعرى اليمانية ، فى أوسط السماء ، شتاء ، قرب كوكبة الجبار ، فلا ترى منهـــا الا نجما واحدا ، لامعا اشد اللمعان . فهكذا ترى الأزواج من الكواكب رأى العين ، شيئا واحدا . حتى تفصـــل المناظير القوية بينها . وقد نظر اليها صانع مناظير ، يجرب منظارا صنعه ، قطره ١٨ بوصة ، فرأى صـــاحبها أول مرة . كان هذا فى عام ١٨٦٢

ويدرس العلماء الشعرى وصاحبها ، فيكشفان عن مدار

اهليلجى لهما شديد التفرطح . وهما يقطعانه فى خمسين عاما

والفــرق بين حجميهما هائل . الشعرى أكبـــر من الشمس . وصاحبها قزم من أقزام النجوم ابيض ، يكبر الارض ثلاث مرات او اربعا . ولكنه ، كأقزام النجوم ، اشد شيء كثافة واكتنازا . ان كثافته تبلغ ٣٠٠٠٠ مرة مثل كثافة الماء

والجاذبية قد تجمع بين اكثر من نجمين . ومن طريف هذا الجمع النجمة القطبيـــة ذاتها . انها ثلاثة نجوم فى واحد . زوجان يدوران ، بعض حول بعض ، فى نحو من ٤ أيام . وهما معا يدوران حول نجم ثالث فى أكثر من ٢٠ عاما . وانت لا ترى منهما فى السماء الا شيئا واحدا

ومجموعة اخرى من اربعة نجوم . انه « راس التوام المؤخر » . وقد عرف انه ثنائى ، اى يتـــألف من زوج واحد من النجوم . واتضح انه يتالف من زوج وزوج . ثنـــائيان اثنان فى كل منهما ، ككل ثنـــائى ، يدور أحد نجميه حول صاحبه . ودورة الثنـــائى الاول ٣ أيام . ودورة الثنائى الثانى ٩ أيام . ولكن الزوج الثنائى يدور كذلك حول أخيه الزوج الثنائى ، مرة فى حدود ٣٠٠ عام

الباب الخامس عشر

دُنيانا

سكة التبانة

المجرة

انك اذا نظرت الى السماء ، فى ليلة ظلماء ، لا قمر فيها ، ولا نور يصـــلك من الارض الا الضعيف الذى لا يمكن حبسه ، لرأيت شيئا فى السماء عجبا . انها الســماء السوداء ، زينتها تلك النجوم البيضاء . وتمسح السماء بعينيك ، فتجد نجوما هنا ، ونجوما هناك . ولكن ليس كنجوم توشحت بها السماء ، كما يتوشح القاضى ، على منصة القضاء ، بشريطه الاخضر أو الأحمر . انها منطقة طويلة ، تمتد فوق رؤوسنا ، كالقوس ، يشبر الســماء شبرا ، ويعبرها عبرا ، ويمتد من أفق الى أفق . وقد تركزت فيها النجوم أكثر تركز ، وتكثفت فيها ، بعضها فوق بعض ، أكبر تكثف . أو هى كالطريق فى الســماء ازدحم بسالكيه ازدحاما . وما سالكوه الا النجوم

ورآها شعراء العرب ، فرأوا شيئا أبيض ، يكاد يتصل بياضه على رقعة سوداء ، يكاد يتصل سوادها ، فذكروا بها بياض ماء النهر ، فى سواد الارض ، فأسموها بالمجرة . أى النهر الجارى ، يستقى منه العفاة ، اذ يستقون من كرم الخلفاء والامراء والاثرياء

ورآها العامة ، عامة العرب ، فشبهوها بسكة التبانة ، أو درب التبانة . والتبان اذا سلك طريقا ، سقط من تبنه بعضه ، فانتثر فى الطريق . فالمجرة ، عند العامة هى كطريق فى السماء بالتبن منثور

ورآها الاغريق ، فرأوها كأنها اللبن المسكوب ، فسموها طريق اللبن . وتبعهم فى ذلك أهل الغرب . والعين المجردة

ترى المجرة رائعة . ولكنها كثيرا ما تجدها بياضا قد اتصل

والمراصد ، والصور الفوتوغرافية ، تراها وتسجلها ، فينفصل هذا البياض المتصل الى ألف جزء فألف . انها النجوم الكثيرة ، عدد الرمل . وانها اتصلت التماعا ، على بعد ما بينها ، فكانت فى العين كرمل الصحراء اتصالا (انظر الصورة الفوتوغرافية رقم ١٢)

والمجرة وشاح يلف الارض والشمس لفا . نرى نحن ، سكان شمال كرة الارض ، بعضه . ويختفى عنا ، ناحية جنوب الارض بعضه

والمجرة ليست كشوارع المدن عرضا واحدا . انها تضيق حينا ، وتتسع حينا . وتكون النجوم فى بعض اجزائها أقل ازدحاما منها فى بعضها الآخر . وقد تجد فى المجرة سوادا فتحسبها حيث يوجد السواد من النجوم خالية . وما هي بخالية . انها سحب قاتمة ، سدائم قاتمة، من غبار ، حالت بيننا وبين ما وراءها من نجوم ، فحسبنا ما وراءها خاليا

وهذا الوشاح ، هذه المجرة ، كوشاح القاضى ، يستطيع ان يلبسه على كتفه اليمنى ليجرى من بعد ذلك الى خصره، تحت ابطه اليسرى . أو على كتفه اليسرى ليجرى تحت ابطه اليمنى . وكذلك المجرة ، تجرى فى السماء بالنسبة لنا ، سكان نصف الكرة الارضية الشمالى(١) ، فى أوائل الليالى ، فى أواخر الصيف ، من الأفق الشمالى الشرقى ، الى الافق الجنوبى الغربى . وهى تجرى(٢) فى السماء ، فى أوائل الليالى ، فى أواخر الشتاء ، من الأفق الشمالى الغربى، الى الأفق الجنوبى الشرقى . وهى فيما بين شتاء

(١) ينطبق هذا على خطوط العرض الوسطى

(٢) التعبير بالجريان هنا تعبير لغوى معناه ان صورتها تجرى فى السماء ، اى تمتد فيها ، فهى لا تجرى بمعنى تتحرك

وصيف ، تجرى في أوضاع بين هذين الوضعين

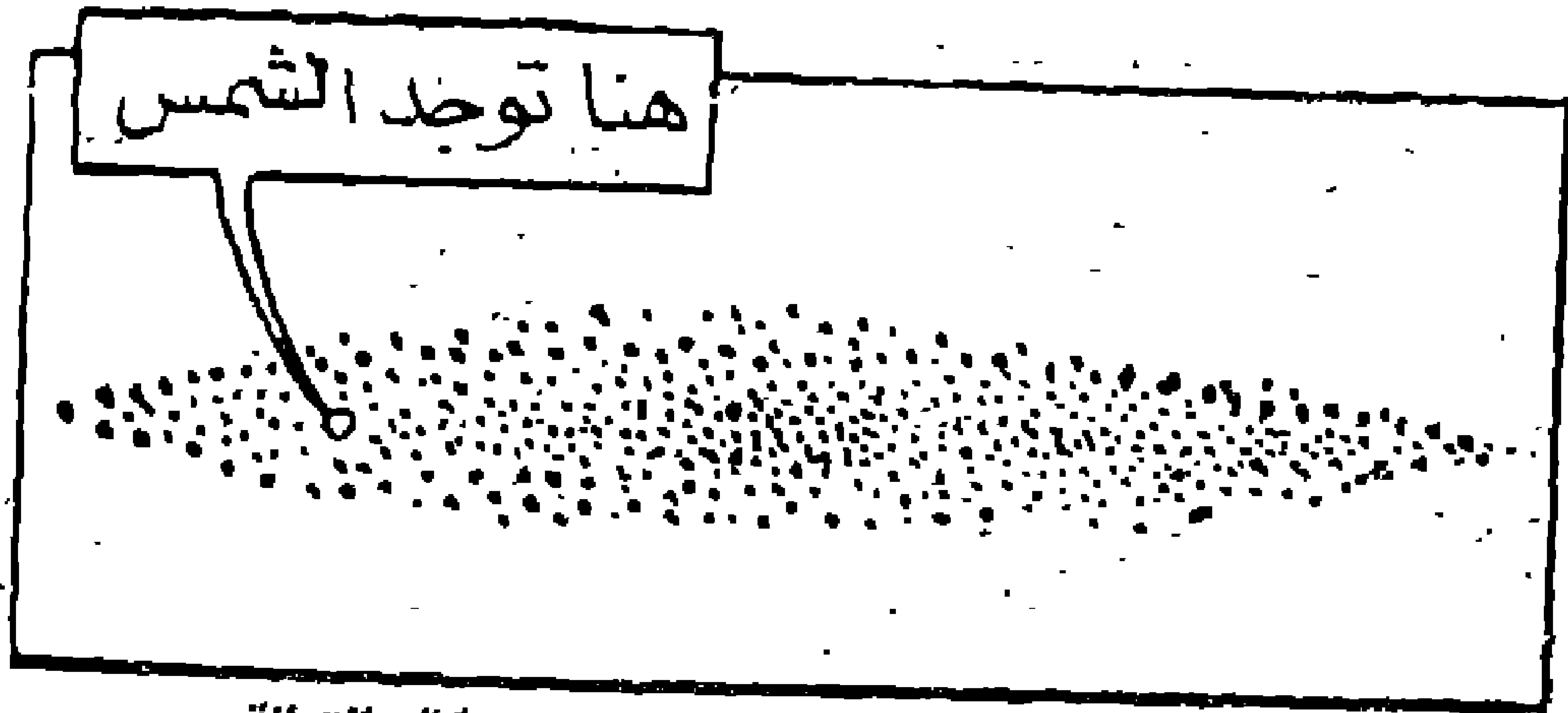
وسبب هذا واضح يسير . ذلك أن المجرة ، مستواها الذى تجرى فيه ، المستوى الذى يجرى فيه قوسها الذى نراه ممتدا من أفق الى أفق ، وقوسها الآخر الذى اختفى عنا في ناحية الارض الاخرى ، هذا المستوى يميل على مستوى فيه خط استواء الارض ميلا كبيرا

ولكن ، أين نحن ، أهل الارض ، من هذه المجرة ؟ اننا فيها . وفيها شمسنا والكواكب

المجرة قرص عظيم

وهى قرص مفرطح ، كالرغيف . ولو اننا جعلنا للرغيف قطرا ، وجعلنا له ارتفاعا ، لكان قطر القرص عشرة أمثال ارتفاعه

وقطر القرص نحو من ١٠٠٠٠٠ سنة ضوئية (١) . والسنة الضوئية مسافة مقدارها ٦ مليون مليون ميل . فقطر هذا القرص نحو من ٦٠٠ ألف مليون مليون ميل وارتفاعه نحو عشر ذلك

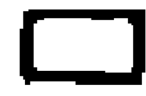


رسم ايضاحى لمجرتنا ، دنيانا ، سكة التبانة

---

(١) أى أن الضوء ، وسرعته فى الثانية ١٨٦٠٠٠ ميل يحتاج لاختراق هذا القرص ، سائرا على امتدادقطره ، الى ١٠٠ الف سنة

والارض والشمس والكواكب تقع من هذا القرص على بعد ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية من مركزه ، فعلى بعد ٢٠٠٠٠ سنة ضوئية من أقرب طرف له . وهى تقع من ارتفاع القرص قرب أوسطه



اما عدد النجوم التى تستطيع أن تميزها العين العارية ، فى الكرة السماوية كلها ، من لامعة وخافتة ، فقد تبلغ ما بين ٦٠٠٠ و ٩٠٠٠ وفقا للظروف القائمة . ومن الموضع الواحد فى الارض تتبين العين ما بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ نجم

وغير ذلك أعداد تراها المناظير الحديثة ، وتكشف عنها صورها

فهذه قد تبلغ فى المجرة نحوا من ١٠٠٠٠٠ مليون نجم

الجموع النجمية

وكثيرا ما تؤلف نجوم المجرة جماعات ، تتقارب وتتآلف ، وتجرى معا . وبعد ما بينها أقل مما بينها وبين جارات لها . وأقطار هذه الجموع قد تكون ٢٠ سنة ضوئية . وقد تكون مائة . وأعداد نجومها قد تكون قليلة، فهى مخلخلة . وقد تكون كثيرة ، فهى مكتنزة (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ١٣) .

سحب المجرة

وهى سحب غير سحب الارض ، فلا ماء فيها

انها سحب من غاز وغبار

وهذا السحاب يعرف بالسديم ، والجمع سدم

وقد يقع فى أوسط السديم نجوم تشع فيه ، فتنيره . وتعرف هذه بالسدم النيرة (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ١٤) .

ومن السدم المعتم . ذلك أنها تتألف من غبار رقيق

دقيق ، صغرت حباته حتى بلغت قدر موجات الضوء . وهذه افعل للضوء حجبا

وهذه السدم المعتمة نرى فئات منها فى المجرة . نراها سوداء ، لانها حجبت ما وراءها من نجوم مضيئة

والسديم ، يغلب الغاز فيه ، فيكون السديم نيرا (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ١٥) للثريا . ويغلب الغبار فيكون السديم معتما

والسدم ، من نيرة ومعتمة ، ليس الذى بها من غاز وغبار الا ماتبقى من خلق النجوم . ان نظرية الخلق تقول ان المجرة كانت من غاز وغبار . ومن هذين تكونت بالتكثف النجوم . وبقيت لها بقية . ومن هذه البقية كانت السدم . ولايزال من هذه البقية ، منتشرا فى هذه المجرة الواسعة ، مقدار من غاز وغبار ، يساوى ماتكونت منه النجوم . ولاتزال النجوم تجر منه بالجاذبية اليها . فهى تكنس السماء منه كنسا . ولكن الكناسين برغم اعدادهم الهائلة ، قليلون بالنسبة لما يراد كنسه ، من ساحات اكبر وأشد هولا

المجرة تدور

انها الوحدة فى سياسة الكون

بدأت فى الذرة ، فهى تدور (١) ، وانتهت فى الارض ، فهى كذلك تدور

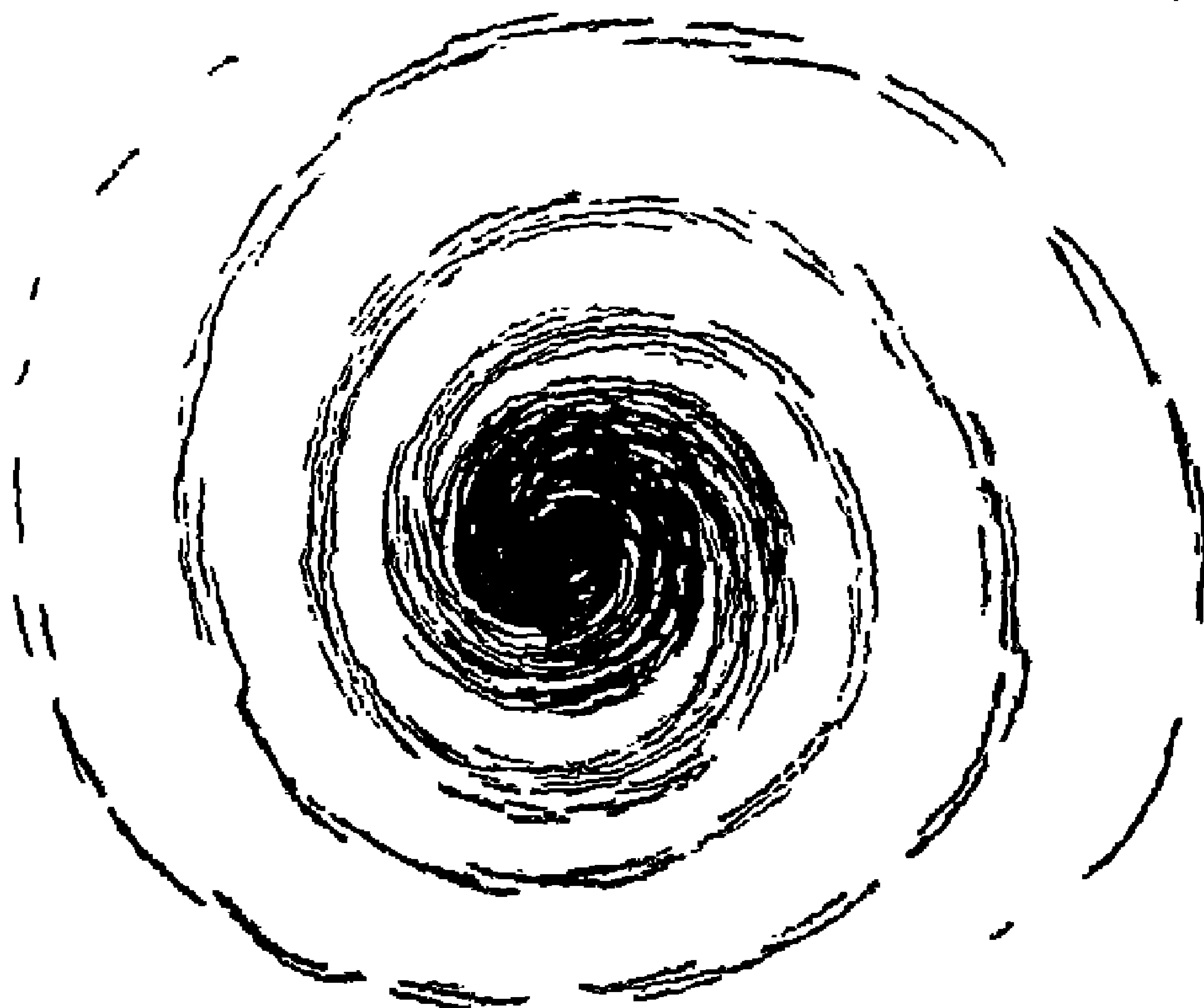
ثم عادت فبدأت فى الارض ، ومع الارض دارت الكواكب ، ومع الكواكب دارت الشمس

ثم عادت فبدأت من الشمس ، ومع الشمس النجم ، ومع النجم مساكن النجوم جميعا ، فى دنيانا هذه من الكون ، المجرة ..

---

(١) انظر التحذير المنوه عنه فى امرهذا التعبير فى موضعه عنه ذكر الذرة وما تتألف منه ، بعد

نعم ان المجرة تدور . انه قرص يدور . ولعله بسبب دورانه قد تفرطح ، كما تفرطحت الارض ، واشد من تفرطحها . أن محوره الذى يدور عليه ، من قطب لقطب ، عشر محور له ، يدور به خط استوائه



رسم ايضاحي يصور الدوران الحلزوني للمجرة

ولان المجرة شيء غير متماسك ، كما يتماسك الحديد ، نجد ان نجوما فى اطراف القرص ابطا دورانا من نجوم فى قلب المجرة . ونجوم الاطراف تستغرق فى انجاز دورة واحدة زمنا اطول من زمن تستغرقه نجوم القلب

والشمس ، وهي قريبة من طرف القرص ، وهي لاتبعد من هذا الطرف غير ٣٠ الف سنة ضوئية ، تستغرق فى انجاز تلك الدورة الواحدة ٢٢٠ مليون عام

وقد سبق أن ذكرنا ان الشمس تتحرك ، تحركا محلياء

بالنسبة لما حولها من نجوم ، تسير فيه بسرعة قدرت بنحو ١٢ ميلا فى الثانية . ولكنها ، فى دورانها مع المجرة ، تجرى، وبالطبع نجرى معها ، بسرعة ١٧٠ ميلا فى الثانية

ولقد ذكرنا ان المجرة قرص . وما هى بقرص تماما . انه قرص دوار ، ذو ذراعين ، يسحبهما معه كما تسحب المرأة ذيلا لها اذا دارت . والمجرة ، وهى تدور بذراعيها ، أشبه بدوامة فى ماء

وتسأل : وفى أى اتجاه تدور ؟

وهل أنا فى حاجة الى اجابة . ان على الوحدة الشــاملة للكون ان تجيب . ان المجـــرة تدور كما دارت الارض والشمس والنجوم ، من غرب لشرق . على عكس ماتدور عقارب الساعة ، لو أنك نظرتها من فوق . ولكن ماالفوق ؟ هو مانعده نحن سكان شمال هذه الارض فوقا

دنييات غير دنيانا

الآن ، وقد وصفنا هذه المجرة ، دنيانا : سكة التبانة ، نستخبر السماء ، هل فيها دنى غير دنيانا

ان سليمان كان اذا ركب ، ركب الريح . ولكن في استجلاء السماء لاينفع الريح مركبا . انه لابد من ركوب دابة أسرع. وليس أسرع فى دواب السماء من الضوء نركبه ، فيسير بنا ١٨٦٠٠٠ ميل . فى العام ؟ لا . فى الشهر ، فى اليوم ؟ لا . انه يسير بنا هذا المقدار الهائل فى الثانية الواحدة . ويسير بنا ٦ مليون مليون ميل فى العام . فهذه هى السنة الضوئية ، نعود فنؤكد معناها

وتركب الضوء استجلاء للسماء ، وتطلب لهذه المجرة مخرجا تخرج منه . وأنت فى كسر من الثانية ، لا تكاد تحصيه لصغره ، تخرج عن جو الارض ، فاذا السماء سواد : الشمس قرص فى سواد ، والنجوم نقاط فى سواد. والنجوم متجمعة فى المجرة أكبر تجمع ، متركزة فيها أكبر تركز . وتطلب منها أكثفها ، حيث النجوم تتراءى عدد الرمل . وتمضى بك الدابة سنة فسنة ، ولاتمر بك بشىء. انه الفراغ . ونعم ، هذا نجم يقترب ، ولكن دونه سنتان أو بضع سنين . وتنظر وراءك الى الارض ، تقتبس منها نظرة ، ولكن هيهات . وتنظر وراءك الى الشمس تطلب منها نظرة ، فترى القرص تصاغر حتى صار نقطة فى السماء بين نقاط

وتستحث الدابة فتجرى ، ولا يفيد فيها استحثاث . انها بغير أمرك تجرى

وتمر بنجوم ، كثرة ، عن يمينك ، وتمر بنجوم ، كثرة ، عن يسارك ، ومن أمامك ومن خلفك . انها تتراءى كثرة ، ولكن من بعيد . والزحام الذى طلبته بين أجرام السماء ماكان ، ولن يكون . ان النجوم تنفرج امامك كلما أتيت لها زحاما او ماحسبت انه الزحام . ان المجرة فراغ ، اكبر الفراغ . ان النجوم ، على كثرتها فى المجرة ، لاتكاد تملأ منها شـــيئا . أرأيت لو انك جئت بعشرة من الرجال ، ونثرتهم على سطح هذه الارض ، وقلت اسكنوها آمنين، أو غير آمنين ، اذن لفعلت فعل صاحب السماء بالسماء والنجوم . فالسماء هكذا ، قلة سكان واتساع مكان

وتسير بدابتك قدما مائة عام فمئة فمئة ، فلا يختلف المنظر ، الا تخلخلا يظهر فى ازدحام النجوم ، تراه بالعين وهي قريبة ، والا تركزا يظهر فى ازدحامها ، تراه العين وهى بعيدة

وتسير بدابتك الفا من الاعوام فألفا

واخيرا يأخذ الزحام يخف . واذا هو أكثف فى عمومه من ناحية دون ناحية . ويقع فى روعك انك قد اقتربت من حافة المجرة . انه باب من ابوابها عتيد وشيك

وتخرج عن المجرة ولا تحس لها بابا . كل الضياء وراءك . وكل الظلام امامك

ان المجرة كالجزيرة ، كنت فى أوسطها ، والآن بلغت الساحل

والجزيرة فى محيط ، ماؤه من مداد أسود

وتسرح ببصرك فى هذا المحيط ، وهو من ظلام ، لعل فيه جزيرة غير هذه . مجرة ، تأذن لك ان تتبينها فتقول مجرتان . أو لعل فيه اكثر من جزيرة ، اكثر من مجرة ، تأذن لك بأن تجمعها فتقول مجرات . أو تأذن لك بأن تجمع الدنيا فتقول دنى أو دنييات . ويقع بصرك ، فى ناحية من السماء ، على شىء جديد . انها سحابة من ضياء . وترفع

اليها منظارك فتجد ان الجديد ليس بجديد . انها سحابة كنت رايتها فى مرصد من مراصد الارض ، وأنت على ظهر الارض ، فى بطن المجرة ، وحسبتها بعض سحبها والنجوم. وماهى من المجرة ، دنيانا هذه ، سكة التبانة ، فى شىء . وتزيد لها فحصا ، فاذا بها جزيرة فى المحيط الاسود كالجزيرة التى خلفت . انها مجرة ... مجرة ثانية

وتسرح ببصرك فى هذا المحيط ، هذه الناحية وتلك ، فتجد مجرة ومجرة ومجرة

دنييات أخريات ، كشفها أهل الارض حديثا

كشفتها مراصد الارض لما عظمت مناظيرها ، واتسع علمها ، واتسع حسابها

وتنتهى الرحلة ، وتود ان تعود ، فلا تستطيع عودة . ان الدابة التى ركبتها لاتستطيع عودة . وتبحث عن دابة اخرى ، شعاع من الضوء آخر لنجم آخر ، سبيله الارض وتعود الى الارض فى حفظ الله ورعايته

أقرب المجرات الينا

نعم انها مجرات ، بعدت عن مجرة نحن فيها ، بعدا عظيما ، وتعددت

اما عن بعدها ، فأقرب مجرة الينا ، مجرة فى كوكبة الاندروميدا (هى كوكبة تعرف بكوكبة المرأة المتسلسلة ، فهكذا تصورها بعض الناظرين فى السماء من القدماء) . وتراها العين العارية ، ترى هذا المجرة ، سحابة بين نجوم هذه الكوكبة ، طولها كنحو قطر القمر البدر ، وعرضها نصف قطره

وتسمى بالسديم ، سديم الاندروميدا ، سديم المرأة المتسلسلة

وما هى بسديم . ان السدم من غازات وغبار ، كالتى وصفنا فى المجرة . ومنها المظلم الذى يحجب عن أبصارنا

ما وراءه فى مجرتنا من نجوم . ومنها المضىء ، ولكن ضياءه من غيره

أما هذا السديم فنوره نور نجوم . وعن هذا كشفت المراصد . وبعد عنا بعدا هائلا فشابه فى أعيننا السدم القريبة ، نسبيا ، منا

انها مجرة كمجرتنا ، ودنيا كدنيانا ، سكة التبانة

قرص من نجوم عدد الرمال

وهو فى اتساعه قارب اتساع مجرتنا

وهو حلزونى الشكل . وله ذراعان ، فهو كالدوامة . ودلت الصور الفوتوغرافية على وجود أنجم بذاتها فيه ، ووجود سحب من نجوم . ووجود سدائم ، نيرة وغير نيرة. ومن نجومه النابضة ، تلك التى تسطع بالضياء ثم تخفت. ومن نجومه المنفجرة .كل هذا رآه العلماء ونظروه وحسبوه

انها مجرة كمجرتنا ، تدور كمثل دورتها (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ١٦)

وتبعد عنا ٧٥٠٠٠٠ سنة ضوئية . أى لو اتخذنا الضوء اليها مركبا ، لبلغناها فى هذا القدر من السنين

ومن المجرات مابعده الملايين من السنين الضوئية ومئات الملايين

وعجزت طرائق يتبعها العلماء فى ايجاد ابعاد السماء عن تقدير بعد هذه الاجرام المترامية ، هذه المجرات . ولكن يشاء الحظ الطيب أن يجد العلماء فى هذه المجرات نجوما تنبض ، كنجوم مجرتهم . ووجدوا فيها حتى النجوم التى تنفجر . ودرسوها وصوروها ، وأعلن عن انفجارها ضياء على هذا البعد عارم

ومن النجوم النابضة استدلوا على بعدها . انها تلمع وتخفت ، ثم تلمع وتخفت ، على فترات من الزمن لا يختلف طولها ، فكأنما هى الساعة تدق . ووجدوا علاقة بين طول هذه الفترات للنجم النابض ودرجة التماعه . الدرجة

الحقيقية لا الظاهرة . فقدروها . وقدروا الالتماع الظاهر للنجم . ومن ظاهر الالتماع وحقيقيه قدروا بعد النجم ، فبعد مجرته

المجرات ، الدنييات ، ملايين

ثم عدد هذه المجرات ، هذه الدنييات ، التى تشبه مجرتنا ... تشبه دنيانا

مائة ؟ ألف ؟ ألفان ؟

لا . انها مائة مليون من المجرات . مائة مليون جزيرة فى فضاء هذا الكون الواسع . وقد تزيد . ان المنظار الذى قطر مرآته مائة بوصة ، منظار مرصد جبل ولسن، بغرب الولايات المتحدة ، هو الذى كشف عن هذا . ولكنه منظار لايبلغ كشفه من السماء الا مدى طوله ٥٠٠ مليون سنة ضوئية . فكم عدد المجرات ، الدنييات ، وراء هذا المدى ؟!

وتشابهت المجرات فى أشكالها عامة (انظر اللوحة الفوتوغرافية رقم ١٧ ورقم ١٨) ، وفيما تضمنته من أجرام

وأطياف نجومها دلت على ان تركيبها من عناصر هى بعض عناصر الارض ، فهى كسائر ماعرفنا من نجوم

اللبنات الثلاث
التى منها بنى الكون بانيه

تحدثنا عن الارض ، وقلنا ان عناصرها قاربت التسعين

ومعنى هذا ان كل شيء في الارض ، فيباطنها والظاهر، وما تحرك عليها وما جمد ، ومادبت فيه الحياة ومالم تدب، كل شيء فيها يتألف من مركبات ، تتألف من عناصرقاربت التسعين

واختلفوا فى العدد الذى وجد فعلا فى الارض ، هل هو ثمانية وثمانون عنصرا ، أم تسعة وثمانون . ان أخف العناصرالادروجين ، يتبعه الهليوم ، وهما غازان . يتبعهما اللثيوم ، فالبريليوم ، فالبورون ، وهى معادن صلبة . ثم الكربون ، والنتروجين أوالأزوت،والاكسجين ، وهلم جرا. وأثقل العناصر التىوجدت طبعا فىالارضاليورنيوم. واذا نحن اتخذنا ذرة الادروجين وحدة للثقل (للكتلة) لكانت ذرة اليورنيوم أثقل منها ٢٣٨ مرة . والكيماويون يقولون عندئذ ان الوزن الذرى للادروجين ١ ، ولليورنيوم ٢٣٨

ووضعوا العناصر ، وفقا لخواصها ، وهى تتدرج فى كل ثمانية عناصر ، ثم تعود من جديد ، لتتدرج فى ثمانية من العناصر جديدة . على مثل ماتتدرج نغمات الموسيقى الثمان فى مفاتيح البيان ، ثم تعود لتتدرج فى ثمانية أخرى من جديد ، على مستوى أعلى . ويطرد النسق . ان النسق

الموسيقى دخل الى العناصر ببنيها . صدق اذن أفلاطون ، لما رأى جمال الكون ، في الحساب،في الرياضة والموسيقى • فقدس الاعداد ، وقدس الانغام

وصار للعناصر ، وفقا لذلك ، جدول ذو خانات

ووجب أن يكون فيه للعنصر الواحد وفقا لخواصه ،خانة بذاتها

نبوءة من نبوءات العلم رائعة

وامتلأت خانات في القرن الماضي بالذي كان معروفا عند ذلك من عناصر ، وفرغت خانات • وجد العلماء يبحثون في الارض عن تلك العناصر الغائبة ، التي بقيت خاناتها في جدول العناصر فارغة• ويمضي الزمن ويزيد الجدول امتلاء• يملؤه ما يكتشف من عناصر جديدة ، لها من الخواص بالضبط تلك الخواص التي تتطلبها هذه الخانة أو هذه • نبوءة عجيبة من نبوءات العلم كان هذا الجدول وكانت خاناته • وتحققت النبوءة بأروع ما تحققت به النبوءات

انهم ملأوا مما وجدوا في الطبيعة من عناصر الارض ٨٨ خانة ، ملؤوها بـ ٨٨ عنصرا• وراحوا يطلبون الاربعة الباقية• وكان للادروجين ، أخف العناصر الخانة الاولى• واليورنيوم، أثقل العناصر ، كان له الخانة الثانية والتسعون • هي اذا ٩٢ عنصرا لابد منها لتمتلىء الخانات جميعا • جرى العلماء يطلبون الاربعة الباقية في الارض ، وجرت الريبة فيما وجدوا في الارض • وحسم الامر أن العلماء استحدثوا في معاملهم ماطلبوه في الارض فلم يجدوه • خلقوا هذه العناصر الاربعة في معاملهم تخليقا • وزادوا • فتحوا خانة جديدة، هي الخانة الثالثة والتسعون ، وملؤوها • فكان مالؤها العنصر الجديد الذى لم تره الدنيا قط قبل ذلك ، حيها

والجماد · فذلك البلوتنيوم (١) · وفتحوا وراء ذلك خانة فخانة (٢)

الانسان يهدم العناصر ويبنيها

ان بناء الذرة قد عرفوه· عرفوا أحجارا منها كان بناؤها· وعرفوا هذه الاحجـار كيف ترتبت ، وكيف تصففت ، وكيف ارتبطت . واذ عرفوا كل ذلك ، هان عليهم البناء . واذ عرفوا ذلك هان عليهم الهدم (٣) . وبنوا ، فزادوا على ما بنت الطبيعة · وهدموا ، وأفرطوا ، وخرج لهم من افراطهم مارد ، يكاد يذهب بهم ، وبعلمهم ، وبالحياة جميعا. واذ عرفوا البناء ، وعرفوا الهدم ، عرفوا التحويل والتقصير والتطويل والترميم . فالقصر ذو الغرفات العشرين يزيدون غرفاته فيجعلونها ثلاثين . وذو الثلاثين يختزلون غرفاته الى عشرين . فالرديوم يستحيل الى هليوم والى رصاص. واليورنيوم يستحيل ، فيما يستحيل اليه ، الى رادون والى بزموث . وأحالوا النتروجين الى اكسجين ، وأحالوه الى كربون . والنحاس الى زنك ، ثم الى نيكل . وأحالوا الصديوم الى مغنسيوم . من صغير العناصر الى كبيرها . ومن كبير العناصر الى صغيرها

عرفوا هذا كما قدمنا ، لانهم عرفوا ، فيما عرفوا ، بناء الذرة .. ثم الى بناء الذرة ، نستجليه

اللبنات الثلاث

وسأتبع فى تعريفك بها سبيلا غير مألوف . سأقدمها اليك أولا ، واحدة بعد واحدة ، كما أقدم لك الطوب

(١) استخدم ، كاليورانيوم ، اومعه ، فى القنبلة الذرية

(٢) غير عنصر رقم ٩٥ ورقم ٩٦ ، أعلن العلماء حديثا عن استحداث عنصر رقم ٩٧ و ٩٨ ، وهى عناصر لم يعرفها الخلق والخلائق قبل ذلك

(٣) القنبلة الذرية

والحجر والجير ، قبل بناء البيت ، ثم أصف لك شكل البناء

انها الالكترون

وانها البروتون

وانها النيوترون

وقبل أن أبدأ بالتقديم فالتعريف اذكرك بحجم هـذه الذرات التى نتحدث عنها ، أو بأقطارها . ان المسافات فى هذه العوالم الدقيقة ، الخافية أكبر الخفاء ، لاتقاس بالمليمتر ، ولا بجزء من الالف من المللى . وانما تقاس بجزء من مليون من المليمتر مقسوما على عشرة . انها تقاس بجزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر . وتسمى وحدة القياس هذه باسم مبتدعها العالم السويدى انجشتروم . وقد سبق ذكر هذا

وذرة الادروجين ، وهى أصغر الذرات وأخف الذرات ، قطرها ١٫٠٦ أنجشتروم . وذرة الالمنيوم قطرها ٢٫٨٦ من الانجشتروم . والرصاص ٣٫٤٨ من الانجشتروم

وقبل أن أبدأ بالتقديم فالتعـــريف أذكرك بالاوزان ، بالاثقال ، بكتل هذه الذرات . ووحدة الوزن هنا غاية فى الصغر كذلك . انها ليست الجرام ، ولا جزءا من مليون من الجرام . ولكنها جزء من مليون مليون مليون مليون جزء من الجرام . وذرة الادروجين ، أخف الذرات ، وزنها ١٫٦٧ من هذه الوحدة . وذرة اليورنيوم ، وهى أثقل ذرة توجد فى الطبيعة ، وزنها ٣٩٥ من هذه الوحدة . ولزيادة الايضـــاح اقول ان لدى العلماء موازين خاصة تستطيع أن تزن جزءا من عشرة ملايين جزء من الجرام ، من اليورنيوم مثلا . وهذه هباءة لاتراها العين العارية . ومع هذا فهى تحتوى على أكثر من ١٠ مليون مليون ذرة من ذرات اليورانيوم

هل صدقت ؟ .. اذا لم تكن ، فاذكر ماقلناه فى أول الكتاب فى « الرأى العلمى » و « الراى الباده المشترك بين الناس »

ثم الى اللبنات الثلاث التى بنيت منها الذرات

أولها **الالكترون** . وهو وحدة الكهرباء . فالشحنة الكهربائية تتألف من الكترونات . والتيار الكهربائى يتألف من أعداد هائلة من الالكترونات تجرى فى الاسلاك . وأنت مع الالكترونات كل مساء ، فهى التى تكون فى فتائل المصابيح، مصابيح الكهرباء ، فترقص ... تتذبذب ، فتعطى لك النور . وتستدفىء بها فتعطى لك النار . ومن أجل أن الالكترون وحدة الكهرباء سماه المجمع اللغوى المصرى كهيربا ، ولكنه اسم نام فلم يقدر له انطلاق

والالكترون شىء صغير جدا . ان قطر الذرات يتراوح فى المتوسط حول طول الانجشتروم الواحد . وقطر الالكترون يبلغ نحوا من جزء من ۱۰۰٫۰۰۰ جزء من قطر الذرة

والالكترون كتلته (ثقله ان شئت) تبلغ نحو جزء من ۱۸۳۸ جزءاً من كتلة الادروجين ، أخف الذرات

والالكترونات أغلفة الذرات تلف من حولها . وقد يكون فى غلاف الذرة الكترون واحد ، أو الكترونان ، أو عشرة أو عشرات . انها جسيمات تدور حول الذرة فى مدارات ؛ بعضها الضيق ، وبعضها الواسع . كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس (۱)

ولكن حول أى شىء تدور ؟

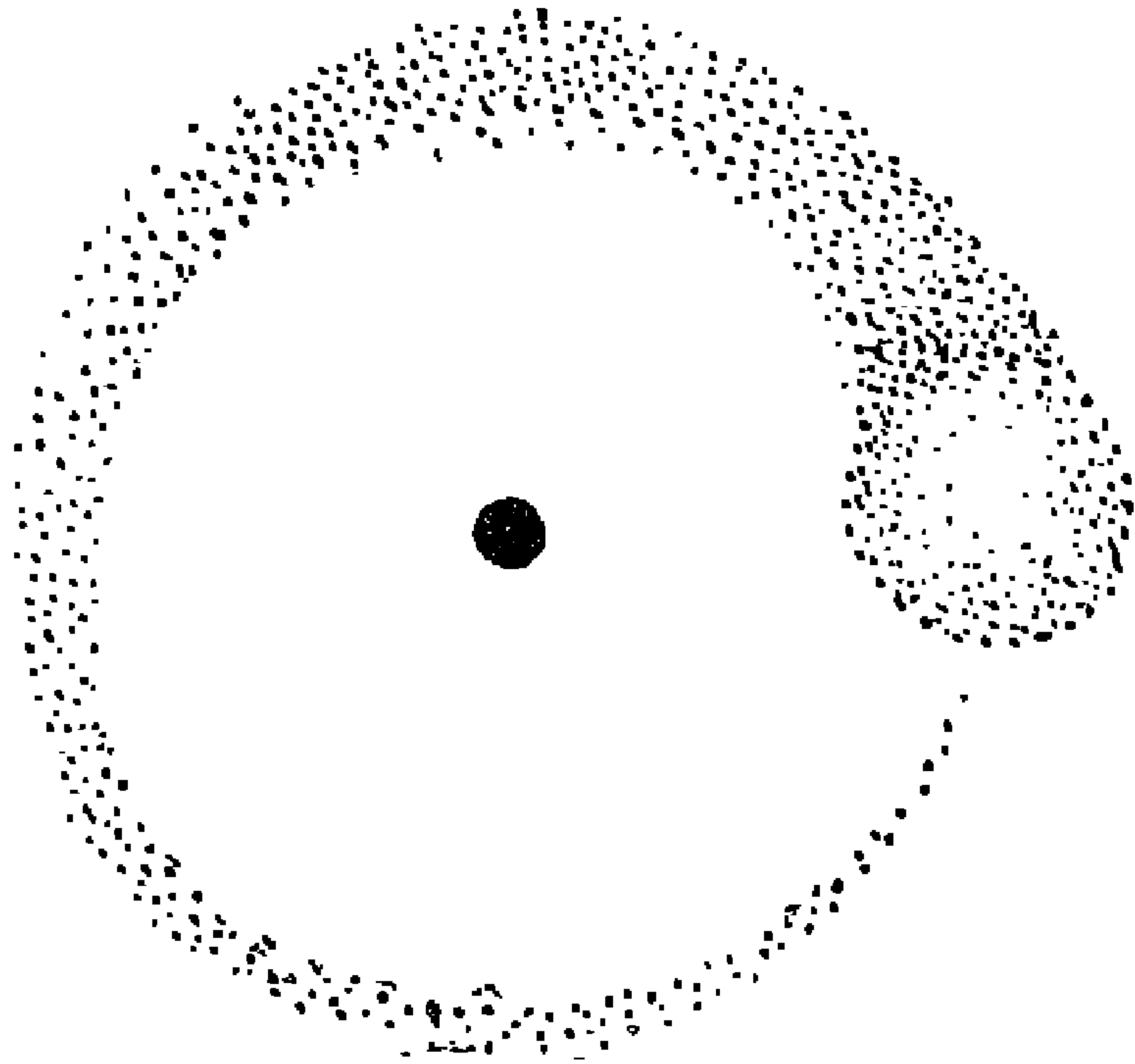
وهنا ننتقل الى الحديث عن اللبنة الثانية : عن **البروتون**

ان الالكترونات تدور حول نواة . هى شمس هذه الكواكب

وأبسط الذرات ذرة الادروجين . ولها غلاف واحد ، مدار فى ظاهر الذرة واحد ، يدور فيه الكترون واحد . وعلى أى شىء يدور ؟ أو بتعبير آخر ماذا فى لب هذه الذرة ؟ أو بتعبير آخر ما نواتها ؟ ان نواتها بروتون واحد

---

(۱) يغفل المؤلف هنا نتائج علم حركيات (ميكانيكيات) الموجات عمدا ، ويجرى على المألوف فى التعبير استجلاء للصور



ذرة الادروجين : الكترون يدور حول بروتون

انها اللبنة التى تتألف من مثلها نواة الذرات فيما تتألف

وشحنة هذه النواة ، هذا البروتون ، شحنة كهربائية موجبة . وهى بقدر شحنة الالكترون الواحد الذى بذرة الادروجين ، وهى سالبة . من أجل هذا تعادلت الذرة . وأنت تمس ذرات الادروجين فلا تحس كهرباء ، بسبب هذا التعادل . والبروتو لفظ اغريقى ، معناه الشىء الاولى ، وما أصدقه اسما

وكتلة البروتون (ان شئت ثقله) ، وهو نواة الادروجين ، تساوى كتلة الادروجين ، بعد ان نطرح منها كتلة الالكترون الواحد الذى بها . وبما ان كتلة الالكترون تساوى جزءا من ١٨٣٨ جزءا من كتلة ذرة الادروجين ، فكتلة البروتون تساوى ١٨٣٧ جزءا من ١٨٣٨ جزء من كتلة ذرة الادروجين . أى هى تكاد تكون كتلة ذرة الادروجين نفسها . ان كتلة الالكترون لاتكاد تساوى شيئا

وننتقل من أخف العناصر ، الادروجين ، الى عناصر أثقل

وذراتهـا تحتوى على نواة تدور حولها الكترونات . فالهليوم له نواة ، بها بروتونان ، يدور حولها الكترونان . فالذرة متعادلة ، من حيث الكهرباء . والليثيوم له نواة ، بها ٣ بروتونات ، يدور حولها ٣الكترونات . فالذرةمتعادلة . وهكذا تتدرج . تزيد النـواة بروتونات ، لتزيد المدارات الكترونات . فالاكسجين بنواته ٨ بروتونات ، حولهـا ٨ الكترونات . واليورنيوم ، أثقل العناصر فى الطبيعة ، بنواته ٩٢ بروتونا ، وبمداراته ٩٢ الكترونا . وتسمى هذهالارقام بالاعداد الذرية للعناصر . اعداد ما بها منبروتونات ، وما بها من الكترونات . أعداد مابها من شحنات موجبة ،تعادلها شحنات من الكهرباء سالبة

وكلنا نعلم كتل هذه الذرات . وكتل هذه الذرات تزيد على كتل مجموع مابها من بروتونات والكترونات . انهـا ضعفها واكثر من ضعفها . لابد اذن من أجسام اخرى فى الذرة . أجسام لا تخل بتعادلها الكهربائى

وتجرى السنون فتكتشف اللبنة الثالثة : انها **النيوترون**

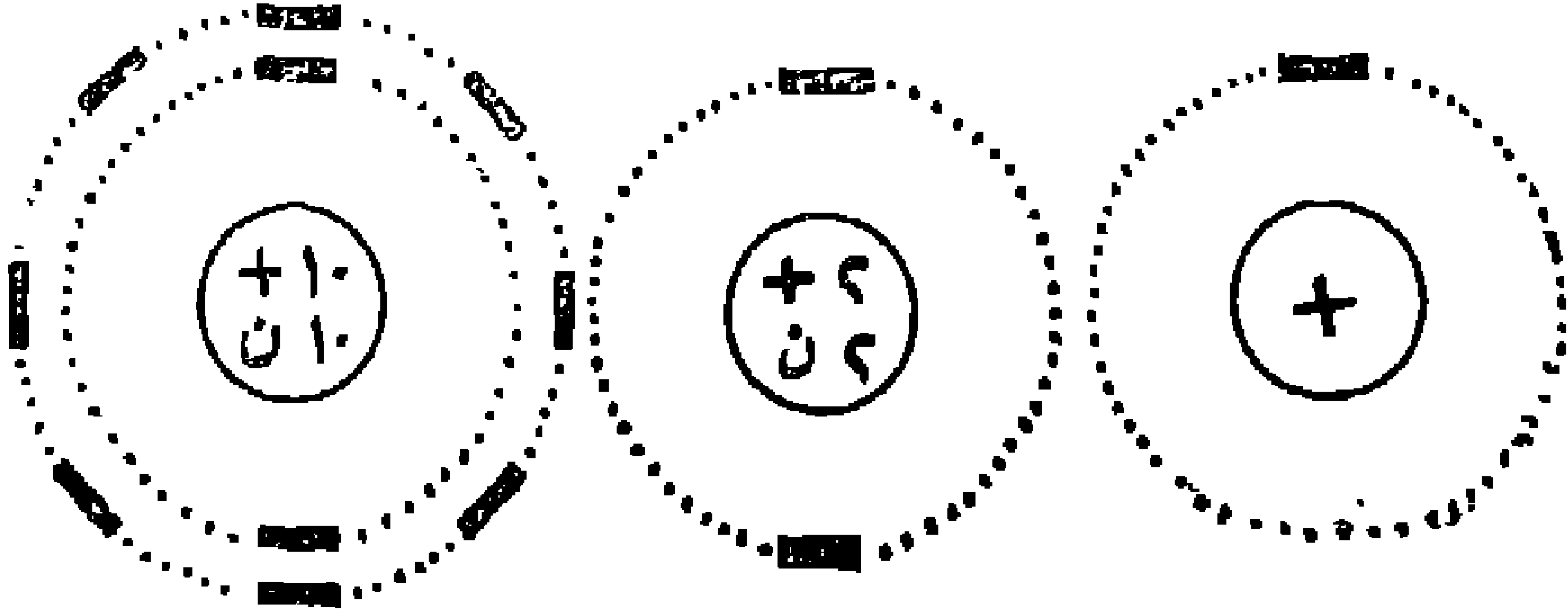
وهى متعادلة. فلا هىبموجبة الشحنةالكهربائية، ولاهى بسالبتها . واشتقوا اسمهـا neutron من لفظ neuter وهو الشيء الذى لا الى هذا ، ولا الى هذا . انه الشيء المتعادل ، الشيء المحايد

وقدروا كتلة النيوترون ، فاذا هى ككتلة البروتون ، الا شيئا تافها . والنيوترون أثقل

والنيوترونات تقع من الذرة فى النواة

فذرة الادروجين بنواتها بروتون واحد كمـا قدمنا . وليس معها نيوترون . ويدور حول النواة الكترون فتتعادل الذرة

وذرة الهليوم بنواتها من البروتونات ٢ كما قدمنا ، ولكن بها من النيوترونات ٢ . ويدور حول النواة الكترونان فتتعادل الذرة



ذرة الادروجين وبنواتها برونون واحد
ذرة الهليوم وبنواتها من البروتونات ٢ ومن النيوترونات ٢
ذرة النيون وبنواتها من البروتونات ١٠ ومن النيوترونات ١٠
ومدارات هذه الذرات بها من الكترونات بقدر مافيها من بروتونات

وذرة اللثيوم بنواتها من البروتونات ٣ ، ومن النيوترونات ٤ . ويدور حول النواة الكترونات ٣ فتتعادل الذرة

ونواة المشمش ، كسائر الفواكه ، تحتل من الثمرة مكانا ذا بال . فهى قد تحتل من الثمرة نصفها وثلثها وربعها . ولكن نواة الذرة ، على الرغم من ان كتلة الذرة كلها تتركز تقريبا فيها (الالكترونات لاتكاد تزن شيئا) ، فهى لاتكاد تشغل من حجم الذرة حجما

ان قطر الذرة اكبر ٢٠٠٠٠ مرة من قطر النواة

الذرات اذن أشياء فارغة أكبر الفراغ (قارن هذا بفراغ السماء على كثرة مابها من نجوم) . ان المادة فى صميمها لاتكاد تحتل من هذا الوجود شيئا

وتثقل ذرة العنصر فيضيق المدار الواحد منها عن ان يستوعب كل الكتروناتها ، فيتخذ الفائض منها مدارا ثانيا . ويضيق هذا ، فتتخذ الالكترونات الفائضة مدارا ثالثا ، وهلم جرا

المركبات

وتتلاقى الذرات ، مختلفات وغير مختلفات ، فتتشابك بالاذرع كما تتشابك الصبية . وما اذرعها الا الالكترونات التى فى المدارات الخارجة منها . ونسمى هذا اتحادا ... اتحادا كيماويا . وتتحد الذرات مثنى وثلاث ورباع ،وفوق ذلك ، فتنتج المركبات . واول ماينتج منها ، وأصغر ماينتج منها ، يسمى بالجزيئات

فالسكر ، وأرجو أن لاتذهب حلاوته عن لسانك أبدا ، جزيئه يتألف من ١٢ ذرة من الكربون ، ٢٢ ذرة من الادروجين ، ١١ ذرة من الاكسيجين ، ترابطت واتحدت بواسطة الالكترونات التى بالمدارات الخارجة من ذراتها . وبهذا الاتحاد تكون هذا المركب : السكر

وهكذا سائر المركبات

والخشب تحرقه ، فتخرج منه حرارة ويخرج نور . انها الذرات تتفكك روابطها فتقذف اذ تنفك بالطاقة من نار ونور . انها الطاقة التى جاءت اول الامر من الشمس ، والنبات حى . وتنفك الذرات لترتبط من جديد ، بواسطة الكترونات الذرات . وينشأ الماء ، وبجزيئه ذرتان من ادروجين مرتبطتين بذرة اكسجين . وينشأ أكسيدالكربون، بجزيئه ذرة كربون واحدة مرتبطة بذرتين من الاكسجين

تبدلت الاوضاع وبقيت الذرات سليمة . والنوايات فى هذه الذرات لم يمسها سوء . بل انه جرى لذراتها ماجرى، وهى فى أوسطها لاتكاد تدرى ماصنعوا بها

وأعطى الانسان القدرة على تحليل المركبات، وعلى تركيبها : حل الكترونات ، وربط الكترونات . وأعطيت الطبيعة . والحياة كلها ، فى نبات أو حيوان تجرى بحل الكترونات وربط الكترونات . ويخرج من ذلك طاقات ، كالتى يستدفىء بها جسم الانسان ، قليلة معقولة

كل شيء يجرى كما شاء الله ، الا ان تمس قلب الذرة : نواتها . انه اذا القمقم الذى تفتحه فيخرج منه المارد

وقد خرج . خرج فى القنبلة الذرية . مس العلماء قلب الذرة ، ذرة اليورنيوم ، مسوا بروتوناتها ونيوترروناتها ، فانقسمت . انقسمت النواة . والبروتونات والنيوترونات تنفصم وتنقسم فتخرج منها الطاقة مليون مرة قدر مايخرج عند انفصام الالكترونات وانقسامها

وكيف قسموا ذرة اليورنيوم ؟ قسموها بأسهم أصابوا بها قلبها . وما هذه الاسهم الا نيوترونات ، وصلت الى القلب ، الى النواة ، فبدلت بأمنها وسلامها خوفا وهلعا

ولكن هذا موضوع آخر يخرج بنا عما نحن فيه

لو انفرط هذا الكون

ثم نعود الى الكون

ان هذه عناصر الارض ، وهذه مركباتها . وهى كل شيء فيها

وقد بناها بانيها من لبنات ثلاث : الكترونات ، فبروتونات، فنيوترونات

وتحدثنا عن الكواكب السيارة فقلنا ان عناصرها من عناصر الارض

وتحدثنا عن النجوم فقلنا ان عناصرها من عناصرالارض ، تستوى فى ذلك نجوم فى مجرتنا هذه ، دنيانا ، سكة التبانة، ونجوم فى مجرات نركب اليها الضوء فلا نبلغها الى بعد مئات الملايين من السنين

الكون اجمع إذن يتألف من عناصر هى بعض هذهالتسعين

الكون اجمع اذن يتألف من تلك اللبنات الثلاث

فلو أننا امرنا الارض أن ينفرط عقدها : أمرنا أجسام الانسان ان تنفرط ، واجسام الحيوان ، وأجسام النبات ،

وأجسام الصخر بهذه الارض ، والصخور بتلك الكواكب ، وأمرنا كل غاز فى الشمس أن ينفرط ، وأن تنفرط غازات النجوم جميعا ، ما قرب منها وما بعد ، واختصارا ، ان ينفرط كل شيء فى الوجود ، لنتج عن انفراطه كومات هائلة ثلاث من :

الكترونات ـ وبروتونات ـ ونيوترونات

فهل فى معانى الوحدة أبلغ من هذا المعنى ؟

ونقول ثلاث لبنات . وهل هى حقا ثلاث ؟

وفى الوقت الذى ترد فيه المادة الى ثلاث لبنات ، يرد العلماء « القوى » الى أصل واحد : الضوء ، الحرارة ، الاشعة السينية ، الاشعة اللاسلكية ، الاشعة الجيمية ، وكل اشعاع فى الدنيا ، كلها صور متعددة لقوة واحدة ، تلكالقوة المغناطيسية الكهربائية. انها جميعا تسير بسرعة واحدة ، وما اختلافها الا اختلاف موجة

المادة ثلاث لبنات . والقوى موجات متآصلات

ويأتىاينشتين، وفى نظريتهالنسبية الخاصة ، يكافىء بين المادة والقوى ، ويقول ان المادة والقوى شيء سواء . وتخرج التجارب تصدق دعواه . وخرجت تجربة أخيرة ، صدقت دعواه بأعلى صوت سمعته الدنيا : ذلك انفلاق الذرة فى القنبلة اليورنيومية

المادة والقوى اذن شيء سواء

فماذا بقى من أشياء هذا الكون ؟

بقيت الجاذبية ، ذلك الرباط الذى يربط الكون أجمع

وبقى المكان space . وبقى الزمان

ويحاول أينشتين ان يوحد بينهما . ان يربط بينهما

وهو فى نظريته ، نظرية النسبية العامة ، يربط بين الزمان والمكان ، فيجعل منهما شيئا متواصلا غير متفاصل

وفى نظريته الجديدة ، نظرية الحقل الواحد Unified Field Theory ، يهدف أينشتين الى ان يثبت ان القوى المغناطيسية الكهربائية ، تلك التى تتمثل فى الضوءوالحرارة، وصور الاشعاع عامة ، هى وقوى الجاذبية شيء سواء

وأقول السواء وما أعني به السوية . ولكن أعنى انهما فى الاصول ، فى أعماق الحقيقة الطبيعية ، متواصلان

قال أينشتين : « ان روح العالم النظرى لاتحتمل ان يكون فى الوجود الواحد شكلان للقوى لايلتقيان ، شكل للجاذبية القياسية ، وشكل للمغناطيسية الكهربائية »

وهكذا ، يتحلل المركب ، ويتبسط المعقد ، وتتشاكل الحقائق التى تتستر وراء الظواهر المختلفةوتتشابه ،وتتجمع كلها لتصب فى مجرى واحد ، تلك الوحدة العظمى التى تجرى فى الكون أجمع

ولكن ، هل قضى الانسان من ذلك وطرا ؟

ان الانسان مازال يتساءل : وماوراء كل هذا ؟

ان الانسان ان كان وجد جوابا لبعض « كيف » تساءل عنه ، فهو مازال يتساءل « لماذا » ؟ وهو يسأل فى شيء من الهلع الفكرى ، والتقديس الدينى

قال أينشتين : « ان أعظم جائشة من جائشات النفس واجملها ، تلك التى تستشعرها النفس عند الوقوف فى روعة أمام هذا الخفاء الكونى والاظلام . ان الذى لاتجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته ، حى كميت . انه خفاء لانستطيع أن نشق حجبه، واظلام لانستطيع أن نطلع فجره، ومع هذا نحن ندرك ان وراءه شيئا هو الحكمة ، أحكم ماتكون ، ونحس ان وراءه شيئا هو الجمال ، اجمل مايكون. وهى حكمة ، وهو جمال ، لاتستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة الا فى صور لهما بدائية أولية. **وهذا الادراك للحكمة،**

وهذا الاحساس بالجمال ، فى روعة ، هو جوهر التعبد عند الخلائق »

ويقول أينشتين ، وهو أعلم علماء الارض فى الكون وظواهره ، وأحقهم بالكفر ان كان علم يدعو الى كفر ، وأولاهم باتباع ما اعتاد بعض علماء الغرب ، ومقلدوهم من أهل الشرق ، من اغفالهم ذكر الله ، يقول أينشتين : « ان الشعور الدينى الذى يستشعره الباحث فى الكون ، هو أقوى حافز على البحث العلمى ، وأنبل حافز »

وهو يقول : « ان دينى هو اعجابى ، فى تواضع ، بتلك الروح السامية التى لاحد لها ، تلك التى تتراءى فى التفاصيل الصغيرة القليلة التى تستطيع ادراكها عقولنا الضعيفة العاجزة ، **وهو ايمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا فى هذا الكون المعجز للافهام ، ان هذا الايمان يؤلف عندى معنى الله » !!**



ملزمة الصـــور

يرى القارىء بعد الصفحات التالية ملزمة الصور التى اشار اليها المؤلف فى مواضعها بهـــذا الكتاب

فهرس

صفحة

مقدمة ٧

الباب الأول :

ما هدف الحياة ولماذا نحن هنا ؟ ٩

الباب الثانى :

عبادة الله بغير علم كعبادة الاصنام ٢٣

الباب الثالث :

ما السماء ؟ ٢٩

الباب الرابع :

الأرض كرة تدور ٣٩

الباب الخامس :

الشمس وأسرتها : الكواكب السيارة ٥٥

الباب السادس :

قوانين الحركة وقانون الجاذبية ٦٥

صفحة

الباب السابع :
الارض كرة تدور على نفسها ، تفرطح قطباها .
ما أسباب هذا ، وما نتائجه ؟ ٨٩
الباب الثامن :
الارض . . . ساعة الكون العظمى ١٠٧
الباب التاسع :
جوف الارض من نار ، بلا نور ١٢٣
الباب العاشر :
جو الارض بحر من هواء نعيش فى أعماقه ١٣٥
الباب الحادى عشر :
الكواكب السيارة ١٥٥
الباب الثانى عشر :
الشمس . . . التى عبدها الناس ١٨٧
الباب الثالث عشر :
المذنبات . . . والشهب ٢٠٥
الباب الرابع عشر :
نجوم السماء ٢١٧
الباب الخامس عشر :
دنيانا سكة التبانة ٢٤١

كتاب الهلال

سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هي خطوة ثقافية كبيرة قامت بها دار الهلال لتيسير القراءة المفيدة للجميع .. ففي الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لأحد كبار الكتاب في الشرق والغرب ، في اخراج أنيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتاب الواحد ٨٠ مليما ــ ما عدا كتاب زينب ١٠٠ مليم ــ بخلاف مصاريف البريد المسجل ، وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية :

عبقرية محمد
تأليف عباس محمود العقاد

ماجلان قاهر البحار
تأليف ستيفان زفايج

هرون الرشيد
تأليف المرحوم الدكتور احمد امين

أبو الشهداء
تأليف عباس محمود العقاد

جنكيز خان سفاح الشعوب
تأليف ف . بان

قلب النسر
تأليف اوكتاف اوبري

السيد عمر مكرم
تأليف محمد فريد ابو حديد

غاندي : القديس الثائر
تأليف لويس فيشر

زعيم الثورة سعد زغلول
تأليف عباس محمود العقاد

الزعيم احمد عرابي
تأليف عبد الرحمن الرافعي

بطلة كربلاء (نفدت نسخه)
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

اشعب امير الطفيليين
تأليف توفيق الحكيم

نفرتيتي ربة الجمال والتاج
تأليف صوفي عبد الله

حديث رمضان
تأليف الامام محمد مصطفى المراغي

عبقرية خالد
تأليف عباس محمود العقاد

الذئب الاغبر مصطفى كمال
تأليف الكابتن هـ. س. ارمسترونج

كليوباترة فى خان الخليلى
تأليف محمود تيمور

الاسلام دين الفطرة
تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش

لا تخف
تأليف ادوارد سبنسر كولز

مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية
تأليف عبد الرحمن الرافعى

القائد الاعظم محمد على جناح
تأليف عباس محمود العقاد

زينب
تأليف الدكتور محمد حسين هيكل

مذكرات عرابى (جزء أول)
تأليف الزعيم احمد عرابى

مذكرات عرابى (جزء ثان)
تأليف الزعيم احمد عرابى

عبقرية عمر
تأليف عباس محمود العقاد

آمنة بنت وهب
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

فاطمة الزهراء والفاطميون
تأليف عباس محمود العقاد

عصا الحكيم فى الدنيا والآخرة
تأليف توفيق الحكيم

ابو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقى

فى الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازنى

ذو النورين عثمان بن عفان
تأليف عباس محمود العقاد

محمد الثائر الاعظم
تأليف فتحى رضوان

مدرسة المغفلين
تأليف توفيق الحكيم

لا تقتل نفسك
تأليف بيترشتاينكرون

عصاميون من الشرق والغرب
لنخبة من كبار الكتاب

البؤساء
تأليف فيكتور هيجو

الارواح المتمردة ـ الاجنحة المتكسرة

الموسيقى
تأليف جبران خليل جبران

علمتنى الحياة
لنخبة من الشرق والغرب

عش مائة عام
تأليف جايلورد هاوزر

الحرية الحمراء
تأليف حبيب جاماتى

اهل الـكهف
تأليف توفيق الحـكيم

الله
تأليف عباس محمود العقاد

عش شابا طول حياتك
تأليف فيكتور بوجومولتز

علم الفراسة الحديث
تأليف جرجى زيدان

نساء النبى
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

ثائرون
تأليف محمود تيمور

زهرة العمر
تأليف توفيق الحـكيم

هذا مذهبى
بأقلام نخبة منعلماء الشرقوالغرب

غادة النيل
تأليف اميل لودفيج

طريق السعادة
تأليف فيكتو بوشيه

مطلع النور
تأليف عباس محمود العقاد

يوميات نائب فى الارياف
تأليف توفيق الحـكيم

ألف ليـلة وليـلة
(الجزء الاول)

عبقرية الصديق
تأليف عباس محمود العقاد

ألف ليـلة وليـلة
(الجزء الثانى)

مدرسة الشيطان
تأليف توفيق الحـكيم

الف ليـلة وليـلة
(الجزء الثالث)

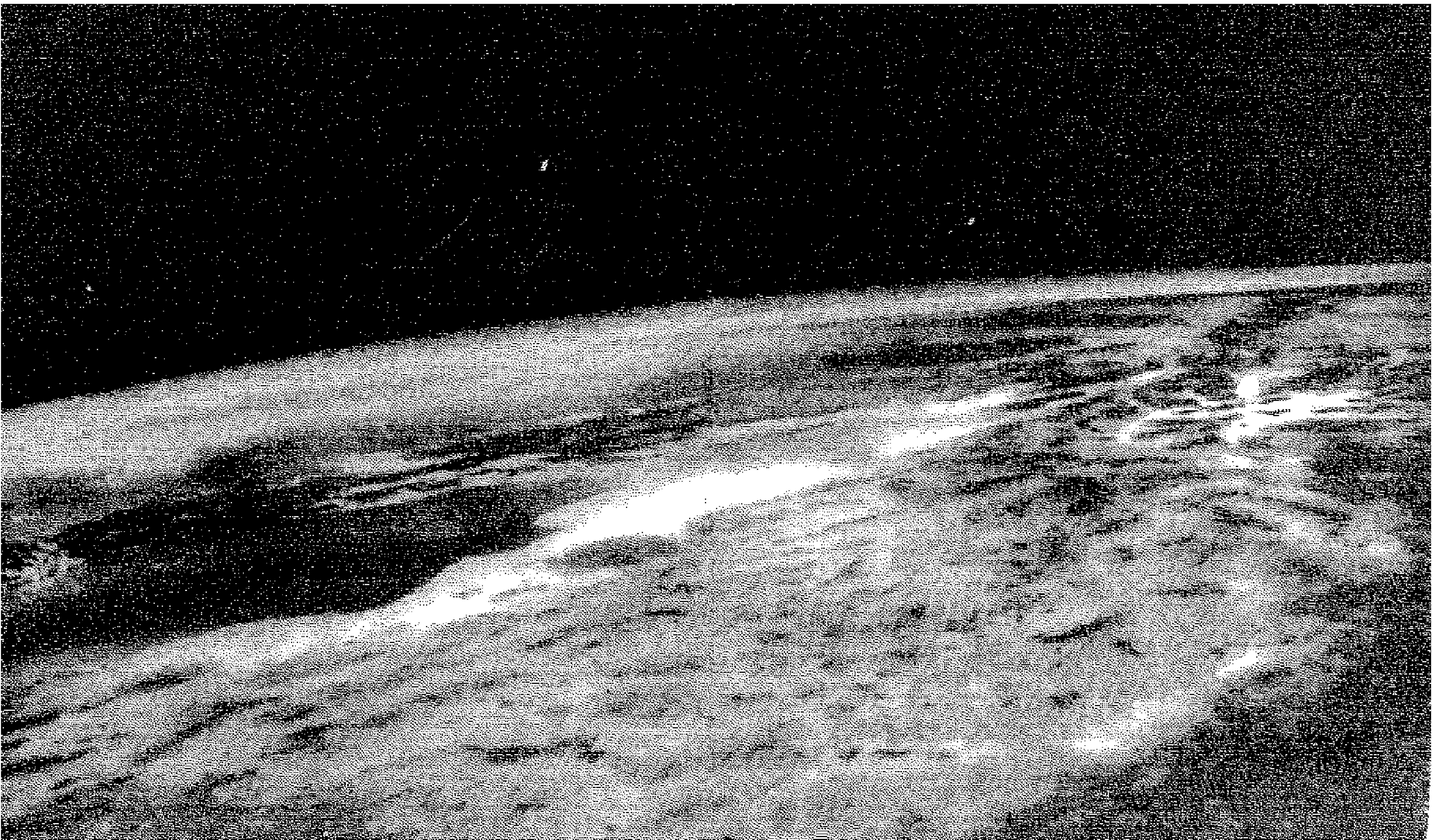
معاوية بن ابى سفيان
تأليف عباس محمود العقاد

ألف ليـلة وليـلة
(الجزء الرابع)

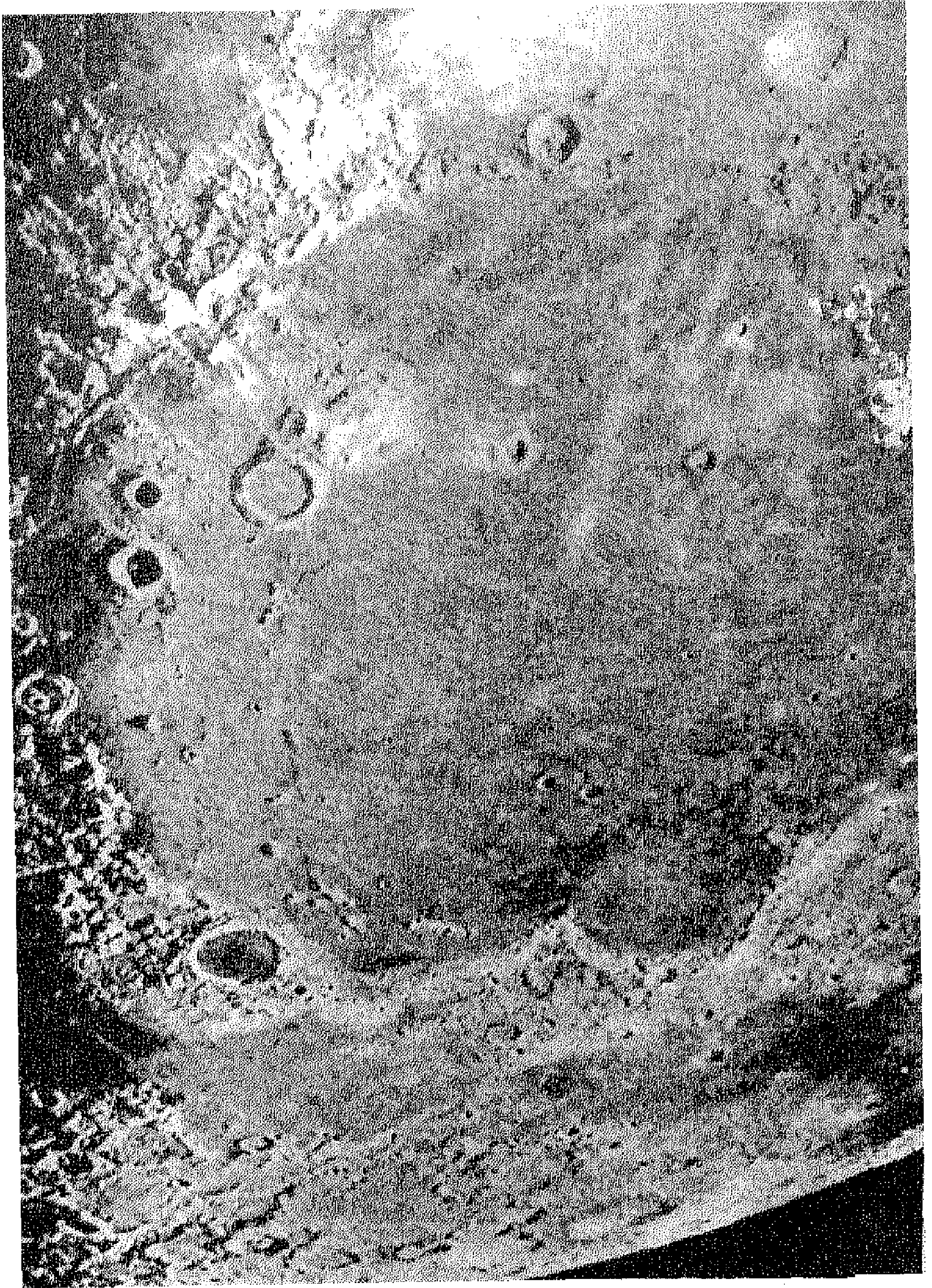
اعرف نفسك
تأليف ادوارد سبنسر كولز

الف ليلة وليلة
(الجزء الخامس)

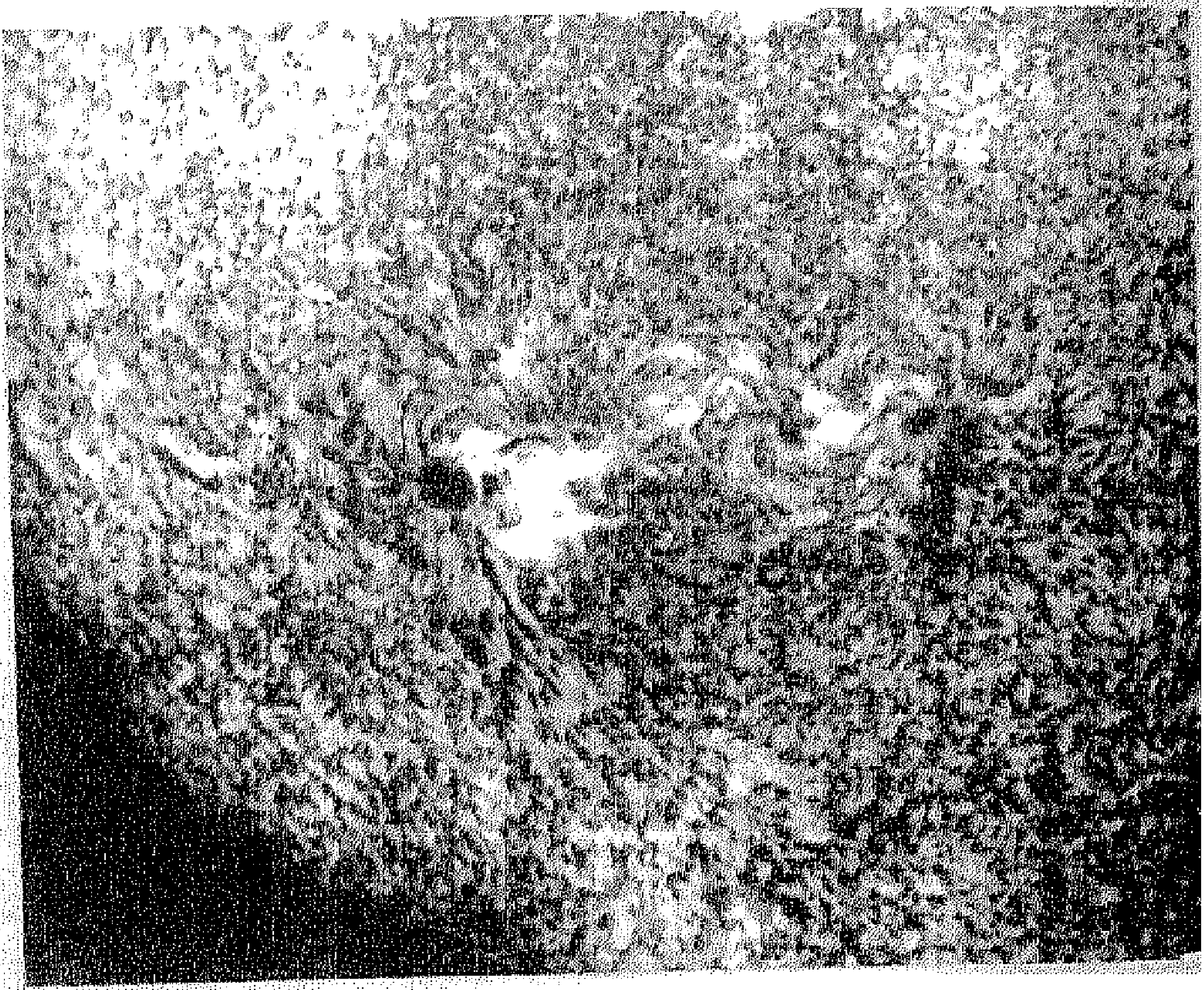
ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الـكتب من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب « المبتديان » بالقاهرة وشركة الصحافة المصرية بشارع النبى دانيال بالاسكندرية ، ومن شركة الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمى صاحب المـكتبة المصرية شارع المتنبى ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات بشارع بيكو طريق المالـكى ببيروت ، ومن المـكتب العـام لتوزيع المطبـوعات لصاحبه السـيد على نظام ببناية العابد بدمشق ، ومن جميـع المـكتبات الشهيرة وأكشاك الصحف ، ما عدا الـكتب التى نفدت نسخها كما ترى فى هذا الـكشف



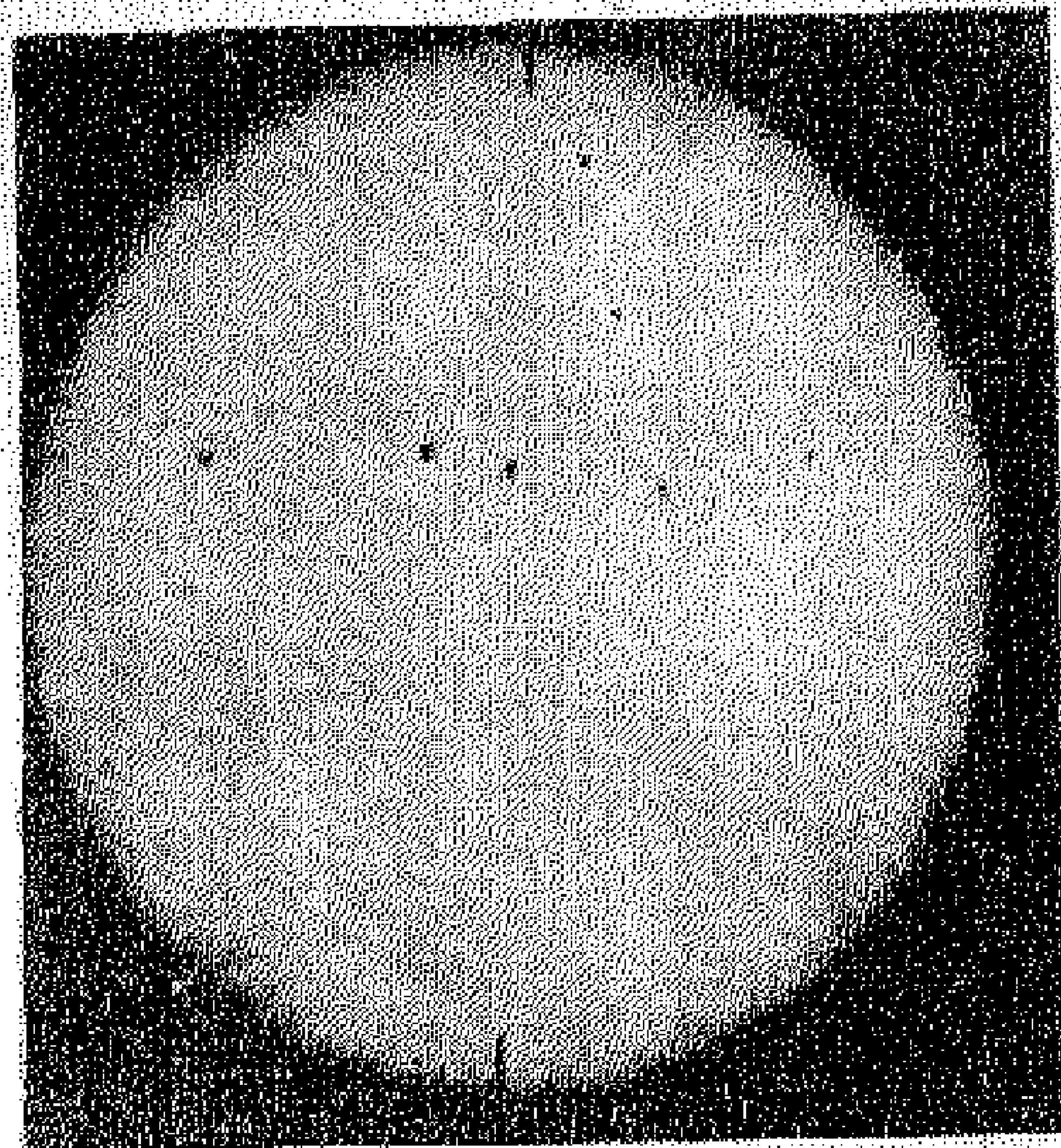
لوحة رقم ١ : أخذت لسطح الأرض من صاروخ على علو ١٤٣ ميلا وهى تبين استدارته

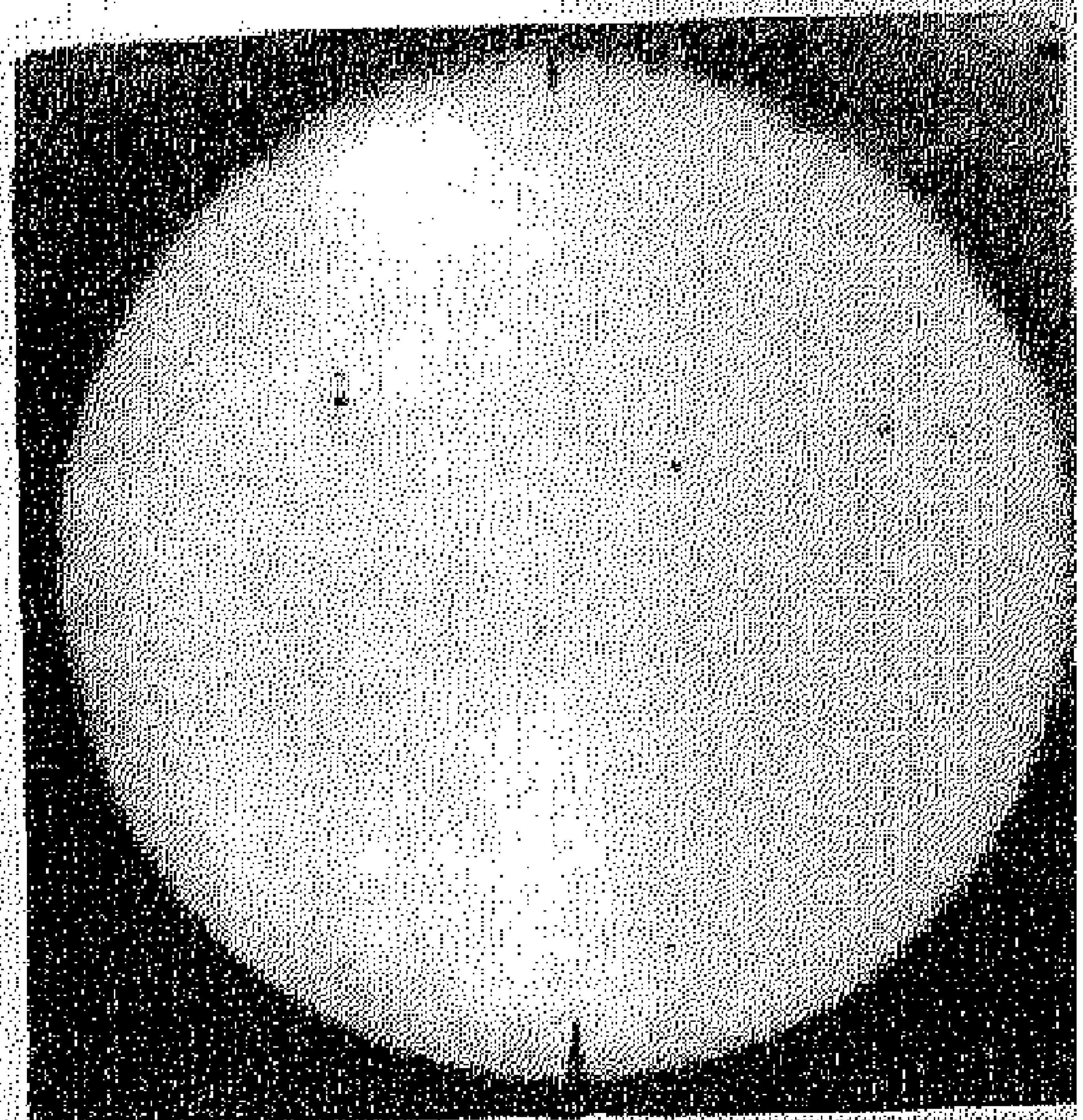


لوحة رقم ٢ : تبين جزءاً من القمر يظهر به جباله وساحاته

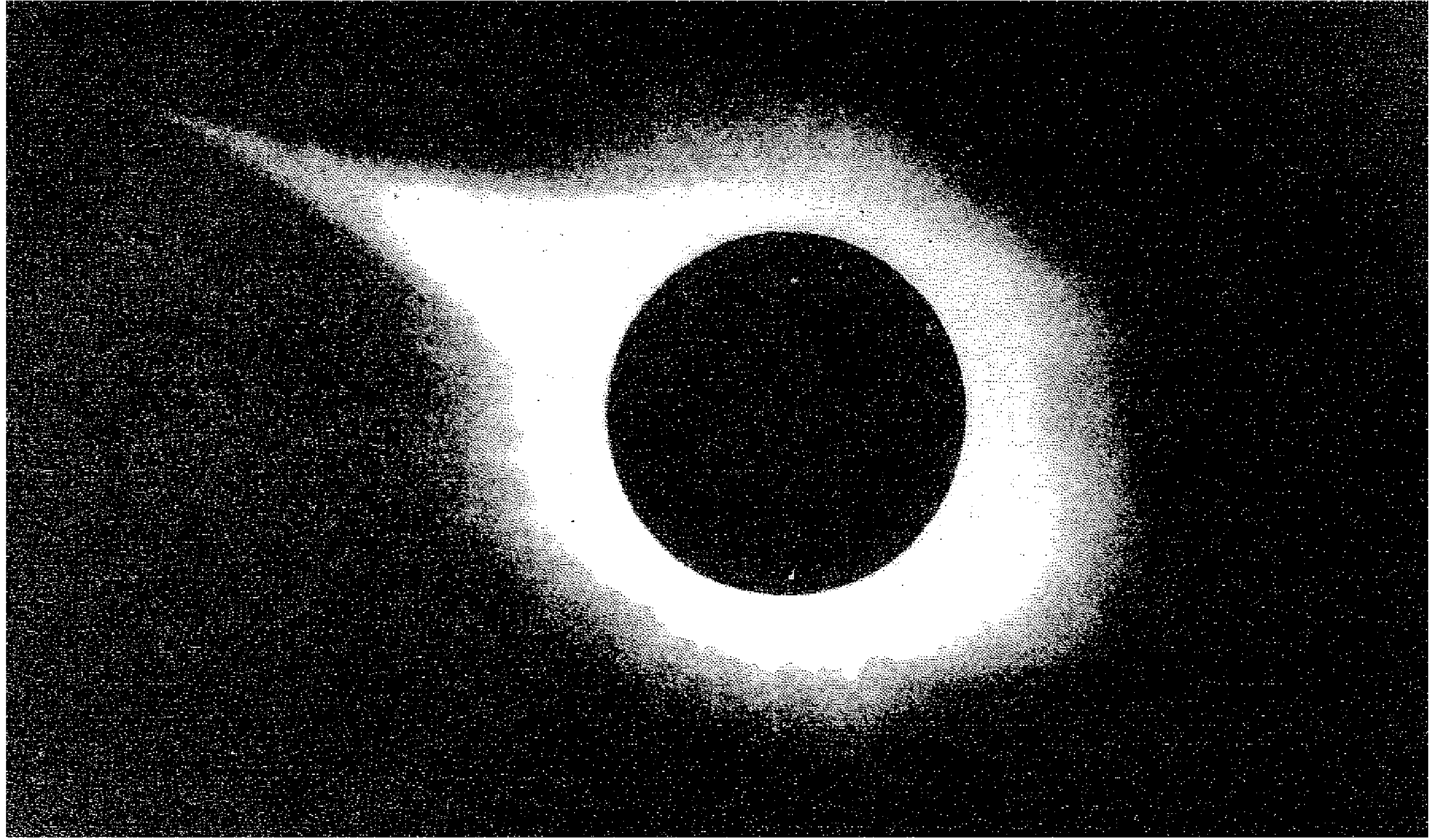


لوحة رقم ٣ : جانب من الشمس ترى فيه الغازات
تتحرك دوارة كما فى الدوامات البحرية والأعاصير الأرضية

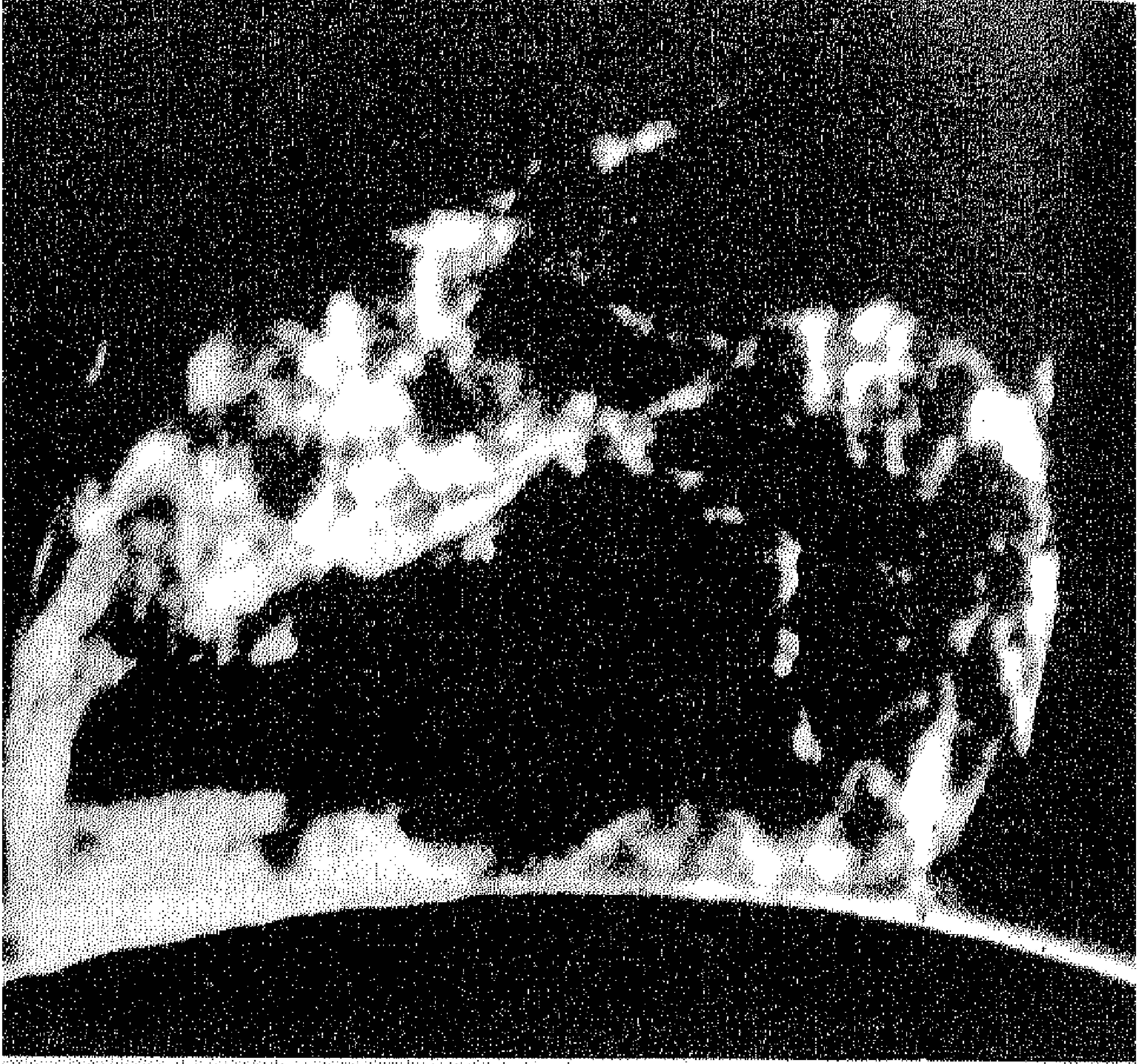




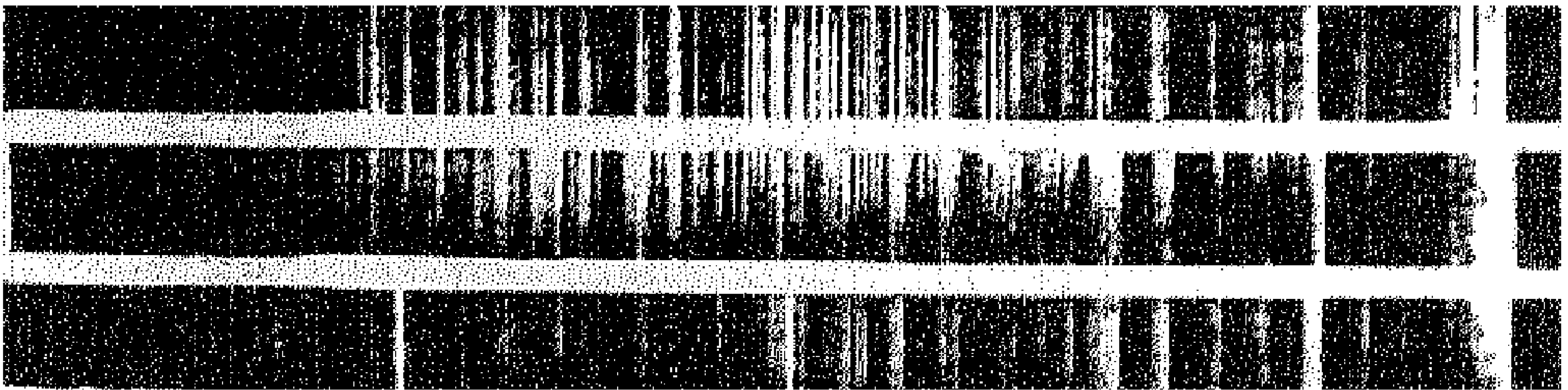
لوحة رقم ٤ : صورتان لقرص الشمس أخذت إحداها بعد الأخرى
بأربعة أيام فتحركت بقعها السوداء مع القرص إذ يدور حول نفسه



لوحة رقم ٥ : هالة الشمس رسمت عند الكسوف الكامل الذى وقع فى ٣١ أغسطس ١٩٣٢



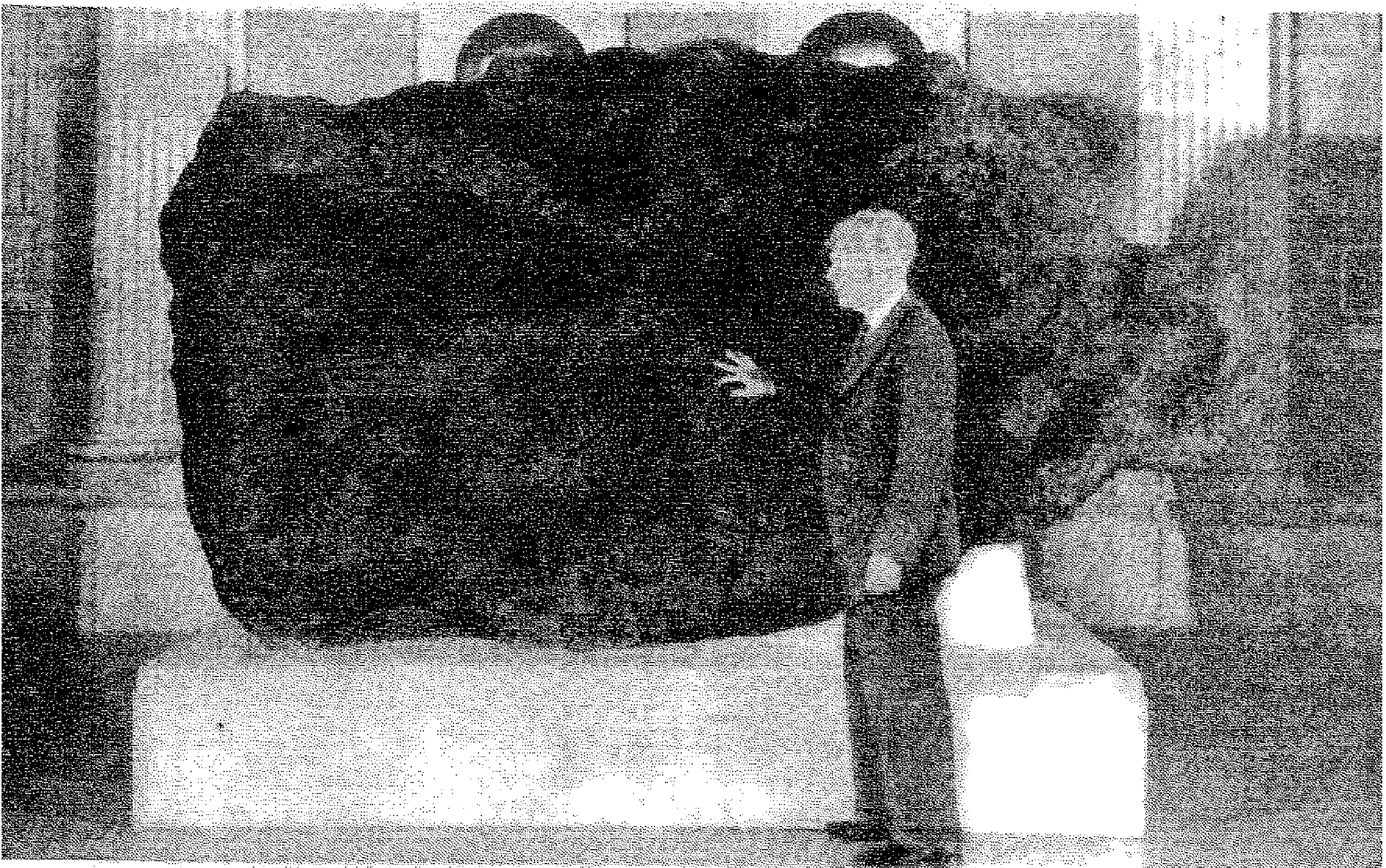
لوحة رقم ٦ : اندلاعات تخرج من سطح الشمس كاللهب . صورت أثناء الكسوف الكامل للشمس



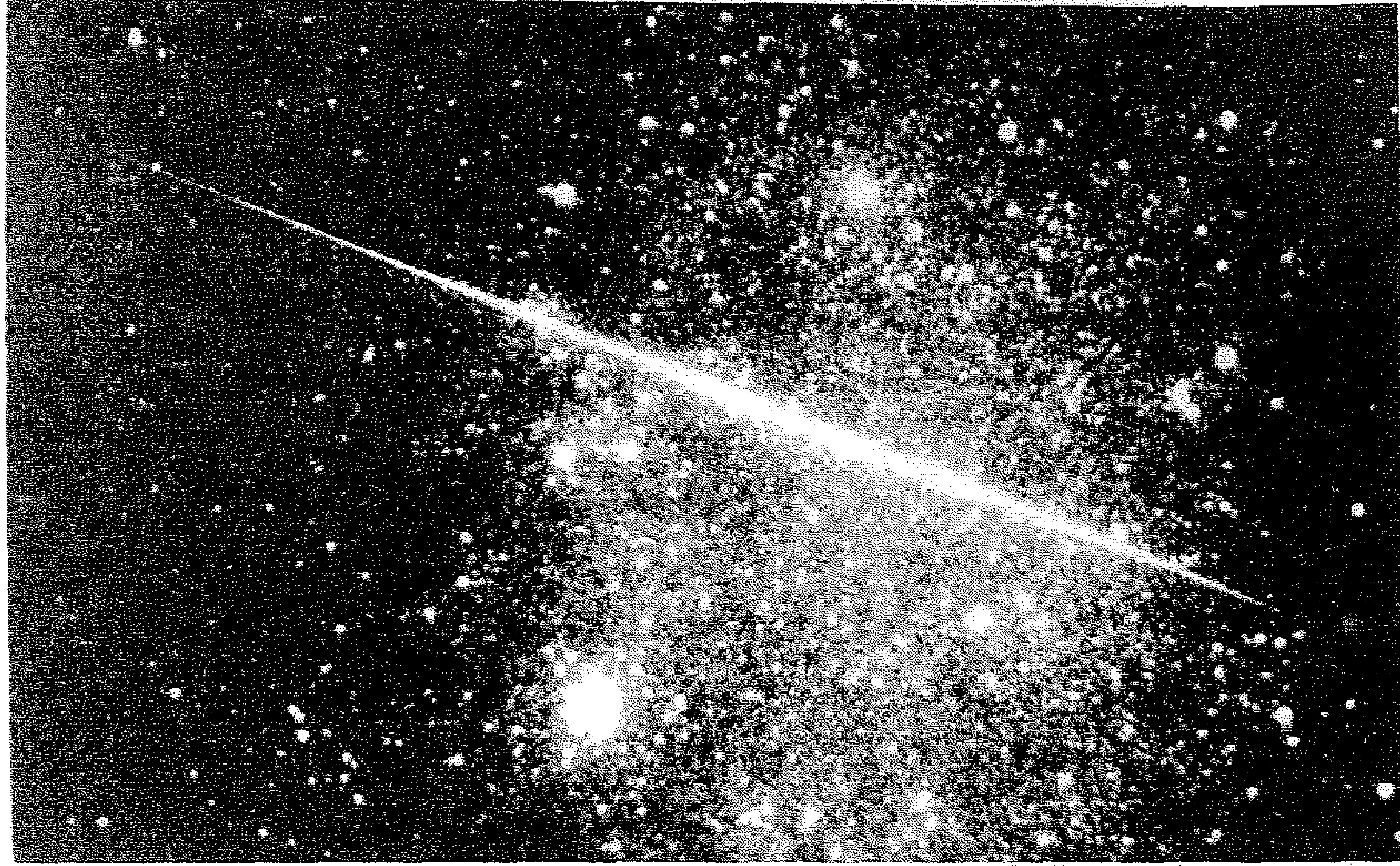
لوحة رقم ٧ : تبين عدة أطياف من أطياف النجوم التى إليها يتحلل ضوءها الأبيض وفيها تظهر الخطوط التى تدل طول موجاتها على ما بالنجوم من عناصر



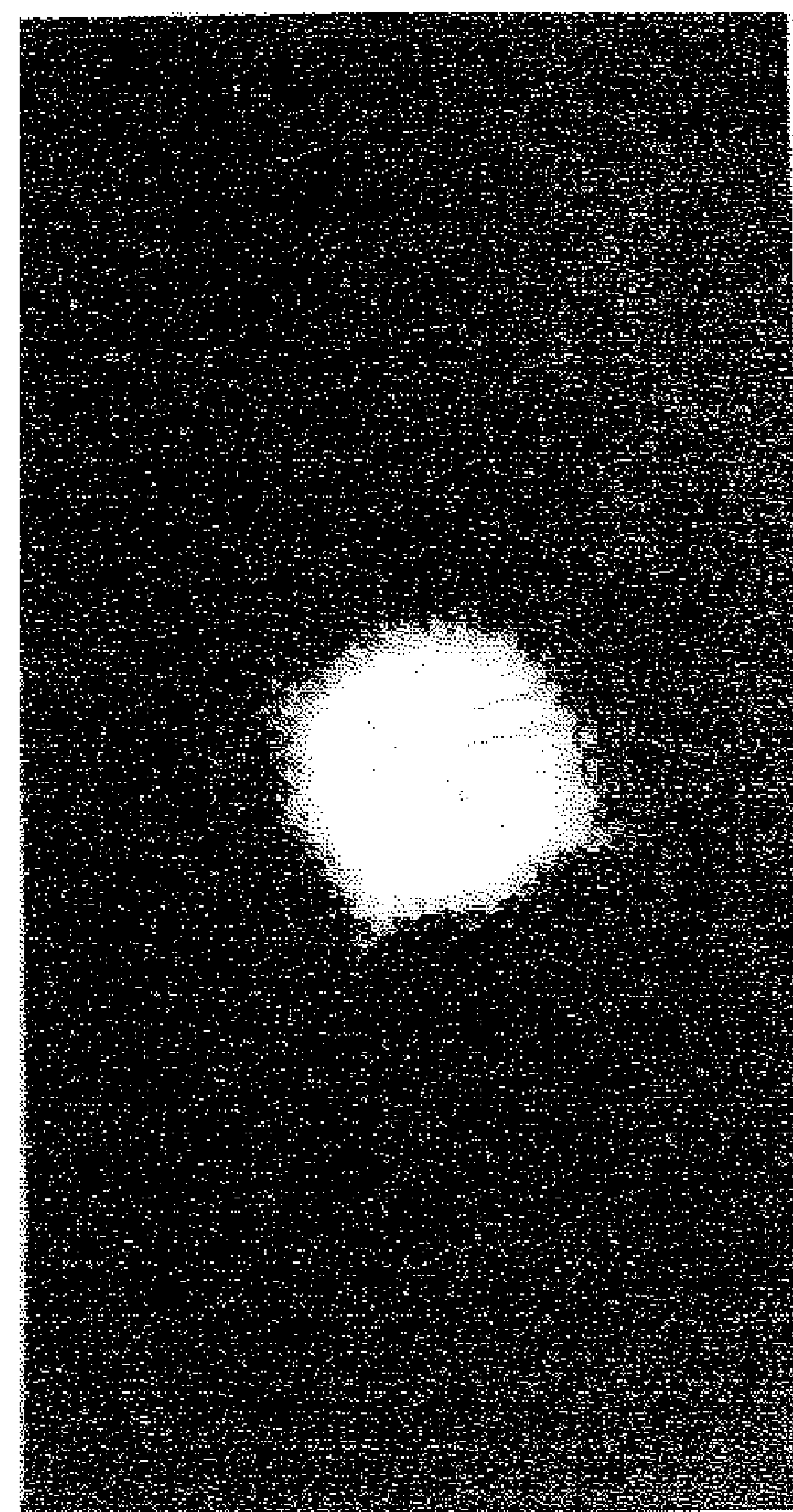
لوحة رقم ٨ : مذنب من المذنبات والنجوم من حوله



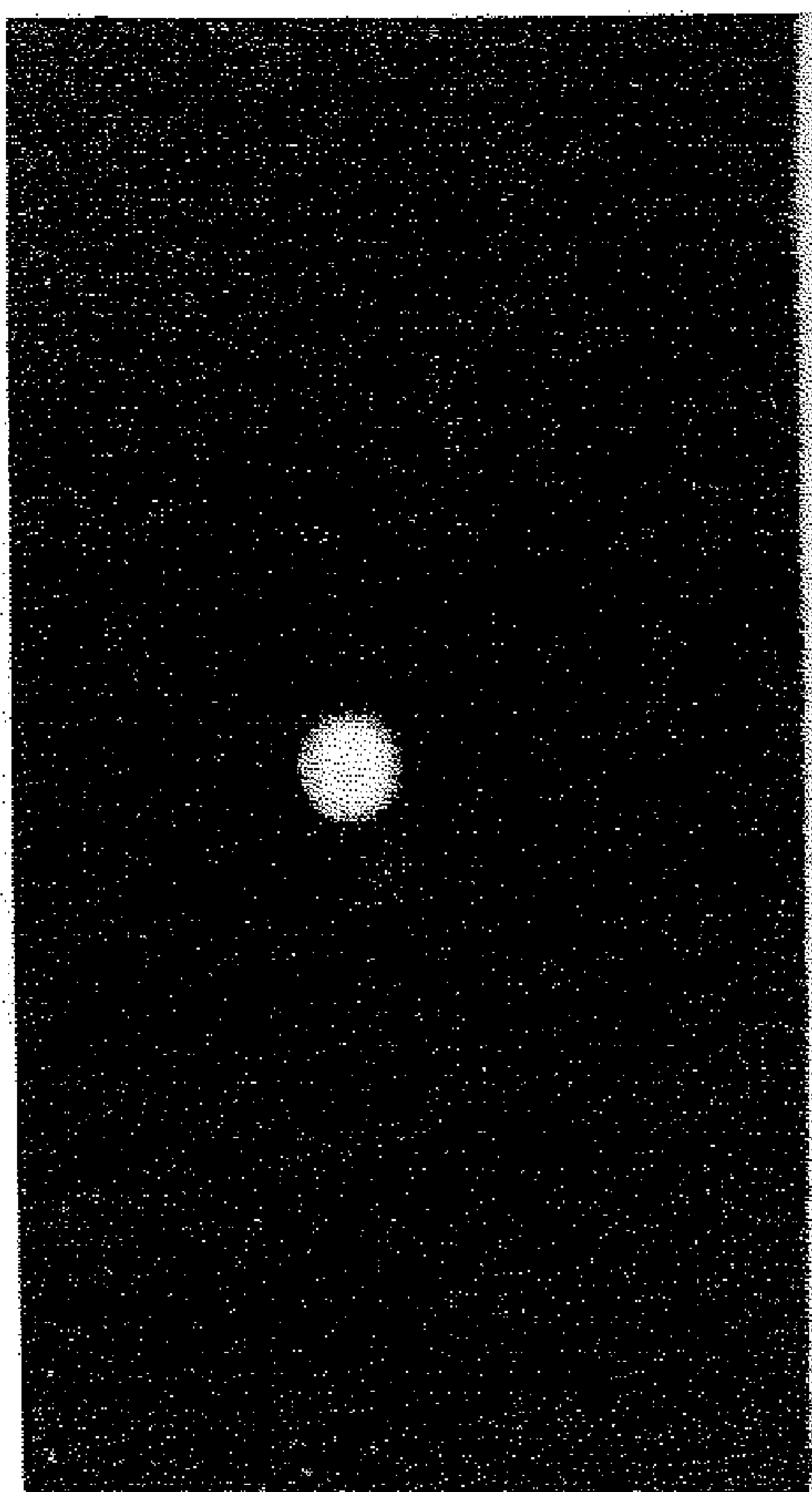
لوحة رقم ٩ : نيزك وقع من السماء : كتلة من الحديد والنيكل زنتها ٦٠ طناً. محفوظ بأحد المتاحف



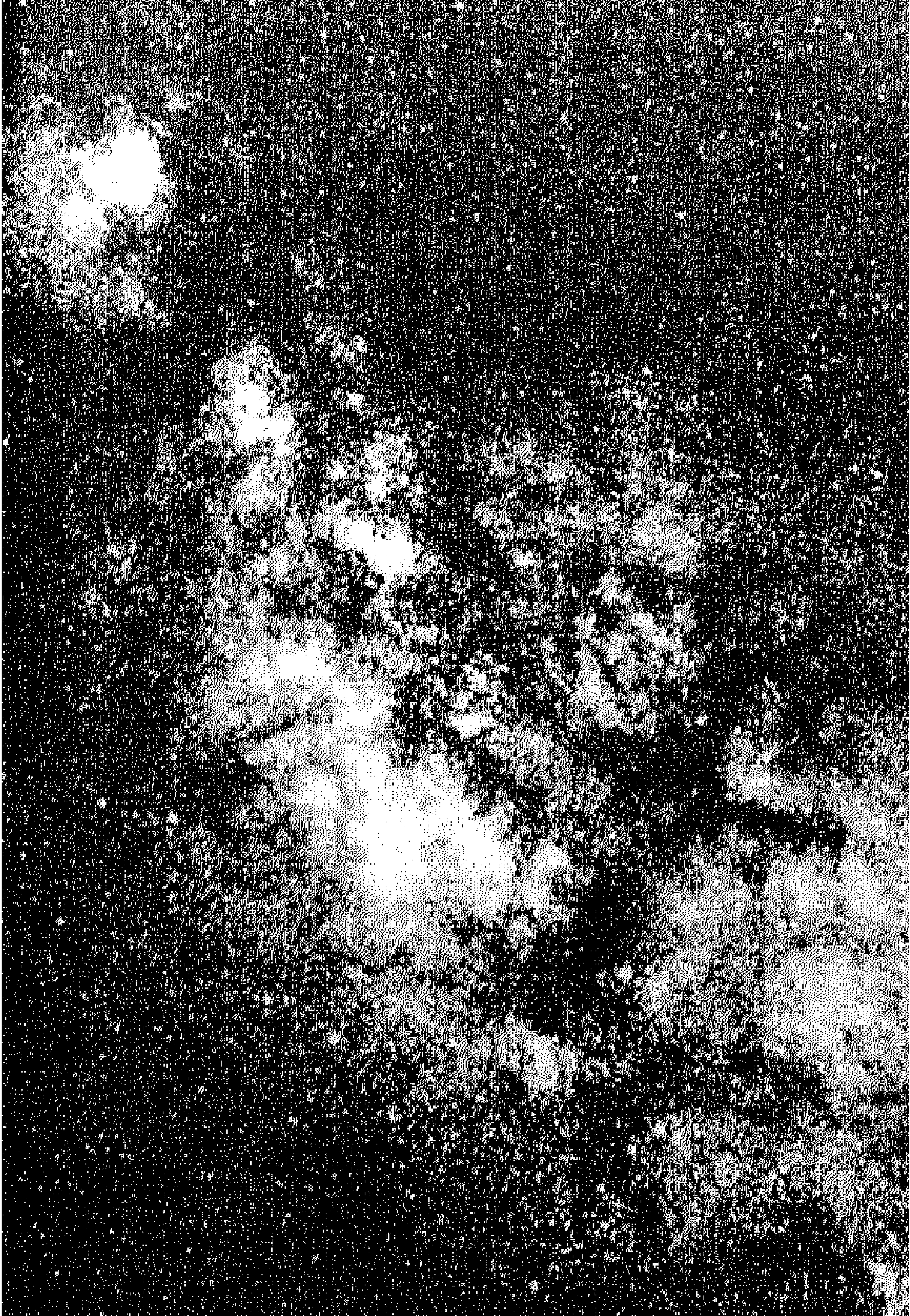
لوحة رقم ١٠ : تبين مساراً لامعاً لشهاب في السماء



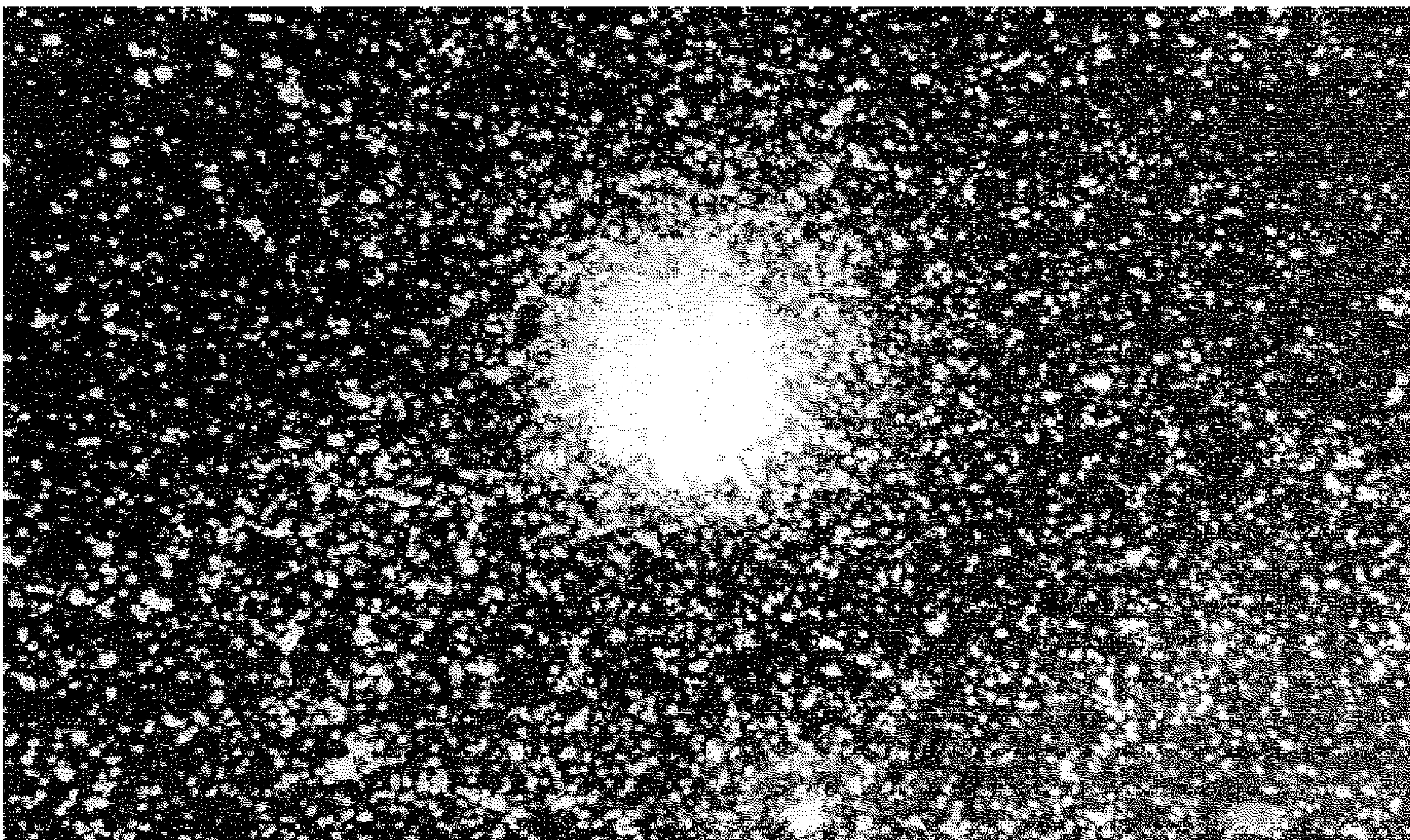




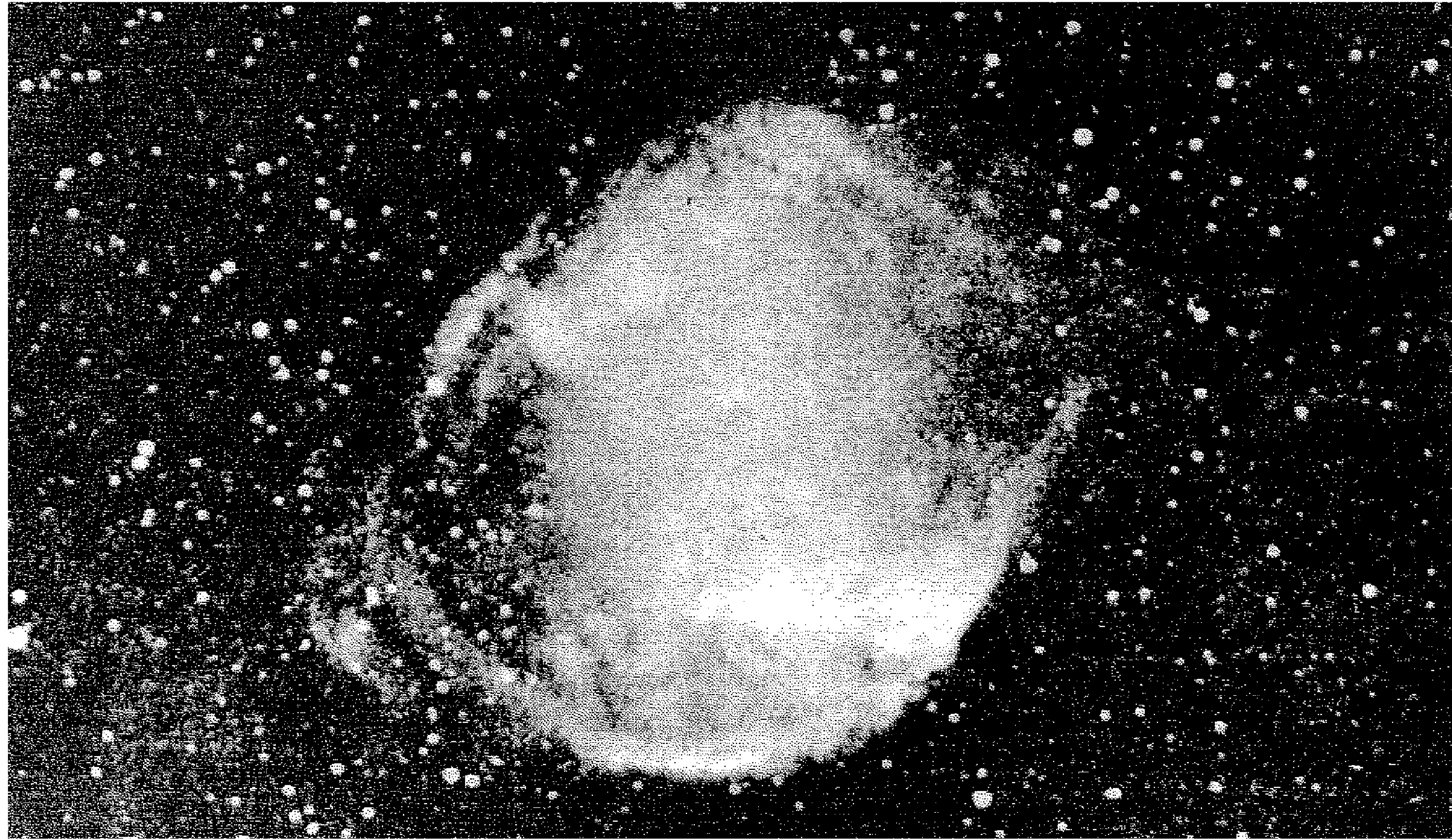
لوحة رقم ١١ : ثلاث صور لنجم انفجر (نوفا) ، أخذت الأولى فى ٢٠ يوليه ١٩٢٢ والثانية فى ٣ سبتمبر ١٩٢٣ والثالثة فى ١٤ أغسطس ١٩٣١



لوحة رقم ١٢ : جزء من المجرة ، ترى فيها هذه الكثرة من النجوم التي كأنها الرمل، وكذلك السدم السوداء



لوحة رقم ١٣ : جمع من النجوم يضم آلافا من النجوم ، ومن حوله النجوم كالرمل



لوحة رقم ١٤ : سديم منير



لوحة رقم ١٥ : الثريا ونجومها اللامعة ، ومن حولها السدم المنيرة . وهى تنير بما ينعكس عليها من ضوء هذه النجوم



لوحة رقم ١٦ : مجرة الأندروميدا ، وهى تشبه مجرتنا



لوحة رقم ١٧ : مجرة شكلها الدوار الحلزونى واضح



لوحة رقم ١٨ : مجرة شكلها كالقضيب ، اشتمل على نواتها ، ثم خرج من طرفيه لفتان تدوران حوله

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسي بطريق الملكي المتفرع من شارع بيكو في بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهي تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمي ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

مكة المكرمة : السيد هاشم بن علي نحاس ـ ص.ب ٩٧

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

ساحل الذهب : The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.

نيجريا : Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

انجلترا : مكتب توزيع المطبوعات العربية
Arabic Publications Distribution Bureau
7, Bishopsthorpe Road, Sydenham,
London S.E. 26, England.

فرنسا : Etablissements Helbaoui,
29, Rue Saint-Augustin,
PARIS-2°, FRANCE.

البرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio N° 3
3° Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

يحمل هذا الكتاب النفيس اسما جديدا ، وهو اسم روحي حبيب الى كل نفس ، كما يتناول موضوعا شائقا يهفو اليه كل قلب وعقل ، وهو الايمان بالله ووحدانيته عن طريق المعرفة والنظر فى كائناته ، كما جاء فى القرآن الكريم : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ، فهو كتاب نظر وتأمل ، وايمان

وقد تناول المؤلف الكبير فى فصوله الخمسة عشر أجرام السماء من شمس وكواكب ونجوم ، وما لها من قوانين بطريقة علمية ميسرة لكل قارىء بحيث يقرأ كل فصل فى شوق ومتعة تدفعه الى قراءة ما يليه من فصول ، وتغريه بالتأمل فيما خلق الله وأبدع ، وبالتفكير فيما نظم ورفع

ان العالم الدكتور احمد زكى يريد أن يتخذ من العلم وسيلة للايمان بالله ووحدانيته ، وان يكون للعلم رسالة لا تقل عن رسالة الأديان ، أو هى جزء من رسالة الأديان التى تحض على العلم وتأمر بالمعرفة ليكون الايمان صحيحا كاملا : و « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ ! فكان له ما اراد فى هذا الكتاب

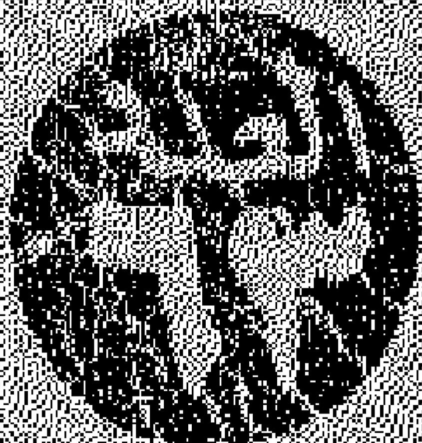
كتاب الهلال

ألف ليلة وليلة

الجزء السادس

طبعة خاصة

مهذبة مزدانة بالرسوم




سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٦٣ — شوال ١٣٧٥ — يونيه ١٩٥٦

No. 63 — June 1956

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال — بوستة مصر العمومية — مصر
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) — مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا — سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا أو لبنانيا — الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش صـــاغ — فى الامريكتـــين ٥ دولارات — فى ســـائر أنحـــاء العـــالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٩/٣٠ شلنـــا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

ألف ليلة وليلة

الجزء السادس

طبعة خاصة

مهذبة مزدانة بالرسوم

دار الهلال



شهر زاد تقص حكاياتها على الملك شهريار وبجانبه دنيا زاد

نهاية .. وبداية

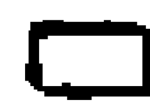
هذا هو الجزء السادس من ألف ليلة وليلة . وبهذا الجزء ينتهى هذا الكتاب القصصى فى طبعتنا الخاصة المهذبة المزدانة بالرسوم . وهى أول طبعة فى العصر الحديث ظهرت لهذا الكتاب فى اللغة العربية بهذه العناية الدقيقة الفائقة التى عنيت بها سلسلة كتاب الهلال ، فكانت احياء قيما لهذا الاثر النفيس من ثروتنا الادبية .. !

وقد أقبل قراء العربية على هذه الطبعة حتى نفدت بعض أجزائها ، ورغبوا الينا أن نعيد طبع ألف ليلة وليلة مرة أخرى . وسوف لا ندخر وسعا متى سمحت الظروف لتحقيق هذه الرغبة فى المستقبل ، حتى يتاح الحصول على هذا الكتاب بطبعته الخاصة لمن فاتهم أن يحصلوا عليه أو على بعض أجزائه

ولقد كان من أهم ما حفزنا على العناية بألف ليلة وليلة كثرة التشويه والتحريف فى الطبعات التى ظهرت لهذا الكتاب ، فرجعنا الى أصح نسخة طبعت له فى المطبعة الاميرية سنة ١٨٣٥ الميلادية . وهذه النسخة أخذت عن النسخة الاصلية التى قام بجمعها شيخ مصرى سنة ١٧٨١ . ولكنها لم تسلم من التكرار والتحريف ، فعنينا

بتهذيب هذه النسخة وتنقيتها من العبارات السوقية والالفاظ المبتذلة التى يعف القارىء الأريب عن قراءتها حتى تكون ملائمة للذوق السليم ، ووضعنا لها مقدمة تاريخية عن حياة « ألف ليلة وليلة » فى الجزء الاول . ولم نحذف منها شيئا ، بل نسقنا الليالى والحكايات بأسلوبها التقليدى الاصيل ، فكانت هذه الطبعة فى شكلها القشيب الكامل

وقد حفزنا تشجيع القراء على أن نواصل عنايتنا باحياء اهم الآثار القصصية النفيسة التى تزخر بها المكتبة العربية فى مختلف العصور ، فوقع اختيارنا على كتاب « سيرة عنترة » التى وضعها يوسف بن اسماعيل فى زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمى بمصر وقد اشتملت على ثمانى مجلدات ، وازدحمت بالكثير من الاقاصيص والاخبار ، فاعتزمنا أن نقوم بتهذيبها وتنقيتها ، لنقدمها لقرائنا فى طبعة خاصة ايضا ، محققة تحقيقا تاريخيا ، ومزدانة بالرسوم الجميلة ، وسوف ننشرها على عدة أجزاء كما نشرنا ألف ليلة وليلة



ولا بد من الاشارة الى أن قصة عنترة قد ظهرت لها عدة طبعات متباينة وكلها تدور حول حرب « داحس والغبراء » التى ثارت بين قبيلتى عبس وذبيان قبيل الاسلام ، ولكننا عنينا بالسيرة الطويلة التى وضعها يوسف ابن اسماعيل عن هذا البطل العربى الشهير منذ ولادته حتى وفاته ، وما تخلل ذلك من عجائب القصص والحكايات ، فهى عدة قصص فى قصة واحدة ، وحياة قبائل وجماعات فى حياة رجل واحد . . !

طاهر الطناحى

ألف ليلة وليلة

الجزء السادس

الاسير المسلم وزوجته

الليلة الستون بعد التسعمائة ، فلما كانت الليلة الستون بعد التسعمائة قالت شهرزاد للملك شهريار :

يحكى ايها الملك السـعيد ، أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، جهز جيشا من المسلمين لحصار بعض حصون العدو فى الشام ، وكان بين افراد هذا الجيش رجلان شقيقان ، أظهرا من الجـراة والشجاعة والبراعة ماليس له مثيل . فلما ثقل امرهما على جيش العدو ، جمع قائده اعوانه وقال لهم : اكفونى امر هذين الرجلين ، وانا اكفيكم ما بقى من امر هـؤلاء المسلمين ، فقالوا : اننا لانقدر عليهما الا بالحيلة والمكر والخديعة . فقال لهم : افعلوا ما شئتم .

وبعد أيام ، استطاع اولئك الاعوان اللئام ، أن يوقعوا الشقيقين المسلمين فى شـباك غدرهم ومكرهم ، فقتلوا احدهما ونال آجر الشهادة فى سبيل الله ، واخذوا الآخر أسيرا ، وحملوه الى قائدهم فى الحصن . فلما رآه وتحدث معه ، أعجب بشجاعته وفصاحته ، وقال لنفسه : مثـل هذا قتله خسارة ، ولكنه لو بقى حيا فقد يرجع الى جيش المسلمين ، ويصيبنا من ذلك خسران مبين . ثم دعا اليه اعوانه من البطارقة ، وشاورهم فى امر ذلك الاسير المسلم الشجاع . وقال لهم : لو انه كان معنا ما استطاع احد ان يغلبنا .

فقال احد البطارقة لقائد الحصن : اعطني هذا الاسير

وانا كفيل بحمله على الدخول فى ديننا . فهؤلاء العرب لهم شغف عظيم بالنساء الجميلات ، ولى ابنة لا يوجد فى الدنيا أجمل منها ، ومتى رآها وأطمعته فى نفسها ، فانه يرتد عن دينه ليتزوجها ويعيش معنا كواحد منا . فقال له القائد : خذه الى دارك ، ولك مكافأة عظيمة آن نجحت فى هذه المهمة

ولما اخذ البطريق الاسير الى داره ، بالغ فى اكرامه ، ثم ادخل ابنته عليه ، بعد ان تزينت وتعطرت وارتدت افخم الثياب ، واوصاها بأن تبذل كل جهدها لكى توقعه فى حبها ، وتخرجه من دينه الى دينها طمعا فى التنعم بها . فلما دخلت عليه ، وقفت كالخادمة المطيعة بين يديه ، ثم اخذت تتمشى امامه مقبلة ومدبرة ، وتبتسم له وهى ترمقه بنظراتهــا الساحرة ، ولكنه غض بصره ، واشتغل عنها بالصلاة وذكر الله . فاقتربت منه وقالت له بصوت عذب رقيق : لماذا تعرض عنى ؟ الا يعجبك جمالى ؟ فقال لها : لا حاجة لى بجمال ولا مال ، وما جئت الى هذه البلاد الا للقتال والطعن والنزال . ثم عاد الى الصلاة ، وانصرف الى ذكر الله

واخذت ابنة البطريق تختلس اليه النظرات ، وتستمع لما يرتله من الآيات المحكمات ، بأعذب النغمات . فوقع حبه فى قلبها ، وتمنت ان يكون من نصيبها . وشرح الله صدرها للاسلام ، فأنشدت من قلب مستهام ، ودموعها تجرى كماء الغمام :

كفاكم صــــــدودا فالفؤاد لكم يصبو
ومنـــذ التقينا قد تمـــلكه الحب
وانى لأرضى فى هـــواكم بـــكل ما
رضيتم ، ومالى غير قربـكمو طب

ثم ارتمت عليه ، محاولة تقبيل يديه وقدميه ، وقالت له: أسألك بالله الا تبعدنى وتجافينى ، بعد ان دخلت فى دينك

وتركت دينى ، وليس لى بعد ذلك من أمنية ، الا ان اكون لك من الآن زوجة مخلصة وفية

فلما سمع الاسير المسلم كلامها ، وتحقق اسلامها . قال لها : ان الزواج فى الاسلام ، له شروط وأحكام . فاصبرى الى أن يمن الله علينا بالرجوع الى جيش المسلمين ، وهناك نعقد زواجنا ونحمد الله رب العالمين . ثم لقنها أصول الدين ، واتفق معها على أن تحتال لخروجهما من ذلك الحصن الحصين



وكان والدها البطريق ، ينتظرها وقد تملكه القلق والضيق. فلما رجعت اليه ، أخذت فى ادخال حيلتها عليه ، وقالت له : انى تمكنت من اقناع ذلك الاسير بالدخول فى ديننا ، ورضى بأن يحارب فى صفوفنا . ولكنه اشترط ان يتم قبل ذلك زواجنا ، فى مكان بعيد من هنا ، وذلك لان أخاه قتل فيه . فقال لها والدها : هذا شرط يسير ، وتنفيذه ليس بالامر العسير . ثم تركها وتوجه مسرعا الى قائد الحصن فبشره بنجاح الحيلة التى دبرها مع ابنته ، واخبره برغبة الاسير فى اتمام الزواج بعيدا عن الجهة التى قتل فيها شقيقه . فقال له القائد : لابأس بذلك . وأذن لابنة البطريق فى الخروج من الحصن ، ومعها الاسير المسلم ، ليعقدا زواجهما فى أول قرية يصلان اليها ، ثم ترجع به الى الحصن، ليشترك فى الدفاع عنه بعد ارتداده عن الاسلام

وبعد قليل ، غادر الاسير الحصن مع ابنة البطريق الحسناء ، ولم يزالا يواصلان السير ، ويدعوان الله أن يختم لهما بخير ، ولسان حالهما يقول :

وقالوا قد دنا منا رحيل فقلت لهم : الا نعم الرحيل
ومالى والاقامة رغم أنفى بأرض كل من فيها ثقيل

سأرحل راجيا من فضل ربى   بلوغ مناى ان طال السبيل
وأجعل نحوهم شوقي دليلا   وحسبى فى الهوى هذا الدليل

ولما اقترب الفجر ، أوقفا جواديهما عند بئر فى الطريق ، ونزلا هناك حيث توضأ كل منهما وصليا فريضة العشاء ، ثم فريضة الفجر ، وركبا جواديهما بعد ذلك ثانية ، فانطلقا بهما يسابقان الريح ، بينما هو يناجى ربه ويتضرع اليه بهذه الابيات :

انى الى الله طول العمر محتاج   ولو أكون ورأسي فوقه التاج
يافارج الهم ، فرج مابليت به   فليس للكرب الا أنت فراج
أنت الكريم الذى ماخاب سائله   وبحر جودك بالخيرات ثجاج

وكانت ابنة البطريق التى أسلمت وحسن اسلامها تؤمن على دعائه . فلما انتهى من شعره وانشاده ، سمعا هاتفا يقول لهما : لاتخافا ولا تحزنا ، ان الله معكما ، وقد تقبل منكما الدعاء ، وارسل لحراستكما ملائكة من السماء ، وعما قليل تصلان الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتجتمعان بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن معه من الصحابة الكرام . وهناك يتم زواجكما على غاية مايرام ، وينصر الله بكما الاسلام. فلما سمعا ما قاله الهاتف، أخذهما العجب ، وفاض قلباهما بالسرور والطرب . ومازالا بعد ذلك يسيران بين الوهاد والنجاد ، الى أن لاحت لهما مدينة يثرب من بعيد ، ففرحا بذلك فرحا ماعليه من مزيد ،ونزلا عن جواديهما ، وسجدا شكرا لله على ماأنعم عليهما



وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قد توجه فى الوقت الى المسجد كعادته قبل الفجر ، وأخذ يتعبد ويتهجد . وما لبث المسجد أن امتلأ بالمصلين ، من الصحابة والتابعين . فلما فرغوا من الصلاة ، واطمأنت قلوبهم بذكر

الله ، اراد بعضهم الانصراف ، فاستوقفهم عمر رضى الله عنه وقال لهم : انتظروا حتى يحضر العروسان ، ونشهد جميعا عقد القران . وفيما هم يتساءلون فيما بينهم عما يريد ، وهم فى عجب شديد ، اذا بفارسين قد أقبلا ، ولما بلغا باب المسجد ترجلا ثم دخلاه وكشف الشاب عن وجهه اللثام ، فعرفوا انه صاحبهم الذى خرج ومعه اخوه لفتح الشام . وكانت الانباء قد وردت بأن أخاه لحق بالشهداء ، فنال عند الله أعظم الجزاء . وبأنه هو وقع أسيرا فى أيدى الاعداء ، بعد أن أبلى فى قتالهم أحسن البلاء . فاستقبله الجميع بالتكبير والتهليل ، وهنأوه بالنجاة من ذلك الاسر الطويل الوبيل . ثم روى لهم قصته بالتفصيل ، فكرروا تهنئته ، وأكرموه وصاحبته ، ثم احتفلوا بزواجهما ، وفرحوا لفرحهما . وبعد ذلك خرجا الى الشام ، على رأس نجدة من خيرة فرسان الاسلام . وما كادوا يصلون ، وباخوانهم هنا يلتقون ، حتى تم لهم الفتح المبين ، بعون الله رب العالمين . ثم عاشت ابنة البطريق المسلمة معزوجها فى أفراح ومسرات ، وأنجبت له البنين والبنات . الى أن اتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ، فلحقوا بمن سبقهم من الاموات ، وسعدوا بروضات الجنات مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات . ولله در من قال ، فى مثل هذه الحال :

اراك على الابواب تبكى وتشتكى ... ومالك دون العالمين جواب
اصابتك عين ؟ أم دهتك ملمة ... فصدك عن باب الحبيب حجاب
أفق أيها المسكين واقصد رحابه ... فكل سؤال للحبيب مجاب
وقد يفلت المأسور رغم قيوده ... وتنجو من القتل السريع رقاب

الاسكندر والزاهد

قالت شهرزاد للملك شهريار :

يحكيأيها الملك السعيد أنالاسكندر ذا القرنين، مر خلال احدى غزواته على قرية عجيبة ، كل اهلها ضعفاء ،لايملكون شيئا من أسباب المعيشة ، وقد جعلوا لانفسهم قبورا فى دورهم ، وأقاموا بالقرب منها ، يعبدون الله سبحانهوتعالى ؛ ويعيشون فى انتظار الموت متبلغين ببعض الحشائشواوراق الاشجار . فأرسل الاسكندر فى طلب شيخهم ليسأله عما يحملهم على البقاء فى هذه القرية المجدبة . فلما ذهب اليه رسول الاسكندر وطلب منه التوجه معه اليه ، رد عليه قائلا : مالى اليه حاجة . فرجع الرسول الىالاسكندر وأبلغه ذلك الجواب . فتعجب غاية العجب ، ومضى بنفسه الى دار ذلك الشيخ ، حيث وجده ينظف قبره الذىاتخذه لنفسه فيها . وقال له : ما الذى زهدكم فى نعيم الدنيا ، وجعلكم ترضون هذا العيش هنا ، منتظرين الموت منساعة لاخرى ؟

فقال له الرجل : ان نعيم الدنيا زائل ، ولا يشبع منه أحد . وقد حفرنا قبورنا فى دورنا لتكون أمام اعينناادائما ، فلانزال نتذكر الموت ، ونؤثر الحياة الآخرة الباقية ، على الحياة الدنيا الفانية . ونحن نأكل الحشائش ونقنع بها حتى لانجعل بطوننا قبورا للحيوانات ، مثلما يصنع غيرنا ممن يأكلون لحومها ، ولايتورعون لذلك عن ذبحها !

وفيما كان الاسكندر يتأمل فيما حوله فى دار الرجل وقبره ، وقعت عيناه على جمجمة بشرية يبدو صاحبها عابسا مغموما ، وعلى جمجمة اخرى بجانبها يبدو صاحبها ضاحكا مستبشرا . فأخذته الدهشة وسأل الرجل عنهما . فأجاب قائلا : ان صاحب الجمجمة الاولى كان ملكا ظالما غاشما فلما انتهت حياته سيق الى النار وبئس القرار ، أما الآخر فكان ملكا عادلا رحيما يتقى الله فى رعاياه ، فلما اختاره الله الى جواره سيق الى الجنة ونعيم الخلد !

فلما سمع الاسكندر كلام الرجل الزاهد العابد ، فاضت عيناه بالدمع ، وقال له : تعال معى لاجعلك وزيرا لى وأشركك فى ملكى . فضحك الرجل وقال له : هل أنا مجنون حتى أترك الراحة للتعب ، وأبيع الجنة بالنار ؟!. فقال له الاسكندر : صدقت . ثم سأله أن يدعو له بخير . وانصرف وهو يعجب مما رأى وسمع !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الملك العادل

الليلة الحادية والستون بعـــد التسعمائة : فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار :

يحكى أن الملك العادل كسرى أنوشروان ملك الفـــرس قال يوما لاعوانه من الامراء والوزراء والقواد : انى أشـــعر بضعف فى بدنى ، ولا علاج لهذا الضعف سوى شىء واحد وجدته فى بعض الكتب . فقالوا له : ماهذا الشىء ونحن نجيئك به فى أقرب وقت ؟. فقال لهم : هذا الشىء هو حفنة من التراب تؤخذ من دار متخربة . فقالوا : هذا شىء يسير . ثم اخذوا يطوفون فى أنحاء المملكة كلها باحثين عن دار متخربة ليأخذوا شيئا من ترابها ويرجعوا به الى الملك . ولكنهم بعد سنة كاملة امضوها فى البحث ، رجعوا اليه بغير التراب المطلوب ، وقالوا له : قد طفنا بالمملكة كلها ودخلنا جميع دورها ، فلم نجد فيها أى دار غير عامرة

فلما سمع كلامهم ، ابتسم وقال لهم : الآن أشعر بالصحة والسعادة ، لما تيقنت من ان مملكتى ليس فيها موضع متخرب ، وهذا دليل على العدل فى الحكم ، لان العدل هو الذى يعمر الممالك ، ويجعلها تعيش فى نعيم وسلام وسرور . اما اذا كان الملك جائرا ، فان أعوانه يكونون جائرين مثله ،

فلا تلبث المملكة أن يعمها الدمار والخراب ، اذ يهرب اهلها من الظلم ، ويتركون دورهم ومزارعهم ومتاجرهم . ولاتلبث خزائن الملك قليلا حتى ينفد مافيها ، ولا يدخلها شيء بعد ذلك . وهكذا يجد الملك الظالم نفسه بغير مال ولا رجال ، ويعيش مابقى من حياته فى أسوأ حال ، ثم يكون جزاؤه فى الآخرة أشد النكال والوبال وبئس المآل

القاضي وزوجته

ومضت شهر زاد فقالت للملك شهريار :

ويحكى أنه كان فى بنى اسرائيل قاض اشتهر باقامةالعدل والحكم بين الناس بالحق . واتفق أنه غادر بلدته قاصــدا الى بيت المقدس للزيارة ، وترك زوجته فى رعاية أخيه ، وأوصاه بها خيرا . وكانت هذه الزوجة باهرة الجمال ، كريمة الخلال ، مشهورة بالادب والكمال . فدخل الشيطان قلب أخيه ، وفتنه جمالها ، فراودها عن نفسها . ولمـا صدته ونهرته ، اغتاظ منها وخشى أن تصرح لاخيه عند رجوعه بما كان من امره معها ، فاحتال حتى أعطاهامخدرا ؛ وزعم انها ماتت ، وأقام لها جنازة عظيمة ودفنها حية ، وصار يتظاهر بالبكاء حزنا عليها ، والناس يعــزونه وهم لايعرفون حقيقة الامر !

واتفق أن زوجة اللحاد الذى قام بدفنها ، توفيت فى تلك الليلة نفسها ، فجهزها وحمل جثتها ليلا لدفنها مع زوجة القاضى . فلما فتح القبر ووضع فيه جثة زوجته ، وأراد الخروج ، سمع أنينا خافتا ، فتملكه الخوف . ومالبث ان تبين أن زوجة القاضى هى التى تبكى جالسة فى قبرها ، فأخرجها منه وسألها : كيف عدت الى الحياة بعد موتك ودفنك ؟ . فروت له قصتها مع أخى زوجها ، وطلبت منه أن يخفيها فى بيته الى أن يعود زوجها من بيت المقدس . فقال لها : سمعا وطاعة

ولما رجع زوجها القاضي العادل ، وسأل عنها أخاه ، أخبره وهو يبكى بأنها ماتت عقب سفره ، فصدقه وجدد لهـا مأتما ، وجلس فى بيته ومعه أخوه لتقبل العزاء . ثم اقبل ذلك اللحاد عليهما مع المعزين . ولما رأى الجميع يبـكون لبكاء القاضي وأخيه ، أخذ يضحك بصوت عال . فالتفت اليه أخو القاضي وقال له : كيف تضحك وحدك ونحن جميعا نبكى كما ترى ؟ فقال له : انما أضحك لرؤيا رأيتها ليلة أمس فى منامى ، وهى رؤيا خاصة بأخيك القاضي وزوجته . ولهذا جئت لاقصها عليه وأطلب اليه تفسيرها

فلما سمع القاضي كلامه ، تعجب من هذا الامر ، وسأله : ماهى رؤياك ياأخى ؟ . فقال له : انى رأيت زوجتك فىالمنام ، فأخبرتنى بأنها لم تمت حقيقة ، وانما احتال أخوك حتى أعطاها مخدرا ودفنها حية ، لانه راودها عن نفسها فأبت . وقد اوصتنى فى المنام ان ابلغك ذلك ، وقالت لى : اذا كان زوجى يريد رجوعى اليه ، فليأت الى القبر الذى دفننى فيه أخوه ، ثم ينادينى باسمى ، فأجيب نداء وأخرج اليه

فقال أخو القاضي للحاد : انت تكذب علينا ، والناسجميعا يشهدون بموت زوجة أخى ، وبحزنى عليها . ثم هم بضربه وطرده . ولكن القاضي منعه ، وقال : ماذا علينا لو صدقناه الآن ، ثم نذهب الى ذلك القبر ونناديها كما يقول ، فان هى لم تجب النداء ، تحققنا كذبه وعاقبناه ؟

ووافق الحاضرون جميعا على راى القاضى ، ثم قاموا وتوجهوا الى القبر ، فلما وصلوا اليه ، وقف القاضىونادى زوجته باسمها ، واذا بها ترد النداء فورا ، وتقول له : افتح باب القبر لكى اخرج منه !

وتعجب القاضي والناس من ذلك الامر ، ثم تقدم اللحاد وفتح باب القبر ، فخرجت منه الزوجة حية سليمة تمشى

على قدميها . ورجعت مع زوجها الى داره حيث روت له قصة أخيه معها ، وكيف أنقذها اللحاد ، ثم اتفقت معه على تلك الحيلة لتفضح أخاه أمام الناس

ولما بحث القاضي عن أخيه ليعاقبه على جريمته ، لم يعثر له على اثر ، ثم تبين أنه غافل الناس عند انصرافهم من القبر ودفن نفسه فيه حيا . ثم تنبه بعض الناس الى ان باب القبر مفتوح ، فأغلقوه عليه ، حيث مات مختنقا فيه !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

ابن البحر وأمه !

الليلة الثانية والستون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد التسعمائة قالت شهرزاد للملك شهريار:

ويحكى عن أحد المشايخ الصالحين أنه قال : حججت الى بيت الله الحرام فى احدى السنين ، فبينما انا اطوف بالكعبة المطهرة فى ليلة مظلمة ، اذ وصل الى سمعى صوت رقيق حنون يدعو الله قائلا : ياكريم ياحليم ياعظيم ، أنا فى شوق الى لطفك القديم ، وخيرك العميم ، وفؤادى على العهود مقيم . فلما بحثت عن مصدر ذلك الصوت ، وجدته صادرا عن امرأة جالسة هناك ، وبين يديها طفل وليد نائم فى حجرها . فألقيت عليها السلام ، ولما ردت فى أدب واحتشام، قلت لها : سألتك بالله الذى أنت بين يديه ، أن تخبرينى ما العهد الذى انت مقيمة عليه ؟

فقالت لى : لولا أنك سألتنى بالله ، الذى لاأعبد الا اياه ، ماأخبرتك بشيء من امرى ، وأبقيته فى صدرى بقية عمرى . ثم سكتت قليلا وقالت : انى خرجت للحج وانا حامل بهذا الوليد النائم فى حجرى الآن ، وكنت راكبة فى سفينة كبيرة ، فهاج البحر واضطربت أمواجه وهى تمخر عبابه ، ولم يمض الا قليل حتى تحطمت السفينة وغرقت بمن فيها . وكان من نصيبى ان يدى وقعت على لوح كبير من الواحها المتناثرة فوق الماء الذى وجدت نفسى فيه ، فتعلقت بذلك اللوح ، وبقيت راكبة فوقه ، والامواج والريح تدفعه . الى ان

جاءنى المخاض فى صباح اليوم التالى ، فوضعت ولدى هذا ؛ ولففته ببعض ثوبى ، وتضرعت الى الله جل شأنه ان يرحمه ويرحمنى ، ويكتب له ولى النجــــاة بمنه وكرمه ولطفه واحسانه . وفيما أنا كذلك وقد فوضت الامر كله الىالله ، اذا بأحد بحارة السفينة الغارقة يقبل نحوى سابحا فى الماء الى أن تعلق باللوح الكبير وأنا فوقه ومعى وليدى . ثم صعد الى سطحه وجلس بجانبى . وأخذ يتطلع الى ماظهر من جسمى بعد أن تجردت من ثوبى لالف به الوليد . فقلت له : ياعبد الله اتق الله ، فالله أحق أن تخشاه . ولكنه تمادى فى غوايته ، وأبى الا ان يمضى الى غايته ، وقال لى : اننى منذ رأيتك لاول مرة فى السفينة ، قد فتنت بجمالك ، وطمعت فى وصالك ، وما منعنى من ذلك الا غرق السفينة وتعرضنا للمهالك . ومادام القدر قد جمعنا الآن، فلا بد لى من التمتع بحسنك الفتان

فقلت له : اننا الآن فى محنة وبلية ، ولا ترجى لنا النجاة الا باخلاص النية ، والعبادة القلبية . فقال لى : انى وقعت فى مثل هذه المحنة كثيرا ثم نجوت منها ، فلا أبالى شيئا . ثم تحفز للهجوم على ، غير عابىء بكلامى ، مهددا اياى بأن يقذف بى الى الماء ان لم أستسلم له . فلما أيقنت بأنالنصح لاينفع معه وأننى لااستطيع رده بالقوة ، عمدت الى الحيلة للخلاص منه . فقلت له : مادمت مصرا على هذا الامر ، ولا تطيق صبرا حتى نخرج الى البر ، فانتظر قليلا حتى ينام هذا الطفل الذى يبكى فى حجرى كما ترى

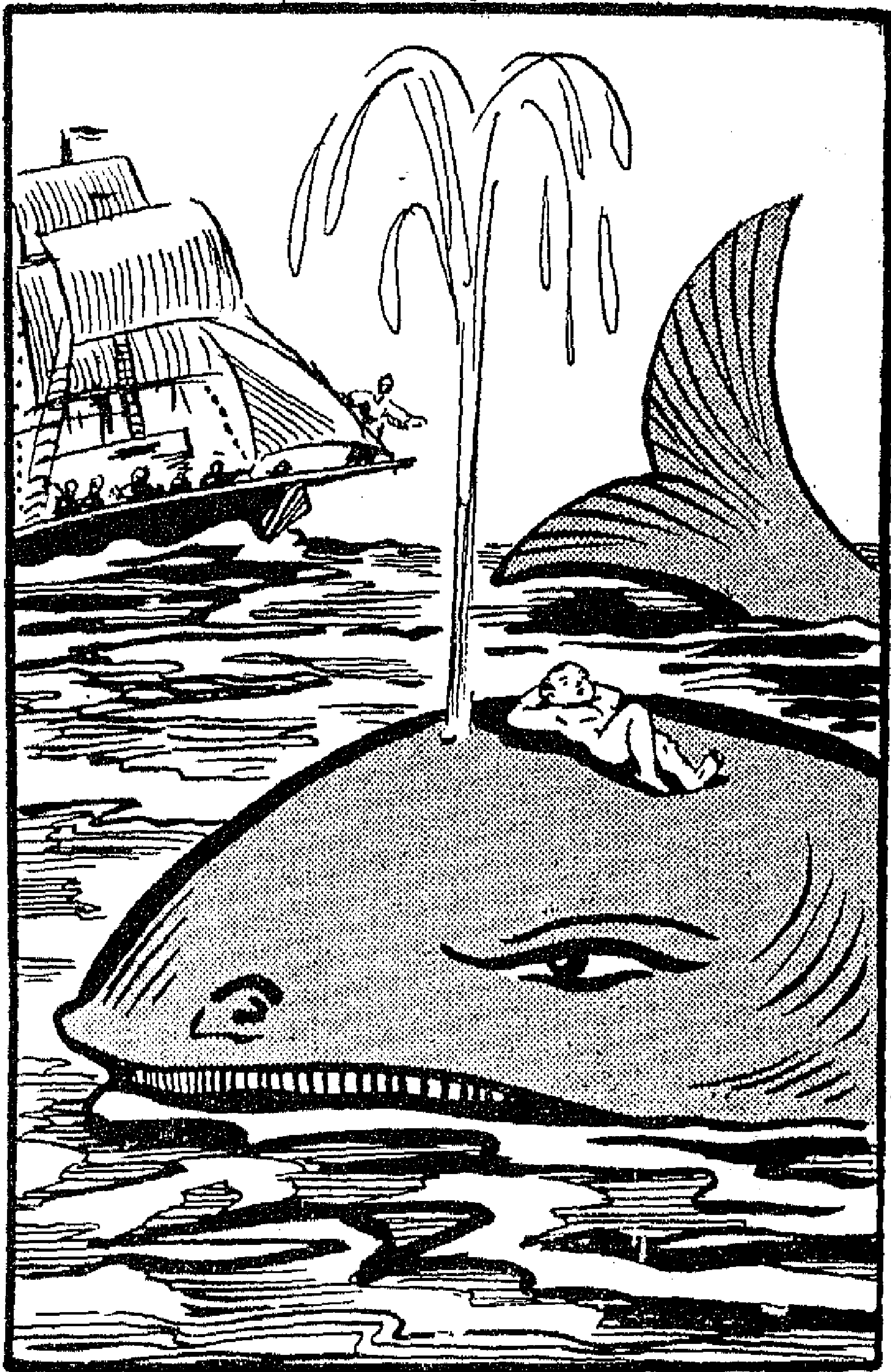
فلما سمع كلامى ، اشتد غضبه ، وهجم على كالوحش الضارى ، وانتزع الطفل من حجرى وقذف به الى الماء . فكاد عقلى أن يطير من رأسى جزعا من فقد وليدى ، وصرت ابكى وادعو الله أن ينتقم لى من ذلك الشيطان الرجيم . فما

أتممت دعائى حتى ظهر على وجه الماء حوت كبير ومد فمه فوق اللوح الذى نركبه فاختطف ذلك البحار المجرم الاثيم وابتلعه ، ثم انطلق فى سبيله حتى غاب عن بصرى وسط الامواج . وتذكرت ماجرى لى وغرق وليدى ، فأنشدت باكية هذه الابيات :

قــرة العين حبيبى ولدى أوهن الحــــزن عليه جلدى
ذهب المــوج على عينى به فاذا النار تشـــــوى كبدى
انت يارب ترى ماحــــل بى وترى ماهــدنى من كمــدى
أنا فى كربين ، مالى منهما غـير لطف الله من معتمـــد

وبقيت على تلك الحالة طول ليلتى ، فلما طلع النهار ، اذا بسفينة كبيرة تقترب منى ، ثم التقطنى بحارتها من فوق اللوح وحملونى اليهاحيث عالجونى بالدفء والطعام والشراب. وماكدت أسترد قواى وأفتح عينى على ماحولى حتى رأيت ولدى نائما فى مهد بجانبى . فقمت وأخذته فى حجـرى وجعلت اقبله وابكى متعجبة من نجاته ووجوده فى تلك السفينة . ثم علمت من بحارتها انهم شاهدوه نائما على ظهر حوت كبير مر سابحا فى الماء على مقربة من سفينتهم ، فحملوه اليها ، وكانوا فى حيرة من أمر ارضاعه الى أن انقذونى وجاءوا به عندى لاتكفل به وهم لايعلمون انه ولدى. ولما حدثتهم بكل ماجرى لى ، تعجبوا غاية العجب ، ثم أخذنا جميعا نحمد الله على فضله ولطفه . ومازلت وولدى فى تلك السفينة حتى رست على البر ، وغادرتها مواصلة رحلتى الى هنا حتى وصلت فى رعاية الله

قال الشيخ الصالح : فلما سمعت كلامها ، هنأتها بالسلامة، وحاولت أن أساعدها ببعض المال ، فقالت لى : حاش لله أن



((وشاهدوه نائما على ظهر حوت كبير ..))

أكون فى رحاب بيته مغمورة بكرمه ثم أمد الى سواه يدى . فسألتها الدعاء لى بخير ، وانصرفت من عندها منشدا هذه الابيات :

وكم لله من لطف خفى يدق فليس يظهـــر للذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر ففرج كربة العانى الشـــقى
وكم هم تعـــانيه صـــباحا وتعقبـــه المســـرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاسباب يوما فلذ بالله ذى العـــرش العلى
فـــكم للهمن فـــــرج قريب تعـــالى الله خالق كل شى

العبد الصالح

قالت شهر زاد للملك شهريار :

يحكى يا مولاى ، أن مالك بن دينـار رحمـه الله تعالى قال : انحبس عنا المطر فى البصرة فى احدى السنين ، وخرجنا مرارا للاستسقاء ، فكنا نصلى ونتضرع الى الله أن يرحمنا وينزل علينا الغيث ، ثم نرجع خائبين كما ذهبنا . وبقينا كذلك أياما ، حتى مس الناس الضر ، واشتد القحط ، اذ احترق الزرع ، وجف الضرع . ثم خرجت الى المصلى ومعى ثابت البنانى ، وبقينا طول النهار نصلى ونتضرع ، ثم قررنا ان نمضى ليلتنا فى المصلى وحدنا ، بعد ان رجع من كانوا معنا الى المدينة ، ورجع معهم أصحابنا : عطاء السلمى ، ويحيى البكاء ، ومحمد بن واسع ، وأيوب السختيانى ، وحبيب الفاسى ، وحسان بن أبى سنان ، وعتبة الغلام ، وصالح المزنى . فلما جن علينا الليل ، اذا بعبد اسود ، دقيق الساقين ، عليه مئزر مهلهل يصلى فى خشوع عظيم ، ثم رفع يديه ووجهه الى السماء ودعا الله قائلا : الى كم ترد عبادك خائبين ، وانت وحدك رب العالمين ؟ . . بحقى عندك الا مافتحت خزائن رحمتك ، وأفضت على الناس من برك ونعمتك ، الغوث الغوث ، يا منزل الغيث . فما أتم الرجل هذا الدعاء ، حتى أمطرت السماء ، وامتلأت الطرقات بالماء

قال مالك بن دينار : فتعجبنا من ذلك غاية العجب ، وقلت لذلك العبد : بأى شىء وصلت الى هذه المنزلة ؟ . فقال لى : تأدب يا عبد الله فى حق الله ، انه تعالى قد هدانى

الى التوحيد ، وملأ قلبى من حبـــه بما ليس عليه مزيد ، فكيف لايحبني كما أحببته ، وكيف لايجيبنى اذا دعوته ؟

ولما غادر المصلى بعد ذلك ، تبعته ومعى ثابت البنانى من بعيد ، فرايناه يدخل دار نخاس قريبة من هنـاك . فمضينا اليها ودخلنا حيث قابلنا صاحبها وقلنا له : هل عندك غلام للخدمة نشتريه ؟. فقال لنا عندى أكثر من مائة غلام للبيع ، فاختاروا من بينهم من يعجبكم . وعرضهم علينا فلم نجد صاحبنا بينهم . ولمـا هممنا بالانصراف حانت منا التفاتة الى ركن خرب منعزل بالدار ، فرأينـا صاحبنا جالسـا هناك يؤدى بعض الأعمال . ولما عرضت على النخاس رغبتى فى شرائه ، قال لى : ما احسبه يصلح لشىء ، فهو دائم البكاء طول النهار ، ولا هم له بالليـل الا الصلاة . ولـكنى أصررت على شرائه ، راضيا بكل ماذكره النخاس من عيوبه المزعومة . وبعد أن انصرفنا به ، سألته فى الطريق عن اسمه ، فقال لى : اسمى ميمون ياسيدى ، وما أراك الا خسرت الدراهم التى ابتعتنى بهـا ، لأن من كان مشغولا بخدمة الخالق لايصلح لخدمة المخلوق . ثم جعل يبكي ويناجي الله قائلا : يا رب لمـاذا فضحتنى بين خلقك ؟ بحقى عندك لا تشغلنى عنـــك الا بك ، واقبض روحى اليك راضية مرضية يا ارحم الراحمين

قال مالك بن دينار : ولمـا بلغنا فى طريقنا ذلك المصلى الذى كنا فيه ، دخلناه للصلاة ، ولمـا فرغت وثابت من صلاتنا ، التفتنا الى ميمون ، فاذا هو مازال ساجدا ، وطال انتظارنا وهو كذلك ، ثم اقتربنا منه فاذا هو قد مات فى سجوده ، وقد أشرق وجهه بنور الرضى واليقين . فجهزناه ودفناه وترحمنا عليه . وما أحسن ما قيل فى مثل هذه الحال :

مجال قلوب العـــارفين بروضـــة
سماوية من دونهـــا الموت فى الحب
اذا بلغـــوها اســتقبلتهم طيوبهـــا
وصاروا سكارى بالذى تم من قرب
ومن لقى الأحبـــاب من بعد غيبـــة
ففرحته فى الوجـــه تأتى من القلب

السقف المفقود !

ثم قالت شهر زاد للملك شهريار : يحكى أيهـــا الملك السعيد أن شابا من الصالحين الزاهدين ، كان متزوجا بفتاة صالحة زاهدة مثله ، وبقيا مدة أعوام ، وهمـــا يعبـدان الله حـــق العبـــادة ، ولا تزيدهمــــا الأيام الا تقوى وزهادة . وكانا يعيشان من بيع اطباق ومراوح يتعاونان على صنعها ، فلما مر على قصر أحد الوجهاء ، رأته زوجة صاحب القصر ، وأحبته لملاحة وجهه ونضرة شبابه ، فأرسلت اليه خادمتها تدعوه الى مقابلتها ، وما كاد يدخل القصر ، حتى أغلقت الباب عليه ، ثم قالت له : انى عشقتك منـذ رأيتك ، وان لم تبادلنى العشق فلا تلومن الا نفسك ، لأنى فى هذه الحالة أصرخ أنا وخادمتي ، ونتهمك بأنك اقتحمت علينا القصر ، وأردت بنا السوء !

فلما سمع الشاب كلامها ، أطرق حياء من الله ، وفاضت عيناه بالدمع من خوف عقابه ، كما قال الشاعر :

ورب كبـــــيرة ما حال بينى
وبين ركـــوبهـــا الا الحيـــاء

وكان هو الدواء لها ، ولكن
اذا ذهب الحياء فـــلا دواء

ثم أراد التخلص من هذا المأزق بالحيلة ، فقال لها : ان كان لابد مما دعوتنى اليه ، فأمهلينى قليلا حتى أغتسل وأتطيب . فقالت له هذا أمر يسير . ثم أمرت خادمتها بأخذه الى الحمام واعطائه ثيابا جديدة حسنة ، وأنواعا من أغلى

العطور . فنفذت الخادمة أمر سيدتها . ولما دخل هو الحمام اغلق عليه بابه من الداخل ، ووقف يفكر فى طريقة تخرجه من ذلك القصر ، فوجد فى الحمام نافذة تطل على الشارع ، ولكنها مرتفعة لايأمن على حياته اذا قفز منها الى الآرض . فقال لنفسه : الموت أحب الى مما دعتنى اليه تلك المرأة . ثم رفع وجهه ويديه الى السماء ، ودعا الله منشدا هذه الآبيات :

أشار القلب نحـــوك والضمير
وانت بكل خافيـــة خبير
أيا من بابه يســـــع البرايا
ومن هـو وحده العالى القـدير
أعـوذ بنـور وجهك من أمور
انا منهـــا بعطفك مســـتجير
فان قـــدرت لى موتا سريعـــا
فمعتقـــدى الى الله المصـــير
وان نجيتنى وجبـــرت كسرى
فأنت بـــكل مكرمة جـــدير

ثم توكل على الله ، وألقى بنفسه من النافذة الى الآرض بعد أن نطق بالشهادتين . فكتب الله له النجاة ، ووصل الى الارض سالما. ولم يزل يسير مسرعا حتى رجع الى زوجته وروى لها ماوقع له من أوله الى آخره . فقالت له : الحمدلله الذى صرف عنك الفتنة ، ونجاك من تلك المحنة . ثم قامت واوقدت التنور كعادتها كل يوم لاعداد مايفطران به من صومهما . فقال لها : لأى شيء أوقدت التنور وليس عندنا مانخبزه او نطبخه ؟ . فقالت له : ان جيراننا تعودوا ذلك منا فان لم نوقد تنورنا اليوم فسيدركون ان ليس عندنا مانخبزه أو نطبخه ، ورحم الله من قال :

سأكتم مابى من شجونى وحرمانى
واضرم نارى كى أغالط جيرانى
وأرضى بما أمضى من الحكم سيدى
عسانى أنال القصد يومابكتمانى

وبعد ذلك بقليل ، اقبلت جارة لهما ، واستأذنت فى أخذ شعلة متقدة من تنورهما ، فأذنا لها فى ذلك . وما كان أشد دهشتهما حينما صاحت بهما تلك الجارة وهى تشير الى التنور : كيف تتركان خبزكما فى التنور حتى كاد يحترق ؟ ثم كانت دهشتهما أشد حينما نظرت الزوجة فى التنور فاذا هو ملآن بالخبز النقى الأبيض

وانصرفت الجارة راجعة الى بيتها ، وجلس الزوجان الصالحان يذكران الله ويشكران فضله حتى حان موعد الافطار ، فأكلا من ذلك الخبز ، وبقى منه شىء كثير يفيض عن طعام سحورهما ، فوزعاه على جيرانهما الفقراء ، وقال الزوج لزوجته : شىء جاءنا من الله ، يجب أن يخرج لله . وأمضيا ليلتهما فى العبادة والتعبد الى أن صليا الفجر ، ثم أويا الى فراشهما للنوم وهما يدعوان الله تعالى أن يزيدهما من فضله ، ويعينهما على عبادته والقيام بطاعته . ثم قالت الزوجة لزوجها : مادام الله سبحانه وتعالى يقبل دعاءنا ، فلندعه كى ينزل علينا من السماء طعاما لافطارنا وسحورنا كل يوم ، حتى نتفرغ للعبادة . فوافقها على ذلك

وفى اليوم التالى ، كان سرورهما عظيما ، اذ أجاب الله دعاءهما ، وأرسل اليهما ماطلباه من طعام الافطار والسحور فلم يحتاجا الى العمل فى ذلك اليوم . ولما أويا الى الفراش بعد ذلك للنوم ، بعد أن نويا الصوم ، رأت الزوجة فى منامها كأنها وزوجها فى بيتهما بالجنة ، وكان ذلك البيت من غير سقف ، ولما سألت فى ذلك ، قيل لها : أن السقف كان موجودا

حينما كنتما تجمعان بين العمل والعبادة ، فلما تركتما العمل وتفرغتما للعبادة أتكالا على مايرسله الله اليكما ، صار بيتكما هنا بغير سقف !

ولما استيقظت من نومها ، قصت رؤياها على زوجها ، ثم بكيا كثيرا ، واعتبرا بهذه الرؤيا ، فرجعا الى ماكانا عليه من الجمع بين العمل والعبادة . وبقيا كذلك الى ان توفاهما الله ، وأنعم عليهما بأجر العابدين العاملين

الحجاج والمسجون

ثم قالت شهر زاد للملك شهريار :

يحكى ان الحجـــاج بن يوسف الثقفى والى العراق فى عهد عبد الملك بن مروان، ظفر برجل كان يطلبه،وأمربوضعه فى سجن ضيق مظلم ، وان يترك فيه وحيدا فريدا مقيدا بقيد ثقيل . ثم تفقده بعد أيام ، فلم يجده فى السجن . فتعجب من ذلك غاية العجب ، وتملكه الغيظ والغضب ، فدعا حارس السجن وقال له : أخبرنى كيف تمكن ذلك الرجل من الفرار أو أضرب عنقك !. فقال له الحارس : انى تركته فى السجن ليلة أمس ، والقيد فى يديه ورجليه ، وسمعته ينشد هذه الابيات :

يا مراد المريد أنت مرادى
وعلى فضلك العميم اعتمادى

ليس يخفى عليك ما أنا فيــه
من عذابى وكربتى واضطهادى

ســجنونى وخلفونى وحيدا
بين هذى القيود والاصـــفاد

أن تكن راضيا فلست أبالى
ولك الحمد من صميم فؤادى

ثم قال الحارس : ولما رجعت اليه صباح اليوم ، لم أجده فى السجن حيث تركته ، ووجدت القيود ملقاة على الارض

ولم أدر كيف استطاع التخلص منها ، ولا كيف خرج من السجن وبابه مغلق . ولم أشك فى أنك ستأمر بقتلى ،ولذلك احضرت معى كفنى بعد أن ودعت أهلى !

فلما سمع الحجاج كلام الحارس ، قال له : لولا انه مظلوم ماتقبل الله دعاءه ، وأعانه على الخروج من سجنه . ثم عفا عن الحارس ، وانشد يقول :

رب مظـلوم ضعيف ان دعا
سمع الله دعاه واسـتجاب
دعوة المظلوم مفتـوح لهـا
كل باب ، ما عليها من حجاب

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الحداد وجارته !

الليلة الثالثة والستون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار :

يحكى ، ان رجلا من الصالحين ، سمع بمدينة فيها حداد يدخل يده فى النار ويأخذ بها الحديدة المحماة فيها من غير ان يصيبه اى أذى . فتوجه الى تلك المدينة ، وسأل عن دكان الحداد فدله الناس عليه . فلما وصل اليه ، ورآه بعينيه يقبض على النار بيديه ، قال له : انى غريب وأريد أن تقبلنى ضيفا عندك الليلة . فقال له الحداد : حبا وكرامة . وأخذه الى منزله حيث قدم له الطعام ، وجلس يسامره ساعة ثم تركه وأوى الى فراشه ونام . فقال الرجل الصالح لنفسه : كيف حصل على هذه الدرجة عند الله مثل هذا الحداد ، وهو لايعرف الصلاة والصيام ، ويفضل النوم على القيام ؟ .. ولما أقبل الصباح وتوجه معه الى الدكان حيث شاهد فعله العجيب ، لم يطق صبرا على ذلك وساله عن سر حصوله على تلك الدرجة . فقال له الحداد :اننى فى شبابى كنت مولعا بحب جارة لى حسناء ، وحاولت كثيرا أن أبلغ مرادى منها ، ولكنها لم تستجب لرغبتى ، وانذرتنى باعلان فضيحتى بين عشيرتى . فكتمت مابى من وجد وغرام وعافت نفسى الطعام والمنام ، وبقيت أعانى هذه الآلام عدة أعوام . ثم انقطع المطر فى العام التالى ، فعم القحط ، وغلت الاقوات ، وجاع الناس . وفيما انا جالس فى دارى يوما ،

اذا بجارتي الحسناء تطرق الباب ، فلما فتحته لها وأدخلتها قالت لي : ان لنا ثلاثة أيام لم نذق طعاما ، وقد جئت اليك راجية ان تجود علينا بشيء نقتات به ، ويكون لك الاجر والثواب من الله

قال الحداد : فلما سمعت جارتي المحبوبة تشكو شدة الجوع ، ورأيت ما هي عليه من الذل والخضوع ، اشتد مابقلبي من الحب والولوع . ووسوس الشيطان في صدري ان انتهز هذه الفرصة لابلغ منها وطري . ولكن الله سبحانه وتعالى القى في قلبي خشيته ، فكتمت في قلبي وجده وصبابته . وأعطيتها ماتيسر من الطعام ، وتركتها ترجع الى بيتها بسلام

ومضت على ذلك ثلاثة أيام أخرى ، والمجاعة مازالت على حالها ، ونفسي متعلقة بجمال جارتي والشوق الى وصالها وفيما انا في داري افكر فيها ، اذا بها تحضر بنفسها مرة اخرى ، وتسألني شيئا من الطعام وهي تبكي بكاء مرا . فحدثتني نفسي أن أشترط عليها نيل بغيتي ، قبل أن أمنحها معونتي . وماكدت الح لها بذلك من بعيد ، حتى بدا في وجهها اثر الحزن الشديد ، وفاضت من عينيها العبرات ورجعت الى بيتها وهي تنشد هذه الابيات :

ايا واحدا احسانه شمل الخلقا
أليك شكوت اليوم يارب ما ألقى
رضيت بما قدرت لي من خصاصتي
وجوعي الذي قد كاد يفقدني النطقا

ولكنني ماعشت احفظ عفتي
وان كان موتي دونها واقعا حقا
ولاخير في عيش بغير تعفف
فلذته تفنى ، وآثامه تبقى

قال الحداد : فلما رجعت جارتى الى دارها ، جلست وحدى أفكر فى أمرها ، الى أن جن على الليل ، وانا فى هم وويل . ثم قلت لنفسى : هذه امرأة ناقصة العقل والدين ومع هذا تخاف الله رب العالمين ، وتفضل الموت جوعا على اقتراف الاثم المبين . فدعوت الله أن يتوب على ، ولايجعل للشيطان سبيلا الى . ثم قمت فأخذت بعض ما أدخرت من طعام وماء ، وخرجت من دارى متســــللا فى الظلماء ، وطرقت باب جارتى ، فلما فتحت الباب ورأتنى ، قالت لى : ماذا تريد ؟. فقلت لها : لاتخافى ولا تحزنى ، واعلمى انى تبت الى الله وندمت على مافعلت ، وماجئت اليك الآن الا لكى أعطيك بعض الطعام والماء . ولما تحققت حسن نيتى وسلامة طويتى ، قبلت هديتى . وشكرتنى على مروءتى ثم رفعت وجهها الى السماء ، وتضرعت الى الله بالدعاء ، قائلة بصوت خافت حزين ، يختلط به البكاء والأنين : اللهم ان كان عبدك هذا صادقا فى توبته ، ولم يقصد الا وجهك بهديته ، فاكتبه عندك من عتقاء النار ، ونجه منها فىالدنيا والآخرة ياغفار ياستار

قال الحداد للشيخ الصالح : ثم رجعت الى دارى ، ونمت والمدفأة الى جوارى . فلما استيقظت فى الصباح ، وجدت النار عالقة بثيابى ، ولكنها لم تصبنى بأى أذى . فأدركت ان الله قد استجاب لدعاء جارتى ، وتوجهت اليها لابشرها بسلامتى . فلما رويت لها ماكان ، قالت : هذا من فضل الرحمن ، اسأله تعالى أن يتم علينا نعمته ، ويكتب لنا رحمته فما انتهت من دعائها ، حتى شهقت شهقة لفظت فيها آخر أنفاسها . فقمت بتجهيزها ودفنها ، ومازالت دعوتها لى باقية الاثر ، فاقبض بيدى على الجمر ولا يصيبنى اىضرر

فلما سمع الشيخ الصالح قصة الحداد ، تعجب من صنع الله للعباد ، ورجع الى بلدته وهو ينشد هذه الابيات :

دعت فأجاب مولاها دعاها
وتاب على فتـــاها من هواها
وكان بحسنها قد هام عشـــقا
رآها ذات يوم فاشـــتهاها
وناشدها الوصال فلم تجبـــه
وصدته وهذا من تقـــاها
فلمـــا قابلتـــه لســـد جـوع
وكادت نفســـه تلقى منـــاها
هداه ربه فمضى اليهـــا
شريف القصد مبتغيا رضاها
وأصـــبح ناجيا من شر نار
مؤججة ولا يخشى لظـــاها

ضمرة بن المغيرة والجارية

قالت شهر زاد للملك شهريار :

يحكى أيها الملك السعيد ، عن الخليفة هرون الرشيد أنه أصيب ليلة بالارق ، واشتد مايعانيه من القلق . فدعا اليه بالاصمعي وحسين الخليع ، وقال لهما : انى للنوم غير مستطيع ، وقد دعوتكما لتحدثانى ، لعلى أنسى بحديثكما اشجانى

فقال حسين الخليع : أنا أحدثك يا أمير المؤمنين ، بحديث لم يسمعه من قبلك أحد من العالمين . وذلك أني توجهت الى البصرة فى احدى السنين ، ونزلت فى ضيافة واليها محمد بن سليمان ، بعد ان مدحته بقصيدة . وخطر ببالى يوما أن أخرج الى المربد ، فلما بلغت منتصف الطريق ، لم أقو على مواصلة السير ، لشدة مانالنى من تعب وظمأ ونظرت فيما حولى فوجدت دارا فخمة ، لها باب كبير مفتوح ، فأسرعت نحوها ، ونظرت من الباب فلم اجد غير دهليز طويل فرشت أرضه بأفخر الابسطة ، وزينت جدرانه ابدع زينة ، وفيما انا اتأمل فى ذلك واتعجب من خلو الدار اذا بجارية تبرز أمامى ، بقامة كغصن البان ، ووجه كالورد فى البستان ، ولها عينان واسعتان ساحرتان من فوقهما حاجبان مزججان ، وجبين يضيء بنوره المكان ، وشعر امسكت بعضه باحسان وسرحت بعضه باحسان ، ومن تحتهما خدان أسيلان ، وشفتان رقيقتان ، تنفرجان عن أسنان كأنهما اللؤلؤ والمرجان . وقد ازدان عنقها بعقود

من الذهب والجمان ، وفى صدرها نهدان كأنهما رمانتان ، ولها ذراعان ملفوفتان ، ويدان بضتان ، وساقان تياهتان بما تحملان . فلما رأيتها يا أمير المؤمنين وقفت فى ذلك المكان حيران ولهان ، معقود اللسان ، طائر الجنان ، اذ سحرنى جمالها الفتان ، ثم جاهدت نفسى ، حتى رجع عقلى الى رأسى ، والقيت عليها السلام ، فردت بصوت كسجع الحمام ثم تركتنى وجلست على مقعد بجانب الباب ، وأطرقت مفكرة فى قلق واضطراب ، فقلت لها : يا سيدتى ، انى شيخ غريب ، وبى ظمأ شديد ، فهل تأمرين لى بجرعة ماء ، ويكون لك الاجر والثواب من رب السماء ؟

فلما سمعت الجارية كلامى ، وفهمت مرامى ، قالت لى : ان هذه الدار خالية من السكان ، فاذا شئت الطعام والشراب فاقصد غير هذا المكان ، ثم تنهدت من قلب متيم متبول ، وانشدت تقول :

وكنا كغصنى بانة وسط روضة
نعب من الانسام فى عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك بغتة
فيامن رأى فردا يحن الى فرد ؟

فعلمت أنها عاشقة مفارقة ، وقلت لها : انى فلان ياسيدتى وقد تمزق قلبى لوحدتك ، فحدثينى عن سبب كربتك ، لعلى اتمكن من خدمتك ، وحصولك على طلبتك . فقالت لى : انى كنت سعيدة بحب أمير شاب ، لم يخلق الله من هو اجمل ولا أكمل منه فى عصره . وقد شيد لى قصرا فى المربد ، عشنا فيه معا وكأننا فى الجنة . ثم اتفق أن دخل على مرة فى غرفتى ، فوجد معى جارية لى ، كانت قد شربت حتى ثملت ، واخذت من فرط سكرها تعانقنى وتقبلنى وتنشد الاشعار متغزلة فى جمالى . فلما رأى ذلك المنظر ، اتقدت الغيرة فى قلبه ، ورجع من حيث أتى . ثم هجرتى

منذ ذلك الحين ، ولم يعد يأتى الى قصرى . وعبثا حاولت أن أخبره بجلية أمرى ، لكى يقبل عذرى . ولى الآن اكثر من سنة وقلبى يحترق بنار الاشواق ، ولا أعرف للطعام والشراب والنوم أى مذاق ، لشدة ما أعانى من مرارة الفراق وقد تعودت أن آتى الى هذه الدار ، وأجلس فيها وحدى ساعة من النهار ، وكل أملى أن أراه من بعيد حين يمر عليها فى طريقه الى قصره الجديد

فقلت لها : من يكون هذا الامير المحبوب ؟. فقالت : هو ضمرة بن المغيرة . فقلت لها : انا اعرفه حق المعـرفة . فاكتبى له رسالة بما تريدين ولك على أن احملها اليه ولايكون ان شاء الله الا ما تحبين

فلما سمعت منى ذلك ، قدمت لى شكرها الجزيل ، ثم ناولتنى رسالة مكتوبة بخط جميل ، وقالت لى : انى كتبت له هذه الرسالة منذ شهور ، لكنى لم أجد من يوصلها اليه . فاخذت الرسالة وخرجت من عندها قاصدا قصر ضمرة بن المغيرة . فلما وصلت اليه ، وأذن لى فى الدخول عليه ، استقبلنى بالترحيب والاكرام ، وطرب مما أنشدته من شعرى فى الغزل والغرام . ثم قال لى : هل من حاجة لك فنقضيها ؟ فقلت له : ماحاجتى الا أن تقرأ هذه الرسالة ، وتعطينى الرد عليه الآن . ثم ناولته رسالة الجارية ، فقرأها ، وكان فيها مايلى :

« سيدى ، ومالك قلبى . ان ترك الدعاء لك فى صدر هذه الرسالة ، ليس عن تقصير أوجهالة . ولكنى طالما رددت الدعاء ، ضارعة الى رب السماء ، أن يزيل مابيننا من جفاء ويمن باللقاء . ولكنه سبحانه وتعالى لم يستجب لدعائى ، وطال عنائى من التنائى . حتى صرت فى حال ، لا يهدأ لى فيها بال ، ولا أهنأ بطعام ولا منام ، ولى على ذلك أكثر من عام . ووالله ماكان لى ذنب فيما جرى ، ومالى سواك من أهواه بين الورى . وانى الى قربك لفى شدة الاحتياج ،

وما لدائى غير ذلك من علاج . فانظر ياسيدى بعين عطفك الى ، ولايكن قلبك غاضبا على . فان لم تفعل فلاحياة لى بعد ذلك والسلام »

ولما انتهى ضمرة من قراءة الرسالة ، قال لى : ان الرد على رسالتها ، لن يكون الا بيد بديلتها ، ثم نادى مملوكا له وأمره باستدعاء تلك البديلة ، فلما حضرت وجدتها جارية جميلة . وبعد أن أعطاها الرسالة وقرأتها ، طلب منها أن تكتب رسالة فى الرد عليها فكتبتها . ثم أخذ منها الرد وتلاه ، وطواه بعد ذلك وأعطانى اياه ، فأخذته وانصرفت مسرعا ، ورجعت الى تلك الدار التى تركت فيها الجارية العاشقة . فلما رأتنى مقبلا ، نهضت لاستقبالى ، وسألتنى : هل رق قلبه لحالى ، ورثى لما جرى لى ؟. فأخبرتها بما كان من أمر مقابلته ، وناولتها الرد المكتوب بخط جاريته . فلما قرأته بدا فى وجهها الاصفرار ، وانهمر الدمع من عينيها كالمطر المدرار . ثم قالت لى : خذ هذا الرد واقرأه . فقرأت فيه مايلى :

« سيدتى .. لولا ابقائى على البقية الباقية من ذكرى أيامنا الخوالى ، ما سمحت بأن يخطر اسمك ببالى ، وقد كنت أنت الجانية على نفسك ، بما كان من أمرك مع جاريتك . فلا تطمعى بعد ذلك فيما لا مطمع فيه ، والسلام »

ثم قال حسين الخليع الخليفة هرون الرشيد : فلما اطلعت على ذلك الرد القاسى المهين ، أخذت أواسى الجارية من قلب حزين . فقالت لى : شكرا لك ، ولا عليك . فأنت قد أديت الواجب وزيادة . واعلم انى كنت حافظة لعهده ، مؤملة فى وده . أما بعد هذه الاهانة الكبرى ، فسترى اننى استطيع عنه صبرا . واذا رجعت الينا فى السنة التالية ، فستجدنى على استعداد لأن أكون لك جارية

فقال له هرون الرشيد : هل رجعت اليها ، وحصلت عليها ؟. فتنهد الخليع وقال : أما رجوعى اليها فقد كان ، وأما حصولى عليها فذلك ما بخل به الزمان . وذلك أن ضمرة ما كاد يعلم باظهارها الصبر والسلوان ، واعتزامها مقابلة الهجران بالهجران ، حتى حن اليهـا ، ورجع الى التردد عليها . ولم يكتف بذلك بل تزوجهـا ، وما زالت تعيش معه حتى الآن ، وقد أنعم الله عليهما بأنجب الولدان

فقال الرشيد : أما والله لولا أنه تزوجها ، لسبقتك الى الحصول عليها ، ثم أمر له بجائزة سنية ، وأمر بمثلهـا للأصمعى

اسحاق الموصلي وابليس !

قالت شهر زاد للملك شهريار :

ويحكى عن اسحق الموصلي مغنى الرشيد ونديمه أنه قال : كنت فى منزلى ذات ليلة من ليالى الشتاء ، وقد ساد الظلام ، وامتلأت الطرقات بماء الغمام ، ويئست من حضور أحد من الاخوان ، لنحيى الليل كعادتنا فى معاقرة بنت الحان ، وتناشد الأشعار والألحان ، وفيما انا أفكر فى وحدتى ، وقد ضاقت على عيشتى ، وبطلت حيلتى . سمعت طرقا خفيفا على الباب ، ففرحت وقمت لأفتحه لهذا القادم العزيز من الأصحاب . ورفعت صوتى قائلا : من الطارق ؟ . فأجابنى صوت رقيق يقول :

على بابكم قلب من الوجد يخفق
ويطربه ذكر اللقاء فيصفق

فلما سمعت هذا الصوت ، رقص قلبى طربا ، اذ عرفت انه صوت جارية مغنية لبعض أولاد المهدى ، كنت أهواها وأعجب بغنائها وعزفها وظرفها . وفتحت الباب مسرعا فدخلت الجارية وهى تضحك ، وعليها ثياب من الحرير الثمين ، وفوق راسها وشاح من الديباج للوقاية من المطر ، وقد كشفت عن ساقيها حتى ركبتيها لتستطيع خوض الوحل فى الطريق . ثم قالت لى : لولا انك عزيز عندى ، ما أجبت دعوتك ولا سبقت رسولك الى دارك فى مثل هذه الليلة العاصفة الممطرة

فقلت لنفسي : أي رسول تعني وأنا لم أرسل أحدا لدعوتها أو غيرها . ولكنني كرهت أن أقول لها ذلك . ورحبت بها قائلا : الحمد لله الذى جمع شملنا ، ثم أمرت غلامي باحضار ماء حار وتوليت بنفسي غسل قدميها وساقيها ، وأحضرت لها بعد ذلك ثيابا جديدة لائقة فارتدتها بدلا من ثيابها المبتلة . ثم دعوت بالطعام والشراب وآلات السماع . فلما دارت الراح فى الاقداح ، وانتشت الأرواح . طلبت اليها أن تغنى شيئا من ألحانها . فقالت : لا رغبة لي الآن فى أن أغني ، أو أسمعك تغنى . وانما ارغب فى أن تلتمس لنا مغنيا من الطريق

فلما سمعت ذلك ، تعجبت وقلت لها : ان الطريق مقفر الآن كما تعلمين ، فلن أجد فيه أحدا من المغنين أو غيرهم . ولكنها أصرت على ذلك ، فلم يسعنى الا موافقتها . وخرجت الى الطريق . ولم أزل أخوض الوحل ، وأقاسى البرد والمطر فى الظلام ، الى أن اصطدم بى شيخ أعمى كان يدب فى الطريق بعصاه . فقلت له : من أين والى أين ؟. فقال لي : كنت عند قوم اثام دعونى لأغنى لهم ، لكني وجدتهم لايحسنون السماع فتركتهم غير آسف. وأنا الآن أريد منزلى ولا أدرى كيف أصل اليه فى البرد والمطر والوحل !. فقلت له : لقد عوضك الله خيرا ممن كنت عندهم ، فتعال معى الى دارى حيث تجد مايسرك ان شاء الله . ثم قدته ورجعت به الى منزلى . وقلت للجارية هامسا : لم أجد غير هذا الأعمى ، وهو خير لنا من سواه ، لأننا نسمعه ونراه وهو لا يرانا . فوافقت على هذا الراى

قال اسحق الموصلي : ثم أمرت للمغنى الشيخ الأعمى بماء حار وثياب جديدة ، وأشركته معنا فى الشراب ، فلما شرب ثلاثة أقداح ، قال لى : أخبرنى يا سيدى من تكون

وما صناعتك ؟. فقلت له : أنا اسحق بن ابراهيم الموصلى نديم الرشيد ومغنيه . فضحك وقال : لقد سمعت بك لكنى لم أسمع غناءك ولا عزفك ، ووالله لا أغنى هنا قبل أن أشرب ثلاثة أقداح أخرى واسمعك تعزف وتغنى. فناولته الأقداح الثلاثة ، وأخذت العود فعزفت عليه وغنيت لحنا جديدا ، فطربت الجارية طربا شديدا ، أما الشيخ فلم يزد على أن ابتسم وقال : لقد قاربت أن تكون مغنيا يا اسحق ، فهل عندك جارية تجيد العزف والغناء ؟ فكتمت غيظى ، ونظرت الى الجارية فاذا هى أشد غيظا وحنقا منى . ثم تناولت العود من يدى وعزفت عليه حتى خيل لى أن الجدران تهتز طربا ، وغنت بعد ذلك لحنا ماسمعت مثله من قبل فى عذوبته وحلاوته وأخذه بمجامع القلوب . فلما انتهت من غنائها ، قال لها الشيخ الأعمى بعد أن شرب القدح الذى فى يده : أنت أيضا قاربت أن تكونى مغنية !

فلما سمعت الجارية كلامه ، لم تستطع كتمان غضبها ، وصاحت به : هذا خير ماعندنا وقد جدنا به ، فهات ماعندك . فأخذ العود وأصلحه ، ثم عزف عليه ما أنعشنا وادهشنا وعقد السنتنا ، فجعلت أنا والجارية نتبادل النظر فى صمت وخشوع . الى أن انتهى من عزفه فلم يسعنا الا تقبيل يديه اظهارا لاعجابنا وسرورنا وشكرنا !

ثم قلت له : بالله يا سيدى أسمعنا لحنا ، فقال حبا وكرامة . وتناول العود ، فعزف عليه بطريقة أخرى أعجب واغرب ، بينما أنا والجارية نشرب ونطرب ونعجب. ثم غنى بصوت ماسمعت قبله ولا بعده احلى منه :

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف
حبيب بأوقات الزيارة عارف

وما راعنى الا السـلام وقوله
أيدخل ذو شـوق ببابك واقف ؟

فقلت له : أهلا وسـهلا ومرحبـا
وطـابت لنـا ألحاننـا والمعازف

قال اسحق الموصلى : فلما سمعت ذلك منه ، عجبت غاية العجب ، وهمست فى أذن الجارية قائـلا : كأنه كان معنا وعرف سرنا ، مع أننا لم نخبر به غيرنا ؟!. ولم أتمالك نفسى فملت على يديها وقبلتها وأنا مطمئن الى أنه لا يرانا . ثم شربنا أقداحا أخرى ، وعزف الشيخ الأعمى وغنى يقول :

ولمـا تلاقينـا ، ولم نخش رقبة
أبى القلب أن يبقى شـقيا معذبا

وأسرع مشتاقا طـروبا الى فمى
يقبـل ذياك البنـان المخضبا

فاشتد عجبنا من أمره ، ولم ندر كيف عرف سرنا مع ذهاب بصره . ثم كان عجبنا أشد وأدهى ، حينما التفتنا اليه ، فاذا به قد اختفى فجأة ، وكأنما ابتلعته الأرض ، أو تبخر فى الهواء ، فأدركنا أنه ابليس ، وأنه هو الذى كان رسولى الى الجارية . وضحكنا اذ تذكرنا قول أبى نواس فيه :

عجبت من ابليس فى كبره وخبث ما أضـمر فى نيتـه
تاه على آدم فى سـجدة وصـار قوادا لذريته !

ابراهيم الموصلي والفتى العاشق !

قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى عن ابراهيم الموصلي أبى اسحق أنه قال : كنت منقطعا الى البرامكة ، فبينما أنا فى منزلى يوما ، اذ سمعت طرقا خفيفا على الباب . ثم جاءنى غلامى وقال لى : بالباب فتىً وسيم سقيم يستأذن فى مقابلتك . فأذنت له فى ذلك . ولما استقبلته وسألته عن حاجته ، وضع بين يدى كيسا فيه ثلاثمائة دينار ، وقال لى : أسألك بالله أن تقبل هذه منى، وتصنع لحنا لهذين البيتين :

بالله ياطرفى الجانى على كبدى   لاتطفئن بدمعى لوعة الحزن
ان الذى همت عشقا فى محاسنه   حرمت رؤيته فى الصحو والوسن

فصنعت لحنالهما يشبه النوح، وغنيته له . فأغمى عليه من شدة تأثره . وماكاد يفيق ، حتى وضع بين يدى ثلاثمائة دينار اخرى وقال لى : أسألك بالله أن تعيد هذا اللحن . فقلت له : أخشى ان تذهب روحك فى هذه المرة . فقال لى : ليت ذلك يكون ، فكل شيء بعد فراقه يهون . ولم يزل يلح على حتى أعدت غناء ذلك اللحن . فما أتممته حتى أغمى عليه مرة أخرى

قال ابراهيم الموصلى : ولما أفاق الغلام من ذلك الاغماء ، بعد أن تعبت فى انعاشه ورش وجهه بالماء ، وضعت دنانيره الستمائة فى حجره وقلت له : خذها وانصرف عافاك الله . فقال لى : لاحاجة لى بها ، ولك مثلها اذا أعدت غناء اللحن ! فقلت له : اذا لم يكن بد من ذلك ، فأقم عندى ناكل ونشرب

معا حتى تتقوى وحدثنى بحديثك . فقال : حبا وكرامة .
وبعد أن أكلنا وشربنا ، حدثني بقصته فقال : انى من أهل المدينة ، وأبى من كبار تجارها الاغنياء ، وقد تعودنا أن نخرج الى ضاحية العقيق للتنزه فى أيام الربيع . فاتفق يوما أن وقعت عينى على فتاة بين المتنزهات هناك ، كأنها غصن جلله الندى ، ولها عينان آسرتان ، ووجه أنضر من الورد فى البستان . فتملك حبها قلبى ، وذهب فى اثرها لبى . وصرت بعد ذلك أخرج الى العقيق كل يوم لاستمتع بطلعتها ، وأسعى فى مودتها . ولكنها انقطعت عن الخروج الى هناك ، وحاولت التخلص من أسر حبها فلم أستطع الفكاك . ثم مضت الايام فى اثر الايام ، وجسمى يذبل من فرط الوجد والسقام ، وقلبى تتأجج فيه نار الغرام والهيام ، الى أن أقبل الربيع التالى ، فخرجت الى العقيق وقد ساءت حالى ، واشتد اعتلالى . وصحبتنى جارية لى صغيرة الى هناك ، اذ كان أهلى يخشون على الهلاك . فلما وصلنا الى الموضع الذى رأيتها فيه أول مرة ، وعشقتها من أول نظرة ، جلست أعلل النفس بالآمال ، وأدعو الله الا يحرمنى من ذلك الجمال . ولا تسل عما غمرنى من السرور الشديد ، حينما لمحتها مقبلة من بعيد . ثم رأيتها وقد جلست على قيد خطوات ، ومعها بعض النسوة والفتيات . فأخرجت ورقة وكتبت فيها :

رمتنى بسهم مزق القلب وانثنت   وقد خلفته من جـواه كئيبا

ثم قلت لجاريتى : خذى هذه الورقة ، الى تلك الفتـاة الجالسة هناك ، وقولى لها : مارأيك فى قائل هذا البيت ؟. فتوجهت الجارية اليها بالورقة ، ثم رجعت من عندها تقول لى : انها أجابت بهذا البيت :

بنا مثل ماتشكو فصبرا لعلنا   نرى فرجا يشفى الفؤاد قريبا

فلما سمعت جوابها ، تملكنى الفرح ، وشعرت بالعافية

تدب فى جسمى ، اذ علمت أن الفتاة تبادلنى الحب . ثم عهدت الى جاريتى فى أن تتبعها عند رجوعها الى دارها لتعرف من هى . فقامت بهذه المهمة على مايرام . وصرت أرسلها اليها بعد ذلك كل صباح ، فتبلغها تحياتى وأشواقى، وترجع الى من عندها بمثل ذلك . الى أن اشتهر أمرنا ، وشاع ذكرنا . فلما طلبت الى أبى أن يخطبهـــا لى من أبيها ، رفض ان يزوجنى بها ، وقال لوالدى : ان هذا لن يكون أبدا ، بعد الذى من أمرهما بدا !

قال ابراهيم الموصلى : فلما وقفت من الفتى على قصة حبه ، أعدت غناء اللحن اجابة لطلبه . ثم نصحت له بالتجلد والصبر الجميل ، ووعدته بمساعدته على بلوغ غايته من أقرب سبيل . ثم أخذته معى الى الوزير جعفر بن يحيى البرمكى ، حيث أفضيت اليه بجلية أمره ، وأسمعته اللحن الذى صنعته لشعره . فطرب جعفر غاية الطرب ، ووعد الفتى بالعمل لبلوغه الارب . وفى اليوم التالى توجهنا نحن الثلاثة الى مجلس هارون الرشيد ، حيث روى له جعفر قصة الفتى من أولها الى آخرها . وأسمعته اللحن فأعجبه وأطربه ، وقال : والله لايهدأ لى بال حتى أبلغه مطلبه . ثم كتب الى عامله فى الحجاز ، أن يرسل اليه والد تلك الفتـــاة وجميع أفراد أسرته معززين مكرمين ، وكذلك يرسل اليه أسرة الفتى . فلما حضر الجميع بين يديه ، حمد الله واثنى عليه ، ثم خطب الفتاة للفتى من والدها ، وتكفل عنه بمهرها وجهازها ، وتم عقد قرانهما باحتفال عظيم . ثم أمر لهما بمائة ألف دينار ، ولكل من أفراد أسرتيهما بعطية سخية . ولم يزل الزوجان العاشقان يعيشان فى أمان واطمئنان حتى الآن

الملك الناصر وغلام الوزير

وفى الليلة التالية ، قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى ايها الملك السعيد ، أن الملك الناصر ، توجه يوما الى دار وزيره أبى عامر بن مروان ، فوقعت عيناه هناك على غلام من مماليك الوزير ، وجهه كالقمر المنير ، وقامته كالغصن النضير . فلما جلس الملك مع وزيره يتحدثان ، وانسا فى الحديث الى ذكر الجوارى والغلمان ، قال الناصر لابن مروان وهو يشير الى ذلك الغلام المملوك : أتتحفوننا بالنجوم وتستأثرون بالاقمار ؟

فأدرك الوزير ان الملك يريد ذلك المملوك لنفسه ، وماكاد ينصرف من عنده حتى بعث اليه بهدية عظيمة من بينها ذلك المملوك ، وكتب اليه مع الهدية هذين البيتين :

أمولاى هذا البدر سار لافقكم
ولالأفق أولى بالبدور من الارض
وأرضيكمو بالنفس وهى نفيسة
ولم أر قبلى من بمهجته يرضى

فلما وصلت الهدية الى الملك ، فرح بها ، وصارت للمملوك عنده منزلة عظيمة ، وازداد تقديرا للوزير . ثم اتفق بعد قليل أن أهديت الى الوزير جارية بارعة الجمال ، بديعة الخلال ، فقال لنفسه : ان علم الملك بها فلابد ان يريدها لنفسه وأضطر الى اهدائها اليه أيضا ، فالاحسن أن أسبق الى اتحافه بها . ثم بعث بها اليه ومعها هذه الابيات :

أمولاى هذه الشمس والبدر عندكم
لتسعد لما يلتقى القمران

قـــران لعمرى بالســعادة ناطق
وخـــير زمان للعـــلا ومـكان
ومالهما فى الحســـن مولاى ثالث
ومالك فى حـكم الـــبرية ثان

وتقبل الملك هذه الهدية ، بنفس راضية مرضية ، وأجزل لوزيره العطية . ولم يزل يغمره بالاكرام والانعام ، الى أن وشى به عنده بعض الحاسدين اللئام ، وقالوا للملك : ان الوزير مازال متعلقا بذلك المملوك المليح ، ويقرع السن ندما على أنه أهداه اليك . فقال الملك : والله لو ثبت أن الامر كذلك ، لاوردن الوزير شر المهالك ، وأجعله عبرة فى سائر الممالك . ثم كتب الى الوزير رسالة على لسان ذلك المملوك يقول فيها :

لاتحسبن بعـــادى عنك هنـانى
وان أكن عنـــد ذى تاج وسلطان
واعلم بأن لهيب الشـــوق احرقنى
وامنن بقربك لى من بعد هجـران

فلما تسلم الوزير تلك الرسالة ، قال لنفسه : هذه مكيدة لامحالة . ثم كتب الرد على ظهرها هذه الابيات :

أمن بعد احكام التجـــارب ينبغى
لذى الحزم أن يسعى الى غابة الاسد؟
وما أنا ممن يغلب الحب عقـــله
ولا جاهل مايدعيه أولو الحســـد
فان كنت روحى ، قد وهبتك طائعا
فكيف تعود الروح من بعد للجسد؟

ثم قال للرسول الذى حمل اليه الرسالة : خذ هذا الرد الى المملوك الذى أرسلك . فلما أطلع الملك على أبياته ، اعجب بكمال صفاته ، ولم يعد يسمع فيه كلام وشاته . ومازال الجميع فى سعادة وصفاء ، الى أن أدركهم الفناء ، وسبحان من تفرد وحده بالبقاء

الملك الجبار والرجل الصالح

قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى أيها الملك السعيد ، أنه كان فى قديم الزمان ، ملك عظيم الشأن ، واسع السلطان ، فخرج يوما للطواف بالمدينة فى موكب كبير ، ليس له فى أبهته نظير . وقد ارتدى هو وأعوانه أفخم الثياب ، وتزينوا بأغلى الجواهر ، وركبوا أحسن الجياد ، وتقلدوا أمضى الاسلحة . ومن خلفهم عدد لايحصى من المماليك والجنود . وقد ازدحم الناس فى الطرقات ، يتفرجون على الزينات ، ويقدمون للملك أزكى التحيات . فلما رأى الملك ذلك كله ، تملك الغرور والجبروت قلبه وعقله ، وفيما هو كذلك وقف فى طريقه رجل مسكين ، وقبض على عنان فرسه ملتمسا الاستماع لشكواه . فأمر الملك بالقبض عليه ، وقطع يديه ورجليه ، لانه تجرأ على الوقوف فى طريق موكبه ، وهذا من أكبر الكبائر فى شرعه ومذهبه

فلماسمع الرجل المسكين ذلك الحكم الجائر قال للملك : امهلنى لحظة حتى أفضى اليك بسر خطير . فقال له الملك : ماهذا السر ؟. فأدنى الرجل فمه من أذنيه ، وهمس بكلمة اليه . فلما سمعها الملك رمى بنفسه من فوق جواده عليه ، وأخذ يقبل يديه ورجليه ، ويقول له : أمهلنى حتى أرجع الى قصرى . فهمس الرجل اليه مرة أخرى قائلا : كلا أيها الملك الجبار ، ولا فائدة قط من محاولتك الفرار . وقد صرحت لك بأنى عزرائيل ، وقد جئت لقبض روحك فورا

بغير تأجيل . وما أتم كلامه حتى اختفى عن العيون ، بينما وقع الملك ميتا والناس من حوله يعجبون ، ويقولون : انا لله وانا اليه راجعون !

أما ملك الموت ، فانه ذهب بعد ذلك الى رجل من عباد الله الصالحين ، فوجده قائما يصلى لله رب العالمين . فوقف ينتظره الى أن فرغ من الصلاة ، ثم قال له : انى ملك الموت وقد جئت لآخذ روحك الى الله . فقال له الرجل الصالح : بشرك الله بالخير كما بشرتنى بلقاء مولاى . وطلب اليه ان يعجل بأخذ روحه ، فقال له ملك الموت : ان الله أمرنى أن أقبض روحك فى اللحظة التى تختارها . فقال له الرجل الصالح : مادام الامر كذلك فاقبض روحى وأنا ساجد بين يدى الله . ثم عاد الى صلاته ، وقبض ملك الموت روحه وهو ساجد ، فصعدت الى بارئها راضية مرضية



السائل الذى لا يرد!

قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى ان ملـكا من الملوك ، كان قد جمع مالا عظيما لايحصى عدده ، واقتنى من كل شىء فى الدنيا أحسنه وأندره وأنفعه . وقد بنى لنفسه قصرا شاهقا كأنه الحصن الحصين ، زوده بكل مايسر الناظرين . ونصب فى ساحته الفسيحة موائد لاطعام من يدعوهم من الملوك الآخرين ، وأهل مملكته المقربين

وفى يوم من الايام جاء الى القصر رجل غريب مسكين ، عليه ثياب مهلهلة ، وأراد الدخول ليأكل ويسد جوعه . فلما رآه ذلك الملك ، أمر الحجاب بمنعه من الدخول وطرده . فقال لهم الرجل : انى أكاد أموت جوعا وعطشا فأعطونى ماتيسر من الطعام والماء . فلما سمعوا ذلك رقت له قلوبهم ، وأرادوا أن يعطوه ماطلب ، ولكن الملك صاح بهم : ألم أقل لكم اطردوا هذا الفقير ولا تتركوه يقف بباب القصر ؟ . فقال له الرجل : ياملك البلاد ، انى جائع عطشان ، ولا أعرف احدا ألجأ اليه فى هذه المدينة ، فاتق الله فى ضعفى وفقرى وغربتى ، واعطنى مما أعطاك ، ان الله لايضيع أجر المحسنين

فلما سمع الملك كلامه ، استولى عليه الغضب ، وامر أعوانه بأن يحملوا على الرجل بسيوفهم وان يقطعوا لسانه الذى تجرأ على مخاطبته بمثل هذا الكلام . وما كاد الاعوان يهجمون على الرجل بسيوفهم حتى فوجئوا بتغير هيئته ، ورأوه أمامهم وقد صار منظره شيئا هائلا يلقى الرعب

والفزع فى القلوب . ثم صاح بهم : انى ملك الموت ، وقد جئت لاقبض روح ملككم هذا . فوقفوا جميعا ذاهلين مبهوتين . ودخل هو مسرعا حتى وصل الى العرش الذى يجلس عليه الملك وهم بقبض روحه . فلما أيقن الملك بالموت ، وانه لايستطيع المقاومة . اخذ يتذلل لملك الموت ويحاول التخلص من قبضته قائلا له : اترك روحى فى جسمى ، وخذ ماشئت من ارواح أهلى وأعوانى والجالسين على موائدى . فضحك ملك الموت وقال له : هذا لايمكن ايها الجاهل المتكبر المغرور ، فلكل أجل كتاب ، وأجلك أنت هو الذى حان الآن !

فقال له الملك : اذا تركت لى روحى فأنا أقاسمك أموالى ومملكتى . فقـــال له ملك الموت : لاحاجة لى بأموالك ومملكتك ، وليس لك منهما شيء ، لان كل انسان ليس له من هذه الحياة الا ماقدمت يداه . وقد كنت فى حياتك جبارا متكبرا مناعا للخير ، غافلا عن عبادة الله الذى خلقك وسواك وأغناك

ثم قبض روحه ، فخر ميتا فوق عرشه ، ولم يغن عنه ماله وماكسب ، ونظر اعوانه حولهم فلم يجدوا أثرا لملك الموت . وحركوا جثمان الملك فلم يتحرك ، وتحققوا موته . فجهزوه ودفنوه . واعتبروا بما شاهدوه !

الملك الجبار والضيف الغريب !

قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى أن ملكا جبارا من ملوك بنى اسرائيل ، كان فى يوم من الايام جالسا فى قصره ، وقد داخله الغرور وأخذ يحدث نفسه بأن ليس فى الدنيا من هو أعظم منه سلطانا وأكثر أموالا وأعوانا . فبينما هو كذلك اذ رأى شخصا غريب الهيئة مقبلا نحوه . فتملكه الغيظ والغضب ، وصاح به : من أنت ؟ ومن أذن لك فى الدخول الى قصرى بغير أمرى ؟. فرد عليه قائلا : لقد جئت الى هنا بأمر من له الامر كله ، وانا ملك الموت ومرادى قبض روحك الآن . فدب الفزع فى قلب الملك ، وحاول الاستنجاد بأعوانه ، فلما لم يجد فائدة من ذلك قال لملك الموت : ياهازم اللذات ، ومفرق الجماعات ، استحلفك بالله الذى أرسلك الا ما أمهلتنى يوما واحدا لاستغفر من ذنبى ، وأتوب الى ربى ، وأعطى كل ذى حق حقه مما عندى

فقال له ملك الموت : هيهات هيهات !. لاسبيل الى ذلك لان أنفاسك معدودة ، ولايمكن تأخير أجلك لحظة واحدة عن الوقت المحدد له . ولم يبق من عمرك الا دقيقة واحدة . وقد كانت أمامك الساعات والايام والشهور والسنوات ، وكنت تستطيع ان تعمل فيها لآخرتك ، ولكنك لم تعمل الا لدنياك . فمصيرك الى النار وبئس القرار

ثم قبض روحه ، فخر ميتا فى مكانه . وجاء غلمانه عقب

ذلك فوجدوه جثة هامدة . فضجوا بالبكاء والعويل . ولو علموا ماأعد الله لامثاله من العذاب الاليم والجحيم المقيم ، لضاعفوا البكاء ولادركوا ان الدنيا مصيرها الى الفناء ، وان الآخرة هى دار البقاء والجزاء . فمن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فمليها ، وما ربك بظلام للعبيد

هارون الرشيد والجوارى الثلاث

قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى ايها الملك السعيد ، أن الخليفة هارون الرشيد ، شكا أرقا شديدا فى ليلة من الليالى ، فنهض من فراشه ، وأخذ يتمشى فى جوانب قصره ، ثم حاول النوم بعد ذلك فتعذر عليه ، وأبى أن يزور جفنيه . فأرسل فى طلب الاصمعى ، وقال له : أريد منك أن تحدثنى بأطرف ماعندك من أخبار النساء وأشعارهن

فحدثه الاصمعى قائلا : سمعت كثيرا من أشعار البدويات والحضريات ، فلم يعجبنى حقا الا ثلاثة أبيات لثلاث فتيات. وذلك أنى كنت مقيما بالبصرة فى سنة من السنين ، فاشتد على الحر يوما وخرجت الى بعض البساتين ، وفيما انا أسير ، وذهنى مشغول بالتفكير ، اذا بى أجد نفسى فى بستان كبير نضير ، قد حفل بالاشجار ، وأطايب الثمار ، وتناغت فيه الاطيار ، بأصوات أعذب من رنات الاوتار ، وفاحت روائح الازهار . فكان متعة للاسماع والابصار . ووجدت أمامى خميلة جميلة ، وضعت فيها أريكة مستطيلة ، ومن فوقها نافذة مفتوحة على الحديقة ، قد زينت بزخرفةأنيقة دقيقة ، وتصدر منها اصوات عذبة رقيقة . فاضطجعت على تلك الدكة لاستريح ، وامتع سمعى وبصرى بالمنظر المليح والحديث الفصيح

قال الاصمعى : وبينما انا كذلك ، اذ سمعت جارية تقول لزميلات لها فى الغرفة التى بها تلك النافذة : مادامت المؤانسة

هي الغاية من هذه المجالسة ، فلتخرج كل منا نحن الثلاث مائة دينار ، ثم نتناشد الاشعار ، ونحكم لصاحبة أعذب بيت وأملحه بالثلاثمائة دينار ، فوافقت زميلتاها على هذا الاقتراح ، ثم أخذن في انشاد الاشعار في سرور وانشراح .
فقالت الكبرى منهن :

عجبت له أن زار في النوم مضجعي
ولو زارني مستيقظا كان أعجبا

فقالت الجارية الوسطى :

ومازارني في النـــوم الا خيـــاله
فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبـــا

ثم قالت الجارية الصغرى :

بنفسي واهلي من أرى كل ليـــلة
وأنشق من رياه مســـكا وأطيبا

قال الاصمعي : فأعجبت بفصاحتهن ، واشتاقت نفسي الى مشاهدتهن . ولكنى لم أجد سبيلا الى بلوغ هذه الامنية ، فاكتفيت بما أمضيت من ساعة هنية ، ونهضت قاصدا الانصراف ، فاذا بجارية لينة الاعطاف ، كاملة الاوصاف ، تهتف بي قائلة : اجلس ياشيخ حتى تحكم بيننا بالعدل والانصاف . ثم أعطتني ورقة كتب فيها بخط مستقيم الالفات ، مجوف الهاءات ، مدور الواوات : اعلم أننا ثلاث بنات اخوات : وقد أنشدنا في مسامراتنا ثلاثة أبيات . وجعلنا ثلاثمائة دينار لصاحبة البيت الاملح ، وارتضيناك حكما تقضي بيننا بما تراه الاصلح

قال الاصمعي : فلما انتهيت من قراءة رسالتهن ، كتبت ردي عليهن . وكان ردي هذه الابيات :

أحدث عن خود حســـان كواعب
حديث امرىء قاس الامور وجـربا

ثلاث بنات كالزهور صـــــباحة
تملـكن قلبـــا للمشـــوق معذبا
خلون الى روض كحور بجنـــــة
ورحن يدرن القول عذبا مطيبـــا
فقالت فتـــــاة ذات دل مليحة
بصوت من الانغام أحلى وأعذبا :
« عجبت له أن زار فى النوم مضجعى
ولو زارنى مستيقظا كان أعجبــا »
فلمــا انتهت من شــعرها ونظامها
تقدمت الوسطى وقالت تطـــربا :
« وما زارنى فى النـــوم الا خياله
فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا »
وأحسنت الصغرى ، وقالت مجيبة
بلفظ كمــا أطعمت شهدا مذوبا :
« بنفسى وأهلى من أرى كل ليلة
وأنشق من رياه مســكا وأطيبا »
فلمـــــا تدبرت الــذى قلن كله
وما اخترت الا الحق فى الحب مذهبا
حكمت لصغراهن بالسبق ، أننى
رأيت الذى قالت الى الحق أقـربا

قال الاصمعى : ثم دفعت الورقة الى الجارية ، فمارجعت بها الى زميلتيها ، واطلعن على مافيها ،حتى تعالت ضحكاتهن، وأطلت الجارية الصغرى التى حكمت لها من النافذة ، وقالت لى : أجدت يا اصمعى ، وهذه الثلاثمائة دينار هدية منى اليك لعدلك فى حكمك . ثم رمت لى صرة فيها الدنانير ، ورجعت عن النافذة ، وانصرفت بعد ذلك وانا فى عجب من

جمالها وفصاحتها وذكائها وفطنتها اذ عرفتني من شعرى وهى لم ترنى من قبل !

فلما انتهى الاصمعى من حديثه ، قال له الرشيد : لم حكمت للصغرى ؟. فقال : ان الكبرى لم تزد على أن عجبت لزيارة من تهواه لها فى المنام . والوسطى لم تزد على الترحيب بخياله مكتفية بالتحية والسلام . أما الصغرى فأبت الا أن يكون معها بشخصه على الدوام ، وفدته بنفسها واهلها وليس بعد ذلك دليل على شدة العشق والهيام

فقال له الرشيد : أحسنت يا اصمعى . وأعطاه ثلاثمائة دينار أخرى !



يونس الكاتب وجاريته

وفى الليلة التالية ، قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى أيها الملك السعيد عن يونس الكاتب أنه قال : خرجت قاصدا الشام فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، ومعى جارية لى حسناء ، كأنما خلقت كما تشاء ، وهى الى ذلك شديدة الذكاء ، بارعة فى العزف والغناء . فلما اقتربنا من دمشق الفيحاء ، نزلت القافلة التى كنا فيها بالقرب من غدير ماء . وكانت معى ركوة فيها نبيذ معتق ، وبقية من طعام ، فجلست وجاريتى نأكل ونشرب ونطرب . فبينما نحن كذلك اذ اقبل علينا شاب وسيم ، وألقى السلام فى أدب عظيم ، ثم قال لى : ماتقول فى ضيف ، لايلبث الا ساعة ثم يمضى كسحابة صيف ؟

قال يونس الكاتب : فأعجبنى ادبه وظرفه ، ورحبت به ، فجلس وشاركنا فى الطعام والشراب ، ثم تناولت الجارية العود فعزفت عليه وغنت هذا البيت :

حوت من الحسن مالم يحوه بشر
فلذ لى فى هواها الدمع والسهر

فطرب الشاب طربا شديدا ، ثم طلب من الشراب مزيدا ، وقال لى : حبذا لو أكملت جاريتك ذلك اللحن الجميل . فقلت له : حبا وكرامة . وأشرت الى الجارية لكى تغنى ، فغنت هذا البيت :

حورية ، حار قلبى فى محاسنها
لا الشمس تشبهها حسنا ولا القمر

فاشتد طرب الشاب ، وتملكه الاعجاب . ولم يزل يستزيد من الغناء والشراب ، حتى توارت الشمس بالحجاب . فقال لى : أتبيعنى هذه الجارية بخمسين ألف درهم ؟. فقلت له : ان ثمنها على مائة ألف . فقال لى : اذن أشتريها منك بمائة وخمسين الفا

قال يونس الكاتب : وكان الافراط فى الشراب قد أضاع رشدى ، فقلت للشاب : والله انها لعزيزة على ، وماكنت لابيعها بأضعاف هذا الثمن ، ولكنى أسعى فى سبيل قضاء دين فى ذمتى ، كما انى فى حاجة الى مايبقى من ثمنها بعد ذلك للاستعانة به على اصلاح معيشتى . وعلى هذا ، واكراما لضيافتك ، بعتها لك بهذا الثمن ، والله يبارك لك فيها

فقال لى الشاب : أشكرك على كرمك واحسانك ، ولك فوق ذلك الثمن نفقة طريقك واقامتك وماشئت من كسوة لك ولاهلك . ثم أشار بيده الى قصر شاهق فى ظاهر المدينة ، وقال لى : هذه الدار التى تراها من هنا هى دارى ، فاذا شئت فانى آخذ الجارية اليها الآن ، ثم أؤدى اليك الثمن المطلوب غدا . والا فأبقها عندك حتى تقبض الثمن

قال يونس الكاتب : فهيأ لى السكر أن امساك الجارية عندى حتى أقبض الثمن فيه مايخدش كرامة الشاب ، ويدل على أنى لا آمنه عليه . وعلى هذا سمحت له بأخذ الجارية معه ، على أن يبعث الى بالثمن فى اليوم التالى . وماكاد ينصرف بالجارية ، حتى ساورنى الشك فى أمره ، فطار السكر من رأسى ، وقلت لنفسى : ويل لى !. كيف اضعت جاريتى وتركتها لذلك الفتى الذى لاأعرفه ، ولعله محتال استدرجنى بأدبه وظرفه حتى أخذها

وبت ليلتى مسهدا ، قلقا حائرا ، فلما أقبل الصباح وسارت القافلة لدخول المدينة ، لم أسر معها وتخلفت فى

ذلك الموضع الذى كنا فيه ، لكى أنتظر حضور الشاب أو أحد من عنده ليؤدى لى ثمن الجارية . وبقيت طول النهار هناك بغير طعام ولا شراب ، وقد امتلأ قلبى بالهموم ، وندمت على ماكان منى . ولما يئست أخيرا ونهضت لاتوجه الى المدينة وأبحث عن ذلك الشاب عسى ان أهتدى اليه وآخذ حقى منه ، اذا بمملوك مليح الهيئة ، أقبل نحوى مسرعا وقال لى : معذرة ياسيدى ، لقد أبطأنا عليك كثيرا . والآن تعال معى فان سيدى الامير ينتظرك فى قصره

قال يونس الكاتب : فلما سمعت كلام المملوك ، تعجبت غاية العجب ، وقلت له : أى أمير تعنى ياسيدى فأنا لامعرفة لى بأحد هنا ؟!. فقال لى المملوك : ألست صاحب الجارية المغنية التى سمعها سيدى عندك أمس واشتراها منك ؟. فقلت : نعم أنا صاحب الجارية ، ولكنى بعتها لشاب لاأعرف من هو كما أنه لايعرفنى . فقال لى المملوك : ان هذا الشاب نفسه هو الوليد بن عبد الملك ولى عهد الخليفة هشام . ثم أخذنى المملوك الى ذلك القصر ، فلما دخلت على الامير فى مجلسه عرفت انه صاحبى . وأحسن هو لقائى ، وبالغ فى الترحيب بى ، ثم أجلسنى بجانبه وقال لى : لعلك ساورك الشك فى أمرى بعد أن انصرفت من عندك بالجارية ، وطال انتظارك لى ؟

فقلت له : انى والجارية ملك يمينك أيها الامير . فابتسم وقال لى : هذا هو الثمن الذى اتفقنا عليه أمس ، وهذا مثله معه تعويضا لك عن طول انتظارك . ولابد لى بعد ذلك من أن أنزلك فى ضيافتى وأكرمك ، كما أنزلتنى فى ضيافتك وأكرمتنى . ثم أمر باعداد المائدة ، فأحضر الغلمان مائدة كبيرة حفلت بأحسن ألوان الطعام وأجود أنواع الشراب . كما دعا بالجارية وأجلسها معنا لتأكل وتشرب معنا وتغنى لنا ماغنته أمس . ولم أزل فى ضيافته على خير حال من

الاكرام والانعام ، الى أن كانت الليلة التى اعتزمت الرحيل فى صباحها ، فلما انتهينا من الطعام والشراب ، اخذت الجارية العود ، وغنت هذه الابيات :

إيا من حاز الفضل أصـــلا ويا حلو الشمائل والخصـــال
اترضى أن يكون لديك جسمى وروحى عند آخر لايبالى ؟
حلا لى فيه ذلى وانكسارى وطاب لمقلتى سهـــر الليالى
وكان الشمل مجتمعا فأضحى يضن على حتى بالخيـــال
ولا والله ما أنسى هـــواه ولا أنا عنه طول الدهر سالى

قال يونس الكاتب : فلما سمع الوليد شعرها وغناءها ، علم انها متعلقة بى ، ولا تطيق فراقى . فقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى . ثم أمر لها بألف دينار . وقال لى : أوصيك بها خيرا ، ومتى سمعت بأنى توليت الخلافة ، فلا تنس أن تحضر أنت وهى لمقابلتى لاحسن مكافأتكما ان شاء الله . فشكرناه وودعناه . ثم سافرت والجارية معى ، ولما رجعنا اليه فى خلافته ، أجزل لنا العطاء ، وعشنا فى قربه من السعداء !

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

هارون الرشيد والجارية الشاعرة

الليلة الرابعة والستون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى أيها الملك السعيد ، أن الخليفة هارون الرشيد ، خرج الى البادية يوما ، ومعه وزيره جعفر البرمكى ، فوجدا فى طريقهما بئرا يستقى منها الناس ، وعرجا عليها للشرب . وفيماهما هناك ، سمعا فتاة اعرابية ، ذات محاسن طبيعية ، تتضاحك مع زميلات لها أخريات ، وتنشد هذه الابيات :

قـــولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت المنـــام
كى أســــتريح وتنطفى نار تأجـج فى العظـــام
مضـــنى تقلبـــه الاكف على فــراش من ســقام
امـــا انـــا فــكما علمـــت ، فهل لوصلك من دوام ؟

فأعجب الرشيد بملاحتها وفصاحتها ، وقال لها : هل هذا الشعر من مقولك أم من منقولك ؟ . فقالت : من مقولى . فقال لها : ان كان الامر كذلك فغيرى القافية فى هذه الابيات . فقالت :

قـــولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الوســن
كى أســــتريح وتنطفى نار تأجـج فى البـــدن
مضـــنى تقلبـــه الاكف على فراش من شـــجن
امـــا انـــا فــكما علمـــت ، فهل لوصلك من ثمن ؟

فقال لها لعل هذه قافية مسروقة ، فان لم تكن كذلك فغيريها بقافية اخرى . فأنشدت تقول :

قــــــولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الــــرقاد
كى اســـــــتريح وتنطفى نار تأجج فى الفـــــــؤاد
مضـــــنى تقلبــــه الاكف على فــــراش من سهـــاد
امـــــا انـــــا فـــكما علمـــــ ـت ، فهل لوصلك من معاد ؟

فاشتد اعجاب الرشيد ببلاغتها ، وحضور بديهتها . وقال لها : ما أظن أنك تقدرين على أن تأتى بقافية أخرى . فأنشدت تقول :

قــــــولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الهجوع
كى اســـــــتريح وتنطفى نار تأجـــج فى الضـــــلوع
مضـــــنى تقلبــــه الاكف على فـــــراش من دمـــوع
امـــــا انـــــا فـــكما علمـــــ ـت ، فهل لوصلك من رجوع

فقال لها الرشيد : أحسنت والله ، فمن أى هذا الحى أنت ؟. فقالت : من أوسطه بيتا ، وأعلاه عمودا . فعلم أنها بنت كبير الحى ، ثم سألته هى : من أى القبائل أنت ؟. فقال لها : من اعلاها شجرة ، وأينعها ثمرة . فقالت له : أيدك الله ياأمير المؤمنين . ثم سلمت فانصرفت مع زميلاتها ، فقال الرشيد لجعفر : مارأيت مثل هذه الفتاة البدوية فى جمالها وفصاحتها وفطنتها ، ولابد لى من الزواج بها . ثم توجها الى أبيها ، وخطبها الرشيد لنفسه وتزوجها . ولم تزل عنده فى نعيم واكرام ، الى أن توفاها الله

الطحان وزوجته الخائنة

وفى الليلة التالية ، قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى أيها الملك السعيد، ان رجلا كان يعيش من العمل فى طاحون له ، فرأى فى منامه ذات ليلة كأنه حفر فى موضع متخرب من طاحونه ، ووجد كنزا عظيما . فلما استيقظ من نومه ، اخبر زوجته بما رآه فى الحلم ، وقال لها : اكتمى هذا السر حتى نرى ماهنالك . فقالت له : سمعا وطاعة . ولكنها كانت غادرة خائنة ، تحب جارا لهما . فتوجهت الى ذلك الجار ، وأطلعته على ذلك السر . ثم انتهزا فرصة نوم زوجها فى الليلة التالية ، وتسللا الى ذلك الموضع حيث حفرا فيه حتى عثرا على الكنز واخرجاه . وكان يحتوى على شيء كثير من الذهب والجواهر والتحف النادرة الثمينة . ثم اتفقا على أن يطلق زوجته ، وتسعى هى حتى يطلقها زوجها . وبذلك يتسنى لهما ان يعيشا معا مرتبطين بالزواج وينفقا من ذلك الكنز الذى وجداه . ولكنهما اختلفا فى شأن أيهما يكون الكنز عنده حتى يتم زواجهما المطلوب . وبقيا حائرين فى ذلك الامر الى ان قالت له : تأخذ انت الآن نصف الكنز ، واخفى أنا نصفه الآخر عندي . فتظاهر بالموافقة ، ثم غافلها وطعنها بخنجر كان معه فقتلها ، ودفن جثتها فى موضع الكنز ، ثم حمل الجواهر والذهب والتحف كلها ، وهم بالانصراف . وفى هذه اللحظة علا نهيق حمار الطاحون، فقتله بخنجره ايضا . ولكن صاحبه كان قد استيقظ ، ورأى جاره وهو يحاول الفرار بحمله الثمين . فاستوقفه

وتعلق به صارخا مستنجدا ، ولم يمض الا قليل حتى حضر الجيران على صراخه ، وضبطوا الكنز المسروق ، كما كشفوا امر الزوجة القتيل . فسيق شريكها الى الوالى فحكم عليه بالقتل ، واستولى على الكنز ، وصرف الطحان ، بعد أن نصح له بالا يفشى سره بعد ذلك لاى مخلوق كان ، وبأن يكون دائما على حذر من كيد النساء لان كيدهن أعظم من كيد الشيطان !

وهكذا خسر الطحان كنزه وزوجته وحماره ، وكل هذا لانه أفشى أسراره ، ولم يحذر كيد تلك الزوجة الغادرة المكارة !



المغفل وحماره !

قالت شهرزاد للملك شهريار :

ومما يحكي أيها الملك السعيد ، أن أحد المغفلين كان عنده حمار عزيز عليه ، وقد تعود ألا يركبه ، لشدة حبه له ، بل يمشي ويقوده بحبل لطيف ، فيمشى الحمار فى اثره مطيعا سعيدا . ولم يزل الرجل وحماره على هذه الحال عدة سنين ، حتى اشتهر أمرهما بين الاهلين . فاتفق اثنان من الشطار ، على ان يحتالا لسرقة الحمار . وذلك بأن ربط أحدهما نفسه بدلا من الحمار بالحبل الذى فى يد صاحبه ، وركب الآخر الحمار وهرب به . ولما التفت الرجل المغفل خلفه ، تملكته الدهشة حينما وجد نفسه يقود رجلا لاحمارا ، وقال له : من أنت واين حمارى ؟ . فبكى المحتال وقال له : انى أنا حمارك نفسه ، ولى حديث عجيب غريب ، هو أننى كنت شابا من بنى آدم كما ترانى الآن ، وحدث يوما أن ضحك على الشيطان ، فضربت والدتى العجوز وانا سكران ، فدعت الله أن يمسخنى ويجعلنى حمارا . وكان من نصيبى أنك اشتريتنى وأكرمتنى ، وبقى الامر كذلك الى ماقبل لحظات ، اذ ردنى اللهآدميا كما كنت ، ولعل ذلك بفضل دعوات والدتى أيضا

فلما سمع المغفل صاحب الحمار كلام المحتال ، بكى من شدة تأثره بهذه القصة . وقال : لاحول ولا قوة الا بالله . سامحنى ياولدى لانى طول هذه المدة كنت أحسبك حمارا

حقيقة !. ثم اطلق سبيله بعد أن نصح له بألا يعـــود لاغضاب والدته

وبعد ايام ذهب المغفل الى السوق ليشترى حمارا ، وفيما هو هناك وقعت عينه على الحمار الذى كان عنده ، فعرفه فورا ، كما عرفه الحمار واخذ يتمسح به فرحا بلقائه ، ولكن المغفل اعرض عن شرائه . وهمس فى أذنه قائلا : لماذا عدت لاغضاب والدتك ، وهل تظن انى مغفل حتى أشتريك مرة ثانية ؟. ثم تركه وانصرف !

الحاكم بأمر الله ومضيفه

قالت شهرزاد للملك شهريار :

ومما يحكى أيها الملك السعيد ، أن الحاكم بأمر الله الفاطمى ، خرج فى موكبه يوما للنزهة فى ضواحى القاهرة ، فمر الموكب على بستان كبير ، جلس فيه صاحبه وبين يديه كثير من المماليك والعبيد والخدم . ولما راى الموكب مقبلا ، نهض واستقبل الحاكم مرحبا ، واخذ يطوف به أنحاء البستان ، وينتقل به من مكان الى مكان . فلما انتهيا من ذلك ، دعاه ومن معه من الاعوان والجنود الى الغداء عنده فى البستان . وفرش لهم اكثر من مائة بساط ، ومد فوقها مائة سماط ، كل منها يكفى مائة شخص . فتعجب الحاكم من ذلك غاية العجب . وقال لمضيفه : هل كنت تعلم بقدومى ومن معى ، فأعددت لنا هذه الوليمة الكبيرة ؟. فقال له الرجل : لم أكن اعلم ذلك ، ولكنى أقتنى مائة جارية ، أسكنت كل واحدة منهن فى بيت خاص بها ، وفى كل يوم أرسل الى احداهن لتبعث الى فى البستان ببساط وسماط . فلما شرفتنى بحضورك اليوم ، أرسلت اليهن جميعا ، فبعثن الى بمائة بساط ومائة سماط . وهذا كله من فضل الله ، وفضلك ياأمير المؤمنين

فلما سمع الحاكم كلامه ، تعجب من كرمه وفصاحته ، وأمر له بجائزة مالية . فأعطيت له ، وكانت ثلاثة آلاف الف وسبعمائة الف درهم

كسرى وبنت صاحب الضيعة

ثم قالت شهرزاد للملك شهريار :

ويحكى أيها الملك السعيد ، أن كسرى انو شروان ملك الفرس ، خرج يوما الى الصيد ، وبينما هو يطارد ظبيا فى الصحراء ، وقد ابتعد عن أعوانه وجنوده ، شعر بشدة الظمأ ، ووجد نفسه على مقربة من ضيعة عامرة ، فتوجه اليها ، وطرق باب أول دار فيها ، ففتحته صبية ، كأنهـا حورية ، بقامة تخجل غصن البان ؛ ووجه مشرق فتان ، ثم رحبت به بأفصح لسان وأعذب بيان ، ولما علمت انه ظمآن ، احضرت عودا من قصب السكر وعصرته فى كوب نظيف وقدمته له بعد أن وضعت عليه قليلا من ماء الزهر ، ومسحوقا زكى الرائحة يشبه التراب . فتعجب كسرى من وضعها ذلك المسحوق على عصير القصب ، وقال لها بعد أن شرب : ما احلى هذا الشراب ، لولا ذلك المسحوق الذى يشبه التراب . فقالت له : معذرة ياسيدى . انى تعمدت ذلك ، لانى ادركت انك شديد الظمأ وخشيت ان تشرب مافى الكوب كله مرة واحدة فيلحق بك الضرر ، فى الوقت الذى لااريد فيه الا الخير . فشكرها على حسن صنيعها وانصرف عائدا الى عسكره

ولما رجع الى الديوان ، راجع خراج تلك الضيعة فوجده قليلا ، لايتناسب مع خصبها ، وقال لمتولى الخراج : ان عودا واحدا من قصب السكر الذى يزرع هناك ، قد ملأ عصيره كوبا كبيرا ، فيجب ان يضاعف الخراج عليها . فقال

له متولى الخراج : سمعا وطاعة ، ونفذ أمره فورا

واتفق فى السنة التالية ، أن خرج كسرى للصيد مرة ثانية ، ومر على تلك الضيعة نفسها ، فطرق باب الدار التى قصدها فى المرة السابقة ، ولما فتحته الصبية وطلب منها بعض الماء ، جاءت بثلاثة أعواد من قصب السكر ، وعصرتها كلها فى كوب نظيف ، فلم يزد عصيرها على نصف الكوب . ثم ناولته الكوب بعد ان طيبته ، فلما انتهى من شربه ، قال لها : فى المرة الماضية كان عصير عود واحد كافيا لملء مثل هذا الكوب ، فلماذا لم تكف ثلاثة أعواد لملئه الآن ؟

فقالت له : ان نية السلطان ياسيدى قد تغيرت نحونا ، فقلت البركة لذلك عندنا

فلما سمع كلامها ، أدرك أنها عرفته ، وشعر بأنها على حق فى معاتبتها له . فقال لها : ان شاء الله تعود البركة اليكم ، لان السلطان لابد ان يرضى عنكم . وما كاد يرجع الى الديوان ، حتى أمر باعفاء تلك الضيعة من الخراج . فبقيت كذلك طول حياته

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



وقال لها بعد أن شرب : ما أحلى هذا الشراب

عتبة .. وريا

الليلة الخامسة والستون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعدالتسعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، ان عبد الله بن معمر القيسى ، حج ألى بيت الله الحرام فى سنة من السنين . فلما قضى حجه وتوجه الى المدينة المنورة لزيارة الروضة النبوية المطهرة ، جلس بين القبر والمنبر ذات ليلة وأخذ يذكر الله بعد أن أدى الصلاة ، وفيماهو كذلك سمع صوتا رقيقا ينشد هذه الأبيات :

اشجاك نوح حمائم البدر
فأثار منك بلابل الصدر ؟
أم هاج شجوك ذكر غانية
أهدت اليك وساوس الفكر ؟
ياليلة طالت على وقد
ذهب الهوى بالنوم والصبر
البدر يشهد اننى كلف
أشتاق قرب شبيهة البدر
أشكو وما الشكوى بنافعة
ومدامعى من مقلتى تجرى
ما كنت أحسب ان اذوب جوى
حتى عشقت وكنت لا ادرى

قال عبد الله بن معمر : ثم انقطع الصوت ولم اتبين مصدره،

الى ان عاد الى سمعى بعد قليل ، وسمعت صاحبه ينشد بصوت جميل :

وافاك من ريا خيـــال زائر
فأقض مضجعك الخيـال الزائر
ونفى الكرى عن مقلتيك ولم تزل
تبـكي من البلوى وفـكرك حائر
ناديت ليلى والظـلام يحيط بى
وكأن قلبى فى الجـوانح طائر :
ياليـــل طلت على محب مدنف
أضـــناه شوق للأحبة فائر
فأجابنى : لاتشـكون فهـكذا
شأن الهوى للناس فيـه بصائر
وعليك أن ترضى وتقبل جـوره
فلربما يرضى الظلوم الجـائر !

فلما انتهى من أنشاد هذه الابيات ، أخذ يردد الدعوات والتضرعات ، ويصعد الزفرات ، ولم يسعنى الا ان سارعت اليه ، فلما صرت بين يديه ، وجدته فتى غض الاهاب ، نظيف الثياب ، قد أذبل الاسى وجنتيه ، وقرح الدمع جفنيه ثم سلمت عليه . فرد السلام ، فى ادب واحتشام . ثمعرفته بنفسى وسألته عن قصته ، مبديا اســتعدادى لخدمتـه ومساعدته على بلوغ غايته . فقال لى : اننى عافاك الله عتبة ابن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاى ، وكان من عادتى أن أتعبد فى مسجد الاحزاب ، فبينما أنا جالس فيه يوما بالقرب من المحراب ، أذ وقعت عيناى على سرب من النساء ، يتهادين فى مشيتهن كأنهن الظباء ، أو الغصون التى يداعبها الهواء . وبينهن فتاة بديعة الجمال ، بادية المهابة والجلال ، فلما رأيتها سبحت باسم الخالق ألذى أبدع صـــورتها ، وغضضت من بصرى خيفة الفتنة بصباحتها وملاحتها .

فلما رفعت رأسى بعــــد قليل ، اذا بهــــا قد تخلفت عن صويحباتها ، ووقفت ترمقنى بنظراتها ، ثم قالت لى : ماذا تقول يا عتبة ،فيمن تشعر نحوك بالمحبة ، وتتمنى أن تدوم لها معك الصحبة ؟ ثم انفلتت مسرعة غير منتظرة الجواب ، وخرجت من الباب . فشعرت بأن قلبى كأنما انتزع من مكانه . ولم أزل منذ ذلك الوقت وانا ابحث عنها ، لأطلب القرب منها . ولكنى لم اعثر لها على أثر ، ولا سمعت عنها اى خبر

قال عبد الله بن معمر : ثم خر الفتى مغشيا عليه ، فلما أفاق عاد للبكاء ، ثم انشد يقول :

اراها بقلبى من بلاد بعيـــــدة
فهل قلبها ايضا يرانى على البعد ؟
وهل عندها بعد الذى كان بيننا
من الحب والاشواق مثل الذى عندى ؟
وحق الهوى لا أترك الدهر ذكرها
ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

فقلت له : يا ابن اخى ، أنت هنا بين يدى الله ، فأخلص التوبة ، وأسأله المغفرة

فقال لى : ان الله غفور رحيم . وما اريد الا زواجها فتكون لى فى الدنيا والآخرة . فلما سمعت كلامه ، رق قلبى له ، وتواعدنا على اللقاء فى صباح اليوم التالى بمسجد الاحزاب وفى الموعد المحدد وجدته فى انتظارى على الباب . ودخلنا المسجد معا فصلينا وجلسنا ندعو الله ان يبلغنا املنا . ولم نزل كذلك حتى اقترب وقت الظهر ، واذا ببعض النســاء قد اقبلن ، فقال لى عتبة : هؤلاء هن صويحباتها اللائى كن معها . ثم جاءت احداهن ووقفت امامه وقالت له : ان صاحبتنا قد ارتحل بها ابوها الى بادية السماوة . فلمـــا سمع ذلك وقع مغشيا عليه . فأخذنا ننعشه حتى افاق . ثم سألت احدى النساء : من تكون صاحبتكن ومن ابوها ؟

فقالت : هي ريا بنت الفطريف السلمى . وما سمع عتبة ذلك حتى بكى ، وان واشتكى ، وانشد يقول :

خليلى : ريا قد تنــاءت ديارها
وسارت الى ارض السماوةعيرها
خليلى : انى قد عييت من البكا
فهل عند غيرى عبرة استعيرها؟

قال عبد الله بن معمر القيسى : فقلت لعتبة : هون عليك يا ابن اخى ، انى جئت الى هنا بمال جزيل ، اردت ان استر به اهل المروءة . وانى لعلى استعداد لان ابذله كله فى سبيل ابلاغك امنيتك . ثم اصطحبته معى الى مجلس الانصار . وبعد ان سلمت وردوا السلام قلت لهم : ما تقولون فى عتبة وابيه ؟ فقالوا : أخ كريم وابن اخ كريم . فقلت لهم : ان ابن اخيكم هذا قد اضناه حب ريا ابنة الفطريف السلمى ،ويريد ان يخطبها لنفسه ، فمن منكم يصحبنا الى بادية السماوة لمقابلة ابيها وخطبتها منه ؟ فقالوا جميعا : ليس احب الينا من السعى فى هذا السبيل . ولم تمض ساعة حتى كنا جميعا قد ركبنا واخذنا طريقنا الى بادية السماوة . ولم نزل نواصل السير حتى بلغناها ، وما كدنا نقترب من منزل بنى سليم فيها ، حتى خرج الفطريف لاستقبالناورحب بنا قائلا: حييتم باكرام . فقلنا له : حييت يا ابا ريا بسلام !

ثم نزلنا فى ضيافة الفطريف ثلاثة ايام . وبعد ذلك قلت له : ان اخانا عتبة بن الحباب هو من تعرف طيب عنصروكرم محتد ، وقدجئنا اليكخاطبين له ابنتك ريا . فقال الفطريف: اما والله انه لكما وصفتموه ، وما كان اسعدنى بمصاهرته لولا ان فتى من بنى سليم سبقه الى خطبتها . وجعل لها مهرا مائة اسورة من الذهب الاحمر ، وخمسة آلاف درهم ، ومائة ثوب من الحرير . فقلت له : ذلك مهر قليل ، وانا امهرها عن عتبة اضعاف ذلك . فقال : امهلونى قليلا ريثما

اشاورها فى الامر ، وايهما قبلته زوجا لها قبلته انا ايضا .
فقلت له : حبا وكرامة

ولما شاور الغطريف ابنته ، وجد منها قبولا لخطبة عتبة لها ، فرجع الينا من عندها ، وقال لعتبة : بارك الله لك فيها يا عتبة . ثم أولم وليمة عظيمة دعا اليها جميع أهل الحى واقمنا فى ضيافته مكرمين سبعة ايام اخرى ، وبعد ذلك عقدنا قران عتبة بريا ، وحملناها معنا عائدين الى المدينة ، فودعنا ابوها خير وداع . ولم نزل نسير حتى أوشكنا ان نقطع البادية وندخل العمران ، واذا بخيل كثيرة اقبلت من خلفنا ، فلما ادركتنا صاحت ريا : خذوا حذركم . ان هذه الخيل ما اقبلت الا للاغارة علينا . وهذا الفارس الذى فى مقدمتها هو الذى كان قد خطبنى الى ابى . وما اتمت كلامها حتى كان ذلك الفـــارس قد حمل علينـــا بمن معه ، فتصدينا للدفاع عن انفسنا ، وابدى عتبة من الشجاعة والبراعة فى القتال ما أدهش الفريقين . ولم تمض ساعة حتى كان ذلك الفارس قد حمـل علينـا بمن معـــه ، سـليم . ولم يسع الباقين منهم الا أن ركنوا الى الفرار ، وولوا الادبار !



قال عبد الله بن معمر : ولما انتهت المعركة ، واخذنا نحصى القتلى والجرحى من الفريقين ، وجدنا بين الجرحى من المغيرين علينا فتى يحتضر ، وسمعناه يطلب من عتبة ان يأتيه بجرعة ماء يشربها قبل أن يلفظ انفاسه الاخيرة ، ثم شاهدنا عتبة وهو ينحنى عليه ليسقيه ، وما كاد يفعل حتى فاجأه ذلك الفتى بطعنة قاتلة فى عنقه . فلما أسرعنا اليهما ، وجدناهما قد فارقا الحياة . وفيما نحن فى ذهول من هول هذه المفاجأة اذا بريا تلقى بنفسها من فوق بعيرها على جثـــة عتبة ،

واخذت تلطم وجهها وتندبه قائلة :

حرام على العيش بعـــدك لحظة
فلا عجب « انى بك الآن لاحقه »
ولو اننى انصفت كنت الى الردى
امامك من دون البرية ســابقه
فما احد بعدى وبعــدك منصف
خليلا ، ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة صعدت فيها روحها الى بارئها ، فدفناها وعتبة فى قبر واحد ، وأقمنا أياما نبكيهما ، ثم واصلنا سيرنا حتى بلغنا المدينة ، وما زلنا نترحم عليهما ، ونزور قبرهما من حين الى حين

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح :



الحجاج وهند بنت النعمان

الليلة السادسة والستون بعد التسعمائة : فلمـا كانت الليلة السادسة والستون بعد التسعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغني أيها الملك السعيد أن الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، سمع عن هند بنت النعمان ، ما جعله يعجب بجمالها ، وادبها وكمالها . فخطبها لنفسه ، وبذل مالا كثيرا حتى قبلت أن يتزوج بها . ثم اقامت عنده مدة طويلة ، وهو يزداد حبـا وتقديرا لها ، الى ان دخل عليها فى يوم من الايام ، فوجدها تنظر الى وجهها فى المرآة ، وتنشد وهى لا تشعر بوجوده :

وما هنـــد الا مهـــرة عربيـــة
سـلالة افراس ، يعاشرها بغـل
فان ولدت فحـــلا فلله درها
وان ولدت بغلا فجاء به البغل !

فلما سمع ذلك منها ، تملكه الغضب ، وكر راجعا من حيث لا تشعر . ثم دعا اليه عبد الله بن طاهر وقال له : هذه مائتا الف درهم مؤخر صداق هند بنت النعمـــان زوجتى ، فاحملها اليها وابلغها انى قد طلقتها !

ولما دخل عبد الله بن طاهر على هند ، وابلغها ذلك الامر ، بدا الفرح فى وجهها ، وقالت له : والله ما سعدت بقربه يوما، وانى بفراقه لاسعد . اما هذه الدراهم التى بعث بها معك ، فهى لك هدية منى تقديرا لما حملت الى من نبأ سار !

واقامت هند بعد ذلك عند اهلها حينا من الزمان ، فبر

آسفة على ما كان . وتقدم كثير من وجهـاء العـراق طالبين زواجها ، ولكنها لم تقبل الزواج بأحد منهم . ثم اتفق ان جاء ذكرها فى مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان ، فأعجبه ما سمع عن ملاحتها وفصاحتها،وكتب اليها يخطبها لنفسه، فردت على كتابه برسالة قالت فيها : لولا أن الكلب ولغ فى الاناء ، لكان لامير المؤمنين عند جاريته ما شاء !

وادرك الخليفة انها تعنى زواجها السابق بالحجاج ، فكتب اليها مكررا خطبتها لنفسه ، وختم رسالته بالحديث النبوى الشريف : اذاولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب . فلما اطلعت على رسالته ، وأدركت مغزى اشارته، لم يسعها الا تنفيذ ارادته ، وكتبت اليه بقبولها مشترطة ان يمشى الحجاج نفســـه حافيا ويقود البعير الذى يحمـل هودجها فى طريقها من العراق الى قصر الخليفة فى الشام . فلما قرأ عبد الملك رسالتها ، ضحك واجاب رغبتها ، بأن كتب الى الحجاج يأمره بذلك ، فلم يسعه الا الطاعة والامتثال!

وفى خلال الطريق ، كانت هند ومن معها فى هودجها من جواريها ، يتضاحكن ويتغامزن على الحجاج وهو يقــود البعير ماشيا حافيا ، ويكاد يتميز من الغيظ . فلما أثقلن عليه بسخريتهن واستهزائهن ، نفد صبره واحتماله وانشد يقول :

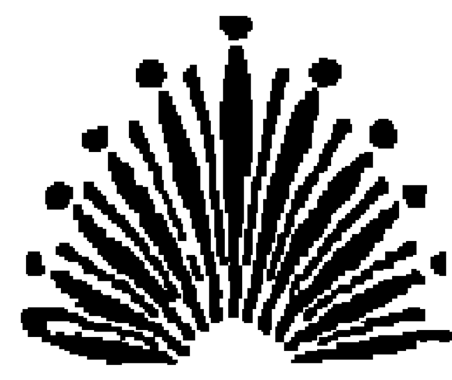
لئن تضحكى منى فيـــارب ليلة
تركتك فيهــا تسكبين المدامعـا

فلما سمعته هند ، انشدت تقول :

وما نبـالى اذا ارواحنا سلمت
ما كان من ألم الامراض فى الجسد

من كان بعـد البكا يلقى مسرته
ويل لعـذاله من لذعة الحســد

فسكت الحجاج على مضض ، ولم يزل يمشى حافياويقود البعير الذى يحمل هودجهـــا ، حتى اقتربت القافلة من مشارف الشام ، فألقت هند على الارض دينارا ، وصاحت بالحجاج قائلة : لقد سقط منى درهم فابحث عنه وناولنى اياه . ونظر الحجاج الى الارض فلم يجد سوى دينار ؛ فقال لها : انه دينار لا درهم . نقالت له : الحمد لله الذى ابدلنا بالدرهم دينارا ! فأدرك ما تعنيه وخجل . وكتم غيظه مرغما . ولما اوصلها الى الخليفة ، قص عليه ما كان من امرها معه فى الطريق ، فضحك الخليفة وطيب خاطره . ولم تزل هند عنـده فى نعيم واكرام ، الى ان سقاهما الدهر كأس الحمام ، وسبحان من له الدوام



جابر عثرات الكرام !

ثم قالت شهرزاد للملك شهريار : ويحكى ايها الملك السعيد ان رجلا يقال له خزيمـــة بن بشر الاسدى ، كان يعيش فى الجزيرة أيام خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان . وكان هذا الرجل ذا نعمة وافرة ، ومروءة ظاهرة . وقد اشتهر بالكرم والاحسان ، والوفاء للاخوان . ولم يزل على هـذه الحال ، حتى كبرت سنه ونفد كل ما عنده من المال . فقال لنفسه : ان اخواني كثير ، ولي عليهم فضل كبير . ولا شك انهم سيسارعون الى نجدتى ، متى علموا بما آلت اليـــه حالتى . ولكنه ما لبث قليلا حتى ادرك ان امله فى وفاء الاخوان ، هو وامل ابليس فى الجنة سيان . فقال : لا حول ولا قوة الا بالله ، وقرر الا يبث لاحد شكواه ، وان يلزم داره صابرا على ضعفه وفقره ، الى ان يقضى الله فيه بأمره !

وكان والى الجزيرة فى ذلك الحين هو عكرمة بن الفياض الربعى ، فاتفق أن كان فى مجلسه يوما ، فذكر بعض الحاضرين ما آل اليه امر خزيمة بن بشر وكيف اعتزل الناس واعتكف فى داره . فقال عكرمة لنفسه : ليس من المروءة ان يترك مثل هذا الكريم للهوان . ثم صبر الى ان اقبل الليل وخرج من قصره متنكرا ، ومعه كيس فيه اربعة آلاف دينار . ولما اقترب من دار خزيمة ، ترجل عن دابته وتركها مع غلامه ، ثم توجه وحده الى باب الدار فطرقه . فلما فتحه له خزيمة ، القى اليه بالكيس وهم بالرجوع . فقال له خزيمة : من انت أكرمك الله ؟ فأبى أن يكشف له عن اســـمه واكتفى بأن

قال له : انا جابر عثرات الكرام . ولم يزد على ذلك شيئا ، برغم الحاح خزيمة ، ثم تركه وانصرف راجعا الى قصره

وكانت زوجة عكرمة قد تفقدته فى تلك الليلة ، ورأته عند خروجه من القصر متنكرا ، فتملكتها الغيرة ، وبقيت ساهرة حائرة الي ان رجع ودخل عليها فقالت له معاتبة : كيف أكون زوجتك وابنة عمك ، ثم تتركنى وحدى وتخرج من القصر ليلا وانت متنكر ، ولم تخبرنى بسبب خروجك ؟ فقال لها : أننى كنت فى مهمة سرية خطيرة يجب ألا يطلع عليها أحد . فبكت زوجته بكاء شديدا ، وقالت له: خير لك ان تعترف بأنك لم تعد تحبنى ، وبأنك ما خرجت الا للقاء زوجة لك اخرى !

ولم يجد عكرمة بدا من الافضاء بسر خروجه الى زوجته، ثم قال لها : استحلفك بالله أن تكتمى هذا السر . فقالت له : حبا وكرامة

اما خزيمة فانه بعد انصراف عكرمة ، حمل الكيس الذى أعطاه ، ودخل به على زوجته ، واخبرها بأمره . ففرحت فرحا شديدا ، وقالت له : الآن تستطيع أن توفى ما عليك من ديون ، وان تسافر الى فلسطين لتقابل الخليفة الذى يقيم بها فى هذه الايام ، فلا شك انه قد عجب لابطائك عن التوجه للسلام عليه . ومتى علم سبب ابطائك فانه لابد عاذرك ومقدرك ، وسترجع من عنده بما يسرك ان شاء الله . فاستحسن رأيها ، وما كاد ينتهى من سداد الديون التى عليه ، حتى سافر الى فلسطين للسلام على الخليفة . فلما وصل واذن له فى مقابلته ، سأله سليمان ابن عبدالملك : ما ابطأك عنا ياخزيمة ؟ فقال له : ما ابطأ بى الا سوء الحال واعتلال الصحة . ثم روى له تفصيل ما وقع له الى ان ارسل الله اليه ذلك الرجل الكريم المجهول ، فطرق بابه ليلا ، والقى اليه بكيس فيه اربعة آلاف دينار ، وأبى

ان يذكر له اسمه مكتفيا بقوله : انا جابر عثرات الكرام

فلما سمع الخليفة قصة خزيمة ، تعجب غاية العجب ، وقال له : اما جحود اخوانك فقد عوضناك عنه ان وليناك على الجزيرة تحكمها وتجبى خراجها . واما صاحبك جابر عثرات الكرام فما اشد شوقنا الى معرفته لنجزيه على مروءته وحسن صنيعه . ثم عقد له لواء الجزيرة ، وارجعه اليها فى موكب هائل ، بعد ان زوده بكثير من الهدايا والتحف الثمينة !

ولما رجع خزيمة الى الجزيرة وقد عقد له لواء ولايتها ، كان عكرمة بن الفياض واليها السابق فى طليعة مستقبليه ومهنئيه . ولما تحاسبا على اموال الولاية لتسلمها ، تبين ان فى تلك الاموال نقصا قدره اربعة آلاف دينار ، وهى التى كان عكرمة قد دفعها اليه ليجبر عثرته بها ، ولكنه حين سأله عنها استنكف ان يصرح له بتلك الحقيقة . وقال له : انى انفقتها فى شأن خاص بى . فقال له خزيمة : هذا مال المسلمين ولابد من ان ترده او آمر بحبسك حتى يقضى الخليفة فى شأنك بما يراه . فقال له عكرمة : لا يمكننى ان ارده ، فاصنع ما تشاء !

وامر خزيمة بحبس عكرمة ، وكتب الى الخليفة يستشيره فى شأنه . ومضت على ذلك اشهر ، جاء رد الخليفة بعدها بأن يرسل اليه عكرمة مكبلا بالقيود لمحاكمته على ما فرط فى اموال الدولة . وفيما كان عكرمة يستعد لارساله مع بعض الاعوان ، دخل عليه حاجبه وقال له : بالباب جارية تطلب مقابلتك وتزعم ان عندها نصيحة لك لا تريد ان تقولها لاحد غيرك ! فأمره عكرمة بأن يدخلها عليه . ولما وقفت بين يديه ، سألها : اى نصيحة عندك لى ؟ فقالت له : نصيحتى لك هى ان السجن والاغلال لا يصلحان مكافأة لمحسن كريم ، فما بالك كافأت بهما جابر عثرات الكرام ؟

فلما سمع عكرمة كلامها ، تعجب غاية العجب ، وقال لها :

ماذا تعنين ، وأى شىء تعلمين عن جابر عثرات الكرام ؟ فقالت له : اننى مولاة زوجته ابنة عمه . وكان قد استحلفها الا تبوح بسره ، ولكنها لم تستطع الكتمان بعد ان طال حبسك اياه شهورا ، واصراره على ان يبقى امره خافيـــا عليك ، مع انه لم يحبس الا بسببك ، اذ أعطاك أربعة آلاف دينار ليجبر بها عثرتك ، ولم يشأ أن يكشف لك عن اسمه حتى لا يخدش كرامتك !

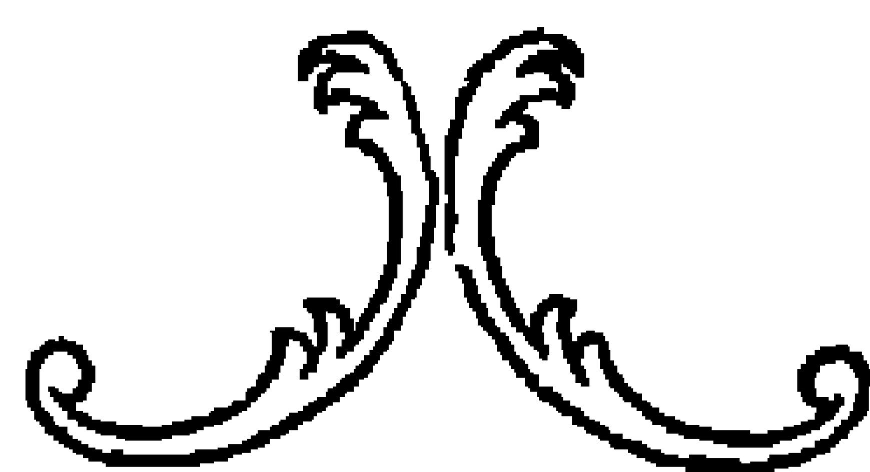
وما أتمت الجارية كلامها ، حتى صـــاح بها خزيمة : ويحك يا جارية ! أحق أن جابر عثرات الكرام لم يكن سوى عكرمة بن الفياض ؟ فقالت له : نعم .. انه هو بعينه . فنهض خزيمة وصاح بأعوانه : أين مفتاح الســجن ؟ ثم توجه مسرعا ومعه المفتاح ، ومن خلفه الجـارية وبعض الجنود والاعوان ، وما فتح باب السجن ودخل على عكرمة حتى ارتمى عليـه وأخـذ يعـانقه ويبكى قائلا : كيف لم تخبرنى بأنك جابر عثرات الكرام ؟ ثم فك قيوده بنفسه ، وأمر له بحلة فاخرة لبسها ، واصطحبه الى مجلسـه معززا مكرما ، وصار يعتذر اليه مما أنزله به من عقـاب لا يستحقه

وبعد أن استراح عكرمة فى داره أياما ، أبى خزيمة الا أن يصحبه بنفسه الى الرملة حيث يقدمه للخليفة ويروى له قصته . وبقى طول الطريق يقوم بخدمته ، فلما وصلا الى الرملة ودخلا على الخليفة ، عجب لمجىء خزيمة بنفسه مع الوالى السابق المتهم بتبديد أموال الدولة ، كما عجب فى الوقت نفسه لما رآه من اكرام خزيمة لعكرمة ، وفك قيوده واغلاله . وقال له غاضبا : ما هذا يا خزيمة ؟ .. كيف قدمت علينا بغير أن ندعوك ، ولماذا فككت قيود هذا الخائن ؟ فقال له خزيمة : صبرا يا أمير المؤمنين . ان الامر هو كذا وكذا . وروى له قصة عكرمة كلها من أولها الى

آخرها . ثم قال : وقد جئت به مسرعا اليك لأنك كنت متلهفا على معرفة جابر عثرات الكرام

فلما سمع الخليفة ذلك ، قام من مجلسه وعانق عكرمة مرحبا ، مثنيا على كرمه وحسن شمائله ومروءته . ثم أمر بأن يعقد له لواء الجزيرة وارمينية وأذربيجان ، ومنحه عشرة آلاف دينار ، وترك له الخيار فى جعل خزيمة وكيلا له فى الجزيرة . ولم يزالا فى ضيافته معززين مكرمين ، حتى قررا الرجوع الى الجزيرة ، فزودهما بكثير من عطاياه وبقيا من أحب عماله اليه الى أن فارق الحياة !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



أبو عيسى وقرة العين

الليلة السابعة والستون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة المأمون كان يستريح الى صحبة أخيه ابى عيسى ، وكثيرا ما كانا يخرجان معا لتفقد احوال بغداد ، ويحضران مجالس العلم والادب والطرب فيها . وقد روى عمر بن مسـعدة ان ابا عيسى هذا وقع فى حب جارية مغنية ، كانت عند على بن هشام فلما اشتد به الغرام ، وأضناه الوجد والهيام ، ولم يجد سبيلا الى الحصول على تلك الجارية ، لشـدة اعجاب سيدها بجمالها وذكائها وغنائها . دخل على أخيه المأمون ذات ليلة وقال له : ان هذه الليلة من ليالى الشـتاء الطويلة وفى مثلها يحلو السهر وسماع الاصوات الجميلة . وقد سمعنا كل المغنيات اللائى عندنا ، فما قولك فى أن نمضى ليلتنا فى سماع المغنيات عند غيرنا ؟

فاستحسن المأمون رأى أبى عيسى ، وخرج معه فركبا زورقا له اسمه الطيار ، ولم يزل يسير بهما فى نهر دجلة ، وهما جالسان يتفرجان على مايمران به من مناظر القصور المتلألئة بالانوار ، ويطربان مما ينبعث منها من رنات الاوتار الى أن صارا فى محاذاة قصر حميد الطوسى ، فاوقفا الزورق عند مدخله من جهة النهر ، ثم دخلا وسارا حتى وصـلا الى مجلس معقود ، تجاوبت فيه انغام الناى والعود ، مع رنين كؤوس ابنة العنقود ، ومدت موائد الطعام من مختلف

الالوان ، وعبق المكان بعبير الورد والريحان . فنهض الجميع لاستقبالهما ، وبالغوا فى الترحيب بهما . ولكن أبا عيسي لم يكن يريد الا مجلس على بن هشام ، لعله يسعد برؤية قرة العين ، ويخفف مايشكوه من آلام البين . وعلى هذا قال لاخيه المأمون بعد قليل : لو اننا توجهنا الى قصر ابن هشام ، لطاب لنا هناك المقام . فقال المأمون : هيا بنا اليه ثم قام ومشى ابو عيسي بين يديه ، الى أن ركبا الزورق ومضيا فيه الى قصر ابن هشام ، وكان قصرا لم ير الراءون أحسن منه ، كل أرضه وجدرانه وأعمدته من الرخام ، وقد زينت بالزخارف العربية والفارسية والرومية ،وفرش بالابسطة الثمينة الفاخرة ، وامتلا بالتحف الغالية النادرة . وما كاد الزورق يقترب من الباب ، حتى عرفهما بعض الحجاب فأخبروا مولاهما ، فهرع اليهما واحسن استقبالهما . ثم مضى بهما الى مجلس فيه أكثر من مائة خوان ، عليها من الطعام أشهى الالوان ، ومن الشراب ماينعش الارواح والابدان ومن حولها الجوارى والغلمان ، كالحور والولدان فى الجنان ، وقد دارت بنت الحان ، فى كؤوس من الذهب الرنان ،زينت باليواقيت والمرجان . وعلى الجدران تصاوير بديعة الالوان لفرسان واسود وغزلان ، وطيور على الاغصان ، فجلس المأمون وأخوه يأكلان ويشربان . وكان من بين الطعام مائة لون من لحوم الطير الشهية ، بين مشوية ومقلية ، ومائة لون من الفواكه . أما الشراب فكان بعضه من عصير الاعناب وبعضه من عصير التمر المستطاب ، وغيرهما مما لذ وطاب وفاق الشهد المذاب ، وكاد للطافته أن يخفى فى الاكواب !

ثم قال على بن هشام للخليفة : هل يسمح مولانا الآن ، بسماع ما تيسر من الالحان ؟. فقال المأمون : حبا وكرامة فأشار ابن هشام الى بعض غلمانه اشارة خفية ، فقاموا وغابوا قليلا ثم رجعوا ومعهم عشرة مقاعد ذهبية ، ومن خلفهم عشر من الجوارى بالملابس الرومية والفارسية ،

وقد ازدانت نحورهن ومعاصمهن بالحلى الذهبية واللآلىء النقية ، وكل منهن لها قامة سمهرية ، وطلعة قمرية بهية ثم جلس الجوارى واخذن فى العزف والغناء ، بينما المأمون وأخوه والحاضرون جميعا يتمايلون من فرط الطرب والانتشاء

ثم نظر الخليفة الى جارية منهن اسمها سجاح ، وطلب منها أن تغنى لحنا ، فغنت هذه الابيات ، بلحن بديع النغمات :

اقبلت أمشى على خوف مخالسة
مشى الغزال راى شبلين قد وردا
سيفى خضوعى ، ورمحى ما اكابده
من حر شوق بقلبى اشتد واتقدا
حتى دخلت على هيفاء غانيـــة
ياليت ليلتنا دامت لنـــا أبدا .!

فقال لها المأمون : أحسنت يا سجاح ، فلمن الشـــعر واللحن ؟. فقالت : الشعر لعمرو بن معديكرب الزبيدى ، والغناء لمعبد

وبعد ذلك ، انصرفت سجاح وصاحباتها ، وجاءت عشر مغنيات اخريات ، ملابسهن من الحرير الاخضر . فاذا هن ابدع جمالا ، وأفتن دلالا . ثم عزفن وغنين ، فأمتن واحيين وانسين المأمون والحاضرين كل مافات ، من روائع الالحان والنغمات . وكانت رئيستهن اسمها ظبية ، فقال لهـــا المأمون : غنى لنا لحنا يافاتنة الظباء . فغنت تقول :

حـــور حـــرائر ماهممن بريبـــة
كظباء مكة صـــيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام غوانيـــا
ويصدهن عن الخنا الاسلام

فقال لها المأمون : لك درك ياظبية ، لمن الشعر واللحن ؟. فقالت : الشعر لجرير ، والغناء لابن سريج ، ثم انصرفت

ومعها صاحباتها ، وجاءت بعدهن عشر جوار اخر كأنهن اليواقيت ، وملابسهن من الديباج الاحمر . وجمالهن أبهى وأبهر . فغنين ابدع الالحان ، واتين من حسن الصنعة وعذوبة الصوت بما فاق كل حسبان ، ثم التفت المأمون الى رئيستهن واسمها فاتن ، وقال لها : اسمعينا لحنا فاتنا مثلك ، فانشدت تقول ، بصوت يخلب القلوب والعقول :

انعم بوصلك لى فهذا وقته
يكفى من الهجران ماقد ذقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبرى فرقته
انفقت عمرى فى هواك وليتنى
القى ولو بعض الذى أملته

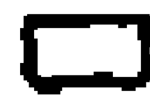
فقال لها : احسنت كل الاحسان ، فلمن هذه الابيات ، ومن الذى لحنها ؟ . فقالت : الابيات لعدى بن زيد ، واللحن نسجته على منوال الطريقة القديمة

ثم انصرفت فاتن ومن معها من الجوارى المغنيات ،وحلت محلهن عشر أخريات ، فأطربن بالنغمات ، وكن مرتديات ثيابا كسرويات ، وقد تفوقن على السابقات ، بكمال الصفات وحلاوة الاصوات واللفتات والاشارات . واعجب المأمون خاصة بجارية صغيرة بينهن ، فسألها : ما أسمك ؟ . فقالت : اسمى رشا يا أمير المؤمنين . فقال لها : اسمعينا لحنا مما تحفظين . فأنشدت تقول :

واحور كالغصن لما انثنى
ومال ، وكالظبى لما رنا
شربت المدامة من خده
وذقت من الثمر المجتنى
وكنا وكان الهوى بيننا
سميعا مطيعا ونلنا المنى

فطرب المأمون طربا شديدا ، وقال لها : زيدينـــا بالله يارشا . فغنت تقول :

وقفت ترقب النجوم مهـــاة
تخجل البـــــدر بالجبين المنير
وعليهـــا من الحـــرير قميص
فوق جسم بدا كورد نضـــير



ولما أنتهت رشا من غنائها كان الليل قد أدبر ، والصبح قد أسفر ، فتهيأ المأمون للانصراف مكتفيا بما رأى وسمع ، ولكن أخاه اشار اليه ان ينتظر ، وقال لعلى بن هشام : ان الخليفة يسره أن يسمع لحنا من قرة العين . فقال له : حبا وكرامة . وأمر احدى الجوارى الحاضرات ، باستدعاء قرة العين . فقامت وغابت قليلا داخل القصر ، ثم رجعت ومعها جارية كأنها قضيب بان ، لها عينان فتانتان ، وحاجبان كأنهما قوسان ، وعلى رأسها تاج من الذهب الاحمر ، مرصع بالدر والجوهر ، وتحته عصابة مكتوب عليها بالزبرجد :

جنية ، ولهـــــا جن تعلمهـــا
رمى القلوب بقوس مالها وتر

وماكاد المأمون يراها ، حتى بهره جمالها وبهاها ، ثم التفت الى أخيه ابى عيسى فوجده قد اصفر وجهه وتغيرت حاله فقال له : مابك ياأخى ، وهل كنت تعرف هذه الجارية من قبل ؟. فأن وبكى ، وحن واشتكى ، وقال : نعم يا امير المؤمنين ، انى بها لمن المغرمين . ثم جلست قرة العين وعزفت على العود ، فتحرك من الطرب حتى الحجر الجامود ، وانشدت بعد ذلك بصوت خلاب يأخذ بالالباب :

رحل الأحبـــــــة عنك بالأدلاج
وغدوا بعيـــدا منك رهن فجاج

قد كان عيشك مثل شهد بينهم
ففدا كملح بعــــد ذاك أجاج

فطرب الخليفة طربا شديدا ، وسألها : لمن الشعر واللحن يا قرة العين ؟ فقالت : ان الشعر يا أمير المؤمنين لدعبل الخزاعي . أما اللحن فهو لزرزور الصغير . ثم عزفت وغنت هذه الابيات :

اذا كنت ترضيه ويرضيك صاحبا
جهارا ، فكن فى الغيب أحفظ للود

ولا تصــغ يوما للوشاة فقلمـــــا
يبلغك الواشون الا من الحقــــد

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

وقد زعمـــــوا أن المحب اذا دنا
يمل وأن البعد يشفى من الصـــد

بكل تداوينـــــا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعــد

على أن قرب الدار ليس بنــــافع
اذا كان من تهــواه ليس بذى ود

فلما فرغت من انشادها ، قال أبو عيسى لأخيه المأمون : اتأذن لى فى الرد عليها يا أمير المؤمنين ؟ فأذن له فى ذلك . فقال أبو عيسى :

ســـــكت ولم أقل أنى محب
وأخفيت المحبـــــة فى الضـــمير

فان ظهــــــر الهوى فى دمع عينى
فمــــالى غير دمعى من ســــمير

فلما سمعت قرة العين كلامه ، وحققت وجده بهــــا وهيامه ، عزفت على العود ، وغنت هذه الابيات :

لو كان ما تدعيـــه حقـــا
لمــــــا تعللت بالأماني
ولا تصبرت عن فتـــــاة
بديعة الحسن والمعـــاني
لــكن دعواك ليس منهـــا
شيء سوى القول باللســـان

فجعل أبو عيسى يبكى وينتحب ، ويتوجع ويضطرب ، ثم صعد الزفرات وهو يبادلها النظرات ، وأنشــد هذه الابيات :

تحت ثيابى جســــد ناحل
وفى فؤادى شغل شـــاغل
ولى فـــــؤاد داؤه دائم
ومقــــلة دمعهـــا هاطل
وكلمـــا ســـالمنى عاذر
قام للومى فى الهـــوى عاذل
يا رب لا أقوى عــلى كل ذا
موت والا فــرج عاجـــل

ثم رمى أبو عيسى نفسه على هشام بن على ، واخذ يقبله ويبكى . فقال له هشام : أبشر يا سيدى بنيـــل المرام ، وما دمت أنت وقرة العين ، قد صرتما عاشقين ، فأنا أشهد الله وأمير المؤمنين ، وجميع الحاضرين ، على أنى وهبتها لك . فشكره أبو عيسى والمأمون على اريحيته ، وانصرفا ومعهما الجارية قرة العين . وبقيت عند ابى عيسى فى سعادة وسرور ، الى ان وافاهما القدر المقدور ، فانتقلا الى القبور بعد القصور ، والى الله ترجع الامور

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الرشيد وأبو نواس

الليلة الثامنة والستون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هرون الرشيد ، أرق في ذات ليلة ، وشعر بقلق شديد . فقام يتمشى في جوانب قصره ، ليسرى عن نفسه . وفيما هو كذلك لقى جارية له كان معجبا بجمالها ودلالها وذكائها ، ولاحظ عليها انها تتمايل من شدة سكرها . ولما استوقفها ليتحدث معها ، حاولت الفرار منه الى مقصورتها ، فلحق بها وجذب رداءها من خلفها ، فسقط عن منكبيها ، وانحل ازارها . فبدا ما كان يغطيه من جسمها . فاشتد افتتانه بها ، وأراد أن يصحبها الى مقصورتها ، فاعتذرت من عدم استطاعتها تلبية طلبه في هذه الليلة ، وقالت له : في الصباح أكون في حالة أصلح لمجالسة أمير المؤمنين ومؤانسته

وبقى الرشيد مشغول البال بأمر هذه الجارية الى أن طلع النهار ، فأرسل اليها يذكرها بوعدها اياه ، فردت عليه برسالة تلطفت فيها في الاعتذار ، وختمتها مداعبة اياه بقولها : « كلام الليل يمحوه النهار » . فلما قرأ رسالتها ، ازداد شوقا اليها واعجابا بفطنتها ، وسأل عمن بالباب من الشعراء ، ثم أذن لهم في المثول بين يديه ، وقال لهم : انشدوني شعرا يكون فيه «كلام الليل يمحوه النهار»

فتقدم الرقاشي الشاعر وأنشد هذه الابيات :

أما والله لو تدرين وجـــدى
لما وسعتك فى بغــــداد دار
وكيف أطيق عنك اليوم صبرا
وليس لمهجتى عنــك اصطبار
كفى عـــذرا بقولك فى دلال
« كلام الليل يمحوه النهار »

فقال له الرشيد ، أجدت وأمر له ببدرة من الذهب ، ثم تقدم دعبل الخزاعى ، فأنشد هذه الابيات :

متى تصحو وقلبك مستطار
وقد منع القــرار فلا قرار
لقد تركتك صـــبا مستهاما
فتـــــاة لا تزور ولا تزار
اذا وعدتك صـدت ثم قالت
« كلام الليل يمحوه النهار »

فقال له الرشيد : أجدت وأحسنت ، وأمر له ببدرتين من الذهب . ثم تقدم أبو نواس فقبل الارض بين يدى الخليفة وقال : هل يأذن لى مولاى فى أن انشد ما أوحى به شيطان شعرى فى هذا المعنى ، من الوزن والقافيه . فأذن له فى ذلك . وأنشد أبو نواس يقول :

تمادى الهجـر وانقطع المزار
وجاهرنا فلم يغن الجهـــار
وليلة أقبلت فى القصر سكرى
ولـكن زين الســـكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها
من التخميش وانحـل الازار
فأسفر عن رياض يانعـــات
على أغصـــانها دنت الثمـــار

فقلت لها : ألا وصل فيرجى ؟
فقالت : فى غـــد يحلو المزار

وجاء غد، فقلت: الوعد؟ قالت
« كلام الليل يمحوه النهار »

فلما سمع الرشيد هذه الابيات من أبى نواس ، قال له : قاتلك الله ! لا بد أنك كنت معنا فى تلك الساعة ، وماجزاؤك على هذا الا ضرب عنقك ، لتكون عبرة لغيرك . فقال له أبو نواس : والله يا أمير المؤمنين ، ما فارقت بيتى طول تلك الليلة ، ولكن شيطان شعرى هو الذى أوحى الى بما قلت . وقد قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز : «والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون »

فضحك الرشيد ، وعفا عنه ، وأمر له بجائزة مضاعفة



عائشة بنت طلحة ومصعب

ثم قالت شهرزاد للملك شـــــهريار : يحكى أيها الملك السعيد أن أبا الأسود الدؤلى واضع علم النحو ، اشترى جارية ، فى عينيها حول، فلما قدمها لأهله ، أخذوا يعيرونها بذلك الحول ، ويعدونه عيبا فيها . ووجدها مرة وهى تبكى لهذا السبب ، فطيب خاطرها ، وأنشــد فى وصفها قائلا :

يعيبونها عندى ولا عيب عنـــدها
سوى أن فى العينـــين بعض المآثر
فان نظرت يوما لعيب أمامهـــــا
ثنت عنـــه عينيها بنيـــة عاذر

ومما يحكى أن مصعب بن الزبير بن العوام ، سمع يوما جارية عنده تنشد هذين البيتين :

نعم ، ثغرها دائمـــا يشتهى
لذيذ المقبــــــل ، والمبتسم
وما ذقتـــــه غـــير ظن به
وبالظن حينا يقـــول الحكم

فقال لها : من قائل هذا الشعر ، وفيمن قاله ؟ فقالت لست أدرى قائله ، ولكنى أحفظه من عهد بعيد ، وقد أذكرنى به الآن ، أنى سمعت بعض الجوارى يتحدثن عن جمال عائشة بنت طلحة ، فقال لها : أهى من الحسن بحيث

ينطبق عليها هذا الوصف ؟ فقالت : بل هى أجمل واكمل. وان وجهها لأضوأ من الصبح اذا تنفس ، وشعرها أحلك من الليل اذا عسعس ، ولها عينان نجلاوان ، فوقهما حاجبان كأنهما قوسان ، وتحتهما خدان أسيلان ، يتوسطهما أنف أقنى واضح الاتزان ؛ وفم جمع بين اللؤلؤ والمرجان ، أما عنقها فهل رأيت ابريقا من الفضة النقية ، وأما صدرها فهل رأيت الروضة الجنية ، وقد أينعت ثمارها الشهية ؟ ثم لها من دون ذلك فخذان ملفوفان ، وساقان مستويتان، وهى فوق ذلك كله فصيحة الكلمات ، مليحة الاشارات واللفتات

فقال لها مصعب : حسبك وصفا ، فقد زدتنى بها شغفا . ثم سعى حتى تزوج عائشة فكانت قرة لعينه ، وفرحة لقلبه ، الى أن توفاه الله



اللص القديم واللص الجديد

ثم قالت شهر زاد للملك شهريار : يحكى أيها الملك السعيد أن رجلا من كبار اللصوص أدركته رحمة الله فتاب وأناب، وفتح لنفسه متجرا يبيع فيه الاقمشة ، فأقبل الناس على متجره ، ولم يمض الا قليل حتى صار من كبار التجار

واتفق أن أحد اللصوص المحتالين ، مر على ذلك المتجر يوما ، ولم يكن يعرف شيئا عن ماضى صاحبه ، فحدثته نفسه بالاستيلاء على بعض ما فيه ، وانتظر الى أن أغلق الرجل متجره فى المساء منصرفا الى بيته . ثم توجه هو الى المتجر بعد أن تزيى بزى صاحبه ، ففتح أبوابه ، ونادى حارس السوق وقال له : خذ هذه الشمعة وأشعلها لى لأن عندى حسابا أريد أن أنجزه . فلما أشعل الحارس الشمعة ورجع بها اليه ، وجده جالسا فى المتجر ودفتر الحساب فى يده ، فأعطاه الشمعة وهم بالانصراف . ولكن اللص استوقفه وأعطاه درهمين ، وقال له : أتمم جميلك معى وادع لى جمالا لينقل على جمله الآن بعض الاقمشة الى تاجر اشتراها ويريد السفر الليلة فى سفينته . فأخذ الحارس الدرهمين شاكرا ، وغاب عنه قليلا ، ثم رجع اليه ومعه الجمال المطلوب والجمل . وبقى هنـــــاك متطوعا بالمساعدة اللازمة حتى مضى الجمل بحمله ، وأغلق اللص المتجر كما كان ، فودعه الحارس بكل احترام ، وهو معتقد أنه صاحب المتجر !



«فلما أشعل الحارس الشمعة ورجع بها اليه ،
وجده جالسا فى المتجر ودفتر الحساب فى يده »

وفى صباح اليوم التالى ، رجع اللص القديم التائب الى متجره ، وتفقد صناديق الاقمشة فوجدها نقصت أربعة صناديق ، ووجد آثار الشمعة بالقرب من دفتر الحساب ، فتعجب من ذلك ، ثم دعا الحارس وسأله : كيف غفلت عن حراسة المتجر بالليل ؟ فقال له الحارس : اننى لم اغفل حراسته ، وقد بقيت بجانبه حتى الصبح منذ انصرفت أنت عقب ذهاب الجمل بما حمل !

واشتد عجب صاحب المتجر ، مما سمعه من الحارس ، ولم يزل يسأله ويتلطف معه فى الحديث حتى وقف منه على كل ما وقع فى الليلة الماضية ، وأدرك أن الحارس المسكين جازت عليه حيلة اللص الذى سرق الاقمشة ، فتركه يأخذها بل ساعده على ذلك وهو لا يدرى حقيقة أمره . ثم سأله : هل تعرف الجمال الذى جئتنى به أمس؟ فقال الحارس : نعم أعرفه . فطلب منه أن يدعوه اليه . ولما جاء الجمال ، طلب منه أن يدله على السفينة التى نقل الأقمشة اليها على جمله ، فدله عليها . ولكنه لم يجد الأقمشة فيها ، وعلم من صاحبها أن التاجر الذى جاء بالأقمشة ما لبث قليلا حتى عدل عن رغبته فى السفر ، وأرجعها الى مخازنه على جمل آخر !

فلما سمع التاجر اللص القديم كلام صاحب السفينة ، طلب منه أن يدله على الجمال الذى نقل الأقمشة من سفينته ، فدله عليه . ثم استطاع بواسطة هذا الجمال أن يصل الى المخازن التى وضع اللص فيها الاقمشة . ولم يكن اللص موجودا هناك فى ذلك الوقت ، وعلم من جيرانه أنه ذهب لاحضار جمل ينقل عليه بعض الاقمشة . فادعى أنه الجمال الذى اتفق معه على نقل الاقمشة . وطلب من الجمال الذى معه أن يحضر جمله فى أسرع وقت ممكن ، وأعطاه درهمين زيادة على الاجر المماثل لما أخذه

على نقل الاقمشة من السفينة الى المخازن . ولم تمض ساعة حتى كانت الاقمشة المسروقة قد أعيدت الى مكانها الاول فى متجر صاحبها اللص التائب ، ومعها ثوب كان اللص الذى سرقها قد تركه فوقها فى مخازنه الى أن يعود بالجمل لنقلها من جديد !

وفيما هو جالس فى المتجر، وعنده بعض العلماء يشترون منه أقمشة ، دخل عليه شاب لا يعرفه ، وبعد أن سلم عليه بأدب واحترام ، قال له : هل عندك ثوب تبيعه لى ، فعرض عليه الثوب الذى وجده فوق الاقمشة المسروقة التى استردها . فأخذ الشاب يتفرج على الثوب ، ثم ارتداه ليجربه على جسمه . وقال لصاحب المتجر : انى ياسيدى شاب فقير مسكين ، وفى حاجة الى هذا الثوب المناسب لجسمى ، ولا أريد منك الا أن تبيعه لى من غير ربح . وأنا اعرف ثمنه عليك ، ولهذا أرجو أن تسمح لى بأن آخذه وانصرف الآن بسلام

فضحك التاجر اللص القديم ، اذ أدرك أن الشاب هو اللص الذى سرق الأقمشة ، وتركه يأخذ ثوبه وينصرف كما أراد !

جعفر البرمكى وابن القاربى

ثم قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى أيهـــا الملك السعيد ، أن الخليفة هرون الرشيد ، أصـبح ذات يوم منقبض الصدر ، حزين النفس ، وفيما هو مشغول البال، بهذه الحال ، اذ حانت منه التفاتة الى مسرور السـياف الواقف بين يديه ، فرآه يغالب الضحك . فاشتد غضبه عليه وقال له : أأنت مجنون أم تضحك استخفافا بى ؟ فقال له مسرور : لا والله ما ضحكت باختيــارى ، ولكنى تذكرت الآن منظر ابن القاربى أمس والناس يضحكون منه على شاطىء دجلة ، فلم أقدر أن أكتم ضحكى ! وأنا لذلك أطلب عفوك يا أمير المؤمنين

فلما سمع الرشيد كلامه ، قال له : اخرج الســاعة فأحضر ابن القاربى الى هنا . فلعله يستطيع أن يضحكنى ويزيل قلقى . فقال : سمعا وطاعة . وخـرج مسرعا . وما لبث قليلا حتى رجع ومعه ابن القاربى . وقبــل أن يدخله على الخليفة اشترط عليه أن يعطيــه ثلاثة أرباع المكافأة التى يحصل عليها ، وحاول ابن القاربى أن يعدل هذا الشرط بأن يأخذ كل منهما نصف المكافأة ، فلم يقبل مسرور أى تعديل . وعلى هذا دخل على الرشيد عابس الوجه حانقا على ذلك الطمع . وما كاد الرشيد يراه هكذا حتى زاد قلقا على قلقه ، وقال له : ان أضحكتنى فلك جائزة حسنة ، وان لم تستطع ذلك فانى أضربك بهذا الجراب

الذى معى اربع مرات . فقال له ابن القاربى : حبا وكرامة يا امير المؤمنين !

ثم اخذ يحاول اضحاك الرشـيد بما يتقن من حركات واشارات وحكايات وغير ذلك ، الى أن مضت ساعة كاملة وادركه التعب ، وتصبب عرقه ، وتملكه الخجل والخوف من العقاب لفشله فى مهمته . أما ألرشـيد فانه لما رآه كذلك اشتد غضبه وغيظه ، وقال له : الآن أنفذ الشرط الذى اتفقنا عليه . ثم رفع يده بالجراب ليضربه . فقال ابن القاربى لنفسه : ان العدل يقضى بأن يكون ربع الضرب فقط من نصيبى ، وثلاثة ارباعه من نصيب مسرور . وفيما هو يفكر فى هذا ، ويعزى نفسه بأن الجراب فارغ ولن يؤلمه الضرب به ، اذا بالرشيد ينهض واقفا ، ثم يهوى على راسهبضربة كادت تقتله، لأنالجراب كان محشوا بالحجارة. فلم يسع ابن القاربى الا أن صرخ من شدة الألم . ولما رأى الخليفة يرفع يده بالجراب ليتم الضربات الأربع المتفق عليها ، صاح قائلا : مهلا يا امير المؤمنين. انى قد استوفيت حقى كاملا من العقاب . فقال له الرشيد : أنا لم أضربك الا ضربة واحدة فقط ، وقد أتفقنا على أربع ضربات . فقال ابن القاربى : نعم يا أمير المؤمنين انت لم تضربنى الا ضربة واحدة ، ولكن الضربات الثلاث الباقيات ليست مننصيبى ولا أستحق اى شىء منها ، وأنا أقسم بالله رب العالمين ، وبحق قرابتك من سيد المرسلين ، انى حاولت أن يكون لى نصف ما أنال منك ، ولكن شريكى لم يقبل وأصر على أن يكون لى الربع فقط ، ويكون له هو ثلاثة أرباع ما تأمر لى به !

فلما سمع الرشيد كلامه ، تعجب غاية العجب وسأله : اى شريك تعنى ؟ .. فأشار ابن القـاربى الى مسرور

السياف الواقف بجانبهما وقال للرشيد : هذا هو شريكى يا أمير المؤمنين . ثم روى له كيف اتفق معه مسرور قبل أن يدخله عنده على أن يأخذ لنفسه ثلاثة أرباع المكافأة التى يحصل عليها . ونظر الرشيد الى مسرور فاذا هو قد اصفر وجهه من الخوف وأطرق خجلا . فلم يسعه الا أن ضحك لهذه المفارقة . ثم رفع الجراب بيده وأهوى به على رأس مسرور ، فصرخ من شدة الالم وقال للرشيد : يكفينى من المكافأة يا أمير المؤمنين ، وقد تنازلت عن بقية نصيبى لهذا الرجل المسكين ! فضحك الرشيد مرة أخرى. ثم عفا عنهما ، وأمر لكل منهما بألف دينار !

الرشيد وغلامه الزاهد

ثم قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى أيهـــا الملك السعيد ، أن الخليفة هرون الرشيد ، كان له غلام باهر الجمال ، كريم الخلال ، أمين على العرض والمال . وقـد أحبه منذ صغره ، وجعل له مكانة عظيمة فى قصره . ولما بلغ هذا الغلام السادسة عشرة من عمره ، أخذ يفـكر فى عاقبة أمره ، ثم انتهى به التفكير الى اعتزال العالم بأسره . فسلك طريق الزهاد ، وهام على وجهه فى الجبال والوهاد ، ثم اتخذ لنفسه سكنا بين القبور ، وبقى هنالك حينا لا يزار ولا يزور !

وعهد الرشيد الى بعض الوزراء والعلماء والاطباء ، فى علاج غلامه مما قد يكون به من الداء . ولكنهم جميعـــا بلا استثناء ، عجزوا عن الاهتداء الى أى دواء . فلم يسع الرشيد الا أن ذهب بنفسه الى المقابر حيث قابل الغلام ، وبعد أن تبادلا التحية والسلام ، قال له : حسبك ياولدى ما بلغت من هذا الامر ، وتعال معى الى مسكنك فى القصر . فأعرض الغلام ، عن سماع هذا الكلام . وبعد أن أطرق حينا رفع رأسه ، وقال وكأنه يحدث نفسه :

تروعنى المقـــــابر كل وقت
ويفزعنى بكاء النائحـــــات
وكم تحت التراب ثوى أناس
فما انتفعوا بغير الصـالحات

ثم أخذ فى البكاء ، وشغل عن الرشيد بالتضرع والدعاء .

وفيما هما كذلك اذا بطائر يهبط من السماء ويقف على كتف الغلام ، ثم يقرب منقاره من أذنه كأنما يسر اليه ببعض الكلام . ثم حلق الطائر فى الفضاء ، واختفى راجعا من حيث جاء . وعلى اثر ذلك التفت الغلام الى الرشيد ، وقال له : لقد قرب البعيد ، والسعيد السعيد ، من لقى ربه بعمل حميد . فهو سبحانه ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد . وويل لكل جبار عنيد ، يوم تقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . ثم تدثر بالجبة الصوفية الخشنة التى يرتديها ، وأخذ جسمه يرتعد ، بينما عيناه تسكبان العبرات ، ولسانه يتمتم بدعوات خافتات . فقطع الرشيد أمله فى رجوعه معه ، ورجع وحده الى قصره وهو يكفكف أدمعه ، ومهجته متقطعة

وفى اليوم التالى ، علم الرشيد أن الغلام غادر مكانه فى تلك المقبرة ، وسافر ماشيا الى البصرة . فأرسل يستقصى عن حاله فيها ، فعلم أنه ترك حياة العزلة والوحدة ، واحترف صناعة البناء هناك ، وأنه يشترط أن يكون أجره فى اليوم درهما ودانقا لا غير ، ومن عادته أن يتصدق بالدرهم ويقنع بانفاق الدانق فى لقيمات يقيم بهما أوده ويتقوى بها على العمل والعبادة . ثم انقطعت بعد ذلك أخبار الغلام ، ولم يعد أحد يدرى أين استقر به المقام !

ومضت على ذلك أيام ، والرشيد مشغول البال بأمر ذلك الغلام . وفيما هو جالس فى الديوان ، ومن حوله الوزراء والعلماء والاعوان ، جاءه أحد الحجاب ، وقال : ان رجلا من البصرة بالباب ، وهو يستأذن فى مقابلة أمير المؤمنين ليسلمه بيده رسالة من أحد البصريين . فأذن له الرشيد فى الدخول عليه . ولما رآه ماثلا بين يديه ، قال له : أين الرسالة التى معك ، ومن الذى أرسلها ؟ فأخرج الرجل ياقوتة ثمينة تساوى آلافا من الدنانير وسلمها للرشيد قائلا : هذه أمانة حملنى اياها اليك شاب صالح كان يعمل

بناء عندى فى البصرة ، وقد توفى الى رحمة الله !
فلما سمع الرشيد كلام البصرى، وفحص تلك الياقوتة ، بكى بكاء شديدا ، ثم قال : لا حول ولا قوة الا بالله ، انا لله وانا اليه راجعون . والتفت الى الرجل البصرى وقال له : اخبرنى بكل ما تعلمه عن هذا الشاب المسكين
فقال البصرى : والله يا أمير المؤمنين ، ما رأيت فى حياتى مثله فى صلاحه وتقواه . وقد كان فى دارى جدار تداعى للسقوط ، فخرجت ابحث عن بناء يقوم باصلاحه ، واذا بذلك الشاب يستوقفنى ويقول لى : اذا قبلت شرطى ، فأنا أصلح لك جدار بيتك . فعجبت من علمه بذلك ، وسألته : ما شرطك ؟ فقال : شرطى أن يكون أجرى فى اليوم درهما ودانقا ، وأن أجمع بين العمل وعبادة الله . فقبلت شرطه راضيا ، واخذته الى دارى ، حيث أمضى عدة أيام ، أتم فيها بناء الجدار على ما يرام . وكان يصوم النهار ويقوم الليل ويتصدق كل يوم بدرهم ولا يبقى لنفسه غير الدانق . ولما انتهى من عمله حاولت أن اعطيه بعض الدراهم مكافأة له ، لكنه رفض اخذها ، وقال لى : ما عنـــد الله خير وأبقى . فعرضت عليه أن يقيم عندى ليعبد الله كما يشاء وأقوم بالانفاق عليه ابتغاء وجه الله . فضحك وقال لى : لا تصلح العبادة الا بالعمل . ولكن اذا جاء يوم الجمعة القـــادم ، فاقصد مقبرة المدينة ، وهناك عند مدخلها تجد خيمـة صغيرة تقيم بها احدى الفقيرات الصالحات . فاسألها عنى، واذا وجدتنى ميتا فتول تجهيزى ودفنى ، ثم فتش ثيابى فتجد ياقوتة كبيرة هى ملك لأمير المؤمنين هرون الرشيد ، وعليك أن تحملها اليه وتبلغه تحيتى ومعها هذه الابيات :

ان لاح نجم واعتـــراه أفول
فالكل الا وجهـــــه سيزول
يا ســـــائلا عما سيأتى فى غد
اعلم بانك فى غـــد مســـئول

وكما حملت الى القبور جنـــازة
اعلم بأنك مثلهـــــا محمـــول

قال البصري : ثم انصرف الشاب ، وانتظرت الى يوم الجمعة ، فتوجهت الى الخيمة التى وصفها ، وهناك وجدته راقدا على الارض بغير فراش أو غطاء ، وقد توسد حجرا من أحجار القبور . ولما فتح عينيه ورآنى ، قال لى : الحمد لله الذى أقدرنى على الوفاء بالوعد ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يعينك على أداء الامانة . ثم نطق بالشهادتين وشـــهق شهقة سكن بعدها جسمه سكون الموت . فقمت بتجهيزه ودفنه . ثم أخذت الياقوتة من ثيابه وجئت بهــا حسب وصيته !

فلما انتهى البصرى من قصته ، بكى الرشيد مرة أخرى، ثم أنشد يقول :

أبكى غريبـــا أتاه الموت منفردا
لم يلق الفا له يشكو الذى وجدا
من بعد عز وشمل كان مجتمعا
أضحى فريدا وحيدا لا يرى أحدا
يا غائبا ثبتت فى القلب صورته
يا ليت أنك عنـــدى دائما أبدا
ان أيأس الموت من لقياك ياولدى
فسوف ألقاك فى دار البقاء غــدا

ثم قال للبصرى : لا تبرح بغـــداد حتى أصحبك الى البصرة غدا لأزور قبره . وفى اليوم التالى سافر الرشيد مع البصرى الى بلده ، حيث زار قبر غلامه الزاهد وترحم عليه ووزع كثيرا من الصدقات على الفقراء هناك

أم عمرو والحمار !

ثم قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى أيهـــا الملك السعيد أن أحد الادباء الأذكياء قرأ يوما فى بعض الكتب أن طول معاشرة المعلمين للصـــبيان تضعف العقــل وتورث الحماقة . فأراد أن يحقق ذلك بنفسه ، وتوجه الى مكتب لتعليم الصبيان ، حيث قابل المعلم هناك ، فاذا هو شيخ حسن الهيئة ، ضاحك الثغر ، قوى البنية ، وعليه ثياب مليحة نظيفة . وقد أحسن الشيخ استقباله ، وبالغ فى اكرامه ، وأخذ يحدثه فى مختلف الشئون ، فاذا هو عالم لا يجارى ولا يبارى فى تفسير القرآن والحديث ، وفى علوم اللغة وفنون الشعر وغيرها . فقال الرجل لنفسه : هذا شيخ أمضى عشرات من السنين وهو يعلم الصبيان ، ومع ذلك لم أجد من هو أكثر علما وعقلا وأدبا منه . ثم استأذن فى الانصراف ، فودعه الشيخ المعلم أحسن توديع ، وأوصاه بألا يقطع زيارته ، فشكره على فضله وكرمه ، ووعد بأن يعود لزيارته بعد أيام

وتردد الرجل على المكتب بعد ذلك عدة مرات ، فكان فى كل مرة يزداد يقينا برجاحة عقل الشيخ المعلم ، وحسن رأيه ، الى أن توجه الى المكتب يوما لزيارته ، فوجد المكتب مغلقا ، وعلم من الجيران ان الشيخ معتكف فى بيته حزنا على قريبة له علم بوفاتها !

فلما سمع الرجل ذلك قال لنفسه : ينبغى أن أزوره فى بيته لاقوم بواجب العزاء . ثم أخذ طريقه الى بيت الشيخ

المعلم ، وطرق الباب ، ففتحته له جارية وقالت له : ان سيدى معتكف لايقابل أحدا ، فقال لها : انى فلان وقد جئت لاعزيه فى وفاة قريبته ، فاستأذنيه لى فى الدخول . فقالت : سـمعا وطاعة . ثم غابت قليلا ورجعت اليه فاصطحبته الى الغرفة التى اعتكف فيها سيدها . وهناك وجده جالسا يبكى والدموع تبلل لحيته . فجلس يعزيه ويواسيه ، ولكن الشيخ لم يكن يزداد الا حزنا وجزعا وانتحابا ، حتى كاد قلب زائره يتقطع ويذوب رثاء له واشفاقا عليه

ثم سأله الرجل بعد قليل : هل المتوفاة كانت زوجتك ياسيدى ؟ فقال الشيخ المعلم وهو يواصل البكاء : ليتها كانت زوجتى ، اذن لتعزيت بزواج غيرها !. فقال له : لعلها أختك ؟. فقال : لو كانت أختى ماحزنت لفقدها كل هذا الحزن !. فقال له : اذن هى ابنتك ؟. فاشتد بكاء الشيخ المعلم وقال له : ليتها كانت ابنتى ، ولم يكن لى أولاد غيرها !. فلما سمع الرجل ذلك من الشيخ المعلم ، تعجب غاية العجب ، وقال له : اذن ما القرابة التى بينك وبينها ؟. فقال الشيخ وهو يبكى : انها كانت حبيبتى !

فلما سمع الرجل من الشيخ المعلم أن المتوفاة حبيبته ، كاد يغمى عليه من شدة الدهشة . وقال لنفسه : يظهر أن ماقرأته فى الكتب عن حماقة معلمى الصبيان ، لم يكن الا صحيحا . ثم تمالك نفسه والتفت الى الشيخ وقال له : عظم الله أجرك فى حبيبتك وعوضك خيرا منها فى جمالها وكمالها . فقال له الشيخ : والله ياأخى أنا مارأيتها ولا عرفتها ، فلا أعرف هل يوجد أحسن منها أم لا !

فلما سمع الرجل ذلك منه ، اشـتد عجبه ، وقال لنفسه : هذه حماقة مابعدها حماقة ، كيف يحبها ويحزن عليها كل هذا الحزن وهو لايعرفها ؟. ثم سأله : هل تسمح

بأن توضح لي كيف كانت حبيبتك مع أنك لاتعرفها ؟.
فقال له الشيخ : نعم ياولدى العزيز ، لقد عشقتها على السماع ، اذ كنت جالسا امام المكتب فسمعت عابر سبيل يتغنى باسمها منشدا :

يا أم عمرو جزاك الله صالحة ردى على فؤادي أينما كانا

فلما سمعت شعره وانشاده ، تملكت الغيرة قلبي ، فقلت لنفسي : لابد أنني عشقت أم عمرو هذه ، والا ماغرت عليها . وفيما أنا أفكر في هذا الامر ، وقد كدت أفقد عقلي من شدة العشق والوجد ، مر بي عابر سبيل آخر ، فاذا به يتغنى منشدا :

اذا ذهب الحمار بأم عمـرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فأدركت من فوري أن أم عمرو حبيبتي قد ماتت وذهبت الى غير رجعة . ولم أستطع مغالبة حزني وجزعي ، فقمت وأغلقت المكتب بعد أن صرفت من كانوا فيه من الصبيان ، ثم جئت الى البيت فاعتكفت فيه لابكي عليها كمـا ترى . ولولا أنك عزيز عندي ما أطلعتك على مكنون قلبي !

المعلم الأمى وزوجة الغائب !

قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى أيها الملك السعيد ، أن رجلا لايعرف القراءة والكتابة ، لم يجد عملا يرتزق منه ، فخطر بباله ان يحتال لكسب العيش وفتح مكتبا لتعليم الصبيان ، علق على جدرانه كثيرا من الالواح والاوراق المكتوبة ، وصار يجلس أمامه واضعا على رأسه عمامة كبيرة ، ليعلمهم فى مكتبه . فكان يعهد الى كبارهم فى تعليم صغارهم ، ويكتفى هو بمراقبتهم والاشراف عليهم . وينفق على نفسه مما يحصل عليه من أهل هؤلاء وهؤلاء

وفى يوم من الايام ، جاء الى والدة أحد الصبيان الذين فى المكتب ، خطاب من زوجها الغائب فى سفر بعيد ، فأخذت الخطاب وتوجهت به الى المكتب ، وأعطته للمعلم كى يقرأه لها . فلما تسلم الخطاب منها ، تملكته الحيرة ، ووقع فى حرج شديد . ثم قال لنفسه : لو أننى كلفت أحد الصبيان أن يقرأ هذا الخطاب ، ماعذرتنى هذه المرأة ، وربما لا أسلم من الفضيحة ، فأفقد مكتبى وأعود للتعطل . وخير لى ان أتظاهر بقراءته ، وأخبرها بأى شىء من عندى والسلام . وعلى هذا فض الخطاب ، ثم أمسكه مقلوبا ، متظاهرا بأنه يقرأ مافيه . ومضت مدة وهو ساكت يكتفى بهز رأسه وتحريك شفتيه وحاجبيه أسفا ودهشة . فلما رأت المرأة ذلك ظنت أن زوجها مات فى غربته أو أصيب بمرض أو نكبة . فقالت للمعلم وهى تبكى : بالله عليك ياسيدى لاتكتم عنى شيئا ، واذا كان زوجى قد مات فأخبرنى بذلك حتى

اقوم بالواجب . فلما سمع كلامها ، قال لنفسه : لابد ان زوجها كان مريضا ، وأنها كانت تتوقع موته . ثم التفت اليها وقال لها : ياسيدتى أنا لاأريد أن أسمعك مثل هذا الخبر المؤلم . فلما سمعت كلامه ، أيقنت أن زوجها مات ، وخرجت من عنده وهى تلطم خديها وتنوح وتولول حزنا على زوجها . وما وصلت الى بيتها حتى اجتمع عندها الجيران لتعزيتها فى هذا المصاب ، الذى علمت به من ذلك الخطاب !

وكان زوجها قد أرسل مع خطابه اليها خطابا آخر الى احد أقربائه ، وفيه أنه فى خير صحة وسعادة ، وأنه فى طريق عودته الى بلده وأهله ، وسيصل بعد أيام معدودة . فلما سمع قريبه هذا بما جرى من زوجته ، تعجب غاية العجب ، وتوجه اليها وسألها : من الذى أخبرك بموت زوجك ؟ . فأخبرته بما كان من أمرها مع معلم المكتب ، وأطلعته على الخطاب الذى قرأه لها . فلما وقف على مافيه ، ضحك وقال لها : ان هذا الخطاب ليس فيه أى شىء عن موت زوجك أو مرضه ، بل هو الذى أرسله بنفسه ، كما ارسل لى خطابا مثله ، وفيه أنه بخير وعافية وسيكون عندنا هنا بعد أيام ، وقد حمل لك معه كثيرا من الملابس والاقمشة !

وعجبت الزوجة من هذا الامر كل العجب ، ثم كفت عن البكاء والعويل ، وفضت المأتم الذى أقامته لزوجها ، ثم توجهت مع قريبه الى معلم المكتب وقالت له : كيف أخبرتنى بموت زوجى مع انه حى سليم وليس فى خطابه الا أنه قادم الينا قريبا ومعه ملابس وأقمشة وغيرها ؟ . فلما سمع المعلم كلامها ، تملكه الخجل وانعقد لسانه ، وتصبب العرق من وجهه . ولكنه تمالك نفسه بعد قليل . وقال لها : اعذرينى ياسيدتى ، فانى لما رأيت الخطاب فيه أقمشة ، ورأيتك تبكين ، اعتقدت أن زوجك مات وكفنوه بتلك الاقمشة

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الملك وزوجة الفلاح

الليلة التاسعة والستون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن ملكا من الملوك ، خرج يوما وهو متنكر لتفقد أحوال رعيته ، ووصل الى قـرية عظيمة ، فدخلها وطرق باب دار فيها ليطلب قليلا من الماء يروى به عطشه . ففتحت له الباب امرأة رشيقة القوام ، وجهها كالبدر ليلةالتمام ، وردتعليهالسلام بأدبواحتشام. ثم جاءت له بالماء ، فى اناء بديع الرواء ، فشرب حتى ارتوى. ولكنه فى الوقت نفسه بنار حبها انكوى . فكشف لها عن شخصيته ، ثم صرح لها بما فى نيته

فلما سمعت المرأة كلامه ، وفهمت قصده ومرامه ، قالت لنفسها : لو أننى واجهته برفضى ، ومحافظتى على عرضى ، لم أسلم أنا وزوجى من شره ، لانه ملك حاكم بأمره . ثم دعته الى الدخول فى الدار ، وطلبت اليه الجلوس لِلانتظار ، ريثما تبدل ملابسها ، ثم ترجع لتؤانسه ويؤانسها . وأعطته كتابا ليتسلى بالاطلاع عليه ، الى أن ترجع اليه

وأخذ الملك يقرأ فى ذلك الكتاب ، فاذا به يبشر أصحاب العفة بجزيل الثواب ، وينذر الفساق بأشد العذاب . فتاب الى الله وأناب ، وندم على ماأقدم عليه ، وجرت الدموع من عينيه .. وما كادت ترجع اليه ، حتى نهض واقفا علىقدميه، واستأذن فى الانصراف من الدار ، وهو يكرر الشكروالاعتذار

ولما حضر زوجها بعد ذلك ، وأخبرته بما هنالك ، لم يصدق أن الملك بعد ان خلا بها فى الدار ، عدل عما اتخذه من قرار . فهجر زوجته ، وكشف لها بذلك نيته . ولم يزل يمعن فى هجرها ، حتى نفد كل صبرها ، ولم تجد فائدة من محاولاتها استرضاءه ، لان هذه المحاولات كانت تزيد غضبه واستياءه . فشكت الامر الى أهلها ، وأخبرتهم بقصتها مع الملك من أولها الى آخرها . فتوجه بعضهم اليه ، ولما مثلوا بين يديه ، احتالوا لقص حكاية زوجها عليه ، فقالوا له : ايها الملك العادل ، ان لنا قريبا استأجر منا أرضا ليزرعها ، وبعد أن زرعها عدة سنين ، تركها عنده بلا زراعة فان لم يكن يريد زرعها ، فليردها الينا

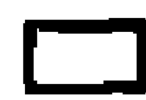
فلما سمع الملك كلامهم ، أدرك قصدهم ومرامهم ، وأرسل الى زوج قريبتهم وقال له : ما الذى منعك من زراعة الارض التى عندك ؟ . فقال له الزوج : بلغنى ان هذه الارض قد دخلها الاسد واتخذها عرينا له . ففهم الملك أنه يعنيه وقال له : ان الاسد ترك أرضك كما دخلها ، فارجع الى زراعتها ، مطمئنا الى طيب تربتها وحسن منبتها . وثق بأن الاسد لن يطمع فيها ، بل هو من الآن حارسها وحاميها . ثم أمر له ولاقارب زوجته بمكافأة حسنة ، فانصرفوا من عنده شاكرين فرحين

المغربى وفرخ الرخ !

ثم قالت شهر زاد للملك شهريار : هل سمعت بحكاية المغربى وفرخ الرخ ؟ فقال لها : لم أسمع بها ، فكيف كان ذلك ؟. فقالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن رجلا من أهل المغرب اسمه عبد الرحمن ، اشتهر بالسياحة فى مختلف البلدان . وكان يروى عجائب الحكايات ، عما شاهده خلال الاسفار والرحلات . ومن ذلك انه قال : خرجت مرة فى بعض الاسفار ، ولم أزل أقطع الوهاد والقفار ، وانتقل من بحار الى بحار ، وأتخلص من أخطار لاقع فى أخطار . الى أن ألقتنى الاقدار ، فى جزيرة نائية عن العمار ، ليس فيها آثار لديار ولا نافخ نار . ولكنها كانت حافلة بالاشجار ذات الثمار ، وبها أجناس كثيرة من الاطيار . فأقمت بها وحدى عدة شهور ، وأنا أقتات بالثمار ولحم الطيور . وفيما انا جالس على شاطىء البحر هناك ، أفكر فى صيد بعض الاسماك ، لمحت سفينة عابرة من بعيد ، فتملكنى فرح ماعليه من مزيد . وخلعت ثوبى وأخذت ألوح به فى الهواء ، وأتضرع الى الله بالدعاء ، الى أن لمحنى بعض من فى السفينة ، فأقبلوا نحوى وهم فى دهشة عظيمة . ولما وصلوا الى مكانى ، وجدت فيهم من يعرف لسانى ، فشرحت له حالى وشأنى ، فأخبر به بقية الركاب ، فأخذونى معهم مظهرين البشر والترحاب ، وصرت لهم من جملة الاصحاب

قال عبد الرحمن المغربى : ثم سارت السفينة بنا مدة من الزمان ، وحسبت انى صرت فى أمان ، وعما قريب أرجع

الى الاوطان ، وأنعم بقرب الاهل والخلان ، ولكن البحر مالبث ان هاج ، وارتفعت الامواج ، واستمرت العواصف تلعب بالسفينة المسكينة ، ونحن ندعو الله بقلوب والهة حزينة ، الى ان قذفتها الامواج الى جزيرة كبيرة ، فصعدنا اليها ، بعد أن ربطنا السفينة الى الشاطىء ، وحمدنا الله على سلامتنا



قال عبد الرحمن المغربى : وكان صعودنا الى تلك الجزيرة عند الفجر ، فلما طلعت الشمس أخذنا بعض الفؤوس والحبال ، لنقطع بعض غصون الاشجار ونجمعها لكى نشعلها لطهى ماتيسر من الطعام ، ولنتدفأ عليها من البرد الشديد الذى ينخر فى العظام . ولم نزل نتجول فى انحاء الجزيرة ، ونتفرج على مافيها من عجائب كثيرة ، الى ان وصلنا الى قبة عظيمة بيضاء ، فأخذنا ندور حولها ، باحثين عن بابها ، ولكننا لم نجد لها أى باب !. ثم أدركنا أخيرا أنها بيضة من بيض طائر الرخ العظيم الذى يحمل فى مخالبه فيلين عظيمين . وهذا الطائر تضع أنثاه بيضةواحدة كل سنة ولا تعود اليها الا حينما تفقس لتربى فرخها وتتعهده الى ان يتعلم الطيران ويصبح قادرا على اصطياد الافيال والاسود وغيرها لطعامه . ولما كنا تعرف أن لحمه وريشه فيه منافع عظيمة ، أخذنا فى كسر قشرة البيضة بالفؤوس التى معنا ، واستطعنا كسرها بعد تعب شديد لمدة ساعات . ولم يكن الفرخ الذى فى داخلهاقد تمت خلقته ، فاستطعنا ان نقطع من لحمه قدر قنطارين او ثلاثة قناطير ، كما قطعنا بعض الريش الصغير الذى بدأ ينبت فى جناحه ، لنعمل من قصباته ساريات للسفن ، ومن زغبه وسائد وحشيات للنوم والجلوس عليها . وحملنا ذلك كله الى السفينة ، ووضعناه فيها . ولما أردنا رفع مراسيها وفك

حبالها المربوطة بجذع الشجرة الملقى على الشاطىء ، اذا بهذا الجذع قطعة من قصبة كانت فى جناح لطائر من طيور الرخ ، فتعجبنا من ذلك غاية العجب . ونقلنا هذه القطعة أيضا الى السفينة ، ثم نشرنا قلوعها ، فجرت بنا فى ريح طيبة بقية النهار وطول الليل . وما كادت تطلع الشمس فى اليوم التالى ، حتى أظلم الجو فجأة ، ثم لمحنا سحابة عظيمة فى الجو ، وكلما اقتربت منا اشتد الهواء ولعب بالامواج فلعبت بسفينتنا ، الى ان تكشفت لنا تلك السحابة عن طائر الرخ العظيم ، وقد حلق فوقنا بجناحيه العظيمين ، وفى مخالبه صخرة عظيمة قدر الفيل يريد ان يلقيها على سفينتنا ، انتقاما منا لكسر بيضته وتقطيع فرخه . فسلمنا امرنا لله صاحب الامر ، اذ أيقن كل منا بالهلاك . ولم يمض قليل حتى ألقى طائر الرخ تلك الصخرة العظيمة وهو يصرخ بصوت كالرعد القاصف ، وكان من فضل الله علينا ، أنها وقعت فى البحر بالقرب منا ، فارتفعت الامواج حتى غطت سفينتنا ونحن فيها ، ولكنها عادت فانحسرت عنها ، بعد أن غرق بعضنا . ونظرنا فى الجو فاذا بطائر الرخ قد ابتعد راجعا من حيث جاء ، فتنفسنا الصعداء ، وحمدنا الله على نجاتنا من ذلك الخطر الشديد . ولم نزل بعد ذلك نواصل السير فى عرض البحر ، وقلوبنا ترتعد من شدة الخوف ، الى أن كتب الله لنا السلامة ، فوصلنا الى البر سالمين ، ثم افترقنا بعد ان اقتسمنا ماجئنا به من جزيرة الرخ ، فكان من نصيبى تلك القطعة من جناح الرخ ، وبعض اللحم الباقى من فرخه ، فرجعت بهما الى بلدى حيث تفرج اهلها على تلك القصبة وأكلوا معى من ذلك اللحم، فأكسبهم الصحة والشباب



« وحلق الطائر فوقنا بجناحيه العظيمين .. »

عدى بن زيد وبنت النعمان

قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى أيها الملك السعيد ، ان النعمانِ بن المنذر ملك الحيرة فى العراق ، كانت له ابنة اسمها هند ، وما بلغت الرابعة عشرة من عمرها ، حتى كانت اجمل الفتيات فى عصرها ، كما كانت أكملهن فى العقل والادب ، واشتهرت بذلك بين العرب وغير العرب

واتفق فى ذلك الزمان ، أن وفد على الملك النعمان ، رسول يحمل هدية اليه من كسرى انوشروان ، وهذا الرسول فتى عربى ، اسمه زيد بن عدى ، وهو مديد القامة ، عظيم الهامة . فصيح اللسان ، ثابت الجنان . جمع بين الملاحة والسماحةِ والفصاحة . وكانت لهند جارية اسمها مارية ، قد عشقته لطلعته البهية ، وشجاعته الجلية ، ويده السخية . فأخذت تحدث مولاتها عنه باسهاب ، وتطنب فى الثناء عليه كل الاطناب . ثم قالت لها يوما : انه سيخرج الآن ، للتسلى بمباراة بعض الفرسان ، وحبذا لو توجهنا للفرجة عليه فى الميدان ، لنرى كيف ينازل الاقران ، ومدى براعته فى النزال والطعان ، وملاقاة فرساننا الشجعان ، بالسيف والرمح والسنان . فاستحسنت هند رأى جاريتها ، وذهبت معها متنكرة الى الميدان عملا بمشورتها ، وهى لاتعلم شيئا عن قصدها ونيتها

وما كادت هند تراه ، حتى افتتنت باشراق محياه ، وخفق قلبها بهواه . ثم ازداد حبها اياه ، بعد أن عاينت شجاعته وبراعته ، وحققت ذكاءه وفصاحته . وكذلك

ماكاد هو يراها ، حتى سحرته عيناها ، فبادلها الاعجاب ، وانجذب قلبه اليها كل الانجذاب . ولما آن الاوان لانصرافه من الميدان ، بعد ان كسب الرهان ، أخذ يبحث عنها فلم يهتد اليها فى أى مكان ، ورجع الى دار الضيافة وقلبه يفيض بالاحزان ، وتلتهب فيه النيران . ثم زهدت نفسه فى الطعام والشراب والنوم ، ولم يزل كذلك طول اليوم ، واصبح فى اليوم التالى عليلا سقيما ، يحس نحو فاتنته شوقا عظيما ، ويجد لها فى قلبه غراما مقيما . لكنه لايعرف من تكون ، وكذلك كل من معه لايعرفون !

اما هند بنت النعمان ، فانها بعد انصرافها من الميدان ، قضت ليلتها ساهرة تفكر فى عدى بن زيد ، وما طلع النهار حتى اصطحبت جاريتها مارية وتوجهتا الى الميدان أملا فى رؤية عدى . ولكنه لم يحضر الى الميدان ، وتبين لهما انه اصبح عليلا ملازما للفراش ، فأصابهما لذلك حزن شـــديد ماعليه من مزيد . وما وصلتا الى قصر النعمان حيث تقيمان حتى لزمتا الفراش أيضا . ولم تزالا كذلك ثلاثة أيام ، حتى أضناهما السقام ، وشدة الوجد والغرام ؟

وفى اليوم الرابع ، قالت هند لجاريتها مارية : ما أرى أن شيئا غير اللقاء يصلح لعلاج مابنا ، فاحتالى لـكى يجتمع شملنا هنا فى قصرنا . فقالت لها مارية : سمعا وطاعة . ثم غادرت القصر فورا وتوجهت الى دار الضيافة حيث دخلت على عدى بن زيد فوجدته ينشد هذين البيتين :

ياخليلى زدتما تيســـــيرا عجلا نحو دار هند مســـيرا
واذكرانى أمامهـــــا فعساها فى هواها تشفى فؤادا كسيرا

وما كادت عيناه تريان مارية ، حتى نهض لاستقبالهـــا مرحبا ، وقال لها : كيف حال سيدتك ، ومن تكون ، وأين هى الآن ؟. فقالت له : ان سيدتى هى هند بنت النعمان ، واذا كنت تريد ان تتزوجها ، فما عليك الا ان تقابل والدها

وتخطبها منه ، فانه يشاورها فى هذا الامر ، وستقبل هى ذلك بسرور !

فلما سمع عدى بن زيد كلام الجارية ، تملكه الفرح ، وشكرها على هذه البشرى العظيمة ، واراد ان يمنحها عطية كبيرة من المال والجواهر ، فقالت له : ياسيدى ، اننى لاأريد منك اى جزاء سوى أن تأخذنى مع سيدتى هند بعد أن يتم زواجكما ، لاعيش معكما . فقال لها : حبا وكرامة

وفى صباح اليوم التالى توجه عدى بن زيد الى قصر النعمان ، حيث قابله وجلس عنده بعض الوقت ، يتحدثان فى مختلف الشئون . ثم أمر النعمان باعداد الطعام والشراب ، واكلا وشربا معا حتى شبعا وثملا ، ثم قال له عدى : أيها الملك العظيم الشأن ، ان لى حاجة عندك ، فهل أطلبها ؟. فقال له النعمان : اطلب ماتشاء ، وثق بأنى لاأرد لك اى طلب، ولو طلبت ملكى كله !. فقال له عدى بن زيد : ان حاجتى عندك هى ان تزوجنى بابنتك هند . فقال له النعمان : انى جعلت أمر زواجها بيدها ، وسأشاورها فى الامر الآن ، فاذا قبلت ذلك ، فانى أوافق مسرورا . ثم شاور ابنته فى الامر ، فوافقت فورا . وعلى ذلك وافق النعمان على زواج عدى بها . وأفرد لهما قصرا شاهقا ، أقاما به بعد ذلك ثلاث سنين وهما فى أرغد عيش وأهناه

واتفق بعد ذلك أن النعمان غضب على عدى بن زيد ، زوج ابنته هند ، وحاولت هى ان تصلح بينهما ، لكنها لم تستطع ، وانتهى الامر بأن قتله والدها ، فحزنت عليه حزنا شديدا ، ولم تطب الحياة لها من بعده ، فاعتزلت الناس فى دير كبير شيدته بجانب قبره ، وبقيت تندبه وتبكيه فى هذا الدير ، الى أن لحقت به بعد سنين ، ودفنت الى جواره . ومازال قبرهما موجودا فى الدير حتى الآن

مسلم بن الوليد والجارية الشاعرة

قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى أيها الملك السعيد ، ان الخليفة هارون الرشيد ، دعا اليه يوما ببعض الشعراء والندماء والظرفاء ، وقال لهم : أريد ان اعرف من قائل هذا البيت :

بت فى درعها وبات رفيقى جنب القلب طاهر الاطـراف

فسكتوا جميعا ، ثم قال دعبل الخزاعى : أنا أروى لامير المؤمنين قصة هذا البيت ، وهى أنى كنت منذ سنتين جالسا عند باب الكرخ مع بعض الاخوان ، فمرت بنا جارية لم أر احسن منها وجها ولا أعدل قدا . ففتننى جمالها ، وأنشدت قائلا لها :

دموع عينى بهـــا انقضاض والنـــــوم عنى له انقباض

فالتفتت الى التفاتة الغزال ، ورمتنى بنظرة اورثتنى الخبال ، وأجابتنى قائلة :

هـــذا قليل ممن دعتـــه بلحظهـــا الاعين المراض

فأدهشتنى بسرعةجوابها ، وعذوبة منطقها ، وقلت لها :

فهل ســـبيل الى انعطاف الى الذى دمعـــه مفاض ؟

فافتر ثغرها عن لؤلؤ مكنون ، ورمتنى بسهام الجفون ، وانشدت قائلة :

مادام فى الحب ذا وفـــاء فما على قـــربه اعتراض !

قال دعبل الخزاعى : فلما سمعت منها هذا التصريح ، اشتد الشوق فى قلبى الجريح ، وأردت امتحان قريحتها الصافية ، فقلت لها مغيرا الوزن والقافية :

أترى الزمان يسرنا بتلاق ويضم مشتاقا الى مشتاق ؟

ففطنت الى قصدى ، وأجابت قائلة :

ما للزمان وللتحكم فى الهوى انت الزمان فمر تفز بعناق

فلم أتمالك نفسى بعد ذلك ، وتناولت يدها فقبلتها ، وقلت لها : ان منزلى لايصلح لاستقبالك ، ولا صبر لي على الحرمان من جمالك ودلالك ، فاتبعينى الى منزل صديقى مسلم بن الوليد ، وهناك تنال من الانس والمنادمة كل مانريد . فقالت : حبا وكرامة . ومشت فى أثرى حتى وصلنا الى دار مسلم ، فدخلت عليه وأخبرته بقصة الجارية الشاعرة من أولها الى آخرها ، فأبدى اعجابه بشعرها ، ودعانا الى قضاء يومنا فى ضيافته ، وأعد مجلسا لطيفا ، جمع فيه مالذ وطاب من الطعام والشراب ، وآلات الطرب ، والورود والرياحين . وكان يملأ الاقداح بالراح ويسقينا ويشرب معنا وينادمنا . الى أن نال منا الشراب ، فقال لى مسلم بن الوليد : أن يومنا قد طاب ، ولم يبق عندى مزيد من الشراب ، وعند جارى فلان نوع جديد فريد منه ، فحبذا لو جئتنا من عنده بما نستكمل به أنسنا وحظنا . فقلت له : حبا وكرامة . ثم غادرت الدار ، وتوجهت الى منزل ذلك الجار . فلما أبلغته رسالة مسلم بن الوليد ، قال لى : والله ماعندى من الشراب قديم ولا جديد . فرجعت من عنده خالى اليدين ، متخاذل الساقين . وليس عجبى من أمر هذا الجار الشحيح ، باشد من عجبى لثقة مسلم به . وما كدت أصل الى دار مسلم حتى وجدت الباب مغلقا ، فتعجبت من ذلك ، وأخذت أطرق الباب ، فلم يرد

على أحد ، مما زادنى عجبا وغضبا . ثم أفقت من سكرتى ، وأدركت غلطتى . فأخذت أصيح وأشتم منددا بخداع مسلم لى واحتياله على . فلما ألححت فى ذلك ، صاح بى من الداخل : ويل لك أيها الاحمق ، أليست الدار دارى ، والمجلس مجلسى ؟. وهل نسيت انت القائل :

بت فى درعهـا وبات رفيقى جنب القلب طاهر الاطـراف

قال دعبل : فاما سمعت كلامه ياأمير المؤمنين ، كدت انفجر من الغيظ والندم ، ولم يسعنى الا ان انصرفت خائب الآمال ، ومازلت أشعر بالاسف الشديد ، والحنق على مسلم بن الوليد ، كلما تذكرت تلك الحال ، وكيف ظفرت بذلك الجمال ، ثم فقدته بالخديعة والاحتيال

فضحك الرشيد ، وقال له : هذا جزاء من فرط فيما فى يديه ، ولم يحرص عليه . ثم أمر له بمنحة جزيلة ، وأمر للشعراء والندماء الحاضرين بمثلها ، فخرجوا من عنده شاكرين مسرورين



اسحاق الموصلى والجارية المغنية

قالت شهرزاد للملك شهريار : ومما يحكى أيها الملك السعيد ان اسحق الموصلى مغنى الخليفة الرشيد قال : ضجرت من ملازمة قصر الخليفة كل يوم ، فخرجت الى المدينة لافرج عن نفسى ، وقلت لغلمانى : اذا طلبنى الخليفة فأبلغوه أننى خرجت لانجاز بعض المهام الخاصة بى ، ولن أرجع الا آخر النهار . ثم أمضيت ساعة وانا أطوف بشوارع المدينة وأزقتها ، وكانت الشمس قد ارتفعت ، واشتدت حرارتها ، فملت الى دار وجدتها بالقرب منى ، ووقفت تحت ظلة امامها ريثما أستريح من عناء المشى . وفيما انا كذلك ، أقبل غلام أسود يقود حمارا أبيض ، قد ركبت فوقه جارية ترتدى ملابس فاخرة ، وتتحلى بجواهر كثيرة نادرة . ثم ترجلت عند باب الدار ، فاذا هى معتدلة القوام، ساحرة الابتسام ، لها عينان كحيلتان ، وحاجبان مزججان ، ووجه مشرق فتان ، وفى صدرها رمانتان كبيرتان ، ثم دخلت تلك الدار وهى تتمايل كغصن البان ، فوقفت فى مكانى حيران ولهان ، وقد اشتعلت فى قلبى النيران . ثم سألت عنها ذلك الغلام ، فقال لى : انها جارية مغنية ، وقد دعاها صاحب هذه الدار الى حفلة اقامها لبعض إخوانه وخلانه . فزادنى هذا شوقا الى لقائها ، لسماع عزفها وغنائها

قال اسحق الموصلى : وبينما انا أفكر فى حيلة أدخل بها تلك الدار ، وقد أعيانى طول التفكير والانتظار ، إذ أقبل

بعض المدعوين ، وسارع غلمان الدار الى استقبالهم مرحبين . فدخلت معهم ، متظاهرا بأننى منهم . وظنوا هم أننى صديق لصاحب الدار مثلهم ، فلم يدهشوا لوجودى بينهم . وقادنا الغلمان الى مجلس لطيف ، مدت فيه مائدة عظيمة ، حوت شيئا كثيرا من ألوان الطعام وانواع الشراب ، فجلسنا معززين مكرمين ، وبعد أن أكلنا وشربنا حتى اكتفينا ، دعا صاحب الدار تلك الجارية المغنية فجاءت الينا ، وسلمت علينا ، فاذا هى ذات لسان فصيح ، كما أنها ذات وجه مليح . ثم شربت معنا عدة أقداح ، وهى تطرفنا بالطف الفاكهة والمزاح ، وبعد ذلك أمسكت عودها ، فأصلحت أوتاره ببراعة واتقان ، وعزفت عليه أبدع الالحان ، ثم غنت بصوت حنون ، واداء من أروع مايكون :

قل للغزالة ، وهى غير غزالة   والجؤذر المكحول غير الجؤذر
ان كنت تنوين الوصال فعجلى   أوكنت لاتنوين وصلا فاعذرى

قال اسحق : فطربنا جميعا لغنائها ، وحسن صوتها وادائها . ثم شربت معنا أقداحا أخرى ، وتمايلت دلالا وسكرا ، وغنت هذين البيتين :

الطلول الدوارس   فارقتها الاوانس
أقفرت بعد أنسها   فهى قفراء دامس

فأبدعت وأطربت ، ثم غنت لحنا قديما لى كنت صنعته لهذين البيتين :

قل لمن صد عاتبا   ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذى بلغـ   ـت ، وان كنت لاعبا

فتمايل القوم طربا ، واهتزوا عجبا . وكنت قد لحظت فى أدائها لذلك اللحن بعض النقص ، فطلبت منها ان تعيده لاصلحه لها . فأغضبها منى هذا الطلب ، وغضبوا على لغضبها كل الغضب . ثم أخذوا يتساءلون فيما بينهم عمن أكون ، ومضت مدة وهى يتهامسون ويتغامزون . وما

عرفوا أنني لست من المدعوين ، حتى انهالوا على سمعي باللوم المهين ، ولم يكتف أحدهم بأن يؤنبني ، فهم بأن يضربني . ولكن صاحب الدار منعه وقال لي : لابأس بأن تبقى في مجلسنا بشرط ألا تتكلم . فقبلت شرطه شاكرا . وكانت الجارية قد تركت عودها وغادرت المجلس ، فقاموا جميعا لترضيتها وارجاعها . فانتهزت انا فرصة خروجهم جميعا ، وبقائي في المجلس وحدي ، وأمسكت العود فأصلحت أوتاره على طريقتي ، ثم وضعته في مكانه ورجعت الى مكاني ، دون ان يشعر بي أحد أو يراني . فلما رجعت الجارية معهم ، وأمسكت العود مستأنفة عزفها عليه ، فطنت الى ماجد على أوتاره من اصلاح ، وصاحت متسائلة في دهشة : من الذي أصلح العود ؟.. فأجابوا جميعا بأنهم لم يمسوه ، ولكنها قالت : بل أصلحه واحد منكم ، ولاشك في أنه عازف بارع جدا ، ووالله لاأعزف ولا أغني لكم الا اذا عرفته وسمعت عزفه

فلما سمع القوم كلامها ، أخذتهم الحيرة ، وجعل بعضهم ينظرون الى بعض ، الى أن قلت لصاحب الدار : هل يعفيني سيدي من شرطه لاقول كلمة ؟ فقال لي : قل وأوجز ، واحذر أن تغضب مغنيتنا مرة أخرى . فوقفت وقلت : انني أنا الذي أصلحت العود . وسأعزف عليه بقدر ماأستطيع ، لاجل القسم فقط . ثم أمسكت العود ، وعزفت عليه بطريقة لايعرفها غيري ، فاذا بالجارية تبكي لشدة طربها ، واذا بالقوم قد انعقدت ألسنتهم لشدة ذهولهم . وطلبت الجارية مني أن أغني لحنا بهذه الطريقة ، فغنيت هذه الابيات :

كان لي قلب أعيش به   فاكتوى بالنار واحترقا
أنا لم أرزق محبتها   انما للعبد مارزقا
لم يكن ماذقت طعم هوى   ذاقه والله من عشقا

قال اسحق الموصلى : ثم تركت العود بين يدى الجارية المغنية ، وهممت بالرجوع الى مكانى فى المجلس ، ولكنها وكل الحاضرين ، تعلقوا بى ، واخذوا يقبلون يدى وأطراف ثوبى ، ملتمسين أن أغنيهم لحنا آخر . فأصلحت العود بطريقة جديدة فريدة ، ثم عزفت عليه ماجعلهم كلهم يرقصون وغنيت هذه الابيات :

الا من لقلب ذائب بالنـــوائب
أحاطت به الاحزان من كل جانب
حرام على رامى فؤادى بسهمه
دم صبه بين الحشـــا والترائب
تبينت يوم البين أن تصـــبرى
على البعد أضحى كالظنون الكواذب
اراق دما ، لولا الهوى ما أراقه
فهل لدمى من ثائر أو مطالب ؟

فلم يبق أحد من الحاضرين الا قام صائحا مأخوذا بالطرب . ثم أقبل على صاحب الدار فقبل يدى وقال لى : جعلت فداك ، انك والله لاسحق الموصلى مغنى الخليفة ونديمه . فلا تؤاخذنا بما فرطنا فى حقك ، ولا تحرمنا من الاستمتاع بفنك بقية ليلتنا . ثم أقبلت الجارية والحاضرون جميعا ، وقالوا مثلما قال صاحب الدار . فقلت لهم : حبا وكرامة . وغنيت الالحان التى غنتها الجارية من صنعتى ، فكانت أشد الحاضرين طربا واعجـــابا ، ولم تكف عن مغازلتى بنظراتها طوال الوقت . ولم نزل كذلك حتى طلع النهـــار وانصرف جميع المدعوين . فقال لى صاحب الدار : هذه الجارية المغنية قد اشتريتها أمس بعشرة آلاف دينار ، وهى هدية منى اليك ، على شرط أن تمكث أنت وهى عندى شهرا كاملا . فقبلت شرطه لشدة تعلقى بالجارية . وظل الخليفة طول هذا الشهر يبحث عنى فى كل مكان فلا يعثر

لى على أثر . فلما انقضى الشهر ورجعت الى دارى ومعى الجارية . علمت من غلمانى بقلق الخليفة لغيابى . فتوجهت اليه فورا ، وقصصت عليه قصتى من أولها الى آخرها ، فتعجب غاية العجب . ورغب فى رؤية الجارية وسماع غنائها ، ولما رآها وسمعها ، أبدى اعجابه بجمالها وادبها وعذوبة صوتها وحسن أدائها . وأمر لى ولها بمائة الف دينار، كما أمر بمكافأة سخية لصاحبها الذى أهداها الى ، تقديرا لكرمه وأريحيته !

العشاق الثلاثة

الليلة السبعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلةالسبعون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان العتبى جلس يوما فى داره وعنده جماعة من الادباء والظرفاء ، واخذوا يتذاكرون أخبار العشاق ، وما يكابدون من الاشواق . فروى كل منهم ماعنده من ذلك ، ولكن شيخا كبيرا منهم بقى طول الوقت ساكتا ، مكتفيا بالاستماع . فقال له العتبى : مابال شيخنا يضن علينا بالحديث ؟. فقال الشيخ : ماعندى ماأحدث به فى هذا الشأن ، الا حكاية واقعة كنت فيها شاهد عيان ، وكلما ذكرتها اشتدت على الاحزان

قال العتبى : فلما سمعنا جواب الشيخ ، اشتد شوقنا الى سماع حكايته ، ولم نزل نلح فى ذلك عليه ، ونتوسل اليه بكل عزيز لديه ، الى ان قبل ان يحدثنا بها فقال : كانت لى ابنة بارعة الجمال ، كاملة الخلال ، وكان لنا جار من خيرة الشبان ، اشتهر بالميل الى سماع الالحان ، وقد اشترى لذلك بعض القيان الحسان ، واخذ يعقد فى داره كل ليلة مجلسا للغناء ، يدعو اليه من يشاء . وكنت فىمقدمة مدعويه هؤلاء . واهوى سماع قينة عنده كانت قد تعلق قلبها بحبه ، ولكنها لم تجد سبيلا الى قلبه ، اذ كان

مشغولا بحب أخرى ، أخفى أمرها على الخلق طرا ، وابقاه فى صدره سرا

ومضى الشيخ فقال : ثم اتفق أن حضرت مجلسه فى أحد الايام ، فلما دارت فى رؤوسنا المدام ، أخذت تلك القينة العاشقة تطربنا بالانغام ، ثم اشتد مابها من الوجد والغرام ، وغنت هذين البيتين

علامة ذل الهـــوى　　على العاشقين البــكا
ولا ســـيما حينما　　يلوم الورى من شــكا

فطربنا جميعا اشد الطرب ، وبكى الشاب صاحب الدار وانتحب ، واستعادها الانشاد مرات ، وكلما سمع غناءها سكب العبرات ، وصعد الزفرات . ثم قال لها : مادامت الشكوى ، لاتذهب البلوى ، ومادام الوصال ، يبدو بعيد المنال كأنه من المحال . فلا خير للعاشق فى حياته ، ولاراحة له الا بمماته !.. ثم وقع مغشيا عليه ، فلما سارعنا اليه ، لم نستطع انعاشه بالمنعشات ، وماهى الا لحظات حتى تحققنا انه مات !

قال العتبى : ثم بكى الشيخ فبكينا معه ، حزنا واسفا على ذلك الشاب العاشق الذى لقى مصرعه . فلمــا رأى الشيخ شدة تأثرنا ، من أولنا الى آخرنا ، لافرق فى ذلك بين أصغرنا واكبرنا . كفكف دمعه الهطــال ، واســتأنف الحديث فقال : وما كادت القينة تتحقق موت الشــاب ، حتى اشتد مابها من الاضطراب ، وأخذت فى العــويل والانتحاب . ثم القت بنفسها على جثته الهامدة ، وصاحت صيحة واحدة ، ثم اذا هى قد لحقت به الى عالم الاموات .

فتضاعفت فى نفوسنا الحسرات . ولم نبرح المكان حتى جهزناهما ، ثم دفناهما وترحمنا عليهما . وماكدت أرجع الى دارى ، حتى فوجئت بماضاعف أكدارى ، وبلبل أفكارى . وذلك اننى وجدت ابنتى جالسة فى انتظارى ، وقالت لى وهى تبكى وتنوح من قلب مجروح : لقد أبت قينته الا أن تموت حزنا عليه ، مع أنها حاولت الوصول الى قلبه فلم تجد سبيلا اليه . ولو انه علم بأنى أبادله هواه ، ما آثر الموت على الحياة . ثم شهقت شهقة فاضت فيها روحها الطاهرة ، وخلفتنى بعدها أقاسى وحدتى الحائرة ، وأشكو تلك الظروف القاهرة الجائرة ، الى أن ألحق بها فى الآخرة



عبد الله الراغب وأصحابه

قالت شهرزاد للملك شهريار : يحكى ايها الملك السعيد ان ابا بكر بن محمد الانبارى قال : خرجت من الانبار ، فى بعض الاسفار ، قاصدا الى عمورية ، فى البلاد الرومية . فلما مررت بدير الانوار فى طريقى ، اعتزمت زيارة رئيسه لانه كان صديقى . وكنت قد زرته قبل ذلك مرات ، واعجبت بكرمه وانقطاعه مع أصحابه للعبادة والتأملات . فلمـــا طرقت باب الدير ، لم يجبنى احد . وتحققت انه قد خلا من جميع من كانوا فيه . فتعجبت من ذلك ، ثم واصلت رحلتى ، الى أن بلغت غايتى . وكتب الله لى السلامة فى اقامتى وأوبتى الى بلدتى . وكان موعد الحج قد اقترب فخرجت مع قافلة الحجاج ، ولم نزل نقطع الوهاد والفجاج الى أن وصلنا الى مكة المكرمة سالمين ، وأخذنا نطوف بالكعبة الشريفة ملبين داعين

قال ابو بكر الانبارى : وفيما أنا اهم بالانصراف ، بعد ان انتهيت من الطواف ، وقعت عينى على شيخ ظاهر التقوى والصلاح ، وقد تعلق بأستار الكعبة واخذ يبكى بدمع ســـحاح ، ويقول : يارب كل مربوب ، ياغافر الذنوب وســاتر العيوب ، يا عالمـــا بما فى القلوب ، ومن عنــده مفاتح الغيوب . علمك بحالى ، يغنى عن سؤالى ، فاعفعنى واغفر لى وارحمنى ، انك انت ارحم الراحمين . فلماسمعت صوته وهو يردد هذا الدعاء ، ويواصل البكاء ، تعجبت غاية

العجب ، وقلت لنفسي : اني اعرف صاحب هذا الصوت ، وهو رئيس دير الانوار ، فما الذي جاء به الى هذه الديار ؟ ثم اقتربت منه وقلت له : ألست عبد المسيح رئيس دير الأنوار ؟. فلما سمع هذا السؤال ، بدا كأنما اصيب فجأة بمرض عضال ، اصاب عقله بالخبال وجسمه بالانحلال . ولكنه مالبث قليلا حتى عرفني ، فاطمأن قلبه وعانقني واحتضنني . ثم قص على قصته فقال : ان اسمى الآن عبد الله الراغب ، لاعبد المسيح الراهب . فقد هداني الله ومن كانوا معي الى الاسلام ، وكان ذلك من اكثر من عام اذ نزل عندنا جماعة من المسلمين الزهاد ، ومعهم غلام يحمل لهم الزاد . ولما ارادوا استئناف سفرهم بعد ايام رفض ذلك الغلام أن يصحبهم وآثر المقام ، لاصابته بالمرض والسقام . وعرفنا بعد ذلك أن علته سببها الغرام ، وان التي تيمت قلبه فتاة من بنات الاعجام ، وقد أحبته كما أحبها ، وطلبت منه أن يدخل فى دينها لكى يتزوجها وينال قربها . فاستعاذ بالله من الكفر بعد الايمان ، واقام عندنا فى الدير شهرا يعانى المرض والحرمان ، لكنه لا ينقطع عن عبادة الرحمن ، وادامة ذكره بالقلب واللسان . ثم سلط عليه الرهبان بعض الصبيان ، يقذفونه بالحجارة ويضايقونه فى كل مكان . وكنت أنا أعطف عليه ، وكثيرا ما منعت وصول ايذائهم اليه . فبينما انا أعوده يوما وقد اضناه السقام ، واشتد مابه من الوجد والهيام ، اذ قال لى بلسان عربى فصيح : جزاك الله عنى خيرا ياعبد المسيح ، وهداك الى طريقه الصحيح الصريح . ثم أخبرنى بأنه رأى فى المنام ، كأنه والفتاة معشوقته قد بلغا غاية المرام ، ويقيمان معا فى قصر كبير ، فيه فرش وثير ، وخير كثير . ومن حولهما رياض قطوفها دانية ، وانهار جارية ، وهما فى عيشة راضية وما أتم سرد رؤياه ، حتى انطبقت عيناه ، وغمغم قائلا : اشهد الا اله الا الله . ثم سكنت حركته وفارق الحياة . وفيما

نحن نجهزه لمواراته التراب ، اذا بضجة كبيرة عند الباب، ثم اذا بالفتاة معشوقة الغلام ، قد أقبلت ووجهها يشرق كبدر التمام ، وألقت على جثمانه السلام . وقالت لنا : لقد رأيت الليلة فى المنام ، أنى تزوجت هذا الغلام ، ثم سرت معه الى قصر شاهق كبير ، ليس له فى فخامته اى نظير . وحينما اردت الدخول خلفه من الباب ، رفض البواب ومن معه من الحجاب ، وقالوا لى : ادخلى اولا فى دين الاسلام ، ثم ادخلى الجنة بسلام . فنطقت بالشهادتين ، ودخلت الجنة قريرة العين . ثم انتبهت من نومى ، فاذا بى أعلم بموت الغلام المسلم من قومى . فجئت الى هنا مسرعة ، لكى أكون معه . وما أتمت الفتاة كلامها ، حتى سقطت بجانب الغلام ذائقة حمامها . وجاء اهلها بعد ذلك ليأخذوا جثمانها ويدفنوها فى مقبرتهم . ولكنا جميعا عجزنا عن حمله ، لشدة ثقله . ولم نزل فى حيرة من هذا الامر العجيب ، الى ان مر على الدير شيخ مسلم غريب ، فاشار علينا بدفن الفتاة مع الغلام ، ما دامت قد دخلت مثله فى دين الاسلام ، فلما وافقنا على ذلك واردنا حمل الجثمان وجدناه قدخف فىالميزان ، حتىليستطيع حمله احد الصبيان فعجبت من ذلك أنا وجميع الرهبان ، ولم يسعنا بعد ذلك البرهان ، الا ان اسلمنا أجمعين ، والحمد لله رب العالمين

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الشاب البغدادى وجاريته

الليلة الحادية والسبعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد التسعمائة، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ، ذو الرأى السديد والعقل الرشيد ، أن مدينة بغداد فى قديم الزمان ، كان يعيش فيها شاب من اولاد الاعيان ، اشتهر بالحسن والاحسان ، والوفاء للاخوان . وكان مولعا بالفن والالحان ، ويقتنى لذلك كثيرا من القيان ، ويعقد المجالس للندمان ، حيث تحفل الموائد بمختلف الالوان ، وتدور الرؤوس اذ تدور الكؤوس ببنت الحان ، يطوف بها غلمان كأنهم الولدان فى الجنان ، عدا الجوارى الحسان ، وقد تعلق قلبه من بين قيناته المغنيات بجارية كاملة الصفات ، مليحة القسمات والبسمات واللفتات والاشارات . وبادلته هى الاخرى هواه ، فطابت لهما الحياة

وغدر الزمان بذلك الشاب ، فضاعفت ثروته فى الانفاق بغير حساب ، وسرعان ماتفرق عنه الاصحاب ، وسدت فى وجهه الابواب ، ولم يبق له من دنياه ، غير تلك الجارية التى بادلته هواه . وقد عوضهما تبادل الحب والوفاء ، وسماع العزف والغناء ، عما فقداه من واسع الثراء ، وصداقة الاصدقاء ، ومجالس الندماء . ولكن الدهر الغشوم أبى الا أن يمعن فى غدره المشئوم ، فلم يمض على ذلك نحو عام ، حتى اصيب الشاب بمرض أعجزه عن القيام ، ولم يجد ثمن الدواء فضلا عن الطعام . فاقترحت عليه جاريته

ان يبيعها لكى ينتفع بثمنها . ولم تزل تلح عليه حتى قبل . وباعها لشيخ هاشمى كان قد جاء من البصرة لشراء بعض الجوارى المغنيات ، وقد دفع ثمنا لها خمسمائة دينار

ولما قبض الشاب الثمن ، اراد الرجوع الى داره ، ولكن قلبه لم يطاوعه ، وعز عليه أن يعيش هناك من غير جاريته المحبوبة . وكانت الدموع تنهمر من عينيه حزنا على فراقها واجتمعت عليه آلام الفراق مع آلام المرض والجوع ، فلم يعد يقوى على المشى ، فدخل مسجدا وجده على مقربة منه وجلس يبكى نادبا حظه ، ثم تمدد فى ركن منعزل بالمسجد ، ووضع الكيس الذى به ثمن جاريته تحت رأسه . ومالبث حتى غلبه النوم ، ثم استيقظ بعد قليل اذ شعر بيد تجذب الكيس من تحت رأسه ، وما فتح عينيه حتى شاهد لصا يحمل الكيس فى يده ويحاول الفرار ، فتحامل على نفسه وحاول النهوض للحاق به ، لكنه وقع على الارض ، اذ كان اللص قد وضع قيدا فى رجليه وهو نائم . ولم يجد فائدة من الصياح . فأخذ يعالج القيد حتى تخلص منه . ثم غادر المسجد صامتا حزينا ولم يزل يمشى على غير هدى الى ان وجد نفسه على شاطىء النهر ، فرمى بنفسه فى الماء معتزما الانتحار يأسا من الحياة . ولكن بعض البحارة لمحوه ، فأخرجوه من الماء ، ولما عرفوا قصته اخذتهم الرأفة به ، واخذوا يواسونه ويعزونه . ثم أعطوه ثيابا جديدة ، وجمعوا له من بينهم خمسين درهما ليشترى بها مايحتاج اليه من دواء وطعام . وقال لهم رئيسهم : اصبر على ما اصابك يابنى فالله مع الصابرين ، ومادمت لاتطيق العيش فى دارك وحدك بعد فقد جاريتك ، فتعال معى الى دارى لتقيم بها حتى يكتب الله لك الشفاء ، ثم احملك فى سفينتى الى أى مدينة أخرى ، لتعيش فيها . فشكره الشاب على أريحيته ، وتوجه معه الى داره ، حيث وجد كل رعاية واكرام

ولما تم شفاء الشاب ، اخذه الشيخ الى الميناء ، ليحمله فى

اى سفينة الى مدينة واسط حسب رغبته ، لينزل عند اقارب لوالده فيها . وفيما هو يتفرج على السفن التى فى الميناء ، وقعت عيناه على الشيخ الهاشمى الذى اشترى منه جاريته ، ووجده يستعد للسفر الى البصرة فى سفينة كبيرة له . فتذكر ماجرى له ، وأخذ يبكى وينتحب نادبا حظه ثم خطرت بباله فكرة استحسنها وقرر تنفيذها ، فقال لرئيس البحارة : أريد ان اركب فى هذه السفينة الذاهبة الى البصرة ، فان قلبى يحدثنى بان جاريتى فيها . فقال له رئيس البحارة : هذه سفينة خاصة ، ولا سبيل الى تحقيق رغبتك الا اذا خلعت ثيابك التى ترتديها ، ولبست بدلا منها ثياب الملاحين ، ثم آخذك الى رئيس بحارتها وأطلب منه أن يجعلك من ملاحيها . فوافق الشاب على ذلك . ولم تمض ساعات حتى كان قد تسلم عمله الجديد فى تلك السفينة ثم اقلعت مسافرة بمن فيها الى البصرة

ولم تزل سفينة الشيخ الهاشمى تجرى بركابها فى ريح طيبة طول ذلك النهار ، ولما اقبل الليل ، أمر بالقاء مراسيها على الشاطىء . ثم دعا جميع بحارتها الى مائدة أعدها غلمانه وجواريه ، فأكلوا جميعا وشربوا حتى اكتفوا ، ثم قال لهم : ان الجارية المغنية التى اشتريتها من بغداد ، تماثلت للشفاء من مرضها ، وقد أقمت هذه الحفلة ابتهاجا بشفائها ، وطلبت منها أن تغنى لنا بقدر استطاعتها ، فقبلت بعد الحاح ، على أن تغنى من وراء هذه الستارة التى ترونها بجانبى

فلما سمع الشاب ذلك ، كاد يغمى عليه من شدة التأثر ولكنه تمالك نفسه وأرهف أذنيه لسماع عزف جاريته وغنائها ، وقلبه يخفق شوقا وحنينا اليها . وأصلحت هى أوتار عودها ، ثم عزفت لحنا حزينا جعل الحاضرين جميعا يبكون . ثم غنت هذين البيتين :

بان الخليط بمن أحب فادلجوا
ونأوا بهم عنى ولم يتحرجوا

ياليت شعرى هل دروا بمدامعى
وبأن قلبى بعـــدهم يتـــأجج ؟

ثم غلبها البكاء ، فألقت العود من يدها وكفت عن الغناء ووقع الشاب البغدادى مغشيا عليه ، فأخذ بعض الملاحين فى انعاشه ، ولما أفاق كان الشيخ الهاشمى وبقية الحاضرين قد أفلحوا فى محاولاتهم اقناع الجارية بان تغنى لهم لحنا آخر ، فغنت تقول :

ظعن الاحبـــة بكرة وترحلوا
والقلب يتبعهم ولا يتحـــول
ان ذاب قلبى فى الغرام فعذره
أن الحبيب هو الحبيب الاول

فطرب الشيخ الهاشمى ومن معه كل الطرب ، بينما بكى الشاب البغدادى واضطرب ، ثم أغمى عليه من جديد ، فأخذ الملاحون ينعشونه وهم من امره فى عجب شديد . وما كاد يفيق من الاغماء ، حتى عادت هى الى العزف والغناء ، ثم انشدت هذه الأبيات :

ووقفت بالأطـــلال بعـــد رحيلهم
والقلب خفاق وعينى تدمـــــع
واقول : يا اطـــلال اين احبتى ؟
والدار قفر والمنـــازل بلقـــع
ولقد صـــبرت لعل صبرى نافع
فاذا التصـــــبر بعدهم لا ينفـــع

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية والسبعون بعد التسعمائة : فلمـــا كانت الليلة الثانية والسبعون بعد التسعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد ، أن الشـــاب البغدادى لما سمع جاريته تغنى تلك الأبيات ، وقع مفشيا

عليه للمرة الثالثة . وحاول الملاحون انعاشه فلم يستطيعوا وظنوا انه فارق الحياة . وتكدر الشيخ الهاشمى لذلك وسأل الملاحين : ما بال صاحبكم يغمى عليه كلما سمع الغناء ، هل هو عاشق مفارق ؟. فقالوا له : والله يامولانا مالنا علم بحاله ، ولم نعرفه الا عند اقلاع السفينة بنا من بغداد . فتعجب من ذلك ، وقال لهم : اذا أفاق فى هذه المرة ؛ فاسقوه قدحا أو قدحين من النبيذ ، فمن عادة أهل بغداد ان يشربوا على الغناء . واذا اغمى عليه بعد ذلك، فلا تبقوه فى سفينتنا ، واخرجوه منها حتى لا ينغص علينا سرورنا وطربنا بعد ذلك . فقالوا : سمعا وطاعة . ولم يزالوا ينعشون الشاب حتى أفاق من اغمائه ، ثم سقوه عدة اقداح ، وأخبروه بما قال الشيخ الهاشمى صاحب السفينة . فتملكه الفزع والجزع ، وقال لهم : ادعوا الله ان يثبت قلبى ، ويعيننى على احتمال همى وكربى

وكانت الجارية قد انتهزت فرصة انشغال القوم بانعاش الشاب البغدادى ، فغادرت مكانها خلف الستارة ، وأوت الى مخدعها فى السفينة ، وهى لا تدرى ان ذلك الشاب صاحبها . فلما علم الشيخ الهاشمى والبحارة بانصرافها ، تكدروا غاية الكدر ، وتوجهوا الى مخدعها ووقفوا امام الستارة المضروبة عليه يصيحون بها ملتمسين منها أن ترجع الى المجلس لتزيدهم من عزفها وغنائها . ولم يزالوا يلحون عليها بالرجاء والاستعطاف حتى قبلت

أما صاحبها الشاب البغدادى ، فانه انتهز فرصة انصراف القوم لاحضار جاريته ، ونهض فتوجه الى مكانها خلف الستارة وامسك عودها وأصلحه بطريقة فنية غريبة كان قد علمها اياها . فلما رجعت وأرادت العزف على العود ، فوجئت باصلاح اوتاره بتلك الطريقة التى لايعرفها أحد الا هى وصاحبها الشاب البغدادى . فتملكها العجب ، وصاحت من وراء الستارة : من الذى أصلح أوتار العود ؟

فقال لها الشيخ الهاشمى : أنت التى أصلحته ، ومافينا أحد له علم بذلك. فاشتد غضبها وصاحت قائلة : والله لا أعزف ولا أغنى الا اذا علمت من أصلح العود

فلما سمع الشيخ الهاشمى كلامها ، قال لمن حوله من الحاضرين غاضبا : هل بينكم احد أمسك عود الجارية ؟. فحلفوا جميعا انهم لم يمسوه . ولما راى الشاب البغدادى اصرار الجارية على عدم الغناء حتى تعرف من اصلح عودها، وقف فى مكانه بالمجلس ، وقال للشيخ الهاشمى : معذرة يا سيدى ، انا الذى اصلحت عود الجارية ، وانا صاحبها الذى بعتها لك فى بغداد ، ثم لم يتمالك نفسه بعد ذلك ، فأخذ فى البكاء ، الى أن وقع فى اغماء !

وما كادت الجارية تسمع صوت الشاب البغدادى صاحبها الأول ، حتى خرجت من وراء الستارة ، وألقت نفسها عليه وهى تبكى ، ولم تزل كذلك الى أن اغمى عليها هى الأخرى ، ووقعت على ارض السفينة بجانبه . فتجمع الحاضرون حولهما ، وأخذوا فى انعاشهما حتى أفاقا . ثم قال الشيخ الهاشمى للشاب البغدادى : ما الذى جرى لك حتى صرت بهذه الحالة التى انت عليها ؟ فقص عليه الشاب قصته من اولها الى آخرها . فلما فرغ من قصته ، قال له الشيخ الهاشمى : لا بأس عليك يا ولدى . انى مااشتريت جاريتك الا لأسمع غناءها ، وقد كبرت سنى ولم يرزقنى الله بولد ، وانا اشهد الله والحاضرين جميعا على أنى وهبتك جاريتك هذه ، واذا رغبتما فى الاقامة معى ، فكل ما املكه رهن أمركما ، وكل ما أطلبه منكما ان تسعدانى بعزفكما وغنائكما

فشكره الشاب والجارية وقبلا يديه ، كما شكره كل الحاضرين من الملاحين وغيرهم . ثم أمسكت الجارية عودها ، وغنت هذه الأبيات ، وهى تبكى من شدة الفرح :

عــيرونى بأن سكبت دمــوعى
بعد ان زال باللقــاء ولوعى
انمــا هــذه الدموع بقــايا
زفرات حــرى مشت فى ضلوعى
لا تلوموا على البــكاء محبــا
ليس يطفى الاشواق غير الدمــوع

فطرب القوم طربا شديدا ، ثم أخذ الشاب العود من يد جاريته فأصلح أوتاره بطريقة غريبة أخرى ، وغنى عليه هذه الأبيات :

ان شــكوت الغرام فاشك جهارا
وابك ليــلا كمــا تشــا ونهــارا
ليس ذل الهــوى بذل ولــكن
هــو للمغرمين كان شــعارا
فابــك يا عــين مرة بسرور
مثلمــا قــد بكيت حــزنا مرارا

فاشتد طرب الحاضرين ، ولم يزالوا كذلك حتى صباح اليوم التالى ، فأقلعت بهم السفينة ، مواصلة سيرها الى البصرة . وعقد الشيخ الهاشمى قران الشاب البغدادى بالجارية ، ثم امر بالاحتفال بقرانهما فى السفينة كل ليلة ، الى ان يصلوا الى داره فى البصرة ، فيقيم لذلك احتفالا كبيرا

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليــلة الثــالثة والسبعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد التسعمائة ، قالت شهــرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، ان الشــاب البغدادى لم يزل مع جاريته فى سفينة الشيخ البغدادى ثلاثة أيام ، وهما فى كل ليلة يطربان القوم بأعذب الألحان

والانغام ، وفى اليوم الرابع قال رئيس البحـارة : اذا صح ظنى فاننا نصل الليلة الى البصرة ، والرأى عندى الاندخلها ليلا ، بل نرسو بسفينتنا على الشاطىء ونبقى فيها الى الصباح ، على أن يشرب كل منا عدة اقداح ، ونسمع من الشاب البغدادى وزوجته بعض الألحان . فوافق الجميع على ذلك . ووصلت السفينة الى قرب البصرة بعد العشاء بقليل ، فألقت مراسيها ، وعقد القوم مجلسا حافلا بألوان الطعام الفاخرة ، وانواع الشراب النادرة ، وجلس الشاب البغدادى وزوجته معهم يأكلان ويشربان ويغنيـان ابدع الألحان . وعند الفجر ، هيأ السكر للشاب أن يصعد الى الشاطىء ليتفرج على منظر المدينة ، فوجد بستانا كبيرا بابه مفتوح ، فدخله واخذ يمشى فى طرقاته ويتعجب مما يرى فيه من أشجار مثقلة بالثمار ، ومن اطيار تغردبأصوات تزرى برنات الأوتار ، والوانها المختلفة تذهل الأبصار ، وتبلبل الافكار . ولم يزل كذلك حتى وصل الى مجلس لطيف تحف به الورود والازهار ، فوقف يتأمل فيما حوله من مناظر باهرة ، ثم جلس على مقعد وثير وجده هناك ، فما لبث قليلا حتى غلبه النوم ، فلم يستيقظ الا بعـد ان ارتفعت الشمس . فقام واسرع راجعا الى الشاطىء ، ولكنه لم يجد للسفينة أثرا ، اذ كانت قد أقلعت فى ساعة مبكرة من الصباح ، ولم يتنبه القوم لغيابه ، اذ انهم كانوا مثله قد افرطوا فى الشراب . فوقف هناك حائرا لا يدرى ما يفعل ، ثم توجه الى المدينة ماشيا ، فوصل اليها بعد ساعة . ولم يكن يعرف اسم الشيخ الهاشمى ، ولا أين يقيم . وعبثا حاول الاهتداء الى داره فى المدينة ، لانهـا كبيرة واسعة ، ولا يعرف اهلها بعضهم بعضا . ولم يزل كذلك الى أن أقبل الليـل ، فأشفق عليه احد العطارين واخذه معه الى منزله حيث اطعمه وآواه تلك الليلة ، ثم اصطحبه فى الصباح الى دكانه وطلب منه ان يعمل مساعدا

له في مقابل اطعامه وايوائه وكسوته ، الى أن يعثر على الشيخ الهاشمي الذى جاء معه ، فلم يسعه الا الموافقة على ذلك

واستمر الشاب البغدادي شهرا كاملا وهو يعمل في دكان ذلك العطار في مدينة البصرة ، وفى الوقت نفسه لا يكف عن البحث والسؤال عن الشيخ الهاشمي الذى عنده زوجته . ثم قال للعطار : انى اشكرك على معروفك معى ، واريد أن اترك العمل لأتفرغ للبحث عن زوجتي . فقال له العطار : لا فائدة من البحث مادمت لا تعرف اسم ذلك الشيخ الهاشمي . واكبر الظن انه ليس من البصرة، ولم يقم بها ، والا لوجدنا سفينته في مينائها . والرأى عندى أن تبقى فى عملك معى ، وسأجعل لك أجرا معلوما كل يوم لتنفق منه على نفسك كما تشاء ، وان كنت تريد الزواج فأنا أزوجك ابنتى ، وهى فتاة جميلة كاملة الآداب ، تحفظ القرآن الكريم ، وتروى النوادر والاشعار . فشكره الشاب البغدادى أجمل الشكر ، وقال له : اما الزواج فلا رغبة لى فيه الآن . واما البقاء فى العمل فلا بأس به وانا موافق عليه الى أن يقضى الله امرا كان مفعولا ، ولست أطلب منك على عملى اى أجر

ومضت بقية السنة والشاب البغدادى ما زال حزين القلب مضطرب الفكر لفقده زوجته المحبوبة . ثم اتفق أن كان جالسا فى الدكان ذات يوم ، فرأى ناسا كثيرين يمشون مسرعين ومعهم أنواع من الاطعمة والخمر ، وعلم انهم ذاهبون الى الضواحى كعادتهم فى مثل هذا اليوم كل عام ، حيث يمضون يومهم هناك فى طعام وشراب وسماع . فخطر بباله أن يخرج الى الضواحى هو ايضا ، لعله يعثر على زوجته او على أى أحد يمكنه ان يدله على مكانها . ولما صرح بذلك للعطار البصرى ، استحسن رايه وقال له : خذ معك ماشئت من الدراهم لنفقتك فى هذا اليوم . فشكره على كرمه

ومروءته ، وحمل ما يكفيه من الطعام والشراب ، وخرج قاصدا الى احدى الضواحى مع بعض القاصدين اليها ، ولم يزل ماشيا معهم حتى وصلوا الى بستان على النهر ، ماكاد يراه حتى عرف أنه البستان الذى دخله عند مغادرته السفينة وهو سكران ، ففاضت عيناه بالدموع ، اذ تذكر زوجته المحبوبة وكيف ضاعت من يديه . ولم تطاوعه نفسه على البقاء فى ذلك البستان المشئوم ، فخرج منه وأخذ يتمشى على شاطىء النهر . فلما بلغ الموضع الذى كانت السفينة راسية فيه ، وجد بالقرب منه قبرا جديدامزخرفا وعنده ناس كثير يبكون . وماكاد يقترب منهم حتى عرف من بينهم بعض بحارة تلك السفينة ورئيسهم ، فصاح لفرط دهشته صيحة عظيمة نبهتهم اليه ، وما وقعت عيونهم عليه حتى عرفوه واذا بهم أشد دهشة منه ، ثم قاموا فاستقبلوه بالعناق والتقبيل ، وما لبث أن وقع على الارض بينهم مغشيا عليه ! فأسرع البحارة ورئيسهم واخذوا يرشون وجه الشاب البغدادى بالماء ، وينعشونه بمختلف المنعشات ، فلما أفاق من اغمائه ، قال لهم : أين زوجتى ، واين ذهبتم بها فى سفينتكم وتركتمونى ... فقال له رئيسهم : لقد كنا سكارى ، وظننا انك وقعت فى الماء وأنت سكران ففرقت، وكادت زوجتك لشدة حزنها عليك تلقى نفسها فى الماء لتغرق هى الأخرى فى المكان نفسه ، ولهذا امرنا الشيخ الهاشمى بحراستها ، وبأن نسرع بالسفينة مبتعدين عن هذا الموضع ، اشفاقا على حياتها . ولم نزل نسير بالسفينة من ميناء الى آخر مدة شهرين ، ثم طلبت هى من الشيخ الهاشمى ان يرجعها الى هنا حيث شيدت لك هذا القبر وزخرفته وأقامت عنده للبكاء عليك كلما افاقت من ذهولها الذى لازمها منذ فقدتك . وهذه هى الآن غارقة فى نوبة الذهول ، ولذلك لم تعرفك

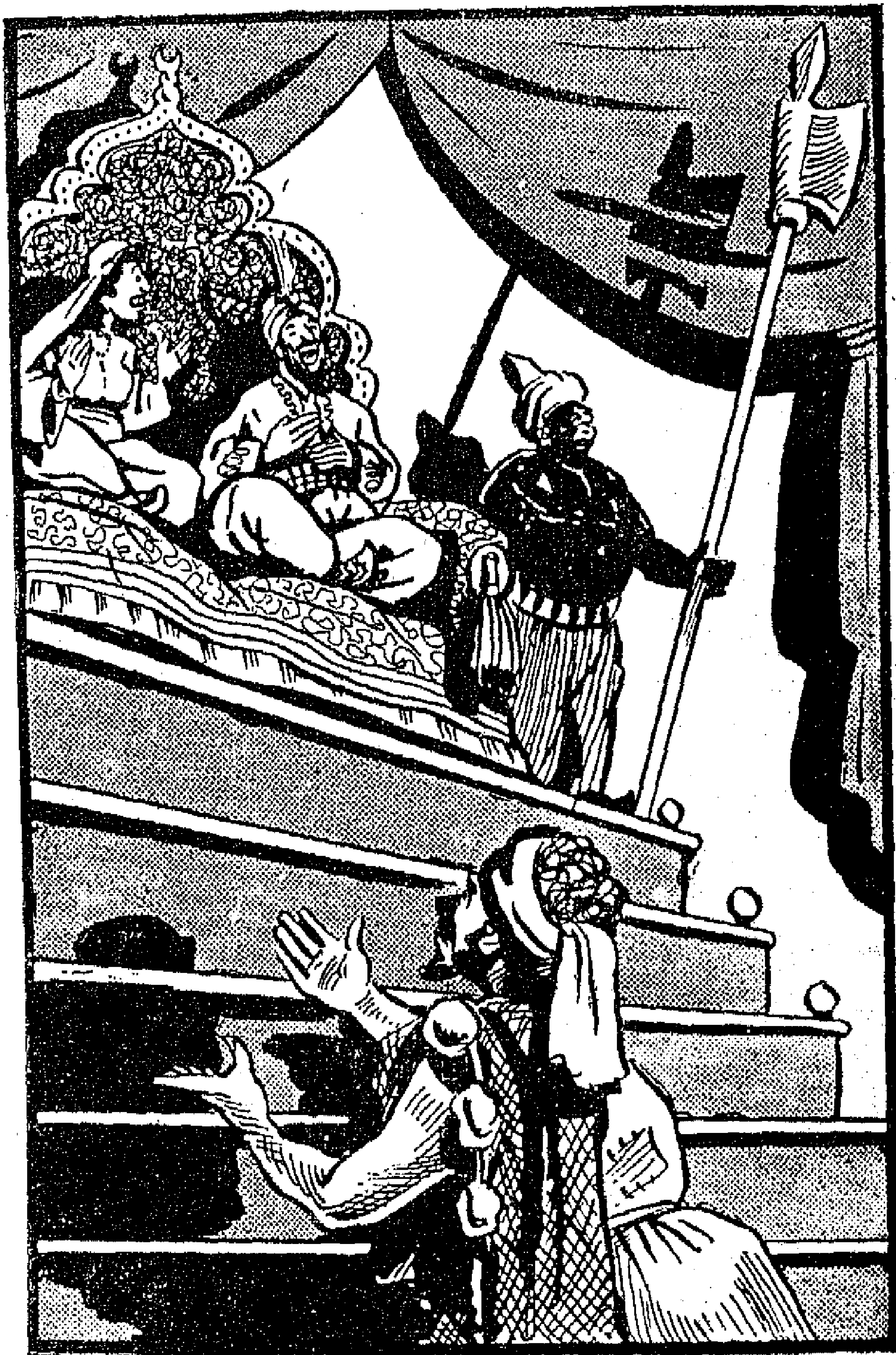
فلما سمع الشاب هذا الكلام ، نهض قائما واسرع الى

ذلك القبر حيث كانت زوجته جالسة لا تعى شـيئا مما حولها ، فألقى نفسه عليها واخذ يعانقها وهو يبكى ويقول لها : يا حبيبتى العزيزة ، لا بأس عليك وروحى فداك ، اننى لم اغرق ولم أمت ولا أزال حيا متيما بحبك . فلما سمعت كلامه ، ووقعت عيناها عليه ، عرفته من فورها ، ونهضت واقفة ، واخذت تبادله العناق والقبلات وهى تبكى من فرط السرور . ولم يمض قليل حتى حضر الشيخ الهاشمى لزيارتها ومواساتها على عادته ، فكانت دهشته عظيمة برؤية الشاب زوجها على قيد الحياة . ثم أخذهما الى قصره حيث أقاما معه فى سعادة ومسرات ، الى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات

الملك والملكة والصياد

الليلة الرابعة والسبعون بعـــد التسعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد التسعمائة ، قالت شـهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيهـــا الملك السـعيد ، ذو الرأى السديد ، أن ملـكا من ملوك الفرس القدماء ، اسـمه خسرو شاه ، كانت له زوجة شحيحة شريرة ، يقال لها شيرين . فاتفق أن كانت جالســة معــه فى ذات يوم من الأيام ، ورأته يأمر بأربعة آلاف درهم لصياد فقير أهدى اليه سمكة واحدة نادرة . فقالت له غاضبة : بئس ما فعلت أيها الملك ، كيف تعطى اربعة آلاف درهم فى سمكة لا تساوى نصف درهم ؟. فقال لها الملك : ان الهـــدية على قـدر مهديها ، والعطية على قدر معطيها ، فقالت له : كان يكفى أن تعطيه خمسة دراهم أو عشرة . لأنك ان أعطيت غيره فيما بعد اقل مما أعطيته أو مثله مكافأة على عمل جليل ، احتقر عطيتك وحقد عليك وقل اخلاصــه لك وكف عن الأعمـــال التى تسـتحق المـكافأة ، فيلحق الضرر بك وبمملـكتك . وكل هذا بسبب عطيتك هذه للصياد !

فلما سمع الملك خسرو شاه كلام زوجته ، اقتنع بصوابه وصحته ، وقال لها : صدقت أيتها الملكة العاقلة المدبرة ، ولـكنى لا أسـتطيع أن أسترد العطيـــة التى أخذها الصياد ، لأن الملوك لا يرجعون عن أمر فعلوه . فقـالت له : عندى حيلة لطيفة تمكنك من استردادها ، وما عليك الا أن تدعوه الآن للمثول بين يديك ، ثم تسأله هل السمكة



((فضحك الملك وأعجب بذكائه وفطنته))

التى أهداها اليك ذكر أم أنثى ؟. فان أجاب بأنها أنثى ، فقل له : اننى كنت أريدها ذكرا . وان أجاب بأنهاذكر ، فقل له : كنت أريدها أنثى . فاستحسن الملك حيلتها وأرسل حاجبه فأرجع الصياد اليه . ولما سأله : هل سمكتك ذكر أم أنثى ؟ أدرك الصياد ماهنالك ، وأجاب بقوله : انها يا مولاى خنثى ، ليست ذكرا ولا أنثى !.. فضحك الملك وأعجب بذكائه وفطنته ، وبحسن تخلصه من حيلة زوجته . وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى . فاشتد غيظ الملكة وحنقها على الصياد ، ولا سيما انها رأته وقد سقط منه درهم على البساط فانحنى باحثا عنه والتقطه . فقالت للملك : أرأيت خسة هذا الرجل وسفالته ؟. انك أعطيته ثمانية آلاف درهم ، ومع هذا أبى أن يترك درهما واحدا منها ليأخذه أحد غلمانك وخدمك !. فدعا الملك الصياد مرة أخرى ، وقال له كيف تأخذ منا ثمانية آلاف درهم ثم تأبى ترك درهم واحد منها سقط منك ؟. فقال الصياد : انما التقطته يامولاى لأن عليه صورتك واسمك ، وأنا أجلهما وأقدسهما ولا أرضى بأن يدوسهما أحد بقدمه . فازداد الملك اعجابا بفطنته ، وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى نكاية فى زوجته !..

يحيى البرمكى وضيفه

ثم قالت شهر زاد للملك شهريار : ويحكى أيها الملك السعيد ، أن يحيى بن خالد كبير البرامكة الوزراء فى عصر الخلفاء العباسيين ، كان مشهورا بالجودوالسخاء ، واجزال المكافأة والعطاء . وكان الناس يقصدونه لذلك من مختلف الأنحاء . فاتفق ان جماعة من أهل خراسان جلسوا يتذاكرون أخبار الكرماء ، فلماجاء ذكر يحيى ، قال أحدهم : انه والله لكما قال الشاعر :

ولو لم يكن فى كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

ووافق أكثر الحاضرين على ذلك ، وأخذوا يتنافسون فى وصف كرمه وسخائه واريحيته ، الى أن قال واحد منهم : ان الحكم الصادق لايكون الا عن مشاهدةوعيان ، وأنا قد رأيت بنفسى هذا الامر . وذلك أنى سافرت الى بغداد منذ حين ، وفيما أنا باقرب من قصره هناك ، رأيت جماعة من الشعراء يهمون بدخوله ، فدفعنى الفضول الى الدخول معهم . ولما مثلنا بين يديه ؛ استقبلنا مرحبا ، وأخذ يستمع فى تواضع وحياءللقصائد التى مدحوه بها ، وكلما انتهى أحدهم من انشادقصيدته، أمر له بألف دينار . الى أن جاء الدور على ، فوقعت فى حرج شديد ، ما عليه من مزيد ، لأنى لست بشاعر ، ثم أدركتنى رحمة الله ، فانحلت عقدة لسانى ، وقلتله : أصلح الله الأمير ، انىرأيت ألا أنظم قصيدتى الا فى قصرك ، وبعد رؤيتك ، فضحك وأمر بأن تخصص بالقصر غرفة

لاقامتي ، ورتب بعض المماليك والجوارى لخدمتى . وقال لصاحب خزانته : احمل اليه كل يوم ألف دينار ، الى ان يتم قصيدته ، فبقيت ثلاثين يوما أعيش فى تلك الغرفة عيشة الملوك ، وكمل عندى ثلاثين ألف دينار . ثم حدثتنى نفسي بأن أهرب بهـا ، فحملتها وغادرت القصر ليـلا . وخشيت أن ابقى فى بغداد بعد ذلك فينكشف أمرى . وساقتنى المقادير بعد يومين الى الميناء ، فوجدت سفينة تهم بالسفر ، فركبتها متنكرا فى زى أحد التجار . ولمـا أقلعت بنا السـفينة قمت أتمشى على ظهرها ، فاذا بى أجد جارية ومملوكا ممن كانوا فى خدمتى بقصر يحيى فى بغداد . وحمدت الله على أنهما لم يعرفانى ، بعـد أن غيرت هيئتى . ثم جلست على مقربة منهما ، وأرهفت اذنى لسماع حـديثهما ، وكانت دهشتى عظيمة حينما سمعتهما يرددان اسمى ، ويتمنيـان لو قابلانى ، لـكى يشكرانى ، ولم يسعنى بعد ذلك الا أن نهضت من مكانى ، وتوجهت اليهما وعرفتهما حقيقة أمرى وشـأنى ؛ فقاما وعانقانى وقبلانى . ثم أخبرانى بأن سـيدهما لمـا علم بمغادرتى قصره ، أبدى أسفه الشديد لانصرافى ، وقال : والله لو أقام فى ضيافتى طول عمره ، مانقصت من راتبه درهما واحدا . ثم اعتقنا جميعا اكراما لك ، وتقـديرا لخدمتنا اياك ، وأمر لـكل منا بألف دينار

فلما سمع الخراسانيون قصة زميلهم مع يحيى بن خالد البرمكي ، تعجبوا غاية العجب ، وقالوا : حقا لقد صدق الشاعر الذى قال فيه :

سألت الندى : هل انت حر ؟ فقال : لا
ولـكنى عبـــــد ليحيى بن خالد
فقلت : شراء ؟ قال : حاش ، وانمـــا
توارثنى عـــن والد بعـــد والد

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الـكلام المباح

الباهلى وجعفر البرمكى

الليلة الخامسة والسبعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن سعيد بن سالم الباهلى ، حدث عن مآثر البرامكة قبل نكبتهم فى زمن الخليفة هرون الرشيد ، فقال : اشتدت بى الحال فى سنة من السنين ، وضقت ذرعا بالحاح الدائنين ، فقصدت الى عبد الله بن مالك الخزاعي ، وصرحت له بما أنا فيه من ضيق الحال ، وقلة المال ، فقال لى : مالك مخرج من ضائقتك الا بأن تقصد الى جعفر البرمكى

قال سعيد بن سالم الباهلى : فلما سمعت هذه المشورة ، اخذنى الغضب وقلت للخزاعى : الموت أهون عندى من أن أذل كبريائى لأحد من البرامكة . ولكنه مازال يلح على حتى قبلت مشورته ، وخرجت من عنده فتوجهت الى جعفر فى دار الوزارة ، ولم يكن فى مجلسه فى تلك الساعة غير الفضل بن يحى أخيه . فلما قصصت عليهما قصتى ، وبثثتهما شكايتى ، قال لى جعفر : ساعدك الله بعونه ، وأغناك عن خلقه بكرمه ومنه ، وأجزل لك من بره وخيره ، مايكفيك سؤال غيره . انه على مايشاء قدير ، وبعباده لطيف خبير . وقال لى الفضل مثل قوله . فانصرفت من عندهما غاضبا ، وذهبت الى صاحبى الخزاعى معاتبا مؤنبا . ثم رجعت الى دارى ، وقد ضاق صدرى وتبلبلت أفكارى . فما كدت أصل اليها حتى

وجدت ببابها قافلة من الجمال والبغال ، وبجانبها غلمان وخدم ينزلون عنها الأحمال . ثم أقبل أحـــدهم حين رآني ، وقال لى بعد أن حياني : هذا كتاب اليك ياسيدى. ثم ناولنى كتـــابا مختوما ففضضته وتلوته ، واذا هو من جعفر والفضل ، وفيه يقولان : لقد أبلغنـــا أمرك الى الخليفة ، فأمر بأن نحمل اليك من بيت المـــال ألف ألف درهم ، لتؤدى منها دينك . وألف ألف درهم لتصلح بها شأنك . وقد ارسلناها اليك ومثلها معهـــا ، تقـــديرا لفضلك والسلام !



الخليفة المأمون والاهرام

ثم قالت شهر زاد للملك شهريار : ومما يحكى أن الخليفة المأمون لما دخل مصر ، أراد هدم الأهرام التى شادها الفراعنة فيها ، وأنفق فى ذلك أموالا عظيمة ، ولكنه لم يقدر الا على فتح طاقة صغيرة فى الهرم الأكبر منها ، ويقال انه وجد فى هذه الطاقة أموالا بقدر الاموال التى انفقها فى فتحها ، لا تنقص عنها ولا تزيد درهما . فتعجب من ذلك ، وعدل عن هدمها

وهذه الأهرام عددها ثلاثة ، وهى تعد من عجائب الدنيا ، ولايوجد بناء فى العالم يضارع بناءها احكاما واتقانا وهندسة . وقد جعلت مربعة القاعدة ، مثلثة فيما فوقها مع انحدار من أعلاها الى أسفلها . وكان يقال انها تحتوى على مقابر لملوك مصر الأولين ، وبها مخازن خفية منحوتة فى الصخر ، بها كثير من الجواهر والأموال والاسلحة والتماثيل والاوانى والادوية والاشربة والاطعمة وغيرها . وقد نقشت على أحدها أخبار الكهنة والسحرة وفنونها وعلومهم فى الواح بديعة الصنع والزخرفة ، وزينت جدرانها من الداخل برسوم وتماثيل لتعليم مختلف المهن والحرف والصناعات والفنون ، وجعلت فيها طلاسم كثيرة لحفظها الى ما شاء الله . وقد قال فى وصفها أحد الشعراء :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها
من بعدهم فبألسن البنيان

أو ماترى الهرمين قد بقيا ولم
يتغيرا بطوارق الحدثان ؟

وقال شاعر آخر فى وصفها :

أنظر الى الهرمين واسمع منهما
ما يرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لأخبرانا بالذى
فعل الزمان بأول وبآخر

وكذلك وصفهما شاعر آخر فقال :

خليلى : هل تحت السماء بنية
تضارع فى اتقانها هرمى مصر ؟
بناء يخاف الدهرمنه ، وكل ما
علىظاهر الدنيا يخاف منالدهر!

وما أحسن قول الشاعر فى هذا المعنى :

أين الذى الهرمان من بنيانه
ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها
حينا ، ويدركها الفناء فتصرع
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

أبو الحسن الخراسانى وشجرة الدر

الليلة السادسة والسبعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ان الخليفة المعتضد بالله خرج يوما لتفقد الرعية ، ومعه وزيره ابن حمدون . ولم يزالا يسيران من مكان الى مكان ، حتى تعبا من طول المشي وشدة الحر ، وكانا قد وصلا الى زقاق لطيف، فى صدره دار حسنة المظهر ، شامخة البناء ، تنبىء عما لأصحابها من سعة الثراء . فجلسا تحت ظلة عند بابها ريثما يستريحان

وفيما هما كذلك ، خرج من تلك الدار غلامان ، كأنهما لفرط ملاحتهما قمران ، وسمعهما الخليفة ووزيره وهما يتحدثان ، بما يدل على أن سيدهما حزين غضبان ، لأنه حتى هذه الساعة ليس عنده أى أحد من الضيفان . فقال المعتضد لابن حمدون : يبدو أن سيدهما من الكرماء ، فلا بأس من دخولنا لنتناول عنده الغداء . ثم دعا الغلامين وقال لهما : استأذنا لنا سيدكما فى النزول عنده ، فنحن تاجران غريبان . ففرح الغلامان بذلك ، ودخلا الدار فغابا فيها قليلا ، ثم خرجا وناديا الخليفة والوزير قائلين : أيها التاجران الغريبان ، ان سيدنا يرحب بكما ويدعوكما الى تناول الغداء معه . وما أتم الغلامان كلامهما حتى خرج صاحب الدار نفسه لدعوتهما : فاذا هو شاب وسيم ، عليه ثوب نيسابورى ، ورداء يمانى ، وفى يده خاتم من الياقوت .

وأخذ يبالغ فى الترحيب بالملك ووزيره وهو يحسب أنهما تاجران غريبان ، قائلا لهما : والله ان هذا اليوم عندي لأسعد الأيام ، وان دخولكما داري لهو منتهى الاكرام . ثم مضى بهما الى مجلسه فى الدار ، فاخترقا دهليزا طويلا مزخرف الجدران ، أدى بهما الى بستان فيه من كل فاكهة زوجان ، وأطيار تغرد على الاغصان ، وماء يجرى بميزان . وقد أعد وسطه مجلس نثر فيه الورد والريحان ، حول مائدة جمعت من الطعـــام مختلف الالوان . ومنهـــا من أنواع الشراب ، كل مالذ وطاب

قال ابن حمدون : فلما رأى الخليفة ذلك ، اخذه العجب ، وبان فى وجهه الغضب ، ثم جاء الغلمان بطسوت وأباريق من خالص الذهب ، فغسلنا أيدينا ، وجلسنا الى المائدة وصاحب الدار يباسطنا وينادمنا . فلما أخذنا من الطعام كفايتنا ، وبدأت الكؤوس ، تلعب بالرؤوس ، وانتعشت النفوس ، وزال من وجه الخليفة ذلك العبوس . التفت الشاب صاحب الدار الينا وقال لنا : هل لكما أيها التاجران الكريمان ، فى سماع الاغانى والألحان ؟ . فقال الخليفة : هذا غاية المرام ، وانا لنشكرك على هذا الاكرام . فضرب الشاب باب مقصورة عن يمينـــه بقضيب من الخيزران ، ففتح الباب وخرجت الينا منه عشر من الجوارى الحسان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، وعليهن ثياب فاخرة ، من انواع الحرير النادرة ، وازدانت كل منهن بلآلىء وحلى لا تقدر بثمن . ثم أخـــذن فى العزف على مختلف الآلات ، بينما خرجت من باب آخر عشر راقصـــــات ، فرقصن على النغمات . ثم خرجت بعد ذلك جارية ممشوقة القوام ، وجهها كأنه البدر التمام ، ونصب لها الغلمان ، عرشـــا فى وسط المكان ، فجلست وحيتنا بالنظرات الساحرات ، والابتسامات الفاتنات . ثم جاءوها بعود فأصلحت منه الأوتار ، وعزفت لحنا رائعا انسانا كل وقار ، ثم أخذت فى

الفناء بصوت يخجل البلبل والهزار ، ولم تزل كذلك حتى سلبت منا الأفكار ، ولم نعد ندرى هل نحن فى الليل أم فى النهار !

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة والسبعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد التسعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، ان الخليفة المعتضد قال بعد ذلك لوزيره ابن حمدون : ان هذا الشاب قد أحسن اكرامنا ، وغذى أرواحنا واجسامنا ، فاستحق شكرنا وانعامنا . ولكنى منذ دخلت هذه الدار ، وشهدت ما فيها من بدائع الأثاث والآنية والستائر وما اليها ، لاحظت انها كلها قد نقش عليها اسم جدى الخليفة المتوكل . وما زلت فى حيرة ودهشة من هذا الامر . ووالله لئن لم يخبرنى بسر وصول هذه الأشياء اليه ، لآخذن روحه بيدى من بين جنبيه !

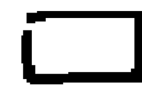
قال ابن حمدون : فلما سمعت ذلك الكلام من الخليفة ، ادركت سر عبوسه وغضبه عند دخولنا الدار ، وقلت لصاحبها : اعلم يا سيدى ان زميلى هذا هو الخليفة المعتضد ، وانا وزيره ابن حمدون . وقد وجد أسم جده الخليفة المتوكل على كثير من الاوانى والتحف والأثاث والستائر هنا ، ويريد أن تخبره عن سر حصولك عليها . فلما سمع صاحب الدار كلامى ، نهض وقبل الأرض بين يدى الخليفة ، وقال له : أيدك الله ياأمير المؤمنين بنصره ، أن والدى هو ابو الحسن على بن احمد الخراسانى ، وقد ورثت هذه الأشياء كلها عنه ، وقد حدثنى قبل وفاته بقصة حصوله عليها ، وهى قصة عجيبة غريبة . وذلك انه كان فى شبابه يبيع انواع الجواهر واللآلىء فبينما هو جالس

يوما فى دكانه بسوق الصاغة ، اذ أقبلت عليه جارية بارعة الجمال ، فاتنة الدلال ، وجلست عنده ساعة تتحدث معه حتى امتلكت قلبه ولبه برقتها ورشاقتها وأدبها . ثم انتقت من اللآلىء التى عنده ما يساوى ثلاثمائة دينار ، وأخذتها وانصرفت من غير ان تدفع ثمنها ، فخجل من مخاطبتها فى هذا الشأن ، وظن أنها نسيت دفع الثمن . ثم أرسل وراءها أحد غلمانه ليعرف دارها . فرجع اليه الغلام بعد قليل وهو يبكى وينتحب والدم يسيل من وجهه وجسمه، وأخبره بأن الجارية هى التى ضربته حين رآته يتبع أثرها !. فلما سمع كلام الغلام ، علم ان تلك الجارية الحسناء ماهى الا محتالة ، وقال لنفسه : والله لئن رأيتها بعد ذلك لانتقمن منها شر انتقام . ثم لم تمض أيام ، حتى أقبلت عليه تلك الجارية نفسها فسلمت عليه وجلست تتحدث معه وقالت له : ما كان يصح ان ترسل ورائى غلامك فى المرة الماضية لاجل مبلغ بسيط من المال . ثم أعطته كيسا به ألف دينار وقالت له : خذ الدنانير الثلاثمائة التى لك عندي ، واعطنى عقدا وأساور بالسبعمائة دينار الباقية . فأخذ والدى يعتذر اليها مما حصل من غلامه ، ثم أعطاها اللآلىء المطلوبة وودعها عند انصرافها بكل اجلال واكبار . وفى اليوم التالى رجعت اليه واشترت لآلىء ثمنها خمسمائة دينار ، واعطته كيسا فيه ألف دينار ، وقالت له : احفظ الخمسمائة دينار الباقية لى حتى أعود . ثم انصرفت بعد أن أفهمته بنظراتها واشاراتها ان قلبها تعلق بحبه ، وأنها لا تقدر على فراقه . فبقى بعد انصرافها ذاهل اللب شارد الفكر ، ولم يسعه الا ان أغلق دكانه ورجع الى داره حيث أمضى ليلته ساهرا ، ولم يذق أى طعام ولا شراب ، لشدة وجده وهيامه بتلك الجارية الفنية الحسناء !

وفى اليوم التالى ، رجعت الجارية الى أبى الحسن الخُراسانى، فحيته أحسن تحية ، وجلست تحدثه بأحاديثها العذبة

الشهية ، ثم انتقت جواهر ولآلىء قيمتها ألف دينار . وأرته عقدا قالت انها اشترته من احد جيرانه بخمسمائة دينار هى كل مامعها ، وقد أعجبها عند هذا الجار عقد آخر لكنها لم تشأ ان تأخذه قبل دفع ثمنه . فلما سمع أبو الحسن كلامها ، ارسل احد غلمانه فأتى بذلك العقد من جاره ، ثم أعطاها اياه قائلا لها : سأدفع له ثمنه الآن . الى أن تحضرى أنت الثمن حينما تشائين . فأخذت العقد والجواهر الأخرى ، شاكرة له أريحيته وكرم طباعه . ثم نظرت اليه وتنهدت مظهرة أنهـا لا تقوى على فراقه . فاتقدت فى قلبه نيران العشق ، وامسك يدها فقبلها وقال لها : والله ان فراقك ليعز على . فأشارت عليه بأن يصحبها ليعرف محل اقامتها ، وقبل هو ذلك والدنيا لا تسعه من السرور !

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة والسبعون بعد التسعمائة : فلمـــا كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد التسعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما صحبها ابو الحسن الخراسانى ليعرف محل اقامتها ، أخذت فى طريقهما بسوق الصاغة ، تتفرج على ما هناك من جواهر ومصوغات وتحف ، وكلما اعجبها شىء منها ، نظرت الى أبى الحسن وتنهدت ، فيأخذ هو ذلك الشىء على حسابه من صاحب الدكان ويعطيها اياه . الى أن بلغ ثمن ما أخذته اكثر من خمسمائة الف دينار . ثم واصلت سيرها وهــو يتبعها الى أن وصلا الى قصر الخليفة المتوكل ، فمدت يدها اليه وصافحته مودعة قائلة : هنا محل اقامتى . وفى غد أجىء اليك ان شاء الله . ثم مرقت من الباب كالسهم ، وتركته واقفا لا يكاد يعى شيئا لفرط ما أصابه من الذهول

وأمضى ابو الحسن ليلته ساهرا يفكر فى أمره مع تلك

الجارية ، وما أقبل الصباح ، وطلع بنوره ولاح ، حتى سارع الى دكانه ، وأخذ يرقب الطريق فى انتظار قدومها ، ولكنها لم تحضر حتى انقضى النهار ، وانما حضر اليه زملاؤه التجار الذين اخذت منهم الجواهر ، وطالبوه بثمنها ، فأمهلهم الى اليوم التالى . ثم اغلق الدكان ورجع الى داره ، وقد اشتد قلقه وحزنه ، واصفر وجهه وضعف جسمه لبلبلة فكره مع حرمانه من النوم والطعام !

ولما انقضت سبعة ايام على هذه الحال ، هدده التجار بالشكوى منه الى الوالى ، فلم يسعه الا ان باع دكانه وكل أملاكه لسداد الدين الذى عليه لهم . ثم لزم داره سقيما عليلا . وكادت والدته تموت حسرة وغما لما اصابه ، وجاءت له بأكابر الاطباء لكى يعالجوه من مرضه ، ولكنهم جميعا عجزوا عن معرفة مابه ، ثم علمت والدته من أحد غلمانه بما كان من امره مع تلك الجارية ، فدخلت عليه وأخذت تقبله وهى تبكى وتنتحب ، ثم قالت له : لماذا لم تخبرنى يا ولدى بأمر تلك الجارية وما جرى لك معها ؟ . ثم اخذت تواسيه وتمنيه الى أن أذهبت عن قلبه اليأس ، واستطاع النهوض من فراشه ، ومشى معها متوكئا على ساعدها ، حتى وصلا الى حجرة كبيرة فى الدار لم يكن قد دخلها منذ طفولته ، ففتحت بابها ، ودخلت وهو يتبعها . ثم اشارت الى أكياس مرصوصة كالبنيان ، وهى كثيرة لا يحصى عددها ، وقالت له : هذه الاكياس كلها قد تركها لك والدك ، وفى كل منها مائة دينار . فخذ منها ما تشاء ، وافتح لنفسك أكبر دكان فى سوق الصاغة . ومتى تم شفاؤك باذن الله فسوف أزوجك اجمل فتاة فى المدينة ، وتعيش أسعد عيشة

فلما سمع ابو الحسن كلام والدته ، بكى من شدة تأثره ، وقال لنفسه : لعل الجارية حينما تعلم بأنى فتحت دكانا للجواهر اكبر من الاول ، تحدثها نفسها بزيارتى ، وحينئذ

اشرح لها شدة حبى لها ورغبتى فى الزواج بها . ثم أمضى بقية يومه فى الحمام واعداد افخر الملابس لنفسه ولغلمانه ، ونام فى تلك الليلة نوما هادئا مريحا ، ثم استيقظ فى الصباح وقد عاد اليه نشاطه واسترد عافيته كما كانت وزيادة . وغادر الدار ومن خلفه عشرة غلمان يحمل كل منهم كيسا فيه ألف دينار . فلما وصل الى سوق الصاغة ، ورآه التجار اقبلوا عليه مسلمين مهنئين بالشفاء . ولم تمض ساعات حتى كان قد اشترى أكبر دكان للجواهر فى السوق، وملأه بأنواع اللآلىء والتحف النادرة ، ثم جلس ومن حوله غلمانه يبيعون ويشترون ، الى أن انقضى النهار ، فأغلق الدكان ورجع الى الدار ، حيث أقام حفلة عظيمة دعا اليها اكابر التجار

وبقى أبو الحسن الخراسانى شهرا كاملا على هذه الحال، ولكن الجارية لم تأت اليه ، ولم يستطع ان يسلو غرامها ، ولماخاطبته والدته فى أمر زواجه ، لم يتمالك نفسه أمامها ، وأخذ فى البكاء ، ثم صرح لها بأنه ما زال مغرما بتلك الجارية، ولا يستطيع الوصول اليها . فقالت له : ان المال عندك كثير ، فابذل منه بسخاء على مماليك الخليفة وجواريه الاخريات ، وبذلك يمكنك الوصول الى ماتريد . فقال لها : سمعا وطاعة . ثم أخذ فى العمل بمشورتها ، وكلما جاء مملوك او جارية من مماليك الخليفة وجواريه لشراء الجواهر، اعطاهما كل ما يريدان ، بأرخص الأثمان ، او رفض ان يأخذ اى ثمن ، قائلا : هذه هدية بسيطة لأجل التعارف والصداقة ، ولم تمض على ذلك أيام حتى شاع امر كرمه وهداياه النفيسة بين جميع المماليك والجوارى فى قصر الخليفة ، فصاروا يقصدون الى دكانه كل يوم زرافات ووحدانا ، واصبحوا جميعا اصدقاء له وخلانا

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الليلة التاسعة والسبعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلةالتاسعة والسبعون بعد التسعمائة ، قالت شــهرزاد للملك شهريار : بلغنيأيها الملك السعيد ، أن الشابصاحب الدار قال للخليفة المعتضد ووزيره ابن حمدون بعد ذلك : حدثني والدى أبو الحسن الخراسانى بأنه ظل سنة كاملة يواصل بذل هــــداياه وعطاياه لمماليك الخليفــة المتوكل وجواريه ، كل ذلك والجارية التى يحبها لم يظهر لهــا أى أثر . ولم يكن يعرف اسمها ولا وظيفتها بالقصر . ولما نفذ صبره، وحيره أمره ، اصطفى من بينالمماليك الذينصادقهم مملوكا لطيفا اسمه مقبل ، وأفضى اليه بكل ما كان منأمره مع تلك الجارية ، ثم وصفها له وصفا دقيقا . فقال له مقبل : قد عرفتها ، انها شجرة الدر محظية الخليفة. وهى لم تغادر القصر منذ أوصلتهــا اليه ، لأن الخليفة لقيهــا حينذاك مصادفة وهى فى طريقها الى مقصورتها ، ووجد معها من الجواهر واللآلىء مالا يقدر على شرائه غير الملوك. فأخذته الغيرة عليها ، وحرم عليها مغادرة القصر ، ووضع عليها حراسة شديدة . وليس فى القصر من يستطيع دخول مقصورتها غيرى . وقد كنت أعلم أن قلبها متعلق بشخص قابلتــه خارج القصر ، وأنه الذى أعطاها تلك الجواهر ، ولكنى كنت أظن أنه من الأمراء أو الوزراء . أما الآن وقد وقفت منك على هذا السر ، فانى أوصيك بكتمانه ، وفى غد ان شاء الله تعالى أرجع اليك بما يسرك

فلما سمع أبو الحسن كلام المملوك مقبل ، لم يتمالك نفسه ، وأخذ يقبله ويبكى من شــدة الفرح . ثم أهدى اليه شيئا كثيرا من الجواهر النادرة والحلل الفاخرة .وبقى طول يومه وليلته مشغول البال ، ولم يذق للنوم طعما . وما كاد يفتح دكانه فى صباح اليوم التالى ويجلس فيــه على عادته ، حتى كان المملوك مقبل أول من أقبل عليه ، فنهض واستقبله مرحبا وقلبه شديد الخفقان ، وعينــاه

تدمعان . فقال له مقبل : أبشر يا أبا الحسن ، ان الجارية شجرة الدر تحبك أكثر مما تحبها ، وكادت تموت لشدة فرحها حينما أفضيت اليها بحقيقة حالك . وقد جئت لك معى بحلة من حلل الخليفة التى يرتديها فى القصر ، وبشىء من بخوره الخاص . وسأحتال الليلة لادخالك الى القصر بعد أن تلبس هذه الحلة ، وتبخر نفسك بهذا البخور . ثم أوصلك الى مدخل مقاصير المحظيات ، فتمضى وحدك بين صفيها ، وتضع على باب كل مقصورة حبة من الفول كما هى عادة الخليفة ، وبذلك لا يشك أحد هنا فى أمرك . فاذا قطعت الممر الذى تقوم هذه المقاصير على جانبيه ، فعرج على الممر الذى تجده عن يمينك ، وامض فيه حتى تصل الى نهايته ، فتجد فى الصدر حجرة بابها من الابنوس المطعم بالجواهر ، فادفع الباب بيدك وادخل غير خائف من شىء ، وهناك تجد حبيبتك شجرة الدر فى انتظارك !

فقال أبو الحسن للمملوك مقبل : بشرك الله بكل خير . ثم أعطاه هدية أعظم من هدية أمس ، وقام فأغلق دكانه ليتأهب للقاء مالكة قلبه ولبه ، واتفق معه على أن يتقابلا عقب صلاة العشاء عند شاطىء النهر الذى أقيم عليه القصر ، بعد أن يرتدى حلة الخليفة ويبخر نفسه ببخوره

وفى الموعد المحدد ، كان المملوك مقبل فى انتظار أبى الحسن ، وأخذه الى باب سرى للقصر من جهة النهر ، فأدخله منه ولم يزل يقوده من ممر الى آخر حتى أوصله الى مدخل مقاصير المحظيات . فقال له : ان الدخول الى هنا ليلا لا يكون الا للخليفة ومحظياته . فادخل ولا تخف شيئا ، لأن أى محظية قد تراك الآن لن يخالجها شك فى أنك الخليفة نفسه

وما كاد أبو الحسن ، يدخل الى الممر الذى به صفان من المقاصير ، حتى أدركه الخوف وشعر بتخاذل ساقيه ، لكنه سرعان ما تشجع وقوى قلبه أن تذكر قرب لقائه

بحبيبته . فأخرج حبات الفول التى زوده بها المملوك ، وأخذ يضع حبة بباب كل مقصورة عن يمينه ويساره . ولما وصل الى نهاية الممر ، أراد أن يعرج الى الممر الذى وجده عن يمينه تنفيذا لتعليمات المملوك ، ولكنه سمع ضجة قريبة صادرة من الممر الذى الى اليسار ، فكاد قلبه ينخلع من شدة الرعب والفزع ، ووقف ذاهلا مرتعدا وهو يحملق بعينيه الى سرب من الجوارى أقبلن نحوه من ذلك الممر وهن يحملن الشموع ويتضاحكن ، والخليفة المتوكل نفسه يمشى بينهن ، يشاركهن الضحك والمداعبات !

ولم يسع أبا الحسن الا ان تحامل على نفسه وتراجع محاذرا الى الممر الاول الذى جاء منه ، ثم تمدد على الارض وهو يدعو الله ألا يراه الخليفة أو احدى الجوارى ، ولم تمض دقيقة واحدة حتى وصل موكب الخليفة الى تقاطع الممرات الثلاثة ، فوقف هناك وأشار الى الممر الذى تمدد فيه أبو الحسن ، وصاح قائلا : أين حبات الفول ، لنضعها على أبواب هذه المقاصير أولا ؟ فأيقن أبو الحسن بالهلاك ، ونطق بالشهادتين استعدادا للقاء الموت . ولكن الخليفة ما لبث ان واصل كلامه فقال : فلندخل أولا عند شجرة الدر لتمضية السهرة ، وعند الخروج أضع حبات الفول على أبواب المقاصير . ثم انطلق فى موكبه قاصدا مقصورة شجرة الدر !

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن الخراسانى ، بعد أن توجه الخليفة الى مقصورة شجرة الدر ، بقى ممددا فى مكانه

بالمر الاول وهو يقــول لنفسه : الحمد لله على أننى لم أسبقه الى المقصورة ، والا لضبطنى بها مع شجرة الدر ، وكان فى ذلك هلاكها أيضا . وفيما هو يهم بالنهوض للرجوع من حيث أتى قبل انصراف الخليفة ، اذا بباب المقصورة القريبة منه قد فتح ، وظهــرت على بابه جارية بملابس النوم ، وما كادت ترى حبة الفول بباب مقصورتها حتى صاحت فى دهشة : ان الخليفــة لم يمش من هنا ، وقد سمعته وهو يؤجل وضع حبات الفول بعد انصرافه من المر الآخر ، فمن الذى وضع هذه الحبة هنا ؟

ثم حانت منها التفاتة الى الموضع الذى تمدد فيــه أبو الحسن ، فكادت تصرخ لولا أن الفزع عقد لســانها وحبس صوتها ، فانتهز هو هذه الفرصــة ونهض مسرعا ورمى نفسه على قدميها وأخذ يقبلهما وهو يبكى قائلا : اننى مستجير بالله وبك يا سيدتى ، وفى يدك الآن حياتى أو قتلى ، وأنا راض بما تختارين

وكانت هذه الجارية من الجوارى اللائى يكثرن التردد على دكانه ، اعجابا بكرمه وهداياه الكثيرة . فلما سمعت صوته عرفتــه وهمست قائلة فى دهشــة : ألست أبا الحسن الخراسانى كبير تجار الجواهر ؟ لكن ما الذى جاء بك الى هنا ، وكيف حصلت على بذلة الخليفة وبخوره ؟ وعرفها هو الآخر من صوتها ، فذهب عنه بعض خوفه ، وقال لها : أستحلفك بالله وبحقى عليك أن تدخلينى الى مقصورتك هذه اولا ، لانى أخشى أن يخرج الخليفة ويأتى الى هــذا المر فيرانى . ثم عاد يقبل قدميها ، ويكرر التوســل اليها . الى أن رق له قلبها ، فأدخلته مقصورتها قائلة . انك كنت كريما معى ، فيجب أن أكون كريمة معك ، ولو ضحيت فى سبيل ذلك بروحى . ثم دخلت بعده وأغلقت باب المقصورة ، وقالت له : أصدقنى القول ولا تخف شيئا من أمرك وسبب وجودك هنا . وأنا أعاهدك على أن أعمل

كل ما فى وسعى لانقاذ حياتك وابلاغك ما تريد ، اذا لم يكن فيه ما يغضب الله

ولم يجد أبو الحسن بدا من أن يروى لها قصته من أولها الى آخرها ، فلما سمعتها ضحكت وقالت : هـــذا شىء عجيب . ان شجرة الدر أختى ، وأنا أعرف منذ عهـــد بعيد أنها متعلقة القلب بحب شاب غنى كانت تقابله خارج القصر ، وحصلت منه على شىء كثير من الجواهر ، لكنى لم أكن أظن أنك أنت ذلك الشاب . وما دام الأمر كذلك ، فلا بد أن أجمع بينكما الآن . ثم قامت وفتحت خزانة فى مقصورتها ، وأخرجت منها بعض ثيابها وحليها وجواهرها وقالت له : البس هذه الملابس بدلا من ثيـــابك ، وتزين بالجواهر ، وسآخذك معى الآن بوصفك جارية لى وأدخلك مقصورة أختى شجرة الدر ، برغم وجود الخليفة فيها ، فتشرب وتطرب بسماع غنائها ، ثم تبقى عندها بعـــد انصرافه ، الى أن نتدبر فى خروجكما ثم عقد قرانك بها كما تريد

واخذت الجارية فى تزيين أبى الحسن بعد أن ارتدى ملابسها كما علمته كيف يمشى ويضحك ويتكلم بحيث لا يشك من يراه ويسمعه فى أنه جارية . ثم اصطحبته الى مقصـــورة أختها ، وأجلسته بجانبها بين الجوارى الجالسات هنـــاك لخدمة الخليفة وسماع شجرة الدر . وكانت هذه جالسة والعود فى يدها لتعزف عليه وتغنى ، لكن قلبها مشـــغول بأمر أبى الحسن وعدم حضوره الى مقصورتها حسب اتفاقها مع المملوك مقبل ، وقد اصفر وجهها وأخذ جسمها يرتعد خشية أن يكون قد أصيب بسوء . ولم يخف أمرها على أختها ، فنهضت من مكانها وتوجهت اليها وهمست فى أذنها قائلة لها : لا تفكرى فى أمر أبى الحسن فهو بخير وسترينه الآن . ثم رجعت الى مكانها وجلست بجانب أبى الحسن وهو فى ملابسه النسوية ، وقد بدا كأنه جارية من أجمل

الجوارى ، حتى ان الخليفة نفسه ، أعجب بجماله وأخذ يختلس اليه النظرات !

وعجبت شجرة الدر من معرفة أختها بأمر أبى الحسن ، مع أنها لم تخاطبها فى شأنه ، ولكنها اطمأنت الى سلامته ، وانبسطت أساريرها ، بعد أن ذهب عنها الخوف والقلق. ثم عزفت على العود فأطربت بالنغمات ، ثم غنت هذه الابيات :

عجبت لسعى الدهر بينى وبينهـا
فلما انقضى ما بيننـا سكن الدهر

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى
وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فياحبها زدنى جوى كل ليـلة
ويا سلوة الايام موعدك الحشر

لها بشر مثـل الحرير ومنطق
رخيـم الحواشى لا هراء ولا نزر

وعينـان قال الله كونا فكانتـا
فعولان بالألباب ما تفعـل الخمر

فطرب الخليفة طربا شديدا ، وصادفت هذه الأبيات هوى فى نفسه ، لأنه كان على خلاف مع زوجته أم ولده المعتز بالله . أما أبو الحسن فانه لشدة طربه كاد ينسى نفسه وأنه متنكر فى زى جارية ، وفى حضرة الخليفة بمقصورة احدى محظياته . لكنه تمالك نفسه حتى لا يفتضح أمره . ثم عزفت شجرة الدر بعد ذلك وغنت هذه الابيات :

أعانقها والنفس بعد مشـوقة
اليها وهل بعد العناق تدان ؟

وألثم فاها كى تزول صبابتى
فيشتد ما ألقى من الهيمان

كأن فؤادى ليس يشفى غليـــله
سوى أن يرى الروحين يلتقيان

فلم يتمالك الخليفة نفسه من شدة طربه ، ونهض فقبل يد شجرة الدر ، وقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى ، ولك كل ما فى مقصورتك من جواهر وتحف وفوقها ألف دينار هدية منى . فقامت شجرة الدر وقبلت يديه شاكرة . ثم أقبلت أختها وبقيـــة الجوارى يهنئنها . ولما جاء دور أبى الحسن لتهنئتها لم يتمالك نفســـه فأخذ يقبلها وهو يبكى ، ولم يزل كذلك الى أن أمسكته أختها وأرجعته الى مكانه وهى تهمس له بأن يرجع الى رشده والا ســاءت العاقبة . ثم طلب الخليفة من شجرة الدر أن تغنى لحنا آخر ، فغنت هذين البيتين :

أيا ربة الحسن التى أذهبت نسكى
على أى حال كنت لا بد لى منــك
فأما بذل ، وهو أليق بالهـــوى
واما بعـــز ، وهو أليق بالمـــلك

فاشتد طرب الخليفة ، والتفت الى أخت شجرة الدر والى أبى الحسن الجالس بجانبها ، وصاح بهما قائلا : أنتما أيضا حرتان لوجه الله تعالى واكراما لشجرة الدر . فأقبلت عليهما شجرة الدر وبقية الجوارى مهنئات . ثم عزفت شجرة الدر لحنا آخر على العود ، وغنت هذه الأبيات :

ملك الثــلاث الآنســـات عنانى
وحللن من قلبى أعـــــز مكان
مالى تطاوعنى البرية كلهـــــا
وأطيعهن وهن فى عصـــــيانى ؟
ما ذاك الا أن ســـلطان الهوى
وبه غلبن ، أعز من ســــــلطانى

فلما سمع الخليفة غناءها ، طرب طربا عظيما ، ثم أشار اليها والى أختها والجارية التى معها ، وهو لا يعرف حقيقة

امرها . وأمرهن بأن يتبعنه الى جناحه الخاص بالقصر ، كما أمر بقية الجوارى بالانصراف الى مقاصيرهن ، بعد أن أمر لكل واحدة منهن بهدية ثمينة !

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية والثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب ابن أبى الحسن الخراسانى لما وصل الى هذا الحد فى حديثه عن قصة والده مع الخليفة المتوكل ومحظيته شجرة الدر ، اشتد عجب الخليفة المعتضد ووزيره ابن حمدون لغرابة هذه الحكاية . ثم قال المعتضد للشاب : ماذا حدث بعد ذلك ؟ فقال : حدثنى أبى يا أمير المؤمنين بأنه لما وصل الى جناح الخليفة المتوكل فى ملابس الجارية ، ومعه شجرة الدر واختها ، قال الخليفة لشجرة الدر : أريد أن أزوجك انت واختك من يعجبكما من مماليك القصر ، على أن أعتق زوجيكما ايضا وتعيشوا جميعا فى كنفى ورعايتى . فقالت له أختها : أما انا فلا أختار سوى المملوك مقبل . فقال لها الخليفة : أحسنت الاختيار . ثم التفت الى شجرة الدر وقال لها : من تختارين زوجا لك ؟ فأطرقت قليلا وهى تفكر ، ثم رفعت رأسها وقالت له : هل يعدنى أمير المؤمنين بأن يوافق على زواجى بمن أختار ؟ فقال لها : نعم أعدك بذلك والله شهيد على ما أقول . فلما سمعت منه ذلك ، أشارت الى أبى وهو بملابس الجارية وقالت : لا اتزوج الا هذه !

فلما سمع الخليفة جوابها ، تعجب غاية العجب ، وظهر فى وجهه الغضب ، وقال لها : انما يكون الزواج بين ذكر وانثى . فمالت على يده وقبلتها ، ثم أرسلت دموعها حتى

بللت خديها وكاد الخليفة يبكي لبكائها ، وقصت عليه بعد ذلك قصتها مع أبي من أولها الى آخرها . فاشتد عجبه ، وقال لأبى : لولا أن لشجرة الدر مكانة عظيمة عنـــدى ما غفرت لك فعلتك هذه . ثم أمر باستدعاء المملوك مقبل، فلما مثل بين يديه ، قال له : ما حملك على عصيان أمرى ، وادخال غريب متنكر فى قصرى ؟ فقـال المملوك مقبل : حملنى على ذلك أنى محب محروم مثله . فقال الخليفة : من التى أحببتها وحرمت منها ؟ فأشار الى الجارية أخت شجرة الدر وقال : هذه هى التى أحبها ، وقد كتمت حبى فى قلبى تأدبا فى حق مولاى أمير المؤمنين ، لعلمى أنها من محظياته

فقال الخليفة المتوكل : انها الآن حرة ، فان رغبت فى أن تكون زوجتك ، فأنا أوافق على رغبتها . ثم سألها : هل تقبلين أن يكون مقبـــل زوجا لك ؟ فأطرقت وهى تبتسم مسرورة ، لأنها كانت هى الأخرى متيمة بحب مقبـــل ولا تستطيع اظهار حبها . وعلى هذا دعا الخليفة بعض المماليك وعقد قران أبى بشجرة الدر ، وقران مقبل بأختها، ووهب لهم كل ما كان فى مقصورتى الجاريتين ، عدا ألف دينار وهدايا أخرى لكل من جاريتيه السابقتين . وبقى يغمرهما بأنعامه الى أن لقى مصرعه عليه رحمة الله تعالى

ثم قال الشاب ابن أبى الحسن الخراسانى للخليفـــة المعتضد ووزيره ابن حمدون : هذه هى قصة والدى مع جدك ، وكل ما رأيته هنا من تحف وآنية وفرش وستائر وغيرها انما هو بعض ما أخذه أبى وزوجتــه شجرة الدر هبة منه . فلما سمع الخليفة المعتضـــد ذلك ، قال له : والله لا أكون معك أقل كرما من جدى مع والدك . ثم أمر وزيره ابن حمدون باعطاء الشاب صاحب الدار ضيعة عامرة مع اعفائه من خراجها واجراء راتب له مكافأة على كرمه

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .



وقال المملوك مقبل : « هذه هى التى أحبها »

ابن الخصيب وجميلة

الليلة الثانية والثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخصيب والى مصر فى عهد الخلافة العباسية ، كان له ابن ، لا يوجد فى زمانه أحسن منه . ولم يكن والده لشدة حرصه عليه يسمح له بالخروج من قصره . فلما بلغ الثالثة عشرة من عمره ، سمح له بالخروج مرة فى الاسبوع لصلاة الجمعة . فاتفق وهو فى طريقه الى المسجد أن رأى كتابا عند بائع كتب فيه صورة لفتاة جميلة ، سلبت عقله ، وادهشت لبه . وسأل البائع : ماثمن هذه الصورة ، فقبل الرجل الارض بين يديه وقال له : هى لك بغير ثمن أيها الامير . وأعطاه الكتاب والصورة ، فأخذهما ودفع له مائة دينار

وظل ابن الخصيب طول الاسبوع التالى ، مشغولا بالتطلع الى تلك الصورة ، ولايجد سبيلا الى النوم ، وزهد فى الطعام والشراب . وما خرج من القصر لصلاة الجمعة كعادته ، حتى عرج فى طريقه على بائع الكتب الذى اشترى منه تلك الصورة ، وبعد أن أعطاه مائة دينار أخرى ، سأله عمن صنعها . فقال له البائع : صنعها شاب من أهل بغداد اسمه أبو القاسم الصيدلانى ، وهو يسكن حارة هناك اسمها حارة الكرخ . فشكره على هذه المعلومات ، وتركه ومضى الى المسجد حيث صلى الجمعة ، وما كاد يرجع الى قصر والده حتى أحضر جرابا كبيرا ملأه بجواهر ثمينة لاتقل قيمتها

عن ثلاثين الف دينار . ثم خرج من القصر ومعه ذلك الجراب ، وتوجه الى الموضع الذى تسافر القوافل منه ، وهناك وجد قافلة تهم بالمسير الى بغداد . فسأل رجلا من البدو الذين يجهزونها : كم يوما يستغرق السفر من هنا الى بغداد ؟. فقال له البدوى : يستغرق السفر اليها نحو شهرين بسير الجمال ، ونحو عشرة ايام على الخيل . فأعطاه مائة دينار وقال له : هذه لك لكى تبحث لى عمن يصحبنى اليها على الخيل ، وسأعطيه مائة دينار قبل السفر ، ومثلها عند الوصول ، وهذا عدا الخيل التى اشتريها بأى ثمن

فلما سمع البدوى ذلك ، قال له : انا اصحبك اليها من طريق قصير أعرفه ، فمتى تريد السفر ؟. فقال له : اريد السفر الآن . ثم أعطاه مائة دينار اخرى لنفسه ، ومائة دينار ليشترى بها جوادين لهما وما يحتاجان اليه من الزاد . ولم تمض ساعات حتى أتم البدوى كل معدات سفرهما ، ثم ركبا جواديهما وسارا فى ذلك الطريق الذى يعرفه . ولم يزالا يواصلان السفر ليل نهار ، ولا يتوقفان الا قليلا ، لاراحة الجوادين وتناول بعض الطعام والشراب ، الى أن وصلا الى بغداد بسلامة الله ، فأعطى ابن الخصيب للبدوى مائة دينار والجوادين ، وجوهرة تساوى اكثر من مائة دينار . ثم ودعه ودخل المدينة وحده ، حيث سأل عن حارة الكرخ ، وتوجه اليهاحاملا جرابالجواهر ، والكتاب الذى فيه صورة الفتاة التى افتتن بها وترك بلده وأهله من أجلها !

ولما وصل الى مدخل الكرخ ، وجده سوقا للتجار ،ورأى فى صدره دكانا له باب ذو مصراعين فى كل منهما حلقة من الفضة ، وفى داخله مصطبة من الرخام عليها سجادة ثمينة جلس عليها شاب حسن الوجه يرتدى ثيابا فاخرة ، وبين يديه خمسة من المماليك كأنهم الاقمار . فوقف ابن

الخصيب أمام ذلك الباب ، وألقى السلام على الشاب ، فرد السلام ، فى أدب واحترام . ودعاه الى الجلوس بجانبه حيث أكرمه كل الاكرام . ثم سأله : من أى البلاد أنت ، وهل من خدمة أؤديها لك ؟. فقال له : انا من مصر ، واسمي ابراهيم ، وأريد أن تدلنى على دار أسكنها . فقال له الشاب : أنت ضيفي ولابد ان تنزل عندى فى دارى مدة الضيافة وهى ثلاثة أيام ، وبعد ذلك تكون الدار التى تريدها معدة لسكنك فيها ان شاء الله . فشكره ابراهيم بن الخصيب على كرمه وأريحيته ، وبقى معه فى الدكان حيث تناولا الغداء فيه . ولما أقبل المساء قام الشاب فأغلق الدكان ، ثم اصطحب ضيفه المصرى الى داره الفخمة ، حيث أعد وليمة كبيرة لاكرامه ، جمعت كل مالذ وطاب ، من أنواع الطعام والشراب ، وبعد ذلك جلس يسامره ويرحب به ، ثم سأله : هل تعرفون اللعب بالشطرنج فى بلدكم ؟. فقال له : نعم . وقد تعلمته على يد شيخ فارسي

فلما سمع الشاب البغدادي ذلك ، دعا احدى جواريه وأمرها باحضار الشطرنج ، فأحضرته ووضعته بينهما . ولعبا عدة أدوار ، كان الفوز فيها كلها لابراهيم ، فتعجب الشاب البغدادي من ذلك وقال له : هذه أول مرة أجد فيها من يغلبنى فى الشطرنج !

وفى الليلتين التاليتين ، كان الفوز فى اللعب أيضا لابراهيم ، فاشتد عجب الشاب البغدادى . وقال له : أريد أن تبقى عندي معززا مكرما ، لكى ألاعبك كل ليلة . واعلم أن هذا يسرنى كل السرور ، والخير عندى كثير والحمد لله ، وستجد منى كل اكرام . فقبل ابراهيم بن الخصيب شاكرا . وفى الليلة التالية كان الشاب البغدادي قد أمر باعداد حجرة خاصة لضيفه ، ونقل اليها جراب الجواهر الذى معه وهو لايدرى مافيه . فلما فرغا من الطعام والشراب ، وجلسا للعب الشطرنج ، تفقد ابراهيم جرابه ولما لم يجده قال

لنفسه : لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ، ماذا اصنع الآن وقد فقدت هذه الثروة الكبيرة وأنا غريب فى هذه المدينة ؟. لكنه كتم حزنه وهمه ، وجلس يلاعب مضيفه الشاب ، وفكره مشغول بفقد الجراب . وعلى هذا خرج من الدور الاول مغلوبا ، ولازمه الفشل فى الدورين التاليين أيضا . فتعجب الشاب البغدادى من ذلك وقال له : مالى أرا كمشغول البال ؟. فقال له وهو يغالب الخجل : كان معى خاتم عزيز على وضعته فى الجراب الذى كان معى ، وقد بحثت عن الجراب فلم أجده . فدعا الشاب احدى جواريه ، وقال لها : هاتى جراب سيدك ابراهيم من الحجرة الخاصة التى أعددناها له . فمضت الجارية وأحضرت الجراب ، فلما رآه ابراهيم واطمأن الى بقاء الجواهر فيه ، زال عنه ماساوره من الحزن والقلق ، واستغفر الله من سوء ظنه بالشاب مضيفه ، ثم أخرج من الجراب خاتمين من الجواهر النادرة الثمينة ، فلبس احدهما ، ووضع الآخر فى يد الشاب قائلا : هذه هدية بسيطة يسرنى أن تقبلها منى . فقبل الشاب هدبته ليسره ، ثم أخذا فى اللعب من جديد ، فاذا بابراهيم يغلبه فى كل مالعبا من ادوار .

وتعجب الشاب البغدادى من ذلك كل العجب ، وسأله عن السبب ، فقال له ابراهيم : أنت الآن بمثابة أخي وزيادة ، ولن أخفى عليك شيئا من أمرى . ثم قص عليه قصته من أولها الى آخرها ، وكيف جاء الى بغداد من غير علم والده للبحث عن شاب فى حارة الكرخ اسمه أبو القاسم الصيدلانى ، ليقف منه على خبرة الفتاة صاحبة الصورة التى صنعها

فلما سمع الشاب البغدادى كلامه ، ضحك وقال له : انى أنا أبو القاسم الصيدلانى ، ثم قام الى خزانة بجانبه ففتحها واخرج منها عدة صور مثل تلك الصورة للفتاة نفسها ، وقال له : ان لى مع هذه الفتاة قصة عجيبة ، فهى

ابنة عمى حاكم مدينة البصرة ، واسمها جميلة بنت ابى الليث . وقد خطبتها لنفسى ، وقبل عمى الخطبة ، ولكنها رفضت وقالت له : لاأريد الزواج الا بمن يلاعبنى بالشطرنج عشرة ادوار ، ويغلبنى فيها كلها . وقد لاعبت ابن عمى فغلبنى خمسة ادوار وغلبته خمسة أدوار ، وعلى هذا لاأتزوجه أبدا . فلما علمت برفضها ، ضاقت الدنيا فى وجهى ، وتركت مدينة البصرة وجئت الى هنا حيث فتحت لنفسى ذلك الدكان الذى رأيته ، وصرت كبير التجار فى حارة الكرخ كلها . ولكنى بقيت مشغول القلب بحب جميلة بنت عمى ، فصنعت لها هذه الصور ، وجعلتها فى كتب ألفتها عن غرامى وهيامى بها ، ووزعت كثيرا من هذه الكتب والصور على مختلف البلاد . ولعلك قرأت الكتاب الذى وقع فى يدك وجئت الى العراق لخطبتها وملاعبتها بالشطرنج أملا فى ان تغلبها وتتزوجها

فقال له ابراهيم : والله ياأخى ، أنا ماقرأت الكتاب ولا نظرت فيه الى شىء غير الصورة ، ولكنى أحببت صاحبتها بكل قلبى ، ولم أعد أجد لذة للعيش الا ان سعدت بلقاءهذه الفتاة . واذا أردت أن تتم اكرامك لى ، فدلنى على تلك المدينة التى هى فيها ، لكى أراها واطفىء مافى قلبى من نار هواها

فقال له ابو القاسم : حبا وكرامة . ولكن بشرط الا تحرمنى من رؤية جميلة بنت عمى اذا أنت تزوجتها . فقال له ابراهيم : اعاهدك على ذلك . وفى اليوم التالى ، جهز أبو القاسم سفينة كبيرة ، زودها بكل معدات السفر ، وأركب فيها ابراهيم ، وجعل فى خدمته عشرة من المماليك والجوارى ، ثم ودعه معانقا اياه ، سائلا له التوفيق فى مهمته ، وأوصاه بالا ينسى الشرط الذى اتفقا عليه

ولم تزل السفينة سائرة بابراهيم ومن معه ، الى أن

وصلت الى البصرة فصعد منها الى الشاطىء ، وقصد الى سوق الجواهر حيث باع بعض الجواهر التي معه بألف دينار أعطى نصفها لرئيس الملاحين فى السفينة وقال له . انفق من هذا المال على نفسك ومن معك الى أن أرجع اليكم هنا . فقال له رئيس الملاحين : ان سيدنا أبا القاسم أعطانا مايكفينا وزيادة من المال ، وأمرنا بأن نكون فى خدمتك ورهن اشارتك . فقال له ابراهيم : لابد من ان تقبل منى هـذه الهدية البسيطة ، ولكم عندى أضعافها اذا رجعت اليـكم مجبور الخاطر ان شاء الله . فلم يسع رئيس الملاحين الا قبول عطيته ، وودعه هو ومن معه من الملاحين والمماليك والجوارى ، متمنين له عودا حميدا وحظا سعيدا

وسار ابراهيم وحده بعد ذلك الى سوق البصرة ، وسأل عن أكبر خان ينزل فيه التجار الاغراب ، فدلوه على خان يقال له خان حمدان ، واستأجر لنفسه أفخم حجرة فيه . وكانت أجرتها دينارا فى الشهر ، فدفع لصاحب الخان عشرة دنانير ، وأعطى بواب الخان دينارين ، ولكل واحد من الخدم دينارا كاملا . فعامله الجميع معاملة الملوك ، وقال بعضهم لبعض : هذا ماهو تاجر ، ولابد انه أمير من أولاد الامراء الفخام !

وبعد أن دخل حجرته فى الخان وبدل ملابسه ، طلب من البواب أن يحضر له شيئا من الطعام والشراب ، وأعطاه لذلك دينارا ، فأحضر له البواب دجاجة مشوية ولحما مقليا وسمكا وخبزا وفاكهة وحلوى ونبيذا معتقا وانواعا من الورود والرياحين . وقال له : اشتريت ذلك بربع دينار فقال له ابراهيم : خل الباقى لك . وهكذا صار كلما أرسل البواب ليشترى له شيئا ، ينفحه بنصف دينار أو أكثر ، حتى ملك قلبه بكثرة احسانه . ثم أعطاه جوهرة ثمينة تساوى مائة دينار ، وقال له : خذ هذه لزوجتك . فأخذها الرجل وهو لايصدق عينيه ، ولما قدمها لزوجته وعرفت

قيمتها كادت تجن من شدة الفرح ، وقالت له : مثل هذا الامير الكريم ، ينبغى أن نخدمه بكل اجلال واخلاص !

وفى اليوم التالى ، صنعت زوجة البواب ألوانا من الطعام الجيد ، وقالت لزوجها : احمله الى ذلك الامير ، فلما حمله اليه وأخبره بأنه من صنع زوجته ، شكره وأعطاه جوهرة أخرى مما معه . ثم أعطاه عشرة دنانير . وقال له : أريد أن تعد مجلسا للشراب عندك فى دارك ، وان تحضر لى عودا لاعزف لك ولزوجتك عليه وأغنى لكما بعض ماأعرف من الحان بلدنا . فقال له البواب : حبا وكرامة . ورجع الى زوجته فأعطاها الجوهرة والدنانير ، وابلغها رغبة الامير ابراهيم . ففرحت بذلك غاية الفرح ، وسارعت الى تنفيذ تلك الرغبة . ولما حضر ابراهيم الى المجلس الذى أعدته هى وزوجها فى دارهما ، وقفا فى خدمته ، فقال لهما : اذا شئتما اكرامى حقا فاجلسا معى لنأكل ونشرب معا ، فقالا : سمعا وطاعة . وجلسا معه الى ان انتهوا من تناول الطعام ، فملأ ابراهيم ثلاثة أقداح شربوها ، ثم أخذ العود فأصلح أوتاره وعزف عليه بلحن جميل وغنى هذين البيتين :

ياصاحبى لو بذلت الروح مجتهدا
وجملة المال والدنيا وما فيهـــا
بل جنة الخلد لو أنى ظفرت بهـــا
لبعتها بسماع اللفظ من فيهـــا

فطرب البواب وزوجته طربا شديدا ، أما ابراهيم فانه كاد يغمى عليه من شدة التأثر ، اذ تذكر أهله وبلاده وكيف تغرب من أجل عشقه لفتاة لم ير الا صورتها ، ثم اشـتد به الوجد والولوع ، ففاضت عيناه بالدموع

فقالت له زوجة البواب : لابأس عليك ياسيدى ، ان كان قلبك قد تعلق بحب أى فتاة فى هذه المدينة ، فأخبرنى باسمها ، وثق بأنها سرعان ماتكون جارية لك ، فوالله مافى الدنيا كلها من يضارعك فى الجمال والظرف والكمال

فقال لها ابراهيم : اعلمي أن والدى هو الخصيب والى مصر ، وقد خرجت منها بغير علمه لانى رأيت صورة جميلة بنت أبي الليث ، فسكن حبها قلبى ، وكاد يذهب بلبى . ولا حياة لى الا اذا تزوجتها وسعدت بالعيش معها . فلما سمع البواب وزوجته كلام ابراهيم ، تعجبا غاية العجب ، ووقعا فى حيرة ليس عليها مزيد . ثم اطرقت زوجة البواب مفكرة ، ورفعت رأسها بعد قليـــل وقالت لابراهيم بن الخصيب : اطمئن أيها الامير ، ان هنا خياطا أحدب بينى وبينه قرابة ، وهو الذى يصنع لها ملابسها ، ويرسلها اليها بواسطة شقيقه الذى يعمل فى بستان لوالدها حاكم المدينة . ومادمت على استعداد للبذل والعطاء ، بما عهدنا فيك من الجود والسخاء ، فالامل كبير فى أن يوفقك الله الى لقائها بواسطة قريبى الخياط وأخيه . فلما سمع ابراهيم كلامها ، لم يتمالك نفسه وقام فقبل يدها ، وأعطاها جوهرة كبيرة ، وألف دينار لتنفق منها فى تلك المهمة . وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثالثة والثلاثون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة التالية قالت شهرزاد : بلغنى أيها الملك السعيد ان ابن الخصيب توجه الى دار البواب حسب الاتفاق ، فوجد ذلك الخياط الاحدب فى انتظاره هناك ، وجلسوا جميعا يأكلون ويشربون ويطربون . ثم قص ابراهيم على الخياط الاحدب قصته من أولها الى آخرها ، وكانت قريبته زوجة البواب قد أخبرته ببعضها وأعطته مائة دينار من الالف دينار الذى اخذته من ابراهيم فى الليلة السابقة . فقال له الخياط : والله يابنى انى أحببتك على السماع كما أحببت أنت جميلة على السماع ، وقد ازددت حبا لك بعد أن رأيتك وجالستك وسمعت حديثك وغناءك . ولهذا لايسعنى الا ان أصرح

لك بأن الطريق الى غايتك طريق صعب محفوف بالمخاطر ، لان جميلة لاتغادر قصرها الا مرة واحدة كل اربعين يوما ، لتذهب هى وجواريها الى البستان الذى يعمل فيه أخى ، وهناك تقضى طول اليوم فى التنزه ثم ترجع الى قصرها من غير أن يراها أحد غير جواريها وأخى . وقد حدث منذ حين أن حاول أحد الناس رؤيتها وهى هناك ، فلما وقعت عيناها عليه قذفته بخنجر معها فأردته قتيلا !

فلما سمع ابراهيم كلامه ، شكره على نصيحته ، وأعطاه جوهرة كبيرة مما معه فى الجراب ، ومعها ألف دينار ، وقال له : لاتخش على من مخاطر الطريق ، لان مخاطر الفراق والحرمان أشد على قلبى ، والقتل عندى أهون كثيرا من بقائى على الحال التى أنا فيها . فقال له الخياط : مادام الامر كذلك ، ففى غد ان شاء الله أجهز لك زورقا يحملك الى شاطىء ذلك البستان ، وأعطيك رسالة الى أخى ليساعدك على أن ترى جميلة ولو من بعيد ، ثم يفعل الله مايريد !. فكرر ابراهيم شكره له ، واتفق معه على اللقاء بعد صلاة المغرب فى اليوم التالى

وفى الموعد المحدد ، وجد ابراهيم صاحبه الخياط الاحدب فى انتظاره بباب المسجد ، ومضى به الى شاطىء النهر حيث أركبه فى زورق صغير ليس به سوى ملاح واحد من غلمانه ، وأوصى الغلام بأن يوصله الى شاطىء البستان الذى فيه أخوه ، ثم يرجع وحده بالزورق من غير أن يعلم أحد بذهابه أو ايابه . فقال الغلام : سمعا وطاعة

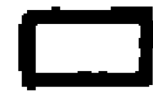
ووصل الزورق الى شاطىء البستان بعد صلاة العشاء بقليل . فصعد ابراهيم مع غلام الخياط اليه ، ومشيا فى حذر متسترين بالظلام ، الى ان بلغا مدخل البستان ، فوجدا البواب شقيق الخياط ، وهو أحدب مثله ، جالسا على سرير من العاج فى صدر الدهليز ، وعليه ثياب مطرزة بالذهب ، وفى يده دبوس كبير مقبضه من الذهب المطعم بالجواهر .

وأمامه مائدة حافلة بالطعام والشراب ، والشموع موقدة من حوله . وليس معه أحد سواه

واشار الغلام على ابراهيم بأن يقف صامتا ، ثم أطلق من فمه صفيرا خافتا بنغمات خاصة ، فلما سمع البواب الاحدب ذلك الصفير ، نهض من مكانه ، واسرع نحو مدخل البستان قائلا : هل جئت ياميمون ؟. وكان هذا هو اسم غلام الخياط شقيقه . فأجابه قائلا : نعم ياسيدى ، ومعى رسول اليك من شقيقك يحمل رسالة منه ، فتعجب البواب من ذلك ، ونظر الى الغلام والى ابراهيم بحذر شديد ، ثم تناول الرسالة من يد ابراهيم وقال لهما : قفا حيث أنتما ولا تأتيا حركة حتى أرجع اليكما ، والا قتلتكما بهذا الدبوس الذى معى . فتملكهما الخوف ، ووقفا ساكتين ، بينما رجع هو الى مجلسه وفض الرسالة وقرأها فى ضوء الشموع ، فلما تحقق أنها من شقيقه الخياط ، ووقف على مافيها ، سار الى مدخل البستان ثانية وامر الغلام بالانصراف والرجوع من حيث أتى ، ثم أخذ بيد ابراهيم ومشى به حتى أجلسه بجانبه على سريره ، وقال له : والله لولا ان قلبى أحبك منذ رأيتك ماسمحت لك بأن تخطو خطوة واحدة داخل هذا البستان . ثم ألح عليه فى أن يتناول معه الطعام والشراب ، فلما انتهينا من ذلك ، نهض واصطحبه الى داخل البستان ، ولم يزل يسير به من مكان الى مكان ، بين أشجار مثمرة الاغصان ، وأزهار تنعش برائحتها الابدان والاذهان ، وأطيار تسبح للرحمن بأبدع الالحان ، الى أن وقف به أمام قبة عظيمة من المرمر ، فى أسفلها باب من الذهب الاحمر والاصفر والزمرد الاخضر . ثم أخرج من جيبه مفتاحا ووضعه فى ثقب بالباب ففتحه به ، وكان ابراهيم ممسكا شمعة موقدة اعطاها له ، فلما دخلا أخذها منه وأوقد منها عدة شموع كبيرة كانت هناك ، فرأى ابراهيم فى ضوئها منظرا بديعا لمجلس لطيف لم ير مثله من قبل ، ثم قال له البواب :

هذا هو المجلس الذى تأتى اليه سيدتى جميلة مع جواريها كل أربعين يوما ، لتقضى ساعات فى الانس والانشراح . فامكث هنا الى الصباح ، ثم أحضر اليك واتفق معك على ماتفعل . وتركه بعد ذلك وانصرف الى مجلسه عند مدخل البستان ، بعد أن أغلق باب القبة كما كان . فجلس ابراهيم يتأمل فيما حوله من مناظر ساحرة ، ثم قام فأطفأ الشموع ونام ، وسعد فى منامه بأحسن الاحلام !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الرابعة والثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن ابراهيم بن الخصيب بقى نائما فى المجلس الذى أوصله اليه بواب البستان ، الى أن رجع اليه فى صباح اليوم التالى وأيقظه . وبعد أن تناولا طعام الافطار معا ، قال له : هل مازلت مصرا على ان ترى سيدتى جميلة ، برغم المخاطر التى أخبرك بها أخى ؟. فقال له : نعم ، وانا على استعداد لان أضحى بروحى فى سبيل ذلك . ثم أخرج من الجراب الذى معه جوهرة كبيرة نادرة ، وكيسا فيه ألف دينار ، وقال له : هذه هديةبسيطة أرجو أن تقبلها منى ، ولك أضعافها مع الشكر الجزيل بعد أن أبلغ مرادي . فأخذ منه الجوهرة والكيس مسرورا ، وقال له : هل ترى العريشة التى فوق تلك الشجرة العالية المطلة على هذا المجلس ؟. اننى سأجعلك تصعد اليهـا وتختبىء فيها ، ثم تبقى هناك وأجىء انا اليك بالطعام والشراب كل يوم ، الى أن تحضر سيدتى وجواريها ،فتراهن من حيث لايشعرن . واياك أن تأتى بأية حركة تلفتأنظارهن اليك ، والا كان فى ذلك هلاكنا معا . فقال له : سمعا وطاعة

وظل ابراهيم بن الخصيب سبعة أيام بلياليها وهو مختبىء فى تلك العريشة التى فوق الشجرة ، وبواب البستان الاحدب يحمل اليه الطعام والشراب . وفى اليوم الثامن توجه اليه فى الصباح وقال له : ان السيدة جميلة أرسلت رسولا من عندها لاعداد مجلسها فى القبة الاخرى ، وستحضر بعد قليل مع جواريها، فتعال معى لكى أريك هذا المجلس الآخر ، ثم تصعد على عريشة كهذه فوق شجرة قريبة من هناك . فنزل ابراهيم بن الخصيب مسرعا ، ومشى معه الى ذلك المجلس الآخر ، فاذا هو أفخم وأبدع وأروع . وفى وسطه نافورة جميلة التنسيق ، تحيط بها تماثيل لحيوانات وطيور يخرج الماء من افواهها الى أحواض فرشت أرضها بالزمرد والياقوت والزبرجد ، وحولها أشجار الورد من مختلف الالوان . وقد جعل جريان الماء داخل أجسام التماثيل ثم نزوله من أفواهها الى الاحواض بحيث تحدث أصواتا موسيقية تطرب لها الاسماع . وفى الجهة المقابلة لهذه النافورة ساقية قواديسها من الذهب والجواهر ، وحولهما سور من الآبنوس والعاج ، من خلفه أقفاص فى بعضها أسود وأفيال ونمور وفهود وثعالب وذئاب وما اليها ، وفى بعضها طيور وعصافير مغردة من مختلف الالوان !

وكاد ابراهيم يذهل عن نفسه وهو يتفرج على مافى ذلك المجلس من مناظر تخلب الالباب ، ثم نبهه بواب البستان الى وجوب اختبائه فى العريشة الجديدة ، فصعد اليها واختبأ بين أغصانها المتشابكة ، وأخذ ينظر من خلالها الى ذلك المجلس ، وقلبه يخفق فرحا بقرب رؤية حبيبة قلبه التى عشقها من صورتها

ولم تمض ساعة ، حتى وصلت الى سمعه ضحكات ناعمة رقيقة كأنها تغريد البلابل ، أو رنات الاوتار . ثم فتح باب القبة ودخل منه عشر من الجوارى كل منهن كأنها البدر

فى ليلة تمامه ، ولما وصلن الى النافورة خلعن ثيابهن وجلسن على حافتها وأرجلهن مدلاة فى الحوض الذى ينزل فيه الماء من أفواه التماثيل . ثم أقبلت بعد ذلك خمسون جارية أخرى أجمل وأروع ، وهن يحملن آلات اللهو والشراب ، وخلعن ثيابهن أيضا ثم جلسن على الارائك الموضوعة فى المجلس متكئات على وسائد من خالص الحرير وريش النعام . ثم جعلن يتضاحكن ويلاعب بعضهن بعضا بخفة ودلال ، وهو ينظر اليهن حائرا ذاهلا لايدرى أيهن حبيبته صاحبة الصورة ، اذ كن متشابهات الوجوه والاجسام كأنهن توائم ، أو تماثيل من الشمع الابيض صبت فى قالب واحد . وفيما هو كذلك اذا بهن جميعا قد وقفن فجأة ورفعن أيديهن بالتحية ، بينما دخلت من باب القبة فتاة ماكاد يرى وجهها حتى اشتد خفقان قلبه ولولا أنه تمالك نفسه لوقع من فوق الشجرة ، ذلك لانه عرف فى هذه الفتاة حبيبة قلبه جميلة بنت أبى الليث . ثم أخذ يتابعها بنظراته حتى وصلت الى كرسى فخم وسط تلك الارائك وجلست عليه بعد أن تخففت من ملابسها ، ولم يبق على جسمها سوى غلالة من الحرير الشفاف !

وبعد قليل ، قامت جميلة وجميع الجوارى فنزلن فى الحوض للاستحمام ، وبقين ساعة فى الماء ، وهن يسبحن تارة ، ويرقصن واقفات على حافة الحوض تارة أخرى . ثم جلسن يأكلن ويشربن ويتضاحكن نحو ساعة ، وبعد ذلك أخذت الجوارى العازفات فى الضرب على الآلات المختلفة ، بينما الجوارى المغنيات يتناوبن الغناء بألحان تطرب الحجر الجلمود . ولما انتهين من الغناء ، قبلن الارض بين يدى سيدتهن جميلة ، والتمسن منها أن ترقص وتغنى كعادتها ، فتمنعت أول الامر ، ثم نضت عنها ثيابها ونهضت تتمايل بقوام يخجل غصن البان من تثنيه ، ولم تزل ترقص والجوارى يصفقن لها ، حتى تعبت من الرقص ، فعادت

الى كرسيها وارتدت بذلة أخرى ، ثم أمسكت العود وعزفت عليه بطريقة بغدادية لايعرفها الا الراسخون فى الفن . وبعد ذلك غنت بصوت عذب حنون :

كما اشتهت خلقت ، حتى اذا اعتدلت
فى قالب الحسن ، لاطـول ولا قصر
كأنهـا خلقت من مـاء لؤلـؤة
فى كل جارحة من حسنها قمـر

فلم تبق جارية من الجوارى الحاضرات الا شقت ثيابها طربا واعجابا ، ولم يتمالك ابراهيم نفسه من شدة طربه فشق ثوبه من حيث لايشعر . ثم عزفت على العود بطريقة أعجب وأغرب ، وغنت تقول :

وراقص مثل غصن البان قامته
تـكاد تذهب روحى مـن تنقله
لاتستقر له فى رقصـه قدم
كأنمـا نار قلبى تحت أرجله

فقام الجوارى كلهن وأخذن يرقصن من حولها وهن يصحن صيحات الطرب والسرور . ولم يزلن كذلك ساعة من الزمان ، ثم عزفت جميلة على العود بطريقة ثالثة جديدة ، وغنت هذين البيتين :

اراك فلا أرد الطـرف كيلا تكون حجاب رؤيتك الجفون
ولو انى نظرت بـكل لحظ لما استوفت محاسنك العيون

فشقت الجوارى ثيابهن مرة أخرى ، وصرن يتصايحن ويقذفن بأنفسهن الى الماء الجارى فى الحوض . وكاد ابراهيم ابن الخصيب يقذف بنفسه من فوق الشجرة لفرط طربه وهيامه ، ولم يتمالك نفسه فانطلقت من حلقه صرخة لم يستطع حبسها ، وحانت من جميلة التفاتة الى جهـة الشجرة التى هو عليها . فرأت وجهه من خلال الاغصان المتشابكة ، وسرعان مانهضت واخرجت من منطقتها خنجرا لامعا ، وهمت بأن تقذفه به فتصرعه ، لكن قلبها لم يطاوعها

على ذلك ، فأعادت الخنجر كما كان ، ثم نادت جواريها فأقبلن ووقفن بين يديها سائلات عما تريد ، فأمرتهن بمغادرة القبة فورا ، ولم يسعهن الا السمع والطاعة . وخرجن متعجبات لايدرين سبب غضبها وأمرها اياهن بالخروج

ولما صارت وحدها فى المجلس ، سارت حتى وقفت تحت الشجرة ، وصاحت بابراهيم وهو مختبىء فى العريشة : انزل فورا والا قذفتك بخنجرى . فلم يسعه الا ان نزل ، وقبل الارض بين يديها ، ثم وقف مطرقا خاشعا وعيناه تفيضان بالعبرات ، فقالت له : أصدقنى القول ولا تكتم عنى شيئا ، والا كنت الجانى على نفسك . فقال لها : اننى ياسيدتى ابراهيم بن الخصيب والى مصر

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الخامسة والثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد أن جميلة بنت أبى الليث ماكادت تسمع كلام ابراهيم بن الخصيب وترى وجهه حتى رق له قلبها ، وقالت له : انى سمعت عن شخص بهذا الاسم من أفواه الجوارى المصريات عندى ، وقلبى يحدثنى بأنك ذلك الشخص حقا ، ولكن ماسبب حضورك من مصر الى البصرة ودخولك هذا البستان ؟

فقص عليها ابراهيم حكايته من أولها الى آخرها ، ولم يخف عليها شيئا . فلما انتهى من قصته ، قالت له : والله انها لقصة عجيبة ، وأعجب منها أننى عشقتك أيضا على السماع منذ حدثتنى الجوارى المصريات بصفاتك . ولكن لكى يطمئن قلبى ، سألاعبك الآن بالشطرنج دورا واحدا ، فان غلبتنى كنت أنت ابراهيم بن الخصيب حقا . ثم مضت به الى المجلس الذى كانت فيه مع جواريها ، وجاءت بالشطرنج

وجلست تلاعبه ، فلم تمض دقيقة حتى غلبها ، فطلبت منه أن يلاعبها من جديد ، فقبل وغلبها تسعة ادوار أخرى . وحينئذ لم تتمالك نفسها وارتمت بين أحضانه وهى تبكى ، وظلا متعانقين مدة طويلة وهما ذاهلان عن كل ماحولهما . ثم سمعا أصوات الجوارى وبواب البستان خارج القبة ، فقالت له : هيا نهرب من هذا المكان . ثم اخذت بيده وقادته الى طريق داخل البستان أدى بهما الى شاطىء النهر ، وهناك وجدا زورقا فركباه وأسرعا به قاصدين الى الشاطىء الآخر ، فلما بلغاه ، وجدا سفينة كبيرة تهم بالمسير ، وسألا رئيس الملاحين فيها عن وجهته . فقال لهما : اننا مسافرون الى بغداد . فلما سمعا ذلك تملكهما السرور ، وركبا فيها . ولم تمض ساعة حتى كانت السفينة تسير بهما فى ريح طيبة ، ولم تزل كذلك حتى أقبل المساء ، وأراد رئيس الملاحين أن يرسو بالسفينة على الشاطىء حتى الفجر ، فدعاه ابراهيم بن الخصيب وأعطاه مائة دينار ذهبا وقال له : واصل السير بالسفينة حتى تصل الى بغداد ، وهناك أكافئك بأضعاف ذلك . فقال رئيس السفينة : سمعا وطاعة . وواصل سيره بها ليل نهار حتى وصل الى بغداد

وكان ابراهيم قد أخبر جميلة بالشرط الذى اشترطه عليه ابن عمها أبو القاسم ، فلم تعلق على ذلك بشىء أول الامر ، لكنها بعد أن وصلا الى بغداد ، واقترح عليها أن يذهبا الى دار أبى القاسم تنفيذا لذلك الشرط ، لم توافقه على ذلك ، وقالت له : انه ابن عمى ، وانا أدرى به . ولاشك أنه ما اشترط عليك ذلك الشرط الا لكى ينتقم منى ومنك شر انتقام

فقال لها ابراهيم : انه أكرمنى كل الاكرام حينما نزلت عنده ، وهو الذى أعد السفينة التى نقلتنى من هنا الى البصرة . ولم يزل ابراهيم يلح عليها حتى قبلت الذهاب معه الى دار أبى القاسم ابن عمها . فلما وصلا اليها ورآهما

أبو القاسم ، نهض لاستقبالهما وعلى وجهه أمارات البشر والسرور . ثم أمر بتعليق الزينات فى الدار ، وأقام لهما حفلة كبيرة ، وأبى الا أن يقف طول الوقت فى خدمتهما ، مكررا لهما التهنئة باجتماع شملهما . وفى نهاية الحفلة بعد منتصف الليل ، جاء اليهما بعلبة كبيرة من الذهب المطعم بالجواهر ، وفتحها فاذا فيها نوع من الحلوى الفاخرة ، قدم لكل منهما قطعة منها قائلا : لقد صنعتها بيدى لاقدمها لكما ابتهاجا بتحقق آمالكما . فتقبلا هديته بالشكر ، وماكادا يتذوقان تلك الحلوى حتى وقعا مغشيا عليهما ، اذ أنها كانت محشوة بالبنج !

ولما أفاق ابراهيم بن الخصيب ، فتح عينيه ، وأخذ ينظر الى ماحواليه ، فاذا هو فى مكان مقفر قذر ، وليس على جسمه غير سروال مهلهل لايكاد يستر عورته ، ثم رأى بجانبه امرأة نائمة فظن انها حبيبته جميلة وحمد الله على نجاتها ، ثم مد اليها يده ليوقظها ، فاذا بالدم يتدفق منها ويلوث يده . ولم يسعه الا أن نهض من مرقده وهو يصرخ من الرعب والفزع والحزن . وأقبل على صراخه بعض الشرطة ، فلما رأوه واقفا بجانب جثة القتيل ويده ملوثة بالدم ، قبضوا عليه وساقوه مقيدا بالاغلال ، الى أن أوقفوه بين يدى الوالى قائلين : هذا الشاب المجرم هو الذى قتل جاريتك بعد أن خطفها من قصرك . فلم يتمالك الوالى نفسه من شدة الغضب والغيظ وقال لهم : أن القتل وحده لايكفى عقابا لهذا المجرم الاثيم ، ولابد أن نقطع يديه ورجليه وكل أطرافه أولا

فلما سمع ابراهيم كلام الوالى ، قال : لاحول ولا قوة الا بالله العظيم ، وحاول أن يشرح قصته للوالى ، فرفض أن يستمع له ، وأمر أعوانه بتنفيذ الحكم الذى أصدره لهم فورا ، وسرعان ماتقدم السياف وجره الى النطع لقطع يديه ورجليه وأطرافه ثم ضرب عنقه ، فمشى معه ابراهيم وهو

ينطق بالشهادتين ، وينشد هذين البيتين :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

وما كاد يتم انشاده حتى رأى السياف قد رفع سيفه ونظر الى الوالى منتظرا اشارته ببدء التنفيذ . فأظلمت الدنيا فى عينيه ، ووقع على النطع مغشيا عليه !

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة والثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن ابراهيم بن الخصيب ، لما أفاق من اغمائه فى هذه المرة ، ماكاد يفتح عينيه ، حتى أخذ ينظر الى يديه ورجليه ، ويتحسس انفه وشفتيه وأذنيه . غير مصدق أنها مازالت فى مكانها ولم يقطعها السياف . ثم نظر حوله فاذا هو فى غرفة حسنة الاثاث ، مزخرفة الجدران ، وتحته سرير فخم نظيف الفراش . وكان وجهه الى جهة الحائط ، فلما تقلب وأدار وجهه ، اذا به يجد شيخا نائما وهو جالس على كرسى بجانب السرير ، ولما تأمل فى وجهه لم يتمالك نفسه من الصياح لفرط دهشته ، اذ تبين أن هذا الشيخ هو وزير أبيه فى مصر . وانتبه الشيخ من اغفائه على ذلك الصياح ، فلما رأى ابراهيم جالسا فى السرير ، ابتسم مسرورا ، وقال له : لاباس عليك ياولدى ، استرح حتى يتم رجوع عافيتك . ولكن ابراهيم ألقى بنفسه عليه وأخذ يعانقه وهو يبكى ، الى أن أجلسه الوزير على السرير ، وقال له : ان والدك وأهلك كلهم بخير والحمد لله ، وقد علمنا بأمر مجيئك الى بغداد من بائع الكتب الذى اشتريت منه الكتاب والصورة ، فأرسلنى والدك الى الخليفة هارون الرشيد للبحث عنك .

فلما جئت وقابلته ورويت له قصتك ، أهتم بأمرك كل الاهتمام ، وأرسل فى طلب الوالى ليكلفه البحث عنك ، ولما قيل له : ان الوالى مشغول بالاقتصاص من شاب مجرم قبض عليه متلبسا بجريمة قتل جارية له ، لم يشــأ الانتظار ، وقام وأخذنى معه الى ديوان الوالى لمشاهدة ذلك القصاص . وماكدت أراك ممددا فى النطع والسياف يهم بضربك ، حتى عرفتك ورميت نفسى عليك ، فعجب الخليفة كل العجب ، ثم اشتد عجبه حينما علم انك ابراهيم ابن الخصيب . وجاء الشرطة خلال ذلك وقالوا انهم قبضوا على القاتل الحقيقى لجارية الوالى ، كما قبضوا على أبى القاسم الصيدلانى وهو يهم بذبح جميلة بنت عمه وحبيبتك. واعترف ابو القاسم أمام الخليفة بفعلته ، فأمر بقتله فورا . ثم نقلناك أنت وجميلة انى هنا فى قصر الخليفة . وهى الآن بخير مثلك والحمد لله . وقد أرسل الخليفة الى والدها فحضر الى هنا أيضا . وخطب منه الخليفة ابنته لك ، فقبل مسرورا . وكلنا الآن فى انتظار شفائك لاتمام الزواج

فلما سمع ابراهيم كلام وزير أبيه ، لم يتمالك نفسه من البكاء لشدة فرحه ، ثم قال له : انى الآن فى أحسن صحة وعافية . فأخذه الوزير وتوجها معا الى مجلس الرشيد ، فرحب بابراهيم ، كما رحب به أبو الليث والد جميلة ، وكان حاضرا فى المجلس . ثم أرسل الخليفة فى طلب القاضى والشهود ، فلما حضروا أمرهم بعقد قران ابراهيم بجميلة. ثم أمر بأن يخصص لهما قصر من قصوره ليقيما به أربعين يوما فى ضيافته . وبعد ذلك عاد ابراهيم وعروسه ووزير والده الى مصر ، مزودين بالهدايا الثمينة من الخليفة وأبى الليث والى البصرة والد جميلة . وكان يوم وصولهم الى مصر من أيام الاعياد ، اذ أقيمت فيه الافراح فى كل مكان ، ولم يزالوا جميعا فى سعادة مابعدها سعادة ، الى أن اتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات !

معروف الاسكاف

الليلة السابعة والثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار : هل سمعت يا مولاى بقصة معروف الاسكاف المصرى الذى صار ملكا ؟ . فقال لها : ما سمعت بها ، فقصيها على . فقالت : يحكى ايها الملك السعيد ، انه كان فى مدينة مصر المحروسة رجل اسكاف يرقع الأحذية ، وهو على فقره كريم الاخلاق ، محب الناس . وكانت له زوجة اسمها فاطمة ، والناس يطلقون عليها لقب « العرة » لأنها كانت فاجرة ماكرة خبيثة قليلة الحياء ، محبة للشر والفتنة ، تعامل زوجها أسوأ معاملة . وفى كل يوم تسبه وتلعنه ألف مرة ، ولا تتورع عن ضربه ، حتى صار يخشى شرها واذاها ، وكل ما يربحه من عمله ، سواء أكان قليلا أم كثيرا ، يصرفه عليها . لكنها كانت لا تشكر على الكثير ، وتثور عليه اذا اعطاها القليل ، فتنغص عيشته ، وتجعل ليلته اسود من صحيفتها ، وهى كما قال فى حقها الشاعر :

كم ليلة بت لدى زوجتى
فى أشأم الأحوال قضيتها

يا ليتنى عند دخولى بها
أحضرت سما ثم اعطيتها

وكان من جملة ما اتفق لهذا الرجل مع زوجته انها قالت له وهو يغادر البيت فى أحد الأيام : أريد ان تحضر لى معك اليوم كنافة عليها عسل نحل . فقال لها : اسأل الله أن

يسهل لى بثمنها لكى أجىء بها اليك الليلة ، وهو سبحانه وتعالى كريم وهاب ، يرزق من يشاء بغير حساب . فقالت له : انا ما أعرف هذا الكلام . ان سهل لك أو لم يسهل فلابد أن تجيئنى بالكنافة التى بعسل النحل ، واذا رجعت الى البيت من غيرها ، فسأجعل ليلتك مثل بختك الذى اوقعك فى يدى ! . فقال لها : الله كريم . ثم تركها وخرج والغم يتناثر من بدنه

وتوجه معروف الى المسجد فصلى الصبح حاضرا ، ثم مضى الى دكانه ففتحه وهو يدعو الله أن يرزقه بثمن الكنافة التى طلبتها زوجته ، ويكفيه شرها ، ويكف عنه لسانها ويدها

ومضى نصف النهار ومعروف المسكين قاعد فى الدكان من غير شغل . فاشتد خوفه من زوجته ، وصار حائرا فى امره ، لا يدرى كيف يحصل على الكنافة المطلوبة وهو لا يملك ثمن الخبز ! . ثم قام واغلق دكانه ، وتوجه الى دكان الكنفانى ، فلما وصل اليه ، وقف امامه حزينا وعيناه تسكبان الدموع . فلما رآه الكنفانى بهذه الحالة ، صاح به : مالك تبكى يامعلم معروف ، وأى شىء أصابك ؟ . فأخبره بقصته قائلا : ان زوجتى الجبارة العنيدة طلبت منى أن أحضر لها اليوم كنافة بعسل النحل ، وقد مضى نصف النهار وأنا قاعد فى الدكان من غير أن يجئنى حتى ثمن الخبز ، وانا لذلك خائف منها !

فلما سمع الكنفانى كلامه ، ضحك وقال له : لا بأس عليك ، كم رطلا تريد ؟ . فقال له : أريد خمسة ارطال . فوزن له ثم قال له : السمن عندى ، ولكن ما عندى عسل نحل ، بل عندى عسل قصب ، وهو أحسن من عسل النحل . فقال معروف لنفسه : شىء أحسن من لا شىء ! . ولن أجد احدا غير هذا الرجل الطيب يعطينى كنافة مع تأجيل دفع ثمنها . ثم قال الكنفانى : هاتها بعسل قصب ولك الشكر . فأعطاه ما طلب ، وقال له : هذه والله كنافة تهدى الى

الملوك . ثم اعطاه اربعة دراهم وقال له : خذ هذه ايضا لكى تشترى ما تحتاج اليه من خبز وجبن . فيكون مجموع ما عندك لى عشرة دراهم ، تدفعها على مهلك حينما يرزقك الله من فضله الواسع ، ولا يهمك شىء فأنا أصبر عليك بدل اليوم يومين وثلاثة وعشرة الى أن يأتى الله بالفرج !

فأخذ معروف الكنافة والدراهم وانصرف مسرورا ، داعيا للكنفانى بالخير . ثم مر على السوق فى طريقه ، واشترى لوازم البيت من خبز وجبن وخضر وغيرها، وحمل ذلك كله ومضى به الى زوجته فاطمة العرة وهو يقول : سبحانك ربى ما أكرمك !

ولما دخل معروف بما حمل على زوجته ، قالت له : هل جئت بالكنافة ؟. فقال لها : نعم . ثم وضعها قدامها . فنظرت اليها بغضب واشمئزاز ، وقالت له : هذه كنافة بعسل قصب ، وانا قلت لك هاتها بعسل نحل ، فكيف تتصرف على غير مرادى ؟! .. فاعتذر اليها قائلا : اننى اشتريتها بثمن مؤجل ، لان الله لم يفتح على بأى عمل فى هذا اليوم . فقالت له : هذا كلام فارغ لا أحب أن أسمعه وانا ما آكل الاكنافة بعسل نحل . ثم قذفت وجهه بالكنافة وأخذت تسبه وتضربه بغير شفقة ولارحمة . كل هذا وهو ساكت صابر على بلواه . ولكنها استمرت فى ضربه ، حتى قلعت سنا من أسنانه بلكمة قوية على فمه . فسال الدم على صدره . ولم يسعه لشدة ألمه وغيظه الا أن امسك يدها ليمنعها من مواصلة ضربه . فاشتد غضبهاوغيظها، وامسكت لحيته وصارت تصرخ وتصيح : ياناس . يا جيران .. ادركونى قبل ان يقتلنى هذا المجرم الغادر الجبار !. وسرعان ماحضر الجيران على صراخها ، وبعد أن خلصوا لحيته من يدها ، وعلموا بسبب المشاجرة ، قالوا لها : لاحق لك فى الغضب على زوجك الطيب المسكين ، ونحن كلنا نأكل الكنافة

بعسل القصب . ولم يزالوا يلومونها تارة ، ويلاطفونها تارة أخرى ، الى أن أصلحوا بينهما

ولما انصرف الجيران ، طلب معروف الى زوجته أن تجلس للأكل معه ، فحلفت لاتذوق الكنافة بعسل القصب ، كما رفضت أن تأكل أى شىء غيرها . فقال لنفسه : آكل أنا هذه الكنافة لاسد جوعى . ثم أخذ فى أكلها فوجدها لذيذة جدا ، بينما جعلت هى تنظر اليه مغتاظة وتقول له : ان شاء الله يكون أكلها سما يهرى بدنك . فقال لها : ماهو بكلامك وصار يأكل ويضحك قائلا لها : انت حلفت ماتأكلين من هذه الكنافة ، فدعينى آكلها ، وان شاء الله فى الليلة القادمة أجىء لك بكنافة بعسل نحل لتأكليها وحدك . ولم يزل يلاطفها ويستعطفها ، وهى تدعو عليه وتسبه وتشتمه الى أن تعبت من ذلك قرب الفجر ، فتركته ونامت . وماهو الا قليل حتى علا شخيرها ، فحمد الله على أن خلصه من لسانها ويدها ، ثم نام هو الآخر !

وعند الفجر ، استيقظ معروف ، وقام فتوضأ وصلى الصبح ، ثم هم بالخروج الى الدكان . وماكاد يصل الى باب البيت حتى سمع صوت زوجته تناديه . ثم لحقت به ، وشمرت عن ساعدها لتضربه ، فقال لها : أتركينى أذهب الى عملى لاجىء لك بالكنافة التى تحبينها . فتركته وهى تهدده وتتوعده ، وتشيعه بالشتائم المنكرة !

وتوجه معروف الى الدكان ففتحه وجلس ينتظر نصيبه من الرزق ، وما كاد ينتهى من اعداد العدة للعمل ، حتى جاءه اثنان من عند القاضى ، وقالا له : قم كلم مولانا القاضى فان امرأتك قد شكتك اليه . فلما سمع ذلك قال لنفسه : الله ينكد عليها . ثم قام ومشى معهما حتى دخل على القاضى ، فرأى زوجته هناك رابطة ذراعها وبرقعها ملوث بالدم . وهى واقفة تبكى . ثم قال له القاضى : الا تخاف من الله تعالى يا رجل ؟ كيف تضرب زوجتك هكذا وتكسر



« واشتد غضبها وغيظها ، وامسكت لحيته وصارت تصرخ وتصيح .. »

ذراعها وتقلع سنها ؟ فقال له معروف : أن كنت ضربتها أو قلعت سنها فاحكم بشنقى فى هذه الساعة . ثم روى له ماكان من أمرها معه من أوله الى آخره ، واستشـــهد بالجيران الذين خلصوا لحيته من يدها ، وبالكنفانى الذى أعطاه الكنافة والدراهم الاربعة . وكان ذلك القاضى من أهل الخير ، فرق قلبه لمعروف المسكين ، واعطاه ربع دينار قائلا له : خذ هذا لتشترى منه لزوجتك كنافة بعسل النحل . فشكره معروف وقال له : اعطها اياه ياسيدى لتصنع به ماتشاء . فتعجب القاضى من طيبة قلب معروف ، وقال لزوجته بعد أن أعطاها ربع الدينار : أطيعى زوجك فان طاعة الزوج من طاعة الله . ولم يزل يتلطف معهما ويزودهما بنصائحه حتى خرجا من عنـــده راضيين متصـــالحين . ومضت هى فى طريقها الى البيت ، بينما مضى هو فى طريقه راجعا الى دكانه

وماكاد معروف يصل الى الدكان ، ويجلس مستعدا للعمل حتى حضر اليه الرجلان اللذان أخذاه الى القاضى ، وطلبا منه أجر خدمتهما له . فقال لهم : انى رجل فقير ، والقاضى لم يأخذ منى شيئا ، بل أعطانى ربع دينار من عنده . فقالا له : لا شأن لنا باعطاء القاضى اياك أو أخذه منك ، وان لم تعطنا أجر خدمتنا فنحن نأخذه منك بالقوة !

ولما فتشاه ولم يجدا معه شيئا ، ضرباه وجراه الى السوق مهانا ذليلا حاملا عدته على كتفـــه ، حيث باعاها هنـــاك بأحد عشر درهما ، فأخذا منهـــا عشرة دراهم ، تاركين له درهما واحدا يتصرف فيه كيف يشاء

ولما رجع الى الدكان ، جلس حزينا حائرا ، لايدرى مايفعل بعد أن فقد عدة عمله . ولا كيف يحصل على ما يعيش به فضلا عن الكنافة بعسل النحل التى طلبتها زوجته ، ولابد انها ستشتمه وتضربه ان رجع اليها بغيرها . وفيما هـــو كذلك ، فوجىء بدخول رجلين عليه فى الدكان ، منظرهما

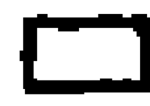
مخيف ، وقالا له : قم يارجل كلم القاضي فان زوجتك شكتك اليه !

فلما سمع كلامهما ، تعجب غاية العجب ، وقال لهما : ان القاضي أصلح بيني وبينها منذ قليل !.. فقالا له : نحن من عند قاض آخر ، وان لم تأت معنا بالتي هي أحسن ، فاننا نأخذك بالضرب والاهانة . فقام معهما ، وترك الدكان مفتوحا لعدم وجود شيء فيه يخشى عليه . ولما دخل على القاضي الآخر ، وجد زوجته هناك وهي تبكي وتندب حظها فقال لها : السنا قد اصطلحنا يابنت الحلال ؟ . فقالت له : ما بقى بيني وبينك صلح أبدا . فتقدم للقاضي وروى له حكايته مع زوجته من أولها الى آخرها . واستشهد بالجيران والكنفاني والقاضي الاول . فلما سمع القاضي كلامه ، التفت الى زوجته وقال لها : مادمتما قد اصطلحتما فلماذا جئت تشتكين منه هنا ؟ . فقالت له وهي تبكي : انه ضربني بعد ذلك . وأخذ مني ربع الدينار الذى اخذته من القاضي الاول فقال معروف : والله ما أخذته منها ، بل انا الذى طلبت الى القاضي ان يعطيها اياه . وقد لحق بي رجاله عقب انصرافنا من عنده وفتشوني فلم يجدوا معي شيئا لأدفع منه اجر خدمتهم ، وعلى هذا باعوا عدة عملي في السوق واخذوا ثمنها . فلما سمع القاضي كلامه ، قال لهما :ان الصلح خير على كل حال . ثم صرفهما بعد أن طلب من معروف الا يعود الى ضرب زوجته ، وطلب منها الا تعود لمخالفته !

وماكاد معروف يخرج من بيت القاضي ، حتى لحق به رسولاه ، وطالباه بأجر خدمتهما . فأعطاهما الدرهم الباقي معه ثمن العدة . ولكنهما لم يقنعا به ، ولم يقبلا من معروف اى عذر . ثم فتشاه ولما وجدا أنه ليس معه شيء من الدراهم انهالا عليه بالضرب حتى أغمى عليه ، ثم تركاه ملقى على

الارض فى الطريق ، بعد أن سلباه عمامته وثوبه !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة والثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهرزاد للملك شهريار : بلغنى ايها الملك السعيد أن فاطمة العرة فرحت كثيرا حينما رأت زوجها مغمى عليه من شدة الضرب ، ثم تركته غير عابئة بما حدث أو يحدث له . أما هو فلما افاق من اغمائه ، ووجد نفسه مجردا من ثوبه وعمامته ، لم يسعه الا أن تحامل على نفسه وقام يجر قدميه جرا ، الى أن وصل الى دكانه ، وجلس يبكى . ولم يمض عليه هناك غير قليل ، ثم أقبل اليه واحد من جيرانه ، وصاح به : أسرع بالهرب من هنا ، لان زوجتك الملعونة اشتكتك الى الوالى . ورسوله « أبو طبق » فى طريقه اليك الآن لاخذك اليه . ثم أعطاه درهما ، فأخذه منه معروف شاكرا وقام يجر رجليه مرة أخرى طالبا الفرار قبل أن يحضر أبو طبق !

ولم يزل معروف ماشيا والدمع ينهمر من عينيه ، وهو يشعر بالالم فى رجليه ويديه . والاولاد فى الطريق يضحكون عليه . الى أن وصل الى باب النصر . وكان ذلك فى فصل الشتاء عند العصر ، والمطر ينهال عليه ، والبرد الشديد يلسع بدنه العارى . فأوى الى حاصل مهجور وجده هناك من غير باب . وانزوى فى ركن منه لكى يتقى المطر المنهمر وأخذ يبكى ويندب حظه ويقول لنفسه : اين أهرب من هذه الفاجرة الغادرة الماكرة ؟. ثم رفع يديه الى السماء ودعا الله قائلا : أسألك يارب يامجيب الدعوات ، أن ترزقنى بمن يوصلنى الى بلاد بعيدة لاتعرف امرأتى طريقها !

وما انتهى من دعائه ، حتى انشق الحائط الذى أمامه ،

وخرج منه شخص طويل القامة ، عظيم الهامة ، وقال له : لماذا أقلقتنى ياهذا ؟ . اننى ساكن فى هذا المكان منذ أكثر من مائتى عام ، وما رأيت احدا دخله وعمل مثل عملك !. فقال معروف لنفسه : والله ان رؤية هذا العفريت المخيف لاهون على من رؤية زوجتى . ثم بكى وقال له : اننى ماجئت هنا ياسيدى الا هربا من الظلم والغدر والمكر . ثم روى له قصته مع زوجته باختصار . فلما سمع العفريت كلامه ، رق له قلبه ، وقال له : لابأس عليك يامعروف ، واعلم انى من الجن المؤمنين الذين يغيثون الملهوف ، ويحبون عمل المعروف . واذا كنت تريد أن أنقلك الى بلاد بعيدة جدا لايمكن لزوجتك أن تصل اليها أبدا ، فانتظرنى هنــا حتى ينتهى الناس من صلاة العشاء ، وسآتى اليك فأحملك على ظهرى وأطير بك الى تلك البلاد . ثم تركه ورجع من حيث جاء !

وبقى معروف فى مكانه حائرا ، لايدرى هل هو فى يقظة أم فى منام ، الى أن سمع اذان المغرب ، فقام وتوجه الى مسجد قريب بين المقابر ، حيث توضأ وصلى ماعليــه من الفرائض . ثم اشترى بالدرهم الذى اعطاه له جاره خبزا وجبنا ، ومضى الى المكان الذى كان فيه بذلك الحاصل المهجور وجلس يأكل . وفيما هو كذلك اذ انشق الحائط الذى امامه مرة أخرى ، وخرج منه العفريت وقال له : هيا أيها الرجل الطيب المسكين ، اركب على ظهرى ولا تخف شيئا فقام معروف وركب على ظهره راضيا مغتبطا . وما هى الا لحظة حتى كان العفريت قد حلق به فى الجو ، ومضى اسرع من الريح

ولم يزل العفريت طائرا ، ومعروف على ظهره من وقت العشاء الى طلوع الفجر ، ثم هبط به فوق جبل عال . وقال له : ابق هنا حتى الصباح ، ثم انحدر الى سفح هذا الجبل فتجد مدينة عظيمة تعيش فيها مطمئنا ، لان زوجتــك

لاتستطيع الوصول اليها ولو سارت اليها سنة . ثم تركه وانصرف

وبقي معروف في مكانه حائرا ، الى ان طلعت الشمس ، ثم قال لنفسه : خير لي أن أغادر هذا الجبل الى تلك المدينة لان بقائي هنا لافائدة فيه . ثم نزل الى أسفل الجبل ، فرأى مدينة لها أسوار عالية ، من خلفها قصور مشيدة ، وأبنية مزخرفة ، وحدائق غناء نزهة للناظرين ، ومتعة للقلب الحزين . فمشى في شوارعها ، متأملا في هذه المناظر ، وصار أهل المدينة الذين يمر عليهم ، يتعجبون من هيئته . ثم سأله واحد منهم : من اى البلاد انت أيها الغريب ؟ فقال له : انا من مدينة مصر السعيدة ، وقد سافرت منها عند العشاء امس

فلما سمع الرجل جوابه ، ظن أنه فقد صوابه ، ثم نادى بعض أهل بلده قائلا لهم : تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا مايقول ، فهو يزعم انه من مصر وخرج منها ليلة امس !. فضحكوا كلهم ، وقالوا لمعروف : هل انت مجنون حتى تقول هذا الكلام ؟. كيف تزعم انك غادرت مصر امس فقط ، مع أن بينها وبين مدينتنا مسيرة سنة كاملة

فقال لهم معروف : والله ماقلت لكم الا الحق . وهذه كسرة خبز من مصر لم تزل طرية كما اشتريتها امس من هناك . ثم اراهم كسرة الخبز ، فصاروا يتفرجون عليها ويتعجبون منها ، لانها لاتشبه خبز بلادهم . ومالبث المارة أن ازدحموا حوله للفرجة عليه وعلى ذلك الخبز ، وهم بين مصدق ومكذب !

وفيما هم كذلك ، اذا بتاجر اقبل عليهم راكبا بغلة ، وخلفه عبدان . فلما وجدهم يضحكون على معروف وهو يبكي ، صاح بهم : اما تستحون أن تضحكوا ساخرين من هذا الرجل الغريب المسكين ؟. ولم يزل يوبخهم حتى صرفهم عنه ، ولم يقدر احد منهم ان يخالف امره . ثم قال له ذلك التاجر : لابأس عليك من هؤلاء فهم لاحياء عندهم .

وتعال معي الى داري على الرحب والسعة . فشكره معروف على كرمه ونخوته . وسار معه الى داره فاذا هي واسعة مزخرفة حسنة الاثاث والرياش . وبها كثير من العبيد والخدم . وبعد أن رحب به التاجر ، أمر بادخاله حمام الدار ، واعداد بذلة فخمة له . فنفذ الخدم أمره فورا . وخرج معروف من الحمام وجيها كأنه شاه بندر التجار ، أو أحد الامراء الكبار !. وكان التاجر صاحب الدار قد أمر باعداد الطعام ، فأجلسه بجانبه على المائدة ، واخذ يناوله بيده كل ما لذ وطاب ، ويظهر له البشر والترحاب ، فلما فرغا من تناول الطعام والشراب ، سأله : ما اسمك يا اخي ؟. فأجاب قائلا : اسمي معروف ، وصناعتي اسكاف ارقع النعال القديمة . وأنا من مصر

فلما سمع التاجر جوابه ، قال له : أهلا وسهلا بك ياسيد معروف ، هل تعرف الدرب الاحمر ؟. فقال : اعرفه حق المعرفة ، وبيتنا فيه . فسأله التاجر : هل تعرف واحدا هناك اسمه الشيخ أحمد العطار ؟. فتعجب معروف وقال له : انه جاري ، وداره ملاصقة لداري ، وقد تركته أمس طيبا بخير ، وله ثلاثة من الاولاد : احدهم عالم مدرس واسمه مصطفى ، والثاني عطار مثل والده واسمه محمد ، أما الثالث فاسمه علي ، وكان رفيقي في الصغر ، وطالما لعبنا معا ، ودخلنا الكنائس لسرقة مافيها من كتب وتحف لنبيعها ونشتري بثمنها حلوى !

فلما سمع التاجر كلامه ، ضحك مسرورا وقال له متمما تلك القصة : ثم اتفق ان ضبطكما خادم الكنيسة ، وشكاكما الى أهلكما ، وقال لوالد علي : ان لم تمنع ولدك من سرقة ما في الكنيسة فاننا سنرفع الامر الى الوالي . فلما سمع هذا التهديد خاف على نفسه ، وأمسك ولده وضربه ضربا مبرحا . وكانت النتيجة ان هرب زميلك علي ، ولم يعرف احد مكانه حتى الآن !

وكان معروف يسمع كلام مضيفه التاجر ، وعقله يكاد يطير من فرط الدهشة . ثم سأله : كيف بالله عرفت هذه الحكاية ياسيدى ؟. فضحك التاجر مرة أخرى ، ثم أخذ يعانقه ويقبله قائلا : انى أنا زميلك وصديقك على يامعروف ولكنك شخت قبلى وشابت لحيتك . فقال له معروف : والله ماشيبنى الا الهم والغم والكرب العظيم . والحمد لله على سلامتك ، وعلى اجتماع شملنا بعد تلك الغيبة

ثم أخذ معروف يروى لصديقه وزميله القديم كل ماوقع له مع زوجته ، وكيف هرب خوفا من كيدها الى باب النصر الى أن قابله العفريت هناك ، وحمله على ظهره وطار مسرعا به فى الجو حتى أوصله الى هذه المدينة

وتعجب على من هذه القصة ، ثم روى له هو الآخر قصته منذ هرب من والده فقال : لقد كان عمرى فى ذلك الحين لايزيد على سبع سنين ، فأخذت اتنقل من بلد الى بلد ، حتى وصلت الى هذه المدينة بعد اربع سنين وزيادة ، ولعلك عرفت أن اسمها مدينة اختيان . وقد وجدت أهلها كراما طيبين ، قلوبهم تعمرها الشفقة على الفقير الغريب ويصدقون كل مايقوله لهم . فزعمت أنى تاجر ، وأنى سبقت القافلة التى تحمل تجارتى للبحث عن مكان انزل فيه ، ودكان للبيع والشراء . فصدقونى وأخلوا دكانا كبيرا لتجارتى المزعومة ، واسكنونى دارا حسنة . وصاروا يتسابقون الى اكرامى وخدمتى . ولما مضت أيام ولم تصل قافلتى المزعومة طلبت من واحد منهم ان يقرضنى الف دينار الى أن تصل القافلة ، فأعطانى ما أردت . وما كدت احصل على هذا المبلغ ، حتى اخذ الشيطان يزين لى أن أهرب به من المدينة ولكنى استعذت بالله من ذلك . واخذت المبلغ ونزلت به فى السوق حيث أخذت اشترى مايعجبنى من البضاعة ، ثم أبيعه وأربح مافيه النصيب . فلم تمض أيام معدودة حتى جمعت ثروة كبيرة ، وسددت دينى . ثم طابت لى الاقامة

هنا منذ ذلك الحين ، وعشت بما يرضي الله ، فرضي عني كل خلقه هنا واحبوني ، وصرت شيخ التجار !

فلما سمع معروف قصة صديقه وزميله علي ، تعجب كثيرا ، وكرر له التهنئة على سلامته ونجاته . ثم قال له علي : انت الليلة فى حاجة الى النوم والراحة ، وقد خصصت لك حجرة تقيم بها فى داري معززا مكرما ، وفى غد ان شاء الله ادلك على مافيه لك كل خير ، والخير عند الله كثير !

ونام معروف فى تلك الليلة نوما هادئا عميقا مريحا لاول مرة منذ تزوج فاطمة العرة . وفى صباح اليوم التالى ، حضر اليه زميله على صاحب الدار ، وتناول معه الافطار . ثم قال له : اعلم يا أخي أن صاحب المثل يقول : الدنيا فشر وحيلة ، والبلاد التى لايعرفك فيها احد ، أعمل فيها ماشئت وعلى هذا انصح لك بالا تذكر لاي احد هنا أن صنعتك اسكاف ولا أنك رجل فقير مسكين هربت من زوجتك فى مصر . لانهم لن يصدقوك ، بل تصير عندهم مسخرة ، وكذلك الحال اذا سمعوا منك أنك حضرت الى هنا راكبا على ظهر عفريت . وربما ادي ذلك الى خوفهم منك ، ويلحقك منهم أذى . وقد يؤدى ذلك الى أن يحتقرونى انا ايضا لانهم يعلمون انى من مصر

فقال له معروف : كيف أصنع اذن ؟ . فقال له : أنا اعلمك ما تصنع . وسأعطيك الآن ألف دينار ، وبغلة تركبها ، وعبدا يمشي قدامك ويوصلك الى السوق ، حيث اكون أنا قد سبقتك اليه ، وجلست هناك كعادتي بين أكابر التجار . ومتى رأيتك قادما ، قمت لك وسلمت عليك باحترام وقبلت يدك امامهم !

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التاسعة والثمانون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد التسعمائة ، قالت شهر زاد

للملك شهريار : بلغني أيها الملك السعيد ، أن التاجر المصري علي قام لاستقبال صديقه القـــديم معروف حينما رآه مقبلا على بغلته في السوق . وصاح مرحبا به وهو يعاونه على الترجل عن بغلته : نهارك مبارك يا سيدي معروف ، يا صاحب الخير والمعروف ، وواهب المئات والألوف . ثم قبل يده واجلسه في مكانه ، قائلا لاخـــوانه : لقد آنسكم التاجر المصري الكبير معروف ، الذي هو بالكرم موصوف. ولا يوجد في مصر من يدانيه في ثروته المالية ، وكثرة مخازنه التجارية ، وقد ورث التجارة عن آبائه واجداده الكرام ، وله شركاء في الهند والسند واليمن والحجاز والشام . ومن حسن حظ مدينتنا انه شرفها بهذه الزيارة ، وان كانت زيارته للفرجة والنزهة لا للتجارة ، اذ هو محب للسياحة، وليس في حاجة الى ان يزيد ارباحه !

فلما سمع تجار المدينة كلام شيخهم التاجر علي المصري، قاموا جميعا يرحبون بمعروف اجمل ترحيب ، ويتنافسون في السلام عليه ، وتقديم الهدايا الثمينة اليه ! . واســتمر الحال على هذا المنوال عدة أيام ، حتى صدق معروف نفسه أنه تاجر عظيم كبير المقام !

وفي ذات يوم من الأيام ، قال التاجر علي المصري لمعروف وهما جالسان بين تجار المدينة : لعلك يا سيدي جئت معك ببعض الأقمشة الثمينة ؟. فقال له معروف : أنت تعرف يا سيدي علي اني جئت للفرجة والنزهة ، ولهذا لم أحضر معي الا بعض احمال من الجوخ الأصفر والجوخ الأحمر ، والجوخ الذي لونه مثل دم الغزال . وبعض احمـال من أصناف الشاهي . كما جئت معي ببعض أصناف الجواهر النادرة . وهذه الأشياء مع الأسف الشديد هي التي أمكن احضارها في قافلتي الصغيرة التي لا تزيد على ألف جمل وألف بغل

فلما سمع التجار كلام معروف ، تملكهم العجب ، وقال

بعضهم لبعض : اذا كانت كل هذه البضاعة قد جاء بها وهو يقصد السياحة والزيارة ، فماذا يكون الشأن لو انه جاء الى مدينتنا للتجارة ؟. فقال لهم التاجر على المصرى : هذه الأشياء كلها ماهى الا شىء بسيط مما فى حاصل واحد من الحواصل الكثيرة التى للسيد معروف فى مصر !

وفيما هم يتعجبون من هذا الامر ، اقبل عليهم رجل فقير يطلب احسانا . فمنهم من اعطاه نصف فضة ، ومنهم من أعطاه جديدا ، ولم يعطه اكثرهم أى شىء . ولما وصل الى معروف أخرج من جيبه ملء يده دنانير ذهبية من مبلغ الألف جنيه الذى اعطاه اياه صديقه التاجر على المصرى ليكون راس مال يشترى منه ويبيع ويكسب . ثم اعطى السائل هذه الدنانير بغير عدد قائلا : خذ هذا يا شيخ من فضل الله وادع لنا بخير ! . فكاد الرجل يغمى عليه لشدة دهشته وفرحته . وقال التجار الحاضرون لبعضهم بعضا : هذه عطية ملوك . أما التاجر على المصرى فانه لم يرض عن اسراف معروف الى هذا الحد ، ولكنه كتم غيظه فى قلبه وسكت !

وما كاد السائل يذهب بالدنانير التى اخذها من معروف ، حتى جاءت امرأة فقيرة تطلب احسانا من التجار الجالسين فى السوق . فلم يعطها احد منهم شيئا ، وهمت بالانصراف ، فناداها معروف واعطاها حفنة اخرى من الدنانير . فازداد التجار تعجبا ، وازداد التاجر على المصرى غيظا وحنقا على معروف . وصار ينظر اليه لكى ينبهه الى اسرافه فى الاحسان . ولكن فقراء المدينة كانوا قد علموا من السائل الاول بأمر عطية معروف ، فأقبلوا مسرعين ووقفوا صفوفا امامه واصواتهم ترتفع بالدعاء له ، فأخذ يخرج من الدنانير التى معه ويعطيهم بغير عدد ، الى ان نفد كل ما كان معه ، فالتفت الى التجار الحاضرين وقال لهم : لو كنت اعلم ان هذه المدينة كثيرة الفقراء هكذا ، لأتيت معى بما يكفيهم من

الأموال التى فى قافلتى ، وهى كثيرة والحمد لله . على انى أخشى ان يتأخر وصول القافلة بضعة ايام أخرى . ولا أدري ماذا أصنع اذا جاءنى أحد يطلب احسانا ، لأنى ماتعودت ان أرد اى سائل !

فقال له واحد من التجار : اذا جاءك سائل بعد الآن ، فقل له : الله يرزقك . فقال له معروف : هذه ليست عادتى مع الفقراء يا سيدى ، لأن الفقراء أحباب الله ، وقد ركبنى الهم لهذا السبب . فقال له تاجر آخر : لا يكن عندك هم يا سيدى ، اننا جميعا على استعداد لأن نقدم لك ماشئت من الأموال لتنفقها كما تشاء الى أن تحضر قافلتك بسلامة الله . وهذا كيس فيه ألف دينار ارجو ان تقبله منى الآن، فأخذ منه معروف ذلك الكيس ووضعه بجانبه بغير اكتراث وهو يقول : الواقع ايها الاخوان ، أن كل دينار ينفقه الانسان فى سبيل الاحسان ، سرعان ما يعوضه الله عنه بعشرة أمثاله، وقد قال الله فى كتابه الحكيم : من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها

ثم أخذ معروف يأخذ من الدنانير الألف التى فى هذا الكيس ، ويعطى للفقراء بغير عدد حتى نفد كل ما كان فى الكيس . وكان موعد الظهر قد حان ، فقام الجميع للصلاة فى المسجد وهو معهم . ولما فرغت الصلاة ، قال للتاجر الذى بجانبه : هل معك الف دينار ؟ فقال له : نعم . واعطاه كيسا فيه هذا المبلغ . فأخرج معروف الدنانير من الكيس وصار ينثرها بين أيدى الفقراء الواقفين بباب المسجد وفى الطريق الى السوق . ولم يمض ذلك اليوم حتى كان قد اقترض من التجار خمسة آلاف من الدنانير ، فرقها كلها على الفقراء !

ولما رجع مع صديقه التاجر على المصرى الى داره فى المساء ، قال له هذا : هل انت مجنون حتى تنفق ستة آلاف من الدنانير فى يوم واحد على الفقراء ؟ . ومن أين تدفع للتجار

اموالهم التى اقترضتها منهم ؟ . فقال له معروف : حينما تجىء قافلتى ادفع لهم أموالهم وزيادة ! . فقال له التاجر على : انت ليس لك قافلة ، بل أنا الذى اتفقت معك على أن تدعى ذلك . فضحك معروف وقال له : ان كلامك عندى مصدق يا أخى !

فلما سمع التاجر على المصرى كلام معروف ، قال لنفسه: ان المسكين قد أصابه خبل فى عقله . ولا أستطيع ان أرجع فى كلامى عنه أمام التجار هنا ، والا احتقرونى ونزعوا ثقتهم بى . والأحسن أن ادفع لهم الاموال التى أخذها منهم . ثم أخرجه من دارى واعطيه شيئا آخر من المال ليسافر الى مدينة اخرى ويكفينى شره . وفى صباح اليوم التالى ، أخذه معه الى السوق واعطاه ستة آلاف دينار أخرى وقال له : ادفع من هذه خمسة آلاف للتجار الذين اقترضت منهم امس ، والالف الباقى خله معك لكى تستعين به على السفر من هنا فى هذه الليلة ، بدلا من الفضائح . فأخذ معروف منه الأكياس الستة . ثم واصلا السير الى أن وصلا الى السوق فهرع التجار لاستقبالهما ، وجلسوا جميعايتحدثون فى أمور التجارة وغيرها !

وما علم فقراء المدينة بحضور التاجر الكريم معروف الى السوق ، حتى اقبلوا عليه واخذوا يدعون له بدوام العز والاقبال . فأخذ يوزع عليهم من أكياس الدنانير التى معه بغير حساب ، وهو يقول لهم : هذا كله من فضل الله ، وفضل الله عظيم !. ولم يزل كذلك حتى وزع عليهم الستة آلاف دينار كلها بينما التجار السنتهم معقودة من الدهشة، والتاجر على المصرى يكاد يجن من شدة الغيظ ، ولا يمنعه من الهجوم عليه وخنقه الا خوف الفضيحة !

وبقى معروف بعد ذلك عشرين يوما ، وهو يأخذ من التجار ، كل يوم خمسة آلاف دينار ، ويوزعها امامهم على الفقراء . وكلما سأله التاجر على المصرى : من أين تدفع

لهم هذه الأموال كلها ؟. ضحك وقال له : لا تحمل هما ، كلها أيام وتأتى قافلتى فأعطيهم ما يشاءون !

وفى اليوم الحادى والعشرين ، لم يستطع التاجر على المصرى أن يتمالك نفسه من شدة حنقـــه على معروف . فلما وصلا الى السوق ، وجلسا بين التجار كالمعتاد ، قال لهم : اسمعوا يا اخوانى ، انكم قد اخطأتم باعطائكم تلك الأموال الكثيرة للتاجر المصرى معروف ، وكان الواجب أن تستشيرونى فى ذلك • وقد تأخر وصول قافلته أكثر من اللازم • فالرأى عندى أن تبلغوا الامر الى ملك المدينة، لكى تضمنوا حصولكم على أموالكم • وسأكون معكم أنا أيضا ، لأضمن حصولى على الاموال التى اقترضهـا منى ، وهى تزيد على عشرين ألف دينار

فلما سمع التجار ذلك تملكهم القلق على أموالهـم ، ولم يرض أحد منهم أن يعطى معروفا أى قرض بعد ذلك لينفق على الفقراء الذين ازدحمـوا أمامه على عادتهـم • ثم قاموا جميعا وتوجهوا الى قصر الملك ، ومعروف معهم لا يتكلم بشىء • وما سمع الملك قصتهم مع معروف، حتى أخذه العجب وقال له : هل أنت أخذت منهم كل هذه الاموال حقا وأنفقتها على الفقراء ؟ فقال له معروف : نعم يامولاى • ولو كان عندى الآن مثل هذه الاموال مائة مرة لأنفقتهـا على الفقراء الذين هم أحباب الله ، ولكن أموالى قد تركتهـا فى قافلتى ، ولا أدرى لماذا تأخر وصول القافلة حتى الآن ، مع أنى لم أسبقها الى هنا الا بمسيرة بضعة أيام !

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التسعون بعد التسعمائة : فلمـــا كانت الليلة التسعون بعد التسعمائة ، قالت شهر زاد للملك شهريار: بلغنى أيها الملك السعيـد ، أن ملك المدينة لما سـمع كلام

معروف ، ورأى رباطة جأشــه وثبات قلبــه ، لم يشك فى صحة دعواه ، وقال لوزيره هامسا : ان عندى جوهرة نادرة لايقل ثمنها عن عشرة آلاف من الجنيهات ، وعنــدى كذلك جوهرة زائفة لاتساوى شيئا ، ولكنها تشبه الجوهرة الاولى تمام الشبه ، ولا يستطيع أن يفرق بينهما الا من كانت له خبرة طويلة عظيمــة بالجواهر • وسأعرض الجوهرتين الآن على هذا التاجر الغريب ، فان ميز الجوهرة الصحيحة الغالية من الجوهرة الاخرى المزيفة ،كان هذا دليلا على صحة ما ادعاه، ووجب علينا اكرامه • اما ان عجز عن التمييز بينهما ،ففى هذه الحالة يثبت أنه كاذب محتال ، وننزل به أشد العقاب

فقال الوزير للملك : هذا رأى حسن يامولاى • ثم عرض الملك الجوهرتين على معروف وقال له : اختر لنفسك جوهرة منهما • فوضع معروف الجوهرة الصحيحة فى جيبه من غير أن ينظر اليها • ثم التفت الى التاجر على المصرى وقال له : لاتؤاخذنى يا أخى فقد اخترت لنفسى الجوهرة العظيمة لأنها هدية من ملك عظيم الشأن • أما هــذه الجوهرة الباقية فى يدى فهى لك هدية منى أنا التاجر الصعلوك الذى تراكمت عليه الديون • ثم قذف هذه الجوهرة فى وجه التاجر على المصرى ، فوقعت على الارض وانكسرت ، لأنهــا كانت من الزجاج البراق • ولم يكن هو يعرف ذلك ، ولكنه تصرف كذلك حسبما اتفق •• وكل غرضه أن يأخذ الجوهرتين من الملك بدلا من جوهرة واحدة !

وما كاد الملك يرى ذلك حتى تحقق صدق ظنه بمعروف، ثم صاح بالتجار قائلا : أما تستحون من اتهام هذا السيد الكريم ؟• وهــل الذى ينفق تلك الاموال كلها على الفقراء يستحق غير التكريم ؟• ثم طردهم ومعهم شيخهم التاجر على المصرى قائلا لمعروف : لا تؤاخــذهم بما فعلوا . وأنت ضيفى منذ الآن الى أن تجىء قافلتك • فخرج التجار من عند

الملك باكين منتحبين ، وبقى معروف فى ضيافته وهو من المعززين المكرمين !

وقال الملك لمعروف بعد أن فرغا من تناول الغداء فيذلك اليوم : انى أفردت لك غرفة فى قصرى بجانب غرفتى ، وأمرت بأن تكون خدمتك مثل خدمتى • فقال له معروف: جزاك الله خيرا عنى يامولاى ، وليس لى ما أطلبه الا أن تمكننى من اعفاء الفقراء كما هى عادتى، الى أن تحضر قافلتى• فدعا الملك وزيره وقال له : كل مايطلبه السيد معروف من المال ، فأعطه له • فقال الوزير : سمعا وطاعة !

ومضت عشرة أيام، ومعروف يأخذ من خزانة الملك كل يوم عشرة آلاف دينار ، ويوزعها على الفقراء • ثم قال الملك للوزير : أنا ما رأيت ولا سمعت بمثل هذا السخاء ، والبر بالفقراء • والرأى عندى أن تخلو الى السيد معروف ، وتعرض عليه الزواج من ابنتى الوحيدة ، لأنى لن أجد لها زوجا أحسن منه

وكان هذا الوزير مغرما بابنة الملك هذه ، ويريد أن يتزوجها ، لكنها لم تقبل لأنه كبير السن ، ثقيل الظل ، مشهور بالبخل الشديد • فلما سمع كلام الملك ، أكل الغيظ قلبه ورد عليه قائلا : انى ياملك الزمان ، لا أشعر نحو هذا الرجل الغريب بأى اطمئنان • واذا صح ظنى فهو اما من المحتالين النصابين ، واما انه من المجانين

فقال له الملك غاضبا : بل أنت خائن ولا تريد لى خيرا • وما تحاملك على هذا السيد الكريم الا لأنك تحسده وتحقد عليه ، وتريد منع زواجه بابنتى لكى تتزوجها أنت • ثم خلا الملك الى معروف وقال له : انى قد أعجبت بكرمك ونبل طباعك ، وأريد أن أزوجك ابنتى • فما قولك ؟• فقال له معروف : هذا شرف عظيم لى يامولاى ، ومتى حضرت قافلتى فالاموال التى فيها كلها مهر لمولاتى الاميرة ابنتك • فقال له الملك : لاتشغل نفسك بالمهر الآن • ففى خزائنى أموال

لاتأكلها النيران • وليس بينى وبينك فرق أبدا

ثم دعا شيخ الاسلام وأمره بعقد قران معروف بابنته ، كما أمر باقامة الافراح ونصب الزينات ، وأمر بدق الطبول ومد الموائد بمختلف ألوان الطعام • وصار معروف يجلس على كرسى بجانب الملك ليتفرج على ألعاب الشطار وأرباب الحركات الغريبة والملاهى العجيبة • وأصبح يأمر الخازندار ويقول له : « هات الذهب والفضة » فيأتيه بهما • وصار يدور على المتفرجين ، ويجزل العطاء لكل من لعب ويحسن للفقراء والمساكين ، ويكسو العريانين ، وصار فرحا عظيما وكاد قلب الوزير أن يتقطع من الغيظ ، وصار التاجر على يتعجب من بذل هذه الاموال ويقول للتاجر معروف : «أما كفاك أن أضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك ؟ » فقال له التاجر معروف : « لا شأن لك ، واذا جاءتالحملة أعوض ذلك على الملك بأضعافه » • وصار ينفق الاموال ويقول فى نفسه : الذى يجرى يجرى والمقدر ما منه مفر ••

واستمر الفرح مدة أربعين يوما ، وفى اليوم الحادى والأربعين عملوا الزفة للعروسة ، ومشى قدامها جميع الأمراء والعساكر ، ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤوس الناس . وأدخلوه على الملكة ، فقعد على المرتبة العالية ، وأرخوا الستائر وقفلوا الابواب ، وخرجوا وتركوه عند العروسة .. فضرب كفا بكف ، وقعد حزينا يقول : « لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ! » فقالت له الملكة : « يا سيدى سلامتك ! مالك مغموما ؟ » فقال : « كيف لا أكون مغموما وأبوك قد شوش على وعمل عملة فظيعة ؟» قالت : « وما الذى عمله معك أبى ؟ » قال : « أدخلنى عليك قبل أن تأتى حملتى . وكان مرادى أن أفرق على جواريك لا أقل من مائة جوهرة ، لكل واحدة جوهرة تعظيما لمقامك ..لأن عندى منالجواهر شىء كثير» . فقالت له : « لاتهتم

بذلك ، وأما أنا فانى أصبر حتى تجىء الحملة »
وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة التالية قالت شهرزاد : بلغنى أيها الملك السعيد أن معروفا دخل الحمام ولبس بذلة من ملابس الملوك ، فى صبيحة يوم العرس . ثم توجه الى ديوان الملك ، فقام له من فيه على الاقدام ، وقابلوه باعزاز واكرام ، وهنأوه وباركوا له . وبعد أن جلس بجانب الملك ، قال : « أين الخازندار ؟ » فحضر ووقف بين يديه . فقال له : « هات الخلع والبس جميع الامراء والوزراء وأرباب المناصب » . فجاء له بجميع ما طلب . ثم جلس يعطى كل من أتى له ، ويهب لكل انسان على قدر مقامه . واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوما ، ولم تظهر له حملة ولا غيرها .. ثم أن الخازندار تضايق منه غاية الضيق ، ودخل على الملك فى غياب معروف ، وكان الملك جالسا هو والوزير لا غير ، فقبل الارض بين يديه وقال : « يا ملك الزمان ! أنا أخبرك بشىء لئلا تلومنى على عدم الاخبار به .. اعلم أن الخزنة فرغت، ولم يبق فيها شىء من المال الا القليل ، وبعد عشرة أيام نقفلها على الفارغ » فقال الملك : « يا وزير ! ان حملة نسيبى تأخرت ولم يظهر عنها خبر » . فضحك الوزير وقال : « الله يلطف بك يا ملك الزمان ! ما أنت الا غافل عن فعل هذا النصاب الكذاب .. وحياة رأسك انه لا حملة له ولا كبة تريحنا منه ، وانما هو لم يزل ينصب عليك حتى أتلف أموالك وتزوج بنتك .. والى متى أنت غافل عن هذا الكذاب ؟ » فقال له : « يا وزير ! كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله ؟ » فقال : « يا ملك الزمان ، لا يطلع على سر الرجل الا زوجته ، فأرسل الى بنتك لتأتى خلف

الستارة حتى أسألها عن حقيقة حاله ، لأجل أن تختبره وتطلعنا على حاله » . فقال : « لا بأس بذلك .. وحياة راسى ان ثبت أنه نصاب كذاب لأقتله أشأم قتلة »

ثم انه أخذ الوزير ودخل به الى قاعة الجلوس ، وأرسل الى بنته فأتت خلف الستارة ، وكان ذلك فى غياب زوجها. فلمـــا أتت قالت : « يا أبى ما تريد ؟ » قال : « كلمى الوزير » . قالت : « أيها الوزير ما بالك؟ » قال : «ياسيدتى اعلمى أن زوجك أتلف مال أبيك، وقد تزوج بك بلا مهر. . وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ، ولم يبن لحملته خبر. وبالجملة نريد أن تخبرينا عنه » . فقالت : « ان كلامه كثير ، وهو فى كل وقت يجىء ويعدنى بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ، ولم أر شيئا ! » فقالَ : « يا سيدتى هل تقدرين فى هذه الليلة أن تأخذى وتعطى معه فى الكلام، وتقولى له أخبرنى بالصحيح ولا تخف من شىء ، فانك صرت زوجى ولا أفرط فيك ، فأخبرنى بحقيقة الأمر وأنا ادبر لك تدبيرا ترتاح به ؟ ثم قربى وبعدى له بالـكلام ، وأريه المحبة وقرريه ، ثم بعد ذلك أخبرينا بحقيقة أمره » فقالت : « يا أبت أنا أعرف كيف أختبره »

ثم انها ذهبت ، وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جارى عادته فقامت له تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل ، حتى سرقت عقله فلما رأته مال اليها بكليته قالت له : « يا حبيبى وقرة عينى ويا ثمـــرة فؤادى ! لا أوحش الله منـــك ولا فرق الزمان بينى وبينك ، فان محبتك سكنت فؤادى ونار غرامك حرقت أكبادى ، وليس فيك تفريط أبدا ولكن مرادى أن تخبرنى بالصحيح ، لأن حيلَ الكذب غير نافعة ولا تنطلى فى كل الاوقات ، والى متى وأنت تنصب وتكذب على أبى ؟ وأنا خائفة أن يفتضح أمرك عنده قبل أن ندبر له حيلة فيبطش بك .. فأخبرنى بالصحيح ومالك الا ما يسرك ، ومتى أخبرتنى بحقيقـة

الامر لا تخش من شيء يضرك .. فكم تدعى أنك تاجر وصاحب أموال ولك حملة ، وقد مضت لك مدة طويلة وانت تقول : حملتي حملتي .. ولم يبن عن حملتك خبر، ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب . فان كان كلامك على غير أساس فأخبرني وأنا أدبر لك تدبيرا تخلص به ان شاء الله » . فقال لها : « يا سيدتى أنا أخبرك بالصحيح، ومهما أردت فافعلى » . فقالت : « قل وعليك بالصدق ، فان الصدق سفينة النجاة . واياك والكذب فانه يفضح صاحبه ، ولله در من قال :

عليك بالصدق ولو أنه
أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى، فأغبى الورى
من أسخط المولى وأرضى العبيد

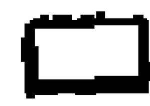
فقال : « يا سيدتى اعلمى أنى لست تاجرا ولا لى حملة ، وانما كنت فى بلادى رجلا اسكافيا ولى زوجة اسمها فاطمة العرة ، وجرى لى معها كذا وكذا » واخبرها بالحكاية من أولها الى آخرها . فضحكت وقالت « انك ماهر فى صناعة الكذب والنصب » . فقال : « ياسيدتى الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب » فقالت : « اعلم انك نصبت على أبى وغررته بكثرة فشرك حتى زوجنى بك من طمعه ، ثم اتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك ، وكم مرة يتكلم فيك عند أبى ويقول له : انه نصاب كذاب ، ولكن أبى لم يطعه فيما يقول ، بسبب أنه كان خطبنى ، وأنا لم أرض به أن يكون لى نعلا وأكون له أهلا . ثم ان المدة طالت وقد تضايق أبى وطلب منى أن أكشف المغطى من امرك وأبى مصر على الاضرار بك، ولكنك صرت زوجى وانا لا أفرط فيك . فان اخبرت أبى بهذا الخبر ثبت عنده انك نصاب كذاب ، نصبت على بنات الملوك ، وأذهبت أموالهم ، فذنبك عنده لا يغتفر ويقتلك لا محالة ويشيع بين الناس أنى تزوجت برجل نصاب



« وأخبرها بالحكاية من أولها الى آخرها »

كذاب ، وتكون فضيحةفى حقى ، واذا قتلك أبى فربما يزوجنى بآخر ، وهذا شيء لا أقبله ولو مت . ولكن قم الآن والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالى ، واركب جوادا وسافر الى بلاد لا ينفذ فيها حكم أبى ، واعمل تاجرا هناك واكتب لى كتابا وارسله مع ساع يأتينى به خفية لأعلم فى اي البلاد أنت ، حتى أرسل اليك كل ماطالته يدى ويكثر مالك . فان مات أبى أرسلت اليك فتجيء باعزاز واكرام ، واذا مت أنت او مت انا الى رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا ، وهذا هو الصواب . وما دمت طيبا وانا طيبة لا اقطع عنك المراسلة والأموال . قم قبل أن يطلع النهار عليك وتحتار ويحيط بك الدمار » . فقام ولبس بدلة مملوك ، وامر السياس ان يشدوا له جوادا من الخيل الجياد فشدوا له جوادا ، ثم ودعها وخرج من المدينة فى آخر الليل ، فصار كل من رآه يظن أنه مملوك من مماليك السلطان مسافر فى قضاء حاجة

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثانية والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد أنه لما أقبل الصباح جاء الملك والوزير الى قاعة الجلوس ، وأرسل الملك الى ابنته فأتت خلف الستارة ، فقال لها أبوها : « يابنتى ما تقولين ؟ » قالت : « اقول سود الله وجه وزيرك ، فأنه كان مراده أن يسود وجهى مع زوجى » . قال : «وكيف ذلك؟» قالت : « انه دخل على أمس قبل ان اذكر له هذا الكلام ، واذا بفرج الطواشي يدخل على وبيده كتاب وقال : ان عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر واعطونى هذا الكتاب وقالوا لى : قبل لنا أيادى سيدى معروف التاجر واعطه

هذا الكتاب فأننا من مماليكه الذين مع الحملة وقد بلغنا انه تزوج بنت الملك فأتينا له نخبره بما حل بنا فى الطريق . فأخذت الكتاب وقرأته فرأيت فيه «من المماليك الخمسمائة الى حضرة سيدنا التاجر معروف . وبعد ، فالذى نعلمك به انك بعد ما تركتنا خرج العرب علينا وحاربونا ــ وهم قدر الفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك ــ فوقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ، ومنعونا عن الطريق ومضى علينا ثلاثون يوما ونحن نحاربهم ، وهذا سبب تأخيرنا عنك وقد أخذوا منا مائتى حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكا »

فلما بلغه الخبر قال : خيبهم الله . كيف يتحاربون مع العرب لأجل مائتى حمل بضاعة ؟ وما مقدار مائتى حمل؟ فما كان ينبغى لهم أن يتأخروا من أجل ذلك ، فأن قيمة المائتى حمل سبعة آلاف دينار . ولكن ينبغى أن أذهب اليهم واستعجلهم ، والذى أخذه العرب لا تنقص به الحملة ولا يؤثر عندى شيئا ، واقدر أنى تصدقت به عليهم . ثم نزل من عندى ضاحكا ولم يغتم على ما ضاع من ماله ولا على قتل مماليكه . ولما نزل نظرت من شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين أتوا له بالكتاب كأنهم الأقمار ، كل واحد منهم لابس بدلة تساوى ألف دينار وليس عند أبى مملوك يشبه واحدا منهم . ثم توجه مع المماليك الذين جاءوا له بالمكتوب ليجىء بحملته ، والحمد لله الذى منعنى أن أذكر له شيئا من الكلام الذى أمرتنى به ، فأنه كان يستهزىء بى وبك ، وربما كان يرانى بعين النقص ويبغضنى . ولكن العيب كله من وزيرك الذى يتكلم فى حق زوجى كلاما لا يليق به »

فقال الملك : « يابنتى ان مال زوجك كثير ولا يفكر فى ذلك ، ومنذ دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء . وان شاء الله عن قريب يأتى بالحملة ويحصل لنا منه

خير كثير » . ثم أخذ يطيب خاطرها ويوبخ الوزير ، وقد خدع بهذه الحيلة

هذا ما كان من أمر الملك ، أما معروف فانه سار وهو يحدث نفسه بهذا الشعر :

غدر الزمان بشملنـــــا فتفرقا
والقلب ذاب من الجفا وتحرقا
والعين تقطر من فــراق أحبتي
طال الفراق ، متى يكون الملتقى؟
يا طلعة البــدر المنير أنا الذى
فى حبكم ترك الفــؤاد ممزقا
يا ليتنى لم أجتمــع بك ساعة
من بعد طيب وصالكم ذقت الشقا
يابهجــة الشمس المنيرة أدركى
قلبا لمعروف المحبة محــرقا
ياهل ترى الأيام تجمع شملنــا
ونفوز منها بالمسرة واللقـــا ؟
ويضمنا قصر الحبيبة بالهنـــا
وأضم فيه معانقا غصن النقا ؟
يا طلعة البــدر المنيرة شمسه
ما زال وجهك بالمحاسن مشرقا
انى لراض بالغــرام وهمــه
ان السعادة فى الهوى عين الشقا

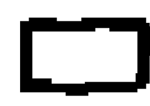
فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا ، وقد انســدت الطرقات فى وجهه واختار الممات على الحياة ، ثم أنه مشى كالسكران من شدة حيرته ، ولم يزل سائرا الى وقت الظهر ، حتى أقبل على بلدة صغيرة فرأى رجلا حراثا قريبا منهــا يحرث على ثورين ، وكان قد اشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له : «السلام عليكم» فرد عليه السلام وقال : « مرحبا بك يا سيدى . هل انت من مماليك السلطان ؟ » قال :

« نعم » قال : « انزل عندى للضيافة » فقال له : « يا اخى ما أنا ناظر عندك شيئا حتى تطعمنى اياه ، فكيف تعزم على؟» فقال الحراث : « يا سيدى الخير موجود ، انزل أنت وهاهى البلدة قريبة فأروح وأجىء لك بغداء وعليق لحصانك » فقال معروف : « ما دامت البلدة قريبة فأنا أصل اليها مقدار ما تصل أنت اليها واشترى مرادى من السوق وآكل » . فقال : « يا سيدى ان البلدة كفر صغير وليس فيه سوق ولا بيع ولا شراء ، سألتك بالله أن تنزل عندى وتجبر بخاطرى وأنا أذهب اليها وارجع اليك بسرعة »

فنزل ، ثم ان الفلاح تركه وراح الى البلدة ليجىء له بغداء ، فقعد معروف ينتظره ثم قال فى نفسه : قد شغلت هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن ، أنا أقوم واحرث عوضا عنه حتى يأتى فى نظير ما عوقته عن شغله . ثم أخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلا ، وعثر المحراث فى شىء فوقعت البهائم فساقها فلم تقدر على المشى ، فنظر الى المحراث فرآه مشبوكا فى حلقة من الذهب ، فكشف عنها التراب فوجد تلك الحلقة فى وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون ، فعالجه حتى قلعه من مكانه فبانت من تحته سلالم ، فنزل فيها فرأى مكانا مثل الحمام بأربع غرف ، الغرفة الاولى ملأى من الارض الى السقف بالذهب ، والغرفة الثانية ملأى زمردا ولؤلؤا ومرجانا من الارض الى السقف والغرفة الثالثة ملأى ياقوتا وبلخشا وفيروزا ، والغرفة الرابعة ملأى بالماس ونفيس المعادن من سائر أصناف الجواهر وفى صدر ذلك المكان صندوق من البلور الصافى ملآن بالجواهر اليتيمة التى كل جوهرة منها قدر الجوزة ، وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهى من الذهب . فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحا شديدا وقال : ياهل ترى أى شىء فى هذه العلبة ؟ ثم انه فتحها فرأى فيها خاتما من الذهب مكتوبا عليه أسماء وطلاسم مثل دبيب النمل ،

فدعك الخاتم واذا بقائل يقول : « لبيك لبيك يا سيدى ، فاطلب تعط ! هل تريد ان تعمر بلدا ، او تخرب مدينة ، أو تنقل ملكا ، او تحفر نهرا ؟ فمهما طلبته فأنه يتحقق باذن الملك الجبار خالق الليل والنهار » ! فقال له : « من أنت ، وما تكون ؟ » قال : «انا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه ، فمهما طلبه من الاغراض قضيته له ولا عذر لى فيما يأمرنى ، فأنى سلطان على أعوان من الجان وعدة عسكرى اثنان وسبعون قبيلة ، كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون الفا، وكل واحد من الالف يحكم على ألف مارد ، وكل مارد يحكم على ألف عون ، وكل عون يحكم على ألف شيطان ، وكل شيطان يحكم على ألف جنى ! وكلهم تحت طاعتى ولايقدرون على مخالفتى ، وانا مرصود لهذا الخاتم لااقدر على مخالفة من ملكه . وها أنت قد ملكته وصرت انا خادمك ، فاطلب ما شئت فأنى سميع مطيع لامرك ، واذا احتجت الى فى أى وقت فى البر أو فى البحر فادعك الخاتم تجدنى عندك ،واياك أن تدعكه مرتين متواليتين فتحرقنى بنار الاسماء وتعذبنى وتندم على ذلك ! »

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثالثة والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد أن معروفا قال للخادم : «ماأسمك؟» قال : « اسمى ابو السعادات » فقال له : « يا أبا السعادات ، ما هذا المكان ومن أرصدك فى هذه العلبة ؟ » فقال له : « يا سيدى هذا المكان كنز يقال له شداد ابن عاد الذى عمر ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وانا كنت خادمه فى حياته ، وهذا خاتمه وقد وضعه فى كنزه ، ولكنه نصيبك » فقال له معروف : « هل تقدر

ان تخرج ما فى هذا الكنز على وجه الارض ؟ » قال : « نعم ، أسهل ما يكون » قال : «اخرج جميع مافيه ولا تبق منه شيئا » ، فأشار بيده الى الارض فانشقت ، ثم نزل وغاب مدة لطيفة وأذا غلمان صفار ظراف بوجوه حسان قـد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب ممتلئة ذهبا وفرغوها ، ثم راحوا وجاءوا بغيرها ولا زالوا ينقلون من الذهب والجواهر ، فلم تمض ساعة حتى فرغوا من اخراج مافى الكنز . ثم طلع ابو السعادات وقال له : « ياسيدى قد رأيت ان جميع مافى الكنز قد نقلناه » فقال له : «ماهذه الاولاد الحسان ؟ » قال : « هؤلاء أولادى لان هذه الشغلة لا تستحق ان اجمع لها الاعوان ، واولادى قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك ، فاطلب ما تريد غير هذا » قال له : « هل تقدر أن تجيء لى ببغال وصناديق وتحط هذه الاموال فى الصناديق وتحمل الصناديق على البغال ؟ » قال : «اسهل ما يكون ! » ثم انه زعق زعقة عظيمة فحضرت أولاده بين يديه ، وكانوا ثمانمائة ، فقال لهم : « لينقلب بعضكم فى صورة البغال ، وبعضكم فى صورة المماليك الحسان الذين أقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك ، وبعضكم فى صورة المكارية ، وبعضكم فى صورة الخدامين ! » ففعلوا كما أمرهم . ثم صاح على الاعوان فحضروا بين يديه ، فأمرهم أن ينقلب بعضهم فى صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر . فلما رأى معروف ذلك قال : « أين الصناديق ؟ » فأحضروها بين يديه فقال : « ضعوا فيها الذهب والمعادن كل صنف وحده » فوضعوها وحملوها على ثلثمائة بغل . فقال معروف : « يا ابا السعادات ، هل تقدر ان تجيء لى باحمال من نفيس القماش ؟ » قال : « اتريد قماشا مصريا ، او شاميا ، أو أعجميا ، أو هنديا ، او روميا ؟ » قال : « هات من قماش كل بلدة مائة حمل على مائة بغل ! » قال :

« يا سيدى اعطنى مهلة حتى ارتب اعوانى بذلك وآمر كل طائفة ان تروح الى بلد لتجىء بمائة حمل من قماشها ، وينقلب الاعوان فى صور البغال ويأتون حاملين البضائع » قال : « ما قدر مدة المهلة ؟ » قال : « مدة سواد الليل ، فلا يطلع النهار الا وعندك جميع ماتريد » . قال : «امهلتك هذه المدة » . ثم أمرهم أن ينصبوا له خيمة فنصبوها وجلس ، وجاءواله بسماط وقال له أبوالسعادات :«ياسيدى اجلس فى الخيمة وهؤلاء أولادى بين يديك يحرسون ولاتخش من شىء ، وانا رائح اجمع أعوانى وابعثهم ليقضوا حاجتك »

ثم ذهب أبو السعادات الى حال سبيله ، وجلس معروف فى الخيمة والسماط قدامه واولاد أبى السعادات بين يديه فى صورة المماليك والخدم والحشم ، فبينما هو جالس على تلك الحالة واذا بالرجل الفلاح قد أقبل وهو حامل قصعة عدس كبير ومخلاة ممتلئة شعيرا ، فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وايديهم على صدورهم ، فظن أن السلطان قد اتى ونزل فى ذلك المكان فوقف باهتا وقال فى نفسه : ياليتنى كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقرى اكراما للسلطان ! وأراد أن يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان ، فرآه معروف فزعق عليه وقال للمماليك : هاتوه ! فحملوه هو وقصعة العدس وأتوا بهما قدامه ، فقال له : « ماهذا ؟ » قال له : « هذا غداؤك وعليق حصانك ، فلا تؤاخذنى فانى ما كنت اظن ان السلطان يأتى هذا المكان ، ولو علمت ذلك كنت ذبحت فرختين وضيفته ضيافة مليحة » . فقال له معروف : « ان السلطان لم يجىء وانما أنا نسيبه ، وكنت مغبونا منه . وقد ارسل الى مماليكه فصالحونى ، وانا الآن اريد ان ارجع الى المدينة . وانت قد عملت لى هذه الضيافة على غير معرفة ، وهى مقبولة ولو كانت عدسا ، فأنا ما آكل الا من ضيافتك » . ثم امره بوضع القصعة فى وسط السماط وأكل منها حتى اكتفى ،

واما الفلاح فانه ملأ بطنه من تلك الالوان الفاخرة . ثم ان معروفا غسل يديه واذن للمماليك فى الاكل فنزلوا على بقية السماط وأكلوا . ولما فرغت القصعة ملأها ذهبا وقال له : « أوصلها الى منزلك وتعال عندى فى المدينة وانا أكرمك » فأخذ القصعة ملأى بالذهب وساق الثيران وراح الى بلده وهو يظن ان معروفا نسيب الملك

وبات معروف تلك الليلة فى أنس وصفاء ، وجاءوا له ببنات من عرائس الكنوز فدققن الآلات ورقصن قدامه وقضى ليلته فى أسعد حال . فلما أصبح الصباح لم يشعر الا والغبار قد علا وطار ، وانكشف عن سبعمائة بغل حاملة اقمشة حولها غلمان ومكارية وعكامة وضوية ، وأبو السعادات راكب على بغلة وهو فى صورة مقدم الحملة ، وقدامه تختروان له اربعة عساكر من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر .. فلما وصل الى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الأرض وقال : « يا سيدى ان الحاجة قضيت بالتمام والكمال ، وهذا التختروان وبدلة كنوزية لا مثيل لها من ملابس الملوك ، فالبسها واركب فى التختروان ومرنا بما تريد » فقال له : « يا أبا السعادات ، مرادى ان أكتب لك كتابا تروح به الى عمى الملك فى مدينة خيتان الختن فى صورة ساع أنيس» فقال له : «سمعا وطاعة» . فكتب كتابا وختمه ، فأخذه ابو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه يقول : « يا وزيرى ان قلبى على نسيبى ، وأخاف أن تقتله العرب . يا ليتنى كنت أعرف أين ذهب حتى كنت أتبعه بالعسكر ، ويا ليته كان أخبرنى بذلك قبل الذهاب » . فقال له الوزير : « الله تعالى يلطف بك على هذه الغفلة التى أنت فيها ! وحياة رأسك ان الرجل عرف أننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب ، وما هو الا كذاب نصاب »

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

الليلة الرابعة والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد : بلغني أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد ان الوزير ما فرغ من كلامه حتى دخل الساعي فقبل الأرض بين يدى الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء فقال له الملك : « من انت وما حاجتك ؟ » فقال له : « انا ساع ارسلنى اليك نسيبك وهو مقبل بالحملة ، وقد ارسل كتابا وها هو ! » فأخذه وقرأه فرأى فيه : « بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز ، فانى جئت بالحملة فاطلع وقابلنى بالعسكر » . فقال الملك : « سود الله وجهك ياوزير ! كم تقدح فى عرض نسيبى وتجعله كذابا نصابا وقد أتى بالحملة .. فما أنت الا خائن ! » فأطرق الوزير برأسه الى الارض حياء وخجلا وقال : « يا ملك الزمان ، أنا ما قلت هذا الكلام الا لطول غياب الحملة وكنت خائفا على ضياع المال الذى صرفته » فقال له : « يا خائن ! كيف تضيع أموالى فى حين ان نسيبى عندما يأتى بالحملة سيعطينى عوضا عنها شيئا كثيرا ؟ »

ثم أمر الملك بتزيين المدينة ، ودخل على بنته وقال لها : « لك البشارة ، ان زوجك عن قريب يجىء بحملته . وقد أرسل الى مكتوبا بذلك وها أنا طالع لملاقاته » فتعجبت من هذا الكلام وظنت أن معروفا كان يختبرها حين اخبرها بأنه فقير ، وحمدت الله على أن لم يقع منها فى حقه تقصير

هذا ما كان من امره ، اما ماكان من أمر التاجر على المصرى فانه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك فقالوا له ان التاجر معروفا نسيب الملك قد اتت حملته ، فتعجب من أمر ذلك الشريد الذى أتى هاربا من زوجته ، وكان فقيرا ، فمن أين جاءت له حملة ؟ وظن ان بنت الملك ربما تكون دبرت له حيلة خوفا من الفضيحة ، والملوك لا تعجز عن شىء .. ودعا الله أن يستره ولا يفضحه ، وفرح سائر التجار واطمأنوا على

أموالهم . ثم ان الملك جمع العسكر وطلع ، وكان ابو السعادات قد رجع الى معروف واخبره بانه بلغ الرسالة فلبس البدلة الكنوزية وركب فى التختروان وصار اعظم وأهيب من الملك بألف مرة ومشى الى نصف الطريق واذا بالملك يقابله بالعسكر، فلما رآه لابسا تلك البدلة وراكبا فى التختروان عانقه وسلم عليه وحياه بالسلام ، وعلم ان معروفا صادق ولا كذب عنده . ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الاسد ! وسعت اليه التجار وقبلوا الارض بين يديه ، ثم أن التاجر عليا قال له : « قد عملت هذه الفعلة وطلعت بيدك ياشيخ النصابين ولكن تستاهل .. فالله تعالى يزيدك من فضله ! » فضحك معروف

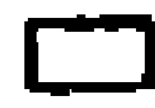
ولما دخل السراى قعد على الكرسى وقال : « ادخلوا احمال الذهب فى خزانة عمى الملك ، وهاتوا احمال الاقمشة» فقدموها له وصاروا يفتحونها حملا بعد حمل ويخرجون ما فيها ، حتى فتحوا السبعمائة حمل فنقى أطيبها وقال : « أدخلوه الملكة لتفرقه على جواريها، وخذوا هذا الصندوق من الجواهر وأدخلوه لها لتفرقه على الجوارى والخدم » . وصار يعطى التجار الذين لهم عليه دين من الاقمشة فى نظير ديونهم ، والذى له ألف يعطيه قماشا يساوى ألفين أو أكثر ، وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء والمساكين ، والملك ينظر بعينيه ولا يقدر ان يعترض عليه . ولم يزل يعطى ويهب حتى فرق السبعمائة حمــل ، ثم التفت الى العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمردا ويواقيت ولؤلؤا ومرجانا وغير ذلك ، وصار لا يعطى الجواهر الا بالكبشة من غير عدد ، فقال له الملك : « يا ولدى يكفى هذا العطاء لانه لم يبق من الحملة الا القليل » فقال له : « عندى كثير!»

واشتهر صدقه وما بقى احد يقدر ان يكذبه ، وصار لا يبالى بالعطاء ، لان الخادم يحضر له مهما طلب . ثم ان الخازندار اتى للملك وقال : « يا ملك الزمان ، ان الخزينة

امتلأت وصارت لا تسع بقية الاحمال ، وما بقى من الذهب والمعادن أين نضعه ؟ » فأشار له الى مكان آخر . ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت تتعجب وتقول فى نفسها من اين جاء له كل هذا الخير ؟ كذلك فرح التجار بما اعطاهم ودعوا له . واما التاجر على فانه كان يقول فى نفسه : كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها ؟ فانها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء، ولكن ما احسن قول من قال :

ملك الملوك اذا وهب   لا تسألن عن السبب
الله يعطى من يشاء   فقف على حد الأدب

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الخامسة والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد ان الملك تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه فى بذل المال ، ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهى مبتسمة ضاحكة فرحانة وقبلت يده وقالت : « هل كنت تختبرنى بقولك انك فقير وهارب من زوجتك ؟ والحمد لله حيث لم يقع منى فى حقك تقصير ، وانت حبيبى وما عندى أعز منك سواء كنت غنيا أو فقيرا » فقال لها :« انني حقا كنت اقصد اختبارك لارى هل محبتك لى خالصة أو هى من اجل المال وطمع الدنيا ، فأما وقد ظهر لى أن محبتك خالصة فمرحبا بك ، وقد عرفت قدرك »

ثم انه اختلى فى مكان وحده ودعك الخاتم ، فحضر أبو السعادات وقال له : « لبيك فاطلب ما تريد » قال : « اطلب منك بدلة كنوزية لزوجتى وحليا كنوزيا مشتملا



وقال لها : « خذى والبسى »

على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة » . قال : « سمعا وطاعة » ثم احضر له ما امره به ، فصرف الخادم وحمل البدلة والحلى ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها : « خذى والبسى ! » فلما نظرت الى ذلك طار عقلها من فرحتها ، ورأت من جملة الحلى خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهانة ، وأساور وحلقا لا تقوم بمال .. فلبست البدلة والحلى ثم قالت : « يا سيدى مرادى أن أدخرها للمواسم والاعياد» قال : « البسيها دائما فأن عندى غيرها كثير ! » فلما لبستها ونظرها الجوارى فرحن وقبلن يدبه ، فتركهن واختلى بنفسه ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له : « هات لى مائة بدلة بمصاغها » فقال له : « سمعا وطاعة » . ثم احضر البدلات وكل بدلة مصاغها فى قلبها ، فأخذها وزعق على الجوارى فأتين اليه فأعطى كل واحدة بدلة فلبسن البدلات وصرن مثل الحور العين وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم

ثم ان بعض الجوارى أخبر الملك بذلك فدخل الملك على ابنته فرآها تدهش من رآها هى وجواريها ، فتعجب من ذلك غاية العجب ، ثم خرج واحضر وزيره وقال له : « ياوزير انه حصل كذا وكذا فما تقول فى هذا الامر ؟ » قال : « يا ملك الزمان ان هذه الحالة لاتقع من التجار ، لان التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها الا بمكسب ، فمن أين للتجار كرم مثل هذا الكرم ، ومن أين لهم أن يحوزوا مثل هذه الاموال والجواهر التى لا يوجد منها عند الملوك الا قليل ، فكيف يوجد عند التجار منها احمال ؟ فهذا لابد له من سبب ، ولكن أن طاوعتنى أبين لك حقيقة الامر » . فقال له : «اطاوعك ياوزير» فقال له: «اجتمع به وتودد اليه وتحدث معه وقل له : يا نسيبى فى خاطرى ان أروح أناوانت والوزير من غير زيادة بستانا لاجل النزهة ، فاذا خرجنا الى البستان نحط سفرة المدام »

واغصب عليه واسقه ، ومتى شرب المدام ضاع عقلهوغاب رشده فنسأله عن حقيقة امره فأنه يخبرنا بأسراره ، ولله در من قال :

ولما شربناها ودب دبيبها
الى موضع الأسرار قلت لها: قفى
مخافة أن يسطو على شعاعها
فتظهر ندمانى على سرى الخفى

ومتى اخبرنا بحقيقة الامر فأننا نطلع على حاله ونفعل به ما نحب ونختار ، فان هذه الحالة التى هو فيها اخشى عليك من عواقبها ، فربما تطمع نفسه فى الملك فيستميل العسكر بالكرم وبذل المال ويعزلك ويأخذ الملك منك » فقال له الملك : «صدقت» . وباتا متفقين على هذا الامر

فلما طلع الصباح خرج الملك الى المقعد وجلس ، واذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين فقال لهم : « ما الذى أصابكم ؟» قالوا : «ياملك الزمان أن السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التى جاءت بالحملة، فلما أصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال،وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالا ، ودخلنا محل المماليك فلم نر فيه احدا ولم نعرف كيف هربوا» فتعجب الملك من ذلك لانه ظن ان الاعوان كانوا خيلا وبغالا ومماليك ، ولم يعلم انهم كانوا أعوان خادم الرصد ، فقال لهم : « ياملاعين ! ألف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم ؟ » فقالوا : «ماعرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا» فقال : «انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم واخبروه بالخبر » فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين، فبينما هم جالسين على تلك الحالة واذا بمعروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمين فقال لهم : «ما الخبر ؟ » فأخبروه بما حصل فقال : «وما قيمة هؤلاء حتى تغتموا عليهم ؟ امضوا الى حال سبيلكم ! » وقعد يضحك دون

أن يبدو عليه غيظ او غم من هذا الامر ، فنظر الملك الى وجه الوزير وقال له : « أى شيء هذا الرجل الذى ليس للمال عنده قيمة ؟ فلابد لذلك من سبب ! »
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السادسة والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد أنهم تحدثوا معه بعد ذلك ساعة ، وقال الملك : « يا نسيبى ، أحب أن نذهب أنا وأنت والوزير الى بستان لأجل النزهة فما تقول ؟ » قال : « لابأس » . ثم انهم ذهبوا الى بستان فيه من كل فاكهة زوجان ، انهاره دافقة ، واشجاره باسقة ، واطياره ناطقة، ودخلوا فيه قطرا يزيل عن القلوب الحزن ، وجلسوا يتحدثون والوزير يحكى غريب الحكايات ، ويأتى بالنكت المضحكات ، والألفاظ المطربات ومعروف مصغ الى الحديث ، حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام . وبعد ان أكلوا وغسلوا أيديهم ملأ الوزير الكأس وأعطاه للملك فشربه وملأ الثانى وقال لمعروف : « هاك كأس الشراب الذى تخضع لهيبته اعناق ذوى الالباب . هذه البكر الشمطاء، والعانس العذراء ، ومهدية السرور الى السرائر التى قال فيها الشاعر :

كانت لها أرجل الاعلاج دائرة
بالدوس فانتصفت من أرؤس العرب
يسقيكها من بنى الكفار بدر دجى
ألحاظه للمعاصى أوكد السبب

ولله در من قال :

فكأنها وكأن حامل كأسها
اذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها
بدر الدجى بكواكب الجـــوزاء
رقت فكادت من لطيف مزاجهـــا
تجرى كجرى الروح فى الاعضـــاء
وما أحسن قول الشاعر :
وبات بدر تمـــام الحسن معتنقى
والشمس فى فلك الكاسات لم تحل
وبت انظر للنـــار التى ســـجدت
لها المجوس من الابريق تسجد لى
وقول الآخر :
تمشت فى مفاصلهـــم تمشى البرء فى السقم
وقول الآخر :
عجبت لعاصريها كيف ماتوا وقد تركوا لنا ماء الحيـــاة
واحسن من ذلك قول أبى نواس :
دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسهـــا حجر مسته سراء
قامت بابريقها والليل معتكـر
فلاح من ضوئها فى البيت لألاء
طافت على فتية ذل الزمان لهم
فلا يصيبهم الا بمـــا شـــاءوا
فقل لمن يدعى فى العلم معرفة :
حفظت شيئا وغابت عنك أشياء !
ولله در القائل :
أصبحت من أغنى الورى مستبشرا بالفـــرح
عندى نضـــار ذائب اكتـــاله بالقـــدح

وقال الآخر :

وللكأس والصهبـاء حق معظم
ومن حقها ان لا تضيع حقوقها
اذا مت فادفنى الى جنب كرمة
تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى فى الفـلاة فاننى
أخاف اذا مامت ان لا أذوقها

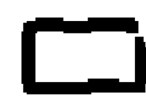
وما زال يرغبه فى الشراب ويذكر له محاسنه ماستطاب، وينشد ما ورد فيه من الاشعار ولطائف الاخبار ، حتى مال الى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح ، وما زال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ، حتى غاب عن صوابه ، ولم يميز خطأه من صوابه

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة السابعة والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد ان الوزير لما علم أن السكر بلغ بمعروف الغاية وتجاوز النهاية ، قال له : « يا تاجر معروف ، والله أنى متعجب من أين وصلت لك هذه الجواهر التى لا يوجد مثلها عند الملوك الاكاسرة ، وعمرى ما رأينا تاجرا حاز اموالا كثيرة مثلك ولا اكرم منك، فان فعالك افعال ملوك وليست افعال تجار . فبالله عليك أن تخبرنى حتى أعرف قدرك ومقامك ! » وصار يحتال عليه ويخادعه وهو غائب العقل ، فقال له معروف : «انا لست تاجرا ولا من أولاد الملوك ! » واخبره بحكايته من أولها الى آخرها ، فقال له : « بالله عليك يا سيدى معروف أن تفرجنا على هذا الخاتم ، حتى ننظر كيف صنعه » فقلع

الخاتم وهو فى حال سكره وقال : « خذوا تفرجوا عليه » فأخذه الوزير وقلبه وقال : « اذا دعكته يحضر الخادم ؟ » قال : «نعم ، ادعكه يحضر لك وتفرج عليه » فدعكه واذا بقائل يقول : « لبيك ياسيدى ، اطلب تعط ! هل تخرب مدينة ، او تعمر مدينة ، او تقتل ملكا ؟ مهما طلبته فانى افعل لك من غير خلاف ! » فأشار الوزير الى معروف وقال للخادم : « احمل هذا الخاسر ثم ارمه فى أوحش الاراضى الخراب ، حتى لا يجد فيها ما يأكل ولا ما يشرب فيهلك من الجوع ويموت كمدا ولا يدرى به أحد » فخطفه الخادم وطار بين السماء والارض . فلما رأى معروف ذلك أيقن بالهلاك ، فبكى وقال : « يا أبا السعادات الى أين أنت رائح بى ؟ » فقال له : « انا أرميك فى الربع الخراب يا قليل الادب ! من يملك رصدا مثل هذا يعطيه للناس يتفرجون عليه ؟ لـكن تستاهل ما حل بك ... ولولا انى أخاف الله لرميتك من مسافة ألف قامة فلا تصل الى الارض حتى تمزقك الرياح » فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل به الى الربع الخراب ورماه هناك ورجع وخـلاه فى الارض الموحشة



هذا ما كان من أمره ... وأما ماكان من أمر الوزير فانه لما ملك الخاتم قال للملك : « كيف رأيت ؟ أما قلت لك أن هذا كذاب نصاب فما كنت تصدقنى ؟ » فقال له : « الحق معك يا وزيرى ، الله يعطيك العافية .. هات هذا الخاتم حتى أتفـرج عليـه » فالتفت اليـه الوزير بالغضب وبصق فى وجهـه وقال له : « يا قليـل العقــل كيف أعطيـه لك وأبقى خدامك بعـد أن صرت سيدك ؟ ولـكن انا ما بقيت أبقيك ! » ثم دعك الخاتم فحضر الخادم فقال له : « احمل هذا القليل الأدب وارمه فى المكان الذى رميت فيـه نسيبه

التصاب » فحمله وطار به فقال له الملك : « يا مخلوق ربى أى شيء ذنبى ؟ » فقال له الخادم : « لا أدرى ، وانما أمرنى سيدى بذلك وانا لا أقدر أن أخالف من ملك خاتم هذا الرصد » . ولم يزل طائرا به حتى رماه فى المكان الذى فيه معروف ثم تركه هناك ورجع فسمع الملك معروفا يبكى فأتى له واخبره ، وقعدا يبكيان على ما أصابهما ولم يجدا اكلا ولا شربا

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الثامنة والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد ان الوزير بعد ما شتت معروفا والملك قام وخرج من البستان ، وارسل الى جميع العسكر وعمل ديوانا واخبرهم بما فعل مع معروف والملك واخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم : « ان لم تجعلونى عليكم سلطانا أمرت خادم الخاتم أن يحملكم جميعا ويرميكم فى الربع الخراب فتموتوا جوعا وعطشا » فقالوا : « قد رضينا بك سلطانا ولا نعصى لك أمرا » . ثم انهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهرا عنهم ، وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من أبى السعادات كل ما أراده فيحضره بين يديه فى الحال ، ثم جلس على الكرسى واطاعه العسكر وارسل الى بنت الملك يقول لها : « حضرى روحك لانى مشتاق اليك ! » فبكت وصعب عليها أبوها وزوجها ، ثم أرسلت تقول له : « حتى تنقضى العدة ثم اكتب كتابى وتتزوجنى فى الحلال » فأرسل يقول لها : « انا لا اعرف عدة ولا طول مدة ، ولا احتاج الى كتاب ولا اعرف حلالا من حرام ! » فأرسلت تقول له : « مرحبا بك ولا بأس بذلك » وكان ذلك مكرا منها ، ففرح وانشرح صدره لانه

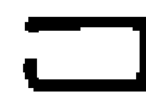
كان مغرما بحبها . ثم انه امر بوضع الاطعمة بين جميع الناس وقال : « كلوا هذا الطعام فانه وليمة الفرح » فقال شيخ الاسلام : « لايحل لك الدخول عليها حتى تنقضى عدتها ونكتب كتابك عليها » فقال له : « لا تكثر على الكلام !» فسكت شيخ الاسلام وخاف من شره وقال فى نفسه : ان هذا كافر لادين له ولا مذهب . فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة أفخر ما عندها من الثياب ومزينة بأحسن الزينة ، فلما رأته قابلته وهى ضاحكة وقالت له : « ليلة مباركة ، ولو كنت قتلت أبى وزوجى لكان أحسن عندى !» فقال لها : « لابد ان اقتلهما » فأجلسته وصارت تمازجه وتظهر له الوداد ، فلما لاطفته وتبسمت فى وجهه طارعقله .. وانما خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على أم ناصيته ، وما فعلت معه هذه الفعال الا على رأى من قال :

ولقــد بلغت بحيلتى ما ليس يبلغ بالسيـوف
ثــم انثنيت بمغنــم حلو المجــانى والقطوف

فلما رأى الملاطفة والابتسام دنا منها فتباعدت عنه وبكت وقالت : « يا سيدى اما ترى الرجل الناظر الينا ؟ بالله عليك ان تسترنى عن عينه ، فكيف تقرب منى وهو ينظر الينا ؟» فاغتاظ وقال : « اين الرجل ؟ » قالت : « هاهو فى فص الخاتم يطلع رأسه وينظر الينا ! » فظن ان خادم الخاتم ينظر اليهما ، فضحك وقال : « لاتخافى ، ان هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتى » قالت : « أنا أخاف من العفاريت فاقلعه وارمه بعيدا عنى » فقلعه وحطه على المخدة ، ودنا منها فرفسته برجلها فى قلبه فانقلب على قفاه مغشيا عليه ، ونادت اتباعها فأتوها بسرعة فقالت: «أمسكوه!» فقبض عليه اربعون جارية ، وعجلت بأخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته واذا بأبى السعادات اقبل يقول : « لبيك

ياسيدتى ! » فقالت : « احمل هذا الكافر وضعه فى السجن وثقل قيوده » فأخذه وسجنه فى سجن الغضب ورجع وقال لها . « قد سجنته » فقالت له : « اين ذهبت بأبى وزوجى ؟ » قال : « رميتهما فى الربع الخراب » قالت : « أمرتك بأن تأتينى بهما فى هذه اللحظة » فقال : « سمعا وطاعة » ثم طار من قدامها ، ولم يزل طائرا الى أن وصل الى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما : « لاتخافا ، قدأتاكما الفرج » واخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما : « انى قد سجنته بيدى طاعة لها ، ثم أمرتنى بارجاعكما » ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما ، فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك فقامت وسلمت على أبيها وزوجها ، واجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة التاسعة والتسعون بعد التسعمائة : فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد التسعمائة قالت شهر زاد ، بلغنى أيها الملك السعيد انه فى اليوم التالي البست بنت الملك اباها بدلة فاخرة ، وألبست زوجها بدلة فاخرةوقالت: « يا أبت اقعد انت على كرسيك ملكا على ما كنت عليه أولا ، واجعل زوجى وزير ميمنة عندك واخبر عسكرك بما جرى ، وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه فانه كافر وأراد ان يدخل على من غير نكاح ، وشهد على نفسه انه كافر وليس له دين يتدين به ، واستوص بنسيبك الذى جعلته وزير ميمنة عندك » فقال : « سمعا وطاعة يا بنتى ، ولكن اعطينى الخاتم أو اعطيه لزوجك » فقالت : « انه لا يصلح لك ولا له ، وانما الخاتم يكون عندى وربما أحميه اكثر منكما ، ومهما أردتماه فاطلباه منى وانا اطلبه لكما من

صاحب الخاتم ، ولا تخشيا بأسا مادمت أنا طيبة ، وبعد موتى فشأنكما والخاتم » فقال ابوها : « هذا هو الرأى الصواب يا بنتى »

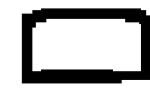
ثم أخذ نسيبه وطلع الى الديوان وكان العسكر قد باتوا فى كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعـــل معها الوزير باساءته الى الملك ونسيبه ، وخافوا ان تنتهك شريعة الاسلام لانه بان لهم انه كافر . ثم اجتمعوا فى الديوان وصاروا يعنفون شيخ الاسلام ويقولون له : « لماذا لم تمنعه ؟ » فقال لهم : « ياناس ! ان الرجل كافر وصار مالكا للخاتم ، وانا وانتم لا يخرج من ايدينا فى حقه شيء . فالله تعالى يجازيه بفعله ، واسكتوا انتم لئلا يقتلكم » فبينمـــا العســـاكر مجتمعون يتحدثون فى هذا الكلام اذا بالملك يدخل عليهم فى الديوان ومعه نسيبه معروف ، فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الاقدام وقبلوا الارض بين يديه ، ثم جلس على الكرسي واخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة ، وأمر بزينة المدينة وأحضر الوزير من الحبس ، فلما مر بالعساكر صاروا يلعنونه ويشتمونه ويوبخونه ، حتى وصل الى الملك فلما مثل بين يديه امر بقتله اشنع قتلة ، فقتلوه ثم حرقوه وراح الى سقر

ثم ان الملك جعل معروفا وزير ميمنة عندهم ، وطابت لهم الاوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات وفى السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطانا مكان أبيها ولم تعطه الخاتم

وكانت فى هذه المدة حملت منه ووضعت غلاما بديع الجمال بارع الحسن والكمال ، ولم يزل فى حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات ، فمرضت امه مرض الموت فأحضرت معروفا وقالت له : « انا مريضة » قال لها : « سلامتك يا حبيبة قلبى ! » قالت له : « ربما أموت ، فلا تحتاج الى أن اوصيك بولدك وانما اوصيك بحفظ الخاتم

خوفا عليك وعلى هذا الغلام » فقال : « ما على من يحفظه الله بأس » فقلعت الخاتم واعطته له ، وفى ثانى يوم توفيت الى رحمة الله تعالى واقيم معروف ملكا وصار يتعاطى الاحكام

ثم أدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة المتممة للالف : فلما كانت الليلة المتممة للألف قالت شهر زاد للملك شهريار : بلغنى أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد أن معروفا اتفق له فى بعض الايام أنه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه الى أماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها الى أن مضى النهار وأقبل الليل ، فدخل عليه أرباب منادمته من الأكابر على عادتهم ، وسهروا عنده فى بسط وانشراح الى نصف الليل، ثم طلبوا الاذن بالانصراف فأذن لهم ، وخرجوا من عنده الى بيوتهم ، وبعد ذلك دخلت عليه الجارية المكلفة بخدمة فراشه ، ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة وألبسته بدلة النوم ، واضطجع فصارت تكبس أقدامه حتى غلب عليه النوم ، فخرجت من عنده وراحت الى مرقدها ونامت فما يشعر وهو نائم الا وشيء بجانبه فى الفراش .. فانتبه مرعوبا وقال : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! » ثم فتح عينه فرأى بجانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها : « من أنت ؟ » قالت : « لا تخف ! أنا زوجتك فاطمة العرة .. » فنظر فى وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول أنيابها ، وقال : « من أين دخلت على ومن جاء بك الى هذه البلاد ؟ » فقالت له : « فى أى بلاد أنت فى هذه الساعة ؟ » قال : « أنا فى مدينة خيتان الختن . وأنت متى فارقت مصر ؟ » قالت : « فى هذه الساعة » قال لها : « وكيف ذلك ؟ » قالت : « اعلم أنى لما تشاجرت معك أغوانى الشيطان على

ضررك فاشتكيتك الى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك ، وبعد أن مضى يومان لحقتنى النـــدامة وعلمت أن العيب عندى ، وقعدت مدة أيام وأنا أبكى على فراقك ، وقل ما فى يدى واحتجت الى السؤال لأجل القوت ، فصرت أسأل كل مغبوط وممقوت ، ومن حين فارقتنى وأنا آكل من ذل السؤال ، وصرت فى أسوأ الاحوال .. وكل ليلة أقعد أبكى على فراقك ، وعلى ما قاسيت بعد غيابك من الذل والهوان والتعسة والخسران .. » وصارت تحدثه بما جرى لها وهو ينظر اليها مبهوتا ، الى أن قالت : « وفى أمس درت طول النهار أسأل فلم يعطنى أحد شيئا ، وصرت كلمـــا اقبل على أحد وأسأله كسرة يشتمنى ولا يعطينى شيئا ، فلما أقبل الليل بت من غير عشـــاء ، فأحرقنى الجوع وصعب على ما قاسيت وقعدت أبكى ، واذا بشخص تصور قدامى وقال لى : يا امرأة لأى شىء تبكين ؟ فقلت له : انه كان لى زوج يصرف على ويقضى أغراضى ثم فقـــدته ولا أعرف أين راح ، وقد قاسيت القلب من بعده . فقال : ما اسم زوجك ؟ قلت : اسمه معروف . قال : أنا أعرفه ، اعلمى أن زوجك الآن سلطان فى مدينة كذا ، وان شئت أن أوصلك اليه أفعل ذلك . فقلت له : أنا فى عرضك ! أوصلنى اليه . فحملنى وطار بى بين السماء والارض حتى أوصلنى الى هذا القصر وقال : ادخلى فى هذه الحجرة ترى زوجك نائما على السرير ، فدخلت فرأيتك فى هذه السيادة ، وأنا ما كان أملى أنك تفوتنى وأنا شريكة حياتك ، وعلى كل حال فالحمد لله الذى جمعنى عليك ! »

فقال لها : « هل أنا فتك أو أنت التى ذهبت تشتكيننى من قاض الى قاض ، وختمت بشكايتى الى الباب العالى حتى أنزلت على أبا طبق من القلعة فهربت قهرا عنى ؟ » وصار يحكى لها ما جرى له الى أن صار سلطانا وتزوج بنت الملك ، وأخبرها بأنها ماتت وخلف منها ولدا صـــار

عمره سبع سنين ، فقالت : « الذى جرى مقدر من الله تعالى ، وقد تبت .. وأنا فى عرضك أنك لا تفوتنى ، ودعنى آكل عندك العيش على سبيل الصـــدقة .. » ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه وقال لهـــا : « توبى عن الشر واقعدى عندى وليس لك الا ما يسرك ، فان عملت شيئا من الشر أقتلك ولا أخاف من أحد .. فلا يخطر ببالك أنك تشتكيننى الى الباب العالى وينزل لى أبو طبق من القلعة ، فانى صرت سلطانا والناس تخاف منى ، وأنا لا أخاف الا من الله تعالى فان معى خاتم استخدام ، متى دعكته يظهر لى خادم اسمه أبو السعادات ومهما طلبته منه يجيئنى به ، فان كنت تريدين الذهاب الى بلدك أعطيتك ما يكفيك طول عمرك وأرسلك الى مكانك بسرعة ، وان كنت تريدين القعود عندى فانى أخلى لك قصرا وأفرشه لك من خاص الحرير ، وأجعل لك عشرين جارية تخــدمك وأرتب لك المآكل الطيبة والملابس الفاخرة ، وتصيرين ملكة وتقيمين فى نعيم زائد حتى تموتى أو أموت أنا ، فما تقولين فى هذا الكلام ؟ » قالت : « أنا أريد الاقامة عندك » ثم قبلت يده وتابت عن الشر ، فأفرد لها قصرا وحدها وانعم عليهـــا بجوار وطواشية وصارت ملكة

ثم ان الولد صار يذهب عندها وعند أبيه ، فكرهت الولد لأنه ليس ابنها ، فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها

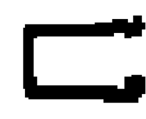
ثم ان معروفا اشتغل بحب الجوارى الحسان ، ولم يفكر فى زوجته فاطمة العرة لأنها صارت عجوزا شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء أقبح من الحية الرقطاء ، خصوصا وقد أساءته اساءة لا مزيد عليها والمثل يقول : الاســاءة تزرع البغضاء فى القلوب ، ولله در القائل :

احرص على حفظ القلوب من الأذى

فرجوعها بعــد التنـــــافر يعسر

ان القلوب اذا تنـــــــافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يجبـــــر

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



الليلة الحادية بعد الالف : فلما كانت الليلة الحادية بعد الألف ذهب الملك الى زوجته شهرزاد ، فقالت لها أختهـا دنيازاد : تممى لنا حكاية معروف . قالت : حبا وكرامة ان أذن الملك بالحديث . فقال لها الملك : قد أذنت بالحديث لأنى مشتاق الى سماع بقيته ، فقالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن معروفا صار لا يعتنى بزوجته ، ثم أن معروفا لم يصفح عنها لخصلة حميدة فيها وانما عمل معها هـذا الاكرام ابتغاء مرضاة الله تعالى . فلما رأته معرضـا عن وصالها ومشتغلا بغيرها بغضته وغلبت عليها الغـيرة ، ووسوس لها ابليس أنها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه . . ثم انها خرجت ذات ليلة من الليالى ومضت من قصرها متوجهة الى القصر الذى فيه زوجهـا الملك معروف ، واتفق بأمر القدر والقضاء المسطر أنه كان راقدا مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقد واعتـدال، ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من اصبعه اذذاك احتراما للأسماء الشريفة المكتوبة عليه ، وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها الا بعد أن أحاطت علما بأنه يقلع الخاتم ويجعله على المخدة ، ثم يأمر المحظية أن تذهب من عنده خوفا على الخاتم ، واذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسه، وكانت تعرف هذا الأمر كله . . فخرجت بالليل لتدخل عليه فى القصر وهو مستغرق فى النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها، فلما خرجت كان ابن الملك فى هذه الساعة قد دخل بيت

الراحة ليقضي حاجته من غير نور ، فقعد في الظلام على ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحا عليه ، فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي الى جهة قصر أبيه فقال في نفسه : ترى لأي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام ؟ وأراها متوجهة الى قصر أبي .. فهذا الامر لا بد له من سبب ! » ثم انه خرج من ورائها وتتبع أثرها من حيث لم تره ، وكان له سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج الى ديوان أبيه الا متقلدا ذلك السيف ، فاذا رآه أبوه يضحك منه ويقول : « ما شاء الله ! ان سيفك عظيم يا ولدي ، ولكن ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا .. » فيقول له : « لا بد أن أقطع به عنقا يكون مستحقا للقطع » فيضحك من كلامه .. ولما مشى وراء زوجة أبيه سحب السيف من قرابه وتبعها حتى دخلت قصر أبيه ، فوقف لها على باب القصر وصار ينظر اليها ، فرآها وهي تفتش وتقول : أين وضع الخاتم ؟ ففهم أنها تبحث عن الخاتم ، فلم يزل صابرا عليها حتى لقيتـــه فقالت : « ها هو ! » والتقطته وأرادت أن تختفي خلف الباب ، فلما خرجت من الباب نظرت الى الخاتم وقلبته في يدها وأرادت أن تدعكه ، فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة .. فانتبه معروف فرأى زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده فقال : « ما هذا يا ولدي ؟ » قال : « يا أبي كم مرة وأنت تقول لي : لك سيف عظيم ولكنك ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا ، وأنا أقول لك : « لا بد أن أقطع به عنقا مستحقا للقطع » ؟ فها أنا قد قطعت لك به عنقا مستحقا للقطع ! » وأخبره بخبرها ، ثم أنه فتش على الخاتم حتى رأى يدها منطبقة عليه فأخذه من يدها ثم قال له : « أنت ولدي بلا شــك ولا ريب ، أراحك الله في الدنيا وفي الآخرة كما أرحتني من هذه الخبيثة فلم يكن سعيها الا لهلاكنا ، ولله در من قال :

اذا كان عون الله للمرء مسـعفا
تأتى له من كـل أمر مـراده
وان لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليـه اجتهاده

ثم ان الملك معروفا زعق على بعض أتباعه فأتوه مسرعين فأخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وأمرهم أن يأخذوها ويحطوها فى مكان الى الصباح ، ففعلوا كما أمرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لهـا مشهدا ودفنوها . وما كان مجيئها من مصر الا لترابها ، ولله در من قال :

مشيناها خطى كتبت علينـا
ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيتـه بأرض
فليس يموت فى أرض سواها

وما أحسن قول الشاعر :

وما أدرى اذا يممت أرضـا
أريد الخـير أيهمـا يلينى
أ الخـير الذى أنا أبتغيه
أم الشر الذى هو يبتغيني ؟

ثم ان الملك معروفا أرسل يطلب الرجل الحراث الذى كان ضيفه وهو هارب ، فلما حضر جعله وزير ميمنتـه وصاحب مشورته ، ثم علم أن له بنتا بديعة فى الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعـة الحسب فتزوج بها ، وبعد مدة من الزمان زوج ابنه وأقاموا مدة فى أرغد عيش . وصفت لهم الاوقات وطابت لهم المسرات ، الى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنـات ، فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت !

وكانت شهرزاد قد خلفت للملك في هذه المدة التي قصت فيها هذه الحكايات ثلاثة أولاد ذكورا ، فلما فرغت من هذه الحكاية ، قامت فقبلت الارض بين يدى الملك ، وقالت : « ياملك الزمان وفريد العصر والاوان انى جاريتك ، ولى الف ليلة وليلة أحدثك بحديث السابقين وقصص المتقدمين فهل لى أن أتمنى عليك أمنية ؟ » فقال لها الملك : « تمنى تعطى يا شهرزاد »

وحينئذ صاحت على الخدم والوصيفات أن يأتوا بأبنائها الثلاثة الاطفـال . وقالت للملك : « هؤلاء أولادك ، وقد تمنيت عليك أن تعتقنى من القتل اكراما لهؤلاء الاطفال » فعندذاك بكى الملك ، وضم اليه أولاده الى صدره . وقال : « يا شهرزاد والله لقد عفوت عنك من قبل مجىء الاولاد ، لأنى وجدتك عفيفة نقية ، وانى أشهد الله على توبتى من قتل بنات الناس »

ودعا أباها الوزير ، وقال : « سـترك الله اذ زوجتنى ابنتك الكريمة . وقد رأيتها ذكية حرة ورزقنى الله منها هؤلاء الاولاد . والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة »



« وضم الملك أولاده الى صدره »

فهرس

صفحة

نهاية وبداية ٨
الأسير المسلم وزوجته ١٢
الاسكندر والزاهد ١٧
الملك العادل ١٩
القاضى وزوجته ٢١
ابن البحر وامه ! ٢٤
العبد الصالح ٢٩
السقف المفقود ٣٢
الحجاج والمسجون ٣٦
الحداد وجارته ٣٨
ضمرة بن المغيرة والجارية ٤٢
اسحاق الموصلى وابليس ٤٧
ابراهيم الموصلى والفتى العاشق ٥١
الملك الناصر وغلام الوزير ٥٤

صفحة

الملك الجبار والرجل الصالح ٥٦
السائل الذى لا يرد ٥٨
الملك الجبار والضيف الغريب ٦٠
هارون الرشيد والجوارى الثلاث ٦٢
يونس الكاتب وجاريته ٦٦
هارون الرشيد والجارية الشاعرة ٧٠
الطحان وزوجته الخائنة ٧٢
المغفل وحماره ! ٧٤
الحاكم بأمر الله ومضيفه ٧٦
كسرى وبنت صاحب الضيعة ٧٧
عتبة .. وريا ٨٠
الحجاج وهند بنت النعمان ٨٦
جابر عثرات الكرام ٨٩
أبو عيسى وقرة العين ٩٤
الرشيد وأبو نواس ١٠١
عائشة بنت طلحة ومصعب ١٠٤
اللص القديم واللص الجديد ١٠٦
جعفر البرمكى وابن القاربى ١١٠
الرشيد وغلامه الزاهد ١١٣
أم عمرو والحمار ١١٧

المعلم الأمى وزوجة الغائب ١٢٠
الملك وزوجة الفلاح ١٢٢
المغربى وفرخ الرخ ! ١٢٦
عدى بن زيد وبنت النعمان ١٢٨
مسلم بن الوليد والجارية الشاعرة ١٣١
اسحاق الموصلى والجارية المغنية ١٣٤
العشاق الثلاثة ١٣٩
عبد الله الراغب وأصحابه ١٤٢
الشاب البغدادى وجاريته ١٤٥
الملك والملكة والصياد ١٥٦
يحيى البرمكي وضيفه ١٥٩
الباهلى وجعفر البرمكى ١٦١
الخليفة المأمون والاهرام ١٦٣
أبو الحسن الخراسانى وشجرة الدر ١٦٥
ابن الخصيب وجميلة ١٨٢
معروف الاسكاف ٢٠١

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسي بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العـــراق : السيد محمود حلمى ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد

اللاذقيـــة : السيد نخلة سكاف

مكة المكرمة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٩٧

البحـــرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

ساحل الذهب : The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.

نيجـــريا : Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

انجلترا : مكتب توزيع المطبوعات العربية

Arabic Publications Distribution Bureau
7, Bishopsthorpe Road, Sydenham,
London S.E. 26, England.

فرنســا : Etablissements Helbaoui,
29, Rue Saint-Augustin,
PARIS-2e, FRANCE.

البـــرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio Nº 3
3º Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

كل من قرأ الأجزاء الخمسة السابقة ، أو بعضها على الأقل ، يشتاق الى هذا الجزء السادس من الف ليلة وليلة ، فقد حوى من القصص الرائعة ، والنوادر الطريفة والحوادث العجيبة ما يشوق القراء الى قراءته ، والاستمتاع بما فيه من روائع وطرائف

وهو ككل جزء من الأجزاء السابقة مستقل بقصصه وحوادثه بحيث يطالعه القارىء دون أن يحتاج الى ما قبله ، مع المحافظة على عدد الليالي ، وأسلوبها التقليدى الطريف

ان هذا الجزء السادس هو آخر جزء تختتم به الف ليلة وليلة فى طبعتنا الخاصة المهذبة التى عنينا بها خدمة لهذا الكتاب التاريخى النفيس الذى يصور حياة المجتمع الشرقى أصدق تصوير فى القرون الوسطى وما كان عليه من عادات وطباع .. فاقرأ هذا الجزء كما قرأت الأجزاء السابقة فهو ذخيرة للمتعة الشائقة والمعرفة النافعة التى تقفك على الكثير من دروس الحياة ، وتجارب الأفراد والجماعات

كتاب الهلال

قصة الثورة كاملة

بقلم
أنور السادات

سلسلة شهرية

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٦٤ ــ ذو القعدة ١٣٧٥ ــ يوليه ١٩٥٦

No. 64 — July 1956

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ــ بوستة مصر العمومية ــ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ــ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ــ سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا أو لبنانيا ــ الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش صاغ ــ فى الامريكتين ٥ دولارات ــ فى سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٩/٣٠ شلنا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

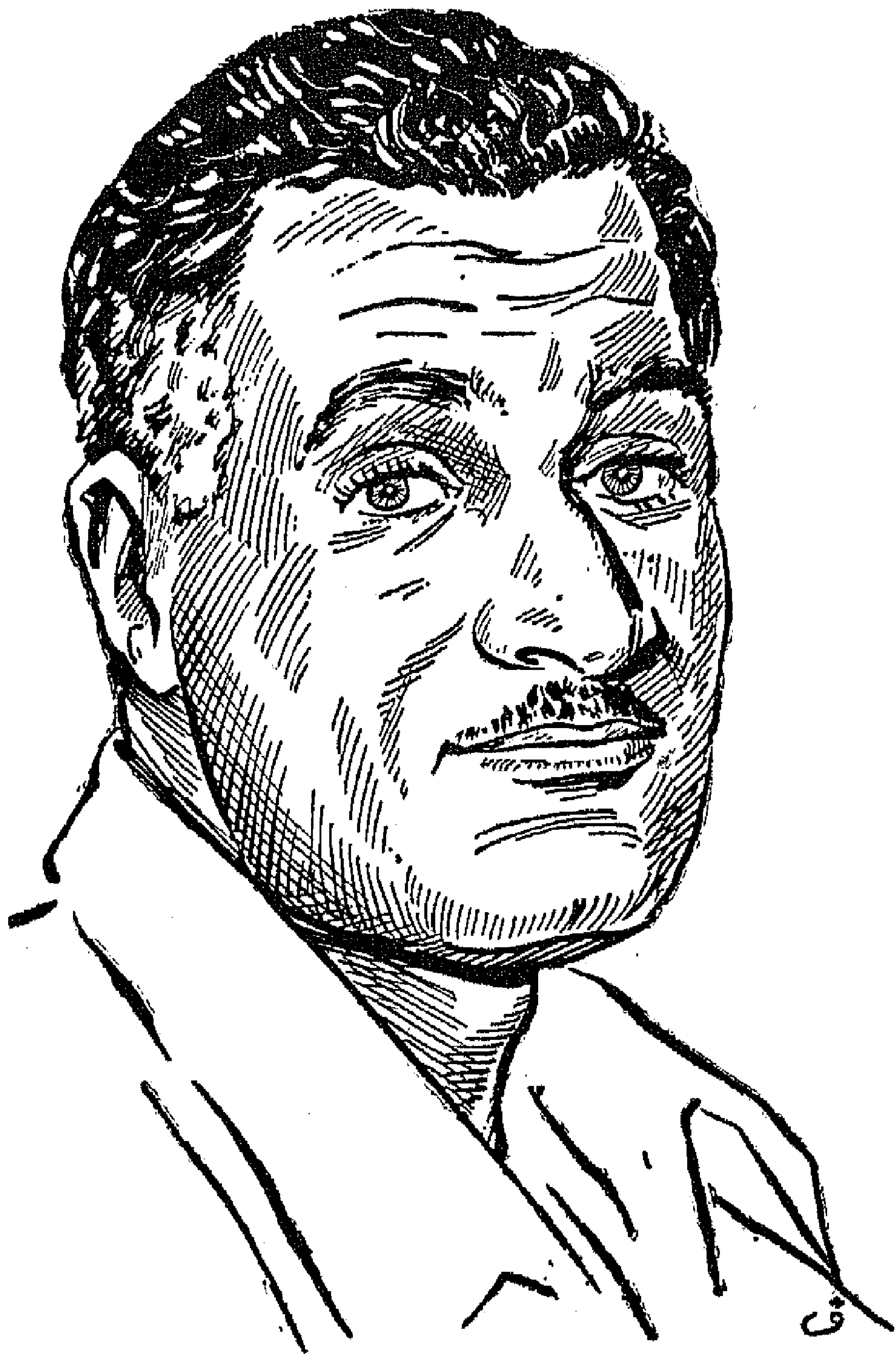
قصة الثورة كاملة



بقلم

أنور السادات

دار الهلال



قائد الثورة الرئيس جمال عبد الناصر

مقدمة

بقلم القائمقام أنور السادات

كنت أكتب ، واروى للشعب قصـــة ثورتنا ، وفى كل مرة كنت اسرد للشعب ـ وليس لغيره ـ حقيقة واحدة ، وهى ان الثورة لم تقم الا من اجل شىء واحد .. من اجل ان يحكم الشعب نفسه بنفسه ..

ورويت للشعب كل الحقائق .. قلت ان الثورة ألغت الاحزاب ، وأسقطت الدستور ، لانها ثورة وليست انقلابا . ثورة تستهدف اقامة نظام ديمقراطى صحيح ، لا نظام مزيف يقوم على الخديعة والتغرير بالشعب ، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته. نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه .. ومضيت فى حلقات عديدة اروى للناس فى مصر وفى خارج مصر حكايتنا

فرويت قصة العرض الذى تقدم به لنا عم ناريمان يوم أن قام الجيش ليضرب ضربته ، وكان العرض من فاروق الملك السابق .. يطلب منا فيه تأليف الوزارة .'. فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة فى كوبرى القبة

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية

تلك الفكرة التى كان السيد سليمان حافظ يدعونا الى تنفيذها فى كثير من الاحيان

كانت اهدافنا ـ اذن ـ واضحة .. ومحددة واصررنا عليها ولم نتراجع .. وتلك الاهداف كما تحدثت عنهـــا تحت هذا العنوان ، هى اقامة نظام ديمقراطى سليم مستمد من حاجات الشعب ، ونابع من مصالحه .. لا من حاجات الاقطاع والمستغلين والارستقراطية المصرية التى تريد ان تعيش عالة على الناس وجهدهم

وتحدثت فى حلقات هذه القصة التى تراها فى الصفحات الآتية ، عن العقبات التى صادفناها ، وعن المؤامرات .. وعن الذين وقفوا فى الطريق ليعطلوا زحف الثورة المصرية ، وكيف أننا كنا قد قررنا أن يكون الزحف أبيض ، وأن يكون بلا دم .. حتى اذا اعترض الزحف قاطع طريق ، كان حتما اذن ـ أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية . فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين المصريين الذين فى الأغلال

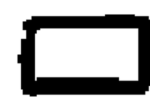
وفى الطريق مضينا .. والتقينا بكثيرين من الاعداء .. الرجعية المتربصة بالبلاد .. الاحزاب التى قامت فى كنف النظام الملكى الاقطاعى وفى حماية قوات الاحتلال ... والتقينا بالخونة والعملاء .. وبالانتهازيين وفلول النظـام الذى سقط .. كنا نريد أن ينتهى الزحف الابيض على الأعداء فى ساعة واحدة لا فى ثلاث سنوات

لكن المسألة لم تكن فى يدنا .. فقررنا ان يستمر الزحف مهما كانت العقبات .. فنحن نعرف ما نريد ، لم نكن نريد الا اقامة النظام الديمقراطى .. لا العسكرى كما قال المزيفون

ولقد حددت الثورة موقفها ، ولم يعد أمام الشعب الا أن يستعد ليحكم نفسه بنفسه

ان التاريخ اليوم يسجل الانتصار الاكبر للثورة المصرية

لم يعد امام الشعب الا ان يستعد لمواجهة الانتصـــار الكبير الحاسم على اعدائه ، بكل رغبته فى العدل والحق والحرية



ان آلاف السنين التى مرت بأبناء البلاد ، وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون ، قد كتب عليها ان تصبح منذ الآن تاريخا ، يحفظه الشعب بعد انطلاقه. فلاجوع ولا عرى ولا ضياع فى كنف الحرية ، والشعب اليوم قد حصل عليها !

ان الحكم القومى الذى سيسود لن يجد المزيفون لهم مكانا فى ظله ، والمجتمع سوف يصبح اشتراكيا ، لا تفصل بين طبقاته اسوار عالية رهيبة ، ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه اله ينحنى أمامه العبيد

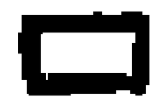
ان الحزبية كانت تصنع هذا كله ... ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة فى نوادى الاحزاب ، الا الوعود ثم الخديعة

اما اليوم .. فالبلاد بلادهم يملكون كل شىء فيها ، بعد ان مهدت امامهم الثورة الطريق ... وازالت منه الصخور والاشواك

كنا نقول دائما للمزيفين : نحن لسنا صناع استبداد ، فعندما حددنا فترة الانتقال كنا نعنى ما نقول ، وكنا قد حددناها ليس من أجل البطش بالشعب ، فتلك ليست

صناعتنا ... بل اوجدناها للقضاء على الزيف ، على التركة المفنة التى خلفها لنا نظامهم الباطش ، القائم على اعمدة الاستعمار والاقطاع والاستغلال والارستقراطية المتعالية

وكان حتما على الثورة ان تقوض اركان ذلك النظام ، قبل ان تفتح الابواب امام الشعب لينطلق نحو مستقبله كان حتما على الثورة ان تحدد فترة للانتقال ... يتم خلالها تطهير الارض من الادران ، فيقف الشعب بعد ذلك فوقها آمنا لا تحوطه مؤامرة ، او تتربص به الخديعة



ان التاريخ يطوى اليوم صفحاته المليئة بالذل والارهاق والضياع ، يطويها ليفتح صفحات اخرى ، يسجل فيها بدء حياة جديدة لشعب منتصر ، متحرر كريم ، أراد اعداء الانسانية وقف زحفه فهزموا ... وتشتتوا ... واجتاحهم الطوفان الكبير !

لا حزبية ..

فالشعب هو الحزب الكبير ..

لا زعامات مصنوعة ..

لا زيف ولا باطل ..

بل مجتمع اشتراكى متحرر وحكم قومى لا يشوبه طغيان قلنا هذا الكلام مرات عديدة .. قلناه تحت هذا العنوان الجليل .. لكن المزيفين كانوا دائما يجدون ما يشوهون به الصيحة الطاهرة المخلصة النابعة من اعماق الشعب

واليوم .. ماذا سيقول المزيفون ، بعد ان اصبحت البلاد ملكا خالصا لابنائها .. لكل الابناء !؟

ماذا سيقول المزيفون والشعب قادم . . والشعب منطلق . . والشعب منتصر !؟

ان الرئيس جمال عبد الناصر قد أطلقها صيحة تنبض بالفرحة والانتصار . . صيحة تحمل الأمل الكبير المضيء للشعب ، والنذير لأعدائه . .

فمن اراد ان يحيا فى كنف الحكم القومى وفى مجتمع اشتراكى لا تفصل بين طبقاته فوارق شاسعة . .

من أراد هذه الحياة التى تمجد الانسان وتخدم ارادته وعمله وكفاحه

من إراد الحرية والعدل والحق . .

من اراد الشرف والعمل الكريم والامن والرخاء . .

من اراد ان يمضى فى طريق لا يعترضه فيه باطش او مستغل او مستبد . .

من اراد ان يصنع مستقبله فى حمى الاشتراكية . .

من اراد ان يرفع راسه بين العباد . .

كل هؤلاء عليهم اليوم ان يصلوا شاكرين للاله القادر العادل رعايته التى حمت الثورة المصرية حتى اتمت زحفها الكبير . . !!

« انور السادات »



القائمقام أنور السادات

الثورة والديمقراطية

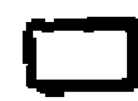
الديمقراطية المظلومة

عاصرت كما عاصر ابناء هذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى ، بل حتى اليوم ..

ففي المـــاضي كان فاروق يطلق على نفســـه الحاكم الديمقراطى ..

ورأينا كيف كان تفسيره لهـــذه الكلمة حين اتضحت الحقائق المخزية فى محاكمات محكمة الثورة . وكيف ان الملايين من ابناء هذا الشعب كانوا لا يجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى توافق فيه الحكومات المتتالية ـ من جميع الاحزاب والرجالات والزعماء ـ على انفاق مليون ونصف مليون من الجنيهات على اصلاح وتزويق مركب يسعد فيه فاروق بالسفر والرحلات .. لقد اعتمد هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الاغلبية حينا والاقليـــة حينا آخر ..

وبعد ايها القارىء .. اليست هذه البرلمانات وذلك اللون من الحكم هو الديمقراطية ؟..

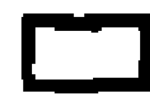


وكان فاروق الحاكم الديمقراطى يحكم هذه البلاد من اقصاها الى اقصاها بوساطة خادمه الامين .. ولذلك رأينا حكامنا الافاضل يحنون الجباه لهذا الخادم ، بل ان واحدا من اولئك الرجال ـــ وهو مصطفى النحاس ، الذى كانت

البلاد تأمل ان يكون على يديه الخلاص فى يوم من الايام ـ لم يتورع عن ان يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم الديمقراطى ـ فى نظره ـ بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب أن يقبل يده وهو زعيم الاغلبية فى ذلك الوقت ، والذى اسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزا ساحقا .. ثم اتبعها بما لا يخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه فى رمضان الى كابرى ، حيث يلهو فاروق ، وطلب من المصريين ان يتوجهوا الى هذه القبلة الماجنة فى خشوع وولاء ..

أليست هذه تفسيرات للديمقراطية .. عاصرناها جميعا وانتهت بهذه البلاد الى الدرك الذى كاد يودى بكل شيء فى هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة ..؟

وفى الماضى القريب ، بل القريب جدا ، سمعت وسمع معى الشعب بأكمله وسمعت شعوب كثيرة ، اقول سمعنا تفسيرا جديدا لهذه الكلمة المظلومة فى محاكمات محكمة الشعب على لسان اقطاب جماعة الاخوان المنحلة ..



فقد قاموا يدبرون انقلابا داميا مسلحا بالقتل والنسف والخطف ، وحين اراد احدهم ان يبرر هذا العمل قال انه فى سبيل اقامة الديمقراطية !.. ديمقراطية من نوع جديد يسيطر فيها جهاز سرى على رقاب العباد من ابناء البلاد ـ تماما كما يسيطر على أفراد الحزب لصالح رجل واحد ـ هو المرشد العام المقدس ..

وكان ابرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ اليه محمد نجيب حين اراد ان يبرر سبب قبول مجلس الثورة لاستقالته فى فبراير ١٩٥٤ ، فراح يؤكد انه كان ينادى بالديمقراطية ومجلس الثورة بأكمله لا يريد الديمقراطية !!.

والعجيب ان هذا التفسير انطلى على كثيرين واصبح نجيب فى نظرهم بطل الديمقراطية العظيم ..

وانى لاذكر جيدا كيف انه بعد ان عاد نجيب فى فبراير ١٩٥٤ ، وكنا قد بلونا طريقته فى ان يجلس بيننا فى مجلس الثورة فيقر ما نقر ثم يخرج فيشيع فى كل مكان انه لم يوافق على كذا وعارض فى كيت ، بحيث اخرج الاخوان وقتها اسطورة الاب الشفوق الرحيم . واظن قرائى يذكرون مقالتى التى نشرتها فى حينها وتحدثت فيها عن نجيب يوم ان صدر قرار محكمة الثورة بسجن فؤاد سراج الدين ، فذهب اليه اخوته قبل التصديق على هذا الحكم بوساطة مجلس الثورة فما كان منه الا ان بكى معهم وقال : ان قرار المحكمة ظالم وان سراج الدين بطل من ابطال الوطنية . ثم جاء الى مجلس الثورة وكانت امضاؤه على التصديق اول امضاء تجدونه محفوظا لدى المحكمة الى يومنا هذا ..



اقول كنا قد بلونا طريقة نجيب هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته ، كما كنا نعقدها فى الماضى وحدنا ، وانما جعلناها اجتماعات للمؤتمر المشترك لكى يجلس معنا الوزراء جميعا . فقد كانت الاحداث فى ذلك الوقت تمس السياسة العامة التى هى من اختصاص المؤتمر المشترك

واذكر جيدا تلك الجلسات المتتابعة التى عقدناها فى دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت اولاها يوم ان جاء سليمان حافظ الى جمال عبد الناصر بما سماه طلبات محمد نجيب . وقد كانت تتلخص فيما يلى :

١ ــ حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٢ ــ حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٣ ــ حق تعيين قواد الوحدات فى الجيش ابتداء من قائد كتيبة وما يماثلها من باقى الوحدات

٤ ــ جميع تنقلات الضباط وانتداباتهم تكون بواسطته

٥ ــ على الجيش ان يحلف يمين الولاء لشخصه وان يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم

٦ ــ ان لا يرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحدا لرئاسة الجمهورية غيره ، وأن يضمن له كرسى رئيس الجمهورية

وجلسنا فى دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر محمد نجيب وعرض سليمان حافظ هذه الطلبات على المجتمعين ، وتكلمنا امام الوزراء فى ان هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون امامها ديكتاتورية فاروق الحاكم الديمقراطى ، واننا لم نقم بهذه الثورة لكى ينتهى الامر بالبلاد الى دكتاتورية محمد نجيب او اى شخص خلاف محمد نجيب

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا ان يحضر محمد نجيب لكى تناقش هذه الامور معه . فقام سليمان حافظ الى التليفون واتصل بمحمد نجيب وابلغه رغبة المجلس فى ان يحضر وفعلا حضر

وبدأت المناقشة من جديد بحضور محمد نجيب

وتكلم جمال عبد الناصر وابدى وجهة النظر هذه فيما يختص بالديكتاتورية التى يريد نجيب فرضها واستحالة الموافقة عليها . وانهى كلامه بأن هناك احد حلين لا ثالث لهما:

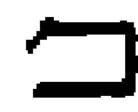
الاول : ان يعود محمد نجيب الى رئاسة مجلس الثورة وتسير الامور كما كانت على شرط ان تنتفى الاسباب التى من اجلها قبل المجلس استقالة محمد نجيب فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حملها لسليمان حافظ

الثانى : اذا لم يقبل ذلك محمد نجيب فالمجلس لا يقبل

بتاتا هذه الديكتاتورية ويكون الاصوب بدلا من آن نختلف أن تجرى انتخابات فورا وان تسلم البلاد الى الحزب الذى يفوز فى الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب . ولكننا لن نقيم بأيدينا ديكتاتورية بعد ان حطمناها

وهنا يجب ان اقف قليلا . .

فقد رفض محمد نجيب ان يعود اول الامر الى رئاسة مجلس قيادة الثورة بحجة ان هذا المجلس مكروه . ورفض ايضا ان يتنازل عن طلباته التى ارسلها مع رسوله سليمان حافظ . .



اما فيما يختص بالحل الثانى ، فقد طلب ان يناقشه قبل ان يبدى رأيه فيه

ولما طلب تفصيلات عن هذا الحل قال جمال عبد الناصر : ان هذا الحل يعنى اننا يجب ان نعلن اليوم انهاء الاحكام العرفية واباحة تشكيل الاحزاب وترك كل شيء كما كان قبل الثورة لكى تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم

وهنا استفسر نجيب عن وضعه فى هذا الحل فقال له جمال : سيكون كوضعنا تماما ، فسوف نعتزل الحكم ، ومن يريد أن يدخل الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحد حر

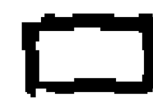
وهنا ظهرت براعة نجيب كبطل من ابطال الديمقراطية

فقد رفض ان يوافق على هذا الحل . وطلب مناقشة حل فرعى آخر هو ان يحتفظ برئاسة الجمهورية وان يشكل وزارة مدنية برئاسته ايضا الى جانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس الثورة ولكن بشروطه التى طلبها وهو ان يكون له حق الفيتو على قراراته

كان نجيب يطلب هذا فى نفس الوقت الذى كان يشيع فى كل مكان داخل القطر وخارجه ان موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية .. وملأت تصريحاته فى هذا الشأن الصحافة فى كل مكان

وهاذا تفسير جديد للديمقراطية ..

فكل ما كان يعنى نجيب هو ان يحتفظ برئاسةالجمهورية ورئاسة الوزارة معا الى يوم القيامة حتى ولو كلفه هذا ان ينادى امام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكى يصبح فى نظرهم بطلا من ابطال الديمقراطية فى سبيل الوصول الى اغراضه ..



هذه الوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة فى بلدنا الطيب ..

ترى ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة ؟..

وهل هذه الثورة تريد الديمقراطية ام تريد الديكتاتورية؟

وهل حكومة الثورة فى يومنا هذا حكومة ديمقراطية ام هى حكومة ديكتاتورية ام هى نوع من الحكم خلاف كل هذا؟



الثورة ديموقراطية أم ديكتاتورية

حديث الديموقراطية طويل ، وهو حديث الناس جميعا اليوم بلا جدال . ولكن كانت هناك اشاعات تستهدف اثبات امر معين ، وهو ان الديموقراطية لها اعداء فى مصر ، وان مجلس قيادة الثورة هو عدوها الأوحد .. !

الناس جميعا يطلبون الحرية ، ونحن فقط الذين ننفر منها ونبغضها ولا نؤمن بها !

جمال عبد الناصر وكل واحد من اعضاء المجلس ليس الا ديكتاتورا تتلمذ على الفاشيين ويريد ان يحـــكم بالكلمة المجردة !!

اليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات ؟

وياله من موقف تاريخى عجيب !

ان الحريات وكل مقومات الديموقراطية قد ضاعت من شعب مصر .. اغتصبها منه جمال عبد الناصر ورفاق جمال عبد الناصر !

كان الشعب حرا فاستعبد ..

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذآلاف السنين وجاء جمال عبد الناصر ورفاقه يوم ٢٣ يوليو المشهود من عام ١٩٥٢ ، وفى ذلك اليوم من العام المذكور تم تجريد الشعب المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها فسلب منه رغد العيش واستقرار الحال !!

كانت فى مصر قبل ٢٣ يوليو ديموقراطية يعيش الشعب فى كنفها سعيدا حرا ، ويباشر فى ظلها سلطاتها المقدسة ، ويجد الملايين من ابنائه فرصا متساوية ، وكانوا جميعـا

ينعمون فى ديارهم بتلك الديموقراطية ثم جاء ٢٣ يوليو فكان مشئوما ، فقد فيه الشعب كل شىء !!

جاع وتعرى واضطهد وعذب ولم تعد له حقوق .. لان الديموقراطية ذهبت ، وجاءت الديكتاتورية .. جاء الطغيان والاستبداد .. والحكم المطلق !

اليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات من تصـــوير للموقف ؟

وهو موقف تاريخى عجيب كما قلت ..

لكن لماذا نظلم التاريخ ، والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون اكثر منه طالما ان الذين يحكمون البلاد الآن لا يبيحون لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط

نحن اذن اعداء للديموقراطية ، كما هو واضح من كلام هؤلاء ، ومعنى هذا ان الشعب فى مصر لن يحكم حكما ديموقراطيا فاذا رفض فهو يناصب الديموقراطية العداء ، ويريد ان يبطش بالشعب

وجميل جدا ان يطالب اناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديموقراطية ، فهى حقوق مشروعة ، يكافح الانسان من اجلها ، ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها

لكن ما رايكم يا طلاب الديموقراطية فى مصر .. ويا ابطال الكفاح الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب المصرى الذى جرده جمال عبد الناصر ورفاقه من كل الحقوق يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، اقول ما رايكم دام فضلكم فى ان الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست حكومة بالمعنى المتعارف عليه .. بل هى ثورة !

ومطالبة هذه الحكومة بالحريات والانتخابات والدستور وكل الحقوق معناه ان قيادة الثـــورة ليس لها وجـــود لانها ـــ اى القيادة ـــ من المحتم عليها ان تحقق ـــ هى ـــ للشعب مطالبه بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى .

لانها ثورة كما قلت وليست حكومة !

ثورة لانها لم تستدع ليتولى قادتها الحكم بناء على امر من « ولى الامر » كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائما!
بل تولت ـ هى ـ الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره ..
وقد فعلت !!
ليس جمال عبد الناصر ورفاقه اعضاء حزب من الاحزاب يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا .. لا
ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حكاما .. بل قادة لثورة .. والفرق كبير بين الثوار والحكام !!
والثورة لها اهداف حققت بعضها .. وباقى الاهداف سيتحقق قطعا على مر الايام . طالما ان الثوار يتولون زمام الامور ، ولا اقول الحكم .. بل اني اعلنها اكثر صراحة ان جمال عبد الناصر ورفاقه يمكن ان يقبلوا اى شىء ما عدا شيئا واحدا .. وذلك الشىء هو انهاء الثورة .. قبل ان تنحقق كل اهدافها !
ولا اريد ان اكرر واعيد فاتحدث عن اهداف الثورة .. فقد تحدثنا عنها كثيرا جدا .. فلم تعد خافية على احد !
ومن بين تلك الاهداف .. بل هدف الثورة الاخير واملها الضخم هو ارساء اسس النظام الديموقراطى الذى يجعل الشعب يحكم نفسه بنفسه
واذن ما هو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديموقراطية ؟
واقول : ان الثورة تفسر الديموقراطية باعمالها وبخطواتها التى تتم فى العلن
الثورة تفسر الديموقراطية بالكفاح العملى من اجلها
فهى عندما تقضى على النظام الملكى العفن ، وترسى قواعد النظام الجمهورى فتلك خطوة نحو الديموقراطية كان الشعب حتما سيخطوها لو لم تقم الثورة فى ٢٣ يوليو .. وكان سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن ، ولكن جمال عبد الناصر ورفاقه حقنوا تلك الدماء ..

باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام .. سلميا .. او بالقوة ان كان الامر استدعى قوة !

والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على الاستعمار .. ففى تحطيمه خطوة كبرى نحوالديموقراطية يخطوهاالشعب وقد كان الشعب سيخطوها حتمـا ذات يوم ... وكان سيضحى بالآلاف من ابنائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت .. لكن جمال عبد الناصر ورفاقه وفروا على الشعب ارواح شبابه واطفاله ونسائه وشيوخه .. وتم جلاء القوات المحتلة ـ سلميا ـ تماما مثلما تم جلاء فاروق بنفس الطريقة

بنفس الاسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى اى مكان من العالم ان اتبعته فى نضالها .. اذ ان ثورة مصر ظهرت قيادتها بين صفوف القوات المسلحة .. وضمنت وقوف تلك القوات وراءها .. والشعب ايضا وقف معها !

والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى

والاقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاستغلال والظلم .. وقضت عليه ـ سلميا ـ بلا دم ، كان سيسيل فى القرى اذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الاقطاع فى عقر داره !

والثورة تفسر الديموقراطيةبالوقوففى وجهالارستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة .. وحالت الثورة ـ نهائيا ـ بين هؤلاء وبين الشعب ! والثورة تفسر الديموقراطية بالقضـاء على التعصب وحكم السمع والطاعة .. اى على الجماعات التى تريد ان تحكم باسم الدين .. لا باسم اى شىء آخر

وقد حدث .. وتمتالخطوةالكبرىفىسبيلالديموقراطية

تلك خطوات الثورة التى فسرت بها الديموقرطية

فما هو تفسير خصوم هذا النظام للديموقراطية !؟

لسنا شيوعيين

تحدثت عن تفسير « الثورة » للديمقراطية ، وأوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب

وقلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حزبا من الاحزاب التى تولت ـ أخيرا ـ الحكم ، ثم أصبح لزاما عليهم أن يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التى كانت تسيطر على حكومات ماقبل ٢٣ يوليو

قلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ثوار وليسوا حكاما

اى أن جمال عبدالناصر ورفاقه ـ مادام هذا وضعهم ـ يصبح من المحال مطالبتهم بشىء معين له علاقة بالاوضاع التى يجب أن تسود البلاد

ولا أعنى انه ليس من حق أحد أن يطالبهم بشىء معين ـ لا ـ بل اعنى أن مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد أن قام بقلب نظام الحكم يجد نفسه امام أمر واقع لا مفر منه ، وهو الاستمرار فى قيادة « الثورة » التى قامت فى هذه البقعة من العالم يوم أن سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية « قلب نظام الحكم القديم » واقتلاع جذوره من أرض البلاد ، مسألة أصبحت ضرورة تاريخية لايمكن الخلاص منها . لا بمنشور يحوى سبابا فى الثورة ، ولا بجهاز سرى يضم مجموعة من المشعوذين

وسأناقش هنا بهدوء تام ، وبصراحة تامة أيضا مسألة عودة الحياة النيابية والدستور والحريات .. الخ

سأناقش موضوع الديمقراطية التى يزعم أبناء العهد

الماضى وخدامه أن جمال عبد الناصرورفاقه اغتصبوها من الشعب المصرى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

ولعل هـــذا التعريف يعجب بعض النـــاس الذين يتهموننا بالفاشية ..

وأعود من حيث بدأت ، فأقول أننا لسنا شيوعيين ، بل لم نعرف ما هى معتقدات أتباع ماركس ولينين وستالين بالتحديد .. وبالرغم من هذا فانى انقل هنـــا كلاما قاله أحد القادة الشيوعيين ، وذلك القـــائد يتزعم بلادا تزيد مساحتها على مساحة أوروبا مجتمعة .. أعنى الصـين عملاق آسيا الجبار ..

وفى الصين قامت ثورة .. فكيف نجحت ؟!..

هـــل لان الذين قادوها من أتبـــاع ماركس ولينين وستالين ، أم لأنهم كانوا صينيين أولا وآخرا ؟

الرأى الاخير هو الصحيح .. بدليل ان ماوتسى تونج نفسه عندما أراد أن ينادى بمبادىء معينة لم يجد سوى مبادىء الزعيم الوطنى الصينى الـكبير صن يات صن .. ولم يحدث أبدا فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف فرد أو جماعة فى وجه قادة الثورة هناك ، وطالبوهم ببرلمـان أو بدستور أو بحريات

كانت كل الجماهير تتجه أولا وآخرا الى اقتلاع جذور النظام القديم الذى حكمت به الصـين آلاف السنين ، ثم بعد ذلك يمكن أن يقام النظام الذى يتفق ومصالح الجماهير الشعبية

قال ماوتسى تونج ، وهو يوضـــح موقفه أمام الشعب الصينى :

« ان المجتمع الصينى الحالى مازال مستعمرا وشـبه مستعمر وشبه اقطاعى ، وان الاعداء الاساسـيين للثورة الصينية هم القوى الاستعمارية وشبه الاقطاعية . وبما أن واجبات الثورة الصينية هى أن تحقق الثورة الوطنيـــة

والثورة الديمقراطية للقضاء على هذين العدوين ، وبما أن القوى اللازمة لهذا العمل تلقى أحيانا مساعدة البورجوازية الوطنية وجزء من البورجوازية الكبيرة ... ومع أن البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة وأصبحت عدوتها ، الا أن الثورة يجب ألا توجه ضد الراسمالية على العموم أو ضد الملكية الرأسمالية ، وانما ضد الاستعمار والاحتكار الاقطاعى ، ونتيجة لهذا نجد أن طبيعة الثورة الصينية فى الوقت الحالى ليست الاشتراكية البروليتارية ، وانما الديمقراطية البورجوازية . وهذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين ، وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة ، ويجب على الصين أولا أن تحقق هذه الثورة وليس غيرها ، واذا لم نصل الى تحطيم الافكار الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار . واذا وضعنا فى اعتبارنا الموقف الوطنى والدولى ، ومهما كانت الصعوبات التى تقابلها فى طريق المقاومة ، فان الشعب الصينى سيصل نهائيا الى النصر ..

ان وحشية القوى المظلمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى لكن ذلك البؤس اذا كان يمثل القوة الباقية للظالمين فهو يمثل ايضا اجرامهم الاخير ، ففى نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئا ، تلك هى الحالة فى الشرق .. تلك هى الحالة فى العالم »

انتهى كلام ماوتسى تونج ..

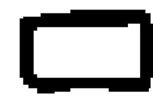
وأود أن يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام ، فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية ...

وثورة الصين قامت بالدم ... خاض الشعب الصينى معارك هائلة طاحنة رهيبة ومات مئات الالوف من شبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله

كانت الدماء فى الصين تجرى كالانهار فى السهول وفى القرى وحول المدن ..

وكان لابد أن يحدث هذا لــكى تمضى الثورةالصينية فى طريقها المعلوم .. لان القوات المسلحة فى الصـــين لم تقم بالثورة .. فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد .. وتولت قيادتها مجموعة من ضباط الجيش .. فحقنت الدماء .. ولم تتعرض مصر للخراب والنسف والموت



ومضت الثورة فى طريقهـــا المعلوم بلا دم .. وتولى جمال عبد الناصر رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيسا لحزب مصرى معين أو باعتباره رجلا من رجالات السياسة ... بل باعتباره قائدا للثورة المصرية التى قامت فعلا فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا فى السر كما حدث فى الصين .. ومن أجل هذا يخطىء الذين يطالبون جمال عبد الناصر ورفاقه بانتخابات أو بأى شىء .. فجمال ورفاقه يمثلون الثورة المصرية وليس الحكومة المصرية .. والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية ..

ولــكن الخلاف هنا فى أسلوب الثورة .. وفى قيادتها .. ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى الاستعمارية والاقطاعية والرجعية ، وفى مصر كانت الثورة « سلمية » بيضاء .. لانها كانت مؤيدة بوقوف القوات المصرية المسلحة معها .. فاذا قررت الثورة المصرية تحقيق هدف من أهدافها حددته فى الحال ، وعملت من أجله .. فاذا لم يتحقق الهدف سلميا ، كانت القوات المسلحة فى حل من استعمال القوة بتأييد من الشعب !!

وهكذا مضت الثورة المصرية فى طريقها المحتوم .. فاذا وقف فى طريقها فرد أو جماعة وطالبوها ــ باعتبـــارها حكومة ــ بشىء ما .. كان الوضع غريبا وشاذا ويستحيل قبوله أو التسليم به .. لان قيادة الثورة هى التى تحدد

ما تراه متفقا مع مصالح الشعب لا مصالح اعدائه !!

والمتطور ـ مثلا ـ تشانج كاى شيك يقف أثناء قيام الثورة الصينية ويطالب ماوتسى تونج بانتخابات وببرلمان وبحريات ألخ ..

فبماذا كان سيفسر طلبه ؟!.

هل يفسر بأنه موقف وطني من تشانج كاى شيك ضد قوى الفاشية والديكتاتورية .. أم يفسر بأنه محاولة من تشانج كاى شيك لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟!.

وبالرغم من أننا لسنا شيوعيين ، فالموقف واحد فى الحالتين ، موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسة والسماسرة والرجعيين فى البلاد ، الذين يريدون تصفية الثورة المصرية باجراء انتخابات فى الحال ، وبدستور فى الحال ، وبحريات فى الحال .. لكى يعودوا الى اماكنهم

وتلك الاماكن ابعدتهم « الثورة » عنها .. فكيف اذن تعيدهم مرة ثانية .!؟

كيف تعيد الثورة الأوضاع القديمة ، والثورة لم تقم ولم يتعرض رجالها للموت الا من أجل القضاء على تلك الاوضاع .!؟

وقد اوضحت فى الفصل السابق موقف الثورة من الديموقراطية ، فقلت ان الثورة تفسر الديموقراطية بأعمالها . تفسرها بالقضاءعلىالحكام الأغراب عنهذا الشعب والأرستقراطية المصرية الممثلة فى الباشاوات والبكوات والاساتذة السماسرة وتفسرها باقامةأسس صحيحة لنظام جمهورىسليم ، وتفسرها بالقضاء على العصابات الفاشية مثل جماعة الاخوان المسلمين ، وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الدين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد .. لأنهم أغلبية الشعب !

ثم أخيرا تفسرها باعداد العدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية ..

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتها « العملية » للديموقراطية ستقرر فى الحال ان يحكم الشعب نفسه بنفسه .. لا بالهضيبى ولا بالبدراوى ولا بالنحاس ولا بسراج الدين .. ولا بأى فرد أو جماعة من تراث الماضى .. تراث ما قبل ٢٣ يوليو !!

هذا هو تفسير الثورة للديموقراطية ..

اما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديموقراطية فهو فى جملة واحدة : العودة الى الحكم !!

تلك هى الديموقراطية فى رأيهم .. العودة الى الحكم أو يظل جمال عبد الناصر ورفاقه تلامذة للفاشيين !!

فكيف اذن يظهر جمال عبد الناصر ورفاقه أمام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين ، وفى نفس الوقت يعمل جمال ورفاقه على تحطيم أسس الحكم المطلق ..! ؟

حكم القصر والبدراوى وسراج الدين والمشعوذين حفظة سورة آل عمران ! ؟..

كيف أصبح الثوار طغاة .. والطغاة أبطالا للحرية والديموقراطية ! ؟..

كيف أصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشيا يستمد أفكاره من هتلر وموسولينى وكل الطغاة وأصبح محمود أبو الفتح تاجر الرأى والسيارات بطلا شعبيا تماما مثلما أصبح حسن الهضيبى ! ؟

هذا هو موضوع الفصل التالى

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغاة واصبح تجار الرأى والدين والوطنية ابطالا للديمقراطية !؟

كيف حدث هذا ؟

كيف تقلب الاوضاع هكذا !؟

وأين كان هؤلاء الابطال قبل ٢٣ يوليو ؟!

لماذا لم يقودوا الجماهير فى ثورة تهدم صرح الظلم والطغيان ؟!

أين كان محمود ابو الفتح وحسن الهضيبى وسراج الدين النحاس وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد ٢٣ يوليو رمزا للديموقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديموقراطية والحرية يوم كان يحكم البلاد ديكتاتور اسمه فاروق ؟!

لماذا لم يفعل محمود ابو الفتح مثلما يفعل الآن فى ربوع أوروبا .. لماذا لم يقم الدنيا ويقعدها وينادى بتخليص البلاد من قبضة الحكام الطغاة والاقطاع والباشوات والسماسرة ؟!

ولماذا لم يعد حسن الهضيبى جهازا سريا مسلحا ينسف به قصر عابدين ورئاسة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه !؟

لماذا لم يترك سراج الدين سيجاره الضخم لحظة ، ليصرخ فى الناس ان قوموا لتحرروا مصر من هذا الاخطبوط

الرهيب الذى يبطش بمصائركم ؟!
ولماذا .. ولماذا .؟!
لاتوجد الا اجابة واحدة على كل هذه الاسئلة ..وهى أن حكم اسرة محمد على والباشوات والسماسرة كان هو الحكم الديمقراطى الدستورى المجيد الذى يرضى عنه كل هؤلاء الساسة واذنابهم واعوانهم وخدامهم ..
أما اليوم فهم فى محنة .. ويريدون أن يشترك الشعب معهم فى تقويض صرح الثورة التى قلبت نظام حكمهم ، وبطشت بمستقبلهم ، وأبعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب !
واليوم هم أبطال الديمقراطية ، ونحن أعداء لها !
فكيف حدث هذا ؟!.
مرة أخرى أقول انى سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة ، وسأحاول ضبط أعصابى وانا اسجل الحقائق .. وهى حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون فى حاجة الى من يذكره بها .. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسى بلا مقدمات ، أقول حتمت علينا الظروف ان نسكت ونترك أبناء العهد الماضى يسموننا حكومة العسكريين ، لا حكومة الثورة ، ونترك أذناب العهد الماضى يصفوننا بأننا حكام جدد .. ونحن ابعد مانكون عن هذه الصفة ، فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام .. بل هو الشعب ، ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى ٢٣ يوليو ، وعزلت ملك البلاد ، سيد كل ابطال الديمقراطية وولى نعمتهم ، وصانع مجدهم .!!
سيد حسن الهضيبى الديمقراطى الحر ، وسراج الدين الدستورى العريق ، ومحمود ابو الفتح البطل الشعبى الباسل ..
وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد

للحرية وللديمقراطية والدستور .!!

اى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة .. وأى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد اذا ماسلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسى الديمقراطى واصغينا الى هذيان افراده .!!

أقول : كيف حدث هـذا ؟ .. كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق .!!

اذن اسمعوا ...

مرة أخرى أعود الى الصين ...

الى حيث قامت ثورة وتغير نظام .. واقيم حكم جديد

وأحب أن أقول انني اخترت الصين بالذات ، لان تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا .. مستعمرة فيها حكام خونة واقطاع واحتكار .. وذل وحفاة وعراة وجياع ..

وعلى الرغم من ان الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا ، الا أنهم ـ أى ثوار الصين ـ لم يصنعوا أكثرمما صنعنا .. حتى الآن .. فزعيمهم يقول :

« ان الاصلاح الزراعى هو المحور الرئيسى للثورة الديمقراطية الجديدة للصين »

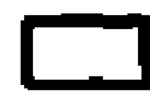
والاصلاح الزراعى فى الصين قضى على الاقطاع ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر ..

وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم انتم طغاة ... أنتم تريدون ديكتاتورية !

كانت ثورة الصين تبطش باعدائها دواما .. وكانت تمضى فى طريقها الملىء بالدم والبارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها .. فالشعب معها ، والشعب شعر انها قامت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة !

ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة ضد القصر والاقطاع وكل اعداء الشعب لعرف

أهداف الثورة فى الحال ولمـا وجد من يضلله أو يخدعه ... لـكن الوضع فى مصر بالنسـبة لقيـادة الثورة كان مخالفا لوضع قيادة الثورة فى الصين فكان علينا نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة ان نتجاهل مايقال عنا ، وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا ... كنا نعتمد على الوقت .. فالايام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقـة ثورتنـا ... لا المعـارك !!



وأعود الى الصين فأقول انه بالرغم من المعارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين الا ان قادتها وجـدوا من يقول عنهم انهم طغاة ويريدون ديكتاتورية .. وقال ماوتسى تونج بالحرف الواحد لاعداء الثورة :

« يقال لنـا : تقيمون ديكتاتورية .. نعم يا حضرات السادة . انتم على حق فنحن بالفعل نقيم ديكتاتورية ، ان الخبرة التى تكونت للشعب الصينى خـلال عشرات السنين ، تبين لنـا ضرورة اقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير عن آرائهم ، فللشعب وحده حق التعبير ، وحق التصويت فمن هو هذا الشعب !؟

فى المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة ، والبورجوازية الوطنية ، وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من أجل اقامة ديكتاتورية على خدام الاسـتعمار ، ومن اجـل سحق الاستعمار واعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه ، فلا يسمح لهم بالتصرف الا فى داخل حدود معينة ، فاذا تجـاوزوا تلك الحدود بالقول أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال ، فلابد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب ، فيمنح حرية الـكلام والاجتماع والتنظيم ، ولايعطى حق التصويت الا للشعب دون الرجعيين ... فالديمقراطية

للشعب . والديكتاتورية على الرجعيين ... واذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب ، وتفنى الدولة .. »

هذا ماحدث فى الصين ...

والذى حدث فى مصر بعد ٢٣ يوليو هو ان مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحا يحمى الشعب من الرجعيين .. وكان أول اجراء قام به مجلس قيادة الثورة بعد ٢٣ يوليو هو عزل الحاكم فاروق .. فاذا كان طرد فاروق ديكتاتورية فليكن ... ونحن نفخر بها ..

ثم كان ان قرر مجلس الثورة اسقاط النظام الملكى واقامة النظام الجمهورى ، فاذا كان ذلك ديكتاتورية فما اروع ذلك وما أعظمه وما اتعس الديمقراطية اذا لم تقف الى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام ..

واذا كان القضاء على الاقطاع ديكتاتورية فما هى الديمقراطية اذن ؟. قولوا لنا يا فلاسفة هذا العصر ويا حكماء الزمان !

ان الثورة كان لابد أن تمضى فى طريقها ... كان لابد ان تحقق للشعب حاجاته ، لابد أن تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية ، ويستحيل أن تحقق الثورة أهدافها ـ وهى بيضاء وليست دموية ـ الا اذا اخلى الطريق امامها من كل الاعداء ..

فكيف يمكن ابعاد هؤلاء الأعداء من طريق الثورة ؟

هل ببرلمان سراج الدين أو بدستور أحزاب الاقطاع أم بحرية الصحافة .. صحافة أبو الفتح والاحرار الدستوريين وبقية الاذناب !؟

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الاعداء كما حدث فى الصين ؟!...

أعداء الثورة

تساءلت فى الفصل السابق عن الطريقة التى كان يمكن بها ابعاد الاعداء عن طريق الثورة !؟

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضع البدراوى بالنسبة للشعب ، وكيف كان يمكنها أن تجنب البلاد خطر السادة الذين امتصوا دماء الملايين من المصريين !؟

فاذا وقفنا لحظة عند كل هذه الاسئلة عرفنا أن جمال عبد الناصر ورفاقه كان عليهم بعد طرد فاروق أن يبقوا على دستور عام ١٩٢٣ ، وهو دستور وضع على أساس النظام الملكى الاقطاعى

ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنـــوابه الذين يمثلون الارستقراطية المصرية ويعملون لحماية مصالحها .. وكان علينا أن نترك الاحزاب كلها بما فيها حزب عبـــد الهادى وحسن الهضيبى ، وحـزب البيوتات الذى يضم ذوى الاصل العريق جدا الاحرار الدستوريين ..

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ما تشاء وتدعو الى ما تشاء .. ثم ماذا بقى بعد ذلك ؟!

بقى أن نعود الى وحداتنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس الاشخاص الذين حكموها قبل ٢٣ يوليو ..

أى أن ثورة الشعب المصرى تسلم قيادتها هكذا ببساطة الى النحاس وسراج الدين والهضيبى وابراهيم عبد الهادى

وكل أفاق دعى يريد أن يصبح زعيما بخطبة أو بوعد معسول !

أى أن جمال عبد الناصر ورفاقه ، وكل ضابط وكل جندى من الاحرار .. هؤلاء جميعا ما قاموا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، الا من أجل النحاس والهضيبى وعبد الهادى وهيكل وباقى الساسة الذين حكموا البلاد فعلا من قبل ولم يصنعوا ثورة..ولم يرفعوا عن الشعب ظلما اجتماعيا ولم يملأوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضا من الشفاء !؟

أى منطق هذا ؟ ..

وفيم اذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها جمال عبد الناصر ورفاقه ومئات من الاحرار فى الجيش طوال أعوام قاسية مليئة بالاحداث والمفاجآت ؟.. هل كانوا يعدون كل هذه الاعمال التاريخية الثورية لكى يحكم النحاس وسراج الدين وهيكل وعبد الهادى .. وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد الحكم ؟!

هذا .. اذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شىء كما هو بعد طرد فاروق

يبقى البدراوى فى درين يشرب دم الالوف من المواطنين .. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب ..

ويبقى سراج الدين يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنابه ..ويبقى الامراء والاميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون اكل لحم البشر ، ويبقى ويبقى ...

يبقى كل شىء ما عدا فاروق .. فهل هذه هى الديمقراطية !؟

وهل هذا ما كان يريده الشعب !؟

هل هذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الطبقات ، ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود !؟

هل هذا ما كان يعجل بتصنيع البلاد ، وانفاق نقود

الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات الى أوروبا ، و فىاصلاح اليخوت والقصـــور واعداد صنوف المتعـة والرفاهية لعصابة من الافاقين العاطلين !؟

ثم .. هل كان النحاس وسراج الدين وعبد الهـادى وهيكل وباقى القطيع السياسى بدستوره وببرلمانه ، والذى كنا سنتركه يحـكم بعد طرد فاروق .. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديد الملكية ، واعلان الجمهورية ، والغاء الالقاب ، ورفع مستوى الفلاح والعامل ، واعـداد العدة لكفاح الاستعمار، ثم عدمالدخول فىأحلاف عسكرية ؟ .. وهل كان ذلك القطيع يقبل أن يخاطب أفراده بلقب « سيد » لا « باشا » أو « بك » أو صاحب رفعة ودولة !؟

وهل كان محمد نجيب اذا فرضنا أنه سيكون معهم باعتباره ديمقراطيا .. أقول هل كان محمد نجيب قادرا علىتوجيه ذلكالقطيع والسير معهفىركب التقدم والمدنية ؟ وماذا أيضا ؟ !

هل كان يمكن ــ لو فرضنا أننا استسلمنا لهذا القطيع ولآرائه وتوجيهاته بعد ٢٣ يوليو ــ أن تتم الانتخابات فى البلاد وليس هناك سوى نفس النواب بدوائرهم التى تكاد تكون ملكا لهم بأرضها ، وبالناس الذين يعيشـــون فوق أرضها ؟!

وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا أسطر هذا الكلام، ومطلوب من أدعياء الديمقراطيةولصوص الحريات أن يجيبوا عليها ..!

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رأيهم، اذا لم تكن دوائر انتخابية مسجلة بأسمائهم !؟

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن عيشا رغـدا وأشهرا ناعمة فى أوروبا وثيابا من باريس وقصرا فى الخلاء .. وكلابا تأكل أطيب أرزاق البشر !؟

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن حق عضو البرلمان فى أخذ رشوة علنية من كل طالب وظيفة ، ومن كل تاجر يريد الخروج على القانون ، ومن كل أرملة تريد عملا لوحيدها ، ومن العامل والفلاح .. وحتى من أبناء السبيل ؟!

وما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن تحكم العاطلين فى العاملين ، وسيطرة الافاقين والمرتشين والخونة واللصوص والتجار والسماسرة على مصائر الملايين !؟

ثم ما هى حرية الصحافة فى رأيهم اذا لم تكن التجارة فى الورق والسيارات والتآمر مع المستعمر .. والتحدث باسم الاقطاع والمشعوذين !؟

أليست تلك هى ديمقراطيتهم التى يلطمون الخدود ويشقون الجيوب كمدا عليها !؟

وأعود الى سؤال الامس ، فأقول انه كان لايمكن للثورة المصرية أن تمضى فى طريقها اذا اكتفت بخلع فاروق .. ثم تركت الامور كما هى بعد ذلك ..

لو كان قد حدث هذا ، وترك جمال عبد الناصر ورفاقه الامور بعد طرد فاروق كان حتما أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية .. الا اذا كان أدعياء الديمقراطية يرون أن العدالة الاجتماعية يمكن أن تتحقق على أيدى الباشوات والهضيبى وعبد العزيز البدراوى !؟

وفى هذه الحالة .. اكان من مصلحة الشعب أن يبقى جمال عبد الناصر ورفاقه فى أماكنهم كمسئولين عن الثورة ، ليحققوا أهداف الشعب فى فترة انتقال حددوها من تلقاء أنفسهم .. أم كان من أصول الديمقراطية التخلى عن تلك الاهداف الشعبية لتتحقق أهداف سراج الدين والهضيبى وعبد الهادى وباقى القطيع !؟

وقد بقى جمال ورفاقه فى أماكنهم .. واستمروا فى عملية قلب نظام الحكم القديم شيئا فشيئا .. ومضوا

يعملون آناء الليل وأطراف النهار .. فى الصيف وفى الشتاء .. فى البرد وفى القيظ .. ويواجهون الاحداث ويعدون المستقبل للشعب ، ولكى لا يعطلهم الاعداء وقطيع عهد أسرة محمد على ، اتخذوا موقفا حازما حيال كل نشاط يقوم به هؤلاء الساسة وأذنابهم .. وكان لا بد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصارم حتى لا تزحف الافاعى مرة ثانية لتهدد حياة الشعب .. فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر .. وعندهم حق .. فنحن ضباط وعساكر فعلا ، لكن لسنا ساسة من نوعهم ، ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب ، ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه !!

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم ، وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك ، وبلا بارود ينسف المدن والقرى ، وبلا مجازر فى الشوارع والميادين !

وقد مضينا فى الطريق ، وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالاعداء .. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة ، يريد وقف تطور الشعب ، يريد أن يبقى كعدو الى الابد .. يعيش هو ولتمت الالوف تحت أقدامه !

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا ؟؟

هل اذا وقف ابو الفتح ومصالحه مرتبطة بمصالح سراج الدين وباقى القطيع .. ثم اتهمنا بأننا كذا وكذا .. هل نتركه يواصل نشاطه الاجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية !؟

فاذا أسكتناه وكشفنا القناع عن وجهه يقال لنا أنتم ضد الديمقراطية !

وهل اذا حوكم جواسيس الانجليز أمام محكمة الثورة، وصدر الحكم باعدام شيخهم « كنج صبرى » .. واذا ألقينا

بالمدعو « كريم ثابت » فى اليمـــان .. نصبح ضـــد الديمقراطية ! ؟

وهل اذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسـياسى البـارع فؤاد سراج الدين من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيدا عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية ! ؟

وهل اذا تركنا تجار الدين يقتلون جمال عبد الناصر ، ومئات غـيره ، وتركنا الهضيبى ينسف دور الحـكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر فى الدين .. هل اذا كنا سمحنا بهذا ، نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور !؟

ان طريق الثورة كان مليئا بالاعداء .. وكان لا بد من ابعادهم عنه ، ولا سبيل الى ذلك الا بمعركة مسلحة يلقى فيها كل عدو للشعب مصرعه .. ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الاعداء عن الطريق بقانون الثورة . بالحزم والصمود وبالاصرار على أهدافنا ..

فضلنا هذا على المذابح والمجازر ، فهل لاننا نريد حقن الدماء .. نعمل ضد الديمقراطية !؟

وماذا لو كنا اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتك بفاروق وبأسرته ، بدلا من اسقاطه بانذار وطرده بكلمة.. وتركنا الشعب يهاجم الاقطاعيين فى قراهم وفى قصورهم فيهدمها فوق رءوسهم ويأخذ الارض التى هى من حقه..

لو كنا تركنا الشعب يحطم رءوس الباشوات والبكوات وأبناء الارستقراطية المصرية العفنة ، بدلا من الغاء ألقابهم ووقف نشاطهم ..

هل لو كنا فعلنا كل هذا ، نصـبح ديمقراطيين ومن أحباب الدستور !؟

الثورة وطريق الدم

انتهى حديثى فى الفصل الماضى عند نقطة هامة للغاية ، بالنسبة لتاريخ هذه الثورة ..

ماذا كان علينا أن نصنع منذ قمنا بتلك الثـورة حتى نصبح ديمقراطيين ، ونصطلح أيضا مع الدستور !

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم ٢٣ يوليو ضد كل الذين اراد الشعب الخلاص منهم .. الملك والاســـتعمار والباشاوات والبكوات وملاك أرض الشعب ؟!

وهل كنا حقا قادرين على ابادة كل هؤلاء الاعداء فى معركة واحدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القــوات المسلحة معنا والشعب ؟

لقد كان أمرا واقعيا فعلا أن تبيـــد الثورة كل أعداء الشعب والا كانت مهزلة لا ثورة

ان التـــاريخ يقـــول لنــــا أن كل ثورة فى أى بلد من بلاد هذا العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان ـ الشعب وأعداء الشعب ـ مئـــات وألوفا بل وملايين من الضحايا

ولكن ـ كما سبق أن قلت فى مقالاتى السابقة ـ الفرق بين الثورة التى قامت فى مصر وبين كل الثورات الاخرى هو أن قيادتها ظهرت بين صفوف القوات المسلحة .. اى ظهرت بين نفس الصفوف التى كانت تحمى أعداء الشعب

فالجيش كانت قيـــادته خاضــــعة للقصر والاقطـــاع والاستعمار .. لم تكن قيادة الجيش خاضعة للشعب على

الاطلاق، لكنها أصبحت فعلا خاضعة الشعب فى صباح ٢٣ يوليو ، ووجد اعداء الشعب أن القوة التى كانت تمكنهم من السيطرة على البلاد قد ضاعت منهم ، بل واتجهت الى ابعادهم عن طريق الشعب .. !!

وفوجىء العالم بثورة مصر تتبع أسلوبا جديدا فى القضاء على أعدائها لم تسبقها اليه ثورة أخرى فى أى بلد من بلاد العالم .. فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن امكانياته

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة المصرية ، واعداء تلك الثورة لا يمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة .. فالنتيجة معروفة ! وكان عليهم أن يستسلموا .. كان عليهم — جميعا — أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا للامر الواقع ، لارادة الثورة .. وقد كان !! لكن لانهم لم يبادوا ويفنوا فى مجزرة .. ولأنهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون ويعيشون بين الناس ، خيل اليهم أن من الممكن وقف الثورة بالمؤامرات ، مادامت تنقصهم القوة التى يمكنها ان تصمد امام القوات المسلحة .!

وعندما تفشل تلك المؤامرات ، وعندما تدفن الثورة كل مؤامرة فى مهدها ، عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة ، يقال عن قادتها انهم يريدون ديكتاتورية !!

كأن الديمقراطية هى وقف تطور الشعب ، وكأن الديمقراطية هى ترك الباشوات وترك الهضيبى يلقن السذج سورة آل عمران واحدث وسائل النسف والذبح

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس محمود ابو الفتح فى مكتبه فى احدى عواصم أوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه .. وهو حليف الاقطاع والزعامات التى تعفنت !

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف جمال عبدالناصر عجلة التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات مصر وبكواتها : تفضلوا واحكموا من جديد !

وعندما تضرب الثورة على ايدى الشيوعيين لانهم تآمروا أيضا على الثورة مع الاقطاع تجار الدين والمستعمر وكل الاعداء يقال عن الثورة انها لا تؤمن بالديمقراطية ، ويقول عنها الشيوعيون انها حكومة الفاشست والسفاحين .. !!

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية !؟

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة ؟

هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا ؟

ان البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية

فهل الهضيبى هو الشعب ، وهل سراج الدين هو الشعب ؟

وهل الجاسوس كنج صبرى هو الشعب وهل كريم ثابت هو الشعب ، ومحمود ابو الفتح وعدلى لملوم وحافظ عفيفى وعبد الهادى وعملاء اسرائيل وعملاء كل الجهات الاجنبية .. هل كان هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى طريقها هم الشعب !؟

وهل من أجل موقف الثورة هذا الذى تحمى به نفسها - وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم - يصبح قادتها من الذين لا يؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة ؟



وأعود الى موضوع الدم من جديد ، فأقول ان الثورة لو كانت بدأت فى فجر ٢٣ يوليو بمذبحة ضد القصر والاقطاع والاستعمار وعملاء الدول الاجنبية والباشوات والسماسرة ثم انتهت بانتصار شامل عليهم ، ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه ان يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره أقول لو كانت قيادة الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية الصحافة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات ، لو حدث هذا لاصبحت فى هذه الحالة فقط .. وفى هذه الحالة فقط قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب !

ولكن للاسف الشديد ـ وأقولها بمرارة ـ لم يحدث أن قامت تلك المجازر بعد ٢٣ يوليو

لم تفرش دماء اعداء الثورة الشوارع وكل شبر فى البلاد حتى كان يمكن بعد ابادتهم بالسلاح ان يطمئن قادة الثورة على مصير أهدافهم الشعبية ، فيقام الحكم الديمقراطى فى الحال ، وتعاد كل الحريات فى الحال ، بعد أن خلت مصر من الاعداء !

لكن .. ليس معنى أن قيادة الثورة قد اتجهت فى طريق آخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مستعد للاتجاه فى هذا الطريق منذ أول دقيقة قامت فيها الثورة !

لا ـ واقولها بملء فمى ـ فنحن كنا على استعداد لكل احتمال ، كنا على استعداد لخوض معركة فى ميادين القصور الملكية وفى قصور الباشوات والساسة الخونة والرجعيين ، وفى قرى الاقطاع وفى القنال

كنا سنفعل ذلك سواء من تلقاء أنفسنا او بحكم الامر الواقع ، وكان النصر سيحالفنا ، فالشعب وراء الجيش منذ انطلق ذلك الصوت من محطة الاذاعة اللاسلكية فى صباح ٢٣ يوليو

لكن بالرغم من ايماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة مسلحة ضد جميع الأعداء ، الا أننا كنا نضع فى حسابنا دائما مسألة الخسائر !

فماذا كان الشعب سيخسره لو خاض هو والجيش معركة كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والاقطاع وباقى الاعداء ؟

ألم يكن محتملا أن تدمر قرى بأكملها ومدن أيضا ؟ ..

الم يكن محتملا أن يموت الالوف بل ربما الملايين من أبناء الشعب ؟

الم يكن محتملا ان تتحول أرضنا الخضراء الهادئة الى

ساحة حرب يحترق فيها الاخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصاد بل والحياة نفسها ؟

وكما قلت ، كنا سننتصر حتما فى تلك المجزرة طال الزمن أو قصر .. لكن بعد النصر هل كان من الممكن اعادة بناء هذه البلاد بعد أن دمرتها الحرب ؟ ..

واذا كانت هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشعب فى ثورته غير الدمار والموت والفناء .. واذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه الطريقة وحقن دماء الشعب وحمى اقتصاد الشعب ومدن الشعب وقرى الشعب ..

اذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هذه المعجزة ونجح فى اسقاط النظام الملكى بلا دم واعلن الجمهورية بلا دم ، وقضى على الباشوات وحكمهم بلا دم

وقاد معركة الثورة فانتصر الشعب فيها دون أن تختفى من على ظهر الأرض مدينة مصرية واحدة بما فيها من ناس ومال وحياة ..

أقول اذا كان مجلس الثورة قد حقق وسيحقق الانتصارات فى ثورة الشعب ، أيعد هذا العمل التاريخى المجيد ضد الديمقراطية .. وأية ديمقراطية ؟!

ان الشعب لم يصب بسوء حتى يمكن أن يجد الذين يتهموننا بالفاشية دليلا واحدا على اتهاماتهم لنا ، وعلى تجنيهم علينا .. بل الذين أصيبوا بالسوء هم أعداء الشعب .. هم كنج صبرى وكريم ثابت والبدراوى وسراج الدين وابراهيم عبد الهادى والهضيبى وعصابته الناسفة ، وعملاء اسرائيل ، وعملاء الدول الاجنبية على اختلافها

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس الثورة بالدكتاتورية

وانى أقول لهم مثلما قال ماوتسى تونج لاعداء ثورة الصين :

« نعم ياحضرات السادة ، اننا نقيم ديكتاتورية .. لكن على أعوان الاستعمار والاقطاع »

الضّباط الأحرار

بعد المحنة

عام ١٩٤٩ ، بعد المحنة الـكبرى ، بعد أن عاد جيش البلاد من فلسطين ومعه المأساة الكبرى .. المأساة التى صنعها الخونة والسماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته .. فى ذلك العام بدأت مرحلة جديدة فى الموقف السـياسى فى البلاد .. فبعد انتهاء معركة فلسطين بعد تلك المأسـاة التاريخية كان على أعداء الشعب ان يبحثوا عن مخرج لهم فسخط الشعب قد بلغ حداً يهدد بالانفجار وغضب الجيش بعد ان طعن من الخلف يجب ان يزول ..

وكان تنظيم الضباط الاحرار فى ذلك الوقت قد لحقته خسائر شديدة اثناء المعركة فى فلسطين ..

وكان حتما بعد المحنة ان يعوض التنظيم تلك الخسائر ، خاصة وانها ــ أى الخسائر ــ كانت قد بلغت الى حد أن الضباط الاحرار قد فقدوا الاتصال بعضهم ببعض ..

وقد بدأ الضباط الاحرار يعملون على الفور لاعادة الاتصال من جديد ، وكان هدفهم فى هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الاحرار ثم السيطرة على الجيش تماما بتنظيم ضخم متماسك يمكن ان يبعد شبح المآسى عن الجيش وعن الشعب

وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا وكانت تضم فى البداية جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم

وخالد محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف ..

ثم تضاعف نشاط الضباط الاحرار بعد تلك الخطوة مما حتم زيادة أعضاء الهيئة التأسيسية ، فانضم اليها عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وكاتب هذه السطور

وفى يناير عام ١٩٥٠ أجريت انتخابات رئاسة الهيئة التأسيسية ، وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا لهـا بالاجماع

وعلى اثر هذا مضينا نستعد لخوض اضخم معركة فى تاريخ الشعب . بدأنا نعد انفسنا للاشتباك مع الاعداء جميعا تحت سماء هذه البلاد ..

وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت أشبه بمسرح كبير يشهد العالم فوق خشبته أعنف مأساة انسانية تعرض لها شعب من شعوب الارض

لاعدالة ولا حرية ولا حق فى ارضنا ، بل فسادواستبداد وحكم مطلق وسماسرة يتاجرون بكل شىء ، بالسياسة وبالارزاق وبالمستقبل نفسه .. مستقبل الملايين ، أما مستقبلهم هم فقد كانوا على ثقة من انه لاتوجد قوة فى الوجود يمكنها زحزتهم عن أماكنهم ..

فالاستعمار حليفهم والرجعية والاقطاع والبرلمان نفسه الذى يسير الامور ، كل هذا رهن مشيئتهم

لايوجد غير الشعب

لم يكن فى مصر ابطال على الاطلاق يمكنهم خوض المعركة ضد هؤلاء الاعداء الطغاة سوى الشعب نفسه ، فكيف كان يمكن للشعب ان يخوض المعركة حتى يمكنه التخلص من قيوده كلها ..

لم تكن هناك قيادة شعبية يمكنها ان تعد الملايين لهذه المعركة .. فحزب الاغلبية الذى يضع الشعب فيه كل آماله قد جاء الى الحكم فى ذلك الوقت وخاض المعركة ـ فعلا ـ لكن ضد الشعب ..

فزعيمه ينحنى حتى يكاد يقول للحاكم بأمره فاروق تفضل اركب على ظهرى .. وأعوان الزعيم يعملون من اجل شىء واحد فقط ولا شىء غيره .. من اجل ان يبقوا كما هم باشوات واصحاب ضياع وعقار وجاه وسلطان .. فمن اذن يمكنه ان يقود الشعب ويكتله ضد جلاديه ؟!.. الاخوان .. أن مرشدهم يدخل القصر ويخرج منه ليسبح بحمد الحاكم .. ويعلن على الملأ أنه ملك كريم

السعديون .. انهم لايمثلون سوى انفسهم .. ومصالحهم مرتبطة ببقاء النظام كما هو .. ببقاء الاقطاع والاستعمار والفساد والخيانة .. ببقاء الشعب فى القمقم حبيسا لايجد مخرجا ..

ماذا بقى من قيادات سياسية ؟..

بقى الاحرار الدستوريون ، وهم توائم للسعديين ..

من يتولى المعركة ؟..

كان لابد من معركة مهما كانت الظروف فمن المحال ان تبقى البلاد فريسة للحاكم واعوانه وبرلمانه ودستوره ..

من المحال ان يبقى الجياع والعراة والمستعبدون الى الابد تدوسهم اقـــدام العصابات الحاكمة ، ويفترسهم المستعمرون فكيف يمكن للمعركة ان تبدأ ؟..

كما قلت كان لابد من قيادة تتولاها وكما قلت كان لابد أن تكون قيادة من خارج صفوف حزب الوفد الذى انسلخ عن الشعب يوم ان ضمت قيادته الاقطاع

ومن خارج صفوف الاخوان الذين لايؤمنون سوى بالهضيبى وبالسمع وبالطاعة .. وبولى الامر الملك الكريم.. كان لا بد أن تكون القيادة التى ستخوض بالشعب معركة الحياة والحرية غير مرتبطة بقصر او بحزب من الاحزاب المذكورة ، أو بهيئة تتاجر فى الوطنية ، وفى كل شيء .. كان لابد ان تكون قيادة ترتبط مصالحها بمصالح الشعب حتى يمكن ان تصمد حتى النهاية ، لان فى عدم صمودها الفناء لها .. وللشعب أيضا ..

فأين يمكن ان توجد تلك القيادة .. وكيف يمكنها لو وجدت أن تبدأ فى تكتيل الشعب وخوض المعركة بعد ذلك ؟

لقد سبق ان أكدت فى مقالاتى السابقة عن الثورة والديمقراطية ، أن ظهور قيادة للثورة المصرية بين صفوف القوات المسلحة هو أمر محتوم مستمد من واقع مصر ومن ظروفها المختلفة ..

وكان لايمكن ان تظهر تلك القيادة خارج تلك القوات والا كانت مذبحة يفني فيها الجيش والشعب قبل ان يفنى الاعداء فمن غير القوات المسلحة كان لايمكن للشعب خوض معركته ضد اعدائه ، لان القوات المسلحة كانت ـ فى هذه الحالة ـ ستنضم الى الجانب الآخر ، الى جانب القصر والاقطاع والاستعمار والرجعية ، ليس لان وحداتها خارجة على الشعب ، بل لان قيادتها كانت خاضعة لاعداء الشعب وكانت تعمل على حماية هؤلاء الاعداء ، فالطريق اذن هو تخليص الجيش من قيادته الخائنة الخاضعة للحاكم والتي تحمى النظام فى البلاد ، وبعد ذلك يمكن ان تبدأ المعركة على الفور .. يمكن أن تبدأ الثورة المصرية التى تؤيدها وتحميها القوات المسلحة ..

الثورة فى عام ١٩٥٠

وقد تكونت فعلا قيادة للثورة المصرية داخل الجيش .. وكان تنظيم الضباط الاحرار كما قلت قد كبر واصبح نشاطه مضاعفا فى عام ١٩٥٠

وبدات الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الاحرار تعد العدة للضربة الكبرى

كان كل فرد فى تنظيم الضباط الاحرار يؤمن بأنه اما النصر أو الموت ..

وكان كل فرد فيهم يستمد القوة والعزم بل والشجاعة من الشعب نفسه ، من مشاعر الجماهير وآمالها ورغباتها وسخطها العارم على الحكام ، ورغبتها الصادقة فى التحرر

وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر والحكام، وكانت المنشورات ثورية حددنافيها اهداف الشعب بصراحة ..

لم نحدد فيها مطلبا للجيش أو لضباطه وجنوده ..

كل كلمة فى تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد .. فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن ننادى بها ، والشعب يريد القضاء على المستعمر وأذنابه ونحن نسجل ارادته ، والشعب يلعن الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك ونحن نطبع مئات المنشورات لتؤيد وجهة نظر الشعب . ومضى كل منا يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لبدء المعركة الشعبية ..

أما متى تبدأ المعركة فهذا ما يحدده تقـديرنا للموقف بلغة العسكريين

وقدر الموقف فعلا على اساس قلب نظام الحكم القـائم واحلال نظام جديد مكانه ، وحددت المدة لتنفيذ الخطـة كاملة فى عام ١٩٥٠ بخمس سنوات .. اى أن الثورة كانت ستبدأ عام ١٩٥٥ .. أى فى هذه الايام وليس فى يوليو عام ١٩٥٢ ..!!

وفى يناير عام ١٩٥١ أجريت انتخابات جديدة للهيئـة التأسيسية للضباط الاحرار وأعيد انتخاب جمال عبـد الناصر رئيسا لها للمرة الثانية ..

الشعب لا أولادنا ..

وبعد ذلك وبينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على أساس تقديرنا للموقف فى البلاد فى ذلك الوقت ، فوجئنـا بالبكباشى عبد المنعم عبد الرءوف وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الاحرار كله الى احدى الهيئات ..

ولم يجد عبد المنعم عبد الرءوف من يستمع اليه . كنا جميعا نؤمن بالشعب كوحدة .. وارتباطنا به وبأهدافه ككل ، لا بهيئة ما مهما كانت أهدافها

وأصر عبد المنعم عبد الرءوف على اخضـاع الضباط الاحرار لجماعة الاخوان المسلمين ، وقال وهو يحاول اقناعنا بوجهة نظره ان جميع اعضاء تنظيم الضباط الاحرار يمكن ان يقبض عليهم قبل ان يتمكنوا من عمل شيء ..وسيحاكمون فى هذه الحالة .. فمن يرعى عائلاتهم .. من يرعى اطفالهم وزوجاتهم وأهلهم ؟

وقال أن انضمامنا لهيئة ما فيه ضمان لعائلاتنا فى حالة ما اذا اصابنا مكروه فالهيئة المذكورة تتولى رعاية عائلاتنا واولادنا

وقلنا له جميعا اننا مثله لنا زوجات وأولاد ، ويهمنا أن

نطمئن على مصيرهم ، لكن المسألة ليست مسألة شخصية فنحن نعد ثورة لامؤامرة !!

ومصير أولادنا وزوجاتنا لايعنينا لان الذى نعمل من اجله هو مصير الشعب لااطفال الضباط الاحرار ..

وقلنا له أن ارتباط الجيش بهيئة ما يعرض البلاد للفوضى، فالجيش يجب ان يكون خاضعا للشعب ككل .. والا جعلت منه الهيئة المذكورة اداة لتنفيذ اغراضها هى وأهدافها هى .. وخططها هى !!

وقلنا له نحن لانستطيع ان نبيع أفكارنا ومبادئنا من أجل اطفالنا

وأصر الضباط جميعا على رأيهم ، فالجيش يجب أن يصان من نفوذ ألهيئات والاحزاب ، الجيش هو جيش الشعب وليس جيش الهضيبى او الوفد او جماعة معينة

تنفيذ الخطة قبل موعدها ..

وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات داخل الجيش اكثر مما قدرنا ، ففى كل وحدة من وحدات الجيش أصبح لتنظيم الضباط الاحرار أفراد فيها ..

لم نكن نتوقع عندما قررنا تكوين تشكيلات بين صفوف القوات المسلحة ان تنجح الفكرة الى هذا الحد ، وكانت الامور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير ..

فقد ظهر مدى أيمان قيادة الوفد بالكفاح المسلح فكانت مهزلة القنال التى كان فؤاد سراج الدين يتولاها من مكتبه بالداخلية

ثم بدأ القصر يتآمر، وبدأ الوفد يتراجع، لكن الرأى العام كان فى حالة من اليقظة يصعب معها خداعه

وكان لابد من ضربة قاصمة تنهى المسألة قبل استفحالها فالضباط الاحرار كانوا قدبدأوا يساهمون فى معركةالقنال رغم ارادة القصر وحكومة الوفد ..

واجتمعنا وتبين لنا اننا قد نضطر الى تنفيذ خطتنا قبل موعدها .. أى قبل عام ١٩٥٥

لمن يخضع الجيش !؟

كان نجاح تكوين تشكيلات للضباط الاحرار فى جميع وحدات الجيش هو أحد عاملين عجلا بتقديم موعدتنفيذ الخطة .. أما العامل الثانى فهو الاحداث السياسية التى طرأت على الموقف فى البلاد بعد حريق القاهرة

وكان لابد من اختيار قائد للثورة .. لكى تبدأ الثورة معاركها مع اعداء الشعب فى العلن وعلى مشهد من العالم كله ..

هنا أود ان اقف قليلا ، فهنا تلعب الظروف دورها .. هنا تتحكم الصدفة ولا شيء غيرها فى الموقف

لقد كان من رأى جمال عبد الناصر وهو رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار والذى انتخب فى كل مرة رئيسا ، والذى كان عليه ان يقود الثورة فى العلن مثلما قادها فى السر قبل ٢٣ يوليو .. اقول كان من رأى جمال ان يكون قائد الثورة حاملا لرتبة كبيرة من رتب الجيش ، وكان هناك رأى واحد فقط فى الهيئة يعارض ان يقود الثورة واحد من خارج الهيئة التأسيسية .. لكننا اتفقنا ـ جميعا ـ فى النهاية على ان يتولى احد الضباط الكبار قيادة الثورة ، واقترح جمال ثلاثة أسماء : عزيز المصرى وفؤاد صادق ومحمد نجيب

حقيقة فؤاد صادق

وبدأت الاتصالات بعزيز المصرى ، ولكن الرجل أصرعلى أن يظل ابا روحيا للثورة واقنعنا برأيه

وبقى اثنان .. اللواء فؤاد صادق واللواء نجيب ..

وذهب صلاح سالم لمقابلة اللواء فؤاد صادق ، ليعرف نواياه ..

وكان عثمان المهدى ـ رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد استقال من منصبه فى ذلك الوقت ولم يكن معقولا ان يفاتح صلاح فؤاد صادق فى أمر قيادته للثورة .. فهو كان مثل محمد نجيب لايدرى ان هناك تنظيما للضباط الاحرار ...

وايضا لايدرى أن هؤلاء الضباط الاحرار قد أعدوا انفسهم للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ، كل ماكان يعرفه فؤاد صادق هو ان بعض ضباط الجيش الصغار لهم رأى معين فى الحالة وان هؤلاء الضباط الصغار لايتعدى نشاطهم اعلان السخط والغضب والاسى ..

واعود الى مقابلة صلاح سالم لفؤاد صادق ..

ذهب صلاح اليه فى بيته ، وقال له ان الرأى العام بين الضباط فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، وقال له صلاح ان هؤلاء الضباط يمكنهم مساعدته لكى يتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير ، وظل صلاح يحدثه عن هذا الراى العام لهؤلاء الضباط فى الجيش حتى اقتنع فؤاد صادق وآمن بأنه سيعين رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش ..

وأثناء الحديث دق جرس التليفون ، ورفع فؤاد صادق السماعة ، وكان المتكلم هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وكان مصطفى على صلة ما بالقصر فى ذلك الوقت ، وقال مصطفى كمال لفؤاد صادق ان مرسوم تعيينه رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش سيوقعه مولانا فى الصباح ..

وظهرت على فم اللواء فؤاد صادق ابتسامة غريبة ونظر الى صلاح نظرة ذات مغزى . ثم قال وهو لايزال يمسك بسماعة التليفون : بتقول ايه يا مصطفى ؟. زعق شوية

واشار فؤاد صادق لصلاح سالم ان يقترب منه ، واقترب صلاح وقرب أذنه من التليفون كما طلب منه اللواء صادق وسمع صلاح مصطفى صدقي يتحدث عن مرسوم تعيين فؤاد صادق الذى سيصدر فى اليوم التالى .. ثم وضع فؤاد صادق سماعة التليفون

عرف شخصيته

.. فى تلك اللحظة عرف صلاح شخصية فؤاد صادق فالرجل شعر بعد ان ابلغه مصطفى صدقى بأمر تعيينه ان ـ الرأى العام ـ للضباط فى الجيش والذى حدثه عنه صلاح سالم لم يعد يعنيه ..

وقد كشف فؤاد صادق عن شخصيته امام صلاح فجأة، فبعد ان كان قد ابدى استعداده لتحقيق كل رغبات الضباط وحماية مصالحهم والوقوف الى جانبهم ، انقلب فجأة وبلا مقدمات وبعد أن عرف أن هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل فى تعيينه فقد عين والحمد لله ..

ان اللواء فؤاد صادق كشف عن حقيقة معدنه عندما قال لصلاح بعد مكالمة مصطفى صدقى بالحرف الواحد :

ـ اذا كنت بقيت رئيس أركان حرب الجيش فده بمجهودى انا .. وبدراعى أنا

ثم قال لصلاح انه سيعمل على اقامة النظام الكامل فى الجيش وانه لن يسمح بأى نشاط ضد نظم الجيش

وصمت لحظة ثم عاد يقول لصلاح المذهول :

ـ لازم تفهم انت والضباط اللى معاك الكلام اللى بقوله ده .. لانى سأنفذ القانون .. وانصحك انك واللى معاك تدوروا على مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل أولادكم أحسن !!

ولم يتمالك صلاح نفسه فقال له وهو حزين آسف :

ـ دى آخر مرة أخش فيها بيتك ... السلامعليكم !!

وهم صلاح بالانصراف وسمع فؤاد صادق يقول لهوهو فى طريقه الى خارج البيت :

ـ بيتى مفتوح .. اللى يحب ييجى ييجى .. واللى مايجيش هوه حر ..

وعاد صلاح الى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين فؤاد صادق ، المرشح الثانى لقيادة الثـورة ، وكانت مفاجأة للجميع !!

أما لماذا لم يعين فؤاد صادق فى اليوم التالى رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش وعين بدلا منه فى اللحظة الاخيرةحسين فريد فلذلك قصة ثانية ، لعب فيها تشكيل الضباطالاحرار دورا حاسما ..

أين كان محمد نجيب !؟

كيف تم الاتصال بنجيب !؟

كيف ظهر على المسرح .. وهو الذى لم يكن يعد ثورة او اى شىء !!

لقد كان نجيب فى ذلك الوقت قائدا لسلاح الحدود .. ولم تكن له صلة ما بالحركة. ولم يكن يدرى مثل فؤاد صادق ان هناك فى الجيش تنظيما ضخما يعمل تحت الارض ويعد العدة للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ..

لم يكن يعلم شيئا بالمرة ، وكنا فى أواخر عام ١٩٥١ ...

واعود مرة أخرى الى الصدفة العابرة ، الصدفة التى جعلت اسم نجيب يتردد على السنتنا وجعلت جمال يرشحه مع عزيز المصرى وفؤاد صادق لقيادة الثورة

فقد صدر الامر بنقل نجيب من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ..

وعين حسين سرى عامر ذنب السراى مكانه .. ولم يكن لهذا النقل من مبرر

وتردد فى صفوف الجيش أن محمد نجيب قد يستقيل بعد اللطمة التى وجهت اليه ، وكان الشعور العام فى الجيش ضد حسين سرى عامر .. لالشيء الا لانه ذنب للسراى !!

ومن هنا كان العطف على نجيب

شعر الجميع أنه ضحية لحسين سرى عامر ، ولو كان نجيب نقل أو أحيل الى المعاش وعين بدلا منه أى مدير آخر لسلاح الحدود لما حظى بتأييد الرأى العام فى الجيش على الاطلاق ، لكن لان الذى عين مكانه هو ذنب للسراى فنجيب اذن يستحق العطف ، ويجب ان يقف الضباط الاحرار الى جواره. وفعلا حدث عقب أن سرى نبأ اعتزام نجيب تقديم استقالته ان اتصل به جمال عبد الناصر وقال له :

ـ أن الضباط يطلبون منك أن تبقى كما أنت فى سلاح المشاة ولا داعى لتقديم استقالتك

وقال له جمال أيضا ان اللطمة التى وجهت اليه انما هى موجهة للجيش ، ولهذا فالجيش يعتزم رد اللطمة بأشد منها !!

هكذا بدأ اتصال الضباط الاحرار باللواء نجيب ، فهو فى محنة وهم يقفون الى جواره باعتباره ضحية للذنب السراى ..

ومن هنا جاء ترشيحه لتولى قيادة الثورة ، ومن هنا بدأ القدر يفتح أمامه أبواب التاريخ !.

خطة الثورة

بعد البداية

وقفت فى الفصل السابق عند البداية .. بداية اتصال تشكيل الضباط الاحرار باللواء محمد نجيب ، وكان ذلك فى عام ١٩٥١ ، وذلك الاتصال تم لا على أساس مفاتحته فى موضوع قيادة الثورة ، بل لاقناعه بعدم تقديم استقالته بعد أن نقل من منصبه فى سلاح الحدود الى المشاة ، ليحل حسين سرى عامر عميل القصر مكانه بناء على رغبة القصر

وشرحت فى المقال السابق كيف حظى اللواء نجيب بتأييد الرأى ألعام فى الجيش أوبعبارة أخرى بتأييد تنظيم الضباط الاحرار ، وهم كانوا على استعداد لتأييد اى ضابط كبير آخر أصابه سوء على يدى عميل السراى حسين سرى عامر !

وفى ذلك الوقت لم يكن محمد نجيب يعلم ماذا يجرى فى الجيش !؟

لم يكن يعلم أن فى الجيش تنظيما سريا ضخما يباشر نشاطه تحت الارض استعدادا لقلب نظام الحكم .!

ولم يكن يعرف أنه كان ـ فى ذلك الوقت ـ المرشح الثالث لقيادة الثورة فى حالة ما اذا لم يتول قيادتها عزيز المصرى أو فؤاد صادق .!

وفى المقال السابق عرف القارىء كيف صمم عزيز المصرى على أن يبقى أبا روحيا لنا . وبذلك كان علينا الاتصال بالمرشح الثانى اللواء فؤاد صادق ، ثم اكتشف صلاح سالم حقيقته أثناء وجوده فى بيته ، وعرف مدى غروره وصلفه وأنانيته ، عرف من أى طينة عجن ذلك الرجل !.

وبعد أن ظهرت لنا حقيقة فؤاد صادق اسقطناه من حسابنا ثم جاء دور المرشح الثالث محمد نجيب ، وحدث ما رويته من نقله الى سلاح المشاة ، ليحتل حسين سرى عامر مكانه فى سلاح الحدود ، ثم اتصال جمال عبد الناصر به وتأكيده له أن الجيش يعتبر اللطمة التى أصابته موجهة للجيش نفسه ، وسيرد الجيش اللطمة بأشد منها .. للقصر !!

وبعد اتصال جمال باللواء محمد نجيب استعد تنظيم الضباط الاحرار لرد اللطمة فعلا . واجتمعنا وقررنا أن تكون اللطمة عن طريق نادى الضباط .!

اختبار قوة الاحرار

قررنا أن نخوض معركة انتخابات النادى لانتخاب محمد نجيب رئيسا لمجلس الادارة مع حرمان سلاح الحدود من تمثيله فى المجلس ، لان مديره حسين سرى عامر خصم لنا .. ولانه عين القصر المفتوحة فى الجيش .!!

ولم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط الانتقام من حسين سرى عامر ورد اللطمة للقصر فقط ، بل رأينا أن هذه المعركة اذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى القادمة معركة قلب نظام الحكم ، فمعركة الانتخابات اذا خضناها تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الاحرار ضد القصر ، وانتصارنا فيها يشعرنا بالثقة ، ويبعث فى نفوس جميع الرفاق فى التنظيم الاحساس بالقوة ، وليس هذا فقط فان الجيش بعد انتصارنا فى معركة النادى سوف تسرى فيه روح جديدة ويكون الانتصار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الاحرار

وقدرنا أيضا نتائج كثيرة أخرى لمعركة انتخابات النادى لو انتصرنا فيها فالملك سوف يشعر بهزيمة عملائه فى تلك

الانتخابات بأن الجيش غير راض عن تصرفاته ، ويمكن اثناء هذه المعركة كشف الخونة وجميع عملاء القصر وهم الذين سيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم الفوز فى معركة النـــادى ...

ومضينا نستعد للمعركة الاولى بيننـــا وبين القصر ، وشعر القصر بأن فى الجيش نشاطا مريبـا ، وان فى الافق سحبا تنذر بالشر ، فأصدروا أمرا بتأجيل انتخابات نادى الضباط .!

التنظيم يتحدى أمر التأجيل !

وقد كان علينا أن نمضي حتى النهـــاية لتنفيـذ خطتنا كاملة ، ولم نبال بقرار التأجيل . فصدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بأن يتوجه أكبر عدد منهم الى النادى فى نفس التاريخ المحدد للانتخـــابات وكان محددا لهـــا ٣١ ديسمبر ١٩٥١

وفى الموعد المحدد كان فى نادى الضباط عـدد كبير من الضباط الاحرار . واعلنوا على الفور احتجاجهم على امر تأجيل الانتخـابات ، ثم طلبوا دعوة الجمعيـــة العمومية للاجتماع بعد ثلاثة أيام بوساطة رياسة الجيش لتقــرر ما تشــاء ...!!

ولم نكن نتوقع ان تستجيب رياسـة الجيش لهـــذا التحدى ، لكن يبدو انها ــ أى الرئاسة ــ خشيت توتر الموقف فاستجابت للمطلب وتمت عملية الانتخاب !

وهنا وزع الضباط الاحرار كشفا بمن يرشـــحونهم للانتخاب . ومن ضمن هؤلاء الذين حددنا أسماءهم اللواء محمد نجيب .. وهو الذى لم يكن يعرف ماذا يجرى وراء الستار . وماذا نعده له نحن أفراد التنظيم من مفاجآت كبرى ستغير مجرى حياته .!

ونجحت خطة التنظيم .. فكل الذين سجلنا اسماءهم

فى قائمة الانتخابات نجحوا وبأغلبية ساحقة .!

وليس هذا فقط ، بل لقد مضينا فى تحدى القصر الى أبعد مدى ، فرفض تعيين مندوب من سلاح الحدود فى مجلس ادارة النادى .!

وكذلك كسبنا المعركة حسب الخطة الموضوعة ! وقد حدث ماتوقعناه ، ارتفعت الروح المعنوية بين جميع أفراد القوات المسلحة ، وازددنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا .. !

وجاءت الاحداث ..!

واقبلت الاحداث لتدفع عجلة التاريخ بسرعة لم نكن نتوقعها ، فقد وقع حريق القاهرة ـ يناير سنة ١٩٥٢ ـ واجتمعنا على الفور لنغير خطتنا كلها . وكان الاجتماع فى منزل حسن ابراهيم ، وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى ، عملية قلب نظام الحكم ، لكن ذلك الحدث الضخم كان أشبه بالنذير لنا ..وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية ، ثم قررنا ان نكون على استعداد خلال شهر واحد ... وبذلك تغيرت الخطة .!

وأثناء حريق القاهرة صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار الذين فى القاهرة بمقاومة اعمال التخريب ، كنا نعرف النتيجة ، فالقصر والاستعمار واعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة . ولا سبيل الى مقاومة هؤلاء الاعداء الا بثورة ، لا بالتخريب والخطب الرنانة ، وقد وضح الموقف السياسى فى البلاد وضوحا تاما بعد حريق القاهرة ، وعرف من لم يكن يعرف أنه لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار ..

فقيادة الوفد انتهازية وتمسك الحبل من الوسط ، فهى مع الشعب حينا وضد الشعب فى أغلب الاحيان .!

وكانت وزارة على ماهرالتى تكونت عقب حريق القاهرة

عبارة عن خدعة أراد القصر والاستعمار بها التمهيد لحكم البلاد بالحديد والنار ثم تصفية الحركة الوطنية نهائيا على ايدي الخونة والاذناب وأصحاب المصالح المتناقضة مع مصالح الشعب !!

وفعلا لم تلبث وزارة على ماهر ان طارت فى فبراير .. اي بعد ايام من تاليفها !

حقيقة رشاد مهنا ..

وقبل ان امضى فى سرد احداث ما بعد حريق القاهرة ، أود ان اقف قليلا لاتحدث عن رشاد مهنا .. لازيح الستار عن سر آخر غير سر محمد نجيب !!

ان رشاد مهنا لم يكن فى تنظيم الضباط الاحرار ، لم يكن واحدا منا .. وعلاقته بنا سأتناولها بالشرح التام .. فقد حدث بعد انسحاب عبد المنعم عبد الرءوف من الجمعية التأسيسية للضباط الاحرار ان اقترح جمال عبد الناصر ضم رشاد مهنا بدلا منه ، وعارضت رأى جمال لانى كنت أعرف شخصية ذلك الرجل .. من تاريخه ومن واقع تصرفاته !!

لكن جمال ذهب فعلا الى رشاد مهنا وعاد ليقول لنا ان رشاد لم يصدق أن فى الجيش تنظيما سريا يعد العدة للقيام بثورة فى البلاد . كل ماكان يعرفه رشاد مهنا هو أن فى الجيش رأيا عاما ضد القصر فقط، وقال لنا جمال ايضا ان رشاد مهنا رفض ان ينضم الى التنظيم وقال انه يفضل التعاون من بعيد لبعيد !!

وهكذا تراجع رشاد مهنا فى عام ١٩٥٠ ، مثلما تراجع من قبل عام ١٩٤٢ .. ولذلك قصة سأرويها فيما بعد !!

وأعود الى قصتنا فأقول انه بعد ان طارت وزارة على ماهر فى فبراير عام ١٩٥٢ ، ذهب جمال عبد الناصر مرة

ثانية الى رشاد مهنا ، وفاتحه فى موضوع تنفيذ الخطة .. أى قلب نظام الحكم !!

وهنا شعر رشاد مهنا ان المسالة جد ، وان الجيش فعلا يمكن ان يفعلها ـ اليوم ـ ويقلب النظام ، وقد وافق رشاد مهنا فى هذه المرة على الاشتراك فى تنفيذ الخطة ، وقال لجمال عبد الناصر أن معه ناسا ، اى وراءه راى عام فى الجيش ..! وقد وضع جمال خطة قلب نظام الحكم على أساس أن رشاد مهنا سيشترك فيها وان معه ناسا وصدرت الاوامر للضباط الاحرار بالاستعداد .. وكان ذلك فى مارس عام ١٩٥٢

رشاد مهنا يتراجع ..

وفجاة بعد أن أعددنا كل شيء للتنفيذ ، على أساس اشتراك رشاد مهنا معنا جاء ذلك الرجل الى جمال ليقول له انه نقل الى العريش ...

وعرفنا بعد ذلك ان رشاد مهنا قدم طلبا كتابيا الى رئاسة الجيش للخدمة خارج القاهرة .. ويبدو انه شعر بعد أن اتفق مع جمال على الاشتراك فى قلب نظام الحكم .. أقول انه شعر بالخوف فقدم ذلك الطلب ليبتعد عن هؤلاء الذين يريدون توريطه فى عملية قد تطير فيها رقبته !

وقد عدلت الخطة بعد تراجع رشاد مهنا وسفره الى العريش وكان لابد من تعديلها بحيث لاتعتمد على رشاد مهنا ، وألغيت الاوامر واجلت العملية الى أجل غير مسمى

كان موقف رشاد مهنا صدمة لكل الضباط الاحرار ، واخرجنا رشاد مهنا من حسابنا نهائيا ، مثلما أخرجنا عبد المنعم عبد الرءوف ، وكان ذلك باعثا على ارتياحى أنا شخصيا لانى كنت أعرف حقيقة رشاد مهنا أكثر من جميع الزملاء .. وكان رأيى دائما هو عدم الاتصال به أو الثقة فيه

محمد نجيب والرغبة السامية

مايو ١٩٥٢ ، وكنا فى رمضان ، طلب محمد نجيب عقد الجمعية العموميه لنادى الضباط بناء على رغبة سامية !

وعرض نجيب على الجمعية موضوع قبول عضو من سلاح الحدود ورفض الطلب بالاجماع ..

كان نجيب حتى ذلك التاريخ لا يدرى مايدور حوله .. لا يعرف شيئا ولا يرى شيئا ..

ان آخر شيء كان يتوقعه محمد نجيب هو ان يقلب الجيش نظام الحكم ؟

اقول كان لايعلم حتى ذلك الحين ـ مايو عام ١٩٥٢ ـ ان فى الجيش تنظيما سريا ولم يعرف أى شيء عن الضباط الاحرار ، وانما كان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم

ولم يكن يعرفهم على اساس انهم يعملون داخل تنظيم سرى يعد العدة للقيام بثورة ، بل كان يعرفهم على اساس ان لهم رايا عاما فى الجيش فقط !

هكذا كان وضع قائد الثورة الذى حرر البلاد ، وطرد الملك واعلن الجمهورية وحطم الاقطاع وقضى على تجار السياسة والفساد

هكذا كان حال اللواء محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ أى فى عام الثورة ، رجلا مسالما يرى أن الرغبة السامية لها احترامها ويرى ان المسألة فى الجيش ليست ثورة بل رأيا عاما لجمال وصلاح وعبد الحكيم !

هكذا كان حال الرجل الذى تحدث عنه العالم كله واشاد بثورته المجيدة وبيطولته الفذة ، وقيادته للشعب المصرى فى معاركه ضدالاستعمار والاقطاع .. ضدجلاديه

كان مثل اى رجل فى مصر وفى مثل سنه ، مثل ابى وابيك ...

كان موظفا يجلس الى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه اى شىء عن العـــدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار ، كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة .. عام ١٩٥٢ هو نفس الشىء الذى كان يشغل بال اى موظف كبير فى مثل سنه .. ربما علاوة او ترقية أو منصبا آخر غير منصبه فى سلاح المشاة !

لم يكن يخطر على باله ان التاريخ يعده ليكون أكثر من هذا .. ليكون على رأس ثورة .. ثم ليكون رئيسا لجمهورية البلاد .. لا رئيسا لسلاح الحدود !!

ولم يكن يخطر على باله ان جمال وعبد الحكيم وصلاح الذين يراهم احيانا كما يرى عشرات غيرهم من الضباط فى كل يوم يعدون العدة لـكى يفتحوا أمامه أبواب التاريخ ثم ليقولوا له .. تفضل .. انت زعيم !!

هذا هو وضع محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ ... فى عام الثورة !!...

موظف كبير من موظفى الدولة .. اساءت اليه السراى عندما نقلته من وظيفته ، فقرر القدر ان يعوضه عن هذه الاساءة الهينة بوضعه على رأس الدولة !!

جمال وعبد الحكيم فى القاهرة

واعود الى القصة فأقول انه فى صيف ذلك العام بحث التنظيم أمر تنفيذ الخطة من جديد .. وتقرر تأجيل التنفيذ الى نوفمبر من نفس السنة .. سنة ١٩٥٢

وكان هناك اربعة من الهيئة التأسيسية للتنظيم خارج القاهرة وهم جمال وعبد الحكيم وصلاح وكاتب هـــذه السطور .. كنا فى العريش ورفح

وفى شهر يوليو سافر عبد الحكيم عامر الى القاهرة فى اجازة مرضية ، وسافر جمال الى الاسكندرية فى اجازة ايضا ، ثم قطع جمال اجازته وعاد الى القاهرة بعـد أن

سمع اشاعات عديدة عن الاجراءات التى سيتخذها الملك ضد الضباط الاحرار .. وبعد ان سمع أن هناك أوامر من الملك بسرعة البحث عن هؤلاء الضباط بين أفراد القوات المسلحة للبطش بهم .!

١٥ يوليو .. ونجيب لايعرف !

وفى ذلك الوقت اى فى يوليو .. اى فى شهر الثورة ، كان محمد نجيب مريضا فى منزله ، وأيضا ليس فى ذهنه شيء عن أية ثورة .!

ربما كان امله الوحيد فى شهر يوليو ان يغادر فراشه الى عمله فى سلاح المشاة ، وكان املنا نحن هو أن يغادر ذلك الرجل فراشه ليذهب الى قصر عابدين رئيسا للجمهورية !

أى موقف ذلك الذى مرت به الثورة المصرية فى ذلك الشهر من عام ١٩٥٢ .؟!

خطة الثورة توضع وقائد الثورة فى منزله لا يعلم !؟ قائد الثورة فى فراشه والثورة نفسها تجهله .. قائد الثورة فى فراشه ، والثورة نفسها لا تدرى هل هو الذى سيوضع على رأسها ، أم سيكشف احد حقيقته فى اللحظة الاخيرة ، مثلما اكتشف صلاح حقيقة فؤاد صادق .!؟

لم يكن هناك وقت على الاطلاق امام جمال ورفاق جمال لاكتشاف حقيقة محمد نجيب .. فنحن فى ١٥ يوليو .. ونجيب لا يعلم شيئا بالمرة .. ثم يصدر الامر بحل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش

نجيب فى بيته لا يعلم

صدرت الأوامر بحل مجلس ادارة نادي الضباط فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ .. كانت مفاجأة للجميع ، وان كنا نعرف ان القصر كان يتربص بمجلس الادارة المذكور بعد ان لمس مدى سيطرة ذلك المجلس على الموقف وتحديه للرغبات السامية ، ورفضه قبول عضو يمثل سلاح الحدود

ولم تصدر الاوامر فقط بحل المجلس ، بل وبتعيين مجلس ادارة مؤقت ، ليس للضباط الاحرار عليه سلطان او نفوذ !

وشعرنا جميعا بأن الضربة الثانية ستوجه للضباط الاحرار ، وكان علينا أن نبدأ فى العمل فورا لنضيع على القصر فرصة البطش بنا

وفى ١٦ يوليو عقد اجتماع سريع حضره جمال وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وبغدادى وكان ذلك الاجتماع هو أخطر اجتماعات الهيئة التأسيسية التى كان بعض أفرادها فى فلسطين ورفح فى ذلك الوقت ، وفى ذلك الاجتماع تقرر بدء المعركة الكبرى النهائية ، وكان يجب علينا أن نأخذ بمبدأ المباداة حتى لا نؤخذ على غرة ، ويتوصل جواسيس القصر الى معرفة اشخاص الضباط الاحرار وتشكيلاتهم فى أسلحة الجيش المختلفة

الوقت سيد الموقف ..

وكانت هناك حركة تنقلات ضخمة فى الجيش ، وشعر

التنظيم أن هذه الحركة انما الغرض منها هو تشتيت شمل الضباط الاحرار واحداث ارتباك بين صفوفهم .. وفعلا حدث ما كانت تهدف اليه رئاسة الجيش .. فقد بدأت التحركات بين وحدات الجيش على أثر صدور حركة التنقلات السريعة وشعر التنظيم بالخلل فى جهازه نتيجة لتلك التحركات .. فهناك ضباط أحرار كان عليهم أن يتركوا أماكنهم الى غيرها نتيجة لتلك التحركات الجديدة

كانت فترة حاسمة فى تاريخ الضباط الاحرار ، وكان الوقت هو سيد الموقف .. ولابد من التماسك والتكتل ثم الوثوب على الاعداء قبل ان تحدث كارثة

كانت هناك خطتان .. نواجه بهما الموقف :

الأولى هى البدء فى تنفيذ الخطة الاساسية ، اى القيام بقلب نظام الحكم ، واقامة نظام جديد ، فاذا لم يكن هذا ممكنا . أى اذا ما جاءتنا احداث جديدة ، أو ظروف طارئة تؤجل الخطة الاولى وتنفذ الخطة الثانية وهى كانت تقضى بالقيام بحركة اغتيالات على نطاق واسع

كنا فى ١٨ يوليو ، شهر الثورة .. وعندما استعرضت الخطة الثانية اعترض عليها جمال عبد الناصر

قال ان الاغتيالات لن تحقق أهدافنا ، لأن النظام سيبقى كما هو حتى لو نجحت خطة الاغتيالات

وقال جمال أيضا ان هذه الخطة سوف تعطى فرصة لقوى الرجعية مجتمعة تقضى فيها على جميع الضباط الأحرار . وبهذا نكون قد ضيعنا الفرصة الكبرى على الشعب ، فرصة قيام القوات المسلحة وهى أمل البلاد الوحيد بقلب نظام الحكم

١٩ يوليو ونجيب لايعلم .!

كانت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار توالى اجتماعاتها فى تلك الايام التاريخية الرهيبة المليئة بالاحداث

وابلغ جمال الهيئة أنه يمكن تنفيذ الخطة الأساسية بالقوات الموجودة ، وقال ان ذلك يمكن ان يتم ليلة ٢١ و ٢٢ يوليو

كل هذا كان يحدث وكل تلك الاحداث التاريخية الكبرى كانت تقع واللواء نجيب فى بيته لايعلم شيئا ولايرى شيئا .. بل لم يكن قد عرف أن فى الجيش تنظيما سريا سوف يقلب نظام الحكم .. وكنا فى ١٩ يوليو

وقد صدرت الأوامر لجميع الضباط الاحرار بالانتظار يوميا فى « مراكز تجمع » من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف الليل .. وابلغوا بموعد التنفيذ ، وكل هذا واللواء نجيب فى بيته لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا ، بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقت بمسألة قيادته للثورة .. على أى حال لقد كان كل شىء يعد له لكى يدخل من أبواب التاريخ ، لكى يحرر الشعب ، ويطرد الملك ويقضى على الفساد ويعلن الجمهورية

كنا جميعا نمهد له الطريق فى تلك الايام نحو الخلود .. كنا نواصل ليلنا بنهارنا لكى يخرج من بيته ــ وهو لا يعلم ــ ويقال له .. أنت زعيم

رقابنا .. ومصائر اطفالنا وزوجاتنا .. كل هذا لكى يصبح اللواء الذى فى بيته على رأس الدولة وهو لايعلم

وكما قلت كنا فى ١٩ يوليو ، اى قبل الثورة بأربعة أيام

لنتأمل ــ اذن ــ فى هذا الوضع التاريخى العجيب ، وليتأمل معنا العالم كله فى كيف يصبح الرجل ــ اى رجل ــ زعيما وقائدا لثورة شعبية فى أربعة أيام .. فى غمضة عين

اليس هذا شيئا أشبه بالسحر ؟ ألا يذكرنا هذا بمصباح علاء الدين وخاتم سليمان ، والعملاق الذى يخرج من القمقم ليقول : شبيك لبيك عبدك وملك يديك !

لقد قلنا للواء نجيب هذا .. قلنا له شبيك ولبيك وكل ماتطلبه بين يديك .. وطلب أن يكون فكان

العمالقة على باب نجيب ..

قلت أننا كنا فى ١٩ يوليو ، وكانت الاوامر قد صدرت الى مجموعات الضباط الاحرار ، وكان على كل مجموعة أن تنفذ دورا معينا فى الخطة

وكان جمال عبد الناصر هو الذى وضع الخطة العامة وعاونه عبد الحكيم عامر وكمال حسين ، وكان عبد الحكيم فى تلك الايام كما قلت – فى الفصل السابق – فى أجازة مرضية

وتم وضع الخطة العامة ثم كلف عبد الحكيم بوضع الخطة التفصيلية واستعان عبد الحكيم بزكريا محيى الدين

وفى ٢٠ يوليو أى قبل الثورة بثلاثة ايام توجه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى بيت محمد نجيب لابلاغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقلب نظام الحكم

وطرق العملاق باب البيت وكان عند نجيب البكباشى جلال ندا والصحفى محمد حسنين هيكل .. وكانت الانظار قد اتجهت الى نجيب فى ذلك الوقت بعد أزمة مجلس ادارة نادى الضباط

وأقول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى الألف أن نجيب لم يكن يعلم لماذا جاء اليه جمال وعبد الحكيم .. وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل مجلس ادارة النادى ولتشجيعه كالعادة .. وتظاهر جمال وعبد الحكيم انهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء .. وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع الثورة .. فلا احد فى الحجرة كان يعلم ماذا فى رأس جمال وعبد الحكيم ، ولا احد فى الحجرة – حتى نجيب – كان يتخيل انهما جاءا ليقولا

لنجيب أيها القائد .. أنت زعيم الشعب

والحديث الذى دار كان حول موضوع نادى الضباط فقد كان ذلك الموضوع هو حديث الناس فى ذلك الحين ، ودار الحديث ـ كما قلت ـ حول التصرف الذى يمكن أن يحدث بعد حل مجلس ادارة النادى .. وقال جمال عبد الناصر :

ـ احنا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة .. ومحتارين مين اللى يرفعها

وقال جلال انه مستعد ان يرفع القضية باعتباره ضابطا على المعاش وعضوا فى النادى

ومضى جمال حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهات وأعطاها لجلال ندا كمصاريف القضية .. ولم يتمكن جمال وعبد الحكيم من الانفراد بنجيب . وكان عليهما أن يتظاهرا أمام ندا وهيكل بأنهما ما جاءا الا للاستفسار عن صحة نجيب

وظلا جالسين فترة طويلة ، والحديث يدور حول نفس الموضوع .. وحول القضية التى سيرفعها جلال ندا امام مجلس الدولة .. وأخيرا لم يجد جمال وعبد الحكيم بدا من الانصراف .. دون أن يفاتحا « نجيب » فى مسألة الثورة .. وهو كان لايدرى ماذا فى رأسيهما

وبعد تلك الزيارة ـ فى ٢٠ يوليو ـ لمس جمال انه ربما يكون من الخطر على الثورة الاتصال بنجيب مرة ثانية ، اذ ربما انه كان فى ذلك الوقت موضوعا تحت المراقبة

وامام هذا الخاطر قرر جمال الاتصال بنجيب بعد نجاح الخطة .. اى بعد القيام بالثورة

ازمة النادى وازمة الحكم !

وجاء يوم ٢١ يوليو .. ولم تكن الخطة التفصيلية قد فرغ منها بعد

واجلت العمليــــة من ليلة ٢٢/٢١ الى ٢٣/٢٢ حتى يمكن استدعاء جميع الضــــباط الاحرار الذين لازالوا فى الاجازة وكان كمال الدين حسين هو حلقة الاتصال معهم .. يبلغهم تطورات الموقف اولا بأول

فماذا حدث بعد ٢١ يوليو ؟!

اى قبل الثورة بيومين اثنين ؟!

ان نجيب لم يعرف. كان لا يزال ينتظر فى منزله حل أزمة نادى الضباط ، أما نحن فكنا ننتظر حل أزمة نظام الحكم



أحداث الليلة الأولى

احداث الليلة الاولى

تاجلت عملية قلب نظام الحكم من ليـــلة ٢١/٢٢ الى ٢٢ / ٢٣ يوليو ، حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين كانوا فى الاجازة ..

وكمال الدين حسين كان حلقة الاتصـــال بين التنظيم وبينهم ، ليبلغهم تطورات الموقف أولا بأول ، بعد أن اتخذت الجمعية التأسيسية للضباط الاحرار قرارا ببدء الثورة

وكنت قد قلت فى مقال سابق أن جمال عبـد الناصر وعبد الحكيم عامر ذهبا الى بيت اللواء نجيب يوم ٢٠ يوليو ، ليبلغاه ــ ولاول مرة ــ أن فى الجيش تنظيما سريا له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة .. !

ثم ليبلغاه أيضا أن هذا التنظيم السرى الضـخم قرر القيام بقلب نظام الحكم وانه ــ أى التنظيم ــ قد اختاره ليكون قائدا للثورة وأن العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى !

وفى بيت نجيب وجد الرفيقان زوارا عنده ، فلم يتمكنا من ابلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط، وكان نجيب يجهل تماما الفرض الذى جاء من اجله جمال وعبد الحكيم . كان يعتقد أنهما ما جاءا الا لزيارته ، ولتشجيعه ــ كالعادة ــ بعد ان حل مجلس ادارة نادى الضباط ..

ومر الوقت والزوار مع نجيب ، والرفيقان يتحدثان عن كل شىء ما عدا ــ الثورة ــ وقلب نظام الحكم

ثم خرجا بعد أن أوهما الزوار ومحمد نجيب أيضا أن

كل ما يشغل بالهما هو رفع قضية فى مجلس الدولة ، لعدم شرعية حل مجلس نادى الضباط وتعيين مجلس جديد له

وفى ذلك اليوم ـ ٢٠ يوليو ـ قرر جمال عدم الاتصال باللواء نجيب ، لابلاغه بأن الثورة ستقوم وانه قائدها ، الا بعد انتهاء العملية ونجاحها ..

لقد قال جمال أن بيت نجيب ربما كان موضوعا تحت المراقبة ، بعد أن ظهر أمام السراى كخصم لحسين سرى عامر ، وفى هذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطرا على الثورة

الوزارة الخامسة والاخيرة .. !

وبعد هذا أى فى ٢٠ يوليو ، تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليلة ٢٢/ ٢٣ يوليو ، وصدر ذلك القرار بالموعد النهائى من أعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة ، ولم اكن موجودا يومها فى القاهرة وأيضا صلاح سالم وجمال سالم فقد كنا فى العريش ورفح

وفى ذلك الوقت ، عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان حسين سرى قد استقال مع وزارته، وهى الوزارة المشهورة التى كان كريم ثابت ـ باشا ـ وزيرا فيها ـ

ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة

وكانت حكومة حسين سرى فى قبضة السماسرة والخدم، وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة لا يكاد افرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى تتحرك أصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمى ..

كيف يحكم الشعب !؟

ان نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه، والبلاد معه ..

والمسألة كانت : هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال كريم ثابت ؟ !

ان الشعب كان لا يحكم على الاطلاق فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد أخرى غير مصر

فكيف ـ اذن ـ كان يمكن أن يحكم الشعب والقوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه ؟!

كان حتما ـ اذن ـ كما قلت فى مقالاتى كلها أن يتخلى الجيش عن قيادته الخائنة المتآمرة مع القصر والاقطاع والاستعمار على الشعب . .

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال ، فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا الى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم

كيف ظهرت القيادة الجديدة !؟

وكما قلت وسأقول دائما أن الثورة المصرية كان عليها فى عام ١٩٥٢ ، أن تجد قيادة جديدة لها . .

قيادة غير وفدية ، لان الوفد انسلخ عن الشعب عندما ضمت قيادته الاقطاعيين

وغير قيادة السعديين والاحرار الدستوريين الذين يمثلون مصالح الساسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعية المصرية . .

وغير قيادة الاخوان ، لأن الاخوان أهدافهم هى استغلال الدين لمصالح الرجعيين . .

هو الدين الذى تقف آياته فى صف الشعوب لاحكامها . .

أين ـ اذن ـ كان يمكن أن تظهر قيادة شعبية للثورة المصرية ؟!

وفى أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن

أن يخرج زعماء يولون وجوههم شطر الشعب ويعطون ظهورهم للاستعمار والقصر !؟

ليس هناك سوى القوات المسلحة كما قلت ، فهى الصفوف التى تضم الوف المصريين المسلحين ..

والضباط والجنود الذين تضمهم تلك القوات ليسوا مرتبطين ـ بأية مصالح ـ مع القصر والاقطاع وحاميهما الاستعمار .. !

فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحالة خاضعة لمصالح الشعب ، ويمكن أن تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح

وكانت منشورات الضباط الاحرار تعلن أهداف تنظيمهم الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد ، وهى ـ أى المنشورات ـ كانت تحدد اتجاهات الشعب تماما ، فى السياسة وفى الاجتماع ، كانت المنشورات صدى لما يعتمل فى صدور الملايين المصرية .. !

وفى كل صباح كانت تلك المنشورات تحمل أهداف القيادة الجديدة .. الى الشعب والجنود والضباط

والضباط الاحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش ، حتى أن ادارة المخابرات وهى من أخطر أجهزة الجيش وأمنعها كان للضباط الاحرار أفراد فيها !

وأمام هذه الحقائق كلها تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة .. وتحددت ـ كما قلت ـ ليلة ٢٢/٢٣ للبدء فى العملية .. لقد ظهرت القيادة الجديدة !

فى مطار العريش ..

وفى يوم ٢١ يوليو .. فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة الى العريش .. وهى نفسها الطائرة التى تسافر الى العريش عادة كل يوم ـ اثنين ـ لكن فى هذه المرة كان حسن ابراهيم فيها ، أرسله جمال

عبد الناصر الينا .. صلاح سالم وجمال سالم وأنا
وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بنا تليفونيا وأخطرنا بأن « حسن » فى طريقه الينا .. وفى مطار العريش كنت مع جمال سالم فى انتظار الطائرة
جاء حسن ابراهيم ليبلغنا أن الخطة الاساسية ستنفذ ما بين ٢٢ يوليو و ٥ اغسطس !!
وطلب حسن منى أن أسافر على الفور الى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر .. !
وقال جمال سالم أنه ما دامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفتـــرة ، فانه سيبقى فى العريش لينهى بعض الاعمـال العاجلة ، ثم يطير الى القاهرة يوم الخميس
وتركت حسن ابراهيم لأعود الى رفح سريعا ، واعددت حقائبى على الفور ، ثم استأذنت من قائدى فى السـفر ، بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جدا .. وكان القطار الذى يسافر الى القاهرة يقوم فى الصباح .. !
وفى صباح ٢٢ يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة

من السينما الى المعركة !

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى فى احدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا .. اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى لأقابل جمال عبـد الناصر وأتلقى منه ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة ..
وكانت دار السينما تعرض ـ كالعادة ـ ثلاثة أفلام مرة واحدة .. وجلست مع الاولاد فى السينما نتابع الروايات الثلاث
وفى خلال تلك المدة كان جمال قد ذهب الى منزلى بسيارته الاوستن المشهورة ولم يجدنى ، ولم يعـرف البواب دار السينما التى ذهبنا اليها وعاد جمال يسأل مرة أخرى بعد

ساعة فلما لم يجدنى ، ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها :

« المشروع ينفذ الليلة ، المقابلة فى بيت عبد الحكيم الساعة ١١ .. »

وجمال فى تلك الليلة كان يلف بسيارته فى جميع انحاء القاهرة كالنحلة تماما .. ليوزع الاوامر على الزملاء ..

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أقفز فوق درجات السلم الى شقتى ، تاركا أولادى مذهولين مع البواب .. !

وخلعت القميص والبنطلون ، وارتديت ثيابى العسكرية ، ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها ..

اننى لم اجد أحدا فى بيت عبد الحكيم عامر .. فأين أذهب .. كنت حائرا !!

الملازم الذى قبض على !!

لم أر بدا من التوجه الى مبنى رئاسة الجيش ، لا بد أن قواتنا قد اتجهت اليها ما دامت العملية قد بدأت ، وكنت منطلقا فى شوارع القاهرة بأقصى سرعة تحتملها السيارة الصغيرة ، وعند قشلاق العباسية أوقف أحد الضباط سيارتى .. ولما رأى رتبتى خاطبنى باهجة حاسمة مليئة بالحزم ، بالرغم من انه كان يوزباشيا لكنه كان من الضباط الاحرار ..

قال لى أن لا أذهب الى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة !

وعلمت أن تلك كانت صيغة الامر الذى يبلغه الضباط الاحرار الى جميع الضباط من رتبة بكباشى فما فوق !

وتابعت مسيرى فوصلت الى قشلاق السوارى ، وكان الطريق هناك مقفلا ، وتأكدت أن العملية بدأت فعلا ،

وخاصة بعد أن سمعت أصوات مئات الطلقات وهى صادرة من ناحية مبنى القيادة ٠!

وأردت أن أمر من « الكردون » الذى صنعته قواتنا ٠٠ ولكن الضابط منعنى ٠ وكان صارما جدا معى ٠٠ لأنى لا أعرف كلمة السر ٠!

كان موقفى رهيبا ٠٠ فبلا كلمة السر لن يسمح لى الضابط الصغير أن أمر من « الكردون » الا على جثته ٠!

فكيف أتصرف اذن ٠!؟

كيف أقنعه أنى من الاحرار ٠٠ كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا ٠٠

لقد كنت أرى أشباحا عديدة من بعيد .. انها قواتنا تقلب نظام الحكم ٠٠ وأنا واقف خلف « الكردون » والضابط الصغير يمنعنى بل وبدأ يتحرش بى ٠٠!

وامتلأت رأسى بمئات الخواطر ٠٠ ترى هل أصيب أحد من الزملاء ٠٠ ترى ماذا يصنع جمال الآن ٠٠ وأين عبد الحكيم ٠٠ أين الجميع وماذا صنعوا ٠٠!؟

وعدت بسيارتى ثم اضطررت الى اللف من فوق كوبرى القبة ، لأمر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش

وهناك وجدت الطريق مغلقا أيضا ، ولكن ضابط « الكردون » كان يعرفنى ٠٠ لمحت وجهه من بعيد فعرفته ، انه ملازم أول كان يعمل معى فى رفح ، وهو يعرفنى شخصيا، قضينا معا وقتا طويلا فى مكان واحد ٠!

واقتربت من « الكردون » ، وقد استراحت أعصابى قليلا ٠٠ أضاء الامل فى صدرى ٠٠ سوف أمر اذن وأشترك فى العملية !!

وما كدت أقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعنى من الاقتراب ٠٠ ثم وهو يقترب منى ويرى وجهى ٠٠ لكن لاتظهر على وجهه علامات تبشر بالخير ، فبالرغم من أنه

عرفني الا أنه كان لايعلم انى من الضبـاط الاحرار فالقى القبض على فى الحال ٠!!

وهنا شعرت بصدري يمتلىء بالضيق وبراسي تكاد تنفجر، حاولت افهامه دون جدوى ، ان الصداقة التى تربط بيننا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة أو الموت ٠٠ فلم يصدقنى لانى لا أعرف كلمة السر ٠!

ولم أعـرف ماذا يمكننى أن افعـل ، وزاد من هلعى أن أصوات الطلقات النارية من قريب ازدادت حدتها ٠!!

يا عبد الحكيم ٠٠ أنا أنور ٠!!

وفجأة أضاء الامل مرة ثانية صدرى ٠ وكنت مع الملازم صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى ، فسمعت صوتا من بعيد يشبه صوت عبد الحكيم عامر ٠٠ واجتاحني شـعور بالخلاص ، كان الصوت القريب الى نفسى يصدر تعليمات الى قوات كثيرة ، ويحدد لها أماكنها ٠٠ وفى هـذه اللحظة كانت العربات المحملة بالجنود والضبـاط تمر من أمامى ، انها قواتنا بدأت تقلب نظام الحكم !

ووجدت نفسى أنادى بملء صوتى :

يا عبد الحكيم ٠٠ يا عبد الحكيم ٠٠ أنا أنور ٠!

ورأيت شبح عبد الحكيم يقترب منا ٠٠ وهنا فقط أفرج عنى صديقى الضابط !

البطل الصامت ٠!!

ومضيت مع عبد الحكيم ٠٠ لم يكن معي سلاح ، وناولنى عبد الحكيم طبنجة ٠٠٠ وهو فى تلك الليلة كان يحمل كل أنواع الاسلحة الصغيرة ٠٠

وبدأت أسأل عبد الحكيم فى لهفة عن الموقف ٠٠ وكان صوت الطلقات لايزال يدوى كالرعد من حولنا ، وقال عبد الحكيم :



اللواء عبد الحكيم عامر

ـ رئاسة الجيش سقطت ..
وصمت ثم عاد يرد على أسئلتى فى هدوء عجيب ..
قال لى :
ـ الطلقات اللى انت سامعها دى عملية تطهير لمبنى الرئاسة !

ولم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة انه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش ، وانه هو الذى احتلها بجنوده !

هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته .. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين .. عندما تقدم وفى يده مسدس ومن خلفه عساكره واقتحم مستعمرة نيتساليم ... وكان تصرفه ذاك أشبه بالاساطير التى ترويها لنا جداتنا ...

ولولا انه رقى الى رتبة صاغ استثنائيا لما عرف أحد ماذا صنعه يوم نيتساليم .. انه صامت على الدوام ، لايتكلم أبدا عن نفسه ، وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد !!

لقد كان عبد الحكيم عامر دائما باسلا حاسما يخوض معاركه بايمان راسخ متين وأعصاب تبدو ساعة المعارك كأنها الفولاذ !

انه فى يوم نيتساليم بمسدسه وعساكره من خلفه ..
وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه ..

وفى يوم ٢٧ فبراير فيما بعد .. فى عام ١٩٥٤ حين تدخل ببسالته وحسم الموقف ، فمنع بجرأته قيام حرب أهلية كانت على وشك أن تقع بعد دقائق ..

أقول فى كل هذه المواقف كان عبد الحكيم بطلا أسطوريا يحمل رأسه على كفيه وبايمان لايزعزعه رصاص أوديناميت!

المخابرات تعرف الخطة

وأعود الى قصتنا ... الى قصة سقوط رئاسة الجيش .. بمن فيها من قواد !!

فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو ، توجه احد ضباط المخابرات ، اليوزباشى سعد توفيق وهو كان من الضباط الاحرار وأبلغ جمال عبد الناصر أن الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش ، وان حسين فريد رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، قد دعا قواد الوحدات الى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة ..

جمال كقائد ..

وكان معنى ذلك أن الثورة لن تقوم ... بعد أن عرفت قيادة الجيش خطة الضباط الاحرار ..

لكن جمال عبد الناصر لم يتراجع..ان العملية قد بدأت ولا سبيل الى التقهقر ، فلم يبق غير ساعة واحدة وتصل جميع قواتنا الى مراكز تجمعها .. وتبدأ المعركة !!

أقول لم يتراجع جمال ، بل قرر القبض على هؤلاءالقواد الذين دعاهم حسين فريد للاجتماع فى مبنى الرئاسة !!

وفى ذلك الوقت ، وبعد كل تلك التطورات كان اللواء محمد نجيب لايزال فى منزله .. لايرى شيئا ولا يسمع شيئا !

كيف نجحت الثورة ؟

شخصية جمال

بدأت الثورة اذن ـ واللواء نجيب لايعلم ••

وانطلقت رصاصات جنود عبـد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة في ثوان •• وبقوادها

لقد كان بين الذين وقعوا فى قبضة الثورةوفى لحظاتها الاولى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بلحمه ودمه •!

لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتا طيبا ، كماوفر علينا جهودا ضخمة فى نفس الوقت فبعـد أن علم جمـال عبد الناصر بأن المخابرات كشفت الخطة كان مفروضـا أن تقف جميع العمليات التى سيقوم بها الضباط الاحرار يوم ٢٢ يوليو ••• أى تقف الثورة ويبقى النظام ••!

وهنا تتضح شخصية جمال كقائد •• انه لا يتراجع•• انه يصمد •• يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قوادالوحدات لمواجهة الثورة واخمادها •• وبعد أن عرف هـذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم ، وبهـذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة في الرجال والوقت كانت ستـبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم •• كل على حدة !•

لقد اصطاد جمال عصافير عـديدة بحجر واحـد •• أما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجىء جمال بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم ـ اليوزباشي محمد شديد ـ نحو مراكز تجمع قوات الضباط الاحرار •• وظن جمال أن تلك القوة أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمـة للقوات التي ستحشدها لاخماد الثورة •!!

وتتضح الحقيقة •• ويعرف جمال أن اليوزباشي «شديد»

جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه ، وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة ، فقرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبل موعد بدئها بساعة ·!!

وكانت تلك المفاجأة مكملة لمفاجأة كشف المخابرات للخطة، واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من حسين فريد فى مبنى الرئاسة !·

واتخذ قرار في الحال بعد وصول قوة الضابط شديد بأن تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاســة الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتمــاعهم العاجل ·!

وفعلا قام عبد الحكيم وهو يشهر مسدسه ، وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاســــة وانتصر التنظيم فى المعركة الاولى ، وهى كانت أول معركة حاسمة ، تكسبها الثورة·!

وقد قتل فى تلك المعركة اثنان وجرح أربعة من الفريقين·!

مفيش حاجة

كان كل واحد من الضباط الاحرار يحتل مكانا معينا فى أرض العملية ، وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة··

ولعل جمال عبــد الناصر كان الوحيــد الذى ليس له مكان يستقر فيه ·· كان يطوف بأرض العملية كلها !

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة أركان الحرب وقواده كان جمال قد انتهى من طوافه، واطمأن على نتائج الضربة الاولى فتوجــه الى مبنى رئاســة الجيش وجلس فى المكتب ··· ثم دق جرس التليفون بعد وصول جمال بقليل ، وكان المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى··

وسمع جمال النجومى يسأل عن حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب ·· ورد عليه جمــال بأن الباشا يقوم بجولة تفتيشية !

وسأل النجومى عن اسم من يتحدث اليه فقال له جمال انه الضابط النوبتجى !

والنجومى كان يتحـــدث من الاســكندرية ليطمئن على الموقف .. وسمع جمال النجومى يقول له :

ـ حسين فريد وهوه بيكلمنى من شوية ســمعت ضرب نار والسكة انقطعت

ورد عليه جمال فى هدوء :

ـ لا .. مفيش حاجة أبدا !

رشاد مهنا مرة أخرى !.

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليو بلغت من القاهرة اشارة ـ النجاح ـ المتفق عليها الى جميع وحـدات الجيش خارج القاهرة ... فلم تمض ساعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الاحرار ..

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ اشـــارة النجاح يسيطر الضباط الاحرار على القوات فى الحال

وفى العريش ورفح كان صــلاح سالم وجمال سالم قد سيطرا على جميع القوات هناك سيطرة كاملة .. بمن معهما من ضباط أحرار

وفى تلك اللحظة وبعد أن ســيطر جمال سالم وصــلاح سالم على قوات العريش ورفح توجه جمال سالم الى رشاد مهنا .. وكان وقتذاك فى العريش كمــا سبق أن قلت فى مقال سابق ، وطلب جمال سالم من رشاد مهنا أن يتولى قيادة لواء العريش وبالرغم من أن رشادا كان قد عرف أنباء نجاح التنظيم فى السيطرة على الجيش ، الا أنه تردد أيضا فى هذه المرة مثلما كان دائما يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات !

وبعد أن رفض رشاد مهنا أن يتولى القيادة فى العريش، طلب جمال سالم من صلاح حتاته ـ رئيس الدائرة الاولى لمحكمة الشعب اليوم ـ أن يتولاها وفعلا تولى صلاح قيادة لواء العريش بدلا من رشاد مهنا !

حقيقة تعلن لأول مرة ٠!

أين كان نجيب أثناء هــذا كله ٠٠ وماذا كان يفعل ٠٠ والساعة كانت الثالثة من صباح ٢٣ يوليو ٠٠ وكل شيء كان قد تم بنجاح مذهل ، وأقول كل شيء لأن قيادة الضباط الاحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات المسلحة بعد ابعاد قيادتها الخاضــعة للملك هو الاساس فى عملية قلب نظام الحكم !

وقد تم هذا فعلا فى الساعة الثالثة من صباح ٢٣ يوليو ٠٠ وسيطر الضباط الاحرار على جميع قوات مصر المسلحة فى القاهرة وخارج القاهرة فى تلك الساعة !

فأين كان اللواء محمد نجيب ٠٠٠ قائد الثورة ؟!

أين كان فى تلك الساعة ٠٠ بعد نجاح العملية الكبرى وبعد أن أصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه ٠٠ ويذود عنه!

فى الساعة الثالثة صباحا من ٢٣ يوليو بدأ أول اتصال بين قيادة الجيش الجديدة أعنى الضباط الاحرار وبين محمد نجيب ٠٠ وهذه حقيقة تعلن على العالم لاول مرة !

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون !

لقد دق جرس التليفون فى رئاسة الجيش للمرة الثانية، ورفع جمال عبد الناصر السماعة ٠ وظن أن المتحــدث هو اللواء عبد الله النجومى أيضا ٠٠ يريد أن يطمئنــه حسين فريد على الحالة !

ولــكن المتحدث فى هذه المرة كان اللواء محمد نجيب .. وكان يتكلم من منزله ٠٠ وقال محمد نجيب بالحرف الواحد:

ـ المراغى اتصــل بى من اســـكندريه ٠٠ قال لى روح هدى الحالة فى رئاسة الجيش ٠٠ هيه ايه الحكاية ياجمال!؟

وانى أنقل هنا ما كتبه اللواء محمد نجيب بنفسه فى عدد الاهرام الصادر فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٤ ونشرت الجريدة ما كتبه نجيب فى صــفحتها الاولى تحت عنــوان ٠٠ قائد الثورة يسجل ٠٠

قال نجيب عن حديث المراغى معه بالحرف الواحد :

ـ دق جرس التليفون فى منزلى ، واذا بالاستاذ مرتضى المراغى يكلمنى من الاسكندرية ويقول لى : الاولاد بتوعك متجمهرين عند كوبرى القبة وعاملين دوشة ٠٠قوم سكتهم أحسن مش راضيين يسمعوا كلام حد !

وقلت له : أنا ماعنديش أولاد ولا حاجة !

قال لى : فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة ٠٠!

قلت له : أعرف منين الكلام ده ، يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم٠٠

فقال لى المراغى : أنا حا أجيب لك دولة الرئيس الهلالى باشا علشان يكلمك بنفسه ويعطيك عهد ان ما حدش يمسكك ٠٠

قلت له : وازاى أتحقق من شخصيتكم فى التليفون ؟!

ومرت لحظات ، واذا بالتليفون يدق من جديد ، وكلمنى الاستاذ نجيب الهلالى من الاسكندرية وقال لى :

ـ أنا أستاذك يا نجيب ٠٠ ومستقبل الوطن متوقف عليك، فأرجوك تعمل على تهدئة الحالة لأن الانجليز سيحتلون مصر ، وتبقى مسألة خطيرة ٠٠ فطمأنته وقلت له : « انى ذاهب لأرى الحالة بنفسى »

انتهى ماكتبه نجيب بنفسه فى الاهرام عام ١٩٥٤

والذى لم ينشره اللواء نجيب فى الاهرام هو حقيقة ما فعله بعد اتصال المراغى والهلالى به ليلة ٢٢ يوليو ٠٠ انه كان فى منزله ٠٠ لايرى شيئا ولا يعلم شيئا ٠٠ ثم فى الساعة الثالثة اتصل بجمال فى مبنى القيادة ـ كما قلت ـ وبعد أن كان كل شىء قد تم وأصبح الجيش تحت سيطرة الضباط الاحرار !

وقد رد جمال على سؤال نجيب بأن وضح له الموقف كله ٠٠ وأبلغه ـ لأول مرة ـ أن فى الجيش تنظيما اسمه تنظيم الضباط الاحرار ، وأن قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت ـ

الآن ـ على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد !

قال جمال لنجيب بالحرف الواحـــد فى تلك الساعة من صباح ٢٣ يوليو شارحا له الحكاية ...

ـ الضباط الاحرار قاموا بالثـورة الليلة .. والثـورة نجحت والمنطقـة العسكرية محاصرة .. واحنـا عايزينك تيجي ، حانبعتلك عربية تجيبك ..

وهكذا عرف نجيب ـ لأول مرة ـ حـكاية الضبـــاط الاحرار !

وفى الساعة الخامسة صـباحا .. أى بعـد ساعتين من معرفة نجيب لحكاية الثورة ، وبعد أن عرف أن جمال يجلس ـ الآن ـ مع أعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش اقول فى الساعة الخامسة وصل نجيب الى مبنى رئاسة الجيش .. وفى هذا الوقت كان عبد الحكيم عامر جالسا يعد البيان الذى سيذاع على الشعب فى الصباح من محطة الاذاعة ..

وجلسنا جميعا فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس .. وكل شىء قد كلل بالنجاح الساحق ، ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصورة السريعة الخاطفة !

القاهرة تستيقظ

وأشرقت الشمس على القــاهرة ، ثم خرج النــاس من منازلهم ، وامتلأت شوارع المدينة الكبيرة بهم ، وخرج أفراد منا الى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب ثم بدأ الصـــحفيون يفدون الى مبنى القيادة .. ان الشعب يؤيد ما حدث .. ان الشعب يعلن عن تأييده فى كل شبر فى البلد ، الناس فرحون . كل الناس . فقد كانت فرصة العمر !!

صحيح أن الشعب فوجىء بما حدث ، لكن المفاجأة أيقظت وعيه فى الحال ، فوقف الى جانب القوات المسلحـة لايمانه

بأنها ستتولى تصفية حسابه مع جلاديه !!

ان الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى ، كان يرى صورا للشعب مليئة بالامل والثقة !

ان بائع « الخروب » الذى وزع ما يحمله على الناس مجانا فى ميدان السيدة زينب ، كان يعبر بتصرفه ذاك عن ايمان الشعب بما حدث ، وأيضا كان يعبر عن حاجة الشعب الملحة الى قيام ثورة ..

وغير بائع الخروب .. مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى صدق كبير بهجة الشعب بما حدث فى تلك الليلة .. بثورة القوات المسلحة من أجله !

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة أحداث ٢٣ يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الاساسية ، وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل :

الاولى : السيطرة على القوات المسلحة

والثانية : السيطرة على البلد ..

والثالثة : طرد الملك ..

وفى الاسكندرية كانت حكومة البلاد والملك يترقبان ما سوف يجرى بعد ذلك فى حيرة .. وربما كانت الحكومة والملك ، بل وكل أعداء الشعب .. كانوا لايتوقعون أن يمضى الجيش الى أبعد من هذا .. لقد ظنوا أن المسألة لاتعدو طلبات يريد هؤلاء الضباط اجابتها ، ثم ينتهى الاشكال ..!

فى أقل من ٢٤ ساعة ..

وكنا نحن نعتقد أن تنفيذ المراحل الثلاث للخطة الاساسية ، ربما استغرق وقتا طويلا بعد بدء العملية ..

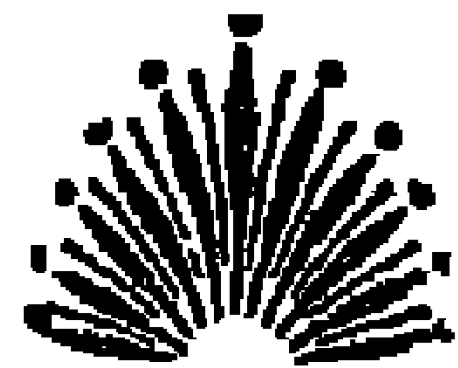
لكن ما ان انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد أصبحت مطلقة ، بل ان الذى كان يرى حال

البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم ·· كان يقطع بأن الجيش قد سيطر عليها أيضا !

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة ·· أى سيطرة قيادة الثورة على البلد ·· يبدو من فرحة الناس بما حدث ·· وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق!

تمت ـ اذن ـ مرحلتان من الخطة الاساسية فى أقل من ٢٤ ساعة ·· لقد كانت ـ فعلا ـ معجزة لم نتوقع أن تتم على الاطلاق فى مثل هذا الوقت القصير جدا !·· ولم يبق أمامنا الا المرحلة الثالثة ·· طرد الملك !

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية ··



طرد الملك فاروق

ثورة بلا ضحايا

انهارت القلاع واحدة وراء الاخرى فى ساعات ، وكانت الخطة الأساسية لقيــادة الضباط الاحرار تتضمن ثلاث مراحل ..

وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات ..

وسيطر الضباط الأحرار على الجيش تماما فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢

ثم سيطرت قيادتهم على البلد نفسها فى اليوم نفسه ، فقد كان الشعب يترقب تلك الفرصة ، وهى كانت فرصة العمر كما قلت أمس ، وما كاد يسمع البيان الذى أعدته قيادة الضباط الأحرار من الراديو حتى وقف وراء القوات المسلحة مؤيدا ومنفذا لتوجيهات قيادتهــا الجديدة ، فلم يقع حادث تخريب واحد ، ولم تحدث فتنة ..

لم يجد أعداء الشعب فرصة لاحداث شغب يعطل تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، وهى السيطرة على البلد ..

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحال بالرغم من أنه فوجىء بما حدث فى ذلك اليــوم ، وكان ذلك الوعى هــو المظهــر الحقيقى القوى لسيطرة قيــادة الضباط الأحرار على البلد .

وكان معنى وقوف الشعب وراء أحداث ٢٣ يوليو هو أن الشعب يريد ثورة ... يريد الخلاص ..!

وكل شىء كان هادئا فى البــلاد .. لا دم ولا بارود ..

لا قتلى ولا جرحى .. لم تنسف مدينة ولم تتزلزل الارض تحت أقدام الناس ..!

انها كانت ثورة عجيبة لم تشهد بلد من بلاد العالم التى تحررت مثيلا لها ..

كل ثورة كان لها ضحايا يعدون بالألوف وبالملايين الا ثورة مصر ..!

كل ثورة كان لا يمكنها أن تتقدم خطوة الا اذا فتكت طبقة بأخرى فتمضى فى طريقها فوق الأشلاء والدم والأنقاض .. الا ثورة مصر

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتل وتشيع الموت حيث تكون الا ثورة مصر ..!

ان كل شيء كان هادئا فى مصر يوم الثورة ..

لم يكن فى مصر غير الفرحة والآمال التى سطعت فى الصدور

لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم ٢٣ يوليو ، وبالرغم من هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم فى طريقها بنجاح وبسرعة مذهلة ، لا تكاد تصدق !

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الكبرى لأن الثورة المصرية ليس لها أعداء ..! ؟

لا أحد يمكنه أن يزعم هذا ، فلم توجد الثورة التى لا أعداء لها ..

فكيف اذن لم تحدث مجزرة ..؟

كيف لم تغرق الدماء الشوارع وكيف لم يقتل مواطن واحد من أبناء البلاد ، الذين يريدون التحرر ..! ؟

كل مواطن كان يجلس فى بيته وفى عمله أو فى المقهى ... كل الشعب كان هادئا ساكنا ونظام الحكم يشهد أخطر تطور منذ ثلاثة آلاف سنة ..!

فما هو السر ؟.. لماذا تكون الثورة المصرية هى وحدها

التى تتم هكذا فى هدوء ، وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول ؟
لماذا أخذت الثورة المصرية هذا الشكل العجيب السلمى ! ؟

انني هنا أقول مرة أخرى ان السبب فى هذا هو أن أعداء الثورة المصرية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة ، ثم فجأة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الأعداء وبعد أن أصبح لتلك القوات قيادة جديدة . .

فكان على هؤلاء الأعداء أن يستسلموا أو يبادوا ، فلا قوة هناك يمكنها أن تحميهم . . لم يعد معهم جيش ولا شعب !

هكذا بدأت عملية تغيير نظام الحكم ، وهكذا مضت فى طريقها بعد ٢٣ يوليو !

أبواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد الا مرحلة واحدة ، ثم تبدأ الثورة المصرية تحقق أهدافها ، لم يبق الا طرد الملك . . .

وجلسنا فى مبنى القيادة ، بعد أن أعد عبد الحكيم البيان الذى سيذاع على الشعب فى صباح ٢٣ يوليو وكنا فى تلك اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما ، وكان اللواء نجيب قد عرف أن الجيش قام بثورة بعد أن سأل جمال عن الحكاية فرواها له ، وأخبره أن الضباط الأحرار قد سيطروا على الجيش ، ثم طلب منه أن يحضر فورا الى مبنى الرئاسة وأرسل له سيارة لتعود به . .

وفى اللحظة الاولى التى وطئت أقدامه فيها مبنى رئاسة الجيش كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها أمامه . . كان قد أصبح زعيما ، وهو الذى كان لا يعلم . .

كان قبل حضوره بلحظات يسأل جمال عن الحكاية ، لأن المراغى طلب منه تهدئة — الأولاد — الذين عملوا « دوشة » عند كوبرى القبة !

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضى بأن نقوم بمناورة مع الملك ، حتى نطمئن الى أنه ليس هناك تدخل أجنبى يهدد مصالح البلاد وبعد أن نطمئن ننقض على صاحب الجلالة ونطرده ..

وجلسنا نتكلم ، وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسة الحكومة ، أو بعبارة ادق حول الرجل الذى نريد فرضه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء ، وكان نجيب لا يزال فى منزله .. لم يحضر الينا بعد . فهو قد حضر كما قلت فى الساعة الخامسة صباحا ..

واستعرضنا أسماء رجال انسياسة الذين يمكن أن نفرضهم على الملك رغما عنه !

ولم نكن نريد على الاطلاق واحدا من رجال الاحزاب ، مهما كان موقفه من القصر ، لأننا أردنا أن لا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض مع مصالح الشعب.. فالمسألة كما قلت كانت عملية تغيير كامل لنظام الحكم ، ولم تكن مسألة حكومة من الحكومات ..

ورأينا أن على ماهر هو الرجل الوحيد الذى لا ينتمى لحزب من الأحزاب ، وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الامور بعد ٢٦ يناير المشهور !

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاض على الملك..

على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من الهلالى الذى كان موجودا فى الحكم حينئذ ، فاذا خضع الملك لرأينا وجاء بعلى ماهر يمكن بعد ذلك أن نبعث به الى الملك يحمل طلبات لنا ــ كما تقضى المناورة ــ فاذا رفض الملك طلباتنا كان ذلك ايذانا ببدء المعركة معه !

وبعد أن انتهينا من هذه المسألة فتح باب الحجرة ودخل اللواء نجيب .. قائد الثورة ..

البحث عن عنوان على ماهر

وفى الساعة التاسعة من صباح ٢٣ يوليو اتصل نجيب الهلالى بنا مرة ثانية ، وحاول أن يتفاهم ، وتحدث اليـه محمد نجيب وكنا من حول نجيب نهمس فى أذنه بما يجب أن يقوله للهلالى ..

وانتهت المحادثة ولم ينجح الهلالى فى اقناعنا بشيء ..

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال بعلى ماهر لنبدأ المناورة ثم تتم المرحلة الثالثة من خطة التنظيم .. أى طرد الملك ..

ولم أكن اعرف عنوان منزل على ماهر ولا أحد فى الحجرة كان يعرف العنوان أيضا .. وكان الصحفيون يفدون منذ الصباح المبكر على مبنى القيادة .. وفى هذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان منزل على ماهر دخل علينا الاستاذ احسان عبد القدوس ، وسألته على الفور هل يعرف منزل على ماهر ، ورحب احسان بتوصيلى الى المنزل .. وقمت معه على الفور ..

هل هذه طائراتكم ؟

وصعدنا الى الدور الثانى فى المنزل ، وجلسنا فى الشرفة فى انتظار على ماهر . وجاء على ماهر ، وقبل أن يجلس قال لى ان عنده فى البيت ــ الآن ــ الاستاذ ادجار جلاد فهل يأتى به ليحضر المقابلة ، فقلت له :

ــ لا . مايجيش .. عايزين نقعد وحدنا ..

وبدأت أتحدث اليه عن مهمتى ... قلت له أننى موفد من القيادة لكى يؤلف الوزارة !

وخيم الصمت علينا فترة قصيرة .. وانتظرت رد على ماهر .. ولكنى شعرت انه يريد أن يسمع كلاما أكثر ، وفى هذه اللحظة بالذات مرت أربع طائرات من ذوات الاربع محركات فوق رؤوسنا ، على ارتفاع قليل لدرجة أن أصواتها

غطت على حديثنا فسكتنا الى أن ابتعدت ، وهنا التفت على ماهر وسألنى :

ـ الطيارات دى بتاعتكم ؟

وأجبته مبتسما لأطمئنه :

ـ نعم ، والقوات المسلحة كلها لا تخضع الا لقيادتنا اليوم ..

ومضيت أتحدث الى على ماهر بصراحة .. تكلمت عن الفساد وعن الاوضاع الغريبة التى تمر بها البلاد ، وعن الملك وتصرفاته الشاذة .. (وهنا شعرت بقدم احسان عبد القدوس تدوس على قدمى .. وبدأ احسان يزغدنى خلسة حتى لا أستمر فى الحديث بهذه الصراحة)

لكنى لم أتوقف . ومضيت أتكلم بصراحة أكثر ، حتى يفهم على ماهر وجهة نظر القيادة .. ثم عدت أقول لعلى ماهر ان القيادة تكلفه بتأليف الوزارة ..

وقال على ماهر :

ـ أنا مستعد أتعاون ، بشرط أن يكلفنى الملك بتأليف الوزارة !

وقلت له :

ـ تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة ، فجهز نفسك من الآن

ثم قلت له وأنا أهم بالانصراف :

ـ فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا ..

وقبل أن أنصرف قال على ماهر :

ـ الزيارة دى ستبلغ للملك .. وأظن من الاحسن أبلغها أنا دلوقت لادجار جلاد وهوه موجود عندى !

وقلت له :

ـ تقدر تقول اللى تحب تقوله .. احنا بنشتغل دلوقت على المكشوف . وعلى فكرة نجيب الهلالى اتصل بنا النهارده

وعرف اننا رفضنا بقاءه فى الوزارة .. ولا بد انه بلغ رأينا للملك ..

.. ثم غادرت منزل على ماهر الى القيادة

لقد بدأت المناورة مع الملك ...

وجاء عم ناريمان

وجلست أروى تفاصيل مادار بينى وبين على ماهر للزملاء .. ثم جاء من يخبرنا أن مصطفى صادق عم ناريمان يريد مقابلة أحد من القيادة

لقد جاء مصطفى صادق ليعرض علينا تعيين اللواء نجيب وزيرا للحربية

وقال لنا مصطفى صادق أيضا انه ما علينا بعد تعيين نجيب وزيرا للحربية الا أن نذهب الى قصر رأس التين ونقيد أسماءنا فى سجل التشريفات ثم ينتهى الاشكال !

وفوجىء مصطفى صادق برفض العرض الذى حمله اياه فاروق .. وقلنا له انه لابد أن يؤلف على ماهر الوزارة بلا مناقشات أو أخذ ورد

ثم قلنا له ونحن نشيعه الى الباب ان على ماهر سيحمل طلبات اخرى لنا الى جلالة الملك ..

وخرج عم ناريمان بعد فشله فى مهمته

وكان البيان الذى أذعناه اكمالا لخطوات « المناورة » لايتضمن سوى أن الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه .. أى ان الحركة مقصورة على الجيش فقط ..

كانت المناورة متشعبة وكان لابد لنا أن نأخذ حذرنا .. ومن أجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم ٢٣ يوليو

الملك يطلب منا تأليف الوزارة

وبعد ظهر ٢٣ يوليو جاء عم ناريمان الى القيادة مرة ثانية، وكان يحمل عرضا جديدا من الملك ..

قال لنا ان جـــلالة الملك يعرض علينـــا نحن أن نؤلف الوزارة ..

وشعرنا بسخف الاقتراح ، الى حد اننا لم نحتمل وجود عم ناريمان معنا فى الحجرة فطردناه منها .. بدلا من توديعه كما فعلنا معه فى المرة الاولى

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب ، وشعرنافى تلك اللحظة أن المناورة بدأت تنجح

وقد اتصل بنا على ماهر بعـد خروج مصطفى صـادق بقليل ، وقال لنا انه تلقى الامر بتشكيل الوزارة ..

ثم قال أيضا ان الملك طلب اليه أن يسافر فى الحال الى الاسكندرية ، وانه ـ أى على ماهر ـ يريد مقابلتنا قبل أن يسافر ، ليعرف وجهة نظرنا تماما ، ثم يحمل طلباتنا بعد ذلك ليبلغها الى صاحب الجلالة ..

وقال على ماهر ان الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه

جر شكل الملك

لقد كانت المسألة فى نظر الملك .. بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فى ذلك اليوم هى اننا نريد تطهيرالجيش فقط من الخونة والاذناب..كانوا يعتقدون انها أزمة لاتلبث أن تحل ، ثم تعود المياه الى مجاريها .. يبقى الملك على عرشه ويبقى الجميع فى أماكنهم .. والشعب أيضا ..

لقد كانت المناورة فى بدايتها ..

كنا نجلس فى مبنى القيادة نعد خطة خلع الملك ، والملك فى الاسكندرية ينتظر وصول على ماهر اليه ليطمئنه بعـد أن تحل الأزمة باجابتنا الى طلباتنا ..

قد حددنا لعلى ماهر الساعة الخامسة والنصف منمساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش .. ثم بعد ذلك يسافر الى الاسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة ..

وفى الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة .. جمال عبد

الناصر ومحمد نجيب وأنا ، وتوجهنـا الى منزل على ماهر واكمالا للمناورة سلمنا على ماهر عريضة دونت فيها طلبات الجيش

انني أذكر أننا وقعنا فى ورطة عندما قال لنا على ماهر قبل أن نقابله ان الملك في انتظار طلباتنا ٠٠ فلم تكن فى رؤوسنا طلبات معينة ، ان الشيء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد منا هو مسألة تغيير نظام الحكم٠٠أما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك شيء لم يخطر على بالنا اطلاقا ٠٠

ان الاحوال في ٢٣ يوليو كان تترى بسرعة فائقة ٠٠ لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهـذه الظاهرة العجيبة ٠٠ للسرعة الفائقة ٠٠

وأذكر أننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق ٠٠ كان لابد أن نمضى فيمناورتنا مع الملكالى نهاية الشوط قبل أن ننقض عليه لنسقطه عن عرشه

واتفقنا ــ بعد جهد ــ علىأن تكون الطلبات التى سيتقدم بها على ماهر الى صاحب الجلالة أساسها طرد الحاشية ، فقد كنا نعرف أن الملك سيرفض هذا الطلب ، وبهذا نكون قد نجحنا فى جر شكله ، فتبدأ بعد ذلك عملية طرده

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق ، كان أساسها كما قلت طرد الحاشية ٠٠

وبعد أن قابلنا على ماهر فىالساعة الخامسة سلمه جمال عبد الناصر تلك الطلبات ، واستعد على ماهر للسفر على الفور ، فطلبنا منه أن يخطرنا من الاسكندرية بالنتيجـة ، وقال له جمال ان المسئولية ستقع على الملك اذا لم تجب كل هذه الطلبات فى الحال ..

وخرجنا من منزل على ماهر بعـد أن تمنينا له سفرا سعيدا .. خرجنـا ليبدأ جمال عبـد النـاصر وزكريا محيى الدين فى وضع تفاصيل خطة طرد فاروق ، وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على الاسكندرية وتأمينها ..

تحرك القوات الى الاسكندرية

قطعنا ـ فى المناورة ـ مع الملك شوطا بعيدا .. سافر على ماهر الىالاسكندرية يحمل طلباتنا الى صاحب الجلالة، وبعد أن أكد له جمال ان المسئولية ستقع على الملك فى حالة عدم اجابته الطلبات كلها !

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى اسقاطه عن عرشه وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الاساسية

وقد عدنا من منزل على ماهر فى مساء ذلك اليوم (٢٣ يوليو) الى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الاحداث ..

واللواء نجيب كان يجلس بيننا لا يدرى ماذا فى رؤوسنا

كنا لا نشك فيه ، ونعتبره واحدا منا وخاصة بعد أن فرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة ، وكان هذا العرض من بين الطلبات التى أرسلناها لفاروق ..

وصحيح انه لم يكن بيننا أحد قد اكتشف حقيقته بعد ؛ فهو يجلس بيننا كأنه فرد منا ، وكنا نحن نحاول قدر ما نستطيع افهامه بأنه القائد والزعيم وصانع كل هذه الاحداث التاريخية .. كنا قد قررنا أن نفنى جميعا فى شخصه

قررنا أن نجعل منه زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه القادمة ضد جميع أعدائه .. أما نحن فقد اعتبرنا أنفسنا جنودا فى ثورة نجيب .. !

وانقضى يوم ٢٣ يوليو ، وجاء يوم الثورة الثانى ، وكنا لا نزال على مقاعدنا فى مقر القيادة لم ننم ولم نسترح ،

والعرق يغرق ثيابنا فالحر كان شديدا .. لكننا لم نشعر بالارها فىعلى الاطلاق . كنا نعرف أن أمامنا ليالى أخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا ، وربما فى الشوارع وفى الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من أجل مصائر الملايين

لم نكن نعرف ـ بالتحديد ـ ماذا سوف يحدث لنا فى يوم الثانى للثورة ، لان الاحداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم نتوقعها ، والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها ..

كل الذى كنا نعرفه اننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى البلد ..

وبعد ذلك لتأت الاحداث بما تشاء من مفاجآت ، فقد كنا على ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غدا أو بعد شهر .. حتى لو ظهرت فى الافق بوادر تدخل جهات أجنبية فقد كان كل واحد منا قد أعد نفسه قبل أن يغادر بيته وأولاده لمعركة سيخوضها .. وربما مات وربما فقد ذراعا .. المهم أننا جميعا كنا على استعداد للنزول الى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الاعداء لو فكروا فى الوقوف أمام الثورة

جمال يأمر بتحرك القوات

أن على ماهر وصل الى الاسكندرية وقابل صاحب الجلالة على الفور وقدم له طلباتنا ، وفى صباح اليوم الثانى للثورة ـ يوم الخميس ٢٤ يوليو ـ اتصل بنا على ماهر من الاسكندرية وقال ان صاحب الجلالة قد وافق على جميع طلباتنا !

وطلب على ماهر أن نوفد اليه أحد أعضاء القيادة الى الاسكندرية ليخبره بالتفاصيل ، ووقع الاختيار على لأقوم بهذه المهمة

وحتى ذلك الوقت كان على ماهر لا يعرف ماذا نهدف اليه بالتحديد . كان يعتقد حتى صباح الخميس ٢٤ يوليو أن الازمة انتهت بعد أن قبل الملك طلباتنا .. والمياه ستعود الى مجاريها قطعا ، وخاصة وأن الملك قبـــل أفدح تلك الطلبات بالنسبة له .. وهو طلب ابعاد الحاشية !

وان كان قد قال لعلى ماهر انهم ـ أى أفراد الحاشية ـ كأهل منزلى فكيف يتدخل الجيش فى شئون بيتى !؟

على ماهر ـ اذن ـ ظن أن الأزمة انتهت بعد أن تحدث الينا بالتليفون ، وأبلغنا بموافقة صاحب الجلالة على طلباتنا

ولم يكن يعرف ـ مثلا ـ أنه بعد أن غادر القاهرة فى اليوم السابق .. أى فى مساء ٢٣ يوليو لم يضـــع جمال عبد الناصر دقيقة واحدة ، فجلس ومعـــه زكريا محيى الدين ـ وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات ـ وبدأ الاثنان يدرسان الموقف فى الاسكندرية واحتياجات عمليـــة طرد الملك ..!

درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات

كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الاسكندرية وتأمين مرافقها

وانتهت الدراسة قبل أن يتصل على ماهر بنا فى صباح الخميس (٢٤ يوليو)

لقد أصدر جمال أمرا بتحريك قوة الى الثغر .. وكانت القوة التى أمر جمال بتحريكها لاسقاط الملك ، وطرده عبارة عن لواء مشاة وآلاى دبابات لتأمين المدينة واعتبرت مدفعية قواتنا فى الاســكندرية ضمن القوة التى ستقوم بتنفيـــذ المرحلة الثالثة من الخطة .. طرد الملك

على ماهر يسأل .. ما الداعى لهذا ؟!!

وبالرغم من أن اللواء محمد نجيب كان يجلس معنا فى حجرة واحدة ، بل وحول مكتب واحد فى ذلك اليوم ، الا

أنه كان لا يشترك مع أحد فى اعداد أى شىء ، فكل الخطط كانت معدة قبل أن يأتى الينا وقبل أن يعـرف أنه زعيم الشعب !

وحتى التفاصيل كان يعدها جمال والزملاء وهم من حول نجيب يبتسمون له فى احترام وثقة وهو صامت يترقب الأحداث !

وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة ٢٤ يوليو .. أى فى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك كل طلباتنا !!

وقد فوجىء على ماهر والملك بهذا الذى حـدث .. فوجئـا بالطابور المسلح يدخـل الاسكندرية . وكانا قد اعتقدا أن المياه ستعود الى مجاريها بعد ان قبلت الطلبات !!

وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الاسكندرية بالتهليل والهتاف الذى شق عنان السماء ..

وكما حـــدث فى القاهرة صباح ٢٣ يوليو حـدث فى الاسكندرية ..

التف الشعب حول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضن أفرادها ، ويجرى خلف المصفحات فى الشوارع بعـد أن غمرته الفرحة ..

وبعد أن أخذت قواتنا فى الثغر أماكنها طبقا للخطة ، اتصل بنا على ماهر مرة أخرى بالتليفون ليسألنا :

ــ ما هو الغرض من وصول تلك القوات .. ألم يوافق الملك على جميع طلباتكم !؟

وأردف على ماهر يقول فى التليفون :

ــ أن الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات .. ويسأل ما هو الداعى لهذا ، بعد أن أجابكم الى ما تريدون ؟!

وقلنا لعلى ماهر :

ــ لا شىء .. لا شىء بالمرة .. طمئن مولانا وقل له ان

هذه القوات أرسلناها لتأمين الاسكندرية ، ومنع الاضطرابات والحوادث !!

نجيب يطلب السفر معى ...

وبقى التنفيذ ..

متى تبدأ العملية ؟!

ان قواتنا فى الاسكندرية ، وقد اتخذت أماكنها والشعب من حولنا يؤيدها ويهتف لافرادها من الاعماق ، لا اضطرابات ولا حوادث ..

كل شىء كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم ٢٣ يوليو ..

وكان جمال قد كلفنى ـ كما قلت ـ بالسفر الى الاسكندرية بعد أن تحدث الينا على ماهر من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات ، ثم طلب أن يسافر أحدنا اليه ليخبره بالتفاصيل ..

وطلب جمال منى أن أؤجل سفرى الى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت أماكنها ..

وقررنا عزل الملك يوم ٢٥ يوليو ..

وفى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ طلب محمد نجيب أن يسافر معى الى الاسكندرية ، وكنا قد اتفقنا مع على ماهر على اننى أنا الذى سأقابله وحدى ، فرفضنا طلب محمد نجيب ، لكنه ألح علينا بشدة لكى يسافر معى !

فوافقنا بعد أن لمسنا مدى تمسكه بتلك الرغبة ، وبشرط أن لا يحضر معى مقابلة على ماهر ساعة الوصول ، وانما يذهب لمقابلة على ماهر بعد الظهر ، وهو يحمل الانذار التاريخى المشهور ، الموجه الى الملك والذى نطلب منه فيه أن يتنازل عن العرش ويغادر البلاد ..

جمال قال لى ..

وكان على أن أغادر القيادة الى المطار .. وقبل أن أغادر المبنى أخذنى جمال عبد الناصر الى ركن من الردهة وكان وجهه قد اكتسى بذلك الطابع المعروف عنه ساعة أن يقرر أمرا .. الصلابة والعزم القوى والاصرار التام .. وكانت فى يده سيجارة وقال لى وهو ينفخ دخان سيجارته ورأسه يتحرك قليلا الى الامام كعادته :

ـ شوف يا أنور .. لازم نخلص من فاروق النهارده أو بكره بالكتير .. لان الموقف ماعدش يحتمل !

ونظرت الى وجه جمال وهو يكلمني ، وعرفت أنه يتحتم فعلا الخلاص من فاروق بأية صورة اليوم ـ الجمعة ـ أو غدا .. ان جمال لا يلقى الكلام جزافا .. فهو لا يقرر أمرا الا اذا عرف أن لا مناص منه حتى لا تحدث كارثة !

اليوم أو غدا .. لا بد أن يطرد فاروق .. فقد كانت المشاكل قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضيين .. والموقف لا يحتمل وجودها !

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا .. ونحن لم نخلقها .. بل خلقها واحد لم نكن نتوقع على الاطلاق أن يظهر بيننا فى اليومين المذكورين .. انه رشاد مهنا !!

زوبعة على أبواب القيادة !

كان رشاد فى العريش كما سبق أن ذكرت ذلك فى حينه .. وكان قد رفض أن يتولى قيادة لواء العريش عندما طلب منه ذلك جمال سالم .. وتخلى عنا أيضا كعادته حتى بعد أن عرف الحقيقة كلها .. بعد أن عرف أن الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش تماما .. فى ليلة الثورة الاولى ، وبعد أن وصلت الى العريش اشارة النجاح !

وعندما عرف أن الضباط الاحرار نجحوا تماما وأنه سوف لا يكون له مكان على الاطلاق بينهم ، وخاصة وأن جمال سالم كلف صلاح حتاتة بقيادة لواء العريش . . أقول بعد أن عرف رشاد أن الثورة نجحت بدونه ، جاء الى القاهرة بلا اذن وتوجه من فوره الى سلاح المدفعية ، وهو كان يتبع له ، وكان ضباط السلاح لا يعرفون شيئا عن موقفه ليلة الثورة ، كانوا لا يعلمون أنه رفض التعاون ورفض أن يشترك فى العملية . . وظن ضباط السلاح أن رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة . . وربما ظنوا أنه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه !!

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الاعناق . . ثم أركبوه سيارة وتقدموا السيارة بالموتوسيكلات ، وجاءوا الى القيادة بالبطل !!

ورأينا موكب رشاد مهنا يدخل من باب القيادة . . وأمامه راكبو الموتوسيكلات . . وكانت مفاجأة . . شعرنا على الفور أن زوبعة على الابواب !

وكنا لانستطيع أن نقول لضباط المدفعية أن هذا الرجل ليس واحدا منكم . . لم يشترك معكم فى عمل . . انه رفض أن يعاونكم . .

كان الموقف ـ اذن ـ حرجا للغاية ولايحتمل أية خلافات . . فالملك لا يزال فى البلاد . .

تلك كانت احدى المشاكل التى أطلت علينا فى اليومين الماضيين . وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لان الموقف كما قلت كان لا يحتمل أية خلافات ، ومعركة فاروق على وشك أن تقع

أما المشكلة الثانية ، فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة وجود رشاد مهنا

أعنى مشكلة الخلافات

الانجليز فى القاهرة

فقد كان هناك أناس فى البلد دفعهم الحرص الشديد ، وخوفهم الشديد فى يوم الثورة الاولى وفى يومها الثانى الى أن يجيئوا الينا ليقولوا ..

ـ فاروق اتصـــل بفايد .. الانجليز فى طريقهم الى القاهرة ..

وأقوال أخرى كان مصدرها الرعب والفزع مما سوف يقع ..

وكنا نعرف أن هؤلاء الناس جبناء تفزعهم المعارك .. كنا نعرف أن ما يقولونه ليس صحيحا .. الا اننا كنا قد قررنا أن نعد أنفسنا لكل الاحتمالات .. وأسوأها

لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المناطق التى يحتمل أن يزحف منها الانجليز على القاهرة .. اذا فكروا فى التدخل ..

وكانت تقارير سلاح الطيران تصل الينا فى مبنى القيادة ساعة بساعة ..

تلك كانت المشاكل التى رأينا أن وجود فاروق يوما أو يومين آخرين سيضاعفها

يا باشا .. قررنا عزل الملك !!

وأعود الى الموضوع .. فبعد أن كلمنى جمال قبـــل مغادرتى القيادة الى الاسكندرية توجهت ومعى اللواء محمد نجيب الى المطار ، وانطلقت بنا الطائرة الى أرض العملية.. الى الاسكندرية ، وفى مطار النزهة وجدنا منـــدوب على ماهر فى انتظارنا ..

وحسب الاتفاق توجه اللواء نجيب الى القيــــادة فى مصطفى باشا ، وتوجهت أنا مع منـــدوب على ماهر الى

رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى ..

وقضيت ساعة ونصفا مع على ماهر .. سألنى عن القوات التى وصلت الإسكندرية مرة ثانية ، وكانت الحيرة بادية على وجهه ومضى يقول لى :

ـ الملك وافق على الطلبات كلها .. واستقالات أفراد الحاشية فى جيبى أهه

وأخرجها من جيبه ليرينى اياها ، وتظاهرت بالاهتمام فتناولت منه الاستقالات لأقرأها ، ولفت نظرى توقيع الياس اندراوس على استقالته ، فقد وقع صاحبها عليها هكذا : « أليس أندراوس » ، وبخط ردىء للغاية ..

وهززت رأسى فى دهشة .. ان الياس اندراوس كان أحد الذين يحكموننا .. نحن الشعب .. كان محسوبا علينا كمصرى ، ويؤلف الوزارات ويسقطها .. وهو لايعرف كيف يكتب اسمه .. لا يعرف لغة البلاد التى ينتمى اليها

وتنبهت على صوت على ماهر مرة أخرى وكان لا يزال حائرا .. وسألنى مرة ثالثة عن حكاية القوات التى جاءت الى الاسكندرية

وفى هذه المرة اعتدلت فى مقعدى وبدأت أتحدث اليه فى الموضوع لأول مرة .. قلت له وكان ساعتها يبدو مذهولا للغاية :

ـ بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك « اليوم »

لا خيار لك فالشعب مع الجيش !!

وقبل أن يفيق على ماهر من ذهوله أردفت قائلا له :

ـ اللواء نجيب سيجىء اليك فى الساعة السابعة وهو يحمل انذارا موجها الى الملك من القيادة ، بتنازله عن العرش ومغادرة البلاد ، وعليه أن يتحمل النتائج فى حالة رفضه لهذا الانذار ..

ومضيت أقول لعلى ماهر :

ـ أنصحك ـ وأنت الذى ستتوجه بهذا الانذار ـ أن تؤكد للملك أن لا فائدة من المقاومة اطلاقا ، لأن الجيش والشعب سيسحقان أية مقاومة مهما كانت ، والاوامر التى صدرت قاطعة فى هذا الشأن ..

وكان على ماهر لا يزال فى ذهوله الشديد .. فاقتربت منه قائلا :

ـ أنت لا خيار لك فى هذا .. بل اننى أعتقد أنك مسئول عما أصاب البلاد الى حد ما لانك أنت الذى نصبته ملكا على البلاد فى دقائق عام ١٩٣٦

وهنا لاحظت أن على ماهر تحمس قليلا .. فقال :

ـ أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد .. لكننى لم أكن اتصور أبدا أن يصل على يد مربيه أحمد حسنين الى ما وصل اليه اليوم .. انه هو الذى كتب بيديه أفعاله ومصيره ..

ومضى على ماهر يقول لى :

ـ لعلك أنت تعلم ، ويعلم الناس أن فاروق أبعدنى منذ احدى عشرة سنة بتأثير من مربيه أحمد حسنين والحاشية

وسكت على ماهر ثم عاد ينظر الى .. ربما ليتأكد من أن ما قلته له منذ لحظات هو الامر الواقع .. وقمت لأؤكد له مرة ثانية أن لا خيار له فى الامر .. فالشعب مع الجيش سيسحقان أية مقاومة .. وعدت من بولكلى الى مصطفى باشا .. حيث كان نجيب هناك ، وكان معه أيضا زكريا محيى الدين ـ مدير العمليات ـ وجمال سالم وحسين الشافعى

وأخبرتهم أن على ماهر جاهز لتلقى الانذار فى الساعة السابعة من هذا المساء

زكريا محيى الدين يفاجئنا .. !

كان زكريا محيى الدين فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الاسكندرية ، ثبت فوقها دبابيس عديدة ، وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمرا ثم يخرج .. وزكريا كأنه غير موجود فى الحجرة .. لا يتحدث الينا ولا يلتفت الى أحد .. كان منهمكا فى « البحلقة » فى الخريطة ، وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها .. فهو كان مديرا للعملية ..

وكتبنا صيغة الانذار ، ثم اتصلنا بجمال عبد الناصر فى القاهرة وأخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى لعلى ماهر .. ثم قرأنا له صيغة الانذار الذى سيوجه الى الملك فأقرها ..

ثم بعد ذلك اتجهنا الى زكريا محيى الدين فى الركن الذى انتحى فيه بعيدا عنا فى الحجرة .. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحددة لها حسب الخطة ، لكى نسلم الانذار ثم تبدأ عملية طرد فاروق ..

وفوجئنا بزكريا يقول فى هدوء :

ــ العملية لا يمكن أن تتم الليلة ..

وذهلنا .. وسألناه فى صوت واحد :

ــ لماذا ؟!..

ثم بدأنا نتناقش .. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران ..

رصاصة رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعها ... فزكريا محيى الدين اصر على رأيه وظل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبدو هادئا للغاية ، ونحن من حوله تكاد اصواتنا تبلغ حد الصراخ

فبعد ان انتهينا من وضع صيغة الانذار الذي سيوجه باسم القيادة الى الملك ، اتجهنا الى زكريا نسأله : متى تكون قواته جاهزة ؟..

وبهدوء تام أجاب :

ـ العملية لا يمكن ان تتم الليلة !..

تلك كانت مفاجأة زكريا محيى الدين لنا فى ذلك اليوم ... ٢٥ يوليو

فهو كان مديرا للعمليات ، وهو الذى كان مسئولا عن تحركات القوات فى الاسكندرية أثناء قيامها بعملية طرد فاروق

وقال لنا زكريا ان القوات لم تنل قسطها من الراحة ، وبعضها وصل الى المدينة متأخرا ، وهو لا يستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين ، وقال ان القوات بعد ان تستريح وتنال وجبة ساخنة ، يمكن ان تبدأ المعركة على الفور !..

وقلنا له ان مسألة التعب والارهاق هذه لا يصح ان نسلم بها ، لاننا جميعا لم ننل اى قسط من الراحة طوال ثلاث ليال ، ولا نزال نقف على اقدامنا متحفزين لخوض هذه المعركة ، وغيرها !..

وبهدوء ايضا اجاب زكريا :

ـ ماليش دعوة بيكم ... لكن قواتى لابد ان تستريح ، وكل شيء حيكون جاهز بكرة الساعة الثامنة صباحا

ولم يفلح احد منا فى اقناع زكريا ، لكى يبدأ فى تنفيذ العملية اليوم (٢٥ يوليو)

وسلمنا الامر لله ... ثم اضطررت الى الاتصال بعلى ماهر فى بولكلى لكى اخبره ان موعد الساعة السابعة مساء ، قد تأجل الى التاسعة من صباح اليوم التالى

وذلك الموعد كنا قد حددناه لعلى ماهر لكى نقابله فيه ونسلمه الانذار التاريخى الموجه الى الملك فاروق من القيادة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد

اعدام فاروق

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة

ان جمال سالم يصر على ان لا يخرج الملك حيا من البلاد ، انه يرى محاكمته جزاء ما اقترف من جرائم فى حق الشعب وهى جرائم يستحق من اجلها الاعدام

وظل جمال سالم مصرا على رأيه هذا ، وكنت قد قلت رأيى فى الموضوع وهو ان محاكمة فاروق سوف تستغرق وقتا ، ونحن نريد التخلص منه فى اقرب وقت ، اليوم او غداً ، ويكفى ان يخرج من مصر ثم تطوى صفحته ولا حاجة الى ان نبقيه فى البلاد الى ان يعدم ، فالاحداث يمكن ان تفاجئنا وتأخذنا على غرة !

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة بمصطفى باشا فى تلك الليلة حتى بلغت الساعة الثانية صباحا ، وهنا قررنا عرض موضوع ـ مصير فاروق ـ على الزملاء بقية اعضاء القيادة فى القاهرة

فالهيئة التأسيسية للضباط الاحرار يمكنها ان تجرى عملية اقتراع حول المسألة .. وسواء صوت اعضاؤها ضد

اقتراح جمال سالم او ايدوه فالمسألة حينئذ تصبح امرا واقعا

واستقل جمال سالم طائرة فى تلك الساعة وطار بها الى القاهرة ، ليأخذ الاصوات حول مصير فاروق .. ثم عاد الينا فى الساعة السابعة من الصباح ومعه رأى لبقية الزملاء

وكانت الاصوات التى اشتركت فى حسم ذلك الخلاف هى : تسعة أصوات فقط .. وهم اعضاء الهيئة التأسيسية واللواء محمد نجيب لم يكن عضوا فى الهيئة ، فلم يكن له صوت فى عملية الاقتراع

وقد رجح الزملاء كفة الرأى القائل باخراج فاروق من البلاد دون محاكمة .. لان المسألة : كما قلت ـ كانت تحتم الخلاص منه فى ساعات قبل ان تحدث مفاجآت !

وقد علمت من جمال سالم بعد عودته من القاهرة ان جمال عبد الناصر اتصل بعزيز المصرى فجر ذلك اليوم ـ ٢٦ يوليو ـ واخذ رأيه فى الموضوع

مستشار السفارة الامريكية يسأل ؟!

وفى الساعة السادسة من صباح ـ ٢٦ يوليو ـ كان زكريا محيى الدين يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى الاسكندرية ، وشرح لهم واجباتهم ثم اصدر اليهم الاوامر النهائية

وبعد نصف ساعة تحركت القوات ، ثم احتلت مراكزها قبل الثامنة صباحا

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء نجيب الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم على ماهر الانذار الموجه الى الملك .. وقبل أن نصل الى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة الامريكية فى الردهة ، وكان المستشار الأمريكى فى حالة يرثى لها .. كان يرتعش ، وكان قد فقد السيطرة على اعصابه تماما .. وقال موجها حديثه الينا :

ـ انا قادم الآن من رأس التين ، ان هناك معركة ..
واردف المستشار الامريكى قائلا وهو يرتعش :
ـ ما سبب هذا ؟.. ان الملك فيما نعلم قد اجاب كل طلبات الجيش ، واريد تفسيرا لهذا الذى يحدث الآن عند رأس التين ، ويهمنى ان اطلب باسم « واشنطن » ما يفيد تأكيد سلامة فاروق الشخصية

وصمت المستشار الامريكى ثم نظر الينا فى حيرة

وقال له اللواء نجيب :

ـ اننا قادمون الآن للتفاهم مع رئيس الوزراء فى هــذا الموضوع

وتركنا مستشار السفارة الامريكية لندخل مكتب على ماهر

على ماهر ظن ان الجيش تراجع

وبعد ان صافحنا رئيس الوزراء ، مددت يدى فى جيبى وبحركة مسرحية اخرجت « الانذار » من حافظتى وقدمته الى اللواء نجيب ، فسلمه هو بدوره لعلى ماهر .. وكان الانذار من صورتين وقع على ماهر على احداهمــا بتسلم الصورة الاصلية

ورايت على ماهر يلتفت الى وفى عينيه تساؤل واضح ، ولم يكن قد بدأ يقرأ الانذار ، وفهمت فى الحال انه يريد ان يعرف ان كان هذا هو « الانذار » الذى حدد مصــير فاروق ؟!

ويبدو ان على ماهر كان قد اعتقد اننا تراجعنا عن مسألة طرد فاروق ، وخاصة بعد ان تأجل ميعاد مقابلتنا له من السابعة مساء الى اليوم التالى !

وقد أومأت برأسى لعلى ماهر وكأنى اقول له : نعم .. هذا هو الانذار بعينه !

وبدأ على ماهر يقرأ الانذار ، ثم التفت الينا قائلا بعد ان انتهى من قراءته :

ــ هذا هو ما يستحقه ، فكثيرا ما نصحته ولم يستمع ابدا الى نصحى

وغادرنا مكتب على ماهر .. وخرج هو معنا فى تلك اللحظة ليتوجه الى الملك ويسلمه الانذار

وكان الملك قد استدعاه فى صباح ذلك اليوم ، قبل ان نقابله ، وذلك عندما شعر بالقوات وهى تقيم حصارا حول سراى رأس التين

وقبل ان يستقل على ماهر السيارة لتتجه به الى رأس التين قلت له وانا اهمس فى اذنه :

ــ ان كنت ترى انك فى حاجة الى حضورى معك فأنا مستعد

ولكنه قال ان لا داعى لذلك فى هذه الخطوة

ومضت به السيارة الى الملك .. ليسلمه انذارا من القيادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا .. ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم والا ...

الدافع لهدم رأس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد فاروق قد اقامت حصارا على سراى رأس التين وسراى المنتزه ، وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة

وحول سراى رأس التين حيث كان الملك هناك كانت القوات المحاصرة تتكون من مشاة وعربات مصفحة ومدفعية وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعا يتحكم فى سراى رأس التين ، بحيث يمكن هدمها اذا ما استدعى الامر ذلك

وكان على قوات المشاة ان تتقدم لحصار السراى ، غير ان الاوامر التى صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعدم الاشتباك مع قوات حرس السراى الا بامر من القيادة

واثناء تقدم تلك القوات لاتمام الحصار خارج الاسوار حدث ان صعدت قوات الحرس الى الابراج فوق تلك الاسوار ، وراحت تنصب عليها مدافع «الماكينة» لاعتقادهم ان القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال ، وواجبهم يقضى بالدفاع عنها . . . فهم كانوا لا يعلمون شيئا

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى ، وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى « العملية » . . ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الابراج ، فنادى جنود الحرس وهو يأمرهم بالانسحاب . . وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة ، كانوا ينصبون المدافع فوق الابراج وهم ينظرون الى اخوانهم جنود المشاة ، وهم خارج الاسوار وكانت تلك النظرات فيها ابلغ آيات القلق والاضطراب فهم لا يستطيعون ان يفتحوا مدافع الماكينة على اخوانهم هؤلاء . . . وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى ، لانه لا توجد اوامر جديدة قد وصلتهم ، حتى كان يمكنهم ان يتخذوا موقفا مختلفا

وفى هذه اللحظة وبعد ان نادى قائد القوة جنود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة ـ طائشة ـ من مدفع كان احد الجنود ينصبه فوق البرج . . ويبدو ان الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى ، وفى الحال لم تجد قواتنا بدا من اسكات المدفع الذى انطلقت منه الرصاصة ، ولا احد كان يعلم ساعتها ان تلك الرصاصة خرجت خطأ وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت منه الرصاصة ، وفعلا سكت المدفع بعد ان اصيب سبعة من جنود الحرس

ولم يصب احد من القوات التى حول الاسوار

تلك كانت المعركة التى افزعت مستشارالسفارةالامريكية ولم تفزعه هو وحده بل وجعلت فاروق يفقد اعصـــــابه ويتهاوى كالحطام

فاروق يستنجد بالسفير الامريكى !

ويقول على ماهر ان تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على فاروق والحاشية فما كادت الطلقات تتتابع حول السراى حتى اعتقد فاروق انه ميت لا محالة .. ولم يتمالك نفسه فاصيب بحالة ـ هيستيريا ـ واسرع يطلب على ماهر فى فندق سان ستفانو .. فلما وجده لم يستيقظ بعد ظل يصرخ فى التليفون طالبا من ادارة الفندق ايقاظه فى الحال .. وفعلا استيقظ على ماهر وكلم الملك ، فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره

وفى نفس الوقت استنجد فاروق بالسفير الامريكى ، وارسل له السفير سكرتيره الخاص ، ثم بعد ذلك ارسل لنا مستشار السفارة

كانت معركة فاصلة ما فى ذلك شك بالرغم من بساطتها وهى ان دلت نتائجها على شىء فانما تدل على انه لا توجد قوة مهما كانت يمكنها الصمود امام تكتل الجيش والشعب

فما كادت تلك المعركة تنتهى بهذا الوضع الذى ذكرته حتى خرج من السراى اللواء عبد الله النجومى ومعه اربعة ضباط من الحرس ، وقالوا لقائد القوة المحاصرة انهم يريدون الذهاب الى القيادة فى مصطفى باشا للتفاهم .. وجاءوا الى القيادة فعلا .. وكانوا فى حالة عصبية مروعة ، فحجزناهم هناك .. لتستريح اعصابهم .. فهم كانوا لا يعرفون شيئا ولا يعلمون ماذا فى الافق !

فاروق طلب استثمار ثروته !

واتصل بنا على ماهر وقال لنا ان الملك قد خضع للانذار وطلب منا على ماهر ان نوافيه فى بولكلى ـ لنشترك معه فى وضع صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وايضا لكى يعرض علينا طلبات الملك الاخيرة بشأن سفره

وتوجهنا الى بولكلى مرة اخرى ، محمد نجيب وجمال سالم وانا .. ووجدنا سليمان حافظ جالسا مع على ماهر ثم ارسل يستدعى السنهورى لاعداد صيغة التنازل ، وفى هذه الاثناء عرض علينا على ماهر طلبات الملك بشأن رحيله وهى :

◆ أن يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيادتها جلال علوبة

◆ ان يجرد كل شىء فى السرايات الملكية ثم يضاف ما فى تلك السرايات الى ثروته وان تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته وتستثمر لحسابهم او تقسم عليهم

◆ ان يسمح له باصطحاب بوللي وحلمى حسين ، وان لم يكن هذا ممكنا فيسمح لبوللى فقط بالسفر معه

تلك كانت طلبات فاروق الثلاثة ، وقد وافقنا على الطلب الاول فقط ، ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة

ولم يكن لفاروق خيار فى الامر ، فقد كان ينفذ كل مايطلب منه بلا تردد ، بعد ان اصبح كل ما يأمل فيه هو ان يخرج حيا من هذه البلاد

كان قد اقتنع انه لا توجد قوة ـ مهما كانت ـ يمكنها ان تحميه من الجيش والشعب .. فتهاوى من تلقاء نفسه وبلا اية مقاومة

ارادة الشعب

وكتب السنهورى وسليمان حافظ صـيغة التنازل

ـ الاولى ـ وعرضت تلك الصيغة علينا ولكن جمال سالم اعترض بشدة .. فلم تكن تلك الصيغة تتضمن السبب الاساسى الذى حتم على فاروق ان يتنازل عن عرشه .. لم يكتب فيها نزولا على رغبة الشعب

وكتب جمال سالم الصيغة النهائية والتى وقع عليها الملك نزولا على رغبة الشعب

واخذ سليمان حافظ « الوثيقة » وتوجه الى راس التين ليوقع الملك المخلوع عليها

وخرجت انا لاتوجه الى رئاسة البحرية المصرية ، كى اتفق هناك على خروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى حيث يشاء ، وايضا لكى اخلي سبيل امير البحر جلال علوبة الذي كان ممنوعا من مغادرة مكتبه

وفى طريقى رأيت سليمان حافظ واقفا مع الضابط الذى كان يرأس قوة حصار رأس التين ، وكان الضابط قد منعه من دخول السراى ، وطلبت من الضابط ان يتركه واوصلوه الى الباب الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له الباب

وتوجهت انا بعد ذلك الى رئاسة البحرية .. وهناك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان !!

المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت سليمان حافظ بعد ان فتحوا له باب سراى راس التين ، وكان يحمل وثيقة تنازل فاروق عن العرش ليوقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد

ثم توجهت الى رئاسة البحرية لاعطى تعليمات بخروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى منفاه ، وايضا لكى اخلى سبيل امير البحر جلال علوبة الذى اراد فاروق ان يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها

وكان امير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت

وهناك .. فى رئاسة البحرية فوجئت ــ كما قلت امس ــ بما لم يكن فى الحسبان !!

فما كدت اصل الى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع ، واخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضي بخروج المحروسة لتحمل فاروقا الى المنفى .. وما ان سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى انهم يتوقعون نسف المحروسة اثناء خروجها الى عرض البحر !!

وقبل ان افيق من دهشتى مضوا يقولون لى : ان مراكب الاسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء ــ الآن ــ وجميعها محملة بالذخائر ، وهم لا يستبعدون ان تطلق احدى قطع الاسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق الى المنفى !!

والواقع اننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا السلاح البحرى

المصرى ، فتنظيم الضباط الاحرار بالرغم من نجاحه فى تكوين تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضباط البحرية

وكان جمال عبد الناصر قبل الثورة باسبوعين ، قد سافر الى الاسكندرية فى اجازة ـ كما سبق ان قلت ـ فى مقال سابق ، وهى لم تكن اجازة للراحة ، بل سافر الى الاسكندرية خصيصا لكى يتصل بضباط البحرية ، ولكى يخلق صلة بين بعضهم وباقى القوات المسلحة تمهيدا للقيام بالثورة

وكانت مهمة صعبة الى حد كبير .. فجميع اخواننا الضباط الذين ارتبطوا بالتنظيم فى جميع اسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا فى الطيران او فى باقى الوحدات ، لاننا ـ جميعا ـ كنا زملاء فى كلية واحدة .. هى الكلية الحربية

واما بالنسبة لضباط البحرية فان كليتهم لم توجد الا بعد ان انتهينا من دراستنا وتخرجنا ، فلم نكن نعرف احدا من هؤلاء الضباط المعرفة التى تجعلنا نفاتحهم فى مثل هذه الامور !!

وكنت قد قلت من قبل أن ثورتنا هذه كان الاساس فى قيامها قائما على الصداقات وصلات الاخوة بين اعضاء التنظيم .. وقبل ان توجد الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، كانت الصداقات بيننا هى الدافع القوى والاول الى التفاهم والاتفاق على عمل واحد .. ثم تحديد اهداف واحدة

فقد كان مجرد الحديث عن هذه الاهداف بين الافراد جريمة كبرى وخيانة يعاقب صاحبها عقابا صارما

ومن اجل هذا كنا نحن ـ الاصدقاء ـ نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الاهداف دون ان نخشى افتضاح امرنا ، ومن اجل هذا ايضا ظل الضباط الاحرار يعدون

خطتهم ومشروعاتهم طوال عشر سنوات ، ولم يعرف احد سرهم !!

واعود بك الى موضوع البحرية فأقول ان جمالا ظل فى الاسكندرية اياما قليلة وهو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها .. وبينما هو فى محاولته اذ طلب اليه اعضاء الهيئة التأسيسية العودة فورا الى القاهرة .. لانه ـ كما قلت من قبل ـ قد وصل الى علمنا ان الملك ينوى البطش بالضباط الاحرار بعد ان عرف اشخاصهم !!

وترك جمال الاسكندرية قبل أن يتمكن من ايجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية

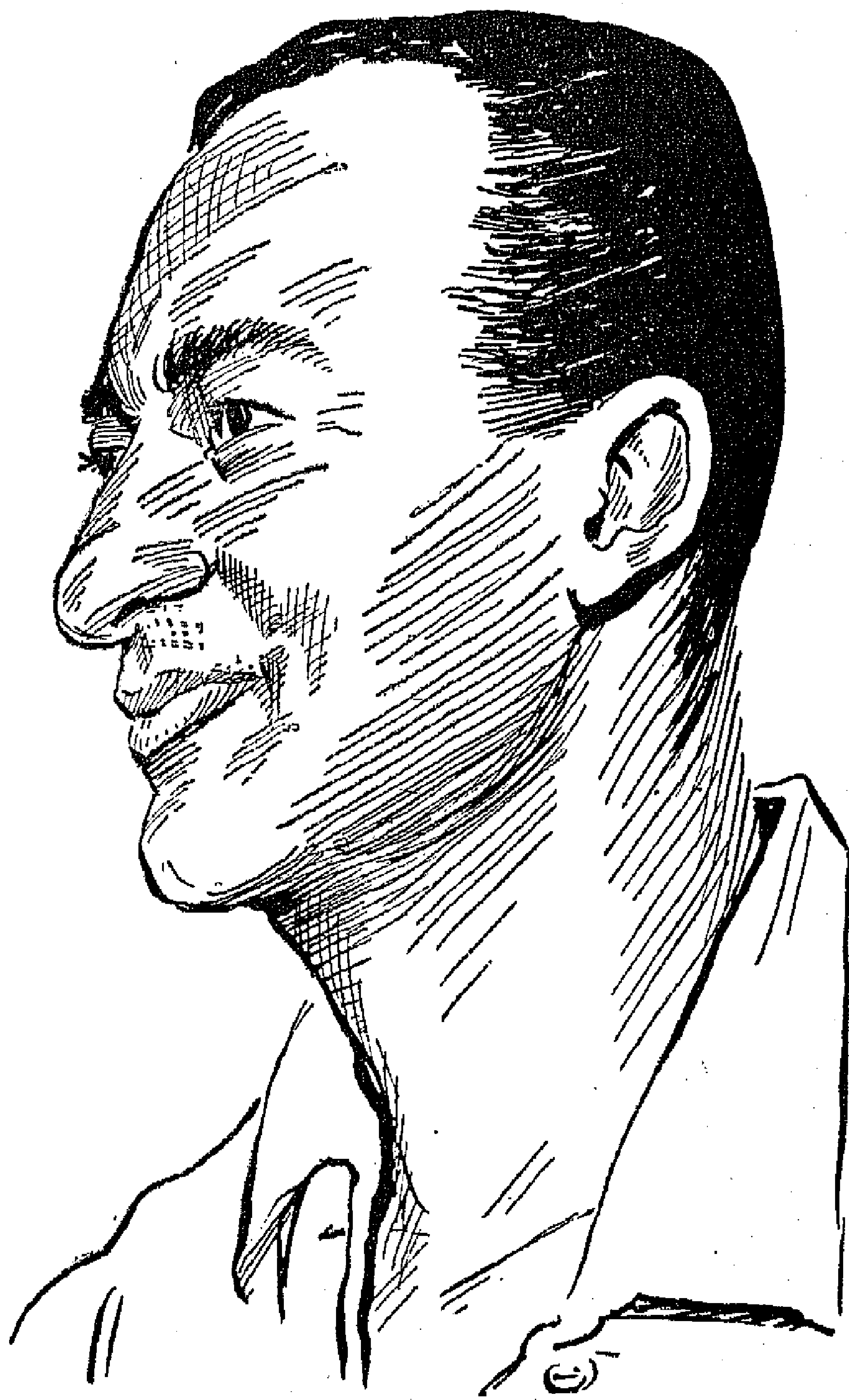
المفاجأة الثانيــــــة

تذكرت كل هذا وانا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع فى رئاستهم ، ولهذا كانت دهشتى كبيرة عندما قالوا لى ان مراكب الاسطول الراسية فى الميناء ربما اطلقت مدافعها على المحروسة وهى تحمل الملك المخلوع الى منفاه وتناقشنا طويلا حول هذه المشكلة ، وقلت لهم ان القيادة ارتبطت بوعــــد ، ولابد من أن ينفــــذ وعد القيـــادة ، لابد ان تخرج المحروسة سليمة الى عرض البحر بمن عليها

واستقر رأينا ـ كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع ـ ان نوزع انفسنا على مراكب الاسطول .. انا وقائد البحرية ورؤساء الفروع ، كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب اسطولنا فى الميناء ، على ان يكون كل واحد منا مسئولا عن منع ضباط البحرية من نسف المحروسة !!

وجاءوا باحد اللنشات ليحملنا الى مراكب الاسطول الراسية فى الميناء .. وبينما كنت متأهبا للنزول الى اللنش اذ دق جرس التليفون فى غرفة قائد البحرية ، وقالوا لى ان القيادة تطلبنى

كان زكريا محيى الدين ـ مدير العمليات ـ هو الذى



البكباشي زكريا محيي الدين

يتكلم .. قال لى انه نمى الى علمه أن ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب المحروسة بالمدافع الساحلية الضخمة اثناء سفرها بالملك المخلوع ، وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء !!

وطلب منى زكريا محيى الدين ان اتصل بهم واعمل الترتيب اللازم حتى ينفذ وعد القيادة !!

وكانت مفاجأة ثانية فى ذلك اليوم

فضباط الأسطول قد استطعنا ان نجد طريقة لمنعهم من نسف المحروسة . فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من اطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة ؟!

ولم اجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الاحرار فى مدفعية السواحل .. وشرحت للضابط الموقف ثم طلبت منه ان يتوجه بنفسه الى جميع مواقع المدفعية الساحلية لكى يشرح للضباط الوضع بالتفصيل ، ويقول لهم ان القيادة ارتبطت بكلمتها . ولابد ان يخرج الملك المخلوع سليما من البلاد

وانتظرت بجوار التليفون ، ولم يلبث مندوب الضباط الاحرار ان اتصل بى ليخبرنى ان كل شىء على ما يرام .. فقد استطاع اقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة !!

وبقى اقناع جلال علوبة بالسفر مع فاروق ، فهو كان قد رفض السفر عندما اخبرته بامر القيادة اثناء وجودى فى رئاسة البحرية ، لانه خاف ان لا يسمح له بالعودة الى مصر بعد توصيل فاروق لكنى اخذته الى القيادة وهناك اقنعناه بان عقليتنا لا يمكن ان تصل الى هذا الحد .. فهو مصرى ومكلف بمأمورية وبالرغم من صداقته لفاروق فنحن لا يمكن ان نمنعه من العودة الى بلده !!

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا الى مراكب الاسطول لنمنع ضباطه من نسف المحروسة !!

فاروق فى اللحظات الاخيرة

وكان من نصيبى الطراد « فاروق » وهو اكبر قطعة من اسطولنا

ومن العجيب انه كان يقف تجاه المحروسة تماما !!

ووقفت على ظهر الطراد وبدأت انظر الى رأس التين بالمنظار البحرى المكبر

واقتربت الساعة من السادسة .. وكنت لا ازال اتجه ببصرى نحو رأس التين . وكنت ارى اللنشات وهى تتجه الى المحروسة ثم تعود ثم تجىء اليها مرة ثانية ، وعلمت انهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعدادا للرحيل

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار المكبر فرايت علم فاروق فوق السارية امام رأس التين وقد انزل .. ثم رأيتهم .. رأيت فاروقا ومن حوله المودعون من نساء ورجال ، ولم أميزهم جيدا بالمنظار ، وان كنت عرفت فيما بعد انه كان من بين هؤلاء المودعين على ماهر والسفير الامريكى وشقيقته فوزية

فاروق يشتم الصحفيين

وظللت فى مكانى فوق الطراد « فاروق » احملق فى المنظار المكبر واشهد امامى نهاية ملك .. بل نهاية نظام

ورأيت فاروقا بجسمه الضخم يســـتقل اللنش الى المحروسة ، وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللنش . وخيل الى انه يريد أن يبدو شجاعا فى لحظاته الأخيرة ، وهو يغادر أرض الثورة

وكانت اللنشات تروح وتجيء فى الميناء منذ الصباح حتى ساعة الرحيل ، وتقترب تلك اللنشات من راس التين ثم تدور حول المحروسة .. فكل الناس يريدون مشاهدة الفصل الاخير من رواية فاروق الاول .. بعد ان شهدوا كل فصول الرواية وضاقوا بها

وكانت ناريمان وبنات فاروق قد وصلن الى المحروسة قبل الساعة السادسة

وقبل ان يمر اللنش الذى يحمل الملك المخلوع امام الطراد الذى كنت فوقه سمعت طلقات رصاص .. وبحلقت فى المنظار وقد انتابنى شعور بالفزع .. خيل الى ان احدا اطلق الرصاص على فاروق .. وبهذا تكون القيادة قد اخلفت وعدها

ثم عرفت ـ فى الحال ـ أن أحد اللنشات اقترب من « لنش » الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا صورا لفاروق ساعة رحيله عن مصر .. وما كاد فاروق يراهم وهم يقتربون منه حتى « تهيج » وصرخ بصوت عال وسبهم بشتائم مقذعة ، فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا فى « لنش » يسير بهم محاذيا للنش فاروق الا ان اطلقوا النار للارهاب .. وانطلق لنش الصحفيين بعيدا

ووصل فاروق الى المحروسة ، ورأيته يصعد درجات السلم ثم يقف بعد ذلك فى الممشى فوق ظهر اليخت ، وكأنه ينتظر وصول أحد

وبعد فترة قصيرة جدا جاء لنش آخر يحمل نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى .. وكان من المفروض ان يودعوا فاروقا من « مرسى » سراى رأس التين قبل رحيله لكنهم تأخروا .. واقتربت الساعة من السادسة ، فاستقل فاروق اللنش على الفور كما ينص الانذار الذى تلقاه

وجاء محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى الى

المحروسة لتوديعه ، ورأيتهم يقفون مع فاروق ، وظللت ابحلق فيهم بمنظارى لكنى لم اكن اسمع حديثهم .. ثم ما لبثوا ان غادروا المحروسة

كان امر القيادة يقضى بأن يؤدى الطراد « فاروق » آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقهـــا الى المنفى ، وطلبت من قائد الطراد ان يؤدى تلك التحية . فبدأت المدافع تنطلق .. واطلقوا واحدا وعشرين مدفعا ، وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب الى الخلف لكى تغادر « البوغاز » ثم تمضى بعد ذلك بعيدا عن ارض الثورة

نمت على باب القيادة

وظللت اتابع « المحروسة » بالمنظار الى ان غابت عن عينى وهنا تلفت حولى لاجد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية .. وفى هذه اللحظة فقط وبعد ان انتهت « العميلة » شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى . وترنحت وكدت اسقط فوق ظهر الطراد .. فمنذ ٢٣ يوليو حتى ذلك المساء لم انم ولم استرح . ولم اطمئن

وكنت قبل رحيل المحروسة لا اشعر بتعب ولا بارهاق . وفجأة اصبحت لا استطيع جر قدمى ، حتى عندما اردت مغادرة الطراد لاعود الى القيادة فى مصطفى باشا لم استطع النزول من فوق السلم .. فامسك بى ضباط الطراد وساعدونى حتى وصلت الى اللنش

ووصلت الى مصطفى باشا ، وكنت لا ازال اترنح .. ثم دخلت من باب القيادة اجر قدمى جرا كأنى مصاب بعشرات اللكمات والضربات ، ورأيت الى جوار الباب حجرة الضابط النوبتجى .. ولم يكن فيها احد .. وبلا تفكير اتجهت اليها ، وبحذائى وبثيابى المبللة بالعرق والتراب تمددت فوق الارض لاستغرق فى نوم لم اذق اعمق منه ابدا

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صباح اليوم التالى . ووجدت نفسى اغادر القيادة فى مصطفى باشا واتوجه الى محل البان كنت اتردد عليه في وقت ما اثناء هربى من البوليس . وتناولت طعام الافطار ثم عدت الى القيـــادة . وعلمت ان جمال عبد الناصر اتصل بنا فى المساء وطلب منا ان نعوداليوم الى القاهرة

وقد توجهت مع اللواء محمـــد نجيب الى مستشفى الحرس ، حيث زرنا الجنود السبعة الذين اصيبوا فىمعركة راس التين .. وصرفنا لهم مكافآت

واثناء وجودنا فى المستشفى جاء اللواء عبد الله النجومى وكان معينا من قبل القيادة لتصفيةالسرايات الملكيةوتسليمها للحكومة

وخيل الى أن النجومى فى ورطة .. وفعلا بدأ يتحدث عن ورطته.. قال انه يوجد فى سراى المنتزه واحدة وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كن يعملن وصيفات ، وسألنا النجومى ماذا يصنع بهن الآن ؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى ان الحيوانات والغزلان والطيور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام

وطلب النجومى منا ان نحل المشكلتين ، وحللنا مشكلة البنات الوصيفات باخراجهن من البلاد . فترحل كل واحدة الى بلدها

اما مشكلة الحيواناتوالغزلان فقد حلت بانقلنا للنجومى انها ــ اى الحيوانات ــ يمكن ان تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به .. الى ان تتسلمها الحكومة

وعدنا الى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر الى القاهرة وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجأة اخرى ..

أول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة في القيادة بمصطفى باشا .. وقد استبدت بنا الدهشة عندما دخل رشاد مهنا علينا في ذلك اليوم بعد رحيل فاروق !

وكنا ـ أو كنت أنا بالذات ـ لا أتوقع تلك المفاجأة اطلاقا ..

ماذا يريد هذا الرجل ؟.. وما الذى جاء به أيضا فى الاسكندرية ؟

لا أحد كان يدرى .. فذلك الرجل لم يفهمه أحد تماما، ولم يعرف أصدقاؤه ، أو أعداؤه أهدافه الحقيقية ..

هل يريد أن يثير زوبعة هنا .. مثل تلك التى أثارها في مبنى القيادة بكوبرى القبة ..!؟ عندما جاء من العريش بدون اذن الى القاهرة ، وكان ضباط المدفعية لا يعلمون موقفه من الثورة ، ورفضه الاشتراك فى العملية عندما بدأت ، بل بعد أن نجحت صباح ٢٣ يوليو ، ظل يرفض التعاون .. ثم فوجىء بأننا نجحنا نهائيا وأصبحنا فعلا نسيطر على الجيش وعلى البلد .. فأسرع الى القاهرة وهو مذهول لايكاد يصدق أن الثورة نجحت بدونه !

ويومها ـ كما قلت ـ ظنه ضباط المدفعية أحد أقطاب الثورة فأحاطوا به هاتفين ، ثم جاءوا به فى موكب هائل الى القيادة في كوبرى القبة ، ولم نستطع أن نفسر لضباط المدفعية موقف رشاد مهنا . لم نقل لهم ان هذا الرجل ليس من الثوار ، ليس واحدا منكم ، فالمسألة لم تكن تحتمل ، فقد

كان من الحماقة اثارة خلافات في يوم الثورة الاول ..

تذكرت كل هذا وأنا أبحلق فى وجه رشاد مهنا عندما جاء الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، ووقف فى الحجرة تائها مضطربا

لقد شعرت عندما رأيته في ذلك اليوم أن المتاعب فى طريقها الينا ان لم تكن قد جاءت فعلا !

ولم أتمالك مشاعرى ، كان لابد أن أحدد موقفى على الفور من ذلك الرجل ، الذى لم يحدد اطلاقا أهدافه أو معتقداته ، ولا يستطيع انسان أن يعتمد عليه

وزاد فى احساسى بالريبة منه ذلك الاضطراب البادى عليه

كانت عيناه تتدحرجان فى جميع الاتجاهات وهو يتحدث الينا

لقد علم أن العرش قد سقط ، ولم يشترك هو فى عملية اسقاطه . وعرف انه قد أصبح فى مصر مئات الابطال وقادة فتح لهم التاريخ كل أبوابه وهو ليس واحدا منهم ، فمكانه سيكون خلف تلك الابواب

وهاهو الآن أمامى فى تلك الحجرة بقيادة مصطفى باشا ، انى أراه جيدا فى تلك الصورة .. الانسان الذى لم يعرف طريقه ، وبالرغم من جهله بالطريق فهو يريد أن يصل سريعا ، وبأى ثمن !

وظللت أتأمل فى رشاد مهنا وهو فى جلسته المضطربة أمامى فى مصطفى باشا ..

وكما قلت لم أتمالك مشاعرى فاقتربت منه ثم أخذته من ذراعه الى ركن فى الحجرة .. وسألته :

ـ ايه يا رشاد .. مالك ..؟!

ونظر الى فى اضطراب أكثر .. فسألته فى هذه المرة بلهجة جافة الى حد ما .. قلت له :

ـ عايز ايه يارشاد •• قول ايه اللى انت عايزه••مالك كده •• مضطرب ليه ••!؟

وفوجئت به يبكى ••

ثم قال لى وهو لايزال يبكى :

ـ أنا مش عايز حاجة •• أنا جاى أبارك على الخطوات الموفقة دى ••

رشاد يطلب اخراجى مع جمال سالم

وقد تكلم رشاد مهنا يومها بصوت مهزوز ، وكان طوال حديثه زائغ البصر ••

ثم انشغلنا عنه بأمورنا •• وتركناه فى الحجرة تائها كما هو ومن حوله أربعة جدران ••

ولم أكن أدرى يومها أن حديثى الصريح معه سوف يفهمه على أساس أنى عدو له حتى كان ذلك اليوم الذى ذهب فيه جمال عبد الناصر الى رشاد مهنا ، وكان رشاد وقتها قد أقيل من منصبه كوصى للعرش وأراد جمال كعادته دائما مع كل من تربطه بهم صلة ما •• صداقة كانت أم زمالة أو حتى مجرد تعارف عابر •• أقول أراد جمال أن يمد يده لرجل يعرفه ، لا لأنه صاحب نفوذ فهو كان قد أصبح لاشىء ••ولا لأنه فى حاجة اليه ، بل لأنه قد عرفه فى فترة ما••

أراد جمال أن يمد يده لرشاد مهنا بعد خروجه من وصاية العرش فذهب اليه وقال له ان من الممكن الاستفادة بخدماته لهذا فهو يعرض عليه أن يكون سفيرا لمصر فى أية دولة يختارها ، وظن رشاد مهنا فى تلك اللحظة أن جمال عبد الناصر قد جاء اليه تائبا •• وأنه ـ أى جمال ـ فى حاجة شديدة الى معونته ، وأن الثورة لم يعد يمكنها السير بدونه •• فقال لجمال ان له شرطا أساسيا لقبول التعاون من جديد •• وهو أن يخرج جمال سالم وأنور السادات من القيادة ••

واضطر جمال عبد الناصر أمام هذه المفاجأة أن يوضح لرشاد مهنا في هدوء المسألة كلها .. فقال له انه لم يأت اليه لانه في حاجة الى التعاون معه ، بل لكى يساعده

وتكلم جمال معه بصراحة .. فاستعرض أمامه مواقفه من الثورة قبل قيامها وبعد أن قامت ، ثم بعد أن أصبح وزيرا ثم وصيا على العرش .. وخرج جمال من هذا كله بنتيجة واحدة أعلنها في هدوء أمام رشاد مهنا .. وهو ان الوضع بالنسبة له أى - رشاد - هو انه خرج على الثورة، أما بالنسبة للاثنين اللذين طلب ابعادهما عن القيادة فهو العكس تماما ..

ورفض رشاد بعد أن سمع رد جمال عبد الناصر .. أقول رفض الوظيفة

هذا ما عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد فاروق، عندما فاجأنا بوجوده في مصطفى باشا

ولنترك حديث رشاد مهنا ، فرشاد سوف نلتقى به كثيرا في قصة ثورتنا ..

وأعود الى الموضوع ..

كان علينا بعد أن رحل فاروق عن البلاد أن نعود فورا الى القاهرة ، بعد أن استدعانا جمال ليلة ٢٦ يوليو

وفى اليوم التالى - ٢٧ يوليو - كنا في القاهرة، وانعقد في نفس اليوم أول اجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار بعد قيام الثورة ، والاجتماع كان يرأسه جمال عبد الناصر ، وكان جمال قد انتخب مرتين رئيسا للهيئة بالاجماع كما سبق أن قلت في مقال سابق ..

ولم يحضر اللواء نجيب هذا الاجتماع لأنه لم يكن عضوا في الهيئة

وعندما بدأ اجتماع الهيئة كان اللواء نجيب في مكتبه ، ثم جاء الينا ، وعندما رآنا مجتمعين عاد ثانية الى مكتبه ..

استقالة جمال عبد الناصر

وفى هذا الاجتماع الاول للهيئة التأسيسية بعد الثورة وقف جمال عبد الناصر وتكلم فقال انه يقدم استقالته من رئاسة الهيئة بعد أن انتهت أول مرحلة من كفاح الضباط الاحرار ، ثم توجت بالنصر ساعة أن طرد الملك .. ومضى جمال يقول : انه رأى حتما عليه أن يستقيل بعد انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكى يعطى فرصة لاعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الاحداث القادمة

وانتهى جمال من حديثه بأن أصر على تقديم الاستقالة..

وقد رفضت استقالة جمال بالاجماع ، وطلب اليه الاعضاء أن يستمر فى عمله كرئيس للهيئة ، لكنه أصر على الاستقالة اصرارا تاما ..

واضطررنا الى اجراء انتخاب جديد ، وتمت عملية الانتخاب فى اقتراع سرى ـ كالعادة ـ ففاز جمال بالاجماع

موقف خالد محيى الدين

وبعد أن تمت عمليه الانتخاب وبقى جمال رئيسا للهيئة، وقف خالد محيى الدين وطلب الكلمة..وتكلم فشرح موقفه

قال خالد انه يطلب من زملائه تنحيته عن عضوية الهيئة التأسيسية لانه يدين بمبدأ معين ، ولهذا فهو يخشى لو بقى فى الهيئة التأسيسية أن يصطدم معنا من أجل المبدأ الذى يدين به ..

ومضى خالد يقول انه رأى منعا لأى خـــلاف أن يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى ، فيسافر الى الخارج

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين خالد، وكانت مناقشة عاطفيـــة للغاية ، ثم انتهت برفض انسحاب خالد محيى الدين من الهيئة .. أى استمرار لتعاون معه ..

اجتماعات فى الليل والنهار ..

وبعـد ذلك توالت اجتماعات الهيئـة التأسيسية ، كنا

نجتمع بصفة مستمرة ، فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من أخطر اجتماعاتنا .. فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التى لا مفر منها بعد أن أصبحنا نحن على المسرح ، بعد أن خرجنا من تحت الارض ومن نطاق الاجتماعات السرية ، والكفاح فى الخفاء ، الى الكفاح فى العلن مع الشعب جنبا الى جنب .. وبلا فاروق ..

والعالم كله كان لا يدرى شيئا عن أهدافنا بالتحديد.. والشعب أيضا ..

لم يكن أحد يعرف ماذا بعد فاروق ..

هل يبقى النظام كما هو ، وتظل مصر تحكم بتاج أسرة محمد على ، وصاحب الجلالة أحمد فؤاد الثانى — الطفل — كان على عرش البلاد !؟

بل لم يكن أحد فى مصر أو فى خارج مصر يعرف من نحن ..!؟

وهذا الذى حدث قد تم على أيدى من .!؟

عرف الناس — فقط — فى مصر وفى خارج مصر أن اللواء نجيب هو قائد عام القوات المسلحة ، وانه هو الذى سيصنع المستقبل ، لانه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو !

وكنا نحن لانريد على الاطلاق أن يعرف أحد فى مصر أو فى خارج مصر شيئا عن جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم أو أى واحد منا .. لاننا قررنا أن نفنى جميعا فى شخص اللواء نجيب القائد والزعيم

وأردنا أن يرسخ فى أذهان الشعب وفى أذهان كل العالم أن نجيب هو صانع كل تلك الاحداث فى شهر يوليو !

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس ..ولماذا اتخذتم هذا القرار!؟

مادمتم قد حققتم أخطر مرحلة فى كفاحكم ، وطرد صاحب العرش عدوالملايين،فلماذا لم تخرجوا الىالشعب بأشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق رأسه مثلما حمل اللواء نجيب !؟

وأقول لهذا البعض اننا لم نكن نريد حكما ٠٠ لم نكن نريد أن نكون أعضاء فى حكومة مصر ، أو ساسة ضمن ساسة البلاد ٠٠بل كانت كل أهدافنا هى تغيير نظامالحكم ٠٠ ولا يعنينا أن يحملنا الشعب على رأسه أم لا ، بل الذى يعنينا هو أن يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده !

أما الزعامة والمجد والنفوذ والسلطان فانها لم تكن من أهدافنا ، ومنذ اللحظة الاولى حددنا لأنفسنا الطريق ، فاللواء نجيب هو القائد والزعيم ٠٠ وهو كل شىء !

ونحن - كما سبقأنقلت - لسنا سوى جنود فىالثورة نحميها ونمهد أمامها الطريق لكى يصل الشعب الى الحرية والعدالة الاجتماعية وباختصار لكى يحكمالشعب فىالنهاية نفسه بنفسه !

ذلك كان موقفنا بعد طرد فاروق فىذلك اليوم من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ٠٠

وكان علينا أن نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر فى مراحل الكفاح القادمة ، وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية كنا نتناقش لا حول الاهداف فالاهداف مقررة ولا سبيل الى تغييرها ، بل حول وسائل تحقيقها ٠٠ بعد أن أصبحنا نكافح جنبا الى جنب فى العلن مع الشعب فى سبيل أعظم هدف وأخطره بالنسبة لحياة ملايينالمصريين ٠٠ فى سبيل القضاء على المستعمر !

فهو - أى المستعمر - باق لم يطرد معفاروق ٠٠والمعركة القادمة ستكون حتما معه ٠٠ فليس هناك فى طريقالحرية والعدالة والديمقراطية أمام الشعب سواه ويجب أن يزول ٠٠!!

وكان الاستعمار فى تلك الايامالتاريخية من شهر يوليو

قد فوجىء باللطمة التى أصابته عندما طرد فاروق ..
وانى أذكر أول معركة كانت بيننا وبين ذلك المستعمر .. أذكر اليوم الذى طرد فيه فاروق وكيف جاء الينا سفير بريطانيا بالنيابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا .. قبل أن نعود الى القاهرة

كيف بدأت المعركة وكيف انتهت ..

دخل علينا القائم بأعمال السفارة في مصطفى باشا وكنا مجتمعين ، وكانت فى يده مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة.. وبدأ يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل أحداث يوليو ..

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى « المذكرة » سالفة الذكر ان لديه طلبات !

ثم مضى يقرأ « المذكرة » محددا تلك الطلبات وكانت :

أولا : أن يعلن حظر التجول فى أنحاء مصر خوفا على أرواح الاجانب لانه يخشى — على حد قوله — أن يفقد الشعب السيطرة على مشاعره من شدة الفرح فيعتدى — أى الشعب على المحلات والمؤسسات !

ثانيا : أن لاتحدث أية ثغرة فى نظام الحكم بعد خروج فاروق من البلاد ، فيعين مجلس وصاية على وجه السرعة..

ثالثا : أن تحفظ حقوق أسرة محمد على، وبالتالى حماية النظام الملكى فى البلاد !

وما كاد ينتهى من قراءة مذكرته حتى فوجىء بجمال سالم وبى — ونحن نتحداه ونسخر من طلباته ..

قلنا له ما دخل بريطانيا فى مثل هذه الامور ، وهى أمور داخلية بحتة تخص الشعب المصرى لا الانجليزى ، وقلنا له انه ليس لبريطانيا أولغيرها أن تتدخل فى مثل هذه المسائل لان هذا الزمن الذى كان لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات قد انتهى ساعة أن تحركت

« المحروسة » حاملة فاروقا الى منفاه ..

وكانت فرصة لنا لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ عن الموقف فى مصر بعد فاروق ..!

وبعد أن ألقينا على نائب السفير الانجليزى ذلك الدرس رأيناه يتراجع بسرعة عن موقفه ، وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه ابتسامة وديعة :

ـ أرجو أن تعتبروا زيارتى هذه ودية وهى زيارة للصداقة وللنصح لاغير .!

وطلب ـ رسميا ـ أن لا نعتبر أن هناك طلبات من بريطانيا، وأن حكومته لم تكلفه بهذه الزيارة على الاطلاق ، وهو قد فعل ما فعل كصديق !

وقاطعناه قائلين :

ـ ولكنك كنت تقرأ من مذكرة فى يدك .. فما هى الحكاية !؟

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبات .. وقال وهو يحاول تفسير موقفه : انه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لكى يتذكر ما سوف ينصحنا به كصديق

ولم يتركنا نائب السفير يومها الا بعد أن أكد لنا أكثر من مرة انه ما جاء الا كصديق ، وان المسألة ليست تبليغا رسميا من بريطانيا .. وقال انه يسحب كل ما قاله لنا وطلب منا أن ننسى ما حدث .. ثم خرج !

تلك كانت أول معركة بيننا وبين بريطانيا ، وحدثت يوم طرد الملك ..

وكانت زيارة القائم بأعمال السفارة ـ فى ذلك اليوم ـ قد سبقتها زيارات أخرى ومواكب أخرى عجيبة وكانت كلها مواكب نفاق .. بعد أن عرف الساسة الباشوات ان فاروقا قد رحل عن البلاد

الثورة وزعماء الأحزاب

الموقف السياسي بعد طرد فاروق

ماذا كان عليه الموقف السياسى بالتحديد ، بعد رحيل فاروق !؟ هذا هو السؤال ...

انها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى

فى اليوم الاول للثورة ــ ٢٣ يوليو ــ وبعد أن سرت الفرحة فوق هذه الارض ، ماذا فعل الساسة الباشوات !؟

هل فرحوا ... وأيدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو !؟

كان الموقف واضحا .. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب ، والجيش يفرض ارادته على ملك البلاد .. ثم الجيش يطلب عزل ذلك الملك . ! فهل وقفوا بجوار قيادة الجيش صانعة أحداث يوليو التاريخية ! ؟

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد ، كانوا يطالبون بالاستقلال التام أو الموت الزؤام ، وينادون بالحرية والعدالة والديمقراطية ، كلما أرادوا حكم الشعب .. ! ؟

الوفد والسعديون والدستوريون والاخوان .. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد ، هل أيدت موقف الجيش من الملك فى أيام ٢٣ و٢٤ و٢٥ يوليو ، مثلما أيد الشعب ذلك الموقف !؟

أم أنهم كانوا لا يمثلون الشعب فموقفهم ــ اذن ــ يصبح مختلفا تماما عن موقفه ! ؟

لقد كانت أحداث تلك الايام من يوليو تشير بوضوح الى أن الضربات بدأت توجه لاعداء الشعب ... لتصرعهم !

كان فرض ارادة الشعب على أسرة محمد على عملا ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا ... فلماذا لم يقف زعماء البلاد الى جوار قيادة الجيش فى اللحظات الأولى للمعركة ، وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم ! ؟

هل كانوا يتوقعون أن يفشل الجيش فى طرد الملك ، وفى هذه الحالة يصبح موقفهم اذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من أسرة محمد على ! ؟

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا ، والشعب كان يؤيدنا منذ الدقيقة الاولى .. أقول ماذا كان عليهم - وهم الزعماء الغيورون على مصالح الشعب - لو وقفوا وأيدوا الخطوة الاولى ، ولا أقول باقى الخطوات .!؟

انى أقولها ويقولها التاريخ نفسه أن الزعماء جميعا كانوا يستهدفون فى تلك الايام مصالحهم فقط ومصالح أحزابهم .

ففى صباح ٢٣ يوليو لم يؤيدوا الجيش لأن فى ذلك التأييد خطرا على تلك المصالح وذلك فى حالة فشل الجيش !

أما نجاح الثورة فذلك شىء لم يتوقعوه .. أما عزل الملك فذلك شىء لم يؤمنوا بأنه سيحدث .. !

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم ، لم نسمع لهم صوتا ، ولم نر وجها واحدا من وجوههم الكريمة . !

كنا وحدنا فى المعركة ومعنا الشعب ... أما هم دعاة الديمقراطية والدستور والحريات فقد كانوا يأملون أن يفشل الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه .. فلا يحرمون من مقاعد الحكم ومغانم السلطان . !

حتى ذلك الرجل حسن الهضيبى وأتباعه ورثة كتاب الله فى هذا الزمان ، لم يؤيدوا قيادة الجيش فى أيام الثورة الأولى .. لم نر وجه الهضيبى وهو الداعية الذى طالب بالحريات والديمقراطية ! !

فأين كان .. !؟

أين كان وأتباعه وهم الذين زعموا فيما بعد انهم صانعو الثورة !!

ثم فجـأة وعندما عـرفوا أن الثـورة نجحت وأن العرش قد سقط من فوق رأس مولاهم جاءوا الينا مهنئين .. وهم الذين اختفوا عن أنظارنا قبل رحيل الملك المخلوع ..

بل ان رجال حزب الاغلبية ، الحزب الذى يدعى أصحابه تمثيل الشعب ، أقول أن هؤلاء الرجال ذهب بعضهم يوم ٢٤ يوليو ـ والشعب والجيش فى عنفـوان معركتهمـا ضد صاحب الجلالة ـ وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات ، فى سراى رأس التين ، رافعين الى الاعتاب السامية فروض الولاء والطاعة ، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش تستعد للتحرك الى الاسكندرية لتطرد ذلك الملك !!

ان اسم الفاضل صلاح الدين وزير خارجيـة الوفد لا يزال فى دفتر التشريفات يشهد على صدق ما نقول !؟

وجاءوا للسيد الجديد

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء .. كنا نتوقع أن يجىء الينا بعضهم ليعلنوا عن تأييدهم لما حدث .. لكن يبدو أننا كنا نحسن الظن بهؤلاء القادة ، فهم الذين صانعوا القصر والمستعمر طوال أعوام حكمهم ، وهم الذين فرضوا طغيان فاروق فرضا على الملايين العارية الجائعة المريضة !

وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصـور كسادة يرفلون فى الحرير والنعيم ، ولتذهب المثل والقيم وكل المبادىء الى الجحيم ! ..

وبعد أن زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينا فى مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفى كوبرى القبة بالقاهرة

وقد بدأت طلائع تلك المواكب تظهر على أبواب القيادة بعد ان عرفوا أن فاروقا قد انتهى ! ..

ان الفاضل صلاح الدين الذى رفع آيات الولاء والطاعة

الملك باسم الوفد يوم ــ ٢٣ يوليو ــ أى بعد الثورة ؛ جاء بعد رحيل فاروق ليهنئنا ويبارك ما حدث على أيدينا

والهضيبى وصلاح الدين والزعماء الافاضل من الأغلبية والأقلية .. وكل القطيع السياسى تزاحم على أبواب القيادة يقدم فروض الولاء للسيد الجديد ! ..

نفس الموقف .. فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على أبواب القصر معلنين عن الولاء والخضوع والطاعة ، واليوم يجيئون الى أبواب القيادة بعد أن رحل صاحب القصر ، وقد ظنوا أننا مثل سيدهم الذى ذهب ! ..

ظنوا أننا ستدور بنا الرؤوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع مقاعد الحكم بين أيديهم ببساطة ونحن راضون ! ..

ظنوا أننا ستدور بنا الرؤوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع لا يمكن أن تخرج عن هذا ..

ذهب سيد وجاء سيد ، تلك كانت معتقداتهم وآمالهم !

لقد كنا ونحن نستقبلهم فى القيادة لا نستطيع اخفاء اسفنا ، كنا نكاد نختنق من الضيق ، وهم أمامنا يبتسمون فى خضوع ومباركين ومهنئين ومؤيدين ! ..

وكلما جاء الينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت الى بعضنا ، ولا نملك الا أن نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة !

كانت المسألة رياء فى رياء ... وليس لها أصل من الحقيقة ! ..

تجيب يبدى دهشته ..

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية ، بل جلاديها .. فحديثهم سيجىء كثيرا فى قصتنا .. وأعود الى الموضوع

قلت أمس أن الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع لها بعد الثورة وبعد رحيل فاروق واستقال جمال عبد الناصر من رياسة الهيئة فى ذلك الاجتماع ، ثم أجريت

انتخابات جديدة ففاز جمال بالاجماع للمرة الثالثة .. ثم توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة فى الليل وفى النهار، فقد كان علينا أن نعد عدتنا للمعارك القادمة بعد أن أصبح كفاحنا فى العلن جنبا الى جنب مع الشعب

ولم يحضر اللواء نجيب تلك الاجتماعات فهو لم يكن عضوا فى الهيئة التأسيسية فكان يظل جالسا فى مكتبه حتى ننتهى من أعمالنا ، فيجىء يجلس معنا ، ونحيط به كأنه أب لنا ؛ فكان لا يترك مناسبة دون أن يعبر لنا عن عجبه من موقفنا ..

كان يقول لنا أن كل شىء قد تم بمجهودنا ، وبالرغم من هذا فنحن ننسب كل شىء له وحده ، وهو لم يصنع شيئا على الاطلاق .. وكان يبدى لنا خجله من هذا الموقف ، فكنا ننكر فى شدة أننا صنعنا شيئا ، كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه .. وفعلا كان موقفه يزيد من ثقتنا فيه ، الى حد أن عبد اللطيف بغدادى قال ذات مرة — كما قلت من قبل — أن هـــذا الرجل — أى نجيب — أصبحت أحبه مثل والدى .. وربما أكثر ! ..

جمال يتنازل
عن الرئاسة لنجيب ! ..

وفى تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل .. واللواء نجيب كان يجلس فى مكتبــه يستقبل الصحفيين المصريين والاجانب . ثم عندما يعلم اننا لسنـــا مجتمعين يترك مكتبه ويجىء ليجلس معنا

واستمر الوضع على هذا الحال حتى منتصف اغسطس وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقــدت يوم ١٧ اغسطس ، فوجئنا بجمال عبد الناصر — رئيس الهيئة —

يتقدم بطلب يقول فيه انه يتنازل عن رئاسة الهيئة للواء محمد نجيب !!

وقبل أن نفيق من دهشتنا مضى جمال يقول :

ـ ان الوضع أصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب ، فهو لا يحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح ان نضمه كعضو فى الهيئة ، بل انى متنازل له عن الرئاسة !

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع ، ثم تقدم جمال عبد الناصر باقتراح بضم أربعة آخرين الى الهيئة التأسيسية مع نجيب ، على أن يكون نجيب رئيسا بالنسبة لرتبته ، لانه لا يعقل أن يجلس معنا كعضو عادى ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة . وبعد أن فرضناه أيضا قائدا عاما للقوات المسلحة !!

اقتراح من جمال سالم

وفى نفس الوقت تقدم جمال سالم باقتراح ثان وقال فيه انه يرى أن يكون أعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط ، او ثلاثة ، على أن يعود باقى الاعضاء الى وحداتهم فى الجيش، ويبقى الثلاثة أو الخمسة لقيادة الثورة !

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة ، ثم انتهت بأن وافقت الهيئة على اقتراح جمال عبد الناصر ، فدخل محمد نجيب ـ لاول مرة ـ الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ومعه أربعة هم : يوسف صديق ، وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين . .

ومضينا نستعد للاحداث القادمة . .

والى الحلقة التالية

موقف حزب الوفد من الثورة

اصبح اللواء نجيب معنا فى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ولم يكن عضوا من قبل ولم يكن يحضر اجتماعات الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها . .

فكنا كلما اجتمعنا بعد طرد فاروق كان يجلس فى مكتبه حتى ننتهى من الاجتماع ، فيجىء الينا لنحيط به وعواطفنا كلها معه ، لم نشك فى ايمانه بالثورة ، فأعطيناه كل ثقتنا وعتبرناه كأب لنا . . فهو كان فى كل لحظة يجلس معنا يتحدث فى خجل عن انكارنا لاشخاصنا ، فيقول أن كل شىء قد تم بمجهودنا نحن وهو لم يصنع شيئا ، وبالرغم من هذا فهو يعجب لاننا ننسب كل شىء له ، ونقول للشعب وللعالم انه هو قائد الثورة ، وهو صانع كل شىء . .!

وهكذا تبادلنا الثقة فى أيام مابعد فاروق . !

وكما قلت أول أمس فاجأنا جمال عبد الناصر فى جلسة الهيئة التى انعقدت فى ١٧ اغسطس ١٩٥٢ بتنازله عن الرئاسة للواء نجيب ، وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل : ان الوضع اصبح حرجا للغاية ، فاللواء نجيب قد قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة ، وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة ... وفى نفس الوقت هو لا يحضر اجتماعاتنا ، وهذا ما لا يصح ان يدوم

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح جمال ، واصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال رئيسا لها منذ انشئت ، وانتخب ثلاث مرات

قبل الثورة وبعدها بالاجماع ليرأسها
ودخل أربعة آخرون مع نجيب أعضاء فى الهيئة هم : زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ويوسف صديق وعبد المنعم أمين
ومضينا كما قلت اول امس ، نستعد لمواجهة الاحداث القادمة .. نجيب رئيسا للهيئة وجمال وكيلا لها ..
وقبل أن أمضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك ، أرد أن أذيع على الراى العام فى مصر وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى الكتمان منذ قامت الثورة ..
وهى سر اختيار رشـــاد مهنا وصيا للعرش .. فقد أوضحت فى الحلقات السابقة موقف رشاد مهنا أولا بأول من الثورة ..
وكان آخر موقف له سردته هنا هو قصة مجيئه الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، وحيرته الشديدة واضطرابه عندما دخل علينا فى القيادة هناك ! وسألته يومها عن سر اضطرابه وحيرته .. فبكى وقال انه جاء ليبارك الخطوات الموفقة للثورة . !
وقد عاد رشاد الى القاهرة معنا فى نفس الطائرة يوم ٢٧ يوليو — ولم يكن أعضاء القيادة يتوقعون أن يقرر جمال عبد الناصر حسم الموقف بالنسبة لرشاد مهنا منعا للخلافات وبطريقة تحقق آمال ومطامع رشاد نفسه ..
فقد كان ضباط المدفعية وغيرهم من الضباط لا يعلمون حقيقة موقف رشاد من الثورة كما قلت من قبل ولم يعرفوا أنه رفض الاشتراك فى العملية ورفض ان يتعاون على الاطلاق واعتقدوا عندما جاء من العريش بدون اذن ، أقول اعتقدوا ان رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها . !!
والموقف لم يكن يحتمل تفسيرا .. فربما حدثت بلبلة ونبتت خلافات والثورة فى أيامها الاولى
فلم نقل للضباط الحقيقة ، وظل رشاد صامتا أيضا ..

وعلى هذا ظل الاعتقاد ـ بأن رشاد مهنا قطب من أقطاب الثورة ـ سائدا بين ضباط المدفعية وغيرهم



وامام هذا الموقف شعر جمال عبد الناصر أن رشاد مهنا يريد شيئا ما ..

وعرف جمال الشيء الذى يريده رشاد

واراد جمال أن يعطيه ذلك الشيء حتى لا تحدث خلافات او انقسامات نتيجة للفهم الخاطىء لموقف رشاد مهنا ..

ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة .. رشاد طوال حياته هكذا يجرى خلف المظاهر ويتشبث بها ، ولا يعنيه شيء على الاطلاق سوى عشقه للمظاهر

ودون أن نعلم توجه جمال عبد الناصر الى على ماهر وكان رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت . وقال له ان القيادة تريد أن يكون هناك من يمثلها فى مجلس الوصاية وطلب جمال من على ماهر أن يكون رشاد مهنا هو الذى يمثلنا فى مجلس الوصاية

وتبين بعد مراجعة الدستور أنه لكى يعين احد وصيا لابد أن يكون وزيرا سابقا على الاقل ..

وذللت العقبة ، فاتفق جمال على تعيين رشاد وزيرا للمواصلات ليصبح بعد ذلك وصيا على العرش ..

وبعد أن أنهى جمال المسألة عاد الينا فى القيادة واخبرنا بما تم . وبالرغم من انها كانت مفاجأة لنا ، الا أننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة رشاد مهنا .. ولمشكلته التى كنا جميعا نشعر بخطورتها . وعندما تمت المسألة واصبح رشاد وصيا على العرش استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر ان ذلك الرجل هو قطب الاقطاب .. فى الثورة ، تماما كما كان شائعا عن اللواء نجيب ..

والواقع ان رشاد مهنا كان يتصرف عندما اصبح وصيا

للعرش باعتباره ملك البلاد .. وساروى فى حلقة اخرى كيف كان رشاد مهنا يتصرف وهو جالس فى قصر عابدين؟!
انه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا اكبر .. ونسى الثورة كالعادة
ويكفى اليوم أن اشير الى كلمة قالها ردا على طلب للقيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا ..
قال رشاد يومها وهو يرفض الموافقة :
ـ انى املك وأحكم ايضا ..

نصحونا بأن نحكم ..

واعود الى قصتنا ..
قلت اننا بدأنا نستعد بعددخول نجيب الهيئة التاسيسية لمواجهة الاحداث القادمة ، وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد ، بعد خروج فاروق ..
والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشاتنا فى تلك الايام هو دعوة برلمان الوفد الذى كان قائما قبل حريق القاهرة للانعقاد ، والنحاس وسراج الدين كانا فى مصايف اوروبا يستشفيان فى ذلك الوقت ..
واذكر أنه بعد ٢٦ يوليو اى بعد خروج فاروق جاء الينا أناس كثيرون فى نشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم ..
لقد ظنوا ان بريق النصر سيخدعنا ..
اعتقدوا اننا طلاب حكم ، لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم :
لا .. لا ..
وكررناها فى حزم وقوة
واعود الى الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل .. عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لاشعال نار الثورة
لقد فكرنا فى تلك الفترة ان نطلق شرارة الثورة الاولى

بأن نفرض حزب الاغلبية وقتذاك ـ الوفد ـ على الملك .. واعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة ، واتصلنا فعلا بفؤاد سراج الدين « باشا » واوفدنا اليه البكباشى احمد انوراحد الضباط الاحرار ـ وقائد البوليس الحربى الآن ـ وذهب احمد انور ليسأل فؤاد سراج الدين عن موقف حزبالوفد فى حالة ما اذا فرضه الجيش على الملك ؟!

وقد طلب سراج الدين مهلة ليرد على ذلك السؤال .. حددها بشهر ..

الوفد يخشى المعركة ..

وبعد شهر جاءنا رد سراج الدين .. وهو الرفض لان قطب الوفد ، ووارث الزعامة رأى أنه من المحال أن ينجح الجيش فى هذه العملية ..

ان احمد انور عاد الينا وهو يحمل رد الوفد .. انحزب الاغلبية لا يؤمن على الاطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض اى شىء على الملك ، لهذا يعتذر سراج الدين عن تحديد موقف معين ـ للوفد ـ فى مثل هذه الحالة ..

وفهمنا يومها مدى ايمان قيادة الوفد بالشعب .. فتلك القيادة لا تؤمن على الاطلاق بالكفاح العملى ضد اعداء الشعب « اى القصر » بل تترقب وتنتظر تحسن الاحوال حتى يستدعيها ملك البلاد الى حكم البلاد ..

اما فرض ارادة الشعب على الملك فذلك شىء لا يؤمنون به ، بل يهابون الاشتراك فى اظهار تلك الارادة ..

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رات فيما عرضناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل ، وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الاعداء بل قررت مهادنة هؤلاء الاعداء والتعاون معهم آذا أرادوا ـ اى الاعداء ـ تلك المعاونة .. وليذهب الشعب الى حيث يشاء .

وفهمنا يومها أيضا أن قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة الى المستقبل. انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الاقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها مع مصـــالح القصر والاستعمار ايضا .. الطبقة التى لولاها لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع ولا عرى ولا مرض .. هى الطبقة التى تشرب الدم البشرى وتريد أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة الى الابد .. !

الوفد يتجه الى مصدر القوة ...

واستعرضنا يومها مواقف الوفد ـ أو بعبارة اكثر صدقا ـ مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى حريق القاهرة !

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف .. فالمسألة هى مسألة القضية الوطنية وليست شيئا آخر .. وعلينا ان نعرف اعداء هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين !

لقد كان موقف قيادة الوفد ـ وهو حزب الاغلبية ـ هو الاتجاه الى مركز الثقل فى السياسة المصرية ، ومركز الثقل كان فى يد كيلرن السفير الذى كان يحكم البلاد .. ثم عندما انتقل مركز الثقل هذا الى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية ـ وكان ذلك من خطـة الاستعمار فى ذلك الوقت ـ اتجه الوفد الى القصر وهادنه .. تماما مثلما هادن كيلرن وارتمى فى احضانه !

وهذا التحول المؤسف فى سياسة الوفد ظهر واضحا العيان بعد أن أجريت الانتخابات على يد حسين سرى وفاز الوفد بأغلبية ساحقة ، وأصبح على الملك ان يدعو الحزب الفائز ليتولى الحكم ..

وسواء كان الوفد قد كسب تلك المعركة الانتخابية بالباطل او بالحق فهو ــ اى الوفد ــ قد فاز على اى حال وتربع اقطابه على مقاعد الحكم بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين بعيدين عنها . . فى انتظار الفرج . !

أصبح الوفد ــ اذن ــ فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات . . فهل فعل ؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات ! انتابه الفزع ، فالوفد قادم ليصفى معه الحساب . . ليأخذ منه حق الشعب !

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك حسين سرى رئيس الوزراء وقال له :

ــ تعالى حوش عنى الوفد . !

وكان مفروضا ان يخوض الوفد ــ باعتباره ممثلا للشعب كما يقولون ــ المعركة فى الحال ضد استبداد القصر . . فان الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قادته . . فهم اصبحوا حكاما . !

وفى يناير ١٩٥٠ استدعى الملك مصطفى النحاس ليكلفه بتاليف الوزارة بعد نجاح حزبه فى الانتخابات . . وكان الملك يرتجف عندما دخل النحاس عليه فى عابدين . . كان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهر على فم صاحب المقام الرفيع ، بعد أن فاز رغم انف الملك وأصبح حاكما رغم انفه أيضا . . وهو الذى ظل فريسة لاضهاده طوال خمسة اعوام قضاها بعيدا عن لاظوغلى . . وعن النفوذ والصولجان !

وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم . . سمعه يقول له :

ــ انا ليه طلب . .

وتوقع فاروق شرا . . ظن أن زعيم الامة قرر الاشتباك

معه فى معركة وهو لم يزل فى أول الطريق .. وقبل أن تختفى صفرة الخوف من وجه فاروق بعد ذلك السؤال سمع النحاس يقول له :

ــ طلبى .. انى أبوس ايد مولانا !

وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا فى قبضة أعداء الشعب فهى اذن قيادة غير شعبية .. وهى القيادة التى ايدها الشعب وجاء بها الى الحكم لتحمى مصالحه وتعمل من أجله .. ففوجىء بها تحمى مصالح القصر وتعمل من اجل سراج الدين وباقى الباشوات اعضاء القيادة الوفدية !

ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل الينا أحمد انور مندوب الضباط الاحرار الى الوفد رد سراج الدين .. الذى اعتذر فيه عن التعاون معنا ، وكنا قد قررنا ان نفرض الوفد على الملك كخطوة أولى لاشعال نار الثورة

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك ــ اى بعد ان رفض فؤاد سراج الدين ان يخوض الوفد المعركة مع الضباط الاحرار ــ قررنا عدم التعاون اطلاقا مع الهيئات والاحزاب فى مصر .. لان العقلية التى تسيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا .. فهم يريدون حكما ونحن نريد ثورة . نحن فى ناحية وهم فى ناحية اخرى .. نحن نريد تغيير نظام الحكم ، وهم يريدون الحكم نفسه !!

يريدون الحكم فى كنف فاروق .. وكريم ثابت وبوللى وخدم القصور

أما المعارك جنبا الى جنب مع الشعب ضد فاروق فذلك شىء يرعبهم ويجعلهم يهربون من الميدان .. الى المخادع الناعمة فى انتظار العطف السامى

كانت المسألة فى برنامجنا هى كفاح من اجل الشعب، اما المسألة التى فى برنامجهم فهى كانت كفاحا من أجل الحكم

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والاحزاب من كل خططنا فى المستقبل

وقررنا فى نفس الوقت الاعتماد على انفسنا .. على تشكيل الضباط الاحرار، فمن بين صفوف هـــذا التنظيم المناضل يمكن ان تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح افرادها مع مصالح طبقات الشعب المتطلعة الى التحرر . فكل الضباط الاحرار من عائلات متوسطة وليسوا ابناء باشوات وليسوا من صلب الارستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع القصر وكل اعداء الشعب ..

رايان يتصارعان ..

غير اننا بعد عزل الملك بدأنا نناقش الوضع من جديد . وفى كل اجتماعات الهيئة التأسيسية المستمرة دائما فى تلك الايام لم يقف احد منا لينادى بأن نتولى نحن الحكم .. وانما كان هناك رايان يتصارعان ..

الرأى الاول يقول : بما اننا كنا ننوى ان تبدأ الشرارة الاولى للثورة بفرض حزب الاغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسيير الامور ونجلس نحن نراقب الاحوال والخطوات وتنفيذ اهداف الثورة

والرأى الثانى يقول : لا يصح ان يحدث هذا .. فالوفد وكل الاحزاب والهيئات بما فيهم الاخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة ، واعتقدوا عندما اتصلنا بهم أن المسألة خيال فى خيال .. وتخلفهم هذا معناه انهم ليسوا ذوى نوايا حسنة بالنسبة للشعب ، ومعناه أيضا انهم لا يؤمنون بما ينادى به الشعب ، وكفاحهم من أجل مصالحهم هم لا مصالح الشعب . وقيادة كل هيئة وكل حزب اصبحت معزولة عن الشعب تماما .. ومصالحها متناقضة مع

مصالح الشعب فهي ـ اى تلك القيادات ـ سوف تكون حربا على اهداف الثورة لو مددنا ايدينا اليها ..

ومضى أنصار الرأى الثانى يفسرون اهداف الهيئات والاحزاب ويقارنونها بأهداف الشعب . ثم قالوا ان الثورة تحتم الغاء كل تلك الاحزاب والهيئات التى تآمرت على الشعب طوال الربع قرن الاخير .. وهى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خروج فاروق .. فلن يعدموا طاغية آخر واعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهم مع مصالح هؤلاء الساسة القدامى . وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث !؟

كأننا لم نقم بثورة .. وكأننا لم نطرد صاحب العرش وكأننا كافحنا واصررنا على الكفاح من اجل أن نسلم البلد لهذا القطيع المتآمر والخاضع للاستبداد المتطلع الى لاظوغلى لا الى الشعب !!

واستمرت المناقشة واحتدمت تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية . وكان الرأيان المتصارعان هما محور كل المناقشات !!



النطهير المزيف للأحزاب

.. كان رسل الوفد يقفون امامنا ، وينبرى قطب منهم ويقول :

ـ اسمعوا ... لا خلاص لكم الا بالوفد

وقال لنا الاخوان :

ـ نحن لها ... نحن الذين سننقذ الموقف ... اما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم ... اجعلونا أوصياء على الثورة .. هذا هو الحل الوحيد .. ولا خلاص لكم الا بوصايتنا

... وكنا نؤمن بأن الثورة لا يمكن ان تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والاخوان والسعديين ... ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة ... ديمقراطية العبيد

... وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك : حتى لا تضلل ؛ فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبـا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين ، ويقودها مشعوذ ، أو أجير لتهتف :

ـ حرامى ... حرامى ... لكن عايزينه

... وطالبنا الأحزاب بالتطهير

... ومنهم زرق الانياب وقدامى السياسة والحكم ... انهم يستطيعون أن يضحكوا علينا

... وعقد الوفد اجتماعا .. واصدر قائمة
وعقد السعديون اجتماعا .. وأصدروا قائمة
... وعقد كل حزب اجتماعا ، وأصدر قائمة
.. وكانت حكاية التطهير مهزلة
.. ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ، ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين

الاحزاب

.. ماذا كانت تريد .. ؟
لقد وقفت بالقارىء فى آخر حلقة من القصة عند موقف الاحزاب من هذه الثورة ، وقلت اننا فتحنا أمامهم الابواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا : تعالوا .. ساهموا معنا فى هذا العمل التاريخى الكبير .. تعالوا نصنع ـ جميعا ـ مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت
وترددوا ـ جميعا ـ ولم يمدد أحدهم الينا يده .. كانوا يعتقدون أن الذى حدث فى ٢٣ يوليو ماهو الا أحد الانقلابات المعروفة العادية ، والتى قد تزول بين يوم وليلة ، وبعد ذلك يتولون زمام الامور من جديد
لم يفهموا على الاطلاق أنها ثورة والا فما معنى ترددهم ؟!
قرروا أن ينتظروا ليروا الى أين تتجه الاحداث بعد ذلك اليوم من يوليو ، وفى نفس الوقت ، ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم ، كان الرسل يجيئون الينا ويروحون .. رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ويقول :
ـ اسمعوا .. لاخلاص لكم الا بالوفد .. صدقونا .. أنتم لن تتمكنوا من صنع شىء على الاطلاق ، الا اذا أيدناكم نحن الوفديين ، فلابد من حزب سياسى يقف الى جواركم
ولا ينسى « القطب » أن يستعرض أمامنا قائمة الاحزاب المصرية الموجودة

وبعملية بسيطة يخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب الوحيد الذى لا نجاة للثورة الا به ، لانه حزب الأغلبية ويخرج أقطاب الوفد من عندنا ليدخل اقطاب آخرون هم الاخوان ، وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع التاريخ والتطور الانسانى !

قال لنا الاخوان : نحن لها . . نحن الذين سننقذ الموقف . . اما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم . اجعلونا أوصياء على الثورة . . هذا هو الحل الوحيد ، ولا خــلاص لكم الا بوصايتنا

من يريد أن يثور معنا ؟

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع الى كلام «الاخوان» انهم على ثقة من قدرتهم على خداعنا ، فكنا نلوذ بالصمت ولا نشعرهم بأننا نفهم كل ما يدور فى رؤوسهم . . الجميع كانوا ينظرون الينا باعتبارنا صغارا لا قدرة لهم على مواجهة الاحداث . . كأنهم كانوا بأعمــارهم المديدة قادرين على مواجهة أحداث ما قبل يوليو . . فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ ؟!

الواقع أننا ـ فى ذلك الوقت ـ كنا فى حيرة ، فقد كانت الخطة التى وضعناها فى اخلاص شديد تقضى ـ فعلا ـ بالتعاون مع من يريد أن يثور معنا ، من يفهم أن المسألة هى العمل والعمل والعمل . . . وليس الحكم !

ومن أجل هذا طلبنـــا من كل الأحزاب أن تطهر نفسها فورا كشرط للتعاون من أجل بعث مصر وتغيير شــــكل النظام القائم

ديمقراطية العبيد !

قلنا لهم : انسوا برامجكم القديمة وأساليبكم الماضية ،

وتخلوا عن معتقداتكم التى كانت تتفق مع الوضع قبل يوليو ، وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ .. ولا سبيل الى العمل او التعاون والاشتراك فى «الثورة» بهذه العقلية وبتلك البرامج والمعتقدات !

كنا نؤمن بأن « الثورة » لا يمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والسعديين والاخوان ، فتلك كانت ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة .. اى ديمقراطية العبيد ! !

فالبرلمان والدستور وكل الأشكال الوهمية للحرية .. والتى كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقوة ومنعه من نيل حق واحد من حقوقه التى كانت فى قبضة أعضاء البرلمان والحكام وحماة الدستور

كان الاقطاعى يمثل تمثيلا ـ ديمقراطيا ـ مصالح الفلاحين ... عبيده ! فأين الديمقراطية هنا ، وكيف كان يمكن الثورة أن تقضى على الاقطاع اذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع الوفد وغيره من الاحزاب هو الاساس الذى سيقوم عليه النظام بعد يوليو !؟

ذلك كان الموقف بالتحديد ، لا ديمقراطية اذن ولادستور ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للأمة . لا شىء من هذا على الاطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة اذا لم تتطهر الاحزاب وتغير من برامجها ، من أشخاص القائمين عليها وهم الاعداء الحقيقيون للشعب

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتوم للناس فى مصر بعد سقوط فاروق

النائب والشعب ..

وقد كنا فى ذلك الوقت نحاول ان نجد طريقة نغير بها من

اساليب الكفاح السياسى الوفدى والسعدى والدستورى والاخوانى .. كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الأحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من افراد مساكين ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف ـ حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه !

كيف يفهم الفلاح !؟

كان حتما أن يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنبا الى جنب مع دورات الثورة ، فكيف يكون ذلك ، والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هو الحال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد !؟

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى «درين» ان الهتاف بحياة عبد العزيز البدراوى نائب مركز طلخا جريمة .. بعد يوليو . !؟ وهو ـ أى فلاح درين ـ لم يهدم الاقطاع بفأسه حتى كان يمكنه ان يعى معنى الثورة ! ؟ كنا نواجه حالة تاريخية شاذة ...

كنا لا نريد أن تسيل الدماء فى درين وفى القاهرة وفى كل المدن والقرى حتى يعى الشعب موقفه ، ويفهم أن الثورة ما قامت الا من اجله هو ومن اجل تحديد مستقبله ، لا من اجل طبقة معينة

والدماء كان يمكن أن تسيل .. كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة الى جانب الشعب فى درين وفى القنال وفى اقاصي الصعيد . . لكن ما ثمن كل هذا .. وما نتيجة الدم المراق . !؟

حيرة التاريخ . !؟

وماذا لو استطعنا ان نحقق للشعب كل حاجاته وأهدافه بلا دم !؟ هنا يقف التاريخ حائرا الى حد ما ليرقب النتيجة . . فهى حالة شاذة كما قلت فى تاريخ الثورات . . !

وفى حجرتنا القائمة هناك فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، كنا نجلس لنعد خطة الزحف الابيض على اعداء الشعب .. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا .. بلا بارود ولا اشلاء ولا رقاب طائرة ..

صحيح أن الثورة الدموية تخلق الوعى السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضى كالمارد فيه حتى النهاية ، لكن مقومات الثورة الدموية التى كان من المفروض أن تحدث بعد يوليو لم تكن موجودة ... فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش .

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك ، لأن الموقف فى مصر مختلف عنه فى كل بلاد الدنيا .. الظروف ؛ والأوضاع والوعى ، والتنظيم الثورى النابع من أعماق الشعب .. ثم هناك الحقيقة الكبرى فى قصة ثورتنا ، وهى أن قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هذه القوات . . وهذه الحقيقة ذكرتها فى مقالاتى السابقة مرارا عديدة .. فهى ـ اذن ـ حقيقة تاريخية ومعناها أنه لا مجال على الاطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه ما دام الشعب قد أصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة ، وما دامت قيادة تلك القوات أصبحت تنادى بمطالب الشعب .. وتعمل على تحقيقها

أين هم الأعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هذه الحقيقة دون أن يستسلموا ..

لا البدراوى ولا اى عدو آخر يمكنه أن يتمسك بالارض

إذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى درين وينــــذره قائدها بتسليم الأرض لأصحابها ..

ان الموقف بالتحديد هو ان الدبابة كانت تحمى البدراوى من فلاحيه ، ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفـــلاحين من البدراوى !

ومضينا فى زحفنا الأبيض

وأمام هــذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الأبيض على أعداء الشعب حتى النهاية .. ومن أجل أن نطمئن الجميع ــ حتى الاعداء ــ طلبنا من الاحزاب ــ كما قلت ــ أن تطهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم الشعب بعد يوليو ..

لــكن ــ كما قلت ــ اعتقــد أقطاب تلك الاحزاب أنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا .. نحن الضبـــاط الشبان الصغار .. فهم زرق الأنياب وقدامى فى السياسة والحكم .. اما نحن .. فمن نكون ؟!

وانتظرنا من زرق الأنيــاب هؤلاء أن يطهروا انفسهم ويغيروا من برامجهم فى صدق وليس كما فعلوا بعد ذلك كما سيجىء فيما بعد .. لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا الى انذارهم ، ونشر الانذار فى الصحف وأذيع ، وقد جاء فى نهايته تلك العبارة : « وقد أعذر من أنذر .. »

التطهير المزيف ..

وهنا شعروا أن « الثورة » جادة فى المسألة ، وان الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام فى كلام

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا ، وأدارالاجتماع الاعداء الذين ما قدمت الثورة فى مصر الا لتقضى عليهم ، بل ماقامت أية ثورة فى اى قطر من الاقطار الا للقضاء على أمثالهم ..

المهم ان الوفد عقد الاجتماع والسلام ، واصدر الوفد قائمة بأسماء بعض اعضائه الذين قـــرر اخراجهم من الحزب لتطهيره ، وهؤلاء الاشخاص لم يكن لهم نفوذ فى الحزب بل لم يكن هناك مبرر لاخراجهم ، ولا احد يعلم لماذا قرر الوفد اخراجهم ، وقد ظنوا كما ظن غيرهم فيما بعد انهم ضحكوا علينا بعمليات التطهير والتغيير المزيفة تلك .. وكانت حكاية التطهير مهزلة ..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين !

تحديد الملكيّة

تحديد الملكية والاحزاب

كان هناك رأيان يتصارعان فى اجتماعات الهيئة التأسيسية ، وقد احتدمت المناقشة بين أعضاء الهيئة حول الرأيين ...

وكان أصحاب الرأى الاول يرون أنه بالرغم من أن قيادة الوفد قد انسلخت عن الشعب حين ضمت اليها الاقطاعيين، الا أنه يمكن استدعاء برلمان الوفد الذى كان قائما قبل أحداث يناير سنة ١٩٥٢ لتسيير الامور ، على أن نراقب نحن الاحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة .. ذلك هو الرأى الأول

أما الرأى الثانى فيقول أصحابه أن حزب الوفد والاخوان وكل الأحزاب فى البلد ، يكافحون — جميعا — من أجل مصالحهم فقط ، وليس من أجل مصالح الشعب ، والثورة قامت لتحقيق المصالح الشعبية ، فوجود تلك الهيئات والاحزاب — اذن — معنا سيعطل الثورة وربما قضى عليها

وظلت المناقشات دائرة فترة طويلة ، ليلا ونهارا حول ذلك الموضوع .. فالى أى الرأيين اتجه الأعضاء فى النهاية !؟

... فى النهاية اقتنع الاعضاء بالرأى الثانى ...

اقتنعنا أن كل الأحزاب والهيئات بما فيها الاخوان ما هى الانتاج طبيعى للوضع السياسى فى البلاد خلال ربع القرن الأخير ... أى أنها ما وجدت الا لتعمل فى كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر .. ورواسب الاحتلال باقية فى رؤوس قادة تلك الأحزاب والهيئات لأن مصالحهم ارتبطت

به وبوجود النظام القائم فى البلاد .. فالتعـاون بين تلك الهيئات والأحزاب وبين الاستعمار هو تعاون من أجـل تبادل المصالح والمنافع ، فاذا مدت الثورة يدها لهؤلاء القادة فمعنى هذا هو أن الثورة ستهادن أيضا الاستعمار وتبقى على النظام القائم وكل شيء .. اى أنها لا تكون ثورة ..
ولم يكن هناك ما يدعو لقيامها ما دامت اهدافها هى جعل الاحزاب والهيئات التى وجدت فى البلاد خلال ربع القرن الأخير تتولى زمام الأمور ..

واستعرضت خلال المناقشة المفاسد التى كانت الطابع الواضح فى قيادات الوفد والاخوان وباقى القطيع !

وعلى هذا الأساس أعدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار قرارا يقضى بحل الأحزاب كلها والاخوان أيضا ، وابعاد كل السياسيين القدامى الذين تعـاونوا مع القصر والمستعمر ، وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها ، والتى بدونها لا يصبح للحزب أو للهيئة مهما كانت صفتها دور فى تطور الشعب أو تحريره من المظالم كلها .. أو فى خلق الحياة الديمقراطية الصحيحة التى قامت الثورة من أجل ارساء قواعدها الصحيحة

وفى نفس الوقت يفسح المجال امام جيل سياسى جديد يؤمن بالشعب وبأهدافه ويرتبط بمصالحه ولا ينسلخ عن طبقات الأمة التى قامت الثورة من أجل تحطيم قيودها !

جمال يقول .. هذه ديكتاتورية

وبعد أن وصل أعضاء الهيئة الى هـذا القرار ، وقف جمال عبد الناصر .. واعترض على هذا القرار .. وقال :

ــ يا جماعة .. انى أخشى أن يفهم البعض من هذا القرار اننا نتجه نحو الديكتاتورية !

ومضى جمال يقول لنا :

ــ ان ثورتنا ديمقراطية ، وهى قد قامت أساسا لاعادة

حقوق الشعب بعد انتزاعها من أعدائه ، الملك والاستعمار والحكام ، ونحن لا نستطيع أن نصنع ديكتاتورية في هذه البلاد ، لأن الديكتاتورية لا تقوم الا لحماية مصالح طبقة ، والبطش بمصالح الطبقات الشعبية الاخرى ... وليس في مصر طبقة يمكن أن تقام ديكتاتورية تحميها من الشعب الا الاقطاع ، ونحن في سبيل ضرب ذلك العدو الذى ربض على صدور الشعب طوال مئات السنين ، فلمصلحة من تقام الديكتاتورية !؟

لمصلحة الرأسماليين !؟

اننا قمنا بثورتنا لتحرير الشعب من استغلال الرأسماليين فالديكتاتورية اذن تصبح ضد أهداف الثورة !؟

وبدأنا ننصت الى كلمات جمال وهو يتحدث الينا معترضا على قرار حل الأحزاب والهيئـــات ، ومنع السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى

وعاد جمال يقول :

ــ أحب ان تفهموا أن الديكتاتورية معناها ان طبقة معينة تريد استغلال باقي الطبقات الأخرى فى الأمة ، وهى ، أى تلك الطبقـــة ، لا تستطيع أن تستغل الشعب الا فى ظل النظام الديكتاتورى . فأى طبقة تلك التى تريد نحن أن نستغل الشعب لحســـابها ونبطش به ، ونحكمه بالكلمة المجردة من أجل بقاء الطبقة المذكورة وحماية مصالحها ؟

اننا لا نمثل طبقة الرأسماليين فنحن جميعا ابناء فلاحين ومن عائلات متوسطة فليست لنا مصلحة فى اقامة نظام ديكتاتورى .. فمصلحتنا هى نفس مصلحة جميع ابنـاء العائلات المتوسطة والفقيرة والكادحة .. هى نفس مصالح الشعب ، وتلك المصالح على اختلافها لا تتحقق الا فى ظل نظام ديمقراطى سليم يفرض ارادة تلك الطبقات على الحاكم . فيظل ملتزما حدودها ..

والديكتاتورية لاستعمار الشعوب !

ومضى جمال يقول :

ومسألة ثانية وهى أن الديكتاتورية تقام ايضا من اجل استعمار بلاد اخرى

بمعنى أن تقرر دولة ما فتح أسواق عالمية امام انتاجها وتكون تلك الأسواق تسيطر عليها دول اخرى ، وفى هذه الحالة تقيم الدولة المذكورة ديكتاتورية فى أرضها لتوجيه شعبها الى الحرب ، اى لاستعمار الدول التى تريد الاستيلاء على أسواقها

فهل نحن نريد استعمار دول العالم ؟

لا شيء من هذا على الاطلاق له وجود فى رؤوسنا او فى حياتنا .. فكيف اذن نقيم حكما ديكتاتوريا ؟

انه من المحال ــ ماديا ــ اقامة مثل هذا النظام فى مصر ! لأن الوضع فى مصر يحتم اقامة نظام ديمقراطى ..

ومضى جمال يومها يتحدث عن الديكتاتورية والديمقراطية حتى قال :

ــ أنا بطبيعتى أنفر من الديكتاتورية ولا أتصور أنه من الممكن العمل فى ظلها وأخشى أن يفهم بعض الناس هنا أو فى الخارج من هذا القرار الذى أعددتموه اننا نستهدف اقامة نظام ديكتاتورى .. ففى هذا الفهم الخاطىء تعطيل للثورة ، وعرقلة لخطواتها . وستحاول الرجعية المصرية ، وكل الأعداء ، استغلال هذا الموقف وهذا الفهم الخاطىء للقرار المذكور فى تشويه ثورتنا !

صحيح أن كل الهيئات والأحزاب فى مصر ، كما وضح لنا ، لا تصلح على الاطلاق بوضعها الراهن لحكم البلاد أو للعمل الى جانب الشعب ، لكنى أرى أن نعطى الجميع فرصة ، ولا داعى لهذا الاجراء العنيف ، فربما أودى بنا

هذا الى الديكتاتورية ، والفرصة التى سنعطيها للأحزاب والهيئات هى أملنا الأخير فيها

لنعط الأحزاب هذه الفرصة لتصلح من برامجها وتحدد أهدافها فاذا ما حددت تلك الاهداف والبرامج ، وطهرت نفسها من عوامل الفساد والرجعية أصبح من السهل عليها ـ أى الأحزاب ـ أن تتعاون مع الثورة ، وتمضى معها فى طريق واحد ... فتتبلور كل الجهود داخل الثورة ويصبح تحقيق الديمقراطية السليمة أمرا هينا فى الشهور القادمة

وختم جمال عبد الناصر كلمته فى ذلك الاجتماع التاريخى بقوله :

ـ اننا اذا أعطينا الاحزاب والهيئات فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد بعد فاروق .. نكون قد أشركنا الشعب معنا فى الحكم على صلاحية تلك الأحزاب والهيئات أو عدم صلاحيتها !

وبعد أن انتهى جمال من حديثه عن الديكتاتورية قال للأعضاء :

أما اذا رأيتم الأخذ بذلك القرار فانى أدعو لكم بالتوفيق وأرانى مضطرا الى الانسحاب ، وسأدعو لكم بالتوفيق ، وساكون طوع أمركم فى الجيش أو خارج الجيش ، وفى هذه الحالة أرجو أن تعتبرونى مستقيلا من الهيئة !

وتوجه جمال على الفور الى منزله بعد أن ترك لنا استقالته !

نجيب يوافق على حل الأحزاب .. !

ذلك كان موقف جمال عبد الناصر بعد أن قرر أعضاء الهيئة التأسيسية حل الأحزاب والهيئات كلها ومنع كل السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى .. وكان

اللواء نجيب يرى نفس الرأى .. أى حل الاحزاب والهيئات

كان جمال هو الوحيد الذى عارض وأصر على موقفه ، وأمام هذا رأينا أن نعيد النظر فى الموضوع من جديد ، فكلنا كنا نؤمن بأن جمال لا يتكلم الا اذا كان حديثه قائما على أسس واقعية

انه دائما ينظر الى بعيد ، انه دائما ذلك المناضل الناضج الذى يعى موقفه ويعرف أين يضع قدميه .. وهو طوال أعوام نضالنا كان ينادى دواما بأن نلتصق بالشعب ولا ننعزل عنه .. وهو كان دواما يرى اشراك الشعب فى كل صغيرة وكبيرة لأن المسألة مسألته وليست مسألة أحد غير الشعب ..

دينامو الثورة ..

لقد عرفنا جمال منذ عام ١٩٤٣ عندما تسلم جمال قيادة التنظيم .. عرفنا فيه « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله ، ومن أجل هذا انتخبناه ثلاث مرات رئيسا للهيئة التأسيسية ، مرتين قبل الثورة ومرة بعدها ! ثم تنازل من تلقاء نفسه عن الرئاسة لنجيب .. وأصر على ذلك التنازل حتى اضطررنا الى الموافقة !

وقد ظللنا نفكر فى كلمات جمال التى قالها لنا وهو يعترض على القرار المذكور ويصر على اعتراضه الى حد تقديم استقالته !

فكرنا فى كل كلمة قالها وحللناها .. وكنا نعرف أن جمال يؤمن ايمانا عميقا بالتنظيم ..

كان يقول دائما بأنه لا يمكن ان يتم اى عمل بدون خطة .. ويعد للخطة آلاف الاعتبارات ..

كان كما قلت هو « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله .. وفى كل عمل قمنا به قبل الثورة أو بعدها كان نضج تفكيره

هو الذى يحسم الموقف .. ومن أجل هذا كله آمنـا به كصاحب عقلية متطورة منظمة مؤمنة .. وتلك هى العقلية التى يتحتم أن يتصف بها كل قائد ..

وأمام هذا كله ، رفضنا استقالة جمال فلا يعقل أن يدور جهاز - أى جهاز - بدون الشيء الذى يحركه ! وجمال هو الذى كان يحرك جهاز الثورة !

ورأينا انه لا بد من أن نعيد النظر فى القرار

وفتحنا باب المناقشة .. مرة ثانية فى الموضوع .. وفى النهاية راينا أن نعطى الأحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد .. بما يتفق ومصالح هذا الشعب . هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى ففى اعطاء هذه الفرصة للأحزاب والهيئات اشراك للشعب معنا فى الحكم عليها .. وسوف يعرف ان كانت ستعمل - بعد اعطائها تلك الفرصة - على تحقيق مصالحه وأهدافه أم أنها لا تزال كما هى تستهدف مصالح قادتها وأقطابها !

صممنا على اجراء الانتخابات ..

وصدر القرار فعلا بهذا .. وتحدد - فى القرار - موعد أقصاه شهر فبراير عام ١٩٥٣ أى ستة شهور لاجراء الانتخابات ، بعد أن تنتهى الاحزاب من تطهير نفسها ، ومن تحديد أهداف جديدة وبرامج جديدة تتفق والوضع الجديد .. وتتمشى مع التطور الذى لا بد منه للشعب

وكان على ماهر فى ذلك الوقت لا يزال فى الحكم ، فأصدر بيانه المشهور الذى هاجم فيه الاحزاب كلها .. لكنه أغفل ذكر الموعد الذى حددته القيادة لاجراء الانتخابات !!

وكنا قد أبلغناه بذلك القرار الذى يتضمن اعطاء فرصة للاحزاب لتهيئة نفسها للانتخابات .. بالتطهير وتحديد برامج وأهداف جديدة !

وبعد ان صدر بيان على ماهر بساعتين ، وقد فوجئنا باغفاله ذكر موعد الانتخابات ، أصدرنا بيانا آخر أكدنا فيه تمسكنا باجراء الانتخابات فى فبراير سنة ١٩٥٣ ..

فماذا حدث ؟ ..

لماذا لم تتم الانتخابات ، ولماذا لم يتقدم الساسة والزعماء الى الطريق ويمضوا مع الثورة حتى النهاية ؟ ..

لماذا لم يقرروا مد أيديهم للشعب فى كفاحه الطويل المرير ؟!

لماذا لم يكونوا ديمقراطيين فيؤمنوا بأهداف الثورة ؟..
وكان الهدف الاكبر للثورة فى ذلك الحين ، أو بعبارة اخرى كان الاساس الذى أردنا أن نقيم عليه بناء الثورة الكبير هو قانون تحديد الملكية .. أى ضرب رأس الخيانة والظلم والفساد السياسى فى البلاد .. الاقطاع

ديكتاتورية وديمقراطية !!

فهل كان قانون الاصلاح الزراعى وهو قانون أخذت به أحدث الدول فى التقدم والتطور .. أقول هل كان ذلك القانون هو الذى كشف عن حقيقة الأحزاب والهيئات المصرية .. ونوايا قادتها وأقطابها !!؟

أو ما هو الشىء الذى كشف عن نواياهم تجاه الثورة أى الشعب ، فمنع تنفيذ قرار الهيئة التأسيسية الذى حددنا فيه موعد الانتخابات خلال ستة شهور !؟

انها كانت مرحلة خطيرة حقا فى كفاحنا .. ان رئيس الوزراء نفسه الذى يحكم فى ذلك الوقت كان يعارض ذلك القانون .. كما عارضه كل الباشوات .. فهل أخطأنا نحن وأصاب الباشوات !؟

هل كنا ضد الديمقراطية حين اصررنا على ضرب الاقطاع والبطش به !؟

هل كان موقفا ديكتاتوريا منا حين أردنا منع شخص واحد من أن يملك الارض ومن عليها من بشر وحيوان وجماد !؟

ان كلمات جمال عبد الناصر لا تزال ترن فى اذنى ، عندما قال :

ـ سوف تستغل الرجعية موقفنا العنيف هذا من الأحزاب والهيئات لتشوه ثورتنا .. فتصمها بالديكتاتورية

أوصياء العرش والاقطاعيون

حددنا ـ اذن ـ موعـد الانتخابات كما قلت ـ أمس ـ وأعطينا للاحزاب فرصـة لتراجع نفسها ، وتقرر هل هى تؤيد أحـداث يوليو مثل الشعب ، أم هى قد روعت بما حدث فى ذلك الشهر الخالد ..

أعنى أننا أردنا أن نكشف الطريق أمام الثورة ..

فقد كان حتما علينا أن نعرف الاعداء الذين سيتربصون بالثورة وهى ماضية فى طريقها ، فاذا ما عرفناهم أصبح الطريق أمام الثورة أكثر أمنا ونورا ، فلا يطعن الشعب فى ظهره وهو ماض فى زحفه نحو المستقبل ..

وصدر القرار من الهيئة التأسيسية كما قلت ـ أمس ـ وحددنا فيه شـهر فبراير عام ١٩٥٣ لاجراء الانتخابات ، وكان أمام الاحزاب التى سـتخوض معركة الانتخابات أن توضح نواياها تجاه أهداف الشعب بعد أن طرد فاروق .. فتطهر نفسها وتبعد عن صفوفها كل فرد فيها مهما كانت صفته فى الحزب .. وخاصة الافراد الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح العرش الذى طرد صاحبه ..

وبعد أن تكون تلك الاحزاب قد غيرت من برامجها وأهدافها أيضا ، فلا يعقل أن تبقى البرامج والاهداف التى حددتها الاحزاب لنفسها أيام فاروق ..

والزمن قد تغير .. وكل شىء كان لابد أن يتغير والا فلا كانت الثورة ولا كان الكفاح فى سبيل قيامها .!

وكان على ماهر رئيس الوزراء ، نفس السياسى المصرى

الذى فرضـته الثورة على فاروق قبل اخراجـه من أرض الثورة

وأذاع على ماهر بيانا ـ كما قلت ـ هاجم فيه الاحزاب، وأغفـل فى البيان الاشارة الى قرار الهيئـة التأسـيسنية للضباط الاحرار ، والذى حددت فيه القيادة الانتخابات ، واضطررنا بعد صدور بيان على ماهر الى اصدار بيان فى الحال أكدنا فيه اصرارنا على تحـديد شهر فبراير المذكور لاجراء الانتخابات

لقد كان الوضع غريبا جدا ، فالوزارة التى تولت الحكم بعد ٢٣ يوليو كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

كنـا نريد ثورة ، والوزارة لاتكاد تشعـر بمـا يجرى وسيجرى تحت سماء مصر من أحداث ..

وربما كان يظن أفراد تلك الوزارة أننا فرضـناهم على الملك لكى يحكموا ويوجهوا الشعب ويصنعوا مستقبله بلا ثورة !

مفاجآت لحكومة على ماهر

ولم تؤمن تلك الوزارة بأنه لابد أن يحـدث تغيير فى الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى ..

وربما فوجئت تلك الوزارة باتجـاه الثـورة الى ضرب الاقطاع بعد أن خلعت الملك عن عرشه ...

وأكاد أعتقد أن الوزارة المذكورة فوجئت بالثورة نفسها

فقـد كان على ماهر يظن فى اللحظات الاولى للثورة أن المسألة لاتخرج عن أن الجيش له طلبات ، ويريد أن تنفذ ، ثم بعد ذلك يبقى كل شىء كما هو !

لكنه فوجىء بعد يومين من قيام الثورة برجال القيـادة يكلفونه بحمل الانذار الى الملك بمغادرة البلاد ، وكان على ماهر قد اطمأن على بقاء النظام ، بعد أن حمل طلبات الجيش الى الملك ، وموافقة الملك على تلك الطلبات ..

وبعد ذلك توالت المفاجآت أمام حكومة على ماهر ..

وعرف أن القيادة تريد انهاء مسألة الاقطاع فى الحال كوسيلة لتحطيم القيد الذى رسفت فيه أغلبية الشعب ـ الفلاحون ـ طوال مئات السنين .. فلم يكن لتلك الملايين ارادة على الاطلاق ولا حقوق على الحاكم ... بل الارادة كانت ارادة الاقطاعيين والحقوق كلها لهم ..

وكانت تلك هى فلسفة الثورة المصرية

الفلسفة التى تحددت فى منشورات الضباط الاحرار منذ بدأوا نضالهم التاريخى المرير فى سبيل الشعب

وقد تضمنت تلك الفلسفة أيضا القضاء على سيطرة رأس المال ...

حالتان كانتا لابد أن تزولا لتحقيق أهداف الشعب .. لكن الوزارة ـ كما قلت ـ كانت فى واد والثورة فى واد آخر

وأعود الى الانتخابات التى كانت قد تحدد موعدها ..

فعلى أى أساس كانت ستجرى تلك الانتخابات !؟

طلبنا ـ كما قلت ـ من الاحزاب أن تحدد موقفها من الثورة .. أى من أهداف الشعب ... كشرط أساسى للتعاون بين الثورة وبينها .. لانه كان لايعقل أبدا أن تجرى الانتخابات بعد طرد فاروق والباشوات وأذنابهم والارستقراطيون هم الذين يسيطرون على كل الدوائر الانتخابية

ان الاقطاع هو الذى سيكسب المعركة ، كما كان يكسبها دائما فى كل انتخابات جرت فى هذه البلاد

فالاقطاعى يملك القرى والارض بمن فيها ومن عليها من بشر .. ومصير الناخب أى الفلاح كان فى قبضة ذلك الاقطاعى . والاقطاعى فى يده أن يجيعه ويشرده مع أبنائه .. فكيف السبيل الى تحرير الفلاح من هذا القيد حتى

يمكنه أن يختار الذى يمثله فى برلمان بلاده ؟

ان السبيل كان واضح المعالم ولا يحتاج الى سؤال ..

لترفع الثورة القيد الذى يرسف فيه الناخب ، وبعد ذلك ستكون للناخب الارادة وتكون له الحرية فى اختيار ممثليه فى البرلمان .. لتبطش الثورة بعدو هذه الملايين المستعبدة .. والعدو هم هؤلاء الافراد القلائل الذين يملكون الارض ومن عليها ويتحكمون فى حياة ومصائر أغلبية الشعب .. الفلاحين ..

لقد تقرر هذا فعلا كاجراء حتمى اتخذته الثورة لتمهد للديمقراطية الصحيحة التى ما قامت الا من أجل تحقيقها للشعب

جمال يجتمع بسراج الدين

كانت نوايانا واضحة .. أردنا ديمقراطية صحيحة تمكن الشعب من فرض ارادته وحكم نفسه بنفسه وأراد جمال أن يشرك كل الهيئات والاحزاب فى تحقيق أهداف الثورة وفى صنع مستقبل الشعب

ودفعه ايمانه بهذا الرأى الى مقابلة فؤاد سراج الدين.. قطب الوفد الكبير ومحرك سياسته وصاحب الكلمة الاولى فى اتجاهات الحزب المذكور ..

وفى منزل اليوزباشى عيسى سراج الدين قريب قطب الوفد ، وصهر رشاد مهنا تمت المقابلة .!

وكان مع جمال فى ذلك الاجتماع عبد الحكيم وصلاح وبغدادى وكان مع فؤاد سراج الدين ابراهيم طلعت وأحمد أبو الفتح

وتكلم جمال عن حزب الاغلبية ، وعن ايمانه بأنه من الممكن جدا للحزب الكبير أن يصلح من الاوضاع السائدة

فيه وفى قيادته ، ويغير من أهـدافه وبرامجـه بما يتفق والوضع السياسى الجديد بعد فاروق

ومضى جمال يقول لسراج الدين وزميليه ان حزب الوفد لو فعل هذا لأصبح من السهل أن يسير دفة الامور،فالثورة لاتريد دكتاتورية ...

واشترط لكى يتم التعاون بين الثورة وحزب الوفد شرطا واحدا وهو أن يصـــدر الحزب بيانا يعلن فيــه على الملأ موافقته على قانون تحديد الملكية ، لان الديمقراطيــة كمـا يفهمها هو . بل كما يفهمها كل الديمقراطيين فى جميع أنحاء العالم ليست برلمانا فقط .. بل هى تحرير الفرد من كل القيود .. هى تحرير عبيد الارض حتى يمكن أن يعبروا عن ارادتهم وبالتالى يمكنهم اختيار ممثليهم فى البرلمان بلاضغط من أصحاب الارض الاقطاعيين !

واستمرت المناقشة أربع ســاعات ... جمــال ورفاقه يتحدثون عن حقوق الشعب والاسلوب العملى لاعطائه تلك الحقوق .. لكن فؤاد سراج الدين رفض الموافقة على تحديد الملكية .. وقال انه لايمانع فى رفع الضريبــة على الارض أما تحديد الملكية فلا .. ولا !

ورد عليــه جمــال بأن رفع الضريبة ربمــا ضاعف من ايرادات خزينة الدولة ، ولكنه لايحقق الهدف السياسى الذى تؤمن به الثورة .. أى تحطيم قيود عبيد الارض ليختاروا ممثليهم الحقيقيين فى البرلمان بلا قهر أو ارهاب . وهذا هو أساس الديمقراطية الحقة ..

ثم انتهى الاجتمـــاع عندما قال فؤاد سراج الدين انه سيعرض الامر على حزب الوفد فى الاسكندرية ، وبعد ذلك سيصدر بيانا فى أقرب وقت ..

وخرج جمال والزملاء لننتظر جميعا بيان الوفد ..

وقد سافر فؤاد سراج الدين الى الاسكندرية فعلا ،وعقد

الوفد اجتماعه وناقش موضوع تحديد الملكية •• أى زوال الاقطاع •• ثم رفض الحزب الموافقـة على هـــذا الاجراء الثورى !••

لم يصدر الحزب البيان كما وعد سراج الدين •• فماذا كانوا يتوقعون ؟! وماذا كانوا ينتظرون من القيادة ؟!••

هل كانوا يؤمنون بأن المسألة لن تخرج من أيديهم، وانهم هم الذين سيحكمون البلاد رغم كل شىء •• وبلا ثورة !؟

ان المسألة لم تكن ثورة فى اعتقادهم •• ظنوها انقلابا كما كانوا يشيعون •• والانقلاب لا يحتم تغيير الوضع السياسى أو الاجتماعى •• ولا يحتم أعطاء الشعب حقه الكامل فى التعبير عن ارادته وحكم نفسه بنفسه ••

وهنا فقط آمن جمال عبد الناصر بأنه لا أمل له على الاطلاق فى تعاون هؤلاء الساسة والاقطاب مع الثورة ••

هنا فقط اقتنع جمال واقتنعنا نحن جميعا بأن الشعب فى واد والاحزاب والهيئات كلها فى واد آخر

وأين الثورة ؟

ورئيس الوزراء ـ كمـا قلت ـ قد عارض فى تحـديد الملكية مثلما عارض حزب الوفـد ، وقال لنـا ان الضريبة التصاعدية تكفى •• أى ان الانتخابات ستجرى وسيكسبها نفس الاشخاص الذين مثلوا الفلاح رغم أنفه فى البرلمان ••• وفى هذه الحالة كان الاقطاعيون ودعاة سـيطرة رأس المال سيحكمون البلاد من جديد ويتحكمون فى مصير الشعب عن طريق ذلك البرلمان !؟

فأين اذن تكون الثورة لو كان قد حدث هذا ؟

بل أين هى الديمقراطيـة لو كنـا تخلينـا عن مبادئنا وأهدافنا !

أى لم نحـدد الملكيـــة وجرت الانتخـابات فى فبراير

والاحزاب يسيطر عليها الاقطاعيون والارستقراطيون أعداء الشعب !؟

ان الاحـزاب لم تستجب لنداء الثـورة ·· وبقى نفس الاقطاب وتجار السياسة والوطنية وجلادو الديمقراطيـة يقودونها ، ويتحفزون لمعـركه فبراير الانتخابية ليوقفوا زحف الثورة بعد فوزهم ، كما كان الامر يجرى فى الماضى ·!

رشاد مهنا مع الاقطاع

لم يكن رئيس الوزراء هو الذى عارض فى تحطيم الاقطاع وحده ·· بل ان عضوين فى مجلس الوصاية عارضا قانون الاصلاح الزراعى وبشدة ·· فأى موقف أعجب من هذا ·!؟

وكيف كنا نستطيع تحقيـق الديمقراطيـة الصحيحـة وأهداف الشعب لو انسقنا مع التيار ، وتركنا كل شىء كما هو بلا تغيير !؟·

ان رشاد مهنا وبهى الدين بركات عارضا القانون، وهما الوصيان على العرش اللذان وضـعتهما الثـورة فى هذين المكانين ··

وكما قلت كان تحطيم الاقطاع هو الاساس الذى حددناه للتعاون بين الثورة والاحزاب والهيئات ·!

وهكذا اختلفنا ·· وكان خلافا جوهريا خطيرا ·· فنحن نريد ثورة ·· وهم يريدون حكما ·!

قلنا للحكومة ··

وقد دارت مناقشة تاريخية حول هذا الخلاف الخطير فى جلسة فى دار مجلس الوزراء وحضر هذه الجلسة جمال عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم كممثلين للقيادة ·· كما حضر الجلسة رشاد مهنا وبهى الدين بركات وعلى ماهر وعبد الجليل العمرى ··

فانظروا اذن الى الموقف وكيف كان عجيبا ومثيرا ..

ان رجال الثورة لم يتراجعوا .. وقالوا لرجال الحكومة وللوصيين على العرش انه لابد من انهاء مسألة الاقطاع .. والمسألة ليست اقتصادية فقط ، بل هى فى صميم السياسة !

فالشعب الذى فرض ارادته على فاروق وأرغمه على التنازل عن عرشه لم تفعل قواته المسلحة ذلك لان الملك كان فاسدا فقط .. بل لانه كان عقبة فى طريق الديمقراطية الصحيحة ، ويجب أن تزال كل العقبات أمام الثورة لتحقق هذه الديمقراطية ، وبقاء الاقطاع ، ونزول الاقطاعيين الى معركة الانتخابات فى فبراير ١٩٥٣ سوف لايحقق هذه الديمقراطية ، وسيظل الوضع كما كان أيام فاروق: برلمانات يتثاءب أعضاؤها فى مقاعدهم ، ولا يستيقظون الا ليقولوا نعم .. موافقون !!

والثورة تريد برلمانا يمثل أعضاؤه طبقات الشعب على اختلافها تمثيلا حقيقيا لا قهر فيه ولا ارغام !

واستمرت المناقشات بين رجال الثورة ورجال الحكومة ياما عديدة ..

الاحزاب ترفض نداء الثورة..

وشعرنا فى تلك الايام أن الاقطاعيين بدأوا يتكتلون مع الحكومة وأوصياء العرش ، ليسدوا الطريق أمام الثورة .. ولم تتحرك الاحزاب ولم يفق رجالها من الغيبوبة التى ظلوا فيها منذ ربع قرن مضى على البلاد ، والملايين من أبنائها يتطلعون الى العدالة والحرية والحق والعدل والعلم ، فلم تمكنهم تلك الاحزاب التى لاتمثل الا أصحابها من تحقيق واحد من هذه الاهداف ..

وانى أذكر تلك المناقشة التى دارت فى البرلمان أيام

حكومــة الوفد ٠٠ حــين وقف الدكتور طه حســين وطلب اعتمادات ماليـــة لوزارة المعارف ، حتى تتمكن الوزارة من انشاء مدارس جديدة لأبناء البلاد٠٠ويومها وقف البدراوى وصرخ في برلمان الامة قائلا ٠٠ طيب علموا الشعب،وبكره تشوفوا حيجرالكم ايه منه !!

ذلك كان موقفهم من الشعب على الدوام

فهل كانت الثورة تستهدف الديكتاتورية حين أبعدت تلك العصابات من ميدان السياسة ليتعلم الشعب وليتحرر وليصنع مستقبله وليقرر مصيره بنفسه !؟

ما أروعها من ديكتاتورية ، لو كانت كذلك ٠٠ لوكانت تستهدف أن يسكت البدراوى الى الابد ، فلا يتكلم باسم الشعب٠٠واذا كانت تستهدف أن يجلس فى البرلمان مواطن من صميم الشعب ليتكلم باسم الملايين لا باسم فرد أوأسرة

تلك هى دكتاتوريتنا وتلك هى ديمقراطيتهم ٠٠

ديكتاتوريتنا التى فرضت على العرش أن يسقط ، كما أراد الشعب ٠٠ ديكتاتوريتنا التى حتمت أن يتحرر ملايين الفلاحين من السخرة ٠٠ من طغيان مالك الارض ، ليبدأوا مرحلة جديدة فى تاريخ تطورهم ، وليختاروابلا ضغط من البدراوى أو سراج الدين أوأميرمخمور ممثليهم فىالبرلمان!!

انها ديكتاتورية الشعب كما أعلنها جمال عبــد الناصر منــذ شــهور على الملأ ٠٠ وهى الديمقراطيــة الحقيقيــة ، لا ديمقراطية العائلات والامراء والمخمورين !!

ومن أجل هذا٠٠من أجل فرض ارادة الشعب على الحاكم فى البرلمان كما أرادت الثورة ، لم تحدد الاحزاب موقفها ، لم تغير من برامجها وأهدافها ٠٠ لم تقبل الوضع الجديد٠٠ لم توافق على أن تكون فى مصر ثورة ٠٠

ولم يخرج من قيادتها الاقطاعيون والارســـتقراطيون والسماسرة ٠٠ بل بقوا ليخوضوا معركة فبراير كان شيئا لم يحدث بعد فاروق !!

محمد نجيب والثورة

اشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لاتتكلم عن محمد نجيب بصراحة ، وتروى لنا قصته كلها مع الثورة !؟

والواقع ان كل أصحاب الخطابات التى وصلتنى حول هذا الموضوع كانوا على حق .. فليس من المنطق قطعا أن اتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من ساسة الماضى واحزاب الماضى ثم أغفل قصة اللواء نجيب معنا ..

ومضيت مع خواطرى .. ثم وجدتنى فى حيرة كيف ابدأ القصة !؟

ثم هل هذا وقت الكلام فى موضوع انتهينا منه !؟

وعدت اتطلع الى الخطابات المتناثرة على مكتبى .. ان اصحابها ينتظرون الآن ما سوف أقوله لهم عن اللواء نجيب ، ولابد أنهم وكل الشعب يريد أن يعرف القصة .. وهذا مازاد من حيرتى !

لقد سكتنا على الدوام ـ نحن رجال الثورة ـ حيال ما يقال عنا ، وموقفنا من اللواء نجيب ، وفسر المغرضون هذا السكوت بما يتفق ومصالحهم وأشاعوا ان اللواء نجيب اختلف معنا ، او اختلفنا نحن معه لأنه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب .. اما نحن فلا .. نحن نخالفه فيما ذهب اليه ، ونحن وقفنا فى طريقه الذى كان سيقود الشعب فيه الى الحرية والديمقراطية والدستور !

وطارت الاشاعات والاقاويل هنا وهناك وكل اشاعة كانت تؤكد ديمقراطية نجيب وديكتاتورية مجلس قيادة

الثورة ، واعضاء المجلس المذكور يلوذون بالصمت ويتركون الاقوال تترى والاشاعات تطير الى حيث تشاء ولم يحاول مجلس الثورة اذاعة القصة كلها .. ليعرف الشعب الحقيقة الصارخة ...!

كنا جميعا وحدنا الذين نعرف الحقيقة ، أما الشعب فكان لايعرف سوى الاشاعات !

فهل نقول الحقيقة وأمرنا لله !؟

ومرة ثانية — أوثالثة لاادرى — عدت الى كومة الخطابات انقل بصرى بين سطور بعضها .. ان اصحاب الخطابات يريدون الحقيقة .. يريدون ان يعرفوا .. هل نجيب اختلف معنا لانه ديمقراطى ويريد الدستور أم لسبب آخر !؟

ان المسألة لم تعد تحتمل السكوت .. فهى مسألة الشعب وليست مسألة شخصية ..

ونجيب ان كان على صواب — فالشعب سوف يعرف الحقيقة اليوم أو فى الغد ، وان كان قد أخطأ فالشعب سيعرف ايضا كيف أخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد

وبين الرسائل التى أمامى واحدة يصرخ صاحبها وتكاد صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة .. انه يقول لى :

« قل لنا الحقيقة كلها ، فمن حقى ومن حق كل مواطن أن يعرفها .. لماذا قلتم لنا ان محمد نجيب هو قائد الثورة ، ولماذا حملتموه على اكتافكم الى الوجه البحرى ثم الى الوجه القبلى ، ثم قدمتموه الى الدنيا كلها شرقها وغربها على انه قائدكم .. وبعد ذلك تبين أنه كان يتآمر على هذه البلاد ، ثم لا يلقى جزاءه .. نريد أن نعرف الحقيقة ! ؟ »

وقد مرت على لحظات بعد أن قرأت تلك الرسالة ، وكانت لحظات مليئة بالحيرة والتأمل ، ثم قررت أن أروى

قصة محمد نجيب كلها .. قررت ان أرويها لكي نسدل الستار نهائيا على هذا الموضوع .. ثم نستريح ونريح !

وامسكت بالقلم وتوكلت على الله ..

من اين أبدأ ..؟

هل أبدأ قصة اللواء نجيب بتاريخ أزمة فبراير الماضى التى قبل فيها مجلس الثورة استقالة نجيب ثم لم يلبث ان أعاده .!؟

ام أبدأ بيوم ٢٥ مارس وقراراته المشهورة ..!؟

ان عشرات من المواقف تتبلور أمامى الآن .. وكل موقف منها يصلح ليكون بداية لقصة رهيبة .. لاضخم قصة فى تاريخ هذه الثورة !

هناك مثلا موقف ٢٧ مارس الماضى .. وكنا يومها قد ذهبنا الى مطار الماظة لنودع صاحب الجلالة الملك سعود ، وكان الوقت فى الصباح الباكر ، وعرجنا على ميس ضباط الطيران لتناول طعام الافطار على مائدتهم ، وماكدنا نمسك باقداح الشاى حتى اقتحم « الميس » خمسة من ضباط الطيران وعلى وجوههم الحنق الشديد ، وكانوا يلهثون وهم يقولون لنا :

ــ تعالوا .. الحقوا نجيب ..!؟

وبداية أخرى لقصة نجيب .. يوم ان عثرنا على تقرير فى قصر عابدين بين أوراق حافظ عفيفى ، والتقرير مرفوع الى السدة العلية الكريمة قبل الثورة بيومين اثنين فقط .. فمن الذى ارسله الى القصر .. الى السدة العلية الكريمة ؟!

انه بطل هذه القصة .. اللواء نجيب !

ان خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدى .. ماهو الخيط الاول

هاهو جمال عبد الناصر يذكر لنا اسم نجيب لاول مرة قبل قيام الثورة ، ولم يكن نجيب وحده الذى رشحه جمال ليوضع على رأس الثورة ، بل كان هناك شخصان آخران رشحا لهذه المهمة مع نجيب ، فلماذا وقع الاختيار على نجيب !؟

الايام الاولى

انني أرى الآن أمامي وجه نجيب وهو جالس معنـا فى الايام الاولى للثورة . . انه كان وجها طيبا يفيض بالاخلاص الشديد . . للثورة !

كانت تصرفات نجيب تبدو لنا رائعة للغاية فى الايام الاولى ، عندما كنا نعمل جميعا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، ننام هناك ونأكل ونشرب هناك أيضا

كان نجيب يتوجه الينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلا :

ـ انا أشعر بالخجل من نفسى ، لانى أراكم تنسونانفسكم تماما ، وانا لم أفعل شيئا ، لـكنكم تنسبون الى كل شيء ، وكل شيء قد تم بمجهودكم أنتم . .

وكانت تلك الـكلمات التى سمعناها من اللواء نجيب بمناسبة وبغير مناسبة كافية لـكى تبعث فينا الثقـة المطلقة به ، مما دفعنى الى أن أخرج الى الناس ذات مرة واخطب فيهم متحدثا عن نجيب وزعامة نجيب !

بل ان عبد اللطيف بغدادى تأثر ذات مرة الى الحد الذى قال فيه لنا :

« انني أحب هذا الرجل كأبى تماما ، واخشى ان يكون حبى له أكثر . . »

فماذا حدث بعد كل هذا . . وبعد أن وقف عبد الحكيم عامر فى قريته « أسطال » يبايع نجيب أمام أهله ، وبخطاب حماسى رائع كان عبد الحكيم عامر خلاله متأثرا الى حد انه تشنج !!

لقد كنا جميعا نشعر بالحب لذلك الرجل ، لانه كان فى الايام الاولى لايترك مناسبة دون ان يبدى فيها خجله منا ، ويعبر فيها عن دهشته لاننا ننسى أنفسنا ، وننسب كل شىء له ، وهو الذى لم يفعل شيئا !؟

ان قصة اللواء نجيب مليئة بالاحداث والغرائب ..

انها اعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث ، انها الاسطورة الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت ايضا فجأة كضباب الضحى ..

انها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لايؤمنون الا بأنفسهم حتى اذا كانت وسيلة ذلك هى تضليل الجماهير !!

انها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضى بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات ..

وهى أيضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة « ثورة » ويحاولون وقفها بأكذوبة الدستور والانتخابات والاحزاب

وهى نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد ان يبنى مصر فتصبح دولة عظمى .. وجيل عفن مهزوم عاش فى كنف الخنوع واصبح لايعنيه أن يتطور الشعب أو يتحرر أو تنشق الارض فتبتلع أفراده جميعا

انها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التى تقدمت الصفوف بلا وجل ، وخاضت أعنف المعارك ، وصمدت ثم أثبتت ان الشعب سينتصر على الدوام ..!

هى باختصار قصة الثورة الديمقراطية ..

وسوف يقرأ الشعب القصة كاملة ، فأنا اعدها منذ اليوم ..

أعدها من أجل الحائرين الذين رأونا نحمل نجيب على أكتافنا الى قبلى ثم الى بحرى . ورأونا ونحن ننكر انفسنا ونذكره ، ورأونا ونحن نصنع منه زعيما ، وهو يحفر للثورة قبرا ..!!

نجيب يدخل من أبواب التاريخ

كيف دخل اللواء نجيب من أبواب التاريخ !؟

من فتح تلك الابواب أمامه وقال له تفضل .. انت زعيم !؟

وعلى أى أساس قامت زعامته وقيادته لثورة شعب !؟

لقد هتف الشعب والجيش له من الاعماق ، وترددا اسمه على أفواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لانه القائد الذى انتصر وحرر بلاده ..

لقد كان نجيب رمزا لبطولة اسطورية بهرت العالم كله وفى كل بيت فى مصر علقت صورته ، صورة البطل الذى ظهر فجأة فى أرض النيل ، ليحرر العبيد ، ليطعم الجياع ويبرىء المرضى وينشر العلم والعدل والحق والمساواة ..

الجميع قالوا له انت زعيم ، أنت بطل ، أنت منقذ الشعب .. انت محرر الوادى

لم يختلف احد من أفراد الجيش أو الشعب على زعامة نجيب وبطولة نجيب وقيادة نجيب ، وكان عليه ان يتقدم الصفوف ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها ..

لم يكن ينقصه شىء أو يعطله شىء . فكل مقومات الزعامة والبطولة والمجد والولاء قد وضعت تحت أقدامه ، فماذا حدث ..!؟ لماذا لم يتقدم فى الطريق الى النهاية . وماذا كان يعطله .!؟

لقد أخلينا امامه الطريق تماما ، ووضعناه على رءوسنا ، ثم انكرنا أن هناك ابطالا غيره . كان مجرد الاشارة الى بطل آخر غير نجيب جريمة فى رأينا ..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو يجب ان ينسب الى رجل واحد ، رجل يصبح زعيما يقودالشعب فى الطريق الطويل الوعر حتى النصر ..

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال اعوام نضالنا قبل ٢٣ يوليو هو من أجل هذا الشعب .. من أجل ثورته على اعدائه ، وكل ثورة يجب ان يقودها زعيم

ونجيب أصبح الزعيم .. ثم ماذا حدث ؟

لماذا انهارت زعامته .. لماذا اختفت الاسطورة سريعا كضباب الضحى ؟

هل لان مجلس الثورة يريد الدكتاتورية ونجيب يريد الديمقراطية ؟..

ومن أجل هذا عزلناه وابعدناه من الطريق ؟..

اننى هنا أنشر الحقائق كلها ، ليعرف العالم كله شرقه وغربه حكاية اللواء نجيب .. وليعرف الشعب هنا فى مصر من كان يريد الديمقراطية ومن هو الديكتاتور .. وليعرف الشعب من هم الثوار ، ومن هم الحكام ؟..

وقبل أن ابدأ القصة اود ان اسجل هنا خاطرا مر بذهنى وانا أمسك بالقلم لابدأ القصة .. تخيلت جمال وعبد الحكيم وصلاح وبغدادى وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الاحرار وقد بطش بهم نجيب فى ازمة مارس الماضى ، واصبح هو الحاكم على البلاد ..

فماذا كان سيحدث فى مصر ، بعد البطش بالذين صنعوا نجيب ؟..

هل كان نجيب سيطلق الحريات والعدالة والحق ..

وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية .. وعلى يد من ؟..

هذا هو السؤال ..

على يد من كان نجيب سيحقق أهداف الثورة المصرية ؟

على يديه وحده .. أم كان سيكمل اتصالاته فى مارس المشهور ويجىء بابراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وبسراج الدين وبكل أقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد ؟..

على أى حال ، الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع نجيب بالبلاد بعد ان يبطش بنا ؟!

والذى كان معروفا انه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس الجمهورية يضم الاخوان والسعديين والوفد والاحرار الدستوريين ، ويلغى مجلس الثورة



الثورة والدستور

الاحزاب وخط الثورة

قلت ان الأحزاب لم تفهم معنى الانذار الذى وجهناه اليها بضرورة تطهير نفسها ، وكان مفروضا أن تسرع تلك الأحزاب فتغير من برامجها ، ومن أشخاص قادتها ومن معتقدات أفرادها ــ اذا استطاعت ــ لكن تبين بالرغم من حسن نوايا الثورة أن هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياسة ، وأن الشيء الذى يعنيهم سواء أكانت فى مصر ثورة أم أسرة مالكة هو أن يحكموا البلاد

والواقع أن موقف الثورة من الأحزاب كان خاطئا من البداية .. فهى ــ أى الثورة ــ كان حتما عليها ، أن تقضى على كل التركة التى خلفها لنا العهد الماضى ، والأحزاب بشكلها الموجود كانت شيئا مخالفا لمفهوم الثورة .. وما حدث فى البلاد من مآس ومن ظلم وغدر واستبداد منذ وجدت فيها تلك الأحزاب لاتقع مسئوليته على النظام الذى كان قائما ، بقدر ما تقع هذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الامور بالتتابع فى كنف دستور اقطاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب

أقول انه كان مفروضا بعد أن مدت الثورة يدها البيضاء الى القيادات السياسية الموجودة فى البلاد ، أن تفهم تلك القيادات أن ماحدث فى مصر ليس انقلابا سوف يزول بين وقت وآخر ، بل الذى حدث هو تطور اجتماعى محتوم

يفرض على كل القيادات السياسية اذا كانت حقا - ديمقراطية - أن تؤمن به وتعمل على تحقيقه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور ، بل كان مفروضا أن تنظر فى بعض القيادات السياسية فتضع برامج تهدف الى القفز بركب التطور فى البلاد الى أبعد مدى ، لا الى تعطيله ووقفه كما ارادت بعض تلك القيادات



ويبدو ان رفض الأحزاب الوقوف الى جانب التطور الاجتماعى كان من صالح البلاد ... فلو كانوا قد فعلوا لظهر بعد توليهم الحكم مدى ايمانهم ذلك بالثورة المصرية واتجاهها الانسانى نحو التحرر والعدالة

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طوال ربع القرن الأخير كان كل افرادها من طبقة معينة لا تتفق مصالحها على الاطلاق مع مصالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسطة التى استمدت الثورة اهدافها الحقيقية من مصالحها

وبالرغم من تراجع الأحزاب عن خط الثورة المصرية ، وبالرغم من رفض قيادات تلك الأحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة ، فاننا ظللنا نؤمن بامكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فأردنا أن تكون فى البلاد أحزاب ، وأن تجرى انتخابات ، وأعددنا قانون الأحزاب فعلا ، وكان الهدف الأساسي لذلك القانون هو ان تسجل الاحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط استبعاد الأشخاص الذين ثبت أنهم افسدوا فى الحياة السياسية ، وهم أكثر من أن نحصيهم هنا ...

النحاس وسليمان حافظ

وبدأ الوفد يناور ويحاور ، ثم وقع حادث صلاح الدين وسليمان حافظ وهو حادث مشهور ولم تكن لنا فيه يد على الاطلاق

فقد ذهب محمد صلاح الدين ، وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية فى ذلك الوقت ، وذلك ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية .. وفى مكتب سليمان حافظ جلس صلاح الدين يتحـــدث مع الوزير .. وفجأة قال سليمان حافظ لصلاح الدين :

ـ مصطفى النحاس ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع

وطلب سليمان حافظ أن لا يشترك النحاس بصـــفة فعلية فى ادارة حزب الوفد الجديد

وهرول صلاح الدين الى سراج الدين وابلغه الحكاية ؛ وذهب سراج الدين الى النحاس وروى له ماقاله سليمان حافظ ، ثم بدأت المعركة بين الوفد وسليمان حافظ

وكما قلت لم يكن للثورة دخل فى الموضوع ، لكن الحملة التى شنها الوفد على سليمان حافظ امتدت الى الثورة نفسها .. فكتب أحمد أبو الفتح سلســـلة مقالات تحت عنوان « الى أين .. » واظهر فيها بطولة خارقة ، فبـــدأ يتكلم عن الثورة بأسلوب عجيب ، واعتبرها انقلابا من انقلابات الاقليات السياسية ، وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم فى البلاد

وأذكر أننى كنت فى ذلك الوقت مسئولا عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائى فى مجلس الثورة يتساءلون :

ـ هل من المصلحة أن يقال مثل هذا الكلام ؟ .. اننا لم نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين ، بل لمصلحة الشعب كله ، فمالنا نحن وسليمان حافظ واحمد ابو الفتح وباقى

الناس الذين ليس لهم وضع فى الثورة ، والذين ان جد الجد واحسوا برقابهم تتأرجح فوق اجسادهم — كما حدث لنا ليلة ٢٣ يوليو — لفزعوا وولوا الادبار . . .

تجاهل الوضع الثورى . . .

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار ، وبعضهم قال ان هذا الكلام فيه تضليل للشعب ؛ لأن احمد أبو الفتح اعتبر اننا حكاما وتجاهل الوضع الثورى

وقات يومهـا لزملائى : دعوه يكتب كيف يشاء ودعوه يفرغ كل ما فى راسه من كلام ولنر صدى كلامه عند الراى العام

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صدى معين لأنها كانت تأخذ نفس الشكل القديم لمقالات الصحف المصرية التى تسيطر عليها الأحزاب . . . مدح فى هذا وقدح فى ذاك ولا شيء غير ذلك . لا موضوع ولا راى ولا توجيه ثورى ، او على الأقل يستهدف الصالح العام ، لا مصالح حزب الوفد فقط

كانت مقالات « الى اين » كلها مدحا فى مصطفى النحاس، كان مصطفى النحاس هو القضية ، وليس الشعب . . .

وكان الناس لا يزالون يذكرون موقف النحاس أثناء توليه الحكم آخر مرة ، من القصر . . . وكيف تحالف حزبه معه الى أبعد مدى ، وتنازل عن شكله الشعبى من اجل ان يبقى فى الحكم . . . لهذا كان مدح النحاس آخر حليف سياسى لفاروق والاقطاع شيئا غير مستساغ بالمرة فى وقت راى الناس فيه صاحب العرش يطرد من البلاد

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعـة « الى اين . . . » وبدات اخطارات

الاحزاب الجديدة تترى ، وخيل الينا ان مصر سوف تشهد عهدا غريبا يتصارع فيه الف حزب سياسى من أجل كراسى الحكم ...

وأحصينا الرقم الأخير فوجدنا أن هناك واحدا وعشرين زعيما فى مصر ، تقدم كل واحد منهم باخطار عن حزب جديد ، وبينهم زعماء لم يسمع بهم أحد .. وكأن الارض قد انشقت عنهم فى غفلة من الشعب

مبادىء من كل لون ، وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها متشابه بل تكاد تكون نسخة طبق الأصل من بعضها

وجلسنا نفكر ، هل هذا هو ماتريده الثورة المصرية ؟. وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسيرون بالثورة المصرية الى نهايتها ؟

ومن هم !؟

ما هو ماضيهم !؟

ما هو كفاحهم !؟

رحلة ملكية لرشاد مهنا

ولم نكن ندرى ماذا يدور فى رأس رشاد مهنا بالتحديد ، ورأيناه يدلى بأحاديث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول شخصه فيذهب الى مسجد السيدة ليصلى الفجر « حاضرا » ومعه مطورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر « حاضرا » مرة واحدة من قبل .

ولم نبال بهذه التصرفات الغريبة ، فقد كنا نتوقع أن يذهب كرسى « العرش » بلب رشاد مهنا الى حد ما ... لكن فوجئنا ذات يوم برشاد وهو يأمر ادارة قصر عابدين باعداد العدة لقيامه برحلة الى واحة سيوه ، وكانت الأوامر

التى اصدرها رشاد تطابق تماما الأوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الأحوال ... سـيارات من جميع الماركات والاشكال وحاشية وخدم ومصاريف .. وعندما بلغنا النبأ نظرنا الى بعضنا وقلنا

ـ الله .. ايه الحكاية !؟

كنا نعرف أن رشاد مهنا لا يؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها، لكننا لم نكن نتوقع ابدا ان يعين رشاد مهنا نفسه ملكاهكذا ببساطة ... وكأن طرد فاروق كان حبرا على ورق

ويبدو ان سراى عابدين ومناظرها والابهة الشائعة فى حجراتها وكل مكان فيها و « الجو » الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح ؛ كل هذا قد ذهب بلب رشاد مهنا فطار عقله ونسى انه ليس من اسرة محمد على

ويبدو أيضا أن سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم منها البلاد ... وأذكر أن جمال عبد الناصر فى ابريل عام ١٩٥٤ كان يجلس فى مكتب اللواء نجيب بعابدين ، وقال جمال للواء نجيب :

ـ أنا حاسس ان القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه ، فايه رايك .. تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر، ونخلى القصر ده متحف ؟

ورد اللواء نجيب على جمال قائلا بالنص :

ـ يا سيدى .. ما شؤم الا الشؤم

وسكت جمال

انا املك واحكم

وأعود الى الموضوع .. الى « الهيصة » فأقول ان الأمور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة رشاد الملكية الى سيوه ففى ذات يوم استدعى رشاد مهنا اللواء نجيب الى مكتبه فى

عابدين ، وفى حضور سليمان حافظ اخذ رشادمهنا يعنفه، وكان رشاد وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب : أنا لا أسمح بهذا ، ولا أرضى بذلك ، ثم صرخ قائلا وبصوت عال جدا :

ـ انا مش زى فاروق .. انا هنا أملك واحكم !

وكانت مفاجأة أخرى لنا .. فنحن نعمل ليلا ونهارا من اجل اعداد خطوات الثورة المصرية ، ورشاد فى قصرعابدين يصرخ ويريد ان يملك ويحكم ..

ولم يقف طموح رشاد مهنا عند حد ، وبدأ يصطدم بنا

حدث ان الملك المخلوع كان قد اغتصب كالعادة سيارات تابعة للجيش ، وبعد الثورة طلبت ادارة الجيش من سراى عابدين اعادة تلك السيارات الى وحداتها وفوجئنا بأن « مولانا » رشاد مهنا يرفض اعادة تلك السيارات .. وكان هذا الموقف كفيلا بأن يقنعنا تماما بأن الثورة فى خطر وأن البلاد توشك أن ترى ملكا جديدا من أسرة أخرى غير أسرة محمد على ...

يد الثورة تنقذ الموقف

وأمام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار اجتماعا سريعا ، اصدرت فيه قرارا باقالة رشاد مهنا من منصبه كوصي للعرش والاكتفاء بالامير السابق محمد عبد المنعم فى مقعد الوصاية الى ان يبت فى مسألة العرش ، وكنا قد أجلنا هذه العملية الى أن تأتى الفرصة المناسبة

وخرج رشاد من قصر عابدين الى بيته وذهب اليه جمال عبد الناصر وعرض عليه فى كرم شديد أن يختار لنفسه اى منصب فى السلك الدبلوماسي ... لكن رشاد رفض ... كان يريد أن يظل ملكا على البلاد

وبدأ رشاد ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه .. فبدأ يتصل بالاحزاب وبالاخوان بصفة خاصة ، وكان الوفد يامل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم ، ورأى الوفد فى خروج رشاد مهنا فرصة ذهبية ...

وظنوا ـ جميعا ـ ان وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة ، لهذا كبر الامل فى صدورهم واعتقدوا ـ جميعا ـ ان رشاد هو منقذهم من الثورة

تكتل الاقطاع مع رشاد مهنا

وحدث ما كان لابد ان يحدث ... ففى كل بلاد الدنيا عندما تقوم ثورة يتكتل اعداؤها الذين تهدد الثورة مصالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها .. وقد حدث فعلا أن لاحظنا بوادر هذا التكتل ... الأحزاب والاقطاع ورشاد ـ جميعا ـ بداوا يتحفزون للقضاء على الثورة .. وتتابعت الأحداث ورأينا أن حسن نية الثورة قد يقضى عليها ، كما رأينا أن عطفنا واستعدادنا للتعاون مع الجميع وايماننا بكل مصرى مخلص يريد ان يعمل فى نطاق الثورة مهما كان لونه ومعتقداته .. كل هذا قد يطيح لا بالثورة .. فثورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها .. بل قد يطيح بكل ما صنعناه نحن من احداث تاريخية كان حتما على الثورة أن تجتازها لتبدأ فى صنع مستقبل الشعب

احسسنا ان تكتل تجار السياسة مع رشاد مهنا مع الاخوان مع الاقطاع قد يعطل من سير الثورة ، وهذا ما لم نكن على استعداد للتهاون فيه .. فى مثل هذه الحالات يبدو الأمر مضحكا اذا لم نضرب بيد الثورة الحديدية لا البيضاء المسالمة العطوفة التى مددناها للجميع

وجاء يناير عام ١٩٥٣ ، وكان قد مضى على الثورة ستة شهور ، فوجدنا أنفسنا امام جبهات تتآمر علينا فى الخفاء

تظهر لنا الود فى العلن .. وجدنا انفسنا امام احزاب
يد طعننا من الخلف ، وأفراد ينشطون فى الظلام لحساب
اقطاع ، ورشاد والرجعية المصرية المتحجرة ... وكنا
واد وجميع الاحزاب والهيئات فى واد آخر .. كنا نريد
ثورة ونحمل رقابنا على أكفنا من أجل هذه الثورة المصرية
التى بدأت زحفها منذ يوليو ... وهم ماذا كانوا يريدون !؟

من يحتاج الى العدل ؟ ؟

هل كانوا يريدون الحرية !؟
هل كانوا يريدون العدالة .. فى الريف والحضر !؟
ام تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام !؟
وأين كانوا اذن قبل أن نصنع ما صنعنا !؟
ومن هم .. هذا هو السؤال ...

ان الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين والعاملين وتدفعهم دفعا الى العمل على تحقيقها الحاجة اليها ... اما ان يطالب اقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام ... فهذا أمر يبدو مضحكا ... بل ويدعو الى السخط الشديد

فهو ليس فى حاجة الى عدل ولا الى حق ولا الى سلام .. هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر .. اذن فالذين تكتلوا ضد الثورة مع رشاد مهنا لم يكن هدفهم عودة الحياة الديمقراطية المزعومة ولا عودة الحق والعدل والسلام ... فتلك أشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب جميعا ــ ويجب على الثورة سحقهم بلا رحمة . . بل وسحق الذين يقفون الى جوارهم فى انتظار الجريمة .. ولكن الجريمة لم تقع .. فقد امتدت يد الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها فانتهى الأمر بمحاكمة رشاد مهنا ، والغاء الأحزاب .. وتحديد فترة انتقال تبدأ من يناير ١٩٥٣ وتنتهى فى يناير ١٩٥٦ ...

أسقطنا الدستور الاقطاعى

ضربت الثورة ــ كما قلت امس ــ بقبضتها الحديدية فالغت الاحزاب وحددت فترة انتقال ، وذلك عندما اطل عليها خطر التكتل الذى تم بين رشاد مهنا ، والاقطاع ، والاخوان والاحزاب . . . وكان حتما على الثورة ان تضرب هؤلاء الأعداء منــذ اللحظة الاولى التى خرج فيها كبيرهم ــ فاروق ــ من البلاد . . فالقيادات السياسية التى كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد ــ ثورة ــ كما ذكرت ، بل كان هدفها دوإما هو الحكم والسيطرة على الشعب ، لصالح القصر وانظام الذى كان قائما . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فالثورة ــ اى ثورة ــ لا يعقل ابدا ان يتولى توجيهها نحو اهدافها العديدة جماعة من السياسيين لم يشتركوا ــ على الاطلاق ــ فى قيامها او فى التمهيد لها . . بل على العكس ، كانت الثورة المصرية التى تهدف الى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملكى ، وتصنيع المجتمع الاقطاعى المهلهل ، لا تجد فى واحد من رجال الاحزاب عونا لها قبل ان تقوم ، فكيف يمكن لهذه الثورة ان تجد العون فى هؤلاء السياسيين بعد ان قامت فعلا وبعد ان بدأت تزحف على أعداء الشعب ؟؟

هل كانت الثورة الامريكيــة او الروسية او الصينية تنجح لو ان رجالها لجاوا الى السياسيين القدامى وعهدوا اليهم بتوجيه الثورة ، وما هو دور الذين صنعوا الثورة نفسها ؟ ! يترهبنون ويطلقون لحاهم ، او ماذا يصنعون ؟

كنا ـ اذن ـ على حق عندما ضربنا بيد الثورة الحديدية وقبرنا الجريمة فى مهدها ، قبل ان تتم على ايدى رجال الاحزاب ، ورشاد مهنا وباشوات البلاد ... ومشعوذيها !!

ان الغاء الاحزاب المصرية بعد يوليو عام ١٩٥٢ كان عملا ثوريا ينبع من أصول الثورة المصرية . ومن اتجاهها الانسانى الشعبى

فلم يحدث فى تاريخ الثورات ان قام جماعة من الناس بثورة على الطغيان والاستبداد والاستعمار والاقطاع ، ثم تركوا ـ الثورة ـ وهى لم تزل وليدة لم تقف بعد على قدميها للرجعيين والاقطاعيين والمشعوذين ليحفروا لها قبرا .. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد بالنسبة لثورتنا عندما قررت الغاء الاحزاب ، وتحديد فترة انتقال واسقاط الدستور ..

نحن نحمى الدستور

لقد قلنا بعد طردنا زعيم العصابات السياسية فى مصر الملك السابق فاروق اننا نحمى الدستور .. وكنا فعلا نعنى مانقول ، لكن الاحزاب المصرية وليدة النظام الملكى الاقطاعى ترجمت هذا الشعار بما يتفق ومصالحها ، فطالبت بالحكم وباجراء انتخابات .. اى بدفن الثورة المصرية فى أعماق الارض ، ليبقوا هم سادة للعباد والشعب حيث هو فى الحضيض يمرض ويجوع ويموت .. هذا شىء لايعنيهم ، فسراج الدين وغيره من قادة « الشعب » فى عهد فاروق يريد أن يحكم ويحكم ويحكم ، اما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القادة الكبار ليسوا فى حاجة الى شىء منها ، فالعدالة والحرية والنور اشياء موجودة فى حياته هو .. فى قصره وفى مكتبه وحيث يكون ، انه يملك كل شىء وليس فى حاجة الى شىء .. فقط هو يريد أن يحكم العباد ، فاذا

ثم يستطع فالامر اذن ديكتاتورية وفاشية وحكومة ضباط وعساكر .. وكان علينا ونحن نعد خططنا للزحف الابيض على اعداء الشعب ، ان نتردد الف مرة قبل أن نضرب بيد الثورة الحديدية ، فكما قلت من قبل كنا لا نريد ان نخوض معارك دموية ، مادامت الثورة تستطيع استرداد الارض من الاقطاعى بالحسنى ، حتى اذا لم يخضع لمشيئة الثورة ، كنا فى حل من استعمال القوة ، ذلك كان قانون الثورة .. وكل ثورة ، سواء اكانت فى مصر أم فى آخر الدنيا ..

واعود الى الدستور .. كنا نعنى كما قلت أن الثورة تحمى الدستور ، والدستور الذى وضع للبلاد فى أبريل عام ١٩٢٣ يتكون من ١٧٠ مادة وتنص المادة الاولى منه على أن « مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وهى حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شىء منه ، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى »

ذلك هو نص المادة الاولى من ذلك الدستور ، وكما قلت كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين ، وتريد ان يتعاون معها كل الناس ، وعندما مدت الثورة يدها للاحزاب ثم طالبت تلك الاحزاب بأن تثور ايضا مثلما ثار تنظيم الضباط الاحرار تبين للثورة خطؤها ، وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلا .. لولا أن ضربت ـ كما قلت ـ بيدها الحديدية ، فلم تتم الجريمة .. وانتهى الامر بحل الاحزاب ومحاكمة رشاد مهنا .. وكذلك باسقاط الدستور

كنا نريد ان نتعاون اذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود ، ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى اعداد خطوات الثورة ، بنفس حماسنا ، وبنفس فهمنا للثورات .. وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده .. وعندما تراجع رجال الاحزاب ورفضوا ان يثوروا مثلنا ، رأينا ان

نعيد النظر فى خططنا .. راينا ان نعتمد على انفسنا ، وعرفنا فى الحال ان الثورة لايمكن على الاطلاق أن تنجح بغير رجالها ، هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذود عنها وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين واعداء التطور .. لا ثورة بلا ثوار .. كان ذلك هو شعارنا بعد أن اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه ، عندما مددنا أيدينا للجميع وطالبنا الجميع بأن يثوروا ، فارادوا ان يحكموا

ثم رأينا ان الدستور الذى يأخذ علينا اعداء الثـــورة اسقاطه .. يحمى النظام الملكى كما ذكرت ، ويحمى مالك الارض وسيد العباد .. وتناقشنا فترة ليست قصيرة ، حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورة الاولى .. القضاء على تاج محمد على ، وعلى تيجان بشوات مصر فى الريف ..

اللواء نجيب يعارض ..

لكن بعد أن درسنا المسألة برمتها وجدنا ـ وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام ـ أن بقاء دستور ١٩٢٣ ليس فى مضمون الثورة على الاطلاق .. فهى ثورة اجتماعية قبل كل شيء .. ثورة تستهدف تغيير الوضع الاقتصادى وهذا امر يتنافى مع الدستور ، وكذلك طرد الملك واسقاط النظام القائم امر لا يجيزه الدستور ايضا ، فكيف اذن نبقى عليه .. ومواده الباقية تحمى الاحزاب ورجالها ، الذين هم اعداء للثورة ، والذين بدأوا يتآمرون عليها !؟

وكان لا بد للثورة المصرية بعد يوليو أن تسقط الدستور ثم بعد ذلك تضع الثورة دستورا ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام أو الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شيء .. فقد كان من اسس ثورتنا القضاء على سيطرة راس المال وعلى جهاز الحكم ، وأعلن عن هذا المبدأ فى منشورات

الضباط الاحرار قبل الثورة بزمن طويل ، ثم أعلنه مرة ثانية الرئيس جمال عبد الناصر منذ اسابيع ضمن مبادىء الثورة الستة .. فكيف كان اذن يمكننا الابقاء على الدستور وكثير جدا من مواده يتعارض مع اهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة !!؟

وقد كان اللواء نجيب يعارض فى اسقاط الدستور مثل باقى الاحزاب والهيئات التى كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا أية ثورة ، ثم مالبث نجيب أن وافق على راينا . تماما مثلما حدث عندما قررنا الغاء النظام الملكى ، فقد عارض اللواء نجيب فى هذا ايضا ثم مالبث ان عدل عن رايه ، واذكر اننى ذهبت اليه يومها فى منزله .. ثم خرجت وعقدت مؤتمرا صحفيا فى خيمة الحرس امام المنزل وأذعت من هناك البيان

تلك كانت قصة اسقاط الدستور .. ففى مصر ثورة ولها اهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدستور كجدار عال امامها .. وهنا ـ أيضا ـ تمتد يد الثورة لتهدم الجدار .. ولتعد دستورا ينبع من فلسفتها .. دستورا يحمى الشعب فى عصر ما بعد الثورة ، ويحفظ للشعب كل كسب حصل عليه من اعدائه .. وقد كان دستور ١٩٢٣ يحمى مكاسب أعداء الشعب فقط !!

يارَبّ ...

رب ما أجل حكمتك ..
وما أعظم قدرتك ..
لك الحمد والنعماء ..
تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء ..
الهى لك الحمد والنعماء ..

فقد آتيت ملكك الشعب بأسره ، بعد أن كان بيد فرد وحده ، كفر واستعلى وقال أنا ربكم الأعلى ..

ثم شاءت ارادتك ، ونفذت كلمتك فخرج الأجنبى المستعمر ذليلا بليل ، وتطهرت الأرض المباركة الى الابد من نجسه وأعوانه ، ومن شره وعدوانه ..

فى هذه اللحظة القدسية المباركة ، أسألك يا الهى بحق عزتك وجلالك أن تنفخ فينا من روحك روحا ..

وان تشعلها يارب أملا وطموحا ..
وأن تجعلها يارب نارا ونورا
حتى نصبح يارب أهلا لعطيتك ..
أمناء على نعمتك ..
ظامئين والى الأبد الى رحمتك ..
وما رحمتك يارب الا حكمة ورشاد ..

حكمة يارب تجنب قومى الزلل ، وتنأى بهم عن الفرقة والحسد والأحقاد . .

فلقد كان هذا الشعب يعيش آمنا مطمئنا متوحد الكلمة سليم البنيان ، ابتلى على مر التاريخ بالغزاة والفاتحين ،

ولكن احدا من هؤلاء لم يغلبــه أبدا على امره ، أو يسـلبه عزة نفسه

ظل هذا الشعب يقاوم ويكافح ، وكانت أقسى مراحل كفاحه تلك التى كان يكافح فيها القرصان اللص الذى تسلل فى الوقت الذى يكافح فيه دعاة الفرقة واشباه الزعماء من ابنائه . . .

هنالك فقط أحس الشعب بوطأة جراحه . .

فالقرصان اللص جاثم على الارض يستعبد ابناءها ويسلب خيراتها ، والزعماء من ابناء البلاد لاهون عنه بأمرهم ، قسموا البلاد شيعا واحزابا وعلموا الناس التنابذ والأحقاد

راينا القرية الصغيرة ينقسم أبناؤها ، والعائلة الواحدة تقتل فروعها ، كل ذلك من اجل عرض زائل سموه السـياسة وسموه الاحزاب وسموه الانتخاب ، وما هو فى حقيقته الا الجشع والحقد والحسد والكراهية والطمع والفساد

وهكذا راحت جهود الوطن هباء بيد الحكام من ابنائه ، وأصبح الناس وأمسوا فى يأس من الحال وجأروا اليك يارب بالشكوى وسألوك عن المآل

هنالك تداركتهم يارب رحمتك . . .

فاحفظ اللهم فى مستقبل الايام على قومى وحدتهم التى جعلت لهم من بعد ضعف قوة ، وأحالت بأسهم بينهم رحمة وعلى الأعداء نقمة . .

وما رحمتك يارب الا يدك التى تضعها فوق ايدينا . .

ومكابر من يقول ان ماحدث كان ممكنا ان يحدث من غير ان تكون يدك يا الهى فوق أيدينا . .

رأيناها ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ نصرا وتمكينا

ورأيناها يوم تهاوت حصون الظلم امامنا حصنا فى اثر حصن وكأنها بيوت من ورق او قصور على الرمال . .

خرج الملك مذعورا يتلفت وكل ما يطلبه هو النجاة ..
وانكشف امر الأحزاب والحزبية على مرأى ومشهد من كل العباد ..
وانتهى الى الأبد على أرضنا التضليل باسم الدين واستغلال السذج والبسطاء
ورحل بالامس عن أرضنا قرصان مغتصب ظل طوال خمس وسبعين سنة يخنق حريتنا ويشيع فى الارض الخلف والفساد
رأينا يدك يارب واحسسناها فى كل مامضى من أحداث ..
فهلا أكملت لنا يارب ما بدا ، وأتممت على قومى يارب نعمتك بيدك تظل فوق أيديهم حتى يقيموا البناء ..
رب ...
انك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى عليك يارب من شيء فى الارض ولا فى السماء ..
فاهد اللهم راعينا جمالا بنيته ، ووفقه على قدر ماتعلم من اخلاص فى سريرته
واقم يارب على يديه بناء هذا الوطن صرحا للحق والخير والسلام
واملأ قلبى وأفئدة قومى دائما بالبشر والحب والرجاء

فهرس

صفحة

مقدمة ٨
الثورة والديمقراطية ١٥
الضباط الاحرار ٤٩
خطة الثورة ٦٣
أحداث الليلة الاولى ٨١
كيف نجحت الثورة ؟ ٩٥
طرد الملك فاروق ١٠٥
الثورة وزعماء الاحزاب ١٥٥
تحديد الملكية ١٨١
محمد نجيب والثورة ٢٠١
الثورة والدستور ٢١٣
يا رب ٢٢٩

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسي بطريق الملكي المتفرع من شارع بيكو في بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهي تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمي ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

مكة المكرمة : السيد هاشم بن علي نحاس ـ ص. ب ٩٧

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

ساحل الذهب : The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.

نيجيريا : Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

انجلترا : مكتب توزيع المطبوعات العربية

Arabic Publications Distribution Bureau
7, Bishopsthorpe Road, Sydenham,
London S.E. 26, England.

فرنسا : Etablissements Helbaoui,
29, Rue Saint-Augustin,
PARIS-2°, FRANCE.

البرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio N° 3,
3° Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

لأول مرة يصدر كتاب كامل عن قصة الثورة كاملة بقلم أحد قادة الثورة

ولا ريب أن سلسلة كتاب الهلال التي نشأت أثناء ولادة هذه الثورة ، تعتز بأن تنشر في هذه الأيام هذا الكتاب الذي يتفق صدوره مع هذه الأعياد الوطنية الكبرى : عيد الجلاء ، وعيد الدستور ، وعيد الجمهورية ، وعيد الذكرى الرابعة لقيام الثورة المصرية المباركة

وقد مهد واضع الكتاب القائمقام أنور السادات لهذه القصة التاريخية بفصول عن الثورة والديمقراطية ، ثم روى أحداث هذه الثورة منذ بدايتها حتى تم ... على الفساد وحققت لمصر العزة والكرامة

... صفحات هذا الكتاب تكشف عن أهم ... في تاريخ مصر الحديث ... هذه الثورة المجيدة التي أخرجت مصر ... ظلمات الاستعباد الى نور الحرية ، وأنا ... لها ... لما حددنا تتحقق فيه الجلاء التام وال... والاستعمار الاجتماعية والعمرانية ...

... قصة تاريخية وقصة قومية وقصة اجتماعية ... انها قصة مصر الجديدة

كتاب الهلال

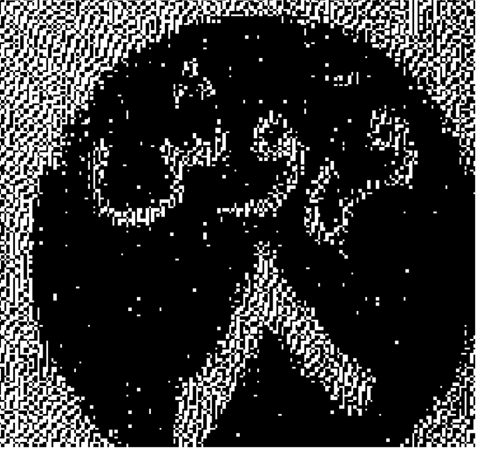
جحا
الضاحك المضحك

بقلم

عباس محمود العقاد



سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٦٥ ــ ذو الحجة ١٣٧٥ ــ أغسطس ١٩٥٦

No. 65 — August 1956

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ــ بوستة مصر العمومية ــ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشــــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ــ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ــ سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا او لبنانيا ــ الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش صــــاغ ــ فى الامريكـــــتين ٥ دولارات ــ فى ســــائر انحـــــاء العـــــالم ١٥٠ قرشا صاغا او ٣٠/٩ شلنـــا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

جحا

الضاحك المضحك

بقلم

عباس محمود العقاد

دار الهلال



جحـا

تمهيد

الكلمة والضحكة

الكلمة اكبر الفتوح الانسانية فى عالم الكشف والاختراع ، لو لم يخترعها الانسان لوجب أن يخترع ما يساويها وينوب عنها ، لانه لا حياة له بغير التفاهم بينه وبين ابناء نوعه ، ولا تفاهم على شىء من الاشياء بغير الـــكلمة او ما يدل دلالتها

انقول على شىء من الاشياء وكفى ؟

كلا . بل نعمم القول على الاشياء وماليس بشىء من الاشياء ، ونضر بالمثل بيوم الاربعاء أو يوم الخميس أو يوم من الايام فى الشهر الاول من السنة الحاضرة

ما هو ذلك اليوم ؟ وما هو ذلك الشهر ؟ وما هى تلك السنة ؟

يصعب علينا أن نسميها شيئا من الاشياء يتأتى لنا أن نشير اليه كما نشير الى كل شىء نراه أو نحصره :

مسافة من الفلك تدور فيها الارض حول نفسها ، وليست هي بالمسافة الثابتة التى تعود الى مكانها فى مجرى المنظومة الشمسية من آجواز الفضاء !

شيء او لا شيء ..

ولكنه على ذلك اسم لابد منه لمن يذكر التاريخ ، ولمن يعمل فى ساعته الحاضرة ، ولمن ينظر الى المستقبل ويقرر له المواعيد والمواقيت

والاسم فى اللغة هو الذى استطاع ان يصطاد للعقـــل هذه المسافة المجهولة من الفضاء الابدى ويعطيها الدلالة التى لا غنى عنها

ولكنها ليست بالدلالة الوحيدة التى لا غنى عنها

كل ما تدل عليه اللغة لا غنى عنه للانسان ، ومنه هذه المحسوسات التى نلمسها ونراها بالعين ، كالطريق والمركبة والكرسي والاناء . فاننا نجرب الاستغناء عن اللغـــة يوما ونحاول أن نتفاهم عليها وهى غائبة عنها لا نستطيع ان نشير اليها

لاسبيل !

وصدق القرآن الـكريم : كل علم هو علم الاســـماء ، والله علم آدم الاسماء كلها ، لانها هى العلم الانسانى من مبدئه الى منتهاه

الا انه علم الانسان

وكل علم للانسان يعرض له النقص من بعض نواحيـــه ، فاذا قال لنفسه : لابد لى من اللغة ! فلا ينس أن يقول لنفسه : نعم . وحذار من هذه اللغة ، فان النفع منها للعقل عظيم جد عظيم ، ولكن الضرر منها غير قليل وغير مأمون

من منافعها انها تحصر المارد المنطلق فتحبسه فى القمقم المرصود مطيعا حيث يراد

ومن أضرارها أنها تحبس المردة الكثيرة فى قمقم واحد ، فتنطلق مرة واحدة حيث يراد واحد منها ، وتنحبس مرة واحدة حيث نريد أن نطلق منها هذا وندع منها ذاك

عودتنا اللغة أن نحسب كلّ اسم علما على شيء واحد، وكثيرا ما يكون هذا الاسم كالقمقم الذى يحتوى فيه عشرات المردة بعلامة واحدة ، وما من شبه بينها غير تلك العلامة لضرورة التمييز والتقسيم

تعودنا أن نسأل : ما العلم ؟ ما الفهم ؟ ما الحس ؟ ما الضمير ؟

وتعودنا أن نسأل : كيف نعلم ؟ وماوسيلة الفهم ؟ ولماذا نحس ؟ ومابالنا نصغى للضمير ؟

تعودنا ذلك ، وتعودنا أن نجيب بجواب واحد ، كأننا نسأل فى جميع هذه الاحوال عن شيء واحد

وما نسأل فى الحقيقة الا عن أشياء كثيرة تنبيء عنها كلمة واحدة

ما نسأل فى الحقيقة الا عن عشرين ماردا أو أكثر من عشرين ، يجمعهم القمقم الواحد الذى نشير اليه

وفى سياق هذه الرسالة ــ رسالتنا عن حكمة جحا أمير المضحكين ــ نسأل كما تعودنا من كل كلمة : ما الضحك ؟ ولماذا نضحك ؟

وما الضحك بشيء واحد ..

وما نضحك لسبب واحد ..

وما نفكر فى الضحك على نحو واحد ..

ولكنها الكلمة التى لا غنى عنها ، ولا أمان منها كذلك مالم نعرف سر الرصد المسحور

وهانحن أولاء فى هذه الرسالة نعرف سر هذا الرصد فى كلمة واحدة ـ كلمة الضحك ـ لنعرف منها امير المضحكين بين المضحكين ، ونعرف منها اضاحيكه بين اشتات المضحكات

الضحك ضحوك عدة اذا صح هذا التعبير ، وليس بضحك واحد

ونحن نضحك لاسباب كثيرة ، ولسنا نضحك لسبب فرد لا يتعدد ، ويوشك أن يكون لكل حالة من حالات ضحكتها التى تصدر عنها ولا تطرد عن حالة غيرها ، كأنما هى لغة كاملة على أسلوبها فى التعبير

هناك ضحك السرور والرضى ، وهناك ضحك السخرية والازدراء ، وهناك ضحك المزاح والطرب ، وهناك ضحك العجب والاعجاب ، وهناك ضحك العطف والمودة ، وهناك ضحك الشماتة والعداوة ، وهناك ضحك المفاجأة والدهشة ، وهناك ضحك المقرور وضحك المشنوج وضحك السذاجة وضحك البلاهة ، وما يختاره الضاحك وماينبعث منه على غير اضطرار

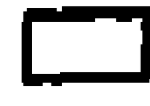
بل ربما كان لكل مضحكة من هذه المضحكات الوان لا تتشابه فى جميع الاحوال

فالضاحك المسرور قد يكون سروره زهوا بنفسه واحتقارا لغيره ، وقد يكون سروره فرحا بغيره ، لازهو فيه بالنفس ولا احتقار للآخرين

والضاحك الساخر قد يضحك من عيوب الناس لانه

يبحث عن تلك العيوب ويستريح اليها ولا يتمنى خلاص أحد منها ، وقد يضحك من تلك العيوب لانه ينفس عن عاطفة لا يستريح اليها عامة بين اخوانه الآدميين ، ولا خاصة فى أحد يعنيه من أولئك الاخوان

والضاحك من عيوب السخف والحماقة قد يضحك من السخيف الاحمق أو يضحك من الذى يحكيه فى سخافته وحمقه فيعرف كيف يحكيه ، وكلاهما باعث من بواعث الضحك مخالف لغيره فى أثره وداعيه ومعناه



هذه المسألة وضعت موضع التجربة العلمية بعد انتشار الصحافة ، وتنوع موضوعاتها ، واختصاص طائفة منهـا بموضوع الفكاهيات والمضحكات ، وتنافس الكتاب فى ابتداع فن جديد من أساليب الفكاهة والضحك ، كلما ألف القراء أسلوبا منها وسئموه أو اشتاقوا الى غيره. فظهرت الفوارق بين النكات التى تدعو الى الضحك، وتمايزت بأسمائها وعلاماتها، وأوشك الكتاب الفكاهيون أن يتمايزوا بالتفوق فى كل باب من هذه الابواب ، واستطاعوا أن يفرقوا بينها بالتعريفات أو بالحدود المفهومة

ولعلنا نطالب هؤلاء الكتاب بمايس عندهم اذا سألناهم ان يرجعوا بهذه الفكاهات المختلفة الى مصادرها من الطبيعة البشرية والعلل الفلسفية ولكننا نستطيع أن نعتمد عـلى تجربتهم فى التنويع والافتنان ، لانه عمل يزاولونه كل يوم، ويعرفون خطوات الانتقال فيه من فن الى فن ، ومن أسلوب الى أسلوب ، ولو لم يكن هذا الاختلاف فى الاساليب الا اختلافا فى التعبير والتنميق!

ومن امثلة الاجتهاد فى التفرقة بين موضوعات الضحك والفكاهة كتاب مزاج الفكاهة The Humour of Humour لمؤلفه ايفان ايسار Evan Esar الذى اشتغل زمنـــا بكتابة الفكاهيات وتقسيمها وترتيب أقسامها ، وارادبكتابه هذا من عنوانه الىخاتمته أن يكون تطبيقاًلآرائه واختباراته، لان العنوان نفسه يشتمل لعبا بالالفاظ كاللعب الذى يدخل فى النكات الجناسية ، لان كلمة « هيومر » بالانجليزية تأتى بمعنى المزاج وتأتى بمعنى الفكاهة وتدل على اخلاط الجسم فى مذهب الاقدمين كمــا تدل على وسائل تعديل هذه الاخلاط بالدواء أو بتطييب الخواطر وتنزيه النفوس

ولا تحصى أفانين الضحك والفكاهة كما شرحها المؤلف فى كتابه ، ولكننا نشير الى بعضها على سبيل التمثيل ، وندع للقارىء أن يقيس عليها من تجاربه مايشاء

فمنهذه الافانين « الملاحظة المزدوجة أو الملاحظةاللاذعة» ومثالها كلمة تقال عن الزواج من أجل المال : « انه يصلح أبا لها بسنه ، وزوجا لها بثروته »

أو كلمة تقال عن البخيل : « انه يضع نقوده فى الحشية فهى : « محدثة لطيفة .. استطعت أن افلت منها » .. أو كلمة تقال عن البخيل : « انه يضع نقوده فى الحشية ليجد تحته شيئا يستند اليه »

ومن هذه الافانين « الآبدة » أو العبارة الشاردة ، والفرق بينها وبين الملاحظات السابقة أنها اقرب الى المثل السائر الذى يسهل تعميمه ولا يخص احدا بعينه . واما الملاحظات السابقة فأكثرها يقال عن الاشخاص افرادا بغير تعميم ، ويدور على شئونهم ولا يدور على المواقف والاطوار

ومن امثلة النكتة الآبدة أو العبارة الشاردة أن الاخلاق طلاء تمسحه الخمر ، وان السن تخون أصحابها لانها تدل على السنين ، وأن الحكيم حين تقنعه حكمته بأن يتزوج يصبح الاحمق زوجا وله أبناء ، وأن لابس النظارة «منظره بغيرها أحسن ونظره بغيرها أقبح ! » وأن الامريكيين احرار لانهم « يأخذون » حريات كثيرة !

ومنها اللغز ، وعماده على المغالطة ، أو على جمع المتشابهات التي تختلف في الحقيقة أبعد اختلاف

ومثاله أن يسأل السائل : « لماذا وضعوا واشنطون على تل ؟ » فيجيب المجيب : « لانه مات » !

أو يسأل السائل : « ماذلك الشيء الذي يصنعه الرجل واقفا وتصنعه المرأة جالسة ويصنعه الكلب على ثلاث ؟ »

والجواب : « المصافحة أو تحية السلام عند اللقاء »

ومن أفانين الفكاهة الجناس اللفظي ، وهو يشبه اللغز في السؤال والتورية

يسأل السائل : « ماوجه الشبه بين الفلاسفة والمرايا ؟ »

والجواب : « التأمل والنظر » !

أو يسأل السائل : « ما وجه الشبه بين الكتاب والشجرة ؟ »

والجواب : « كلاهما له ورق ! »

أو يسأل السائل : « ترى هل يحاسب الرجل على قتل الوقت اذا حطم الساعة ؟ »

والجواب : « كلا ! اذا ضربت الساعة أولا »

ومن هذه الافانين المساجلة والمحاورة ، وقد يكون السائل فيها هو المجيب

تقول لى : « لماذا تشرب الخمر ؟.. قل لى ماذا تقترح أن اصنع بها ؟ »

وتسألنى : « أى الدجاج أطول رقادا ؟ كيف؟ ألا تعلم ؟.. الذى مات ! »

ومنها الظن المختلف وهو يتوقف على الموقف ، وتعدد المشتركين فيه ، ووجود اللبس الذى يدعو الى اختلاف الظنون ، ومثاله قصة عن أربعة فى مقصورة قطار : فتاة حسناء ، وامرأة عجوز ، وكهل فرنسى ، وضابط ألمانى أثناء احتلال الالمان باريس. ودخل القطارنفقا فسمع فىالمقصورة صوت قبلة وصفعة ، ثم خرج القطار من النفق وهم صامتون وعلى وجه الضابط الالمانى أثر صفعة . فقالت المرأة العجوز لنفسها : « ما اطهرها من فتاة » ! وقالت الفتاة الحسناء لنفسها : « عجبا له . يقبل العجوز ولا يقبلنى ؟ » . وقال الضابط الالمانى : « ياله من فرنسى خبيث . غنم القبلة ، وغنمت أنا الصفعة ! » وقال الفرنسى : « لقد نجوت بها . قبلت ظاهر كفى وصفعت الالمانى ، ولم يتهمنى أحد » !

ومنها النادرة ، وهى نكتة لابد لها من قصة تتعلق بصناعة أصحابها أو بعملهم وقواعده المتعارف عليها : كان مارك توين ـ الكاتب الفكاهى المشهور ـ يعمل فى احدى الصحف ، وتكاد الديون تستغرق مرتبه ، وكان من عادته أن يهمل كل انذار يأتيه من صاحب دين . واتفق يوما أن كاتبا من مساعديه كان الى جانبه ، وهو يهم بأن يلقىبعض هذه النذر فى سلة المهملات . فنبهه الكاتب قائلا : «انتظر ياسيدى . فان فى ظهر الورقة كلاما يقول فيه صاحبالدين

انه سيقاضيك ان لم تسرع الى السداد » . فقال له مارك توين كأنه ماض فى عمله : « الا تعلم يا صاح أن الورقة التى تكتب على وجهين تهمل فى هذا المكان ؟! »

ومنها الكلمة التى تقال وتفهم على معنيين ، أحدهما يسر والآخر يزعج أو يخيف ، وتشبهها كلمات الجناس كلما دلت على نقيضين

يقول الرجل لزميله فى بلاد النيام نيام أكلة البشر : «ان الزعيم يريدك للغداء »

أو يقول فرنكلين وهم يكتبون وثيقة الاستقلال : « يجب أن يتعلق بعضنا ببعض والا تعلقنا على انفراد »

أو يقول الشيطان : « الفضيلة فى الوسط » ، وهويجلس بين رجلين من رجال السياسة !

أو يقول قدح الماء للبرشامة : « تقدمى وانا بعدك » .. وفيها مثل لظاهر التحية وباطن الاشتراك فى البلاء !

أو تقول الفتاة لمن يغازلها : « أنا كالقاطرة .. ان لمستنى صرخت » !



ومما أحصاه الفكاهيون المعاصرون من أساليب التعبير الفكاهى أسلوب القلب والعكس ، ومن أمثلته : « ان الحب يذهب بالزمن وان الزمن يذهب بالحب » ومنها : « أن بعضهم يحب أن يشاهد الصور المتحركة ، وبعضهم يشاهد الصور المتحركة ليحب » ومنها : « ان الانسان يخلق المتاعب وأن المتاعب تخلق الانسان » ومنها : « أن من يتعمق الى أساس الامور ترفعه الامور الى الذروة العليا » ومنها : « ليس الضحك بداية سيئة للصداقة ولكنه نهاية حسنة »

وتكرار الكلمة فى مواضعها فن من فنون الفكاهة ، كتكرار ذكر الذكاء فى هذه العبارة :

« الفتاة الذكية أذكى مما يبدو عليها لان الفتاة الذكيـة لا تبدى ذكاءها »

او هذه العبارة : « غير المتوقع يقع أحيانا حين لاتتوقع من المرء ماهو خليق أن يقع منه »

أو هذه العبارة : « علينا ان ننسى أنفسنا لنشعر بالسعادة ولكننا لا نسعد اذا نسينا أن ننسى أنفسنا »

والنسيان المعهود فى العلماء والمعلمين يضحك أو يحسب من أسباب الفكاهة ، وتروى لذلك قصص كثيرة هذه أمثلة منها :

« جلس أستاذ فى مكتبه بالمنزل وهو فى قلق شديد على زوجته التى أدركها المخاض ، واذا بقريبة له تقتحم المكتب لتبشره بولادتها وتصيح به : « انه ولد » .. ويكون قـد ذهل عما حوله فيسألها : « وماذا يريد ؟ » ! »

وذهب أستاذ الى طبيب فقال له : « اخرج لسانك » ثم قال له : « لسانك فى حالة حسنة ولكن ما هذا الطابع الذى عليه ؟ » .. فابتسم الاستاذ وقال : « أهو هناك وأنا أحسبنى وضعته على الغلاف ! »

وأكذوبة ابريل وما جرى مجراها فن من هذه الفنون الفكاهية ، يقول مارك توين : « ان أول ابريل يوم واحد فى السنة يذكرنا بغفلتنا فى جميع الايام »

ويقول المتندرون بهذا اليوم ، ان الذين يولدون فيـه يكتمون تاريخ ميلادهم ليثبتوا وجودهم ويستريحوا من ولع الناس بتذكيرهم ما يحاولون كتمانه ، وكذلك من يولد

فى اليوم التالى أو اليوم السابق .. ولكنهم يطلقون اسم مغفل ابريل على كل ضحية تجوز عليه الاكاذيب فى يوم مجعول لهذه الاكاذيب

والعثرة اللسانية أو القلمية تضحك وتهيىء النفس للفكاهة ، ومن قبيلها قول بعض الخطباء على اثر حفلة موسيقية من الحفلات التى لاتكثر فى القرى : « انها لحسن الحظ حفلة نادرة » .. ويشبه هذه العثرة أن طبيبا كتب شهادة وفاة فوضع اسمه فى موضع سبب الوفاة .. بدلا من موضع التوقيع !

والغلطة مع حسن النية تثير الغيظ فيمن يصاب بها وتثير الضحك فيمن يشاهدها ، واحدى النوادر المروية عن هذه الغلطات أن صاحب حانة كان يقف وراء البنك فى حانته اذ هجم عليه قادم مستعجل وسأله فى لهفة : « أعندك شىء يزيل الفواق ؟ » فلم يجبه صاحب الحانة ولكنه ضربه بالفوطة المبلولة على وجهه ، فنظر الرجل اليه شزرا وهم أن يبطش به لولا أن بادره صاحب الحانة معتذرا ، وقال له اننى أرحتك بهذه الضربة من الفواق .. ثم ظهر أن الرجل لم يكن به فواق وانما طلب الشراب الذى يزيله لزوجته التى كانت فى السيارة عند الباب !

وقد يتبع الغلطة حسن التخلص فتضيف اليها فكاهة على فكاهة :

أخذ بعض المدعوين الى احدى الولائم فى حديث مع جارته ، وأحب أن يبدأه بالغيبة والنقد لانها من الاحاديث المحبوبة فى أمثال هذه المجتمعات ، فأنحى باللدم والوقيعة فى رجل لا يعرفه على مسافة منهما ، وفاجأته السيدة

قائلة : « ويحك ! انك تعنى زوجى ! »
قال : « نعم ! ولهذا أكرهه ! »

وأراد طبيب مستشفى المجانين ان يتصل برقم يحتاج الى التحدث مع صاحبه على عجل ، فجن جنونه لاهمال العاملة ومراوغتها فى الجواب ، وصاح بها محتدما : «ويلك! أتعلمين من أنا ؟ » قالت : « لا . ولكنى أعلم أين انت ! »

والغلطة المطبعية احدى الغلطات الفكاهية او المضحكة ، وهي خاصة بكل لغة قلما تصلح للترجمة الى لغة اخرى ، ولكننا نضرب لها الامثلة بما عرفناه من غلطات المطبعة عندنا واحداها غلطة الصفاف فى نقل السطور بين اعلانات الزواج واعلانات الوفيات ، فاذا بالخبر يقرأ ان العروس تقبـــل التهنئة من المدعوين ثم شيعوه بالرحمات والدعوات

وحدث فى الاحتفال برفع الستار عن تمثال نهضة مصر ان حكمدار العاصمة وقف على مقربة من كبار الرؤســاء وقبعته على راسه ومنشته فى يده ، فعلقنا على ذلك فى كتابة اخبار الحفلة ، واضطربت السطور بين يدى الصـــــفاف فجرى الخبر على هذا المثال :

« وحضر فلان وفلان وصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ، ولوحظ عليه انه كان يلبس قبعتـه ويعبث بمنشته وهو على مقربة من كبار ولاة الامور »

وكتب بعض المخبرين حديثا مع مستر فريدرك ، فاذا به يسمى مستر فريد بك !

وغلطات المطبعة من هذا القبيل لا تحصى فى جميع اللغات ولكنها تزداد فى اللغة العربية لتشابه بعض الحروف

وحسن التخلص وحده قد يحول الموقف من الغضـــب

الى الضحك ، ولو عرف السامع أنه ملفق للخلاص من الحرج واللوم

ذهب عريس مع عروسه الى محطة السكة الحديدللسفر الى ضاحية يقضيان فيها شهر العسل ، ثم عاد الىعروسه من شباك التذاكر ومعه تذكرة واحدة ، فصاحت بهمغضبة:

ــ ماهذا يا عزيزى ! تذكرة واحدة ؟

فما كان أسرع منه الى الاعتذار بالكلمة الوحيدة التى تخطر على البال ، ولا يخفى على الزوجة أنها عذر مختلق للخلاص من هذا المأزق الاليم فى مطلع شهر العسل ، قال :

ــ ماهذا ياعزيزتى ؟ لقد أنسيتنى نفسى !

وفوجىء موظف فى مصرف وقد أغمض عينيه وكاد ان يستسلم للنعاس

قال الرئيس : « أنائم فى أول النهار ؟ »

قال الموظف « اليقظ » : « على رسلك ياسيدى الرئيس، الا أستطيع أن أغمض عينى لحظة للصلاة قبل بدء العمل ؟»



ويذكرون من ضروب الضحك خيبة الحيلة وارتدادها على صاحبها ، أو ظهور الخديعة على من يفرط فى الذكاء فلا يلبث أن يبدو لنفسه ولغيره كأنه مفرط فى الغباء

دخل رجل على طبيب فى « عيادته » فاعتقد الطبيب أن الزائر مريض يطلب العلاج ، وأراد أن يوحى اليه بمقدار أجرته فى غير مساومة ، فعمد الى التليفون وأداره وراح يقول لمحدثه المزعوم : « نعم ! أنا الدكتور جونسون ! اننى مشغول جدا .. تسأل عن القيمة المطلوبة ؟.. انها كما

اخبرتك خمسمائة ريال . . وأنت تذكر هذا ؟ حسن . الى اللقاء اذن ! »

ثم وضع سماعة التليفون والتفت الى الزائر متسائلا : « ماذا أستطيع ان أصنع لك ياسيدى ؟ »

فأجابه الزائر: «لاشيء . اننى موظف مصلحة التليفونات الذى طلبته لاصلاح تليفونك » !

وكان موظفان يعملان فى مكتب واحد ، يفرغ احدهما من عمله نحو الساعة الرابعة كل يوم ، ويبقىالآخر بعدهساعتين او اكثر لانجاز عمله . فسأل هذا صاحبه ذات يوم : «كيف تنجز عملك فى هذا الموعد ؟ » قال صاحبه : « اننى لا انجزه أيها الزميل ، ولكننى كلما صادفت مسألة معضلة كتبتعلى الورقة : يعرض على مستر سمث . ولابد ان يكون فى هذا المكتب « مستر سمث » واحد على كل حال » !

فخلع صاحبه سترته ونظر اليه متحديا وهو يقول كمن نشط من عقال : « الآن تبقى أنت للساعة السادسة . . أنا مستر سمث الذى تجهله . فاعرفه بعد اليوم » !

ومن أساليب الفكاهة الاقضية التى يسمونها بالاقضية السليمانية :

اتهم رجل بالسرقة ، فأراد المحامى ان يجر القاضى الى شرك يغريه بالوقوع فيه ، وتحذلق فى دفاعه متعمدافقال : « انكم تعاقبون رجلا كاملا بعمل ذراع واحدة هى التى جذبت السلعة المأخوذة من وراء القضبان »

قال القاضى ، وهو يظن أنه أوقع المحامى فى شركه : « حسن ! نحن نحكم على الذراع بالسجن ستة اشهر ، ولينطلق صاحبها حيث يريد »

فخلع المتهم ذراعه المصنوعة وهم بالانصراف !



والمفارقة احدى هذه المضحكات ، وعلى نحوها نصيحة الناصح : « لا تقص على الاصلع حكاية يقف لها الشعر . فهو جهد ضائع »

وعلى نحوها تحذير المحذر : « لا تقتل الرجل الذى قبل زوجتك اليوم ، فانك لم تقبلها منذ سنة ! »

ويأتى الضحك من تناقض المعانى الكثيرة فى هذا التحذير

فمنها أن الرجل الذى قبل الزوجة لقى عقوبته التى تساوى القتل

ومنها أنه قام بواجب أهمله الزوج

ومنها أنه لازم فى المستقبل

ومنها أشباه ذلك كثير ...

وعلى نحوها : « ان غاية الكسل ان تستيقظ عند الفجر لكى تجد وقتا طويلا للدوران »

والصورة الهزلية ، فى الكلام ، أهم هذه المضحكات ، ومن هذه الصور أن فلانا بلغ من طول وجهه أن الحلاق يتقاضاه أجر الحلاقة ضعفين ، وأن فلانا بلغ من ضخامته أن ظله وقع على رجل فمات ، وأن فلانا بلغ من طوله انه يصعد على كرسى ليغسل أسنانه !

وسرعة الجواب مع المغالطة فيه لون من ألوان الفكاهة وتهيئة النفس للضحك

مصور له أولاد قباح يداعبه ناقد فيعجب له كيف يصنع أولاده بهذا القبح ويصنع صوره بذلك الجمال

والمصور يجيب : « لا عجب ياسيدى . أولادى أصنعهم

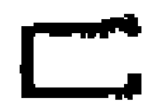
فى الظلام وصورى أصنعها فى النور » !

وتقول فتاة لزميلتها : « لقد رفضت الزواج من فلان ، وهو منذ ثلاثة اشهر عاكف على الشراب »

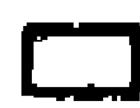
فتقول الزميلة وهى تصطنع الجد فى الجواب : « هـذا الذى نسميه مبالغة فى احياء الافراح » !

وتهزأ سيدة من زميلتها المؤلفة فتسألها : « من الذى الف لك كتابك الاخير ؟ انه بديع »

وجواب المؤلفة من جنس السؤال : « سرنى والله انه اعجبك .. من الذى قرأه لك ؟ »



وتعد «المقالب» من بواعث الضحك ، وهى الاكذوبة التى توقع السامع فى بعض الفرم أوبعض التعب ،دون انيصحبها ضرر اليم . والمبالغة فيها كاختلاق أخبار النعى ، والاعتدال فيها كالدعوة الى وليمة ، ولا وليمة او تقديم الحلوى وفيها دواء .. غير مطلوب



ومن الفكاهة اتباع الحكمة بحكمة أخرى توافقمقدماتها ولا تخطر فى الحسبان ، ومن أمثلتها ان الالفة فى الحبتولد الاحتقار .. والاطفال ، وان الفتاة التى تشبه الكتاب المقروء توضع مثله على الرف ، وان تفاحة فى اليـوم تبعد عنك الطبيب ، ولكن بصلة فى اليوم مفعولها اكيد .. تبعد عنك كل انسان ، وان اثنين لازمان للشجار ، ولازمان ايضـا للزواج ، وان المال ينطق .. والمال يخرس !

والسخرية احدى هذه الالوان ، ومن السخرية انيقول

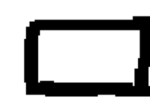
القائل جادا كأنه يعنى ما يقول : « مابال فلان ينتقم منى كل هذا الانتقام ؟ اننى لم أحسن اليه كل هذا الاحسان ؟ »

وذهب فتى الى شباك البريد ، فوجدالموظفتين فى شاغل عنه بحديث طويل عن زى فستان السهرة الذى كانت تلبسه احداهما ، فتأنق الفتى فى الوصف والرجاء ، وطلب الى احداهما أن تتفضل باعطائه طابعا قرمزى الوسط وردى الحافة منقوش الاطراف والجوانب ، ومشغولا كله ولا يساوى مع هذا أكثر من ثلاثة مليمات !

والمحاكاة باب من أبواب السخرية ، تتشابه الامثلةعليها ، ويدخل فيها التهكم والمجاراة

خلا أحد المدعوين باحدى المدعوات فى سهرة الرقص فقبلها ، واستجابت لقبلته لحظة غير قصيرة ، ثم قالت له بعد ان افترقت شفتاها وشفتاه : « أتعلم انها أول قبلة رضيت بها فى حياتى ؟ » فقال الفتى كأنه يجاريها : « نعم ، لانك على ما يظهر ورثت الشىء الكثير بغير تعليم »

وتحدث بعض الجلساء فى دعوة عامة عن الثروة ووسائل جمعها ، كأنه يوهم السامعين أنه من أصحابها، فأثنتاحدى الجالسات على سرعة فهمه ، لانه يعرف الكثير عن المكاسب مع قلة ما يكسب !



والنصائح المطردة ، مع القياس الظاهر ، مع استحالتها بعد التأمل اليسير ، أحد هذه الاقسام التى اصطلحوا على تقسيمها فى الصحافة الفكاهية ، ومن قبيلها هذه النصائح :

قل لا لمن يهمون بالزواج

وقل لا لمن يهمون بالطلاق
وقل لا لمن يهمون بالموت
وقل لا لمن يهمون بالولادة

ويتمشى على أسلوب هذه النصائح الهازلة جواب رجل أصيب بالزكام وأشار عليه صديق بوصفة ناجعة ، فقال له: « نعم . اليوم أعمل بوصفة جونس ، وغدا بوصفة سميث ، وبعد غد بوصفة براون ، فان بقيت منى بقية لوصفتك يوم الاحد فهو دورك ! »

وقد تطرد الوصايا التالية مع هذا النسق من النصيحة :

« لا تطرد الذبابة من جبهة امراتك بمطرقة !

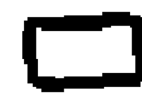
« لا تقلق اذا علمت أن كل شيء يذهب فى الغسيل ، حتى البدلة !

« لا تنتفخ وانت تعلم أن الصفر أسمن الارقام !

« لا تحمل هم الزبدة . انك تصنعها من حشائش الارض ، متى تيسرت البقرة !

« لا تتردد فى بذل النصيحة ، لا احد سيسمعها

« لا تعمل بنصيحة ، واولها هذه » !



وعندهم فكاهة يسمونها فكاهة « قبل وبعد » مدارها على المقابلة بين هذين الطرفين فى مسائل الزواج على الخصوص ، وهذه أمثلة منها :

« قبل الزواج تقبل الفتاة الفتى لتربطه ، وبعد الزواج تربطه لتقبله

« قبل الزواج يأخذ الرجل بيد المراة حبا ، وبعدالزواج يأخذ بيدها دفاعا عن النفس

« قبل الزواج يقول الرجل لابد أن ينفذ أمرى فى منزلى أو أعرف السبب ، وبعد الزواج يعرف السبب !

« قبل الزواج يسعى الرجل الى المرأة ، وبعد الزواج يسعى للمرأة !

« قلما يكون الرجل بالمزايا التى تراها فيه المرأة قبل الزواج ، وقلما يكون بالعيوب التى تراها فيه بعد الزواج

« فى بعض البلاد الشرقية لايرى الزوج امرأته قبل الزواج ، وفى البلاد الغربية لا يراها بعده ! »

ويلحق بهزه الزوجيات تهكم المحدثات والمحدثين من بنات « الدقة القديمة » كما يقال فى مصر باللغة « البلدية » .. ومنه أمثال هذه المقارنة :

« البنت من الدقة القديمة تحمر اذا خجلت ، وبنتها العصرية تخجل اذا احمرت !

« والبنت من الدقة القديمة كانت تذهب الى المدينة وتقف عند جماعة الشابات المسيحيات ، أما بنتها العصرية فانها تذهب الى المدينة ولا تقف عند شيء !

«والبنت من الدقة القديمة كانت تشعر بالاهانة اذا عرض عليها الشراب ، وأما بنتها العصرية فتبلع الاهانة

« والبنت من الدقة القديمة كانت لا تجسر على تناول يد فتاها ، ولكن بنتها العصرية لا تجسر على تركها

« والرجل من الدقة القديمة له رأس يصلح للحسابات ، ولكن ابنه العصرى له عين تنظر اليها » !



وهم يصطلحون على تسمية انسان مشهور ينسبون اليه الحكمة التى يخترعونها لساعتها ، من قبيل قول الشرقيين

« قال الراوى » عند اسناد الكلام الذى يعلم السامعون انهم مخترعوه

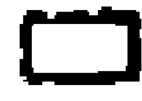
وأشهر هؤلاء الحكماء المختارين للاسناد الصادق والمدعى حكيم الصين كونفشيوس

فمن كلامه المزعوم ، قال كونفشيوس : « الرجل الذى يسوق بيد واحدة يصطدم بالكنيسة »

وهم يعنون بذلك خطر الزواج ، لان الرجل الذى يسوق بيد واحدة يخاصر امرأة معه فى السيارة باليد الاخرى

ومن كلامه المزعوم ، قال كونفشيوس : « الفتاة التى لها مستقبل تحذر الرجل الذى له ماض »

ومن كلامه : « الرجل الذى يغازل المرأة على المصعد ليس فى مستواها ! »



ومن الاضاحيك ضرب من المزاح الفارغ الذى يشبه ما يسمى فى الزجل العربى الحديث بالدور المجنون

يسأل السائل محدثه : « ألم أرك فى بلدة بفالو ؟ »

فيجيبه محدثه : « لم أذهب قط الى تلك البلدة »

ويعود السائل فيقول : « ولا أنا ! »

ويجرى الحوار بين اثنين على هذا المنوال :

ــ ماذا تصنع ؟

ــ أبحث عن ورقة ضائعة

ــ أين سقطت منك ؟

ــ فى الشارع الثامن والثلاثين

ــ لكننا فى الشارع الاربعين !

ــ نعم ، أعلم ذلك ، ولكن هنا نور !

والحكمة التى « يفلت » منها درسها محسوبة فى هذه الاضاحيك :

تقص المدرسة على الاطفال قصة الحمل الذى لم يسمع كلام أمه فأكله الذئب ، فيقول أحد الاطفال فى براءة أو فى خبث : « والحمل الذى سمع كلامها أكلناه نحن » !

او يقول المدرس لتلاميذه الصغار : « ان العصفور المبكر يلتقط الدودة »

فيقول أحدهم : « والدودة المبكرة يلتقطها العصفور » !

ومن المفيد أن نلاحظ هنا أن هذه « التقسيمات » لاتبدو غريبة للقارىء العربىالذى ألمبعلوم البيان والمعانى والبديع، لان الكثير منها مقرر بتعريفاته وأمثلته وشواهده فى تلك العلوم ، ومامن قارىء عربى ألم بعلوم البلاغة بعض الالمام الا وهو يعرف التورية والمقابلة والمشاكلة ، والهزل الذى يراد به الجد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والاضمار فى مقام الاظهار ، واخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، والتشبيه الملفوف والمفروق ، والفصل والوصل ، والقلب والالتفات والتغليب ، والكناية والتحريف والتصحيف

كل هذا مألوف للقارىء العربى من بلاغة لغته ، كمايألف من كتب الصناعة اللغوية جميعا محكم القول فى جوامعالكلم والفرائد والاوابد والمثل السائر واللحن الذى يحسب من الالغاز والالغاز التى تحسب من ضروب الرمز أو الايهام والتعمية

الا أننا لم نشأ أن نطلق هذه التقسيمات والتعريفات على ضروب الفكاهة المصطلح عليها بين المشتغلين بالكتابة

الصحفية وماليها، لان مصطلحات الصناعة اللغوية وضعت فى لغة العرب لتمييز درجات البلاغة ومعانيها ، ولم توضع هذه المصطلحات الحديثة عند الغربيين لشىء من ذلك وانما وضعت للتفرقة بين موضوع وموضوع من مادة الصحافة الفكاهية

وامر آخر يباعد بين هذه المصطلحات الحديثة وبين مصطلحات علوم البلاغة العربية . وذلك أن المصطلحات الحديثة لفنون الاضاحيك لم تزل على فجاجتها الاولى ولم تبلغ بعد من الدقة فى الاسماء والتعريفات والشواهد مبلغ نظائرها فى علوم البديع والمعانى والبيان ، وقد يختلط بعضها لاتفاقه فى مصدر الشعور واثره فلا يتم التعريف بينها الا بحكم العادة بين المشتغلين بعمل واحد يعرفون مواده واجزاءه بالاشارة والنظرة العابرة ولا يلزم ان يقيموا الحدود بينها بالفواصل المنطقية او النفسانية

على أن الاختلاف بين عناوين الفكاهات ـ ولو بحكم العادة ـ جدير أن نتوقف عنده وننتظر مايليه من التعريفات والتقسيمات التى ترجع الى اختلاف فى أصول الموضوعات أو اختلاف فى طبيعة الشعور . وسوف يأتى الوقت الذى نميز فيه بين ضحكة وضحكة كما نميز بين كلمة وكلمة ، ونعنى بذلك تمييز الفهم والتفسير ولا نقصر الامر على تمييز الشعور والتلبية النفسانية ، فاننا الآن نميز بشعورنا بين ضحكات مختلفات كما كان آباؤنا وأجدادنا يميزون بينها بتبادل الشعور والتلبية بين نفس ونفس ، وليس هذا مايعنيه طلاب التمييز بين أفانين الفكاهات والمضحكات فى الدراسات العصرية ، سواء قصدوا من هذا التمييز تيسير العمل

بين المشتركين فيه كما يتيسر للعاملين فى حانوت واحد أن يميزوا أنواعه بحرف مرقوم على الرف أو علامة منقوشة على الصندوق ، أو قصدوا من هذا التمييز أن ينفذوا الى ينابيع الشعور المتعمقة فى النفس البشرية ، حيث تصدر المضحكات والمبكيات وتكمن أسباب الغرائب والمألوفات ، وما ينبغى لنا أن نزعم أننا نفهم نفوسنا حق فهمها ونحن نجهل الفرق بين ما يضحكها وما يبكيها وما يقع منها موقع الالفة أو موقع الغرابة فى اعمق الاعماق

وربما كان أسم « الضحك » مغريا بالاستخفاف منافيا للجد فى بواعثه ومعانيه

ولكن البحث عن أسباب الضحك جد كأصدق الجدالذى يعرفنا بنفوسنا كمايعرفنا بهاأعظم العظائم وأفدحالمحزنات . بل ربما كان الامر « المحزن » يسير التعليل لاننا لا نحار فيه ولا يخفى علينا أنه يرجع الى حب السلامة وكراهة الضرر والاصابة ، وربما كان لنا نحن الآدميين شركاء فى الشعور بالمحزنات بين الحيوانات العليا وبعض الحيوانات الدنيا ، لان الحزن عندها بمثابة رد الفعل الجسدانى لكل الم وكل مكروه . أما الضحك فليس من سهولة التفسير بهذه المنزلة، ولاسيما الضحك الذى يتشعبويتفرعوتتباعد مصادره من النفس أو تتقارب ـ مع التفرقة بينها فىالاسماء ـ حتى يلتبس موضوع منها بموضوع وعنوان بعنوان

هذه عوارض نفسية يختص بها الانسان ولا يشاركه فيها حيوان من الحيوانات السفلى او العليا ، بل يعتقد الكثيرون من علماء الاجناس البشرية أن القبائل البدائية من الناس لا تضحك ولا تدرك الضحك ، وان هذه الظاهرة

الترقية فى سلم الانسانية لا تشاهد بين الهمج الا بعوارض العصبية التى لاتدخل فى حيز الارادة ، كأنها ضحكة المقرور أو ضحكة المتشنج ، وحتى هذه الضحكات التى تشبه العوارض المرضية لا تشاهد بين الهمج على كثرة تجعلهم يلتفتون اليها ويسمونها بكلمة من كلماتهم القليلة ، فهى والتخبط من الصرع عندهم سواء

لاجرم يجد الفلاسفة غاية الجد فى النظر الى الضحك واسبابه منذ عهد بعيد ، ولاجرم يجدون اليوم وغدا فى هذه الدراسة بين نفسانيين واجتماعيين ونقاد للفنون والآداب

ونحن فى هذه الرسالة نريد أن نعرف « جحا » ونريد أن نعرف الانسانية كلها بهذه المعرفة

وربما كان بعض ما تقدم من التعريفات مفيدا لنا فى وضع جحا بموضعه من الحياة الانسانية حيث كانت فى كل مجتمع وكل حقبة وكل عنصر وكل قبيل ، فان بعض هذه التعريفات يرينا أن « جحا » ليس بالغريب المجهول فى بيئة من البيئات التى تضحك كما نضحك وتستغرب من نوادر جحا وبوادره مانستغرب ، وبعض الامثلة التى تقدمت نستطيع أن ننسبها الى جحا فلا تخالف فى معدنها ما ينسب اليه ، وهذه احدى العلامات على سريان الضحك مسرى اللغة بين بنى الانسان ، فهو كاللغة يؤدى لجميع الناس معانى مشتركة يتقاربون بها على تباعد المنازل والاجناس ، وهو كاللغة يختلف بين وطن ووطن وبين جنس وجنس ، كما يختلف بين قائل وقائل فى مناهج التعبير بين المتكلمين بلسان واحد فى أسرة واحدة

وسنعرف « جحا » حقا حين نعرف لماذا يضحك الناس

عامة بغير اختلاف ، ونعرف لماذا يضحكون خاصة من شيء دون شيء ، ومن انسان دون انسان

وسنجد « جحا » واحدا ولكنه « جحا » الناس اجمعين، لان الناس أجمعين يضحكون منه وان لم يظهر فى غيرموطن واحد أو مواطن متشابهة تحسب كالوطن الواحد . لان الانسان حيوان ضاحك حيث كان ، ولعله ضحك آلاف السنين ولم يفهم بعد أسباب الضحك على جليتها ، وسنرى ـ بعد ـ مقدار ما فهمه ويفهمه

وسنضحك من بعضها وهى صحيحة أو باطلة ، فنتعلم من الضحك كيف نتلقى تلكم الاسباب



لماذا نضحك؟

بعض الناس يحبون المتعة ولا يعنيهم لماذا يستمتعون بها ، وبعضهم تتم متعته بها اذا عرف أسبابها

قلت فى الكلام عن سارة وهمام من قصة سارة : «تتسرب الى المنزل أنباء الاصيل بالاستقراء لا بالمشاهدة فى معظم الايام ، فيقرآن أو يسمعان بعض الاغانى ، أو يلعبان الدومينة قليلا ، وهى لعبة تحذقها سارة ، ويعتقد همام انها أصح الالعاب وأشدها مطابقة للحياة ... فالشطرنج والضامة يعولان على الحيلة ، وكل شىء فيهما مكشوف بعد ذلك ، والنرد يعول على المصادفة والذكاء ، وكل شىء فيه مكشوف بعد ذلك ، والورق اما مصادفة واما صراع قلما يشبه صراع الحياة ... أما الدومينة ففيها حساب للمصادفة ، وفيها حساب للتدبير ، وفيها حساب لليقين ، وفيها حساب للظنون ، وفيها حساب للغيب الذى تجهله أنت وخصمك ، وللغيب الذى تجهله أنت ويعرفه خصمك أو يجهله هو وتعرفه أنت ، وللعيان الذى يعرفه كل من يشاء . ولها قوانين تمنعك أن تتحرك على هواك ، ولها حرية تمنحك الخيار بين ما فى يديك

« قالت سارة يوما ، بعد ما استعادته شرح فلسفة الدومينة للمرة الخامسة أو السادسة أو السابعة : « أولا تستمتع بشىء الا أن تكون له فلسفة » ؟

قال : « لا . بل أنا أستمتع بالشىء ثم أبحث عن

فلسفته ، واننى لأبحث عن فلسفته كما يجيل الشارب الكأس فى جميع جوانب فمه ولهواته ، كى لا يبقى جانب من النفس لا يأخذ نصيبه من متاعه ، فأحسه وأعمله وأذكره وافكر فيه وأستقصى معناه .. »



وأقول فى صدد البحث عن أسباب الضحك اننى أشبه هماما فى هذه الخليقة ، وانني أحب ان افهم ما أحسه وان أحس ما أفهمه ، وانني جريت على ذلك فى البحث عن اسباب الضحك منذ بدأت الكتابة وتدوين الخواطر والافكار بين الخامسة عشرة والعشرين ، ولهذا اذكر هذه المادة فيما نحن بصدده . لأننى اذا مررت بما اعتقدته من اسباب الضحك قبل العشرين وبعد العشرين وفى خلال النظر والمطالعة والتجربة الى اليوم ـ تدرجت بهذه الاسباب فى اطوار طبيعية تعين على المقارنة والتتبع والوصول الى النتيجة

كانت لى فى نحو السادسة عشرة مفكرة يومية أدون فيها خواطرى وتعليقاتي جمعتها بعد ذلك باسم خلاصة اليومية وحذفت منها عند الطبع كثيرا من الخصوصيات التى ترتبط بتلك الخواطر لا اذكره الآن

وأحسبنى قد كتبت فيها عن المضحكات أكثر مما بقى فيها بالنسخة المطبوعة ، ولكننى لاحظت فيها ان المضحكات أكثر من الضحك وقلت بهذا المعنى فى الصفحة السادسة عشرة من النسخة المطبوعة :

« ان المضحكات ليست بالقليلة ، ولكن الذين يحسنون صناعة الضحك هم القليلون . فليس من الضرورى ان

نفتش عن رجل من أمثال موليير لنغرب فى الضحك ، فان فى كل رجل من الذين نراهم ونعاشرهم موطنا للنقص ، وفى كل عمل موضعا للكلفة والتصنع ... والوادع الناعم البال ــ ولو كان مغمورا بالشقاء ــ ذلك الرجل الذى يعرف كيف يفطن الى مواطن الغرور والرياء من أعمال الانسان ، فانه لا يطبق فمه ما دام يفتح عينيه »

وهنا كنت أقرن أسباب الضحك بملاحظة النقص والادعاء والغرور والكلفة التى يحاول صاحبها أن يخدع الناس عن الحقيقة ، وهى واضحة لمن يلتفت اليها

ولا أذكر اننى تحريت الترتيب عند طبع الخواطر والمفكرات ، ولكننى اجد فى الصفحة الثالثة والاربعين هذه الخاطرة عن الضحك ، وفيها أقول أن « للضحك عدة أسباب أكثرها يدور حول محور واحد هو الاغتباط بأنفسنا ، اما بما نحسه من كمالها أو بسلامتنا من النقص الذى نكشفه فى سوانا

« ولما كان الانسان لا يضحك الا سرورا برجحانه فهو لا يضحك فى الاحوال التى رجحانه فيها معروف غير محدود . فالرجل المعروف المكانة ليس يضحك من تصرف الصعلوك الوضيع وان كان مضحكا فى ذاته ، الا اذا كان يسخر من أهل طبقة ليباهى بطبقته أو من أهل بلاد ليباهى ببلاده

« وقد يضحك الانسان من نفسه اذا كان الاستهزاء لا ينساله وحده ... فلما كان ملوك أوربا وأمراؤها وسواسها وقوادها مجتمعين فى سنة ١٨١٥ فى فيينا وهم واثقون أنهم أحكموا الشبكة على بونابرت وقد جلسوا

يصلحون ما أفسده ويعيدون ما درسه من معـــالم أوربا ـ أعلن فى المجلس ... ان الرجل قد أفلت من جزيرة البا وانه قد عاد ثانية امبراطورا على فرنسا . فوجموا هنيهة ثم ارتفعت لهم ضحكة طويلة عالية كأنما يقول كل منهم : ان هذا الكورسيكى لم يعبث بى وحدى ، بل عبث بنا جميعا »

ويلى هذه الخاطرة عن الضحك خاطرة عن البكاء قلت فيها أن الانسان « يبكي لغير ما يضحك له : يبـــكى حين يظهر به النقص والعجز ظهورا لا سبيل الى المداجاة فيه . يبكى فى المواضع التى يشعر لديها بالقهر التـــام ويتحقق له تجرده من الحول والقوة حيالها

« فى تلك المواضع يقول المسلم متمثلا : لا حول ولا قوة الا بالله . كأنه لا يريد أن يكون ضعيفا الا أمام الله الذى يتساوى النـــاس عزيزهم وذليلهم فى الضعف امام حوله وطوله . والاطفال المستضعفون أكثر الناس بكاء لأنهم أقلهم اقتدارا ... على ان عدم البكاء لا يفيد فى أكثر الاحيان القدرة على دفع المصاب ، فان من اصحاب المظاهر والأبهة من يترفع عن البكاء ويتكلف الجـــلد والسكون حتى فى الفجائع الفادحة كأنهم يأبون الاقرار بالانقهار على كل حال »

الضحك والبكاء نقيضان

فى هذه الخاطرة حسبت أن الضحك والبكاء نقيضان ، وأن الانسان يبكى لغير ما يضحك له ، ومدار الضـــحك والبكاء معا على الغبطة بالنفس أو نقيضها . فاذا اغتبط الانسان بنفسه ضحك واذا شعر بالمهانة والنقص بكى

وليست هذه المقابلة بالصحيحة فى جميع نواحيها ، اذ نحن لايضحكنا كل شيء لايبكينا ، وقد يكون الشيء مضحكا ومبكيا كما يقول أبو الطيب :

وكم ذا بمصر من المضحكا   ت ولكنه ضحك كالبكا

والأصح أن الضحك لغة تعبر عن كثير من الحالات كما قدمنا فى الفصل السابق ، وليس من اللازم أن يقابله البكاء فى كل حالة ، وقد قال الشاعر بيرون وغيره : « انني أضحك لكي لا أبكي » ... كأنما يقولون ان الضحك بدل من البكاء فى بعض الاحوال ، ويشبه هذا من بعيد قولنا فى تلك الخاطرة أن بعض الناس يتكلفون الجلد والسكون حتى فى الفجائع الفادحة كأنهم يأبون الاقرار بالانقهار

ونقول انه شبه بعيد . لأن الذى يضحك «لكى لا يبكى» يضحك حقا ولا يتكلف الجلد . بل يقدر على الضحك لأنه يكشف من أسبابه ما ليس يكشفه غيره ، أو لأنه يوسع النظر الى المسألة ولا يحصرها فى أضيق حدودها . فهو ضاحك لأسباب أوسع من الاسباب التى تبكى غيره ، وان لم تتناقض هذه الاسباب وتلك الاسباب

وقد كان آخر ما دونته فى خلاصة اليومية عن الضحك كلمة فى الصفحة السادسة والثمانين ، فحواها أن قوة الاستحضار فى الذهن لها شأن فى الشعور بالمضحكات وغيرها ... « فمن أهل هذا الخاطر السريع من تبلغ به قوة الاستحضار أن يستحضر أمرا مضى فيضحك أو يبكى كما لو كان الامر قد وقع له فعلا فى ذلك الحين ... »

وفى ختام هذه الخاطرة أقول ان « الرحمة ليست اذن حيلة اخترعها الضعفاء لمصلحتهم كما افترض النيتشيون ،

ولكنها طبيعة من طبائع الانسان ، والفرق فيها بينه وبين الحيوان فرق بين دماغ ودماغ . فذهن الانسان لارتقاء تركيبه يأخذ الشبيه بالشبيه ، وذلك ما لم يصل اليه الحيوان »

وفحوى هذه الآراء فى مجموعها أن الشعور بالمضحكات والمحزنات ملكة انسانية وجدت فى الانسان ولم توجد فى الحيوانات لانه يدرك المشابهة ويحس بالتعاطف ويستدعى الخواطر من قريب أو بعيد

ملكة السخرية

ولست أحصى تطور هذه الآراء خلال الفترة التى تلت طبع « خلاصة اليومية » سنة ١٩١٢

ولم اقصد خلال هذه الفترة الى كتابة شىء أبسط فيه القول عن أسباب الضحك فى عمومه ، وانما كنت أعود على الموضوع كلما استدعاه التعقيب على مسألة تمت اليه ، كسخرية أبى العلاء والصور الفكاهية فى المرآة من تأليف الاستاذ عبد العزيز البشرى رحمه الله

فابتدأت القول عن ملكة السخر عند المعرى سائلا : « لم يسخر الانسان ؟ »

ثم أجبت قائلا : « انه ينظر الى مواطن الكذب من دعاوى لناس فيبتسم ، وينظر الى لجاجهم فى الطمع واعناتهم أنفسهم فى غير طائل فيبتسم ، وهذا هو العبث . وذاك هو الغرور

« فالعبث والغرور بابان من أبواب السخر ، بل هما جماع أبوابه كافة ، وكل ما أضحك من أعمال الناس فانما

هو لون من ألوان الغـــرور أو ضرب من ضروب العبث ، وكثيرا ما يلتقيان . فان الغرور هو تجاوز الانسان قدره والعبث هو السعى فى غير جدوى ، ولا يكون هذا فى أكثر الاحيان الا عن اغترار من المرء بنفسه وتعد منه لطوره

« والناس يعلمون ذلك بالبداهة . فهم يعلمون أن الغرور والعبث مادة الضحك وجرثومته التى يتفرع منهـــا كل مضحك من الاعمال والاقوال ، ويجربون ذلك كل يوم فى مداعباتهم لصغارهم وامتحانهم لقوة أطفالهم ، يقبض الرجل كفه لابنه الصغير على غير شىء ، فيأخذه بأن يفتحها ويعده بكل ما يجد فيها اذا هو قوى على فتحها ، فيجاهد الطفل فى ذلك ما يجاهد : يقوم ويقعد ، ويشتد ويحتد ، ويلتوى ويعتدل ، ويرفع أصبعا بعد أصبع ، فاذا الذى رفعه قد عاد فأطبق مرة أخرى ، ويعييه الجهد فيركن الى الملق والخديعة ، وهو فى كل هذا يحسب نفسه قادرا على أن يغلب أباه عنوة وقسرا أو يغلبه خديعة ومكرا ، وهذا هو الغرور

« ثم تلين تلك القبضـــة فيفتحها فاذا هى خاوية واذا بذلك العناء الذى أجهده وبهره قد ذهب سدى ، وهــذا هو العبث ، ومن هذا وذاك تضحكنا الطفولة وتعجبنـــا غرارتها وكبرياؤها ونتخذها تسلية ولهوا . ولــكن هل يضحكنا من الكبار شىء غير هذا ؟ وهل مهازل الحيـــاة ومساخر التمثيل الا صورة مكبرة من هذه اللعبة الصبيانية وسذاجة مركبة من هذه السذاجة البسيطة ؟

« واذا كان هذا معدن السخر وأصل الدعابة فما أجدر رجلا كصاحب رسالة الغفران أن يكون ســـاخرا ؟! بل

ما اجدره الا يكون له عمل فى الحياة غير السخر ؟! انه رجل استخف بالحياة جمعاء ، وهانت عليه الدنيا بما وسعت ، فما من دعوى من دعاوى الناس تتنزه عن الغرور فى اعتقاده، وما من غاية من غايات الناس لا تنتهى فى تقديره الى عبث فارغ وخديعة ظاهرة : كلهم مغرور وكلهم عابث وكلهم متعلق من الأقدار بمثل تلك القبضة التى يعييه أن يفض اصبعا منها ... حتى اذا فضها أو خطر فى وهمه انه فضها لم يجد ثم شيئا ، أو وجدها ملأى بما يشبه الفراغ سخية بما ليس يختلف عن الحرمان ... وكلهم محتقب عدة لا تنجع ومتقلد سلاح لا يصيب :

ورب كمى يحمل السيف صارما
الى الحرب والاقدار تلهو وتسخر

لا . بل هبه وصل الى الحرب بسيفه الصارم وقاتل وظفر وسلم ، فماذا عساه يغنم ؟ ألعله الثناء على الافواه ؟ أو لعله عرش مملكة ؟ .. ان كان ذاك ــ وقل أن يكون ــ فلعمر أبى العلاء ما قصارى الثناء والسمعة ؟

وما يبالى الميت فى لحده بذمه شيع أو حمده

وما العروش والدول ؟ وما الملوك والاقيال ؟ فلكم غبر على هذه الارض من جيل وزال من مجد أثيل وملك عريض طويل

وكم نزل القيل عن منبر فعاد الى عنصر فى الثرى
واخرج من ملكه عاريا وخلف مملكة بالعرا

... وهل نسينا أن القبر يضحك من تزاحم الاضداد ؟ فهكذا تتشابه الامور فاذا الهزل كالجد واذا الحلم كالعيان !

وشبيه صـــــوت النعى اذا قيـ
ـس بصـــــوت البشير فى كل ناد

لا بل هو كل شيء ككل شيء . هو العلم كالجهل والحق كالباطل والهدى كالضلال

وقد زعموا الافلاك يدركهـــا البلى
فان كان حقا فالنجاســـة كالطهر

فعلام اذن يزعج الانسان نفسه ؟ وبأى شيء يحفـل ؟ وما اجتهاده فى التدبير والتقدير وتغيير ما كان بما سيكون؟ الا أننا لنسعد ونشقى عبثا ، ونسعى ونسكن عبثا ، ونرجو ونقنط عبثا ، ونبكى ونضحك عبثا ، ومن وراء ذلك كله هاتف يهتف بنا فى غير رفق ولا رحمة :

« تقفون والفلك المحـــرك دائر
وتقـــدرون فتضحك الاقدار »

مرد النكتة

كانت كتابة هذا الفصل بعد طبع خلاصة اليومية باحدى عشرة سنة ، وبعد كتابته بأربع سنوات عقبت على كتـاب « فى المرآة » للاستاذ البشرى الذى يقول فى مقدمته :

« ان مرد النكتة الى خلل فى القيـاس المنطقى باهدار احدى مقدماته أو تزييفها أو بوصلها بحكم التورية ونحوها بما لا تتصل به فى حكم المنطق المستقيم . فتخرج النتيجة على غير ما يؤدى اليه العقل لو استقامت مقدمات القياس ... وهذا الذى يبعث العجب ويثير الضحك والطرب ، فالنكتة بهذا ضرب من أحلى ضروب البديع ، ولا يعزب عنك كذلك أن النكتة اذا لم تكن محكمة التلفيق متقنـــة

التزييف بحيث يحتاج فى ادراكهـا الى فطنة ودقة فهم خرجت باردة مليخة لا طعم لها فى مساغ الكلام »

وكان تعقيبى على مقدمة الاستاذ البشرى « انه على صواب فى جزء واحد من أجزاء هذا التعريف وهو الذى يقول فيه ان الخلل فى القياس المنطقى مضحك وأن التزييف والتلفيق داعية من دواعى السخرية . أما الجزء الذى نراه على غير الصواب فيه فهو قوله ان النكتة هى التى تشتمل على الخلل أو على التلفيق والتزييف . لأن اشتمال النكتة على خلل فى القياس يسقطها ويلحقها بالهـذر والمجانة ، والذى نظنه نحن أن النكتة تضـحكنا لانها تفضح الخلل وتهتك الدعوى الملفقة وتطلعنا على سخافة العقـول التى لا يستقيم تفكيرها ولا تطرد حجتها . ومن ثم تكون النكتة هى المنطق الصحيح وهى الحجة المفحمـة وهى البرهان الذى يرجح بالبراهين فى معرض الجدال

« ... وقد يسأل سائل : ولماذا تضحكنا النكتة السريعة ولا يضحكنا القياس المفصل والفضيحة المبسوطة ؟ فجواب هذا قد يوجد فى تعليل هربرت سبنسر للضحك وهو خير تعليل وقفنا عليه فى كتاب المعاصرين ، ولا نقصد هنـا الا تعليل حركة الضحك الجسدية لاتعليل أسباب الضحك. فان السبب الذى يذكره برجسون مثلا رجيح صـالح لتفسير كثير من علل المضحكات ، ونعنى رأيه الذى يذهب فيه الى أننا نضحك من كل تصرف فى الانسان يشـبه التصرف الآلى الخالى من التفكير ، ونحن مع هذا نقول أن التماس علة واحدة لجميع الضحك خطأ لا يؤدى الى راى صائب ، لأن الضحك وان كان اسمه واحدا الا انه ليس

بظاهرة واحدة حتى يكون له سبب واحد

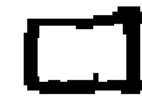
« ونعود الى رأى سبنسر بعد هذا الاستطراد فنقول ان الضحك عنده ينشأ من تحول الاحساس فجأة من الاعصاب الى العضلات . فان من المقرر فى النفسيات أن الاحساس اذا اشتد وألحف على الاعصاب تجاوزها الى العضلات فظهر عليها فى حركة عنيفة أو رقيقة على حسب قوته واشتداده ، فاذا حبس الاحساس فى طريقه فجأة تحول بغير ارادتنا من الاعصاب الى أسهل العضلات حركة وأسرعها تأثرا وهى عضلات الوجه والشفتين ثم عضلات العنق والرئتين ، فتتحرك بالابتسام أو بالضحك أو بالقهقهة أو بالوقوف والاختلاج عند من يغلبه الضحك وتهتز له عضلات الجسم كله . والدليل على ذلك اننا نضحك اذا غلبنا الاحساس وتحول من العصب الى العضل أيا كان الموحى به والباعث عليه . فنضحك من الغيظ والالم ونضحك الضحكة الهستيرية التى يفرج بها المكروب عن أعصابه المكظومة كأنما يخفف عنها بنقل شىء من ضغط الاحساس عليها الى العضلات ... فالضحك هو الانتقال فجأة من الاحساس الى الحركة العضلية ، والنكتة السريعة تضحكنا لانها تفاجىء التفكير بحالة غير مرتقبة وتعجله عن انتظار النتيجة فى طريقها الممهد المألوف . ومن الامثلة التى أوردها سبنسر للمضحكات منظر جدى يظهر على المسرح فجأة بين حبيبين يتناجيان ... فاحساس النظارة هنا يمشى فى طريق الغزل وينتظر أن يمشى فيه الى نهايته المناسبة له ويوجه الذهن الى هذه الناحية . ولكنه لايلبث أن يلمح الجدى على المسرح حتى يحتبس فى موضعه

ويتحول على غير انتظار الى ناحية أخرى ، فينـــدفع الاحساس من الاعصاب الى العضلات وتحدث الحركة التى نسميها الضحك حين يختلج بها الفم والرئتان ... وفى كل نكتة شيء من هذا التحول الذى مثل له سبنسر ينجم عن المفاجأة بما ليس فى الحسبان ، ويتلخص فى اظهار نتيجة غير النتيجة التى تبدر الى الذهن لأول نظـرة من الشيء المضحوك منه

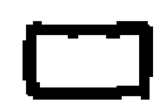
« فالنكتة الصادقة هى الحجة التى تظهر لنا فســاد الاقيسة المختلفة واضطراب النتيجة التى تأتى فى غـير موضعها وتلتوى على مقدماتها . وهذه هى النكات التى تفيد النفس لانها تروح عنها وتفيد الذهن لانها ضرب من المرانة على التفكير السريع وشحذ للفهم وتقويم له على المنطق السديد . ولنكتة واحدة يفهمها الطالب حق الفهم خير من مائة درس فى المنطق يقرؤها ويعيدها وهو لايحسن القياس ولا يفقه الدليل

« وكتاب الأوصاف المضحكة يعتمدون فى نكاتهم على ملكات كثيرة قد يناقض بعضها بعضا وقد لا يجتمع منها ملكتان لكاتب واحد . فمنهم من يعتمد على ملكة الســخر وهو يحتاج الى الذكاء وادراك الفروق وقد يصحبه شيء من الجد والمرارة ، ومنهم من يعتمد على الدعابة وهى تحتاج الى مرح فى الطبيعة مرجعه فى الغالب الى المزاج لا الى الدرس والتعليم ، ومنهم من يعتمد على الهزل وهو خلق ينشأ عن جهل بتقدير عظائم الاشياء وقد يستحل الضحك فى جلائل الخطوب ، ومنهم من يعتمد على العطف وهو يرضى الانسان عن نقائص الناس ويضحكه كما يرضى الوالد الشفيق عن

جهل وليده الصغير ، وخير هذه الملكات وأعلاها ملكة السخر يمازجها العطف ، وهى عبقرية لا تقل فى اقتــدارها على تجميل الحياة وتثقيف النفوس والاذواق عن عبقريةالفلسفة وعبقرية الشعر والتلحين . . »



وقد عن لى غير مرة بعد كتابة الفصل المتقدم عن النكتة (فى سنة ١٩٢٧) أن أتوفر على تصنيف كتاب واف أبسط فيه منادح البحث عن مصــــادر الاحاسيس التى تمتزج بالفنون والآداب كالاحساس بالجمال والاحساس بالجلال والاحساس بالمقــدس والاحســـــاس بالمليح Pretty والاحساس بالمضحك على أنواعه ، ولكننى وجدت الوقت يضيق عن استيعاب هذا البحث لضخامته وصعوبة مسالكه وجدته فى اللغة العربية وسائر اللغات ، فجعلت ألمس هذا الموضوع متفرقا من حين الى حين ، وكان أهم ما لمســته فى مسألة الفكاهة توضيح أقسام السخرية من حيث النية، اذ يكون منها ما يلجأ اليه الساخر كأنه يفتش عن العيوب الانسانية مستريحا الى وجودها وبقائها ، ويكون منها ما يلجأ اليه الساخر آسفا مضطرا كالأب الذى يعرف عيوب ولده ويبالغ فيهـــــا ويفرط فى التأنيب فيقول له انه لا يفلح ولا يرجى وهو فى الواقع أول من يرجو له الفلاح ويتمنى لو يكذب ظنه فى تلك العيوب



ووقفت بالبحث حيث وقفت فى الكلام على النكتة ورأى سبنسر وبرجسون فيها ، وأعنى أننى وقفت بالبحث كتابة ولم أقف به عناية بالموضوع واطلاعا على آراء خبرائه وذوى

الاختصاص بفنونه ، وكنت كلما توسعت فى استيعاب آراء الخبراء وتواريخ هذه البحوث من أوائلها بدا لى أن فهم « المضحك » كما فهمته لاول الامر مقابلا للمبكى أو المحزن بداءة طبيعية لهذه البحوث ، فان الفلاسفة الذين تكلموا عنه قبل أربعة وعشرين قرنا انما تحركوا من هذه النقطة ، فوضعوا التراجيدية أو المأساة مقابلة للكوميدية أو المهزلة ، وضموا الجد والبكاء جميعا فى تعريف المأساة كما ضموا الهزل والعبث جميعا فى تعريف المهزلة ، وكذلك فعل أفلاطون وفعل أرسطو من بعده واقتدى بهما كل من تصدى لتحليل فنون المسرح والشعر عامة مع قواعد الخطابة والبلاغة فى جميع هذه الاغراض

يبدأ فهم المضحكات على هذا النحو الذى تغلب عليه المقابلة الاسمية بين الضحك والبكاء ، ثم يتفرع الضحك ويتشعب وتلوح منه الأفانين التى لايقابلها البكاء فى كل حالة ، بل يدخل فيها ويحسب منها فى بعض الحالات

الفيلسوف الباكى والفيلسوف الضاحك

وقبل أن نأخذ فى تلخيص آراء افلاطون وارسطو لاننسى من السابقين لهما فى تاريخ الفلسفة اليونانية اسمين متناقضين كان كلاهما مادة من مواد الضحك وشاهدا من الشواهد التى يسوقها المعنيون بتعريفاته وتقسيماته ، وهما الفيلسوف هيرقليطس المولود فى القرن السادس قبل الميلاد ، والفيلسوف ديمقريطس المولود فى القرن الذى يليه

فالأول كان يلقب بالفيلسوف الباكى لأنه كما زعموا كان دائم البكاء لاترقأ له عين ولا يبتسم له ثغر ، ولايزال ناعيا

على قومه سوء ماصنعوا وما يصنعون فى أمورهم العامة والخاصة

والثانى كان يلقب بالفيلسوف الضاحك لأنه كما زعموا كان دائم الضحك لايكف عن الابتسام أو القهقهة ولا يكرثه خطب من الخطوب جل أو هان

وقد قال جوفنال الشاعر اللاتينى الساخر أن العجب لهيرقليطس أعظم من العجب لزميله ، فان دوام الضحك ـ صحيحا أو متكلفا ـ لايشق على أحد يريده ، وأما العجب كله فمن ذلك الفيلسوف الذى يجد فى عينيه معينا لاينضب من الدموع ويحزن جدا أو يتكلف الحزن تمثيلا ولهوا حيثما وجد مع الناس

والقصة كلها « مزدحمة » بشواهد الضحك ومعارض البحث فى حقائقه وأكاذيبه

فمن من الرجلين ياترى أدعى الى الضحك عند الناظرين اليه ؟..

أنضحك من دائم البكاء أم نضحك من دائم الابتسام والقهقهة ؟

يخيل الى الأكثرين أن الرجل الذى لاينقطع بكاؤه أدعى الى الضحك من الرجل الذى لاينقطع ضحكه وابتسامه ، وأنهما ـ بعد ـ موضوع صالح جدا للدعابة والسخرية

وأول مايرد على الذهن من أسباب ذلك أن الضحك الدائم والبكاء الدائم كلاهما غير معقول

وهنا نذكر ان الانسان حيوان ناطق وحيوان ضاحك ، وانه استأثر بالنطق وبالضحك ، لأنهما مقياسان مشتركان للعقل وللمعقول ... وهنا نذكر أيضا أن النكتة وسيلة

لاظهار الخلل المنطقى وان كل الفرق بينهما أن النكتة تفاجئنا باظهار الخلل وأن الدليل المنطقى يسترسل فى اظهاره بغير مفاجأة

ثم يرد على الذهن أن الضحك الدائم والبكاء الدائم كلاهما افراط وخروج من الجد الى ماعداه ، وما عدا الجد يلتقى بالضحك ولو فى بعض الطريق

وغنى عن القول أن الفيلسوفين لم يكونا على الصفة التى تفهم من كلمة الفيلسوف الباكى والفيلسوف الضاحك ، وانهما تعرضا لهذه الزيادة فى الوصف لأنهما مبالغان أراد الناس أن يكشفا هذه المبالغة منهما فوصلا بها الى غايتها المستحيلة ، وصنعا لهما بذلك الوصف صورة هزلية تشبه الصور التى يتعمد فيها الرسامون الفكاهيون ابراز الملامح الشاذة بتكبيرها والخروج بها عن جميع مألوفاتها

ولقد كان هيرقليطس يترجم عن سخطه أحيانا بحركات صبيانية ليست من البكاء ولا الحزن فى شىء ، فكان يلعب مع الأطفال ليسأله الشيوخ فيجيبهم بأن الأطفال أعقل منهم فى تدبير اللعب ، لأنهم لم يصنعوا فى ألاعيبهم ماصنعه الشيوخ المحنكون فى أحق الأمور بالجد والرصانة

وكان ديمقريطس يسيح فى الأرض من بلاده الى مصر والحبشة وفارس والهند وكل قطر معمور ، وكانت الدنيا على أيامه قائمة قاعدة تهون فيها مصائب الآحاد الى جانب المصائب التى تحيق بالدول والشعوب ، فكان يضحك من أولئك الذين يستسلمون للأحزان ولا يعتبرون بماحولهم من عادات الزمن وصروفه حيث ارتحل وحيث أقام ، وقيل من نوادر جرأته بالسخرية أنه اجترأ بها على « دارا » جبار

الفرس وهو يسيح فى بلاده ، فان هذا الجبار أحزنه أن تموت له جارية يحبها فوعده ديمقريطس باحيائها بعد دفنها ، وقال له ان الأمر لايتطلب أكثر من كتابة ثلاثة أسماء على القبر فتعود الجارية الى الحياة ، وسأله « دارا » فى لهفة : « وما تكون هذه الأسماء ؟ » فأجابه الفيلسوف وهويصطنع الجد : « أسماء ثلاثة لم يفقدوا احدا من الاعزاء » ...

وكان هذا هو العزاء ...

ولاريب أن البديهة الانسانية كانت من قبيل الحديد الذى يفل الحديد . فهى التى لقى منها الفيلسوفان جزاءهما من جنس العمل : سخر كلاهما من قومه فأرسله قومه فى التاريخ على ذلك « الكاريكاتور » بين ضاحك دائم الضحك وباك دائم البكاء

وهذا أيضا باب من أبواب المضحكات التى انطوت عليها قصة الفيلسوف : باب الصورة الهزلية أو الكاريكاتور

ثم يجىء الشاعر الساخر جوفنال فيغمض باختياره عن هذه المبالغة لأنها توافق « القافية » كما نقول فى النكتة العربية ، وما كان للشاعر الساخر أن يجد بين يديه هاتين الصورتين ثم يردهما الى سواء الخلقة ليضيع منه المجال الصالح للتهكم على الموصوفين والواصفين

فلسفة الضحك

على أن هذين الفيلسوفين المضحكين قد زودا فلسفة الضحك من سيرتهما ورسمهما بزاد لم تتزوده تلك الفلسفة من عقلين كبيرين كعقلى الفيلسوف أفلاطون وتلميذه الفيلسوف أرسطو وهما اعظم فلاسفة اليونان ولم يعرض



جحا الفيلسوف : الرفق بالحيوان ..!

لفلسفة الضحك بعدهما عقل أكبر من عقليهما الى اليوم

وكان خليقا بأفلاطون وأرسطو ان ينفذا الى جوهر الموضوع فى فلسفة الضحك وأسبابه لو أنهما قصدا الى الموضوع فى صميمه ، وأرادا أن يستوعبا الفروض والاحتمالات فى أسباب الضحك وأنواع المضحكات ، ولكنهما لم يقصدا هذا المقصد ولم يتكلما عنه الا عرضا فى سياق البحث عن المدينة الفاضلة والبحث عن الشعر وأقسام الروايات الشعرية

فأفلاطون ذكر المضحكين والمضحكات وهو يبحث عن مكانهم فى مدينته الفاضلة أو جمهوريته المثالية التى أراد ان يقصرها على الأفاضل والمأمونين وأن يجنبها عوارض النقص والرذيلة ، فبدا له أن الشعر موكل بالجانب الضعيف من الانسان بغير تفرقة بين شعر المأساة وشعر الملهاة

فالانسان الكريم يأبى ان يستسلم للبكاء اذا أصيب فى عزيز عليه ولكنه لايبالى ان يبكى وأن يحزن اذا رأى هـذا المنظر معروضا عليه فى رواية فاجعة ، لأن البكاء يخدعه فى هذه الحالة ويوقع فى روعه أنه يبكى لغير مصابه ويغلب على نفسه فى سبيل غيره

والانسان الكريم يأبى أن يفوه بالأضاحيك أو الخبائث المضحكة ولكنه يستسلم للضحك اذا سمعها محكية فى رواية هزلية يمثلها المسرحيون أمامه

وليس بالحسن على كل حال أن يكون فى الجمهورية الفاضلة انسان يغلب على وقاره ضحكا أو بكاء بله الاناسى الذين يصورون الارباب فى عليين مغلوبين على هذه الصورة ، ويقول أفلاطون أن الانسان الكريم لايعرف الجد الا بالهزل وأنه من الحسن أن يشهد مناظر الهزل من العبيد والأجراء المسخرين

ولا ينغمس فيها بنفسه . وقد أثنى على المصريين لأنهم يعلمون الأبناء الموسيقى والرقص قياما بالشعائر الهيكلية ولكنهم لايسمحون للشعراء بخلط الألحان بالأغانى المبتذلة والقصائد الموزونة على رقص الخلاعة والمجون ، وقد كانت خلاصة رأيه فى كتاب الجمهورية وكتاب القوانين أن الشعراء يحسنون صناعة الشعر ويستحقون من أجل ذلك أكاليل الغار ولكنهم يلبسونهاويخرجون منالمدينة الفاضلة الىحيث يشاءون

ولم يذكر أفلاطون سبب الضحك الا فى كلمات قليلةخلال هذه المباحث الأخلاقيـة ، وهو يرى فى تلك الـكلمات ان الضحك مرتبط بالجهلالذى لايبلغ مبلغالايذاء ، وأنالشعراء يضحكوننا حين يحاكون أولئك الجهلاء ، ولكنهم اذا طرقوا موضوع الملحمة أو المأساة عظموا الطغيان وجعلوا رواياتهم حكاية لأعمالهم ، فلا أمان لهم فى محاكاة الجهل ولا فى محاكاة الطغيان

وأرسطو ادق من أستاذه فى تعبيراته عن أقسام الشعر لأنه وضع فيها مبحثا خاصا تتبع فيه المسرحيات المضحكة من اصولها منذ كانت ضربا من الهجاء والأغانى الشهوانية الى أن أصبحت موضوعا للاضحاك والتسلية ، ولهذا جاءت فى الترجمات العربية باسم الأهاجى والتهريجات ولميبتدعوا لها اسما يقابل اسم « الكوميدية » كما صنعنا فى العصر الحديث اذ سماها بعضهم بالمهزلة وبعضهم بالملهاة وعربها بعضهم بلفظها اليونانى فسماها الكوميدية

وعند أرسطو أن المضحك ضرب من الدميم أو المشوه لايبلغ درجة الايلام أو الايذاء ، وفى نبذة منسوبة اليه من

رسالة مقطوعته طبعها كيبل Kaibel في برلين سنة ١٨٩٩ يقول ان الملهاة تطهر النفس كما تطهرها المأساة ؛ لان النفس المطبوعة على الرحمة أو على حسن الذوق تجد في المأساة والملهاة منصرفا لما تنطوي عليه من العطف والشوق الى الكمال واجتناب التشويه

وكلا الفيلسوفين قد تطرق اليه الخطأ من فهم المأساة والملهاة على أنها نوع من التقليد والمحاكاة ، لأن الشعر المسرحي يعرض الفواجع بتمثيل أناس يحاكون المصابين بها في حركاتهم وأقوالهم ، وكذلك يفعل بالمضحكات والملهيات

وأفلاطون من أجل هذا ينزل بالمقلدين الى الدرجة الثالثة، فيقول ان الصورة الفضلى هي صنعة الله ثم يحكيها الصانع الخبير بالصناعة ، ثم يأتي الشاعر فيحكي عمل هذا الصانع حكاية بعد حكاية .

ولم يلتفت أرسطو الى منزلة الشعراء المقلدين الا في سياق كلامه عن الاخلاق والاستطراد منه الى أخلاق الهجائين أو الدمامين ، فلم يكن من همه أن ينشيء مدينة فاضلة يبيح المقام فيها لأناس ويحرمه على آخرين

وليس في هذا الخطأ عيب على عقل الفيلسوفين الكبيرين ، لأنهما بادئان في طريق لم يسبقهما اليها سابق من الخبراء أو غير الخبراء ، ولكن العجيب منهما حقا أن يحسبا الفن تقليدا أو محاكاة ولا يحسباه خلقا وابتداعا من الشاعر على التخصيص ، مع أن كلمة الشاعر تفيد معنى الصانع أو الخالق باللغة اليونانية

ونقول ان هذا عجيب من الفيلسوفين حقـا لأنهما كانا يستطيعان أن يعلما أن وصف كرسي في الشعر أصعب من

عمل كرسى بصناعة النجارة ، وأن النجار الذى يعمل ألف كرسى لايستطيع أن ينظم بيتا واحدا من القصيدة التى تنظم فى وصف أحد كراسيه ، وهكذا يستطيع الرسام أن يصور كوبا من الفخار ولايستطيع الفخارى الذى يصنع الآنية الفخارية جميعا أن يخرج صورة لكوب صغير منها

وقد زاغ هذا الفهم الخاطىء بالفيلسوفين عن أسباب الضحك فى تفصيلاتها ، لأنهما التفتا الى فكرة التقليد فجعلها احدهما اسفافا دون صناعة الصانع ، وجعلها الآخر طلبا للمعرفة يكاد أن يتساوى فيه المقلد ، ومن يشهد التقليد ويسر بالنظر اليه ، ولم ينظر كلاهما بعين الشاعر لينفذ الى مواطن الضحك فيهما يتحراه من الصور المضحكة ومن تنويع عرضها وتمثيلها

لكنهما على هذا الخطأ الذى لاينجو منه كل مبتدىء قد نجحا فى التعريف بسبب الضحك نجاحا غير قليل ، لأنه كان أساسا لما بناه التابعون كما كان أساسا لنقد الناقدين

فالقول بأننا نضحك من العمل لأنه ينم على جهل لم يبلغ درجة الايذاء والايلام ، أو أننا نضحك من العمل لأنه يعرض لنا تشويها لم يبلغ هذه الدرجة ــ كلاهما قول يؤخذ به للمناقشة والتعقيب ولا يرفض كله جملة واحدة فى تعريف من تعريفات المحدثين .

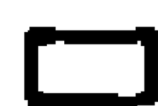
وكل مانعترض به على التعريفين أن الانسان قد يتبلد شعوره عن الألم والضحك فى وقت واحد ، فليس كل انسان يرى التشويه ولا يؤلمه يضحك منه ، لأنه قد يكون بليدا يخفى عليه التشويه والألم فى آن

وانما الخلو من الألم شرط لكل استمتاع بشىء من

الأشياء حتى ماكان من قبيل المتعة المادية ، اذ كان الألم على الأقل صارفا للشعور عن سبيل المتعة ، ان لم يكن مناقضا للشيء المضحك أو للشيء الجميل أو للشيء الجليل

ونضرب المثل لذلك بانسان مشوه ينظر اليه صاحب الاحساس المرهف فيدرك مايعانيه ، وينظر اليه الطفل الغر أو الرجل الجلف فيهزأ به أو يولع به للضحك منه واضحاك الناس عليه

فلا يجوز أن تفهم من ذلك أن الرجل الحساس غير صالح للضحك وغير خبير بالمضحكات ، لأنه قد يحس منها مايجهله الأطفال الاغرار والرجال الاجلاف . بل يجوز أن نقول ان الطفل الغر والرجل الجلف لايعرفان مايضحك ولا يعرفان مايؤلم فى وقت واحد



وندر من فلاسفة القرون الوسطى من نظر الى الضحك نظرة جدية ورآه فى حكمة جديرا بالبحث عنه وعن اسبابه، لانصرافهم الى البحث فى الاصول الدينية واسرار ماوراء الطبيعة ، ولعل فلاسفة اليونان الاقدمين كانوا على هذا الرأى ولم يبحثوا بعض البحث فى الضحك واسبابه الا فى طريق بحثهم عن التراجيدية والكوميدية مع رجوع هذه فى اساسها الى سير الارباب وشعائر الدين ومحافل الاعياد الوثنية

الا اننا قد نعثر بين الآونة والاخرى على فيلسوف من فلاسفة القرون الوسطى بحث فى معنى الضحك لاتصاله من بعض أطرافه بمباحثه الاخلاقية او اللاهوتية ، واحق هؤلاء بالالتفات الى رأيه فى هذا المبحث يوسف البو Joseph Albo

(١٣٨٠ – ١٤٤٥) ، وتوماس هوبز Thomas Hobbes
(١٥٨٨ – ١٦٧٩)

فيوسف البو فيلسوف اسرائيلى ممن درسوا فلسفة الاندلس الاسلامية واقتبس منها فى كتابه عن المبادىء والاصول ، وتكلم عن الضحك لانه مذكور فى كتب التوراة ومنسوب الى الانبياء ومنهم ابراهيم الخليل

قال : « الضحك – وبالعبرية سحوق – كلمة مرادفة لكلمات فى معناها ، تدل على الفرح كما جاء عن ابراهيم انه خر على وجهه وضحك ، ومعنى ذلك انه كان فرحا بما سمع

« وقد يدل الضحك على السخرية والاستهزاء كما يقول القائل : اننى ضحكة للجار ، وربما امتزج معنى الضحك والسخرية كما جاء ان الذى يستوى على السماء – الله – يهزأ بهم . اذ كان الضحك احيانا دليلا على الشعور باحتقار من يستحق الاحتقار ، وهكذا يشعر من يلحظ نقصا فى كلام احد او عمله ويشعر بتفوقه عليه لانه لا يقع فى مثل ذلك النقص ، فانما يتولاه الضحك لانه يرى الآخر يقول او يعمل ما لا يجمل بالانسان ووقاره

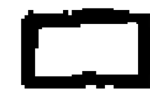
« وعلى هذا النحو ينسب الضحك الى الله فى التعبير المتقدم ، وسببه انه يسمع القائلين يقولون : هلموا نمزق شملهم ، وهى كلمات لايجمل بالبشر أن ينبسوا بها ، على حد قول الربانيين ان سبب المشابهة بين نشيد أبسالوم واخبار يأجوج ومأجوج انه لو سأل سائل : هل من الممكن ان يتمرد العبد على مولاه ؟ لكان الجواب : وهل من الممكن ان يتمرد الولد على ابيه ؟ . . وقد حدث هذا فمن الممكن اذن ان يحدث ذاك

« وواضح من ثم أن ذلك المقال مما لايحسن بانسان أن يقوله والا كان أهلا للازدراء والسخرية . وبهذا المعنى ينسب الضحك الى الاله والى الانسان

« ويضحك الانسان أحيانا اذ يخدع غيره فى أمر كان ينبغى أن يحذره المخدوع وينتبه اليه . ومن ثم يرجع سبب الضحك فى جميع الحالات الى الشعور بالتفوق فى نفس الضاحك حين يرى غيره يقع فى حماقة وأمر ينبىء عن جهالة. ويقول العلماء أن الضحك خاصة انسانية كما يقولون ان أسبابه مجهولة ، ويعنون بذلك اننا لانعلم لماذا يكون الضحك مصحوبا بحركات جسدية معينة ولماذا يحدث الضحك عند لمس الابط أو بعض المواضع الحساسة من الجسد . على أن حدوث الضحك من السخرية معروف جد المعرفة كما بينا فى شرح الآية ... »

وظل هذا الرأى مأخوذا به فى تفسير الضحك الى أوائل العصور الحديثة ، وهو على التقريب رأى الفيلسوف الانجليزى توماس هوبز الذى يرجع بكل خليقة أو عاطفة ترضى الانسان الى شعوره بالقوة والامتياز والرجحان ، ويرى أن الأخلاق الانسانية المحمودة تدل جميعها على القوة فى صورة من صورها . فالكرم والشجاعة والصبر والعزة والفضائل جميعها لاتنال حمد الانسان مالم تكن مقرونة بالقدرة والدلالة عليها ، وتتساوى الأخلاق النبيلة والعواطف الرفيعة فى هذه الخصلة ، بل تتساوى فيها الأعمال الارادية وغير الارادية كالضحك فى صورته العقلية وصورته الجسدية. فانما يضحك الضاحك لأنه يحس من نفسه انتصارا مفاجئ

أو مزية مفاجئة ، ولابد من شعور النصر أو الامتياز فيما يضحك الانسان ويرضيه



وهذا هو الرأى الذى توافقت عليه أقوال المتكلمين عن الضحك من عصر الفلسفة اليونانية الى العصر الحديث ، ولا حاجة الى انتظار التعقيب الأخير على جملة الآراء لاظهار الخطأ فى هذا التعليل الذى يصح فى جانب واحد من المضحكات ولا يصح فى جميع جوانبها . فان الانسان قد يضحك احيانا حين يشعر أنه قد انخدع كما يضحك من غفلة غيره حين تجوز عليه الخديعة البينة ، وليس فى هذا دليل على الشعور برجحانه بل هو دليل على شعوره برجحان غيره عليه

والمثل القريب على ذلك ماتقدم عن الضحك « الاجماعى » فى مؤتمر الساسة الذين جلسوا لتضييق الخناق على نابليون ثم جاءهم الخبر فجأة بانطلاقه من جزيرة البا وعودته الى فرنسا . فهذا موقف مغلوبين لاموقف غالبين ، ولا يستقيم تفسيره بشعور الرجحان أو الانتصار من جانب الضاحكين

وكل مايثبت فى جميع الحالات أن هناك مفاجأة وأن المفاجأة تخالف الحالة المطردة أو الاتجاه الذى يجرى فيه الشعور ، وبهذا يسهل تفسير الضحك ممن جلسوا ينظمون القارة الاوربية بعد اعتقال نابليون كأنما هذا الاعتقال أمر مفروغ منه ، ثم تقع المفاجأة بما يخالف الحسبان

افراط المحدثين

واذا كانت الشكوى من الثقافة القديمة قلة البحث فى الضحك وأسبابه فقد يكون الافراط فى هذا البحث شكوى

القارىء من الثقافة الحديثة ، لانها توشك أن تتطلب منه تخصصا ثقافيا مقصورا عليها ، وقد أثبت برجسون نحو أربعين مرجعا من الكتب والأصول ألم بها فى رسالته عن الضحك ، ويمكن أن يزاد عليها ثلاثة أضعافها من المراجع المتفرقة عن فلسفة المضحكات عامة أو عن موضوعات الفكاهة والنكتة فى مزاج هذه الأمة أو تلك أو فى آدابها ومأثوراتها

ويعود هذا الافراط فى الكتابة عن الضحك الى باعثين جديدين فى العصور الحديثة : أحدهما نشأة علم الذوق أو علم الجمال الذى ينظر فى الفروق بين الجميل والجليل والمضحك كما تعرضها الفنون الجميلة ولاسيما التمثيل ، وكأنما كان اهتمام المحدثين بالتمثيل ورواياته وأدواره تجديد الاهتمام أفلاطون وأرسطو بالتراجيدية والكوميدية وملكات الشعراء الذين يكتبون فى المحزنات والمضحكات والملاحم الكبرى عن الأرباب والعبادات وما استطردت اليه من موضوعات لاعلاقة لها بالدين وقد تناقضه وتخالف الأدب الواجب للمعبودات وشعائر العبادة . فان عودة الأدب المسرحى فى العصور الحديثة كانت فاتحة البحوث الفنية والفلسفية فى الموضوع من جميع جوانبه واطرافه ، فكان البحث فيه عن المضحك والمبكى والحسن والقبيح مقرونا بالبحث عن المقدس والقداسة فى شعور الانسان وفى الكائنات التى يقدسها ويرتفع اليها بالاجلال والابتهال ، واستدعى تمثيل هذه الكائنات شعرا ونحتا وتصويرا أن توضع لها الحدود والتعريفات وتقام الفواصل بينها وبين مايلتبس بها من المتشابهات أو المتناقضات

هذا أحد الباعثين الجديدين الى افراط المحدثين فى الكلام

على الضحك وتعليل أسبابه وتطبيقه على الفنون المتجددة فى الزمن الحديث

أما الباعث الآخر فهو شيوع البحث فى التطور ومذهب النشوء ... فان هذا المذهب يفسر تعبيرات الانسان عن خوالجه وعواطفه بما يوافق طبيعته الحيوانية ، ويتقصى وجوه الشبه ووجوه الاختلاف بينه وبين سائر الاحياء فى هذه التعبيرات ، ويراقب ملامحه ليربط بينها وبين وظائفه الجسدية واستعداد هذه الوظائف لتلبية العوامل الداخلية والعوامل الخارجية

ولا يسع الانسان الا أن يبتسم لتناقض النتائج التى وصل اليها اقطاب هذا المذهب بعد بحثهم فى ظاهرة الضحك والفكاهة . فان العالمين العظيمين اللذين توافيا ـ بغير التقاء بينهما ـ الى تحقيق ظواهره وشواهده قد ذهبا الى الطرفين المتقابلين فى تعليل الضحك والفكاهة

فمن رأى الفرد رسل ولاس Alfred Russel Wallace ان الضحك وسائر الخصائص الانسانية التى ينفرد بها النوع الانسانى لاتقبل التفسير بالانتخاب الطبيعى وتطور أنواع الحيوان ، وهو يتساءل كيف يفسر لنا الانتخاب الطبيعى ملكات الرياضة والموسيقى والاحساس بما فوق الطبيعة ؟ ويعود فيقول ان ملكة الفكاهة من هذا الطراز بين الخصائص الانسانية ، لأنها تحتاج جميعا الى تفسير غير تفسير الصراع على الحياة وتنازع البقاء ، ولو كانت من هذه الأسلحة فى النوع الانسانى لما كان مفهوما كيف يتجرد منها معظم الناس ولا تتوفر لغير العدد القليل منهم فى أرقى الحضارات ، ولا كان مفهوما كيف يتجرد منها الهمج والاوائل الفطريون

كما يتجرد منها الأكثرون بين المتحضرين ، فهى كما قال فى تطبيقه المذهب الداروينى على الانسان أخلق بأن تفسر بالمنحة الالهية التى يختص بها الخالق بعض الطبائع الموهوبة ، ولن تقبل التفسير بغير ذلك ولو باعتساف شديد

ومن راى داروين أن الضحك قد يوجد بمعزل عن التفكير كما يلاحظ على البلهاء وصغار الأطفال الذين يضحكون ليعبروا عن حالة الرضى والارتياح ولا يصحبون ذلك بفكرة أو خاطرة ذهنية ، والأصحاء من الراشدين تعتريهم حالات الضحك لأسباب غير أسبابه فى الطفولة ، ويصدق هذا على الضحك ولكنه لايصدق على الابتسام ، وكأنما يعبرون بالضحك عن حالة مقابلة لحالة البكاء الذى يقترن بالشدة والكآبة العقلية كما يقترن بالخوف والغضب ، ولعل شيئا من الغرابة المفاجئة مع شيء من الشعور بالتفوق هو أشيع الأسباب لضحك الكبار الراشدين . ومن الواجب الا تكون الظروف على جانب عظيم من الخطر والجسامة ، فان الرجل الفقير — مثلا — لاينتظر منه أن يضحك اذا سمع فجأة أنه كسب مقدارا كبيرا من المال ، ولكن العقل اذا هاجه الشعور بالمسرة وطرأت عليه خاطرة صغيرة غير متوقعة فالنشاط العصبى يفرج عن نفسه بتحريك العضلات تلك الحركة التشنجية الخفيفة التى نسميها الضحك

قال فى كتابه عن تعبيرات العواطف فى الانسان ان الجنود الألمان أثناء حصار باريس كانوا يندفعون الى الضحك لكل تفاهة من تفاهات النكتة بعد طول التعرض للخطر الشديد ، ويقول مستر هنتون من سان فرنسسكو انه كان يتناوبه الصياح والضحك وهو على التلال عند الباب الذهبى معرض

لافدح الأخطار ، وهكذا يشاهد على الاطفال الصغار وهم يهمون بالبكاء أن بكاءهم يتحول الى ضحك حين يطرأ أمامهم طارىء غير متوقع ، مما يفهم منه أن الضحك يفيدهم فى تصريف فيض الجهد العصبى الذى يحسونه على تلك الحال

وينظر داروين الى أسلوب المجاز حيث يقول القائل ان الخيال دغدغته فكرة مضحكة فيلاحظ أن دغدغة الخيال مماثلة لدغدغة الجسد ويتخذ المثل من ضحك الاطفال و « تشنج » أجسامهم الصغيرة بفعل الدغدغة ثم يلاحظ أن القردة العليا تبدر منها أصوات مرددة فى مثل هذه الحالة ، ويعود فيفرق بين الضحك من فكرة مازحة والضحك من اثر الدغدغة الا فى امر واحد وهو أن يكون الفكر فى حالة راضية ، فكما ان الطفل يصيح ولا يضحك اذا دغدغه رجل غريب واشتدت عليه حركة الدغدغة كذلك ينبغى ان يكون الفكر بعيدا من الجفوة والشعور بالاكتراث والاهتمام ، وتحدث الدغدغة الجسدية فى المواضع التى لاتتعرض كثيرا للمس ولا يكون موضع الدغدغة معروفا قبلها ، وكذلك تحدث الدغدغة الفكرية من خاطر غير معهود ولا معروف قبل ذلك ، ويبدو ان عنصر الطروء أو المنافرة الذى يجرى فى سياق التفكير هو العنصر القوى فى تكوين المضحكات

ثم يراقب داروين عوارض الضحك على الوجه والجسم ويحصيها احصاء دقيقا فى تتابعها على حسب الرخاوة أو العنف فى الشعور ، ويقرر أن الشعور العنيف كله يتخذ تعبيرا واحدا فى حالتى الحزن والسرور وأن مشاهدة ذلك ميسورة لمن يراقب العصابيين (الهستيريين) والأطفال لسرعة تأثرهم بأنواع الاحساس ، فانهم يتراوحون بين الضحك والبكاء

فى الوقت الواحد وينتقلون من الشعور الى نقيضه لانهما عندهم متقاربان . وشأن القبائل الفطرية عند داروين كشأن الاطفال فى هذه الخصلة ، لانه رأى فى جزر ملقة نساء يبكين اذا أغربن فى الضحك ، وروى أقوال السائحين عن سكان استراليا الاصلاء فقال انهم يقفزون ويصفقون وتغرورق أعينهم بالدموع وهم مرحون ضاحكون ، ثم قال ان الاستراليين والأوربيين يتشابهون فى ضحكهم جميعا من رؤية المحاكاة . ومن القبائل الفطرية فى جزيرة سيلان أناس لايضحكون لمنظر قط من المناظر المضحكة ـ فيما رواه هارتشورن Hartshorne ـ لأنهم يقولون اذا سألوا مستغربين : وما الذى يدعو الى الضحك فى هذا أو ذاك ؟. الا أن الابتسام والضحك فى جميع الأمم يجريان فى مسلك واحد فلا يستطاع وضع الحد الحاسم فى الحركات أو المعانى بين دواعى الضحك ودواعى الابتسام ...

وظاهر من دراسة داروين كلها للتعبيرات الانسانية والحيوانية أنه يتجه بمراقبته الى العوارض الجسدية التى تعم جميع بنى الانسان وقد تعم بعض الحيوان فى بعض الأحوال ، والعوارض الجسدية أدق لديه من العوارض الأخرى التى لايسهل ضبطها وتعميمها ولا يسهل كذلك تعليلها بالانفعالات المشتركة بين الناس من جانب وبين الناس والأحياء العليا من الجانب الآخر ، وهو على خلاف زميله فى مذهب النشوء والتطور ـ الفرد ولاس ـ موكل بالتعميم والاشباه الشائعة دون تلك الملكة الخصوصية التى يرى صاحبه أنها مزية محدودة لايفسرها تنازع البقاء كأنها ملكة الادراك الرياضى والبداهة الموسيقية وما اليها . فبينما

يهبط داروين الى عوارض الضحك التى يقل فيها التفكير كضحك الأطفال والعصابيين والقبائل الفطرية ، يرتفع ولاس الى ملكة الفكاهة العالية التى يمتاز بها آحاد من النوابغ قلما يزيد عددهم على عدد العباقرة الذين يكشفون خفايا الحقائق الرياضية ودقائق النسب الموسيقية ، ويعلمون الناس كيف يفهمونها ويدركونها بعقولهم وبصائرهم فلا يتيسر للكثيرين أن يجاروهم على فهمها وادراكها

والنزعة الوجدانية هى سر الاختلاف فى النظـــرة الى المضحكات بين العالمين الكبيرين . فداروين يبحث عن وحدة الأنواع الحيوانية فيهبط الى مواطن الشبه بين أرقى الأحياء وأقل الناس ويعقد الصلة بين هؤلاء وهؤلاء بوحدة العوارض الجسدية التى تصاحب الضحك من تأثير الدغدغة أو تأثير المشاهدات الحسية ، ويعنيه ان يراقب عوارض الدغدغة فى القردة التى تتأثر بعض المواضع فى اجسامها باللمس المفاجىء على غير المألوف

وكل هذا لايفسر الملكة التى يعنيها زميله ولاس ويعلو بها الى الطبقة التى ينفرد بها الآدميون بل ينفرد بها آحاد من الآدميين ، لأن نزعته الوجدانية تتجه الى الايمان بالروح الالهى ومزاياه التى يفيضها على الأرواح الانســانية كلما تهيأت لها بهداية السماء

ولم يزعم داروين أنه فسر الضحك كله واستوعب الكلام فى أسرار المضحكات على اختلافها ، وانما أراد منها ماتثبته التعبيرات المحسوسة وتطرد فيه الملاحظة اطرادا يقبل التعميم

ويقال هذا أيضا عن الفلاسفة الذين درسوا الضحك من

ناحية علم الذوق أو علم الجمال . فانهم تناولوه من وجهة المقابلة بينه وبين الأحاسيس الجميلة أو الجليلة أو المقدسة ولم يستوعبوا أصوله وتفريعاته فى دراسة مستقلة تحيط به فى معانيه الفنية ومعانيه الحيوية

فخلاصة رأى كانت Kant ان الضحك ينشأ من التوقع الذى ينتهى فجأة الى غير طائل ، وخلاصة رأى شوبنهور أن الضحك فى جميع الأحوال نتيجة المفاجأة بادراك عدم التناسب بين الشىء المضحك والشىء الذى يخطر على البال أنه يشبهه ، وخلاصة آراء الباحثين فى الجميل والجليل عامة أن المضحك هو النزول بالجليل — أو الوقور — فجأة الى الابتذال والاسفاف ، وأنه فى جملته نوع من الحطة Degradation يسرع الذهن فى الالتفات اليه

وليس من اليسير أن نستقصى هنا كل ماقيل فى تعريفات الضحك وأسبابه ، فان الجمع الذى يدل على طائفة قليلة من نماذج التفكير أجدى من احصاء التفصيلات التى تتبعثر بغير رابطة بينها تدور على محور معلوم

ونرى أننا قد نستغنى عن تتبع الآراء المبعثرة فى تعليل الضحك اذا اجتزأنا منها بتلخيص ثلاثة آراء نموذجية هى رأى سبنسر العالم الانجليزى وبرجسون الفيلسوف الفرنسى وفرويد الطبيب النمسوى صاحب مذهب النفسانيات الحديث

فرأى سبنسر رأى عالم نشوئى يفصل رأى داروين وينقحه ويزيد عليه من الوجهة العلمية الطبيعية

وبرجسون فيلسوف ينظر الى الوجهة الاجتماعية ولا

يهمل الوجهة الفنية ، وان كان يوجزها ولا يستقصيها

وفرويد ينظر الى الدخائل النفسية مع ارتباطها بالمجتمع وعلامات الصحة والمرض فى الآحاد

وقل أن يوجد رأى فى الضحك لايلتقى بهذه الآراء فى جزء من الأجزاء

ثلاثة آراء في الضحك

كتب سبنسر رايه بعنوان فزيولوجية الضحك :
The Physiology of Laughter

وهو عنوان يدل على مدار البحث كله ، ويؤخذ منه أن الباحث انما أراد أن يفسر عوارض الضحك الجسدية وارتباطه بالأفكار والأحاسيس التى تستدعيها

وفكرته تشابه فكرة داروين فى أساسها ، ولكنه يخالف القائلين بأن الضحك محاولة عضلية للتخلص من شعور مكرب أو غير محتمل ، ويخالف القائلين بأن الضحك يتولد من الشعور المفاجىء بالغبطة والرضى عن النفس بما يوحى اليها من السلامة أو الرجحان

ويقول سبنسر ان هذا كله قد يحدث ولا يحدث معه الضحك ، وانه لابد لتمام العوارض جميعا من التحول المفاجىء من سياق الى سياق فى وجهة الشعور

يشتغل الموسيقى بتوقيع قطعة من ألحان موسيقى بيتهوفن مثلا فيعطس أحد الحاضرين عطسة قوية يسمعها الحاضرون خلال التوقيع ، فيضحكون

ليس فى الاستماع الى الموسيقى شعور مكرب تتخلص منه النفس بالضحك ، ولكن الذى حدث أن العطسة غيرت مجرى الشعور أو حبسته عن المضى فى طريقه المألوف ، فتنقله هذه المفاجأة من أعصاب الحس الى العضـــلات ، ويحدث الضحك من جراء هذا الانتقال

ويقف العاشقان على المسرح يتناجيان ويتغاضبان أو

يتراضيان ، واذا بجدى يضل طريقه ويذهب الى العاشقين فيقطع عليهما وعلى النظارة هذه المناجاة ، فيحدث من هذه المفاجأة ما أحدثته العطسة القوية أثناء سماع الموسيقى ، ويضحك النظارة الذين كانوا يرقبون منظر المناجاة ولم يكن فيه مايكربهم أو يحبون التخلص منه بالضحك ، وانما يغلبهم الضحك لانتقال الشعور من وجهته المطردة ، ولابد له اذن ان ينتقل من أعصاب الحس الى العضلات

يقول سبنسر : ولا يحدث هذا لجميع السامعين اذا كان فيهم من يستغرقه الشعور بالموقف ولا يدع فيه بقية للانتقال منه والالتفات الى غيره . فان هؤلاء قد يغفلون عنه أو يغضبون لتنبيههم من الشعور الذى هم مستغرقون فيه

ويقول سبنسر ان المؤثرات لها فى الانسان ثلاثة منافذ : منفذ الحس ، ومنفذ الفكر ، ومنفذ الحركة العضلية ، وانها كلها قابلة للتحول من منفذ الى منفذ سواء بدات بالتفكير أو بدأت بالحس أو بدأت بحركة من العضلات

فالرجل الذى يهرب من الخطر الداهم يجرى وتشتغل عضلاته بهذه الحركة ، ولكن هذه الحركة العضلية لاتستغرقه ولا تمنعه أن يفكر فى الخطر والحيلة التى يحتالها أو العمل الذى يعمله للنجاة منه

فاذا كان الخوف أهون من الخوف على الحياة فربما انصرف بالحركة وأصبحت الحركة ضربا من الرياضة التى يتشاغل بها الانسان عن حالته النفسية

والطفل يصفق اذا فرح لأن شعوره ينتقل من الأعصاب الى العضلات ، وربما فرك الرجل الكبير كفيه فى مثل هذه

الحالة ، لأنه تعود هذا الشعور أو تعود أن يتحول عنده الى الفكر كما يتحول الى العضلات

ومما يدل فى رأى سبنسر على أن الضحك من حركات رد الفعل أو من الحركات الانعكاسية انها حركات لغير قصد أو حركات غير مقصودة بارادة صاحبها ، كأنها غمضة العين للوقاية او رعشة البرد التى لايريدها المقرور

ويتبسط سبنسر فى وصف تأثير هـذه الانفعالات غير الارادية فيرى أن تأثير الشعور قد يعطل تفكير الخطيب على الرغم منه وهو واقف امام الجماهير يحس وجودها ويخشى ان يتلعثم امامها أو لاينال موافقتها واعجابها ، ولو أنه وقف ليلقى خطابه امام الكراسى الخالية لانطلق تفكيره بغير عائق من الحس والشعور . وهاهنا ثلاثة عوامل مشتركة فى التأثير على الخطيب : عامل الحس اذ يرى الجماهير ، وعامل الشعور اذ يخشى التقصير والخيبة ، وعامل الفكر الذى يشغل الحس والشعور جانبا منه فلا ينطلق مع اشتراكها كما ينطلق على انفراد

فالسريان بين منافذ الحس والتفكير والحركة طبيعى فى المؤثرات النفسية ، وكلها تجرى فى مجراها الطبيعى من الفكرة الى الحس والحركة ، أو من الحس الى الحركة والفكر ، أو من الحركة الى الأحاسيس والأفكار

غير أن الحس أو الفكر لاينتقل الى العضل الا فى غياب الحس والفكرة التى من قبيله ، فاذا كان الالم شديدا جدا يستوعب الشعور كله فهو لاينتقل الى العضلات عند المفاجأة ، لأنه يجد طريقه فى اتجاه الشعور بغير عائق يحيده عن مجراه

ويستطيع من شاء أن يحقق ذلك بمنظر يذكره أو يتخيله

على وفاق المألوف من تجاربه ومشاهداته :

اذا جلس الناس فى مأتم وحدثت على مشهد منهم مفاجأة مضحكة فقد يضحك الغرباء عن المأتم وقد يضحك الصغار الحاضرون وان كانوا من أهل الميت ، ولكن الكبار المفجوعين لايضحكون لأن شعورهم يفيض فى مجراه ولا تشغله المفاجأة المضحكة حتى تنتقل من الحس الى حركة العضلات ،وربما أثارهم وأغضبهم ان يروا أمامهم أحدا يضحك وهم مغلوبون بالأسى والفجيعة

وملاحظة سبنسر ــ هذه ــ مهمة جــــدا فى تصحيح التعريفات الاخرى ، ومنها تعريف أفلاطون وأرسطو وغيرهم للضحك اذ يقولون أنه نتيجة الشعور بالسخف أو التشويه الذى لم يبلغ مبلغ الايلام والايذاء

فالألم مانع للضحك لأنه يشغل الشعور بغير المضحكات متى اشتغل الشعور بشىء آخر لم يشعر الانسان بالجمال ولا باللذة ولا بالسرور ، وليس الأمر هنا خاصا بالمضحكات دون المحاسن واللذات والمسرات

ان المفاجأة التى تعوق الاحساس عن مجراه وتحوله الى العضلات كافية وحدها للضحك ولا حاجة معها الى استثناء الألم ، لأن الألم استثناء لــكل شــعور وليس بالاستثناء للمضحكات دون سواها

أما اذا كان الاحساس من القوة بحيث لاتعوقه المفاجأة فانه يجترفها فى طريقه ولا يتحول الى العضلات ، ولا يحدث الضحك من ثم على الرغم من جميع المفاجآت

واذا قال قائل عن جدول الماء انه يجرى ما لم يعقه عائق، فهو لا يقول لنا شيئا عن طبيعة الماء دون غيره . فهكذا

يحدث لكل متحرك انه لا يتحرك مع وجود العائق فى طريقه سواء فى ذلك حركة الماء وحركة البخار وحركة السهم وحركة القذيفة من اقوى المدافع والراميات

وكذلك يكون من قبيل تحصيل الحاصل أن يقال ان الضحك يحدث مالم يمنعه الالم . فان الالم يحجب الشعور بالمضحكات وغير المضحكات : يحجب المتعة بالنكتة كما يحجب المتعة بالجمال والجلال واللذة وبدائع الفنون على الاجمال

ويؤكد هذا مالاحظناه آنفا على تعريف أرسطو الذى يشترط فى الدمامة المضحكة الا تبلغ حد الايلام . فان الانسان البليد لا يتألم ولا يفطن للضحك فى وقت واحد ، واذا جمعنا اثنين أحدهما مرهف الاحساس والذهن والآخر ثقيل الاحساس والذهن فلا يلزم أن يكون هذا أكثر فطنة للضحك من ذاك لانه بطىء الالم . بل يبطىء شعوره بالالم وشعوره بالضحك فى وقت واحد ، ويغفل عن التشويه كله بجميع درجاته فلا يلمحه ولا يحسه فى درجة من الدرجات.

ومن ثم ننتهى بعد ما تقدم الى الثقة من شرط واحد فى المضحكات وهو شرط المفاجأة التى تتحول بالشعور عن مجراه . فاذا كان الشعور جاريا فى مجراه ــ كشعور الحزن العميق ــ فالمفاجأة لا تدفعه الى الضحك ، واذا كان فى المجلس نفسه أحد لا يبلغ منه الحزن ذاك المبلغ من العمق والاستغراق فانه يضحك من المفاجأة لانها تستطيع أن تتحول بالمنظر ، أو المسمع ، من حس الاعصاب الى حركة العضلات

رأى برجسون

والرأى الثانى بين الآراء النموذجية هو راى هنــــرى برجسون الفيلسوف الفرنسى صاحب مذهب دفعـــة الحياة

ورايه فى الضحك أنه فى وقت واحد تطور منطقى وحاسة اجتماعية

فنحن نضـــحك اذا رأينا انسانا يتصرف تصرف الآلة ويقيس الامور قياسا آليا لا محل فيه للتمييز المنـطقى ، ولكننا نضحك فى الجماعة عامة ولا نضحك منفردين لان الضحك تنبيه اجتماعى أو عقوبة اجتماعية لمن يغفل عن العرف المتبع فى المجلس أو فى المحفل أو فى الهيئةالاجتماعية بأسرها

والضحك عند برجسون انسانى بمعانى الكلمة جميعا ، فلا يشاهد فى غير الانسان ولا يستثيرنا الضــحك فى غير عمل انسانى أو عمل نربطه بالانسان

فنحن لانضحك من منظـــر طبيعى أو من جماد كائنا ما كان الا اذا ربطناه بصورة انسانية ، وجعلناه شـــبيها بانسان نعرفه أو منسوبا الى عمل من أعمال الناس . وقد نضحك من قبعة نراها فلا يكون الضحك من القبعة بل من الانسان الذى يلبسها ونتصور هيئته فيها

ومن شروط الامر المضحك عند الفيلسوف أن يكـــون عملا انسانيا بغير معنى ، أو يكون المعنى فيه مطردا على طريقة آلية كأنه من أعمال الادوات المجردة من التفكير

ومن شروط الامر المضحك عنده ان يحصل فى جمـاعة أو يرتبط بالتصرف فى الجماعة • فقلما يضحك الانسانعلى

انفراد الا اذا استحضر العلاقة الاجتماعية فى ذهنه ، وقلما ننظر الى أحد يضحك على انفراد الا خامرنا الشك فى عقله ما لم يكن له عذر نعلمه ، فلا يزال الضحك على انفراد محتاجا الى اعتذار وتوضيح

لهذا يقرر برجسون أن الضحك مرتبط بالتصرف المنطقى وبالحاسة الاجتماعية فى وقت واحد . فهو وسيلة من وسائل المجتمع لحمل أبنائه على التصرف فيه تصرف الراشدين الذين يفقهون معنى ما يصنعون

ويفسر الفيلسوف أنواعا كثيرة من الضحك على ضوء هذه الشروط . فيقول مثلا ان مرونة الحركة تهم الاطفال كثيرا فهم يضحكون من كل حركة تصطدم بغير وعى ويفقد فيها المرء قدرته على المرونة ، ويقول ان كل خلل فى الحركة يضحكنا اذا قارنا بين الخلل الواقع ، وبين اللباقة التى يستدعيها تمام الخلقة والتكوين والتصرف المعهود . وكثيرا مايضحكنا شرود الذهن لان الانسان الذاهل ينسى عقله وحاسته الاجتماعية ويتكلم أو يعمل على غير ماتقتضيه الحالة التى هو فيها

ويومىء الفيلسوف الى مناظر المحاكاة فيقول أن المحاكاة تضحكنا لانها عمل يشبه عمل الآلات وتضحكنا لانها تلفت النظر الى الغفلة أو التناقض فى الانسان المحكى لانه شبيه بالآلات ، واذا رأينا وجهين يتشابهان تشابها تاما ضحكنا لاننا نتصور أنهما مصنوعان فى قالب واحد كما تصنع الوجوه التمثيلية

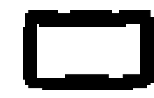
ويضحكنا أن يتحكم الجسد فى العقل والارادة تحكما غير مناسب للموقف الحاضر ، فنضحك من الخطيب الذى

تغلبه الحماسة والعطاس فى وقت واحد ، ويضحكنا أن نرى امامنا أحدا يطبق على الاحياء أحكام الآلات ، وهذا هو سر ضحكنا من الطبيب الذى يقول للمريض أن موته باطل لانه لم يجر على وفاق الاصول المتبعة

ويضحكنا الرجل الذى تتكرر فى كلامه لازمة محفوظة نتوقعها فنضحك حين نسمعها

وهذا المثل من أمثلة برجسون جدير بالانتباه اليه ، لانه يرجح رايه على آراء القائلين بشرط المفاجأة فى الضحك

فالرجل الذى يكرر لازمة واحدة يضحكنا حين نسمع ما ننتظره منه فلا يقال اذن انه يضحكنا بالمفاجأة ، بل يصح فيه رأى برجسون وهو الرأى الذى خلاصته أن المضحك من أعمال الانسان هو الذى ينساق فيه انسياق الآلات



ونحن نستدرك ما يستدرك من هذه الآراء فى أثناء تلخيصه ، وقبل الانتقال الى التعقيب الاخير عليه ، لاننا نحب أن ننتهى الى النتيجة خالصة من الاعتراض والاستدراك خالية من اللبس ودواعى الاطالة فى المناقشة والتمحيص

والمثل الذى يجب الانتباه اليه من أمثلة برجسون يرجح رايه على رأى القائلين بالمفاجأة لاول وهلة ، ولكنه لا يلبث أن يعود بنا الى القول بالمفاجأة من جانب آخر

فمشابهة الآلات هى فى ذاتها مفاجأة مستغربة من الآدميين العقلاء . ولهذا يتفق القولان ولا يتناقضان ، ويجوز أن يقال أن المفاجأة ومشابهة الآلة شىء واحد ، وأن مشابهة الآلة باب من ابواب المفاجأة لا يستوعبها ولا يمنع الضحك من غيرها

وأما الضحك من تكرار اللازمة التى تنتظرها فهو لايدل قطعا على نفى المفاجأة أو على الضحك من الشىء لانه منتظر، بل هو نوع من استعادة الضحك السابق كما نبتسم عندما يمر بخاطرنا تمثيل دور مضحك شهدناه من قبل ونود ان نعيده ونتملاه من جديد

وهذا المثل ــ بالذات ــ أصلح الامثلة لتوضيح الحقيقة فى هذا الخلاف

فاللازمة المتكررة لابد ان تتكرر حتى تصبح لازمة ملحوظة وحين نبدأ بالاستماع اليها لا نلاحظ أنها لازمة تعاد فى مناسبة وفى غير مناسبة الا اذا سمعنا صاحبها يتكلم فى مسائل شتى ويعيد لازمته على اختلاف هذه المسائل وتناقضها ، ومتى ثبت لدينا أنها لازمة وانتظرناها فانما نحن نستعيد ضحكا سابقا ولا ننشىء الضحك لاول مرة ، ويصدق على هذا النوع من الضحك أنه من قبيل استعادة المناظر التى سبق لنا أن ضحكنا منها وأحببنا أن نتملاها ونرجع اليها حينا بعد حين



ونستطرد بعد هذا فى سرد الامثلة المتعددة التى ينطبق عليها رأى برجسون ، ومنها غير ما تقدم مثل الشاطر الذى يغلب بالشطارة ، أو مثل الفخ الذى يقع فيه واضعه ، فان هذا الشاطر ــ على شطارته ــ يتصرف كالآلة حين ينعكس عليه عمله وهو أحق من سواه بالاحتراس منه

وهذا المثل ــ كالمثل السابق ــ يمكن تفسيره برأى برجسون ورأى القائلين بالمفاجأة معا . لاننا نتوقع من

الشاطر أن يغلب غيره بالحيلة ونشعر بالمفاجأة حين يقع غير المتوقع وهو انخداعه بما يخدع به الناس

ويعلل برجسون ضحك الكثيرين من النكتة الجناسية بأنها تحول الذهن من المعنويات الى الحسيات . لان الكلمتين المتجانستين تتشابهان فى اللفظ وتختلطان فى المعنى . فيتصور السامع الحركات الجسدية وهو يفكر فى المعانى الاخلاقية أو الذهنية ، وهذا الضحك يشابه الضحك من الخطيب الذى تأخذه الحماسة لفكرة من الافكار ثم يغلبه العطاس .. فانه فى هذا الموقف مغلوب لضرورات جسده الآلية ويتصرف على الرغم منه كما تتصرف الآلات

وعلى هذا النحو مواجهة الذهن بكلمتين متجانستين احداهما مادية والاخرى معنوية ، وتلحق بالجناس كلمات الكناية والاستعارة والمجاز وسائر الكلمات التى تواجه الذهن بصورتين احداهما لائقة بالانسانية والاخرى غير لائقة ، كأن يقال عن أحد انه من أهل اليسار ، أو انه فنان، أو انه جبل ، أو انه طويل الباع

والحاسة الاجتماعية عند برجسون أعم من جميع الاسباب . فالضحك اذن ملكة اجتماعية يراد بها تصحيح الخطأ فى معاملة الجماعة ، وهو يتناول الاخطاء التى لاتبلغ حد الاجرام لان المجتمع يعالج هذه بالجزاء القانونى أو بالانتقام ، ويتناول الاخطاء التى ينبو عنها الذوق كل النبو مع سوء النية لان المجتمع يداوى هذه بالنفور والاشمئزاز وانما يكتفى بالضحك من الاخطاء التى يسهو فيها الانسان عن التقاليد الاجتماعية على غير قصد وبغير نية سيئة .. فهذه الاخطاء يكفى فى التحذير منها أن يتعرض صاحبها

للضحك وان يكون هذا الضحك عقوبة على قدر الاساءة العارضة ، فيحسب فى هذه الحالة كأنه قانون خفيف حيث لا حاجة لتطبيق القانون الذى يحمى المجتمع من الجرائم والاضرار الجسام

بل يكاد يكون الضحك عقابا اجتماعيا خفيفا لمن يدينون بالاحكام الحرفية ويطبقون القواعد فى دقة وصرامة توحى الى الذهن أن الذى يطبقها آلة لا تفكر ولا تحس بماتصنعه ولا تفرق بين جزاء وجزاء وتقدير وتقدير

ففى هذه الحالة يكون الضحك تصحيحا للاحكام المبالغ فى «دقتها الحرفية» لانها صفة آلية لاتليق بالقياس المنطقى والتقدير السليم

وزبدة الامثلة جميعا فى رأى برجسون تلخص أسباب الضحك فى حماية المنطق الانسانى وحماية الحاسة الاجتماعية على الخصوص . فكلما هبط الانسان من مرتبة التصرف المنطقى الذى يناسب علاقاته الاجتماعية كان ذلك مثيرا للضحك منه لتنبيهه الى تقصيره، على شريطةالوقوف بهذه الاخطاء عند حد لا يبلغ الاجرام ولايدخله سوء النية ، بل يخلو من كل قصد يقصده الكائن العاقل المتصرف ، فيرتد الى الحركة الآلية التى تتجرد من المقصد فى جميع الحركات

رأى فرويد

بقى من الآراء النموذجية رأى سيجموند فرويد Freud . الطبيب النفسانى صاحب المذهب المشهور الذى شاع وشاعت مصطلحاته على الالسنة حتى أصبح حديث الوعي

الباطن والعقد النفسية ومركب النقص وما اليها من احاديث الخاصة والعامة وكاد هذا المذهب أن يستأثر بتفسير خفايا النفس البشرية فى مسائل الاخلاق والعادات والبواعث الفردية والاجتماعية

وقد أفرد الطبيب النفسانى رسالة مسهبة للكلام على النكتة ومدلولاتها الاجتماعية والفنية ومواطن الشبه بينها وبين الاحلام والرؤى فى الوظيفة التى تؤديها للفرد وللجماعة

وزبدة رأى فرويد ان النكتة ضرب من القصد الشعورى والعملى يلجأ اليه الانسان فى المجتمع ليعفى نفسه من أعباء الواجبات الثقيلة ويتحلل من الحرج الذى يوقعه فيه الجد ولوازم العمل ، وان النكتة تشبه الحلم فى أساليبه وهى التورية والتأويل والاختزال والمسخ والتلفيق ، أى جمع الصورة الواحدة من أجزاء صور متفرقة لاتجتمع فى الواقع

والناس يقولون عن الرجل انه يمزح أو يقولون عنه انه يحلم على السواء حين يريدون اعفاءه من المؤاخذة ولايريدون الجد معه فى المحاسبة والتحقيق ، وكأنما يحتال المرء بالفكاهة على بلوغ أمر لا يبلغه بالحجة والدليل ، وكذلك يحتال فى احلامه على تحقيق الامانى التى تفوته فى اليقظة وتشغل باله على غير جدوى ، فهو يستعين بالنكتة أو بالحلم على صعوبة واحدة وهى تيسير الواقع والاعفاء من الكلفة والمشقة

وقد أورد فى رسالته أمثلة كثيرة سنشير الى بعضها ونكتفى هنا بنادرة واحدة من النوادر الفكاهية التى تساوى الاحلام فى رفع الكلفة والسماح لقائلها أو سامعها بما هو

محظور عليه اذا جد فى القول وعبر عن غرضه بالكلام الصريح :

رجلان من أصحاب الملايين صنعا صورة لهما عند رسام مشهور وعرضت الصورتان فى معرض عام وبينهما فجوة تتسع لصورة ثالثة . فقال أحد الناظرين وهو يتأمل الصورتين وينظر الى الفجوة التى بينهما : هاهنا متسع لصورة السيد المسيح

وسمع الواقفون كلمته وعلموا انه يقول عن صاحبى الملايين أنهما لصان ، لان القصة المسيحية تقول ان السيد المسيح وضع على الصليب بين لصين ، وعلموا أيضا أنه يعنى أنهما يستحقان الصلب كما استحقه أولئك اللصان ، ولكنهم ضحكوا . وسمع صاحبا الصورة ماقيل فلم يجدا سبيلا الى مؤاخذته أو رفع أمره الى القضاء ، ولعلهما لو فعلا لاتهمهما الناس بالجلافة وجرا على نفسيهما من السخرية ماكانا فى غنى عنه

ويريد فرويد منا فى هذه النادرة واشباهها أن نتخيل قائل النكتة وهو يحلم ويعزي نفسه عن الحرمان من الثراء . فانه سيخلق فى منامه قصة يتمثل فيها صاحبى الملايين مشهرين بين الناس بالسرقة أو مسوقين الى ساحة القضاء أو مغلقين وراء جدران السجون ، فيعمل الحلم عمل النكتة فى ترضية الرجل بأسلوبين مختلفين يصدران عن باعث واحد لغاية واحدة

ويسرد فرويد أنماطا من النكتة تشترك بين الجناس والمغالطة ورد الحيلة بحيلة من قبيلها والتفاهم على الكذب والاجوبة المسكتة وكشف السر على غير قصد وغيرها من

الضحكات مما ينطبق عليه تعليله بسهولة أو ينطبق فى صعوبة وتعسف

وهذه أنماط منها ننقلها بغير ترتيب ، ونبدأ منها بنادرة تشبه النوادر التى تروى عن قره قوش وتصلح للدلالةعلى وحدة المنطق الفكاهىبينالناس على تباعد الاقطار والاجناس

يروى فى بعض قرى المجر أن حدادا اقترف جريمة يعاقب عليها بالموت ، فحار قاضى القرية فى أمره لانهالحداد الوحيد فى القرية ولا تستغنى عنه بغيره اذا نفذ فيه الحكم، ثم اهتدى بعد التفكير الى حل المشكلة باعدام الطرزى بدلا منه لان القرية فيها طرزيان !

ومن الاقوال المضحكة التى استشهد بها فرويد قول الشاعر هاينى فى امرأة يعيبها فى قالب الثناء فيقول انها تشبه تمثال الزهرة « فينوس » .. لانها مثلها عتيقة جدا ، ومثلها بغير أسنان ، ومثلها فى البقع البيضاء على بشرتها الصفراء

وشبيه بهذا الثناء المعكوس قول القائل عن رجليهجوه انه يشبه جميع العظماء ، فهو كالاسكندر ينحرف رأسه الى جانبه ، وكيوليوس قيصر يكمن شىء فى شعره على الدوام ، وهو يفرط فى شرب القهوة افراط ليبنتز ، وينسى الاكل والشراب اذا جلس على المائدة كأنه اسحاق نيوتن ، ويحتاج كما يحتاج اسحاق نيوتن الى من يوقظه .. وهو يلبس الشعر المستعار كالدكتور جونسون ، ويترك سراويله مفتوحة كمؤلف دون كيشوت

ومن نوادر فرويد عن اليهود ــ وهو يهودى ــ أنيهوديا رأى على لحية زميله بقايا طعام فقال له : « اننى أستطيع

أن اذكر لك الصنف الذى أكلته بالامس » . قال زميله : « حسن ، قل ودعنا نسمع » فقال له صاحبه المتعالم: «انك أكلت فولا » . . فسخر منه آكل الفول وقال : « كلا . انك غلطان ياهذا ، فانني أكلته أول من أمس » !

وتلاقى يهوديان فى القطار فسأل أحدهما الآخر : « الى أين تذهب ؟ » فأجابه الآخر : « الى كراكاو » فغضب السائل وعاد يقول : « لماذا تكذب علي ؟ . . انك تعلم انك اذا قلت لى أنك ذاهب الى كراكاو فهمت أنا أنك ذاهب الى لمبرج . . ولكنى أعلم فى هذه المرة أنك ذاهب حقا الى كراكاو . . فلماذا هذا الكذب ؟ »

ويذكر فرويد من فن النكتة أسلوبا يعتمد على اللعب بلفظة واحدة تجعل من هدفها أضحوكة سهلة ، ومن قبيل هذه النكات قول مزاح مشهور : « ان فلانا له مستقبل عظيم وراءه ! » . . وقوله عن وزير زراعة أخفق فى عمله فعاد الى حقله : « انه عاد الى مكانه أمام المحراث ! »

ويذكر أسلوبا يعتمد على اللعب بصفة واحدة تختلف مراميها ، كما قيل عن فتاة كانت على اتصال بجميع رجال الجيش : « انها تذكرنا بدريفوس ، لان الجيش لا يصدق ببراءتها »

ويذكر المغالطة فى الجواب ، ومن قبيلها أن رجلا قصد الى أحد المحسنين وأفهمه أنه فى عسرة شديدة وأنه يحتاج الى قرض يسير للنجاة من كارثة محققة ، وبعد اعطائه القرض بساعة رآه المحسن اتفاقا فى مطعم من مطاعم الطبقة العليا وأمامه صفحة من السمك الفاجر فقال له مؤنبا : « أهكذا تنفق المال الذى تستعيره للضرورات لتأكل به

الصحاف الفاخرة؟ » فأجابه المحتال وكأنه دهش من سؤاله: « عجبا لك يا سيدى ! متى تظننى آكلها : ان كنت لاآكلها مفلسا ، ولا آكلها وفى يدى ثمنها ؟ »

وعلى هذا النمط قصة مدرس فى احدى القرى مولع بالشراب لم يزل يدمن السكر حتى اعتزلته جميع الاسر ونفر منه تلاميذه . فنصح له صديق قائلا : « انك تستطيع أن تجمع عندك تلاميذ القرية جميعا لو تركت الشراب، فلماذا لا تحاول وتجرب ؟ » فأجابه المدرس السكير : « على رسلك ياهذا .. انما أعطى الدروس لاجد الشراب فهل ترانى أترك الشراب لاعطى الدروس ؟ »

وقريب من هذا اللعب بالمقابلة قول القائل فى تفاهة الحياة : « انها نصفان نقضى نصفها الاول متطلعين الى الثانى ، ونقضى نصفها الثانى متأسفين على الاول ! »

وسمع فولتير قصيدة روسو الشاعر الفرنسى الذى كتبها يوجه فيها الخطاب الى الاجيال المقبلة ، فعقب عليها قائلا : « هذا خطاب لايصل الى المرسل اليه »

وللاجوبة المسكتة نصيب وافر من أساليب الضحك عند فرويد ، وهذه أمثلة منها :

كان القيصر أغسطس يسيح فى أرجاء ملكه فلمح شخصا يشبهه كل الشبه ، فسأله :

ـ أكانت أمك تعمل فى بيتنا ؟

فأجابه الشبيه الجرىء :

ـ كلا .. بل كان أبى

وكان بعض الوعاظ الامريكيين ينادى بحقوق السود فى بلد ليس فيه كثير من السود . فقال له رئيسه :

ـ لم لا تذهب الى كنتكي حيث يقيم اصحابك ؟
فسأله الواعظ المسئول :
ـ ألست يامولاى تعمل لانقاذ الارواح من النار ، فلماذا لاتذهب الى جهنم ؟

ويتخلل الامثلة كلها نوادر متفرقة تعتمد على الجناس اللفظى الذى لاينقل من لغة الى لغة ولا حاجة الى نقله لكثرة هذه الفكاهات الجناسية فى اللغات جميعا ولاسيما العربية . ثم يختم الرسالة بتلخيص لتقسيم المضحكات الى ثلاثة أقسام : النكتة wit والهزل comic والدعابة humour

وكلها مما يفسر عنده بالقصد فى القوى النفسية ، ولكن النكتة قصد فى العاطفة التى يكلفنا كبتها الكثير من مجهود النفس ، والهزل قصد فى الفكر والمنطق ، واما الدعابة فهى قصد فى الاحساس ، واننا نتطلب هذه الافانين جميعا بعد سن الطفولة التى لا تعرف المفارقات المضحكة ولا تقدر على تفكير النكتة ولا تحتاج الى الدعابة لتشعر بالسعادة



والى هنا يبدو لنا ان الامثلة التى استشهد بها رائد المدرسة النفسية الحديثة لا ينطبق عليها تفسيره فى جميع الاحوال ، وأن القصد فى الشعور أو التفكير قد يتحقق بالنكتة أحيانا ولكنه لا ينشئها ولا هى متوقفة عليه

ولنرجع الى نادرته عن اليهودى الذى قابل زميله فى القطار وسأله عن وجهته فصرح له بذهابه الى كراكاو وعتب عليه زميله لهذا الكذب لانه كان سيذهب فعلا الى كراكاو ولم تجر العادة بذكر الوجهة الحقيقية فى اجابة أمثال هذا السؤال

فلا قصد فى هذه النادرة ولا ادخار ، وليس فيها موضع لزيادة فى المقال أو الاتهام ، ولكنها تضحك السامع لانهـا تفاجئه بغرابة اللوم لهذه المناسبة ، فان السامع يسمع اللوم على الكذب فلا يخطر بباله أن الكذب فى عرف المتحدثين هو الجهر بالصدق الصراح، ثم يفاجأ بسبب اللوم فتكون المفاجأة عماد الفكاهة هنا كما كانت عماد الفكاهة فى جميع النوادر التى استشهد بها فرويد من المغالطات او التحريفات او الاجوبة المسكتة ، وليس فى الجواب المسكت قصـد فى الشعور أو القول، ولكنه مثل واضح للمفاجأة على الخصوص حين يكون السائل على ثقة من احراج المسئول فلا يلبث أن يأتيه الجواب السريع فيرتد الحرج اليه



ويجوز لنا بعد هذه التعليقات الموجزة أن نفهم ان رأى برجسون ورأى فرويد لا يناقضان تفسير الضحك مـن الوجهة الجسدية كما أجمله داروين فى كتـاب التعبيرات وفصله سبنسر فى مقاله عن الضحك من الوجهة الفزيولوجية وانهما لايغنيان عن ذلك التفسير فى النهاية سواء كان سبب الضحك فكرة أو مشاهدة حسية ، لان نتيجته هى ان يتأثر الجسد به على النحو الذى ذهب اليه سبنسر وداروين من قبل

مفاجأة تحبس الفكر أو الشعور عن مجراه فيتحول عنه الى العضلات ويبدأ الاثر فى أسهل هذه العضلات حركة ثم يسرى الى غيرها من عضلات الجسم كله اذا اشتد الباعث على الضحك

ولا تناقض بين هذا وبين قول برجسون اننا نضحك من الانسان اذا تصرف فى حركاته وأقواله تصرف الآلة الصماء . فان هذا التصرف يفاجئنا بشيء لم ننتظره من انسان عاقل تجرى أعماله على حكم المنطق الفطرى الذى طبع عليه الانسان المسمى بالحيوان الناطق أو الحيوان المنطقى بعبارة أخرى . فنحن ننتظر عملا منطقيا فنرى أمامنا عملا آليا على غير انتظار أو على خلاف المنتظر ، وهذه هى المفاجأة التى ترجع بنا الى تفسير داروين وسبنسر ، وقد ضحك الانسان من النقائض المفاجئة قبل شيوع الآلات وخلق له جهاز الضحك قبل احتقاره التشبه بالآلة

وقول برجسون أن الضحك تنبيه اجتماعى لمن يذهلون عن آداب البيئة لا ينقض هذا السبب ، لانه فائدة من فوائد الضحك لا تفسر أسبابه ولكنها تدل على غاية من غاياته ، والفرق ظاهر بين الاسباب والغايات

ويرجع بنا رأى فرويد الى المفاجأة كما يرجع بنا رأى برجسون اليها. فان استخدام الضحك أحيانا فى «الاقتصاد الشعورى » هو أيضا من قبيل الفوائد التى نستفيدها منه، وليست الفوائد كما تقدم مبطلة للأسباب

وليس فى النوادر التى تمثل بها فرويد نادرة واحدة تخلو من المفاجأة وتغنينا عن تفسير سبنسر أو تفسير داروين ، فالجواب المسكت مفاجأة ، والحيلة التى ترتد على صاحبها مفاجأة ، والتخلص السريع بالمغالطة التى تخالف المنطق المألوف مفاجأة ، وتكذيب الجواب الصادق لان الصدق غير مألوف من صاحبه مفاجأة ، وسائر النوادر التى نقلناها او لم ننقلها ترجع بنا الى علة المفاجأة من اقرب طريق •

وقد فرق الباحثون فى الضحك بين كثير من المضحكات لاختلاف أسمائها كما تختلف كلمات السخرية أو الاستهزاء او المعابة أو الفكاهة

فاذا استرسل الناظر فى تتبع هذه الفـــروق وجد فى النهاية انها تؤول الى فروق بين أنواع الضاحكين وليست فروقا بين أنواع الضحك فى أصوله

فالضحك كله مفاجأة تتحول بالفـكرة او الشعور عن مجراه

ولكن السخرية التى تؤلم الناس أو تكشـــف عيوبهم ومثالبهم هى ضحك الشرير الخبيث

والاستهزاء الذى يتعالى صاحبه على الناس هو ضحـك المتكبر الذى غلظت نفسه فلا يبادلهم الشعور، أو هو ضحك العابث الذى يستخف بكل شيء ويجد الناس وهو ناظر الى جدهم بغير اكتراث

والدعابة التى يشترك فيها الضاحك والمضحوك منه هى ضحك القلب الطيب الذى يسر نفسه ويسر غيره بمـــا يكشفه من هفواتهم او يعرضه من نقائضهم ، فلا يحسون أنه يفردهم بتلك النقائض او يأخذ تلك الهفوات مأخـــذ الشماتة والخيلاء

والفكاهة التى تمثل لنا المضحكات هى ضحك الفنـــان أوالناقد الذى يصور لنا دواعى الضحك ويبدع فى تصويرها وتمثيلها ، فهو مضحك وليس بأضحوكة ، أو هو واضع الضحك وليس بموضوع للضاحكين

وهذه كلها فوارق بين الضاحكين وليست فوارق بين انواع الضحك فى الصميم

ومن الشائع جدا ان يقترن بالضحك شعور الغبطة بتفوقنا على الآخرين ، ولكن لايندر أن نضحك من أنفسنا اذا فوجئنا بالهزيمة التى لا نتوقعها فى موقف نظن فيه اننا نحكم الشباك لغيرنا فاذا هو قد أفلت من تلك الشباك وأوقعنا فيها

ومن هذه الهزيمة المفاجئة ضحك الساسة والامراء حين بلغهم افلات نابليون من جزيرة ألبا وعودته الى فرنسا وهم يحسبون انهم وضعوه فى القفص وجلسوا بعده يقررون مصير القارة الاوربية من بعده

ولو انهم فوجئوا بنابليون يحاصرهم فى مؤتمرهم ويهددهم ساعته فى أرواحهم أو عروشهم لما ضحكوا كما ضحكوا وهم آمنون فى تلك الساعة

الا أن هذا لا ينفى ان المفاجأة مضحكة ، وأن السامع البعيد يضحك منها وان لم يضحك منها الساسة والامراء المحاصرون لاشتغال شعورهم بالخطر القريب ، ولهذا يبقى عنصر المفاجأة قائما فى تفسير اسباب الضحك . ويختلف الامر بحسب الضاحكين فى الشعور بالخطر ساعة المفاجأة ، فمن كان قريبا شغله الخوف عن الضحك ومن كان بعيدا لم يشغله عنه خوف عاجل يغطى على شعوره فى تلك الساعة

ويتساوى فى هذا الشعور بالضحك والشعور بالجمال والشعور باللذة ، فلو كان المعروض على مؤتمر الساسة فتنة من فتن الزهرة ربة الجمال وحاصرهم العدو المهدد لحياتهم لشغلهم الخطر عن الشعور بذلك الجمال الفتان ،



جحا لشبيه جحا : حسبتك أنا .. لأن
ثيـابك كثيابي ومشيتك كمشيتي !.

ولو كانت مائدة طعام جمعت مالذ وطاب بين أيديهم ثم حوصروا ذلك الحصار لشغلهم الخطر كذلك عن طلب الطعام اللذيذ وعن طلب القوت

فلا يلزم اذن ان نقول أن الشيء المضحك هو الشيء المشوه الذى لم يبلغ درجة الايلام ، لان بلوغ درجة الايلام يعطل كل شعور ولا يعطل الشعور بالمضحكات دون سواها

وصحيح ــ بعد هذا ــ أن نجمل التفسيرات جميعا فنقول ان الضحك ينجم عن مفاجأة تتحول بالفكر وبالشعور عن مجراه ، وأن الاختلاف بين السخرية والاستهزاء والدعابة والفكاهة لا يلجئنا الى البحث عن اختلاف فى أنواع الضحك لانه هو فى لبابه اختلاف بين الضاحكين



الضحك
فى الكتب الدينية

فى القرآن الكريم

لا يتقابل شعوران من طرفى التعظيم والاستخفاف كما يتقابل الشعور بالمقدس والشعور بالمضحك فى النفس البشرية

ولا يوجد لنا مرجع نعتمد عليه فى هذه المقابلة الواقعية أولى بالرجوع اليه من الكتب المقدسة ، ولا سيما الكتب التى تسوق العبرة من القصص والامثال وتروى الاخبار عن الضحك والضاحكين من مختلف الطبائع والامزجة وفى مختلف المناسبات

وهذه الاخبار متكررة فى القرآن الكريم ، وكلها شاهد محكم للعالم النفسانى يركن اليه فى تفسيره لاطوار النفس البشرية ، حيث تبرز حقيقة الضحك مع سياق الكلام عنه فى كلام مقدس ، لبروز الفارق بين الشعورين : شعور القداسة فى موضعها وشعور الضحك بشتى معانيه

جاءت الاشارة الى الضحك فى القرآن الكريم مرة فى قصة ابراهيم ومرة فى قصة سليمان عليهما السلام

ففى قصة ابراهيم يقول ابراهيم حين زاره الملائكة فلم يعرفهم وخافهم ثم بشروه بولادة اسحاق من زوجته سارة :

« ... فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس

منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب »

فهنا خوف فاطمئنان فبشرى مفاجئة على غير انتظار ، فتعجب لا تملك سارة أن تجهر به فتقول : ان هذا لشيء عجيب

كل عوامل الضحك النفسية التى ظهرت للباحثين النفسانيين فى تفسيراتهم — تعرضها هذه الآية الكريمة على نسقها المتتابع فتأتى بالضحك حيث يأتى الضحك مطردا فى مواضعه المختلفة من تحول الشعور طمأنينة بعد خوف ، ومعرفة بعد نكران ، وبشارة بما ليس فى الحسبان من الولادة بعد سن اليأس وخيبة الامل فى الذرية زمنا طويلا تعتلج فيه النفس بأشتات من دواعى الحزن والعزاء والغيرة والتسليم

ولا تغنى هنا كلمة «سرت أو كلمة استبشرت أو فرحت» فى مكان كلمة ضحكت . فان الضحك هو الاثر الملائم لهذه الحالة التي تشابكت فأصبحت فى قرارة النفس حالات متناقضات



وجاء فى القرآن الكريم عن قصة سليمان عليه السلام : « حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن

أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه »

فهاهنا عوامل الضحك على سجيتها ماثلة فى نقائضها الدقيقة ومصاحباتها التى تقترن بهـــا على حسب هذه المناسبة دون غيرها ، وهى مناسبة مخالفة فى بعض أجزائها لمناسبة الضحك فى قصة ابراهيم

هنا الفارق الشاسع بين ضآلة النمل وبين ضخامة الملك الذى أوتيه سليمان

وهنا عجب سليمان من ظن النملة انه لا يدرى بموقعها ولا يشعر بها ولا يفهم عنها ما تقول

وهنا رضى سليمان بما تفيضه نعمة الملك العريض فى نفسه من السعة والغبطة وتلهمه من الشكر والخشوع ، وكل ذلك آت من حيث لا ينتظر : من نملة ضئيلة تخشى أن تحطم هى وواديها كلها ولا يشعر بهم سليمان العظيم

وورد الضحك فى آيات متفـرقة بمعنى الســـخرية والاستهزاء ، فجاء فى سورة المطففين : « ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون »

فالضحك هنا مقترن بالتغـامز الخفى ، كأنما يحسب المستهزئون انهـــم يستغفلون المؤمنون الذين يمرون بهم فيسخرون منهم بالتغامز بينهم ، ويضـحكون اذا التفت اليهم المؤمنون على حين فجأة فلا يملـكون اخفاء العبث والسخرية ، كما يحدث دائما بين المتغامزين اذا انكشفوا

وامتنع عليهم الكتمان والتمادى فى الاســـــتهزاء من وراء الانظار

والضحك الاخير يأتى حين لم يكن فى الحسبان ، لأن الكفار كانوا يضحكون فاذا بهم قد انقلب عليهم الامر فهم اضحوكة للضاحكين ، وهؤلاء وادعون على الارائك ينظرون

وجاء فى سورة الزخرف : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منه يضحكون »

وضحك المفاجأة هنا واضح من طلب الآيات ثم اخلاف ظن موسى عليه السلام لانهم عثوا به وهو ينتظر منهم بعد مجيئهم بالآيات أن يؤمنوا فاذا هم يفاجئونه بما لم ينتظر من اصرارهم على الكفران

ولا بد فى كل ضحك من الشعور بالمفاجأة فى الضاحك او فيمن يتعرض للضحك . فهو شعور ملازم للمضحكات من طرفيها

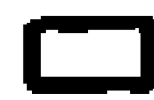
وفى سورة النجم عن نوح عليه السلام : « وقوم نوح من قبـــل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفـــكة أهوى فغشيها ما غشى فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضـــحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدون »

ففى هذه الآيات يحسب الرسول انه يأتيهم بما يبكيهم فلا يحسون داعيةللبكاء ويستغربون فينتقلبهمالاستغراب من أحاديث الرسول عن نذير الآزفة المطبقـــة الى الأمان الذى يتصورونه ولا يحسون غيره . وبين هذين النقيضين

المتباعدين يتعجب القوم ويضحكون : موقف لا وسط فيه بين البكاء والضحك . فاما أن يحس السامع نذير الآزفة فيبكى أو يستغربها ويستبعدها فيضحك تعجبا من كلام القائل واطمئنانه الى الأمان الذى يقال لهم انهم مهددون فيه

والضحك من البلاء الذى لا يحسه السامع ويحس نقيضه كالضحك من البلاء الذى يحسه ويحس أنه ناج منه ، وقد تكرر ذكر الضحك بهذا المعنى فجاء فى سورة التوبة عن المخلفين الذين فرحوا بمقعدهم عن القتال : « فرح المتخلفون بمقعدهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون »

وهذا الضحك أيضا مقرون بالسماع عن الخطر مع الشعور بالامان ، فهو ــ كما تقدم ــ كالشعور بالخطر حيث يغلب اليقين بامتناعه أو يمتنع بعد نذير لا يخيف



وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر الضحك بمعنى السرور لأنه يلازمه فى معظم دواعيه ومظاهره

وورد ذكر السخرية والاستهزاء ، وهما فى أكثر الآيات بمعنى الاستخفاف والكبرياء ، أو بمعنى التردد بين حالتين: حالة ظاهرة وحالة باطنة تناقضها ، ولا يخفى أن نقل الشعور بين هاتين الحالتين سبب من أسباب الضحك على اختلاف الضاحكين : « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا

واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون »

وما من آية ورد فيها ذكر السخرية الا كان فيما تحتويه شعور قوم فارغين باجتهاد الانبياء وندائهم فى غير طائل على ما يبدو لأولئك الفارغين ، ويتكرر هذا الضرب من السخرية فى قصة نوح لانه من جهة ينذر ويحذر ويتوعد بالغضب المحيق ، وهم من جهتهم وادعون غافلون يمرون به وهو جاهد فى عمل الفلك فيتضاحكون :

« ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم »

وكلا الجانبين ــ جانب نوح وجانب قومه ــ فيه أمان مع خوف يتناقضان ، وفيه ثقة تناقض الثقة التى تقابلها ، فكلاهما عنده سبب للسخرية بين هذين النقيضين

فى التوراة

وقد مر بنا استشهاد الفيلسوف العبرى بالتوراة عن ضحك الاله ممن يغترون بقدرتهم ويعتزمون أمورا يجترئون عليها ثم يعجزون عنها

وهذا الشاهد مأخوذ من المزمور الثانى الذى يقول ناظمه انه يسمع دعوى المغرورين فيضحك لأنه أخبر منهم بما يريده الرب على عرشه ، وهذا نص المزمور :

« لماذا ارتجت الامم وتفكر الشعوب فى الباطل

« قام ملوك الارض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى

مسيحه . لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما

« الساكن فى السماوات يضحك

« الرب يستهزىء بهم . وحينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى

« اننى أخبر من جهة قضاء الرب »

فالضحك هنا يترجم عن حالتين متناقضتين : احدهما غرور ظاهر بالقوة ، والآخر حقيقة هذا الغرور العاجز الذى لا قبل له بما يدعيه

والاختلاف بين هاتين الحالتين هو مثار الضحك مجازا بالنسبة للاله ، وحقيقة بالنسبة الى الانسان

وجميع ما ورد فى العهد القديم عن الضحك فانما يفهم الضحك فيه بمعنى الاستهزاء والسخرية اذا كان من المنكرين ، وبمعنىالاستغراب والدهشة اذا كان من المؤمنين

وجميع هذه الشواهد ينحى على المستهزئين لأنهم يستكبرون ولا يصدقون ، فهم يستهزئون بالانبياء لأنهم يرونهم بأعينهم مدعين القدرة ظاهرا وعلى غير شىء فى الباطن ، والانبياء يستهزئون بهم لأنهم يرون الحقيقة معكوسة من جانبهم على أولئك المنكرين المستكبرين، فهؤلاء المنكرون المستكبرون هم الذين يتنفخون على هواء ، ويرى النبى صورتهم المنتفخة وصورتهم الخاوية فيرى منهم تناقضا يوحى بالاستهزاء ، ولا سيما حين يغتر أصحابه فيستهزئون بالعارفين

ففى سفر أشعيا يقول النبى عن الامراء والسادة :

« اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ــ ولاة هذا الشعب الذى فى أورشليم »

وفى الامثال من الاصحاح الاول كلام عن ضحك الشماتة والاستهزاء يقول فيه صاحب السفر : « انى دعوت فأبيتم ومددت يدى وليس من يبالى ، بل رفضتم كل مشورتى ولم ترضوا توبيخى ، فأنا أيضا أضحك عند بليتكم ، أشمت عند مجىء خوفكم »

وليس أكثر فى كتاب الامثال من الاشارة الى الاستهزاء بمعنى الكبرياء والغرور والجهالة ، ومن الاشارة الى جزاء المستهزىء وأثره السيىء فى قومه وحكمة تأديبه لينتفع الحمقى بعبرته ويزدجروا بالنظر الى مصيره

قال : المستهزىء يطلب الحكمة ولا يجدها

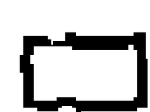
وقال : المنتفخ المتكبر اسمه مستهزىء عامل بفيضان الكبرياء

وقال : اضرب المستهزىء فيتذكى الاحمق

وقال : بمعاقبة المستهزىء يصير الأحمق حكيما

وقال : المستهزئون يفتنون المدينة ، أما الحكماء فيصرفون الغضب

وقال : الابن الحكيم يقبـــــل تأديب أبيه والمستهزىء لا يسمع انتهارا



وكتاب الامثال أكثر الكتب فى العهد القديم اشارة الى الهزء والاستهزاء ، وهو تكرار يوافق طبيعة السفر كله ، لأن الامثال سفر الحكمة والتجربة وهما نقيض الاستهزاء الذى يستخف صاحبه بجميع الامور ولا يزال كذلك حتى

تهذيه تجارب الايام الى الاعتبار بالحوادث وبعد النظر فى عواقب الامور ، فاذا هو ينظر اليها كما قال الشاعر العربى:

أمور يضـــحك الســـفهاء منها
ويبكى من عواقبهـــــا اللبيب

وليس فى كتب العهد القديم كتاب تكررت فيه الاشارة الى الاستهزاء كما تكررت فى كتاب الامثال ، ولكنه جاء فى بعض الكتب على ندرة واختلاف يسير فى المعنى ، وكادت قصة سارة فى سفر التكوين أن تنم عن ضـــحك بمعنى الاستغراب والاستعظام ، لانها لا تستهزىء بالبشـــارة ولكنها تستغربها ولا تطمئن اليها لأول وهلة ، ولهذا يروى الاصحاح الثالث عشر عنها انها ضحكت فى باطنها وانهـا انكرت الضحك حين سمعت من ضيوف ابراهيم سؤالا فيه شىء من صبغة الملام :

« وقالوا له : اين ساره امراتك ؟ فقـــال : ها هى فى الخيمة ، فقال انى أرجع اليك نحو زمان الحيـــاة ــ أى الربيع ــ ويكون لساره امراتك ابن . وكانت ساره سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه ، وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الايام ، وقد انقطع ان يكون لساره عادة كالنساء فضحكت سارة فى باطنها قائلة : أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ ؟ فقال الرب لابراهيم : لماذا ضحكت سارة قائلة : افبالحقيقة ألد وأنا قد شخت . هل يستحيل على الرب شىء ؟ فى الميعاد ارجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن . فأنكرت سارة قائلة لم أضحك ، لانها خافت ، فقال لا بل ضحكت »

فالمواضع التى ورد فيها الضحك فى كتب العهد القديم

انما كانت تنديدا بخليقة الاستهزاء والسخرية ، أو كانت بمعنى الاستهزاء الذى يرد الاستهزاء على أصحابه ، ومن هذا القبيل ما ينسب الى الاله أو الى عباده الصالحين

وبهذا المعنى نسب الى أيوب حيث جاء فى سفره :

« لا ترفض تأديب القدر لأنه هو يجرح ويعصب ، يسحق ويداه تشفيان ، فى ست شدائد ينجيك وفى سبع لا يمسك بسوء ، فى الجوع يفديك من الموت وفى الحرب من حد السيف ، من سوط اللسان . فلا تخاف من الخراب اذا جاء ... تضحك على الخراب والمحل ولا تخشى وحوش الارض »

وهنا يعود أيوب فيهزأ بالخراب والمحل بعد أن كان ضحكة لهما أو ضحكة للهازلين الذين حسبوه فريسة لهما وحسبوا ألا نجاة له من مصابه بهما وبغيرهما من ضروب المحنة والبلاء

لا جرم يقال عن الضحك بمعنى الاستهزاء . كما جاء فى الامثال : « انه فى الضحك يكتئب القلب وعاقبة الفرح حزن » ... أو كما جاء فى الجامعة : « ان الحزن خير من الضحك لانه بكآبة الوجه يصلح القلب »

ولم يذكر الاستهزاء بخير فى كتب العهد القديم الا أن يكون ردا على المستهزئين وعقابا للسخرية والمجون

على أن الضحك قد ورد فى العهد القديم بمعنى السرور مقابلا للحزن مصحوبا بالغناء ، كما جاء فى المزامير بعد رد السبى « اننا ... حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكا والسنتنا ترنما »

ولا يلزم فى هذا المعنى تفسير الضحك بالاسباب التي

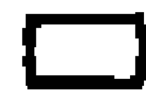
أجملناها فيما تقدم ، ولكنه ـ على هـذا ـ لا يخلو من الشعور بالنقيض بعد النقيض ، اذ ينتقل المرء من الاسر الى الطلاقة ، فيعبر عن فرحه بالضحك والغناء

فى الانجيل

اما فى العهد الجديد فقد جاء ذكر الضحك فى انجيل اوقا على لسان السيد المسيح حيث يقول وقد رفع عينيه الى تلاميذه :

« ورفع عينيه الى تلاميذه وقال : طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون . طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون »

وهنا يأتى الضحك مقابلا للبكاء ولا يخلو من دواعى الضحك فى جميع الاحوال واهمها تبدل الحال والمقابلة بين النقيضين



وهذه الشواهد من هذه الكتب الدينية التى يقرأها المؤمنون بها ويقدسون ما فيها ـ خير ما يستشهد به على طبيعة الضحك فى حالات متعددة ، لأن هذه الدواعى تبرز فى مواضعها بروزا واضحا بما يقابلها من شعور القداسة ، وتنبئنا عن أناس متباعدين فى الأزمنة والأمكنة والطبائع والاخلاق ، فنعلم أن الانسان انسان فى كل زمان ومكان ، وأن الضحك خاصة انسانية تعم بنى الانسان

الانسانية والفكاهة

أيا ما كان القول فى تعريف الضحك وتعليله ، فمن أصح الاقوال مع جميع التعريفات والتعليلات أن الضحك ــ كما قال برجسون ــ ملكة انسانية من طرفيها ، فلا يضحك الا انسان ، وما من شيء يضحكنا الا أن يكون « انسانيا » فى صورة من صوره ، ولو على سبيل التشبيه

ولنا أن نقول ان الانسان حيوان ضاحك كما نقول ان الانسان حيوان ناطق

أفتعنى بذلك ان كل انسان يضحك بلا استثناء ؟

كلا . الا كما نعنى أن كل انسان ينطق ويفكر ويتكلم بلا استثناء

فهناك خرس لا ينطقون ، وهناك بله لا يفكرون ، وهناك صغار أو همج تتولاهم الغرائز على نحو قريب من سيطرة الغرائز على الاحياء التى لا تساوى البشر فى الخلق أو فى الذكاء

ولكننا مع ذلك نقول ان الانسان حيوان ناطق ونريد بذلك أنه ناطق « بالقوة » على اصطلاح المناطقة ، أو بالاستعداد العام فى أبناء نوعه كما نقول فى عرف المصطلحين ، وكذلك يقال ان الانسان حيوان ضاحك ومنه جماعات بدائية لا تفهم الضحك ولا تدرى موقعه من أعمال الناس ، ولا تميز بين المضحكات وغيرها من الاعمال المخالفة للمألوف ، لأن مخالفة المألوف بين أبنائها ظاهرة نادرة جدا لانطباعهم

على العرف المتوارث الذى لا يخالفونه الا وقعوا فى محظور « المحرمات » ... مع قصورهم عن المقارنة التى تتضح منها النقائض ومواطن الضحك أو الاستغراب

ولعل هــذا العجز عن الضحك فى هذا الطور من اطوار الانسانية معزز لقول القائلين ان الضحك خاصــة انسانية لا يشترك فيها عامة الاحياء . فلا يضحك الانسان وهو ـ بعد ـ قريب من اطوار الحيوانية فى حكم الغريزة وغلبة العادة على التفكير ، واذا رجعنا الى تفسير برجسون فى هذا الصدد فلا محل للمفاجأة هنــا من جريان الانسان على سنة الآلات فى اطراد العمل بغير تفكير ، فان القبائل البدائيــة المغرقة فى الهمجية تجرى كلها على هذه السنة ، ولا يكون فيها مخالفا للمألوف الا الذى يشــذ بالتصرف على خلاف الوتيرة المطردة والنهج المرسوم

أما بعد هذا الطور من الهمجية البدائية فالشعوب جميعا نعرف الضحك وتعرف واضعه وموضوعه بالتجربة العملية وان لم تعرفهما بالتفسير والتقسيم

ونريد بواضع الضحك من يخلقــه بتمثيل المضحكات واختراعها وحكايتها كالفنانين والندماء

ونريد بموضوع الضحك من يكونون أضحوكة الناس بالغفلة أو النقص أو التصرف المتناقض الذى يحول شعور ناظره من وجهة الى وجهة على حين غرة على الاجمال

الأمم الضاحكة

وقد جرت عادة المعــــاصرين على وصف بعض الأمم بالفكاهة وتجريد بعضها منهــا أو وصفها بجهلهــا وبطء

الاحساس بها عند المقابلة بينها وبين الأمم « الفكاهية »

والثابت الذى لا شك فيه عن جميع الأمم أنها اخرجت نوابغ الفكاهة فى جميع أجيالها ، وانها فى العصر الحاضر تمثل الفكاهيات وتعرضها على جمهرة من أبنائها ، فلا توجد امة متحضرة لها تاريخ قديم خلت من نوابغ الفكاهة ومن آثار هؤلاء النوابغ فى الآداب والفنون

ولكننا نرى أن احصاء النوابغ هنا لا يفيدنا كما يفيدنا دليل الأمثال التى يتداولها الناس ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، فان آثار النوابغ قد تكون مقصورة عليهم وعلى فئة من قرائهم أو من القادرين على الاستمتاع بفكاهتهم ، ولكن الأمثال الشائعة ترجمان صـادق لتفكير الأمة وشعورها وطريقتها فى التعبير عن تجاربها ، وهـذه الطريقة تكاد أن تتفق فى جميع الأمم أو تتقارب غاية التقارب فى المضامين والمرامى وان لم تتقارب فى اللفظ والتركيب

وهذه أمثال الأمم بين أيدينا تقترن فيها الحكمة أو تأتى فيها الحكمة من طريق الفكاهة على أسلوب تمتزج فيـه السخرية بالتهكم والعطف والدعابة ، وتؤخذ فيه الحـكمة مأخذ الجد والمزاح فى وقت واحد ، لأنها تشير الى عواقب الخطل والحماقة اشارة التعقيب بعد مرور المئات من الأمثلة والقرائن والمناسبات ، فهى تتكلم فى أمان بعد فوات الضرر وقبل وقوعه على المقصودين بالنصيحة والتذكير

وعلى سبيل التمثيل بالواقع نستشهد هنا بالأمثال فى أمتين من أمم المشرق وأمتين من أمم المغرب ، يقـال عن احداهما أنها أمة ذات فكاهة أو أمة فكاهية ويقال عن الاخرى انها لا تفطن للفكاهة وأنهـا اشتهرت بالجهامة وأخذ الامور

كلها بالجد والصراحة التى لا تعرف التورية والتلميح

ففى المشرق أمة الفرس مشهورة بالنكات القديمة والحديثة من عهد الحضارة الكسروية ، وأمة اليابان مشهورة بالكد والدأب والانصباب على العمل والتكليف

وفى المغرب تقابل هاتين الأمتين الأمة الفرنسية فى صفة الفكاهة والامة الالمانية فى صفة الجد والجهامة

وهذه طائفة من أمثلة الامة الفارسية ـ التى يقال عنها أنها فرنسا الشرق ـ نتبعها بطائفة من أمثلة الامة اليابانية بغير اختيار بين صفحات الكتب الجامعة لامثال هاتين الامتين

امثال فارسية

الصدق والسكر زميلان
الحب والعطر لا يختبئان
الخادم الجديد أسبق من الغزال
ليس القلب مائدة تبسط لكل ضيف
الذهب والحجر من معدن واحد فى الصندوق
الخائط عريان والاسكاف حاف
الجاهل لا نفع فيه ، لاهو انسان ولاهو حمار
يبيع الجلد قبل صيد الغزال
من دواعى الرثاء أن تنفق الذهب فى الطلاء
لا لزوم للسمك فى بركة بلا ماء
الكلام يلد الماء والامطار تلد الثلوج

ماالفائدة ؟ عند ما استطيع لا أعرف وعندما أعرف لا استطيع !

وهذه متفرقات بمددها ـ اثنى عشر ـ من أمثال الامة اليابانية فى معارض شتى من حكمة الحياة :

الحب لا يميز بين « الميكاد » والفلاح

قد ترى السماء من ثقب ابرة

صدر الانسان أصون الصناديق لاسراره

نصف الناس يضحكون من النصف الآخر ، والنصفان حمقى

اذا تقدمت الحماقة رجعت الحكمة

أعتى العواصف لا تثير الموج فى أعمق الآبار

ما من شجرة تحمل الارز مطبوخا

لا السكير يدرى بمار الخمر ولا المفيق يدرى بسلطانها

لا يرجع الضحك بما أذهبه الغضب

المبالغة فى التحية ازدراء

أجمل الغلال نبت فى حقول الآخرين

اقرص نفسك تعلم لماذا يصيح المقروص

والامة الفرنسية أشهر امم الغرب بالفكاهة فيما تداولته الألسنة من شهرة الأمم . وهذه متفرقات من أمثالها :

لاتذهب الفضيلة بعيدا الا أن يكون الغرور فى ركابها

حب الذات أبرع المتملقين

المذنب المحبوب سرعان ما تنكشف براءته

خيال بلا علم أجنحة بلا أقدام

الحمقى القدماء أحمق من اخوانهم المحدثين

البساطة المفتعلة تكلف مطلى

لا يقول عن الحظ انه أعمى الا الذى لا يراه

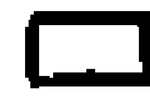
تزيدنا السن حمقا كلما زادتنا حكمة

أصدقاؤنا الأعزاء يقولون كما نقول
الحب مملكة المرأة
للقلب منطق لا يعرفه المنطق
الذى يحسن الحساب لا يثق من حساب



وتلى هذه الامثال الفرنسية طائفة فى مثل عددها من لامثال الالمانية ، وهذه هى :

سفينة وتدها من الذهب ترسو فى كل ميناء
ان لم تكن مطرقة فكن سندانا
الكيس الفارغ لا يقف مستقيما
بطن فارغ أشجع من رأس ملآن
الضرير أقل عثرات من البصير
من بدأ بالالف انتهى الى الياء
التخمة أقتل من الجوع
طريق الشحاذ لا ضلال فيه
آدم وحواء أكلا التفاحة ، ونحن نطالب بقائمة الحساب
امرأتان طيبتان فى الدنيا : احداهما ماتت والاخرى مفقودة !
المرأة التى لا يصحبها أحد يصحبها الجميع
يضحك من الندوب من لم يعرف الجراح



وهذه اثنى عشر مثلا من كل أمة مشهورة بالفكاهة أو مشهورة بالجهامة . غير اننا لو جعلناها عشرة أضعافها لما تغيرت نسبة الموازنة بينها ، ولا خرجنا منها بتفضيل حاسم لامة على أمة حين نقتبس فكاهة الامم من تجاربها وأمثالها،

فكلها سواء فى مزج الجانب المضحك بالجانب الحكيم من تجارب الحياة المتكررة ، ولاشك أن هذه التجارب وهذه التعبيرات عنها أدل على ملكة الفكاهة الشائعة بين بنى الانسان من الاقوال المتفرقة على ألسنة الآحاد



وهناك مقياس آخر للفكاهة الشائعة بين بنى الانسان نرجع فيه الى مواسم الفكاهة التى تعرض لجميع الأمم فى حالات متماثلة ، وهى حالات التنفيس عن الحرج أوحالات التمرد والاحتجاج على البدع الشائعة ، ولاسيما البدع التى حان لها أن تزول أو تبدلت دواعيها بتبدل الاحوال

وشعوب الصقالبة فى أوربة الشرقية وأوربة الوسطى من الشعوب التى اشتهرت بجهل النكتة وخشونة الفطرة وقلة الفطنة لكل معنى فى القول غير معناه الصريح الذى يفهم على وجه واحد ولا يفهم على وجهين كما يغلب على جميع المضحكات

الا أن هذه الشعوب قد رويت عنها نوادر فى موسم الحرج لا تفضلها من نوعها نوادر الشعوب الغربية فى أمثال هذه المواسم

وهذه متفرقات من تلك النوادر مأخوذة من الصحف أو من مجاميع الفكاهة العالمية التى تصدر من حين الى حين وتتمثل فيها أمزجة الامم التى تروى تلك النوادر عنها على غير قصد من جامعيها :

◆ أرادت اذاعة روسية أن تطلع الفلاحين على أجهزة الاذاعة وأن يشترك كل منهم فى ارسال الحديث الى العالم

بكلمة واحدة لا يزيد عليها ، فلما تقدم الفلاح الاول وسئل أن ينادى بالكلمة الوحيدة صاح بملء فيه : النجدة !

● وطاف مفتش من مفتشى الدعاية بين الفـــــلاحين المتذمرين فقال فى بعض القرى للشاكين من قلة الطعام والكساء :

« ماذا تقولون ؟ أتشكون من أبدع المذاهب الاجتماعيـــة من أجل لقمة وخرقة ، فماذا عســـــاكم قائلين لو رأيتم الافريقيين العراة الذين لا يعرفون الخبز ولا الطعام المطبوخ فى مجاهل القارة السوداء ؟ »

فحك أحد السامعين رأسه وقال :

«أظن يا حضرة الرفيق أن هؤلاء سبقونا الى أبدع المذاهب الاجتماعية » !

◆ وساح تاجر مجرى فى روسيا والأقاليم المجاورة لهـــا فجعل يرسل التذاكر البريدية الى أصحابه كلما نزل بعاصمة من العواصم ، فكتب فى التذكرة الاولى : تحيات من موسكو الحرة ، وكتب فى التذكرة الثانية : تحيات من وارســــو الحرة ، وكتب فى التذكرة الثالثة : تحيات من براغ الحرة . ثم صمت شهرا وجاءت الى أصدقائه من باريس تذكرة يقول فيها هذه المرة : تحيات من الحر رابينوفتش !

واقترب غريب فى بودابست من جندى الشرطة ليسأله عن الساعة ، فنظر الشرطى الى النوافذ وقال له : « انهـــا الساعة الثامنة وثلاثون دقيقة بالضبط »

فعجب الزائر الغريب وفاتحه بعجبه قائلا : « كيف عرفتها وأنت لم تنظر فى ساعتك ؟ »

قال الشرطى : « هذه النوافذ المغلقة فى هذه اللحظة دليل على ميعاد الاذاعة الاجنبية » !

● واجتمع ثلاثة مساجين فى أحد المعسكرات فقال اولهم همسا : أنا هنا لانني متهم بمشايعة راداك ، وقال الثانى : انا هنا لانني متهم بتأييد راداك ، وقال الثالث : انا هنا لانني راداك ! (١)

وقد نقلت عن الالمان فى أيام هتلر حكايات يتداولها الشعب الالمانى من قبيل التمرد والاحتجاج على شدة الحجر أو على البدع الاجتماعية ، ونختار حكاية من كل منهما تنبيء عن سائرها

فمن حكايات التمرد على الحجر وسوء الحال ان رجلا ضاقت به الدنيا فعول على الانتحار واشترى حبلا ليشنق نفسه فانقطع الحبل ونجا الرجل من الموت ، لان الحبل « ارساتز » ، او تقليد صناعى . . فاشترى سما من صيدلية وضاعف المقدار فلم يمت لأن السم « ارساتز » اى تقليد صناعى للمواد التى تصنع منها السموم . . واشترى مسدسا واطلقه على نفسه فلم يمت لان المسدس والرصاص كله « ارساتز » لا يميت . . فلما يئس من الموت عدل عن الانتحار ، وأجمع عزيمته على البقاء واحتمال الحياة على علاتها، وذهب الى مطعم اكل فيه وشرب وأفرط فى اكل اللحوم وشرب الجعة تعويضا لما فاته من متعة الحياة فى اليومين السابقين

---

(1) Laughter incoporated.



جحا الجائع للفران : ألك كل هـذه الرغفان .. لماذا لا تأكلها يا أحمق ؟!

فمات فى هذه المرة ، لان الطعام والشراب « ارساتز » !

وشاع بين الفتيات زى الملابس القصيرة التى تكشف عن الصدور والسواعد والسيقان ، وعاد أحد الازواج الى بيته فى بعض تلك الايام فاستقبلته زوجته متهللة وقالت له : أتدرى يا فلان ! انهم يبيعون الفساتين بالتقسيط على عشرة أقساط ، وقد انتهزت الفرصة واشتريت فستانا يوفر عليك سداد ثمنه الكبير دفعة واحدة

فنظر الزوج الى امرأته التى كادت أن تبدو أمامه بغير كساء ، وقال وهو يظهر الموافقة على مضض :

ـ اظن أن هذا هو القسط الاول من الفستان !

النوادر القرقوشية

ان الاستعداد لتأليف الفكاهة التى تنفس بها الامم عن صدورها فى أوقات الحرج يكاد يتساوى بين جميع الامم ومنها ـ أو فى مقدمتها ـ الامم التى لم تشتهر بالنكتة واشتهرت على نقيض ذلك بأنها تجهلها ولا تحسنها

ونقول أن هذه الامم فى مقدمة الامم التى تؤلف النكات فى هذا الغرض لانها فى الغالب هى الامم التى تبتلى بالحرج وتعز عليها حرية القول ، فلا يوجد فى العصر الحاضر نظير لهذه النوادر فى الامم التى تملك حرية النقد وتجهر بآرائها فى حكومتها وحكامها ، ولا محل للمقارنة بين الشعوب الاوربية فى هذا الباب من أبواب الفكاهة لانها لا تتساوى فى ظروفه ودواعيه ، وانما تستطاع المقارنة بين النكات المتقدمة والنكات التى شاعت فى مصر على عهد «قره قوش» ودونها « ابن مماتى » فى كتابه المسمى « الفاشوش فى حكم

نراقوش » وليست كلها من تأليفه وابتكاره ، بل هى مما يشيع مجهول المصدر ثم يقاس عليه ويظل فى طى الكتمان الى حين

واحدى هذه النوادر أو النكات قد سبق لها نظير فى النوادر التى استشهد بها فرويد وهى نادرة الحداد المحكوم عليه بالموت

قيل أن غلاما لقرەقوش قتل نفسا فحكم عليه بالشنق ، ثم تشفع لديه الشفعاء وقالوا له : انه حدادك ينعل لك الفرس ويخدمك، فان شنقته لم تجد غيره، فنظر قرەقوش ناحية الباب ووقعت عينه على رجل قفاص فقال : هذا القفاص لاحاجة بنا اليه ، فاشنقوه فى مكان الركبدار ، وهى وظيفة الغلام الحداد عنده !

وعلى هذا المثال تجرى النوادر «القرقوشية» التى اثبتها ابن مماتى » فى كتابه أو تناقلها الرواة على لسان غيره

● ومنها نادرة الرجل الذى أوثقه الناس وحملوه حيا ليدفنوه وهو يصيح فى النعش مستغيثا بقرەقوش ، فلما سمعه قرەقوش ترك المشيعين يمضون به وقال له : ويحك! لا أصدقك وأكذب مائة من ورائك !

● وقيل ان قرەقوش نشر قميصه فوقع القميص من الحبل ، فتصدق بالف درهم وقال : لو كنت ألبسه ساعة وقوعه لانكسرت

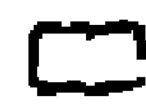
● وقيل أن جنديا نزل فى مركب، وكان به فلاح وزوجته وهى حامل فى سبعة أشهر . فصدمها الجندى وأسقط حملها فأخذ زوجها بتلابيبه وقاده الى قرەقوش ، فقضى

على الجندى أن يأخذ الزوجة ويطعمها ويكسوها ولايعيدها الى زوجها الا وهى حامل فى سبعة أشهر !!

● وشكا اليه مدين أنه يجمع دينه ويذهب بهالى صاحب الدين فلا يجده ، ثم يأتى هذا فيطالبه ويلح عليه وهو خالى الوفاض لا يملك السداد ، فأمر قره‌قوش بحبس صاحب الدين حتى يعرف المدين موضعه متى جمع المال المطلوب منه ، ولا يضيع الدين على صاحبه بين البحث والتأجيل

◆ وكان لقره‌قوش باز يصيد به فطارالباز ولم يعد اليه ، فأمر باغلاق أبواب المدينة ليرجع الباز اليه اذا أغلقت جميع الابواب !

● وشكا اليه الفلاحون بردا أصاب القطن وأتلفه والتمسوا منه أن يعفيهم من الضريبة ذلك العام ، فأبى أن يعفيهم لان القطن انما أصيب بالبرد لاهمالهم وقلة درايتهم ، ولوزرعوا معه صوفا لما أصابه التلف من برد الشتاء !



ومن باب هذه الحكايات عن قره قوش حكايات كثيرة يتناقلها المصريون عن الحكم التركى فى عهد المماليك وبعد عصرهم الى أيام الخديو اسماعيل

● ومنها أن حاكما تعود أن يقترض مالا من بعض الصيارفة ويكتب له وثيقة بها ثم يأمره بابتلاعها اذا جاءه فى الموعد مطالبا بحقه . ولا يزال يقترض ويأبى السداد على هذا النحو ويضيف الدين الجديد الى الديون القديمة حتى يئس الصيرفى من سداد جميع الديون ، فلما استدعى الصيرفى بعد ذلك جاءه ومعه ورقة شفافة ورجاه أن يكتب الوثيقة

عليها ... ليسهل عليه ابتلاعها فى موعد السداد

● ومنها أن واليا كان يجمع الضرائب ولا يقبل عذرا فى تأخيرها ، ولا يزال يقول لمن يعتذر بقلة المال :

ــ ماذا ؟ أليس لديك أربعون ريالا ..؟

وعلم القوم من تكرار هذه « الاربعين » أن الرجل يملك أربعين ريالا فلا يصدق أن أحدا لا يملكها مثله ، ونقبوا عن دفائنه حتى عثروا بالثروة المجهولة ، أو المعلومة ، فلم يضرب الوالى بعدها احدا يماطل فى الضريبة ، وجعل يقول لكل معتذر :

ــ من أين لك أربعون ريالا يامسكين ؟.. أنا لا أملك ريالا واحدا من الاربعين

● ومنها أن واليا كان يصلى فى أخريات أيامه ويتبع الصلاة بالدعاء والنحيب ويسأل الله أن يكفر له ذنوبه لأنه قتل أربعة

وسمعه زميل له فأدهشه أن يستعظم هذا الذنب اليسير وينحب هذا النحيب من أجل أربعة قتلهم وهم فى حسابه عدد غير كبير ، فقال له كأنه يؤنبه :

ــ ألم تقتل فى حياتك غير أربعة ياآغا ؟

قال : « لا ياصاحبى .. أربعة من الترك ، أما الفلاحون فلا عداد لهم فيما أذكر » !

وأشباه هذه النوادر لو أحصيت لاجتمع منها مجلدات تربى على العشرات من أمثال كتاب الفاشوش عن حكم قره قوش ، وهى جميعا من تأليف أمة مشهورة من قديم الزمن « بالقفش » والنكتة السريعة ، فاذا قوبلت هذه النوادر بنوادر الأمم التى لم تشتهر بالفكاهة فى أوربا

الحديثة ، ظهر من المقابلة أن الاستعداد متقارب أو متساو بين جميع الأمم ، وانما تزيد النكتة المصرية بطابع خاص بها وهو الجمع بين التنفيس عن الحرج وبين وصف الحاكمين بالغفلة والبلاهة ، وسبب هذا الفارق أيضا راجع الى الظروف الاجتماعية لا الى طبيعة الضحك فى النفس الانسانية ؛ فان الحاكم الذى تصيبه النكتة المصرية من غير أهل البلد فلاضير من اتهامه بالغفلة والبلاهة واعتزاز المحكومين على الحاكمين بالفطنة والدراية ، ولكن هذا الاعتزاز فى أوربا الحديثة يصيب المحكومين كما يصيب الحاكمين لأنهم من عنصر واحد ، فلا حاجة فى النكتة هنا الى اكثر من التنفيس عن الحرج وتمثيل الحجر على الألسنة والأقلام

فكاهات عهود التحول

واتم من هذه المواسم الفكاهية التى تنفس بها الأمم عن صدورها فكاهة أخرى أعم وأبقى أثرا لأنها تشمل العهود المتحولة فى حضارة واسعة تحيط بأمم كثيرة ، وتأتى هذه الفكاهة فى أوانها حين تؤذن العهود بالتحول لتزعزع أركانها وزوال مقوماتها ، فينبرى لها نابغ ملهم فى فن النقد الفكاهى يجسمها فى « شخصية » مخترعة يجعلها هدفا للسخرية والتسخيف أو يعمد الى شخطية خيالية قائمة يلبسها ذلك الثوب ويودعها بقايا النفاق والتكلف والتقاليد الخاوية التى تتخلف بعد أجيال عدة فى أعقاب العهود الدائلة التى آذنت شمسها بالأفول

من هذه العهود المتحولة عهد الفتك وأشباع البطون والشهوات فى القرن الخامس عشر للميلاد ، وقد تصدى له

الاديب الفرنسى رابليه Rabelais (١٤٩٤ ــ ١٥٥٣) فمثل ملوكه وابطاله في شخصيتين خالدتين احداهما شخصية جارجنتوا Gargantua الذى يلتهم الآدميين والأنعام نهما ولا يشبع ولا يكف عن الطعام ، والأخرى شخصيةبكروشول Picrochole الذى ضربت نفســه العدوان وهانت عليه النفس البشرية يزهقها لقليل من المال أو لنزوة من نزوات الساعة أو لغير شيء غير العتو والطغيان

وليس أدل من اصطحاب هذه المساوىء فى العهودالدائلة من آيات القرآن الكريم فى سورة الفجر حيث تنعى دول التبابعة والفراعنة والجبابرة جميعا فى أمثال هذه العهود :

« ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البــلاد وثمود الذين جابوا الصخــر بالواد وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيهـــا الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد » الى قوله تعالى : « بل لاتكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما »

وهذه المفاسد التى جمعتها هذه الآيات هى بعينها مفاسد العهد الذى يمثله جارجنتوا فى النهم ويمثله بكروشول فى الفتك والعدوان ، وكلاهما بعد ذلك باغ نهم على زيادة البغى فى أحدهما وزيادة النهم فى الآخر



ومن العهود المتحولة عهد الفروسية فى القرن الســادس عشر بين نبلاء الأسبان على الخصوص ، فان هذا العهد قد شاخ وشاه حتى بطلت فيه النخوة والحماسة فأصبحت

اكذوبة خاوية يتعلق المخدوعون بظواهرها أو الجامدون على بقاياها ، وقد تصدى لهذا العهد كاتب أسبانى من طراز رابليه هو سرفانتيز Cervantes صاحب كتاب دون كيشوت الذى تضمن من أمثال العرب وكلماتهم المأثورة مايكاد يسلكه فى عداد الكتب العربية ، ولم يكن ذلك عبثا أو لغوا بل كان من تمام التعبير عن العهد الآفل لأنه وافق شيوع التقاليد العربية بين الأسبان وأمم القارة الغربية

ويعاصر هذه العهود أو يسبقها بقليل عهد الألاعيب « الشريرة » الذى فشا بين الولايات الألمانية على أيام النبلاء الذين قيل فيهم انهم نصف أمراء ونصف قطاع طريق ، وتمثلت الاعيب هذا العهد فى شخصية القروى اولنسبيجل Eulenspiegel الذى كان كالمسخ المشوه فى تصوره لأولئك العابثين المحتالين الأشرار ، ويقال انه عاش فى برنزويك وان توماس مورنر Murner (١٤٧٥ ـ ١٥٣٠) الذى جمع نوادره بعد ذيوعها نحو قرن من الزمان ، ولم تثبت نسبة الكتاب اليه ولكن ثبت ذيوع النوادر قبل ذلك بغير خلاف

ثم جاء الكاتب البلجيكى شارل دى كوستيه Charles de Coster (١٨٢٧ ـ ١٨٧٩) فاستعار هذه الشخصية واودعها روحا فلمنكية مرحة كادت ان تجعلها نموذجا للطبيعة الفلمنكية فى سذاجتها التى آذنت بالتحول عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

وخاتمة المطاف فى هذه المواسم الفكاهية كتاب « أعاجيب البارون منشهاوزن » الذى ألفه الكاتب الألمانى رودلف اريك راسب Raspe وأدار حوادثه أو نوادره على شخصية واقعية عاش صاحبها فى القرن السابع عشر وعاد بعد خدمته

في الجيش الروسي يصدع الأسماع بأخبار البطولة التي يرويها عن نفسه وخوارق الشجاعة والدهاء التي امتاز بهـا في وقائع الحرب والسفارة بين الملوك والامراء ، ومنهم أمراء المشرق في الآستانة والقاهرة

تلك الشخصية الواقعية هي شخصية كارل فردريك منشهاوزن (١٧٢٠ ــ ١٧٩٧) نموذج المفاخر المدعاة بين عصر السيف وعصر البندقية والمدفع ، واحدى أعاجيبه انه نسي النار التي يشعل بها البارود فأوقد زناد البندقية بضربة على عينه أطارت منها الشرر فانطلق الرصاص . . . واحدى هذه الأعاجيب أنه أراد الخروج من القلعة المحصورة فركب القذيفة التي أطلقت عليها فعادت به أدراجها الى حيث أراد ؛ وكانت أعاجيب منشهاوزن هذا خاتمة العهد الذي راجت فيه أباطيل البطولة بعد عصر الفروسية وقبل عصر السلاح الحديث ، وراجت فيه على الجملة أخبار السياحات والرحلات مما يصدقه العقل أو لا يقبل التصديق

وهذه فكاهات ظهرت لمناسبات متشابهة بين فرنسا وأسبانيا وألمانيا وبلجيكا وتقبلتها الأمم من المغربيين والمشرقيين حيث تداولتها أيدي القراء بمختلف اللغات ، ومن هذه الأمم من اشتهرت بالفكاهة ومنها من اشتهرت بجهلها وبطء الالتفات اليها ، ولا يسع الناقد عند المفاضلة أن يرجح النكتة في احداها على النكتة في سواها ، فربما كان بعض النكات في أعاجيب منشهاوزن أبرع من نكات دون كيشوت ، وربما كانت النكتة الأسبانية أحيانا أبرع من النكتة الألمانية ، وعامتها من نسق واحد وطبقة واحدة تؤدي رسالتها في مناسباتها وتسجل الحقيقة التي أسفرت عنها المقابلة بين

الفكاهات القومية ودلت على ان الضحك ــ كالمنطق ــ مزية انسانية توجد بالقوة كما توجد بالفعل حيث يوجد الانسان ، وأن اختلافها انما هو اختلاف بين الظروف والبيئات قبل ان يكون اختلافا بين الطبائع والأصول



على ان طبائع الانسان العامة لاتمحو الفوارق بين المجتمعات فى مواقعها المتباينة ، ولا تمحو الفوارق بين المجتمع الواحد فى الأزمنة المختلفة والأحوال المتناقضة ، وليس من الطبيعى أن تكون الأمة الوادعة كالأمة الكادحة ، أو الامة الغنية كالامة الفقيرة ، أو الأمة التى طال عهدها بالحضارة ومؤنساتها كالأمة التى تحضرت بعد وحشة أو مرت بها الحضارة ناشئة متقطعة ، ولا تتشابه فى الجد ولا الفكاهة أمة تمرست بالمظالم والشدائد وأمة لم تتمرس بها الا عرضا فى الآونة بعد الأخرى

فمهما تتفق طبائع الانسان فستبقى بعد ذلك بقية للصبغة القومية فى الجد والفكاهة ، وفى العلم والعمل ، وفى التفكير والذوق ، وفى الضرورات والكماليات

فوارق الأمم فى الفكاهة

ونحن فى هذه الرسالة نجمل القول فى اصول الفكاهة لنستطرد منها الى فكاهة جحا أو الفكاهة المنسوبة اليه فى الأمم التى عرفته وتمثلت بحكاياته ، وهى الأمة العربية والأمة الفارسية ، والأمة التركية . وكادت هذه الامة ــ أى الامة التركية ــ أن تستأثر به فى معظم نوادره حتى قيل أن جحا المشهور اليوم انما هو جحا جديد من مخلوقات البديهة التركية تنقطع الصلة بينه وبين جحا القديم الذى عرفه

العرب فى أمثالهم ورجع به التاريخ الى صدر الاسلام ، فلا يجمع بينهما غير التسمية باسم واحد

وأيا كان منشأه من الأمة التركية فهناك « جحا » تنسب اليه الحكايات فى اللغة العربية واللغة الفارسية ، فاذا عنينا بفوارق الأمم فى الفكاهة والمضحكات فليس من غرضنا فى هذه الرسالة أن نستقصى الفوارق فى جميع الأمم ولا حاجة بنا الى أكثر من تمييز الفوارق فى خصائص الفكاهة بين السليقة العربية والسليقة الفارسية والسليقة التركية ؛ فربما أعانت هذه الفوارق على اسناد الحكايات الى كل أمة من هذه الأمم حسب سليقتها الغالبة عليها ، ولا يكون هذا الاسناد بعد كل محاولة فى ميسورنا الآن الا على سبيل الترجيح والتقريب دون الجزم والتوكيد . ونحن فى هذا كمن يقول أن فلانا عربى لأنه أسمر فيقول شيئا يستحق أن يقال لأنه لايستحق أن يهمل ، ثم لايجاوز هذا الحد الى توكيد النسبة مع احتمال وجود البشرة السمراء أو المسمرة بين الشعوب الشقراء ، واحتمال وجود البشرة البيضاء بين العرب وغيرهم من الشعوب السمراء

وعلى هذا النهج من التغليب والترجيح نستطيع أن نميز سليقة الأمة فى عامة شؤونها ثم غير السليقة التى تنتظر منها فى معارض الفكاهة ، لأن الصورة الفكاهية نسخة من الصورة المحسوسة مبالغ فيها على مثال المبالغة فى هذا الضرب من التصوير المشهور فى اللغات الأوربية باسم الكاريكاتور . . . وقد وجد هذا الكاريكاتور بالتعبير اللغوى فى جميع الأمم قبل أن يوجد بالخطوط والرسوم

فمن الوصف الصادق لسليقة الأمة العربية ان نقول انها

أمة شعرية منطقية ، ومن الوصف الصادق لسليقة الأمة الفارسية ان نقول انها أمة صوفية دبلوماسية ، ومن الوصف الصادق لسليقة الامة التركية ان نقول انهـا امة عملية واقعية

والى أين تنتهى المبالغة « الكاريكاتورية » بالخيال والمنطق؟ تنتهى الى الوهم والقيـاس مع الفارق أو مع الفوارق الكثيرة

اما المبالغة الكاريكاتورية فى السليقة الصوفية فقد تنتهى الى المحال والمحاولة ، وأما هذه المبالغة فى السليقة العمليـة الواقعية فقد تنتهى الى تحصيل الحاصل والحذلقة بما هو مفهوم مستغن عن التعريف

وقد أعطانا الشاعر التركى المستعرب ــ ابن سودون اليشبغاوى من أدباء القرن التاسع بمصر والشام ــ مثلا للسليقة التركية لانظير له فيما نعلم من نظم شعراء العرب والترك ولا شعراء الأمم الغربية ، لأن أولئك الشعراء يعطوننا المثل فنأخذه من طريق التحليل والاستنتاج ، ولكن ابن سودون يعطينا المثل على غير قصد منه بمنظوماته التى تعدو تحصيل الحاصل ويرسم لنا « الكاريكاتور » بيده ولا يدع لنا ان نرسمه ونستوحى ملامحه من خلال الألفاظ ومعانيها

ونكتفى هنا بقصيدتين من شعره الذى أراد به الاضحاك بمحاكاة أدعياء المعرفة الذين لايزيدون فى حكمتهم على تعريف المعروف

واحدى القصيدتين على قافية الألف المقصورة وهى :

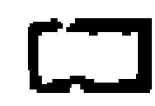
ذا ما الفتى فى الناس بالعقل قد سما
تيقن أن الأرض من فوقهـــا الســـما
وان السما من تحتهـــا الارض لم تزل
وبينهما أشـــــياء ان ظهـــرت ترى
واني ســـــأبدى بعض ما قـــد علمته
لتعلم أنى من ذوى العــــلم والحجى
فمن ذاك أن النـــاس من نســـل آدم
ومنهم أبو سودون أيضـــا ، وان قضى
وان أبى زوج لامى ، واننى
أنا ابنهـــا والنـــاس هم يعرفون ذا
وكم عجب عنـــدى بمصر وغيرهـــا
فمصر بهـــا نيل على الطين قد جـرى
وفى نيلهـــــا من نام بالليـــــل بله
وليست تبل الشـــمس من نام بالضحى
بها الفجـــر قبل الشمس يظهـــر دائما
بهـــا الظهر قبل العصر : قبل بلا مرا
وبالشـــــام أقـــوام اذا ما رأيتهم
ترى ظهـــر كل منهم وهـــو من ورا
بهـــا البـــدر حال الغيم يخفى ضياؤه
بها الشمس حال الصحو يبدو لهـا ضيا
ويسخن فيها المـــاء فى الصيف دائمـا
ويبرد فيهـا المـــاء فى زمن الشــــتا
وفى الصـــين صينى اذا ما طرقتـــه
يطن كطينى طرقت ســـوا ســـوا

بها يضحك الانســـان أوقات فــرحه
ويبكى زمان الحزن فيهـــا اذا ابتلى
وفيهـا رجال هم خلاف نســائهم
لأنهـم تبـــدو بأوجههم لحى

والقصيدة الأخرى البائية التى يقول فيها :

عجب عجب عجب عجب
بقــر تمشى ولهـــا ذنب
ولهـــا فى بزبزهـــا لبن
يبدو للنـــاس اذا حلبـوا
لاتغضب يوما ان شـــتمت
والناس اذا شـتموا غضبوا
من أعجب ما فى مصر يرى
الـكرم يرى فيـــه رطب
اوسيم بهـا البرسيم كذا
فى الجيزة قـد زرع القصب
زهر الكتان مع البلســـا
ن همـــا لونان ولا كـذب
كيهـــود فى دير خلطـــوا
بنصارى حركهم طـــرب
وقناطر أم الخمس بهـــا
ماء فى الحفــــرة ينسرب
والمركب مع ما قد وسقت
فى البحـر بطرف تنسـحب
والخيمة قال النـــاس اذا
نصبت فالحبل لهـــا طنب

لبيض اذا جاعـــوا أكلوا
والسمر اذا عطشـوا شربوا
النـــاقة لا منقـــار لهــا
والوزة ليس لهـــا قتب
الـــوز يبيض بثقبتـــه
وينـــام عليـــه فينثقب
والوز الفقس بأرض بلقس
كـــذا فى المقس لــه زغب
لابد لهـــذا من ســـبب
حزر . فــزر . ما السبب ؟



وستمر بنا فيما يلى ألوان من النوادر المنسوبة الى جحا يحسب بعضها من نوادر تحصيل الحاصل ، ويحسب بعضها من نوادر الوهم أو القياس مع الفارق ، وبعضها من نوادر المحال والمغالطة . ويساعدنا هذا التقسيم على الرجوع بها الى مصادرها مع التحفظ والتماس القرائن الأخرى من التاريخ والمناسبات والشواهد النفسية أو الاجتماعية

ونبدأ قبل البدء بعرض النوادر وتقسيمها فنقول أنه تقريب لانرجو أن نبلغ به مبلغ الجزم والتوكيد ، ولكننا لانرى من أمانة البحث ان يهمل أو يصرف عنه النظر ، فلعله بعد كل مايقال عن أحكامه « التقريبية » اصدق الموازين الميسرة لنا فى هذا المبحث وماجرى مجراه من الروايات الشاعة بلا اسناد تبلغ مبلغ الجزم والتوكيد

جحا .. ونوادره

جحا ... غير واحد

شىء واحد ثابت كل الثبوت فى أمر جحا

ذلك الشىء الثابت ـ قطعا ـ أنه لم يكن جحا واحدا ولا يمكن أن يكونه ، لأن النوادر التى تنسب الى جحا لاتصدر من شخص واحد ، ولاتزال دواعى اليقين باستحالة هذه النسبة واضحة فى كل قرينة وكل رواية يجوزالاعتماد عليها فى تحرى الوقائع ومن تنسب اليه

يستحيل أن تصدر هذه النوادر عن شخص واحد لأن بعضها يتحدث عن أناس فى صدر الاسلام ، وبعضها يتحدث عن اناس فى عصر المنصور العباسى أو عصر تيمور لنك او مابعده من العصور بأجيال

ويستحيل أن تصدر عن شخص واحد لاختلاف الشخصيات التى تصورها فى مجموعها ، فمنها مايكون التغفيل فيه من جحا ، ومنها مايكون فيه جحا صاحب الذكاء النادر والطبع الساخر الذى يكشف عن الغفلة ويتندر على البلاهة ، ومن هذه الشخصيات من تتمثل فيه الحماقة بغير مراء ، ومنها من يتحامق ويبدو فى كلامه وتمثيله انه يتكلف مايعمل وما يقول استهزاء منه بمن يدعون الحكمة والذكاء

ويستحيل أن تصدر هذه النوادر عن شخصية واحدة لتباعد البيئات التى تروى عنها سواء فى الامكنة أو العادات

والأخلاق ، فقد يروى بعضها عن فارس ويروى بعضها عن بغداد أو الحجاز أو آسيا الصغرى أو غيرها من البلدان الشرقية

بل ربما قيل عن جحا انه نصر الدين التركي وقيل عنه أنه ابو الغصن العربي الفزاري ، وقيل عنه أنه من النوكى الهاكمين كما يقال عنه أنه من أصحاب الحالات والكرامات من المتسترين بالولاية وهم يجهرون بالهذر والبلاهة

ويستحيل أن تصدر هذه النوادر عن « جحا » وحده كائنا ما كان ، لانها تنسب ــ بعينها ــ الى المجانين من أمثال هبنقة وبهلول أو الى الاذكياء من أمثال ابى نواس وأبى العيناء

ويزاد على هذه الاحالات جميعا ان طبيعة الفكاهة تختلف بين تحصيل الحاصل والقياس مع الفارق والمحاولة والمحال ، مما يجوز ان يتفق عرضا فى نادرة أو قليل من النوادر ، ولكنه لايتفق فى العشرات والمئات

ونحن قد نقرأ عن جحا فى كتاب واحد فنفهم انه شخص موجود او قابل للوجود ، لأنه متناسق الأخبار مطبوع فى تفكيره وتعبيره على غرار واحد . ثم نقرأ عنه فى كتاب آخر فنرى صاحب الكتاب مضطرا الى تسويغ نوادره المتناقضة باسنادها الى المختلقين والمنتحلين ، أو بافتراء المفترين على « جحا » للنكاية والتشهير

يقول الميدانى صاحب كتاب الأمثال : « هو رجل من فزارة كان يكنى أبا الغصن ، ومن حمقه أن عيسى بن موسى الهاشمى مر به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعا فقال له : مالك يا ابا الغصن ؟ قال : انى قد دفنت بهذه الصحراء

دراهم ولست اهتدى الى مكانها . فقال عيسى : كان ينبغى أن تجعل عليها علامة . قال : قد فعلت . قال : ماذا ؟ قال : سحابة فى السماء كانت تظلها ولست أرى العلامة . . .

« ومن حمقه أيضا انه خرج من منزله يوما بفلس فعثر فى دهليز منزله بقتيل فضجر به وجره الى بئر منزله فألقاه فيها . غير أن أباه أخرجه وغيبه وخنق كبشا حتى قتله وألقاه فى البئر . ثم ان أهل القتيل طافوا فى سكة الكوفة يبحثون عنه فتلقاهم جحا فقال : فى دارنا رجل مقتول ، فانظروا أهو صاحبكم ؟ فعدلوا الى منزله وأنزلوه فى البئر ، فلما راى الكبش ناداهم وقال : ياهؤلاء ! هل كان لصاحبكم قرن ؟ فضحكوا ومروا

« ومن حمقه أن أبا مسلم صاحب الدولة لما ورد الكوفة قال لمن حوله : أيكم يعرف جحا فيدعوه الى . فقال يقطين : انا . . . ودعاه ، فلما دخل لم يكن فى المجلس غير أبى مسلم ويقطين ، فقال : يايقطين ! أيكما أبو مسلم ؟ »

ثم يقول الميدانى بعد ذلك : « وجحا اسم لاينصرف لأنه معدول من جاح مثل عمر من عامر . يقال جحا يجحو جحوا اذا رمى ، ويقال : حيا الله جحولك أى وجهك »



وجحا هنا ، كما وصفه الميدانى ، شخصية مفهومة متناسقة ، لعل الخبر الذى جاء عن أبيه فى خلال الكلام عنه يفسر بالوراثة مافيه من خلة الحماقة . لأن جحا لم يصنع شيئا يزيد الشبهة فى أمر القتيل بنقله من الدهليز الى البئر ، وأباه لم يصنع شيئا يزيل الشبهة بوضع الكبش فى مكانه ،

وكان لكل منهما مندوحة عما صنع لولا الحماقة فى الأب وفتاه

أو لعل الخبر عن اشتهار اسم جحا حتى سمع به أبو مسلم يفسر لنا وضع الروايات عنه بين الفرس أو اعتباره بينهم علما على البلاهة والفهاهة يسندون اليه ماشابه نوادره من الفكاهات الفارسية ، فليس فى خبر جحا هنا غرابة بما نسب اليه أو نسب الى غيره ، ولك أن تقبل هذا الخبر دون أن تحتاج بعده الى توفيق أو تأويل

ولكنك تقرأ عن جحا فى غير كتاب الأمثال فلا ترى كتابا واحدا يستغنى عن شىء من التوفيق والتأويل ، لغرابة الأخبار التى ترامت عنه وتلقفهـــا الرواة فحاروا كيف يضعونها فى موضعها بين أخبارهم ومن تروى عنهم تلك الأخبار

ومن الاطالة على غير طائل فى غرضنا من هذه الرســالة أن نحيط بكل ماوصف به جحا فى كتب الأدب العربى فان المحصل منه كله أنه تناقض لايستقر على قرار ، ولــكننا نجتزىء بما كتبه ابن الجوزى اذ يقول فى أخبار الحمقى والمغفلين انه ــ أى جحا ــ « روى عنه مايدل على فطنة وذكاء ، الا أن الغالب عليه التغفيل ، وقد قيل ان بعض من كان يعاديه وضع له حكايات . وعن مكى بن ابراهيم : رأيت جحا رجلا كيسا ظريفا ، وهذا الذى يقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه »

وهكذا يسمع عن الرجل مايدل على ذكاء ومايدل على تغفيل ويوفقون بين الذكاء والتغفيل فيحسبون ان نوادر التغفيل من وضع المفترين عليه ، وغير ابن الجوزى أناس

يحسبون أنه من أصحاب الحالات والكرامات يتكلم ولاينبغى أن يؤخذ عليه كلامه بظاهره لأنه يتعمد فيه اخفاء الأسرار الالهية بهذه المضحكات والخزعبلات ، وقد حسبه بعضهم من التابعين رواة الحديث ثم شكوا فى حقيقة اسمه كما شكوا فى حقيقة مسماه

واما بعد ظهور جحا التركى ، الملقب بخوجة نصر الدين ، فالحكايات عنه تنسب الى رجل واحد وهى مما يمكن ان ينسب الى عشرة متباعدين فى الزمان والمكان والعقل والمزاج، وبعض هذه الحكايات متأخر الى مابعد اختراع الساعات التى تحمل فى الجيب وبعضها متقدم الى أيام الصحابة والتابعين

نوادر له ولغيره

ومما لاريب فيه ــ قطعا ــ ان رجلا واحدا لايمكن ان تصدر عنه جميع هذه الحكايات ولو كانت متناسقة متساوقة تدل على عقل واحد ومزاج واحد وتتحدث عن فترة واحدة وبيئة واحدة . فاننا اذا فرضنا وجود هذا الرجل وجب ألا يكون له عمل الا أن يأتى بتلك النوادر والأضاحيك ووجب ألا يكون لعشرائه واصحابه عمل غير النقل عنه واثبات هذه الأحاديث المنقولة ، وهو مالم يحدث فى حياة الهداة الأعلام الذين تنقل عنهم الاشارات فضلا عن الكلمات

فالعجب أن تكون حكايات جحا من رجل واحد ، ولكنه لاعجب على الاطلاق فى توارد هذه الحكايات وتلاقيها من أبعد المصادر ، ومهما يخطر على بالنا من غرابة ذلك فالواقع يزيل كل غرابة فيه ويرينا أن هذا الفيض من الحكايات ــ

وما هو أغرب منه ـ يتلاقى من اقاصى أوربا الى اقاصى افريقيا الى أقاصى القارة الاسيوية على امتدادها

ومثال ذلك قصة تروى عن جحا وعن أبى نواس وعن رابليه الفرنسى الذى تقدمت الاشارة اليه ، وفحواها أن تاجرا بخيلا رأى طارقا فقيرا يتبلغ بالخبز القفار على رائحة شوائه أو طبيخه فطالبه بثمن هذه الرائحة ، وحار الفقير فى أمره حتى أنقذه حلال المشكلات بحل من قبيل دعواه ، لأنه رن أمامه قطعا من الدراهم وقال له خذ رنين هـذه الدراهم ثمنا لرائحة شوائك

ومن الذى روى هذه النادرة عن أبى نواس ؟

لم يروها كتاب بغداد أو دمشق أو القاهرة ، بل رواها الكاتب الانجليزى انجرام Ingrams فى كتابه عن أبى نواس وأساطيره كما سمعها باللغة السواحلية واللغة العربية فى افريقية الشرقية ، وهذه ترجمة القصة كما نقلناها فى كتابنا عن أبى نواس . قال انجرام ماترجمته بحرفه على وجه التقريب :

« ان تاجرا ذبح معزة ومر به مسكين فجلس الى جانب القدر لعله يستسيغ الخبز القفار باستنشاق رائحتها ، ثم لقى التاجر فقال له : انك أيها السيد قد أحسنت الى أمس اذ منحتنى رائحة معزتك فاصطنعت بها هنيئا . فأخذ التاجر بتلابيبه وهو يقول له : الآن علمت كيف ضاعت النكهة من لحمها . فقد اختلستها أنت اذن ولا ندرى . وساقه الى هارون الرشيد ـ وقد كان شديد المحاباة للتجار ـ فحكم على المسكين بتغريمه اثنتى عشرة روبية يأخذها التاجر ثمنا لنكهة ذبيحته ، وخرج المسكين يبكى لأنه لايملك فلسا من

هذه الغرامة ، فوجد ابا نواس فى الطريق وعطف عليه أبو نواس حيث علم منه سبب بكائه ، ووعده أن يساعده ، ثم أعطاه اثنتى عشرة روبية وأوصاه أن يغدو بها الى السلطان ولا يؤديها له حتى يحضر هو مجلسه . ثم كان الغد فجاء الى المجلس ورأى المسكين يعد الدراهم فأخذها منه ورنها على الأرض ، وسأل التاجر : أسمعت رنينها ؟ قال : نعم . ومد يده الى الدراهم يريد أن يقبضها ، فرده أبو نواس وصاح به : حسبك . لقد وصل اليك الثمن رنينا برائحة . فاذا كان المسكين قد شبع من رائحة طعامك فأنت حرى أن تملأ يدك من رنين دراهمه ، وترك الروبيات للمسكين ، وانصرف الى داره »

هذه نادرة تروى فى سواحل أفريقية الشرقية ، ويتحدثون فيها بالروبيات وهم يذكرون نقود بغداد ، وهذه النادرة بشىء من التصرف فيها تروى فى قصص جحا وتروى فى قصص رابليه

ومن النوادر مايتوارد فى خرافات ايسوب وحكايات ألف ليلة ، كحكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع ، وقد جاءت فى أوائل الف ليلة بالعبارة الآتية :

« اعلمى يابنتى أنه كان لبعض التجار أموال ومواش وكان له زوجة وأولاد وكان الله تعالى أعطاه معرفة الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده فى داره حمار وثور فأتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفى معلفه شعير مغربل وهو راقد مستريح ، وفى بعض الأوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله ، فلما كان فى بعض الأيام سمع التاجر الثور وهو يقول

للحمار هنيئا لك ذلك : أنا تعبان وانت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفى بعض الأوقات يركبك صاحبك ويرجع وانا دائما للحرث والطحن ، فقال له الحمار : اذا خرجت الى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك وامتنع عن الأكل والشرب يوما أو يومين أو ثلاثة فانك تستريح من التعب والجهد . وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق الى الثور يعلفه أكل منه شيئا يسيرا فأصبح السواق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر : خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم ، فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث اراحه من التعب ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا وندم أشد الندامة ، فلما كان ثانى يوم جاء المزارع واخذ الحمار وحرثه الى آخر النهار . فلم يرجع الحمار الا مسلوخ الرقبة شديد الضعف . فتأمله الثور وشكره وحمده ، فقال الحمار : اعلم انى لك ناصح . وقد سمعت صاحبنا يقول : ان لم يقم الثور من موضعه فأعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده قطعا وانا خائف عليك ونصحتك والسلام . فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال : فى غد أسرح معهم . ثم أن الثور اكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه . فلما جاء النهار خرج التاجر وزوجته الى دار البقر وجلسا ، فجاء السواق واخذ الثور وخرج . فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه ... وبرطع . فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه »

هذه القطعة جاءت متصلة بغيرها فى الف ليلة وليلة لمناسبة تجر وراءها مناسبة اخرى على الأسلوب المطرد فى

تسلسل الروايات بألف ليلة وليلة ، ولكنها جاءت فى خرافات ايسوب منفردة ، على اختلاف فى المغزى ، بالعبارة التالية :

« كانت معزة وحمار فى حوزة صاحب واحد ، وكانت المعزة تغار من الحمار لأنه كان وافر الطعام يكفيه ويفيض منه ، فقالت له : ان حياتك نصب دائم ، تدير الطاحون وتحمل الأثقال ، فأنصح لك بأن تجمح يوما وتسقط فى حفرة تستريح بعدها . فعمل الحمار بنصيحة المعزة وأصيبت رجله اصابة بالغة من جراء سقطته ، وارسل صاحبه فى طلب البيطار ليسأله رأيه ، فوصف البيطار للحمار مرقا من طحال معزة وقال انه دواء صالح لعلاج دائه . فذبحوا المعزة لمداواة الحمار

« والمغزى من هذه الحكاية ان من نصب فخا لغيره جر البلاء على نفسه »

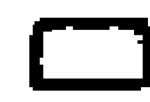
وفى خرافات ايسوب نوادر أخرى يقل فيها التحوير ويتقارب فيها المغزى ، مما تناقله المشارقة عن جحاوأمثاله، ومنها مالم يرد فى الخرافات القديمة كأنه أضيف اليها بعد عصر ايسوب او بعد العصر المفروض له ولخرافاته ، ومنها ماهو قديم منقول عن الحكمة الموضوعة على السنة الحيوان، وهى شائعة فى الشرق من الصين والهند الى البلاد العربية على اتساعها وتباعد اقطارها

ولا نرانا فى حاجة الى انتظار عصر المطبعة أو عصر التأليف وتداول الكتب بين الأمم لتعليل هذا التوارد بين النوادر والحكايات فى المشرق والمغرب ، وبين القارات الثلاث من العراق الى الاندلس وفرنسا الى أفريقية الشرقية . فان انتقال هذه النوادر على طرق الرحلات والقوافل أسبق

جدا من كل تأليف أو طباعة ، وقد كان الرحالون يطوفون البلاد من اقصى العالم المعمور الى أقصاه ولا سمر لهم فى الرحلة آشهى ولا أدل على حنكة السائح وطول عهده بالترداد على البلاد من احاديث الحكمة والفكاهة واطوار الناس وغرائب الاقطار

خذها شرودا فى البــلاد مقيمة
سمرا لذى سمر وزاد مســافر

فاذا سمعت القصة فى بغداد لم يكن بعيدا عليها أن تسمع فى بلاد الشمال من أوربا او بلاد الجنوب من افريقية مع قوافل الرحالين والسياح الذين يسمرون بها فى سهراتهم ويتنافسون عليها بين المأثور عن أقوامهم واوطانهم ، وليس العجيب ان تسرى هذه النوادر هذا السريان المستفيض بين مرامى السياحة ومطارح السفر ، بل العجيب ان يكون للرحالين والسياح حديث غيرها فى لياليهم الطوال كلما فرغوا من أحاديث العمل وما اليه



ولاينتظر منا بعد هذه الفوضى الجحوية أن نبت فى نسبة النوادر كلها او بعضها الى صاحبها ، لأن صاحبها غير واحد، ولأن اصحابها المتعددين ضروب من الخلق تصلح النوادر لأحدها كما تصلح للآخر ، ولكننا نستطيع أن نقسمها على ثقة الى أقسامها الواضحة من حيث الدلالة او من حيث « المدور » الذى تؤديه ، ومنها مايمثل الذكاء والحكمة ، وما يمثل البلاهة والحماقة ، وما يمثل التباله والتحامق او التغابى ، ولا يقع اللبس كثيرا بين هذه الأقسام أو بين هذه الأدوار

وسنختار فيما يلى عشرين نادرة فى كل قسم من هذه الاقسام أو كل دور من هذه الادوار ، ثم نتبعها ببعض القرائن التى تساعدنا على نسبتها الى أقوامها مع التحفظ والتوسع فى هذه النسبة الجزافية ، وأما النسبة الى الآحاد من أصحاب اسم « جحا » أو غير أصحابه فنعرض لقرائنها الممكنة بعد ذلك على قدر المستطاع



٦٠ نادرة

من نوادر الذكاء والحكمة والحماقة والبلاهة والتحامق والتباله ...

نوادر الذكاء والحكمة

١ ـ آل خبره

كان جحا يتولى القضاء ، فجاءه رجل يستغيث به لانه وجد طنبوره المسروق ، مع بائع فى السوق ، وأراد أن يأخذه منه فادعاه السارق لنفسه وانكره ، فأرسل جحا فى طلب البائع المتهم ، وسأل صاحب الطنبور عن شهوده ، فجاءه بشاهدين ، أحدهما صاحب حانة ، والآخر ماجن متبطل بغير عمل

وشهد الشاهدان بانهما يعرفان الطنبور ويعرفان انه للمدعى ، وعلامته أن فيه كسرا بأعلاه ورباطا بأسفله ، وليست مفاتيحه محكمة الشد والحركة

وطابقت العلامة وصف الطنبور ، ولكن السارق طلب تزكية الشاهدين وقال ان شهادة الخمار والماجن لا تقبل فى الشريعة

قال جحا : « نعم . واما حين تكون الدعوى على طنبور فالخمار والماجن اصلح الشهود » !

٢ ـ من راقب الناس

كان لجحا ولد يعصيه كلما امره بعمل ، ويقول لابيه : « وماذا يقول الناس عنا ان علمناه ؟ »

واراد جحا ان يلقنه درسا ينفعه ، ويعلمه ان رضى الناس غاية لا تدرك . فركب حماره وامر ابنه ان يتبعه ، ولم يمض غير خطوات حتى مر ببعض النسوة فشتمنه وقلن له : « ايها الرجل ! اما فى قلبك رحمة ؟ تركب انت وتدع الصبى الضعيف يعدو وراءك » ؟

فنزل جحا عن الحمار ، وامر ابنه بركوبه ، ومضى مسافة غير بعيدة ، ثم مر بجماعة من الشيوخ يستشرقون ، فدق احدهم كفا بكف ، ولفتهم الى هذا الرجل الاحمق ، وهويقول ويعيد : « لمثل هذا فسد الابناء ، وتعلموا عقوق الآباء ... ايها الرجل ! تمشى وانت شيخ ، وتدع الدابة لهذا الولد ، وتطمع بعد ذلك ان تعلمه الادب والحياء » ؟

قال جحا لولده : « اسمعت ؟ تعال اذن نركب الحمار معا » ...

وما هى الا لحظة ، حتى مر بهما جماعة من اصـــدقاء الحيوان صاحوا بهما : « اما تتقيان الله فى هذا الحيوان الهزيل ؟ اتركبانه معا ، وكل منكما يزن من اللحم والشحم ما يزيد على وزن الحمار » ؟

قال جحا لولده : « الآن نمشى معا ونرسل الحمار امامنا ، لنأمن سوء القالة من النساء والشيوخ واصدقاء الحيوان »

وما هى الا لحظة اخرى حتى مر بهما طائفة من « اولاد البلد » الخبثاء ، فجعلوا يعبثون بهما ويقولون لهما : « والله ما يحق لهذا الحمار الا ان يركبكما او تحملاه وتريحاه من وعثاء الطريق » !

فمال جحا الى شجرة ، واخذ منها فرعا متينا وربط فيه الحمار ، وحمل الفرع من طرف ووضع الطرف الآخر على

كتف ولده . فاذا البلد كله وراء هذا الركب العجيب ، واذا بالشرطى يفض هذا الزحام ليسوقهما الى البيمارستان

قال جحا لابنه فى طريقهما مع الشرطى : « هذه يا بنى عاقبة من يستمع الى القال والقيل ، ولا يعمل عملا الا ابتغى به مرضاة الناس » !

٣ ـ احصاء المنافقين والرقعاء

كان جحا دائم الشكوى من أهل بلده ، يقول لكل من لقيه منهم او من الغرباء عنهم انهم كلهم منافقون رقعاء

ولامه هذا وراجعه ذاك ، فعمد الى اقناع اللائمين والمناقضين بأسلوبه فى الاقناع : أسلوب المشاهدة والعيان ، فخلع باب الدار وحمله على ظهره وقال لاول مناقض له فى تشهيره بأهل البلد : « تعال معى واحسب » !

وعند منعطف الطريق صاح به صائح من اهل البلد وهو يضحك : « ما هذا الذى تحمله على ظهرك يا جحا » ؟

قال جحا لصاحبه : « هذا واحد : اتراه لا يعرف الباب الطويل العريض الذى يسأل عنه » ؟

٤ ـ العصا تحمل الارجل

حمل جحا اوزة مشوية الى الامير ، وغلبه الجوع ورائحة الشواء فى الطريق ، فأكل احدى رجليها

ثم وضعها بين يدى الامير ، فسأله عن الرجل الناقصة اين ذهبت ؟

قال : « لم تذهب الى مكان ، وانما الاوز كله برجل واحدة فى هذا البلد » ، ثم تقدم بالامير الى نافذة القصر واشار الى

سرب من الاوز قائم على قدم واحدة كعادته فى وقت الراحة، فدعا الامير بجندى من حرسه وامره أن يشد على سرب الاوز بعصاه ، وما كاد يفعل حتى اسرع الاوز يعدو هنا وهناك على قدميه

قال الامير : « ارأيت ؟ ان اوز هذا البلد ايضا خلق بقدمين ولم يخلق بقدم واحدة » !

قال جحا : « مهلا ايها الامير . . . لو شد احد على انسان بهذه العصا لجرى على أربع » !

٥ ـ تماطل الله وتستدين

جلس جحا يبيع زيتونه فساومته امرأة ، واستكثرت على الزيتون الثمن الذى طلبه ، وقالت له : « اذا اردت ان تبيعنى بالثمن الذى اخبرتك به مؤجلا ، فأنت تعرف زوجى وهو فلان بن فلان » !

وناولها جحا زيتونة ، لتذوقها وتعرف جودة الصنف وحقه من الثمن ، فاعتذرت بانها صائمة لانها مرضت من سنة وافطرت فى شهر رمضان !

قال جحا : « الآن بطل الخلاف ، لا مساومة ولا تأجيل . . اتراك تماطلين الله سنة ولا تماطليننى الى يوم القيامة »

٦ ـ تيمور فى الآخرة

وسأله تيمورلنك الطاغية المشهور : « اين ترى يكون مثواى فى الآخرة ياخوجة نصر الدين ؟ »

فقال جحا ولم يتردد : « واين ترضى ان تكون ، ان لم تكن مع جنكيز خان والاسكندر وفرعون والنمروذ » ؟

٧ ــ ثمن طاغية

وسأله تيمورلنك ، وقد أخذه معه الى الحمام ، وخلع ملابسه الا مئزرا يديره على وسطه : « بكم تشترينى الآن ، لو عرضت عليك فى السوق ياخوجة نصر الدين » ؟

قال : « بخمسين دينارا »

قال تيمور : « ويحك ! ان ثمن هذا المئزر خمسون دينارا »

قال جحا : « وهذا هو الثمن الذى حسبته » !

٨ ــ الحساب المهضوم

واراد تيمور أن يصادر أموال الحاكم بمدينة « آقشهر » ، فاتهمه باختلاس أموال الديوان ، وابرأ الحاكم بذمته بالحساب المكتوب على دفاتر الديوان الغلاظ . . . فأخذها تيمور من يده ومزقها وامره بابتلاعها ، ثم احال حكم المدينة الى الخوجة نصر الدين

وحان موعد الحساب فجاءه الخوجة نصر الدين بجلود مطوية نشرها فوجد فى طيها رقائق من الخبز مكتوبا عليها الحساب بالحلوى

قال تيمور : « ما هذا » ؟

قال الخوجة : « هذا الذى يحتمله جوفى يا سيدى ، لاننى شيخ فان ولست فتى ضليعا كحاكمك القديم »

٩ ــ أيهما أحب اليه

وكانت له زوجتان ، فجلس معهما يتسامر ، وطاب لهما ان تحرجاه ، فسألتاه : أيهما احب اليه

قال : « انتما معا حبيبتان الى قلبى » !

قائتا : « لا ، انك لا تستطيع ان تضحك منا بهذه المراوغة، وامامك هذه البركة نخيرك فى اغراق احدانا بها ، فمن منا تلقى بها فى الماء الآن ؟ »

وحار فى امره هنيهة ، ثم التفت الى الزوجة الاولى وقال لها : « اذكر انك تعلمت السباحة قديما يا عزيزتى » !

١٠ ـ المكان الامين فى الجنازة

وسئل : « أيهما افضل ؟ المسير خلف الجنازة ، أو المسير امامها ؟ »

قال : « لاتكن فى النعش ، وسر حيث تشاء »

١١ ـ والقبلة الامينة

وسئل : « وماذا يستقبل السابح اذا نزل فى الماء » ؟

فقال : « يستقبل المكان الذى عليه ملابسه »

١٢ ـ الفضول

ولقيه بعض معارفه فى الطريق فقال له : « انى رأيت الساعة رسولا يحمل مائدة حافلة بالطعام الفاخر »

قال جحا : « وماذا يعنينى ؟ »

قال صاحبه : « انهم يحملونه الى بيتك »

قال : « وماذا يعنيك » ؟

١٣ ـ التقوى المهلكة

وسكن فى دار ، فشكا الى صاحبها انه يسمع قرقعة فى سقفها

قال صاحب الدار : « لا تخف . انه يسبح الله »

قال : « وهذا الذى اخشاه ، تدركه رقة فيسجد علينا »!

١٤ ــ « حدود الابوة »

وسئل جحا : « هل يولد للرجل بعد بلوغ الستين ؟ »
قال : « يجوز » !
قيل : « وبعد بلوغ الثمانين » ؟
قال : « يجوز »
قيل : « وبعد بلوغ المائة » ؟
قال : « نعم ... اذا كان له جار فى العشرين » !

١٥ ــ العمامة القارئة

وعرض عليه رجل كتابا بالفارسية ليقرأه له فتعلل برداءة الخط ، ورد له الكتاب

قال صاحب الكتاب محنقا : « وعلام اذن تضع هذه العمامة على راسك ، كأنها الرحى ؟ »

فخلع الشيخ العمامة ، ووضعها جانبا ، وقال له : « دونك العمامة فاسألها ، فانها صاحبة العلم الذى تبغيه »!

١٦ ــ تحويل الجزاء

وصفع رجل « جحا » على قفاه بعرض الطريق يريد أن يسخر منه ، فأخذ جحا بتلابيبه الى القاضى ولم يقبل منه اعتذاره بالخطأ فيه ، لانه ظنه من اصدقائه الذين يمازحونه بمثل هذا المزاح الثقيل

وكان الرجل العابث من معارف القاضى فاحب ان ينجيه من العقاب ، وحكم لجحا بان يصفعه كما صفعه او يتقبل منه عشرة دراهم على سبيل الجزاء او التعويض

وطمع جحا فى الدراهم فسأل القاضى المدعى عليه : «امعك الدراهم » ؟

وفطن صاحبنا لغرض القاضى فقال : « كلا ، ولكننى احضرها بعد قليل من البيت »

واذن له القاضى بالانصراف لاحضار الدراهم ، فذهب ولم يعد . وطال الانتظار على جحا ، فأدرك حيلة القاضى واقترب منه كأنه يهمس فى أذنه ، ثم صفعه صفعة عنيفة ، وقال له وهو ينصرف : « اذا عاد اليك الرجل بالدراهم ، فخذها حوالة منى اليك » !

١٧ ـ دعوى بدليلها

وادعى الولاية ، فسأله السامعون عن كرامته ، فقال : « اتريدون منى كرامة اعظم من علمى بما فى قلوبكم جميعا »؟

قالوا : « وما فى قلوبنا » ؟

قال : « كلكم تقولون فى قلوبكم اننى كذاب » !

١٨ ـ من يلد يمت

واستعار حلة كبيرة من جاره ، ثم اعادها اليه وفيها حلة صغيرة . فسأله جاره : « وما هذه » ؟ قال : « هذه بنتها ، ولدتها عندنا » فتقبلها جاره ولم ينكر عليه

ثم استعارها مرة اخرى ولم يردها ، فلما سأله عنها ، قال : « البقية فى حياتك ، انها ماتت عندنا فى النفاس ... رحمها الله »

قال صاحب الحلة متعجبا : « ايموت النحاس ؟»

قال جحا : « من يلد يمت ، وقد يموت فى النفاس »

١٩ ـ ثمن الضرورة

وعطش فى طريقه ، وهو بمنقطع من الماء فى الصحراء ، فمر به اعرابى يحمل قربة ، عرض عليه جحا ان يبيعها اياه فلم يقبل باقل من خمسة دراهم ، فاشتراها جحا ، وجلس يأكل من طعام دسم كان معه ، واستضافه الاعرابى فاعطاه من الطعام ما اشبعه واظمأه ، فسأله شربة من القربة... فلم يقبل جحا باقل من خمسة دراهم ... وباع الشربة بثمن القربة !

٢٠ ـ ثمن الحمار !

وضاع حماره ، فاقسم ليبيعنه ان وجده بدينار واحد ثم وجده وندم على حلفه ، ولم يشأ ان يحنث فى قسمه، فاحتال عليه ليبر باليمين ، ويحفظ على نفسه ثمن الحمار ، وعرض الحمار فى السوق وقد ربط الى عنقه حذاء قديما ، فجعل ينادى عليه : « الحمار بدينار والحذاء بعشرة دنانير ، ولا يباعان على انفراد » !

٢١ ـ الكرام قليل

امره الوالى ان يعد مجانين البلد ، فقال : « بل اعد لك العقلاء . ومن عداهم كثيرون لا يحصرون »

٢٢ ـ يقضى على القاضى

جاء الشرطى برجلين الى مجلس القضاء ، وجحا عند القاضى يحدثه فى بعض شئونه ، فعرض الشرطى قضية الرجلين ، وقال انه وجد فى الطريق بين بيتيهما اقذارا ممنوعة

وادعى كل منهما ان جاره مطالب بازالتها ، لانه هو الذى وضعها فى عرض الطريق

واراد القاضى ان يعبث بجحا ليسخر منه ، ويفضح دعواه، لانه كان يدعى العلم ويتصدى للافتاء ، فاحال عليه القضية ؛ وسأله ان يقضى فيها بالحق بين الرجلين

فقبل جحا مقترح القاضى ، وسأل الشرطى : « هل كانت الاقذار اقرب الى دار هذا او دار ذاك » ؟

قال الشرطى : « انها كانت فى الوسط بينهما »

قال جحا : « انما يزيلها اذن مولانا القاضى ، لانها فى الطريق العام ، ومولانا القاضى هو المسئول عن المدينة » !



نوادر الحماقة والبلاهة

١ ـ على قدر الوضوء

توضأ جحا ، ولم يكفه الماءلاتمام وضوئه ، وبقيت رجله اليسرى بغير وضوء، فقام يصلى برجله اليمنى ولا يضع اليسرى على الارض ..

فسألوه : « مابالك تقف على رجل واحدة ؟ »

قال : « الاخرى غير متوضئة » !

٢ ـ انا مكرر

راى رجلا فى الطريق لا يعرفه ، فتبسط معـــه فى الحديث ، ورفع الكلفة بعد عبارة أو عبارتين

فعجب الرجل وسأله: « ألك بى معرفة فترفع الـكلفة هكذا بينى وبينك ؟ »

قال : « بل حسبتك أنا .. لان ثيابك كثيابى ومشيتك كمشيتى ، ولكنك لست أنا كما علمت الآن » !

٣ ـ ترويج زوجة

وحاول أن يبيع بقرة له فأعياه بيعها ، فرآه دلال فى السوق ، تكفل له ببيعها اذا أسلمه اياها وأعطاه الجعـل المعلوم ، وقبل جحا ، فأخذ الدلال ينادى على البقرة ، ويذكر منافعها ومحاسنها ، ومنها أنها حبلى فى ستة اشهر

ثم جاء الخواطب الى داره يخطبون بنته ويتطلعون الى محاسنها ، فتذكر الصفة التى روجت سوق البقرة ، وقال للخواطب :

«هى كما ترون وزيادة . . انها حبلى فى شهرها السادس»

٤ ـ يريح كما يراح

ورأوه يركب حمارا ويحمل خرجه على كتفه ، فضحكوا منه ورموه بالعبث والدعابة ، وقال له قائل منهم : « ألا تعرف كيف تضع الخرج تحتك أوامامك ولا ترهق نفسك بحمله وأنت راكب ؟ »

قال : « عدل من الله ، أراضى الحمار من حمل نفسى بأن اريحه من حمل خرجى » !

٥ ـ اكبر خوخة

وكان فى منديله فاكهة ، فسأله بعضهم : « ماهذا الذى فى منديلك يا جحا ؟ »

قال : « لا أقول لكم ، ولكنى أعطيكم أكبر خوخة اذا عرفتموه »

قال السائل : « انه خوخ » !

فانطلق قائلا : « أى ملعون أنبأكم بأمره وهو مصرور » !

٦ ـ أحجية محلولة

ورأى بعضهم أن يمتحنه فقال له : « ان عرفت ما فى منديلى أعطيتك واحدة منه تكفى لعمل عجة مليحة »

قال : « صفه لى ولا تذكر اسمه »

قال صاحبه : « انه أبيض وفى وسطه صفار »

قال جحا : « الآن عرفته ، انه لفت حشوتموه جزرا » !

٧ ـ الحمد لله

وضاع حماره فطفق يصيح وهو يسأل الناس عنه : « ضاع الحمار والحمد لله »

قيل له : « فهل تحمد الله على ضياعه ؟ »

قال : « نعم ، لو أننى كنت أركبه لضعت معه ولم أجد نفسى »

٨ ـ أربعون يوما من رمضان

وكان من عادته اذا صام يوما فى رمضان أن يلقى بحصاة فى جرة ، ورأته ابنته فألقت فى الجرة ملء كفيها من الحصى، وهى تظن انها تساعده

وسأله الجيران يوما : « كم بقى من رمضان ؟ »

قال : « أما مابقى فلا أعرفه ، ولكنى عليم بما مضى من أيامه »

ثم عد الحصى ، فزاد على مائة وعشرين حصاة

قال بينه وبين نفسه : « لو أنبأتهم بهذا العدد لسخروا منى ، ولكنى أنزل به الى أربعين »

ثم خرج لهم يقول : « مضى من الشهر أربعون يوما على التقريب »

فتضاحكوا منه ، وتضاحك هو منهم وهو يقول : « انه شهر طويل على الصائمين ، فماذا تصنعون لو أنبأتكم بالعدد الصحيح ؟ »

٩ ـ الشمس والقمر

وسألوه : « أيهما انفع : الشمس أو القمر ؟ »

فلم يتمهل واجابهم بيقين : « انه القمر ولا مراء »
فسألوه : « ولم ؟ »
قال : « لان الشمس تطلع فى النهار حين يستغنى عنها الناس ، وأما القمر فلا يطلع الا فى الظلام على حين الحاجة اليه »

١٠ ـ البحث فى النور

ورأوه يبحث فى أرض لاشىء فيها ، فسألوه : « عم تبحث ؟ »
قال : « خاتم سقط منى »
قالوا : « وهل سقط هنا وليس فى الارض اثرللخواتم ؟ »
قال : « بل سقط فى الزقاق الذى هناك »
قالوا : « ومابالك لاتبحث عنه حيث سقط ؟ »
قال : « وأى جدوى للبحث فى الظلام ؟ »

١١ ـ حمار ممسوخ

اشترى حمارا ، واقتاده بزمام طويل ، فتغفله لصان ، ذهب أحدهما بالحمار ، وربط الآخر نفسه فى مكانه
والتفت جحا فرأى انسانا فى مكان الحمار
فاستعاذ بالله ، وسأله : « أين الحمار ؟ »
قال : « انا الحمار ، أعادنى الله انسانا ببركتك كما كنت بعد أن مسخت حمارا لدعاء والدتى على »
فبارك له جحا ، وأطلقه وهو يوصيه بطاعة أمه ويحذره العودة الى اغضابها ، وجر الغضب من الله عليه بدعائها
ثم عاد الى السوق بعد برهة ليشترى حمارا غير ذلك

الانسان الممسوخ ، فرأى الحمار بعينه فى يد الدلال ،فمال على أذنه وهمس فيها قائلا : « لن تنفعك بركتى بعد مسختين ، ولن أشتريك وأنت بهذا العصيان » !

١٢ ـ نصف بنصف وتنم الدار

وكان يشارك على دار ، فباع نصفها الذى يملكه ليشترى بثمنه النصف الآخر ، وتخلص له الدار بغير شريك !

١٣ ـ دابة على رمح

ونام فى الخلاء ومعه عكاز طويل ركزه ووضع صرة النقود على رأسه لكيلا ينالها أحد

فرآه لص وعرف غفلته، فأخذ النقود ووضع فى موضعها روث دابة

وتيقظ جحا ، فوجد الروث فى مكان الصرة ، فلم يعجب لسرقة النقود ولكنه عجب للدابة التى استطاعت أن تصعد على عكاز لتصنع به ذلك الصنيع

١٤ ـ مكافاة معقولة

وحمل الى تيمور رمانات باكورة ظهرت فى غير أوانها ، فرضى عنه تيمور وأرضاه

ثم طمع فى جائزة أخرى ، فجمع رؤوسا من اللفت ليهديها اليه ، فقال له بعض جيرانه أن اللفت لايصلح لاهداء الملوك ، فاذهب اليه بنخبة من التين فهو ألطف وأحلى

واستكبر تيمور ان يهدى اليه التين وهو يملأ الاسواق ، وأحب أن يكف جحا عن طمعه ، فأمر الجند أن يقذفوه بالتين واحدة بعد واحدة

فوقف جحا يتلقى الضربات على رأسه وعلى وجهه وعلى عينيه وانفه وهو يضحك ويدعو للجار الذى أسدى اليه النصيحة الصادقة

واشتد عجب تيمور من ضحكه ودعائه ، فأمر الجند أن يمسكوا عن ضربه ، ليسأله عن سر ذلك الضحك وذلك الدعاء

قال : « انه سر عظيم ، لو كان اللفت فى موضع هذا التين ، لتهشم راسى وانفقأت عيناى » !

١٥ ـ بروج نامية

وسألوه : « ماطالع نجمك ؟ »

قال : « ولدت والشمس فى برج التيس »

قالوا : « لا يوجد فى السماء برج يسمى برج التيس ، ولكنك تعنى برج الجدى »

قال : « أفمن مولدى الى اليوم لايصبح الجدى تيسا ؟ »

١٦ ـ كيف يعرف يمينه ؟

وانطفأت شمعة فى داره فطلبت منه زوجته أن يناولها اياها من يمينه

قال : « يا حمقاء ! وكيف أعرف يمينى من شمالى فى هذا الظلام ؟ »

١٧ ـ أدب مع التلاميذ

وركب بغلته مستدبرا رأسها فسأله تلاميذه : « لماذا لا تعتدل فى ركوبك يامولانا ؟ »

قال : « هذا هو الاعتدال ، أدير ظهرى لرأس البغلة ولا اديره لرؤوس الآدميين ! »

١٨ ـ يسمع صوته من بعيد

ورأوه يوما وهو يغنى ويجرى ، فسألوه : « ما بالك تغنى وتجرى ؟ »

قال : « أحب أن أسمع صوتى من بعيد ! »

١٩ ـ لماذا ينتشرون

سألوه : « لماذا ينتشر الناس فى جوانب الارض ، ولماذا يذهبون ذات اليمين وذات اليسار كل صباح ؟ »

فتأمل قليلا ثم قال : « لو ذهبوا الى ناحية واحدة ، لمالت بهم الارض وانكفأت بهم فى هاوية ليس لها قرار ! »

٢٠ ـ لماذا لاتأكله

ومر بفرن تتصاعد منه رائحة الخبز الساخن ، وهو يشتهيه ، ولا يقدر عليه لخلو يده ، فاتجه الى الفران وسأله: « ألك كل هذه الرغفان ؟ » قال : « نعم » قال : « ولماذا لا تأكلها يا أحمق ؟ »

نوادر التحامق والتباله

وهذه نوادر منسوبة الى جحا تتوسط بين الحكمة البينة والحماقة البينة ، لا نقتصر فى اختيارها على النوادر التى يصطنع فيها الحماقة ويتكلفها كأنه يمثلها ويستعيرها ، ولكننا نختار من هذه النوادر كما نختار من النوادر التى لا تحسب بطبيعتها من الحكمة ولا تحسب من الحماقة ولكنها

تتوسط بينهما وتغلب عليها هذه مرة وتلك مرة أخرى ، وكلها قد نسبت الى جحا كما نسبت بموضوعها أوبمغزاها الى ذوى السمعة الفكاهية من أمثاله

١ ـ أحمق وأحمقان

رآه الطحان يأخذ من قفف الناس ويضع فى قفته ، فصاح به : « ماهذا ياجحا ؟ »

قال جحا : « لا تؤاخذنى فاننى رجل احمق »

قال الطحان: « لو كنت أحمق لاخذت من قفتك ووضعت فى قفف الناس » !

قال : « ويحك ! انا أحمق واحد ، ولو صنعت كما تقول لكنت أحمقين » !

٢ ـ مالايغتفر

ولقيه بعضهم يلهو فقال له : « أنت هنا تلهو وأمرأتاك تقطع احداهما الاخرى ؟ »

ولم يشأأن يدع مجلسه فسأل الرجل متضاحكا: «أقالت احداهما للأخرى شيئا يتعلق بالعمر ؟ »

قال : « كلا »

قال : « اذن لاداعى للوساطة ، فانها مشكلة سليمة » ؟

٣ ـ مرق مرق المرق

جاءه ضيف ريفى ومعه أرنب فأكرمه وشيعه كمـــا استقبله بالحفاوة والتحية

ثم مضى أسبوع وجاءه ضيف من بلدة صاحب الارنب وقال له انه جاره القريب

ثم مضى اسبوع أو اسبوعان وجاءه من تلك البلدة جيران كثيرة يزعمون جميعا أنهم جيران الرجل فى داره أو حقله أو دار أحد من أهله

فأجلسهم جميعا على السماط وجاءهم بطست كبير فيه ماء غال ، وأومأ اليهم قائلا : « تفضلوا فكلوا من مرق مرق الارنب ، يا جيران جيران صاحب الارنب المشئوم » !

٤ ـ بلبل ولا كالبلابل

وصعد على شجرة يقطف من ثمرها فحضر صاحب البستان وفاجأه وهو على تلك الحال

قال صاحب البستان : « من أنت ياهذا ؟ »

قال جحا : « أنا بلبل أتنقل على الاغصان »

قال صاحب البستان : « أسمعنا اذن من غنائك أيها البلبل العجيب »

فتغنى جحا بصوت لا يسمع ولا يشبه تغريد البلبل ، وقال صاحب البستان : « ماهذا بتغريد بلابل »

قال جحا : «هاتها واسمعها ، ألم تقل اننى بلبل عجيب ؟»

٥ ـ مصيبة أكبر من مصيبة

ونظر تيمور الى وجهه فى المرآة بعد أن تنعم وتعود معيشة القصور فانقبض لمنظره القبيح ، ولمح وزيره انقباضه فأخذ يواسيه على عادة الوزراء بما يسرى عنه ، وقال له فيما قال : « مثلك أيها الخاقان الاعظم لا يأسى على جمال الوجوه وقد أعطاك الله بسطة فى الجسم وبسطة فى القوة وبسطة فى الثروة والسلطان ، وانما يأسى على جمال الوجوه



اللص لجحا : من أنت يا هذا ؟
جحا : أنا صاحب هذه الدار التي نقلتنا اليها .. !!

النساء وأشباه النساء من الرجال »

فانبسطت أسارير الطاغية ، وابتسم راضيا عما قاله الوزير ، ولكنه التفت الى الخوجة نصر الدين فرآه يبكى ويستخرط فى البكاء

قال له : « ماخطبك ياخوجة نصر الدين ؟ أنا صاحب المصيبة تسليت ، وأنت تأبى أن تتسلى ؟ »

قال جحا : « معذرة يامولاى ، ان مصيبتى أكبر من مصيبتك أضعافا مضاعفة . أنت نظرت الى وجهك مرة فانقبضت . فماذا أصنع أنا الذى أنظر اليك بالليل والنهار مرات ؟ »

٦ — نقل

دخل لص منزله وحمل بعض أثاثه ، فحمل هو بقية الاثاث حتى دخل وراء اللص الى داره

ونظر اللص وراءه فرآه يدخل الدار ، فسأله : « من أنت ياهذا ؟ »

قال : « أنا صاحب هذه الدار التى نقلتنا اليها !.. »

٧ — كلهم محقون

اختصم رجلان من أصدقائه وجاءه احدهما يعرض عليه شكواه ، فقال له : « انك محق فى شكواك أيها الصديق »

وجاءه الصديق الثانى فى اليوم التالى فعرض عليه شكواه فقال له كما قال لخصمه : « أنت محق أيها الصديق »

وكانت امراته تسمع القصتين فسخرت منه قائلة :

« يالك من منافق ، خصمان مختلفان ، وكلاهما محق في شكواه ؟! »

قال : « ولماذا تغضبين ؟ أنت محقة أيضا فيما تقولين ؟ »

٨ ـ تنقلب الدنيا

وأراد أن يتزوج ، فبنى دارا تتسع له ولاهله ، وطلب من النجار أن يجعل خشب السقوف على أرض الحجرات ، ويجعل خشب الارض على السقوف ، فراجعه النجار دهشا ، ولم يفهم ما يعنيه

قال جحا : « أما علمت ياهذا أن المرأة اذا دخلت مكانا جعلت عاليه سافله ؟ اقلب هذا المكان الآن يعتدل بعد الزواج » !

٩ ـ خروف على عيبه

وأرسله أبوه يشترى له رأس خروف مشوى بأقل من ثمنه ، فأكل في الطريق لسانه ، ثم راودته نفسه فأكل عينيه ، ثم اكل اذنيه ، ثم اكل شواته (جلدة راسه) ومخه ، وذهب به الى ابيه جمجمة نخرة

فجعل ابوه يقلبها ويسأل : « اين مخه » ؟

فيقول جحا : « كان مجنونا بغير عقل »

فيسأله : « واين عيناه » ؟

فيقول جحا : « كان أعمى »

ويسأله : « واين شواته » ؟

فيقول جحا : « كان اقرع »

ويسأله : « اين لسانه » ؟

فيقول : « كان اخرس اعجم »

قال ابوه : « فاذهب رده الى صاحبه »

قال : « انما اشتريته بقليل الثمن على البراءة من كل عيب »

(١٠) العقاب قبل الذنب

وناول بنته الصغيرة جرة تملأها ، وحذرها ان تكسرها ، وانذرها لئن كسرتها ليصفعنها هكذا ، واردف الانذار على الاثر بصفعة قوية ابكتها

فنظر اليه عابر طريق ولامه على ضرب البنت الصغيرة فى غير جريرة ، وقال له : « اتضربها قبل ان تكسرها » ؟

قال : « يا احمق . انما اضربها لتعرف الم العقـــاب فتحذره ، وأما بعد كسر الجرة فما الفائدة من ضربها ؟ »

(١١) العائل الاكبر

سأله الامير : « كم عيالك » ؟

قال : « سبعة » !

فاعطاه لكل من عياله مائة درهم ، وخرج جحا ، ثم عاد اليه على الاثر وهو يقول : « نسيت واحدا ايها الامير انفق من مالى عليه كما انفق على هؤلاء »

قال الامير : « من يكون ياترى » ؟

قال : « أنا اكبر عيالى ايها الامير »

(١٢) ياكلون بالضرب

وذهب الى قونية ، فاعترضه فى طريقه دكان حلوى تعرض فيه اصناف الفطائر والفاكهة المسكرة صابحة شهية

فاهوى عليها يأكل منها بلا استئذان ، واهوى صـــاحب الدكان عليه بالعصا يريد ان يحول بينه وبين حلواه ، فتغابى جحا وراح يثنى عليه ويثنى على أهل قونية ، ولم يزل يقول : « يالكم يا اهل قونية من قوم كرام ، تطعمون الناس بالعصا والكرباج » !

(١٣) ماذا يفعل بالحذاء

ولبس حذاء جديدا ، فنظر اليه بعض الشطار وارادوا ان يحتالوا عليه ليسرقوه ، فسألوه : « اتستطيع ان تصعد على هذه الشجرة وتأتى بشيء من ثمرها » ؟

قال : « نعم ، فكم جعلتم » ؟

فاعطوه ما تيسر لهم وانتظروا ان يخلع حذاءه ليصعد ، فلم يفعل ، بل صعد على الشجرة ومعه حذاؤه تحت ابطه

قالوا : « وماذا تصنع بالحذاء على الشجرة » ؟

قال : « اذا القيت اليكم الثمر فماذا يعنيكم من الحذاء ؟

اما انا فلعلى اجـــد لى طريق ســـفر من اعلى الشجرة فأذهب ولا أعود اليكم »

(١٤) لولاك ياكمي

وذهب الى وليمة بثياب العمل ، فطرده الخدم من الباب فعاد اليهم بثيابه المدخــــرة ، وعليه حلة من الحلل التى يخلعها عليه الامراء ، فأكرموه وتقدموه الى مكان المـــائدة ، فغمس كمه فى الصحان واحدة بعد واحدة ، وطفق يقول له كأنه يناجيه : « كل ، كل ياكمى ، فلولاك ما وصلت الي هذا الطعام » !

(١٥) ماذا اضاعت ؟

وقيل له : ان امراتك أضاعت عقلها ، فأطرق يتأمل ، وقام الى داره يبحث فيها

قالوا : « ماذا تصنع ياجحا ؟ »

قال : « انكم تقولون انها اضاعت شيئا ، ولن يكون ذلك الشيء عقلها ، فانني لا أعرف لها عقلا تضيعه » !

(١٦) بالدور

وقيل له : ان امراتك تتردد على البيوت وتطيل المكث فيها

قال : « غير صحيح ، ولو كان صحيحا لوصلت الى دارنا »

(١٧) اصدق من الحمار

ورجاه بعض جيرانه ان يعيره حماره ، فاعتذر له بذهابه الى الغيط

ثم نهق الحمار وهو يكلمه ، فعاتبه الجار قائلا : « أليس هذا حمارك ينهق فى الدار ، وانت تزعم انه ذهب الى الغيط » ؟

قال : « سبحان الله ، تكذبني وتصدق الحمار » ؟

(١٨) يصلح لكل شيء

وسأل امراته ، وقد جاءها برطل من اللحم : « لماذا يصلح هذا » ؟

قالت : « يصلح لكل شيء » !

قال : « فاطبخى عليه اذن كل شيء » !

(١٩) قسمة الله

واختاره قوم للقسمة بينهم فسألهم : « اترضون قسمة الله أو قسمة عبيده » ؟

قالوا : « بل قسمة الله »

فاعطى احدهم درهمين ، واعطى الثانى دينارين ، واعطى الثالث لحافا ، واعطى الرابع سريرا عليه حشية ، واستبقى سائر التركة بين يديه

قالوا : « ويلك ! أهذه قسمة الله ؟ »

قال : « انظروا حولكم تفهموا قسمة الله وحكمة الله »

(٢٠) منوم موصوف

وطلبت منه امرأته ان يعود اليها فى طريقه من المسجد بدواء منوم لطفلهما الذى يؤرقهما بالبكاء والصياح

فعاد وليس معه غير الكتاب الذى يقرأه

قالت : « العلك نسيت الدواء » ؟

قال : « معاذ الله ، هذا هو الدواء ، وقد جربته اليوم فى الكبار فناموا جميعا ، فجربيه انت فى الصغار »

موازين غير محكمة

موازين غير محكمة

هذه النوادر الستون التى تقدمت فى الفصل السابق تصور لنا اقسام النوادر التى تنسب الى جحا ، وقد تنسب الى غيره ، ومنها ماينبىء عن حكمة ظاهرة وما ينبىء عن بلاهة ظاهرة ، وما ينبىء عن بلاهة مستترة بين الحكمة والبلاهة

وتندر بينها النادرة التى لم تنسب الى مصادر متعددة من الحكماء والحمقى والمحمقين ، وبعضها يروى عن اناس فى الغرب الحديث كالنادرة التى تروى عن سن الولادة فى الرجل ، والنادرة التى تروى عن الشجار بين المراتين ، فان الاولى تروى عن نابليون وطبيبه والثانية تروى عن جولدسمث الكاتب الانجليزى المشهور الذى قيل فيه انه احمق الناس الا حين يتناول القلم فهو اذن من احكم الناس

قيل ان نابليون سأل طبيبه حين كان مشغولا بامر ولاية المهد : « هل يولد للرجل فى الستين ؟ وهل يولد له فى السبعين ، وهل يولد له فى الثمانين » ؟ فكان جواب الطبيب عن ابن الستين نعم ، وعن ابن السبعين ، نعم فى الندرة ، وعن ابن الثمانين انه يولد له اذا كان له جار فى العشرين

وقيل ان امراة جولد سميث واخته تشاجرتا وهو غائب عن المنزل ، فادركه احد جيرانه وانباه بامره هذه المشاجرة ، فسأله : « هل قالت احداهما للاخرى انت

شوهاء » ؟ قال الجار : « كلا » . قال : « اذن هى مشاجرة مأمونة »

وقد سبقت الاشارة الى نوادر متشابهة بين الفكاهة المصرية والفكاهة فى المجر وأوربة الوسطى ، ولا يصعب تعليل ذلك بتوارد الخواطر فى الجواب البسيط على سؤال واحد او سؤالين ، وقد يعلل الكثير منه باطلاع الغربيين على النوادر التى ترجمت لهم من العربية فى القرون الوسطى وقد يكون المتشابه من تلك النوادر اضافة جديدة فى الكتب المطبوعة لم تتداولها ألسنة الناس قبل ذلك

الا ان النوادر التى لا شك فى مصدرها الشرقى كثيرة بين النوادر المنسوبة الى جحا وامثاله ، وهى على الجملة نوادر الزوجتين والقضاة الدينيين والضيافات التقليدية ونوادر الصيام والصلاة والفتاوى وما هو من قبيلها .

فهذه لا شك فى مصدرها الشرقى من تخوم الصين الى آسيا الصغرى ووادى النيل ، فاين هـــو معيار النسبة الصحيحة بين كل هؤلاء الاقوام والامصار والاقطار ؟

فى النسبة التاريخية بعض المعايير النافعة على غير حسم ويقين . لان النادرة قد تقع فى القرن الثـــانى او الثالث وتصحف بعد ذلك لتوائم القرن الذى نقلت اليه ، وما لم تكن مكتوبة فى مرجع معروف التاريخ فلا سبيل الى الجزم بنسبتها الى زمن من الازمنة على وجه اليقين

والمعيار الآخر « تقريبى » كالمعيار التاريخى لا ينتهى بنا الى الحسم ولا يسلم من اللبس والانتباه ، وذلك معيار الخصائص القومية التى نميزها بالظن ونقارب بالظن بينها وبين النوادر التى توائمها ولا توائم غيرها

وقد اسلفنا ان طبيعة الفرس تغلب عليها الصوفية والمحاولة الدبلوماسية ، وان طبيعة الترك يغلب عليها تحصيل الحاصل مبالغة فى الواقع ، وان طبيعة العرب يغلب عليها الخيال والقياس المنطقى ، وتبالغ بها الفكاهة تتجنح بها الى الوهم والقياس مع الفارق الواحد اوالفوارق الكثيرة

افلا يعقل ان العبقرية التى اخرجت لنا القول بتسخير الجسد والاعضاء لحالات الروح تخرج لنا مع الفكاهة - والمحاولة الدبلوماسية - قصة الاوزة التى يخلق لها الخوف رجلين والرجل الذى يخلق له الخوف اربعا اذا عدا وراءه من يشد عليه بالعصا ؟

جائز أوراجح ، وهذاغايةما هناك ، ومثلها نادرة الولد العاق الذىمسخته دعوة أمهحمارا ثم عاد الى الآدمية ببركة الشيخ

وكذلك يعقل أن تحصيل الحاصل يخرج لنا فىبلاد الترك قصة المرأة التى يقال لزوجها انها تدور فى البيوت ، فيأخذ بالواقع - المفرط - ويقول : لو صح ذلك لدخلت الىبيتنا

ومثل هذه القصة قصة الرجل الذى يصطنع التعمية ويعلن انه يعطى اكبر « خوخة » فى المنديل لمن يخبره بما فيه ، ومثلها قصة الرجل الذى يضربونه لانه يأكل الحلوى فيحمدهم لانهم يكرهونه على الاكل بالسوط والعصا

كذلك يعقل ان القياس مع الفارق يخرج لنا نادرةالرجل الذى باع نصف الدار ليشترى النصف الآخر وتخلص له الدار بنصفيها . فما كل شراء يجمع للشارى بين النصفين ولكنه قياس مع الفارق لشراء على شراء

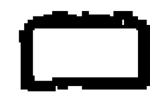
والحماقة التىادخلت فى روع صاحبها ان السحابةعلامة



جحا النبيه لحماره : الى الامام يا أحمق!.

صاحة للحفرة التى تحفر تحتها ـ هى بعينها التى ترى على الرمح روثة فلا تفهم منها الا ان الدابة صعدت على الرمح . ثم لا يبقى عليها الا البحث فى طريق الصعود

هذه معايير تقريبية لانأخذ بها ولا نهملها ، لان اهمالها اهمال لدراسة واسعة من دراسات العصر قابلة للمزيد من التوسع والاحكام



وقد تعمدنا أن نختار بين النوادر السابقة طائفة من أشهر النوادر بين العامة والخاصة فى البلاد العربية ، لانها اشتهرت حتى اصبحت علما على جحا دون غيره بين جمهرة الناس التى تتناقل النوادر والاحاجى من فم الى فم ولا ترجع الى الكتب والاوراق ، فليس من الجائز أن نسقطها من كتاب يدور فيه الكلام على جحا وما ينسب اليه من النوادر والحماقات ، ومعظم نوادر جحا من قبيل هذه النوادر الساذجة فى تأليفها وموضع الحكمة فيها ، ولعلها ثلاثة أرباع المجموعة التى بلغت قرابة ستمائة ، وعتها الطبعة التركية كلها الا القليل الذى تناثر من صدر الاسلام الى ايام الدولة العباسية بين كتب الادب والفكاهة ، وفيها من الاسلوب الادبى والذوق الفنى ما ليس فى معظم النوادر الشائعة ، فان هذه النوادر الشائعة أقرب الى النفاية التى تتناقلها العجائز لتسلية الاطفال ومن هم فى مثل مداركهم من السذج والجهلاء ، وموضعها بين المحفوظات الشفوية التى يسميها الغربيون بالفولكلور أوقع من موضعها بين كتب الادب والفكاهة الفنية

جحا في الأدب

جحا فى الادب ، او على الاصح النوادر الجحوية فى الادب لان هذه النوادر على انواعها موزعة بين زمرة من الحمقى والمحمقين بدات الكتابة عنهم من القرن الاول للهجرة واشتهر منهم فى الادب العربى رهط يبلغ العشرة ويزيد عليها ، منهم هبنقة الاحمق وباقل العيى واشعب الطفيلى وبنان الموسوس وابو العبر المتحذلق ومزبد المدينى والحموى الشاعر ، وغيرهم من المحتالين بالحماقة او التطفيل او الخلاعة ، وليس فيهم من الخلة الجحوية الا اتساع كلمة الغفلة للاشتقاق بين غافل ومتغفل ومتغافل ، على بعد ما بين هذه المشتقات من المعانى والالوان

وهؤلاء الذين وردت أخبارهم فى كتب الادب ارفع فى طبقة « الذوق الفنى » من جحا فى جملة نوادره واخباره . فليس فيهم من يسف بأضاحيكه الى الصبيانية أو السذاجة السخيفة كما يلاحظ على الكثير من نوادر جحا التى وصلت الينا مضافا اليها نوادر المجموعة التركية ، وهى محيطة بما وضعه الترك وما وضعه غيرهم من عامة الشعوب الشرقية الاسلامية ، وبعضه مما وضعه غير المسلمين من جيران الترك العثمانيين ـ كالارمن ـ ونسبوه الى جحاهم المسمى عندهم باسم « أرتين »

وعلة هذه النقاوة فيما أثبته المؤلفون المتأدبون انهم أسقطوا البارد الغث من النوادر ، ولم يثبتوا الا مافيه معنى وله طعم فى مذاق الاديب والفنان ، فلاتجد ـ مثلا ـ فى

تلك النوادر ماتحسبه من تأليف الصبيان او اشباه الصبيان من السذج والجهلاء ، ومافيه دليل على الغفلة أو التغافل فهو دليل عليهما بحق فى عرف الذكى اللبيب ، وليس مما يكثر فيه الخلط ليحسب من الغفلة أو التغافل فى عرف الصغار والاغرار

ولو كانت كل النوادر الجحوية من قبيل نوادر المزبد أو الحموى لكانت طرازا من هذا الفن لايعدله طراز فى لغة من اللغات ، ولكانت بابا من أبواب الدراسات الصادقة للفكاهة الفنية والعوارض النفسية التى يعتمد عليها من يجد فى البحث عن شواهد التحليل

فمن كلام الحمدونى حين لاموه على التحامق : « ان حماقة تعولنى خير من عقل أعوله »

ومن اضاحيك المزبد ، أنه هم بتطليق امرأته فذكرته طول الصحبة ، فقال لها : « والله مالك ذنب غيرها »

ومن أضاحيكه أنه سمع عن صيام يوم بمثابة صوم سنة ، فصامه الى الظهر وأفطر ، وقال : « حسبى من الثواب ستة أشهر ، نحسب منها شهر رمضان »

ولو اجتمعت ستمائة نادرة من هذا الطراز لكانت كما أسلفنا ذخيرة لاتعدلها ذخيرة فى آداب العالم ، ولكنها لاتجتمع بطبيعتها ولا مناص من اختلاطها بالسخف والهراء كلما تناقلها العديد الاكبر من عامة الرواة ، وأضافوا اليها مايخترعونه باجتهادهم على حسب مداركهم ، أو مايستدركون به الفوات والنسيان

والكتب التى جمعت هذه النوادر المنتقاة تعد من امهات كتب الادب الى ايام الدولة العباسية ، ثم يعرض لها الاسفاف والابتذال فيما بعد ذلك من جراء الشيوع والذيوع أو من

جراء الهزال والاضمحلال فى دور المهانة والجمود

واشهر هذه الكتب نثر الدرر للآبى والاغانى لابى الفرج الاصفهانى والمحاضرات لابى القاسم الراغب الاصفهانى ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الاخبار لابن قتيبة واخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى والعقد الفريد لابن عبد ربه وفوات الوفيات لابن شاكر وذيل زهر الآداب للحصرى والمستطرف للابشيهى وثمرات الاوراق لابن حجة الحموى ، وحلبة الكميت للنواجى . ثم يلى هذه الطبقة كتاب الفاشوش فى حكم قره قوش لابن مماتى وكتاب مضحك العبوس لابن سودون المجنون ، ويستطرد الاسفاف بعد ذلك الى القرن الرابع عشر للهجرة وفيه ظهرت مجاميع النوادر المنسوبة الى جحا منقولة عن اخلاط الالسن فى كل امة تناقلت هذا الاسم بين الامم الشرقية

الادب الجحوى بعد النهضة الشرقية

وقد ازدهر الادب الجحوى بعد النهضة الشرقية الحديثة ، فظهرت المؤلفات عنه على مناهج شتى ، يقتبس بعضها من نوادره للاغراض التعليمية ، ويستخدم بعضها هذه « الشخصية » لاغراض النقد الاجتماعى على طريقة جحا فى التحامق والحكمة التى تجرى على السنة المجانين ، ويعنى بعضها بالاحصاء التاريخى والاستقصاء فى تدوين الروايات والاسانيد ، ويرجع هذا الازدهار فى الادب الجحوى بعد عصر النهضة الحديثة الى العناية باحياء الآثار السلفية كما يرجع الى شيوع النقد الاجتماعى بأسلوب الجد والفكاهة

ولقد نبهت النهضة الشرقية اناسا من الاجانب المقيمين

فى الشرق ـ كما نبهت الشرقيين ـ الى استكشاف طبائعه وملامحه وألوان شعوره وتفكيره ، فكان من هذه الالوان البادية هذا اللون من الفكاهة الشعبية التى تدور حول « شخصية جحا » الساذجة ونوادره التى يتداولها الشعب للسخر منها أو للسخر بها ، وقام اثنان بترجمة نوادر جحا الى الفرنسية باسم « كتاب جحا الساذج » هما البرت عداه والبرت جوسيبوفيشى Albert Ades and A. Josipovici الذى كان من موظفى القصر الملكى وممن حضروا بعض الدروس الاسلامية فى الازهـــر الشريف ، وكان مولده بالقسطنطينية سنة ١٨٩٢ فكانت لهمعرفةبالتركيةوالعربية واطلاع على نوادر جحا فى مصادرها المختلفة ، وأما صاحبه البرت عداه فقد ولد بالقاهرة ـ سنة ١٨٩٣ ـ وتعلم فى مدارسها وحضر بعض الدراسات الازهرية ، وأمكنه أنيفهم النوادر فى لهجتها الشعبية أو لهجتها المعربة الشبيهة بالشعبية

وقدم الكتاب المترجم الى قراء الفرنسية الاستاذ اوكتاف ميربو Mirbeau بكلمة موجزة كتبها فى أثناء الحرب العالمية (٢٥ اكتوبر سنة ١٩١٦) وقال فيها ان المؤلفين لايشرحان شيئا لان الحياة لاتشرح نفسها وما كان « جحا » الا فلذة من الحياة الشرقية تعيش ولا تحتاج حيث تعيش الى تفسير ، لان النوادر لاتبحث لنا عن غير المألوف أو عن الخوارق والغرائب وانما تعطينا مألوفات الحياة الدارجة بغير بحث ولا انتقاء ، واذا بدا فيها أثر من الغرابة فانما ترجع هذه الغرابة الى اختلاف الجيل مع تشابه الشخصيات وتكرار أمثالها فى كل جيل

وماكاد هذا الكتاب يظهر بالفرنسية حتى ترجم الى

اللغات الاوربية واقبل عليه المثقفون لانه معرفة يستزيدونها كما اقبل عليه عامة القــراء لانه يروقهم بفكاهته ووقائع الحياة الممثلة فيه ، ومن هذه التراجم ترجمة بالانجليزية ظهرت باسم جحا الاحمق Goha the fool أو جحا الغر « البسيط »

وآخر ماظهر من الكتب الاوربية عن جحا كتاب مغامرات بخارى الذى الفه الكاتب الروسى ليونيد سولفييف Leonid Soloviev (سنة ١٩٣٨) وترجمه الى الانجليزية تاتيانا شيبونينا Shebunina فى هذه السنة ، واتخذ المؤلف من شخصية جحا فى هذا الكتاب داعية جوالا يضطرب فى البلاد الاسيوية هربا من ظلم الحكام وكراهة للمقام ، ويمضى هنا وهناك ليشهر بالنظم الحكومية التى ترهق الناس بالضرائب وتلتمس لها اسبابا من الهباء لاتعفى منها المقيم ولا المترحل بين الارض والسماء ، ومثال هذه المـــــاذير التى تنتحل لتحصيل الضرائب ان المكاسين استوقفوا جحا على باب مدينة ليسدد الضرائب عمن ينوى ان يزورهم فيها ، فلما قال للمكاسين انه لايقصدهم للزيارة بل للعمل والتجـارة طالبوه بالضريبة ضعفين : احداهما للعمل المربح والاخرى للزيارة « الضمنية » ... لان من يتجر مع قوم يزورهم بغير مراء

ونخال ان القراء الغربيين اقبلوا على نوادر جحا لانهـا وافقت عندهم نماذج من الشخصيات المضحكة يألفونهـا ويتناقلون حكاياتها الصحيحة أو الموضوعة ، وربما كانت نوادر جحا نفسه قد تسربت الى الغرب بالتنقل والرواية الشفوية والاطلاع على الكتب العربية فى اصولها او ترجمتها ، ولا يبعد أن يكون كثير من هذه النوادر قد انتقل من المغرب

الى ابناء جزيرة مالطة الذين يتحدثون فى لغتهم الممتزجة بالعربية عن شخصية كشخصية جحا تسمى عندهم جهان ، وهو تصحيف يسير كتصحيف كثير من الاسماء العربيةالتى يتسمى بها أبناء تلك الجزيرة . أما اسم « جوكا » المشهور باللغة الايطالية فلا نخاله من قبيل هذا التصحيف كما خطر لبعضهم ، لان مادة « جوكا » بمعنى المزاح والضحك شائعة فى اللغات الغربية اللاتينية والسكسونية ، ومنها كلمة « الجوكندا » لصورة مونا ليزا الخالدة بمعنى « المبتسمة » من عمل ليوناردو دافنشى الفنان الكبير

وقد أشرنا فيما تقدم الى شخصيات فى الغرب تشبه شخصية « جحا » فى جانب الحكمة تارة وفى جانب الحماقة تارة أخرى ، ولا ننسى فى هذه العجالة أبقى هذه الشخصيات لانها باقية الى يومنا هذا عنوانا لصحيفة سيارة باسم الـ « البنش » Punch المختزل من اسم Punchinello من بقايا التمثيل الصامت فى العصور الوسطى أو « القرهقوز » المعروف عندنا بصندوق الدمى والالاعيب

والتناقض كثير فى رد هذه الكلمة الى اصلها القديم ، فمن الشائع فى الاسانيد الشعبية الايطالية ان الاسم مصحف من اسم مهرج سخيف يسمى بتشيو دانيلو Puccio d'Aniello كان معروفا فى القرون الوسطى ثم اتخذوا اسمه علما على صناعة التهريج

ولاسند لهذه الرواية غير الاشاعة والمشابهة فى اللفظ مع الاختزال والتصحيف ، والارجح ان الاسم مصحف من اسم بنشيوس بيلات Pontius Pilate أو بيلاطس الذى حدثت فى عهد ولايته محاكمة السيد المسيح . فقد كانت هذه « الشخصية » محور السخرية والاهانة فى المسرحية

الدينية التي كانت تمثل محاكمة السيد المسيح وتعرض أعداءه فى صورة رمزية يقابلها النظارة بالتهكم والاستهزاء . وقد يكون وصف القرهقوز بالسواد كما يسمى باللغة التركية منظورا فيه الى هذه المسرحية « السوداء » أو مأخوذا من الستار الاسود الذى يحجب الدمى والالاعيب ، وهكذا تتنقل الشخصيات والمناظر بين الشعوب ثم تنعزل فى كل أمة بخصائصها بعد نسيان وسائل الانتقال

وايا كان مصدر هذا « البنش » فهو باق الى اليوم يصغى الناس الى فكاهاته متفرعة متجدده ، متطورة ، كما نقول بمصطلحات زماننا وقلما يعنيهم ان يتتبعوها الى جذرها القديم

ومن اطوار الشعوب فى تناقل الفنون أو الموضوعات الفنية ان نهضة الشرق نبهت الاوربيين الى تراث الشرقيين القديم وأن عناية الاوربيين نبهت اليه اناسا من الشرقيين الذين يكتبون باللغات الاوربية ، فوضع الاستاذ عسكر نحاس باللغة الفرنسية كتابا سماه « تأملات ابن جحا » يحكى فيه الابن اباه بالحكمة المازحة والدعابة الحكيمة ، ومن امثاله قوله عن المراة « انها خلقت فى الرجل الانانية لتحقيق مطالبها » وان « امراة واحدة تبحث عن سيد ، ولكن امراتين معا تبحثان عن فريسة » وان « الرجل الشرير فى عين المراة الخائنة هو السمكة التى ترفض الطعم » و « ان المراة تعذب رجلها عقابا له على أنها شيء لاغنى عنه لديه »

وسينشأ لجحا بعد ابنه هذا حفدة وابناء حفدة ، ولانظنهم جميعا قالوا — بعد — كلمتهم الاخيرة باللغة العربية ، أو التركية ، أو بسائر اللغات ، فانهم خالدون بخلود النفس البشرية بين كل قبيل

خلاصة تاريخية

والخلاصة من الناحية التاريخية — وهى اقل النواحى ثبوتا واهمية فى هذا المبحث — اننــا نستطيع ان نتقبل ابا الغصن جحا كما ذكره الميدانى فى امثاله كأنه شخصية تاريخية لاغرابة فى وجودها ولا داعية للشك فى امكان وقوع النوادر المنسوبة اليها ، فان الذين يشبهون أبا الغصن هذا فى غفلته وسهواته يوجدون فى كل بيئة ، وفى كل زمن ، وان تنوعت المناسبات والاحوال التى تكشف للناس عما طبعوا عليه من الغفلة

ويلحق بأبى الغصن اناس على شاكلته لم يشتهروا مثل اشتهاره ولم يسمع بهم الامراء والولاة كما سمعوا باسمه وخبره ، فيطلق الناس عليهم اسم جحا نبزا أو تشبيها او تغليبا أو تفيهقا بالحكاية النادرة التى تدل على علم بأخبار السلف اذا رويت عن مشهور متقدم ولا تدل على شىء من ذلك اذا رويت عن سكان البلد فى ساعتهم الحاضرة ، ويعمل الوضع و « القفش » عملهما أثناء ذلك فيجتمع من النوادر الجحوية ماتصح نسبته الى شخصية قديمة او حديثة ومالا تصح نسبته الى أحد غير وضاعه ومخترعيه من الرواة والملفقين

ونحن فى عصرنا هذا قد شهدنا نشأة أمثال هذه الشهرة الصحيحة والمخترعة وشهدناتطورها من مبدأها الى مصيرها بعد عشرين أو ثلاثين سنة ، وكان « الفضل » فى ذلك

للصحافة الاسبوعية المضحكة التى كانت تقوم فى أوائل القرن العشرين على « القفش » والملحة المخترعة ، ويعلم الكتاب والقراء والمستمعون انها تلفيق يعتمد على أصل ضعيف ، وأنها براعة فى صناعة « القفش » يتنافس فيها أولئك الصحفيون ، وهم ولا ريب خلفاء الندماء الذين كانوا يتولون هذه الصناعة فى صدر الدولة الاسلامية وما يليه من العصور قبل نشأة الصحافة

رأينا الاديب « ابراهيم الدباغ » يأكل فى مأدبة فلم نلحظ عليه شيئا من النهم الذى اشتهر به بين المتندرين ، وسألنا صاحبا له فقال انها أكلة واحدة أو أكلات قليلة بعد جوع أكسبته هذه الشهرة الباطلة ، وأنت تعلم أنه كثير السخرية والاستهزاء بالادعياء من محترفى الادب والصحافة الذين يتزاحمون على مجالس الاغنياء ، فانتهزوا « فرصة » هذا النهم الموقوت للقصاص والوقيعة وملأوا الصحف الاسبوعية « بالقفشات الدباغية » حتى أصبح « الدبغ » كلمة فى اللغة الدارجة تطلق على النهم ، وقد ظلت هذه الكلمة تحمل معناها المستعار الى يومنا هذا ، واصبحنا نسمع من يقول عن احد من الناس انه « دباغ » وهو لايعرف أصلا لهذه التسمية

وقد حكينا مارأيناه من الشيخ الدباغ وما سمعناه من صديقه لصاحب احدى الصحف الاسبوعية التى أولعت « بالقفش » له والتلفيق عليه . فقال : « لاتنخدع به فتدعوه الى طعام ، فانما يكف الرجل يده عن الاكل وهو مشتاق اليه ليدحض كلامنا عنه ويغرر بالحاضرين فيقعون فى الشرك ، ويندمون حيث لاينفع الندم »

فلم ندر — ونحن معاصرون لصاحب الشهرة ومن شهروه بها — اى القولين نصدق واى القفشات يعتمد على الواقع وأيها يستمد من الفكاهة والخيال

واشتهر رجل آخر فى تلك الآونة بالمبالغة فى الادعاء — أى بالفشر كما يقولون فى اللهجة البلدية — وكان حقا يدعى ويبالغ فى دعواه ، وكان ظريفا يحسن التخلص من المأزق اذا امتحن بمن يتعقبه بالنقد والسخرية ، وكان الى هذا وذاك على يسار يطمع فيه طلاب الاشتراكات للصحف الاسبوعية فى ذلك الحين ، فامتلأت هذه الصحف بدعاويه وبالدعاوى المقيسة عليها مع التوسع والاغراب ، واصبح اسمه كذلك علما على « الفشر » يكاد يلغى هذه الكلمة لولا انها متأصلة فى الاقوال والاقاويل

فلا غرابة فى نشأة النوادر الجحوية سواء صحت نسبتها او لم يصح منها الا القليل

وكل ماجاء فى الكتب العربية من هذه « الجحويات » فلا غرابة فى نشأته ، ولا غرابة فيه من كل وجه الا فى التناقض بين الغفلة والتغافل فى أخبار الرجل الواحد ، ولاسيما الاخبار التى تتحقق صفات صاحبها ويثبت أنه من المجانين المسلوبين الذين لايحسنون تدبير « التغافل » ولا تجىء منهم الحكمة الا فلتة غير مقصودة فى القليل من الاحايين

الخوجة نصر الدين التركى

أما جحا التركى المسمى بالخوجة نصر الدين فالمنسوب اليه يملأ مئات الصفحات ، وبين أيدينا كتاب بالتركية مطبوع فى الاستانة بالحرف الدقيق (سنة ١٣٢٨ هجرية) يقع

فى مائتى صفحة وخمس وخمسين ولا يستوعب كل مانسب الى جحا أو الى الخوجة نصر الدين من نوادر الحكمة أو نوادر الغفلة والبلاهة

والامر الذى لاشك فيه ان كثيرا من هذه النوادر وضعت بالتركية ولم تنقل عن العربية ، وأنها ترجع الى شخص عاش فى بلاد الترك ولم تكن نشأته على الاقل فى بلاد اخرى

ويدعونا الى الجزم بذلك أن النوادر تشتمل على جناس يوجد فى الالفاظ التركية ولا يوجد فى ألفاظ لغة أخرى ، كالجناس بين جل وكل فى نادرة المسامير والخطوط مع لفظ الكاف كما تلفظ الجيم فى بعض الكلمات ، والجناس بين جمع أيوب وكلمة « ايب » بمعنى حبل فى نادرة يحذر فيها الخوجة نصر الدين أبناء بلده من الافراط فى تسمية أبنائهم باسم أيوب ، أو كالجناس فى الاصطلاح على تسمية المطر بالرحمة وقولهم عن نزول المطر انه رحمة نزلت « رحمة انيور » من عند الله

ويدعونا الى الجزم بتأليف الترك لكثير من هذه النوادر أنها تذكر المدن والاقاليم فى آسيا الصغرى وما جاورها بخصائصها المشهورة الى هذه الايام

ويرجح لدينا أن نصر الدين شخصية تركية غير منقولة عن الامم الاخرى انه نشأ فى آسيا الصغرى حيث تنتشر جماعات الدراويش الدينيين من قبل الاسلام ، وحيث يعهد فى آحاد من هؤلاء الدراويش ان يخلطوا خلط المجاذيب ويفتوا فتوى العلماء والفقهاء ، وان يلوذوا بمظاهر التخليط أحيانا بغية السلامة من بطش الحكام المغيرين على البلاد ، وقد يلوذ بهم عامة الناس ايمانا بكراماتهم وشفاعاتهم ليدفعوا

عنهم مظالم الطغاة ، فيحتالون على استرضاء الظالم بالفكاهة أو بالوعظ المقبول أو بالتخليط الذى ينالون به ماطلبوه من الحاكم اذا اضحكوه واستطاعوا فى وقت واحد أن يلمسوا فى نفسه موطن التقوى والخوف من الله وموطن الرضى والسرور

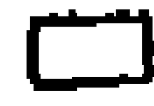
والخوجة نصر الدين مشهور بكراماته وكرامات ضريحه فى مقبره « آق شهر » بعد وفاته بزمن طويل ، يذكر الناس اضاحيكه فيضحكون منها ولكنهم يحيلونها الى حالات اهل الجذب بين عالم الاسرار وعالم العيان ، أو يحيلونها الى حب التقية والاحتيال على الموعظة الحسنة بالاسلوب الذى يؤدى الى مرماه ويعفيه من عقباه

والشك الاكبر انما يعرض لهذه السيرة من أطباق النوادر الكثيرة فيها على اجتماع الخوجة نصر الدين بتيمورلنك اثناء غزوته لبلاد الروم ، والمشهور أن الخوجة نصر الدين توفى سنة ٦٧٣ أو سنة ٦٨٣ هجرية ، فهو قد توفى قبل مولد تيمورلنك بأكثر من نصف قرن ، ولا يعقل انه رآه وحضر مجالسه الا اذا كانت وفاته حوالى سنة (١٤٠٥ م) التى توفى فيها تيمور

ولا يسهل التوفيق بين هذه الروايات الا على فرض من فرضين : أحدهما خطأ المتأخرين فى تعيين السنة التى توفى فيها الخوجة نصر الدين ، والثانى أن تيمورلنك لقى شيخا آخر على شاكلة الخوجة نصر الدين فتداخلت الروايات وعلقت البقية الباقية منها بالاسم المشهور

وأيا كان صواب النسبة فى بعض النوادر التى تحتمل الخلاف فهناك جملة من النوادر لا اختلاف فى وضعها بعد

عصر تيمور وبعد العصر المفروض للخوجة نصر الدين ، وهى النوادر التى وردت فيها الاشارة الى المخترعات الحديثة كالبندقية وساعة الجيب ، أو كالنوادر التى تكذبها وقائع التاريخ العثمانى وتاريخ آسيا الصغرى على الخصوص



ومن الواجب أن نسلم ـ بداءة ـ بوضع العدد الاكبر من النوادر التركية أو نقلها من رواة الامم الاخرى ، لان حصولها كلها من رجل واحد أمر لايسيغه العقل ولا يروى له نظير فى السوابق التاريخية ، فلو أن هذا الرجل عاش ليخلق تلك النوادر وعاش الناس معه ليسجلوها لما اجتمع من اضاحيكه تلك المئات التى تملأ المجلدات ، ولا استطاع أن يأتى بما فيها من النقائض العقلية والخلقية ، فضلا عن نقائض الجغرافية والتاريخ

فوضع العدد الاكبر من النوادر امر مفروغ منه لايجوزان يحتج به المحتج على بطلانها واختلاقها من أصولها ، ولعل هذه النوادر الموضوعة أصح فى الدلالة على ازمنتها وبيئاتها من وقائع السجلات والارقام

قيل ان بين الجليل الرهيب والمضحك المغرب قيد شعرة أو لمحة عين . ولاشك فى هذه الحقيقة من الوجهة النفسية كما تقدم ، لان الهول يتحول فجأة الى الضحك بطارىء من طوارىء التغيير والتبديل التى تتعاقب فى أيام النصر والهزيمة والقيام والسقوط بين الجبابرة واصحاب الدولات

ولاشك فى هذه الحقيقة ـ ايضا ـ من الوجهة التاريخية

اذا رجعنا الى عصر تيمورلنك واشباهه فى تواريخ المشرق والمغرب ، فليس أحفل بالاضاحيك من عصور التقلب وعصور الشدائد والاهوال

وظاهرة اخرى من الظواهر الناطقة فى النوادر الموضوعة تنبئنا عن زمانها الذى فشت فيه وشاع اختراعها بين جميع الطبقات

فمنذ القرن السادس للهجرة (والثانى عشر للميلاد) هبطت المعرفة من ذروة الكرامة واصبح العارف الاريب من يحتال على رزقه بالمجون والمنادمة والتحامق والتشبه بالجهلاء واصحاب الجدود من ضعاف العقول ، وشاع القول « بحرفة الادب » مغنية عن القول ببؤس العالم الاديب

فى أوائل هذا العهد ظهرت مقامات الحريرى التى يجمع بطلها بين البؤس والبلاغة والبراعة فى الحيلة ، وفيه تواتر النظم فى شكوى الزمان مقرونة بشكوى الادب والعجب من قسمة الارزاق ، وهذه هى الناحية الادبية من تلك الشكايات وتلك الحيل «الانشائية» أو الفنية ، واما الناحية الاجتماعية العامة فآيتها هذه النوادر التى تعد بالمئات ولا تظهر فيها براعة اللبيب الاريب الا فى الاحتيال على أكلة او فى الاحتيال على دفع المحتالين الطامعين فى قوته الهزيل

وبين قصص جحا قصة عن تقسيم الارزاق يسأل فيها جحا من ندبوه للقسمة هل يريدون قسمة الله أو قسمة العبيد . فلما حكموه فى توزيع الحظوظ بينهم على قسمة الله أعطى هذا مالم يعط ذاك وفاوت بينهم اكبر المفاوتة فى الاقسام ، وما كانت هذه النوادر لتشيع بين العامة من رواة « الجحويات » لو لم تكن لها مصادرها المتواترة من بعيد

على ان النوادر « الطعامية » تنم على وجه خاص عن سذاجة فى الحيلة ترجح نسبتها الى طوائف المحرومين من الجهلاء الذين يتأسون بذوى المعرفة والتقى ولا تسعفهم القدرة على الاختراع ، فغاية جهدهم هذا الذى ابتدعوه وأحبوا تعظيمه وتحقيق الاسوة فيه بنسبته الى العارفين ، وجاءت هذه النوادر الطعامية مجاوبة للمقامات الانشائية وللقصائد المنظومة فى شكوى الزمان والعجب من قسمة الارزاق ، ولم يعرف هذا كله فى عصر من عصور الشرق كما عرف بعد القرن السادس للهجرة ، وبعد ادبار الدولة العباسية ، واجتياح تيمورلنك للعالم الشرقى من تخوم الصين الى شواطىء بلاد الروم

ونودع الآن جحا والجحويات ونحن نحمد للضاحك المضحك ، أنه اعار اسمه عامدا وغير عامد لباب من الدراسة النفسانية والاجتماعية لم يكن ميسورا لنا بغيره ، ولن يبخسه شيئا من الحمد ان يكون على وفاق مع التاريخ أو على افتراق من كل تاريخ

فهرس

صفحة

الكلمة والضحكة ٨
لماذا نضحك ؟ ٣٣
ثلاثة آراء فى الضحك ٦٩
الضحك فى الكتب الدينية ٩٣
الانسانية والفكاهة ١٠٥
جحا .. ونوادره ١٣١
٦٠ نادرة ١٤٣
موازين غير محكمة ١٧١
جحا فى الادب ١٧٧
خلاصة تاريخية ١٨٥

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان :	شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)
العراق :	السيد محمود حلمى ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد
اللاذقية :	السيد نخلة سكاف
مكة المكرمة :	السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٩٧
البحرين :	السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين
ساحل الذهب :	The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.
نيجيريا :	Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.
انجلترا :	مكتب توزيع المطبوعات العربية Arabic Publications Distribution Bureau 7, Bishopsthorpe Road, Sydenham, London S.E. 26, England.
فرنسا :	Etablissements Helbaoui, 29, Rue Saint-Augustin, PARIS-2°, FRANCE.
البرازيل :	Dr. Michel H. Thomé, Pateo Do Colegio N° 3 3° Andar — Sala 9 SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

ليس أشوق للقارئ في موسم الراحة وفصل الحر الشديد من أن يقضي وقته في قراءة هذا الكتاب المفيد الممتع الذي يتناول الضحك وزعيم الضاحكين المضحكين جحا ..!

ونقول المفيد الممتع ، لأن هذا الكتاب ليس للمتعة فقط ؟ بل هو مجموعة من الثقافة والفكاهة والأدب والفلسفة والتاريخ

فقد قدم المؤلف الكبير لهذا الكتاب بفصول عن الكلمة والضحك ، وعن أسباب الضحك ولماذا نضحك ، وعن الإنسانية والضحك ، وعن الضحك في الكتب الدينية . ثم تناول جحا كشخصية ضاحكة عالمية ، وروى طائفة من نوادره الطريفة ، واستخلص منها عبرة الضحك ومأساته ، كما تحدث عن آراء فلاسفة الضحك ، فهو ينقلك من العلم إلى الأدب إلى الفكاهة إلى الفلسفة .. إلى الحياة المرحة .. حياة جحا التي أصبحت عنوانا للمرح

فأنت تقرأ بين رياضتك النفسية ومتعتك الذهنية في هذا الكتاب أجمل ما تحتاج إليه من ثقافة عن الضحك وزعيم الضاحكين المضحكين الذي أبى إلا أن يعيش خالدا بين الناس بخلود الميل إلى الضحك والفكاهة في نفوس الناس

